

ABU ABDO ALBAGL



بدر الدين اسلاّح



لِللَّيْلِ نَسْأَلُكَ وَاللَّيْلُ وَاللَّيْلُ وَاللَّيْلُ

قصّة جده

للتاريخ والذكرى

بيد الدين التتلا

قصته

دمشق - ١٩٩٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

- الى اولادي الأحباء الذين منحتهم رضائي ومنحوني برّهم .
- الى دمشق الحبيبة التي عشت فيها ولها .
- الى كل عالم مخلص أقدت منه واهتديت بعلمه .
- الى كل مسؤول أو تاجر قدم لوطنه .

الى كل شريف ومواطن يتحلى بما في هذه الكلمة جاهد ويجاهد بنفسه وماله لإرضاء ربه وإسعاد أمته .

الى كل انسان على وجه الأرض يسمى وهو يعمل أو يكافح لتطو البسمة على كل وجه وتعم السعادة الانسانية جمعاء .

اقدم هذه المذكرات

بسر الدين الشلاح

Mathematical Induction

1.1. Introduction

Mathematical induction is a method of proving that a statement is true for all natural numbers.

It consists of two main steps:

1. **Base Case:** Prove the statement is true for the smallest natural number (usually 1).

2. **Inductive Step:** Assume the statement is true for n , and prove it is true for $n+1$.

If both steps are completed, the statement is proven true for all natural numbers.

Mathematical induction is a powerful tool for proving properties of natural numbers and sequences.

2. Example: Proving $1 + 2 + \dots + n = \frac{n(n+1)}{2}$

Q.E.D.

والدي

بقلم : الدكتور راتب الشلاح

سيدي الوالد الكريم

اسمح لي أن أدلي يدلوي في هذه المذكرات لاكتب في مقدمتها كلمة متواضعة عن الانسان الذي اعتز واتشرف بالانتماء اليه كأب وموجه وحكيم ورفيق . فقد كان له الفضل كل الفضل في حسن تربيتي وإخوتي وتثقيفنا في مختلف مراحل التعليم والصقل فأنا لنأ طريق النجاح والفلاح .

والذي بدر الدين الشلاح ، هذا الانسان الذي سهل لنا سبيل تسلق درجات العلم والمعرفة بقناعة منه ان طلب العلم من المهد الى اللحد فريضة مقدسة . والذي بدر الدين الشلاح الذي اعطانا الحنان الأبوي مشفوعاً بانجع التجارب العملية التي صادفها في حياته الزاخرة بالعمل والمبادرات فكان المعلم والموجه ، ويعود له الفضل فيما اكتسبناه من علم وخبرة ودراية وخلق واخلاق .

سيدي الوالد

لقد وجدنا فيك - نحن أبناءك - نقاء الموهبة الشخصية ، والظاهرة الانسانية التي رافقت مسيرة الحضارة مع كل ما صادفته من صعاب ، مع المسؤولية التي حملت اعباءها الثقيلة في وقت مبكر من ربيع حياتك ، واستفدت من كل التجارب بإيمان راسخ وتفاؤل مشرق ، وثقة بالنفس ، وعزيمة صادقة .

كنت يا سيدي تتحدث إلينا عن ممارستك التجارة في ظروف بالغة الصعوبة والحرج ، وكيف كافحت بحزم وثبات حتى بلفت الهدف الأسمى في الوصول الى ما تصبو اليه من تحقيق الآمال في الانشاء والتعمير .

سرت يا سيدي في طريق الانتاج الزراعي والتصنيع الى جانب ممارستك التجارة ، مطبقاً أحدث اساليب الزراعة الحديثة والمشاريع البناءة ، فبلغت الذروة ، وأنشأت المزرعة النموذجية على ارض جرداء قاحلة ، فكان عملك هذا قدوة لتطوير اساليب الغرس والزرع والتنظيم والانتاج .

انغمست في الأعمال العامة ، وساهمت في المشاريع الخيرية ورافقت مجالس العلم والعلماء ، وصرت موجهاً وعنصراً فعالاً منتجاً ، وجعلت حياتك العطاء والتفاني في خدمة المجتمع والوطن .

عرفت فيك ياسيدي الوالد روح التسامح في المواضيع التي تخصك مع تشددك المعروف في الأمور التي تخص الآخرين أو تمس بالمصلحة العامة . والذين لم يعرفوا عنك هذه الصفة ، يعتبرونها ظاهرة من القسوة والتصلب ، بينما هي في حقيقتها وجوهرها أعلى درجات المحبة والغيرة . ونحن أقرب المقربين اليك كنا نتفهم هذا المنطلق لعلنا الاكيد بأنك أنت ذلك المناضل الذي لا يثنيه عن مناجه شيء ، وكم كنا نحاول بين الحين والآخر أن نخفف من مدى اندفاعك لتعطي لنفسك وجسدك حقهما من الراحة .

ليس المطلوب من كل إنسان أن يغير مجرى التاريخ ، بل المفروض أن يعمل كل إنسان ضمن امكانياته وجهده ، وأن يساهم في خلق مكان أفضل لغيره في هذا العالم ، وهذا ما فعلته أنت .

أعوام طويلة من الكفاح والجهد والعطاء ، حملت خلالها المشعل وأديت الواجب ، فأنرت الطريق للعديد من المهوفين فاستحققت بذلك رضاء ربك واهلك ووطنك وأصبحت لنا مصدراً للسعادة والفخر والاعتزاز .

أرفع يديّ ضارعاً الى الله تعالى أن يبارك بك وبأمثالك ، وهنيئاً لك بهذه الروح السمحة حيث تنظر لنفسك بابتسامة فيها الرضا عن النفس وراحة الضمير ، وهذه هي سعادة الدارين الدنيا والآخرة .

د. وآتب الشلاح

رجل المسؤولية والمبادرة

بقلم : الأستاذ محمد عثمان الشحرور^(١)

خلال أربعين عاماً أو أقل بقليل من العلاقة الوثيقة وصلة القربى مع « أبي راتب » كنت أرقب حياته الزاخرة بالمبادرة والعمل وتحمل المسؤوليات والمشاق والمتاعب والجهد المتواصل ، استخلص الكثير من العبر والأمثولات التي تحدد قواعد النجاح ، وتؤكد على التزام الإنسان بوطنه وبالأفق الأخلاقي والإنساني . ولقد وجدت فيه الرجل الذي لا يكل من العمل ، ولا يفتأ يبحث عن مجال جديد للإنتاج والاستثمار ، ولا يضيع فرصة للمشاركة في البناء وعمل الخير . ووجدت في حياته نموذجاً للصعود من بداية السلم إلى أعلى درجاته دون كلل أو ملل أو انحراف أو تردد ، وكان موضع ثقة الجميع حيثما حل ، وفي أي مشروع أسهم فيه أو أقدم عليه بمفرده .

مرّ أبو راتب بسلسلة من الظروف الساحقة التي أهدت بالبلاد منذ نهاية العهد العثماني وعبر الحربين العالميتين الأولى والثانية ، مروراً بسائر الأحداث الحرجة ، وكان دائماً الرجل بعيد النظر القادر على استخلاص الحكمة والاستفادة من الأحداث ، والعمل بدأب وجد ومرونة في وجه المصاعب والنكبات .

لقد اكتسب ثقة القاعدة التجارية دائماً ، فحملها أمام الجهات المسؤولة وما زال هذا دأبه في حل المشاكل بالخبرة الطويلة المكتسبة .

ولهذا كانت مذكراته سجلاً لظروف البلد ، ووثيقة شيقة للحياة الاقتصادية والاجتماعية في مرحلة انتقال غير عادية ومجتمع يتطلع إلى الحرية والنور والسلام .

محمد عثمان شحرور

(١) الأستاذ محمد عثمان الشحرور صهر السيد بدر الدين الشلاح ، وقد توفي عام ١٩٨٨ بعد كتابة هذه المقدمة ، فتركناها تخليداً لذكراه .

1. The \mathbb{Z}_2 -action

Let \mathbb{Z}_2 act on \mathbb{R}^n by

$$\sigma(x_1, \dots, x_n) = (-x_1, \dots, -x_n).$$

The quotient space $\mathbb{R}^n / \mathbb{Z}_2$ is homeomorphic to the set of orbits of this action. For $n=1$, the quotient is a half-line $[0, \infty)$. For $n=2$, the quotient is a cone. For $n=3$, the quotient is a 3D cone. In general, the quotient is a cone with a base of dimension $n-1$.

The quotient map $\pi: \mathbb{R}^n \rightarrow \mathbb{R}^n / \mathbb{Z}_2$ is a covering map. The fiber over the origin is \mathbb{Z}_2 . For $x \neq 0$, the fiber is a pair of points $\{x, -x\}$. The quotient space is a manifold with a singularity at the origin.

The quotient map π is a local homeomorphism away from the origin. The quotient space is a manifold with a singularity at the origin. The quotient map π is a covering map. The fiber over the origin is \mathbb{Z}_2 . For $x \neq 0$, the fiber is a pair of points $\{x, -x\}$. The quotient space is a manifold with a singularity at the origin.

The quotient map π is a covering map. The fiber over the origin is \mathbb{Z}_2 . For $x \neq 0$, the fiber is a pair of points $\{x, -x\}$. The quotient space is a manifold with a singularity at the origin.

The quotient map π is a covering map. The fiber over the origin is \mathbb{Z}_2 . For $x \neq 0$, the fiber is a pair of points $\{x, -x\}$. The quotient space is a manifold with a singularity at the origin.

Mathematics Department

The quotient map π is a covering map. The fiber over the origin is \mathbb{Z}_2 . For $x \neq 0$, the fiber is a pair of points $\{x, -x\}$. The quotient space is a manifold with a singularity at the origin.

جيل نبت من الارض الطيبة

التقديم لسير الرجال ومذكراتهم ماثرة لا ينساها إلا من وجد في قلب من قدم له محبته . واذا كان التقديم هو التعريف ، فالمقدم له لا يحتاج الى تعريف فهو في احداث بلدي الاقتصادية كان وما يزال قطبا من اقطابها . لا يذكر التجار إلا ويذكر شيخهم الذي قادهم في ظروف متفايرة ليرسو بهم في واحات العمل والامان . انه تاريخ قرن في رجل ، وذاكرة الاحداث التي مرت بوطن ، وارادة الاستمرار والتكيف والتطور .

عرفته رئيسا لفرفة تجارة دمشق ورئيسا لاتحاد الغرف السورية وتزامننا عشرين عاما كان فيها معينا لا ينضب من الحكمة والتجارب وكان دائما مخلصا في نصحه وصادقا في رايه .

وهو يمثل في سلوكه ذلك الجيل من الرجال الذي نبت من هذه الارض الطيبة فكانت له الأم الحنون ومصدر ثروته وغناه وفرحه . لقد عقد هذا الجيل مع ارضه رباطا مقدسا من المحبة بالولاء والاخلاص وهو ما شدني اليه ، فهو مع رجال احببتهم مثله كانوا لي المثل الذي اركن اليه للتأكيد على القدرات الكامنة البناءة في شعبنا القادرة على البناء والعطاء وتحقيق المعجزات .

عركته الاحداث فصاغ حكمها انسا ومحبة وملاطفة يدخل بها القلوب فيحقق الموافقة على ما يريد ويحتفظ باحترام القريب والبعيد .

وعندما يتحدثون عن دمشق وعن صفاتها المتميزة عن اترابها ، في قدرتها المستمرة على تجاوز احداث الزمن ، والانتصار دوماً ، وكسب المحبة والولاء والبقاء موضع الثقة والاعتزاز ، يقولون بان دمشق ليست ارضا فقط او سماء ونجوما وانما هي ايضا رجال ونساء صاغوا الاحداث ، واابد تشهد على القدرات الخاصة والصفات الذاتية التي يتمتع بها اباء هذا الوطن ، وذكروا الحاج بدر الدين الشلاح وعمله الدؤوب من أجل تجارة حرة في وطن عربي كبير .

أردت ان اقدم لمذكرات الحاج بدر الدين الشلاح إلا اني لم اقرأ منها إلا صاحبها .

محمد العمادي

في غايه وراثيه والشياميه

بمنه زيه بسنه في مفسحه زيه كذا لعمريه كذا في نه جها يندوم رانه كذا بسا جندفنا
 كلما ذكرت الشيام ، ذكر ابو راتب . . . هما كالوردة وأريجها . . .
 اعطته الكثير من سحرها ، وأسرارها ، وتاريخها ، وحضارتها ، وقسمتها . . .
 واعطاها الكثير من نضات قلبه ، وعقله ، وجهده ، وعرقه . وكما علمته الحكمة ،
 والصبر والتسامح ، والكرم والمرونة ، قائلها بالحب والعمل والبناء والإخلاص والوفاء .
 الورد الشامية الحمراء ، والطربوش الاحمر ، صاروا رمزا للشيام في جزيرتنا

تراثها . وحب الشيام بالنسبة لابي راتب يمتد من حي العمارة في دمشق الى حي
 الكلاسة في حلب ، ومن حي الحاضر في حماه ، وباب السباع في حمص ، الى الشيخ
 ظاهر في اللاذقية ، والشراذيق في دير الزور .

بحرص على تجارب الماضي واستيعاب حركة التاريخ ، ويحترم التقنية الحديثة ،
 ويسابق التطور ، ويعتبر العلم أساس تقدم المجتمع ، ويتمنى لو ترجع الانام الماضية
 لتلقى المزيد من العلم ، وحتى الآن بعد نفسه طالبا ، يتلقى كل يوم درسا جديدا ،
 ولا يضره في هذا المجال ان يقر بأنه قد تعلم حتى من طفل صغير .

والعمل عنده هو الذي يعطى للحياة مظهرها ، وهنوا ليس ، شغفكلا لأموادنا في العالم ولكن
 رسالة ، وعطاء مستمر ، وجهد متواصل ، وبناء دائم ، وانتاج مبدع . وانا كان نوعه
 فهو شرف . اما العمل الذي يحبه ويدعو اليه بلا كلل فهو العمل في الحقل والمزرعة ،
 والمصنع والورشة ، والمتجر . . . فشهادات الدكتوراة في الاقتصاد أو الزراعة التي
 حصل عليها ابتاؤه ، حفظها لهم في صندوق في منزله ، وحملهم بدلا عنها أدوات
 الزراعة ، أو معدن المصنع ، أو مستحضرات الورشة ، أو صناديق فاكهه ، أو أكياس
 سماد ، أو أسخت ، أو الواح خشب . . . الحقا ليسا بسيا قشمة ، بل بياقير .
 علموكم عطل في الجوانب المادية والبيئية والفن والتعشيب والمرونة ، وفنك الولاد
 يقومون بأيديهم بتلك الاعمال ، ولكن بالوسائل العلمية الحديثة وبالتقنية المتطورة .
 للوضع بالعلمية الأبي واثنا على الحبيبة . بل هو بلها بلا اجودا مفضلة للرابطة
 صباحا يلعبون ليلها عمولا حتى كما الا بعد ان يطمئن على ان ما قدمه لها كفاها .

سالت أبا راتب ذلك اليوم، حيثما كان، ليجوان العناية بتلك الشجرة ففاح غرسها قبل مدة وجيزة، متى تتوقع أن تعطي الثمار؟ فأجاب: لعل قصيدك أن تتساءل هل أمل العيش إلى ذلك الحين، وسأجيبك بأن مشيئة الله هي التي تجدد الأجل، ولكن حياي للأرض والشجرة والوطن يلزم وجودي. أنا لأرغب لنفسي، وإنما لأولادي وأحفادي، وبالنتيجة لوطني.

والشجرة عنده هي العطاء، والجمال، وهو يدعو كل من يستطيع شراء ولو متر من الأرض لبغرس شجرة، فلا خير في أمة تأكل بما لا تزرع وتلبس بما لا تصنعهم راء والصناعة التي يرى أبو راتب وجوب اقامتها ودعمها هي الصناعات الزراعية أصلا، أما التجارة، فرغم أنه رئيس غرفة التجارة لفقود مضت، ومن أبرز التجار على المستعربين العربيل والأقليمي وترأس اتحاد الغرف التجارية، فإنه يرى أن عمل التاجر يجب أن يوازن فيضين بقلدهما يستورد أو أكثر، من جهة أخرى أنما عن صفاته، فالبساطة والتواضع يخفيان ذكاء حادا وذهنا وقادا، وبصيرة نافذة، وأفقا، واسما حتى ليقر ما بين السطور وما خلف السطور، مما يجعله يتمتع بحسن مرهف، وفراسة نادرة وحضور في البديهة وسرعة في الاستيعاب، همته لا تشيخ وعزيمته لا تلين، يملك نفسه عند الغضب لا تهزه الخطوب ولا تهزقه المحن. جريء ومبدع ومبتكر، سديد الرأي، صادق وأمين، مخلص لاهله ولا صدقاته، مرن في تعامله دون أن تتأثر قناعاته، فيقول كلمة الحق التي يقنع بها بطريقة تدخل إلى القلب بلا أستئذان. أنيس المعشر، جذاب وساحر، محدث لبق، مبال للنكتة، وعندما يصمت، يكون صمته معبرا. يحبه الناس، كما يحب الناس، ويسمى أن يكون

بينهم ومعهم دائما، يشاورهم في الإفراج والأختران والألام بحضور متميز، يبادر في عمله لإحسان راسخ، بدون أن يمل، يقدم لما يستطيع، بلطفت لهذوء باليد، فالإفراج والمستهوفقات التي يثابها أوساهاهم فيها، والجمعيات الخيرية التي رعاها أو قدم لها، ودار الأيتام بشكل خاص، والأقرب الفقيرة المحتاجة التي ملتها يد العون، بالإموال أو الأراضي التي يزرعها، والجمعيات التي قدمها لمن يقصده سواء كانت مادية أو معنوية. تلك جميعها وغيرها شواهد تدل على إيمان أبي راتب وكومه، وأبي الأرجح لأبي راتب طول العمر ودوام الصحة ويزيدا من العطاء، انور.

خالد الماكي

عمي « الحاج بدر الدين » معلم كبير في مدرسة الحياة

علمتني السنون أن مدرسة الحياة خير من أية جامعة وتجارتها تفضل أية درجة مهما عنت ، وأن فيها معلمين يعفون بعلمهم التجريبي وخبرتهم العملية معظم من علمتني في المدارس والجامعات ، والحاج بدر الدين واحد من هؤلاء المعلمين الحكماء .

بدر الدين الشلاح أو من تعودت أن أسميه من صفري (عمو الحجّي) قريينا وكبير عائلتنا وإليه تعودنا أن نلجأ في السراء والضراء لأنه المعين والناصح والأب الأكبر . ولي معه حكايات مليئة بحكمته التي تعلمها من مدرسة الحياة فعلمها لطلابها وأنا منهم .

في عام ١٩٤٧ كنت في العاشرة من عمري تلميذا في مدرسة (البحصة) إذ نقلت إليها من «مدرسة الاميركان» في حارة قولبي استجابة لنصيحة العلامة المرحوم سليم الجندي خوفا على عروبتى وديني . ومرّ علينا (عمو الحجّي) في واحدة من زيارته وكانت سهرة جلوة في أرض ديار بيت جدّي لامي في حارة الشالة بساروجة وهي آية للناظرين وسمعت (عمو الحجّي) يستغرب نقلي ويقول : يا أخي ان تعلم اللغات مطلوب وبها يضمن ابنك مستقبله في الدراسة . وكان والدي يصفي بانتباه فبادر يقول له : يا أبوراتب حصل ما حصل واعادة الولد الى مدرسة الاميركان غير ممكنة قال ابو راتب : نرسله الى (برمانا) . كيف ، قال والدي ؟ هل أستطيع أن اتحمل نفقاته وأنا الموظف الصغير في المالية ؟ وجلجل صوت عمي الحجّي : يا أبو صبيح ومن كلفك أنت بشيء ؟ ابنك واحد من ابنائي وسأرسله مع ابني سليم فورا فهينوا له اغراضه وسأرسل لأخذه ، ليذهبا معا في الاسبوع القادم .

كان فرح والدي ووالدتي غامرا فذهابي الى برمانا حلم أصبح حقيقة لأهلي . ومنها الى الجامعات العالمية . ولكن والديّ صعبا لما اجترأت وقلت أرفض أن ادرس على حساب أحد غير والدي أو الدولة حتى لا أصبح عبداً له وأنا لا اقبل العبودية لغير الله . ورغم مطواعيتي لوالدي أصررت على الرفض وتمسكت بموقفي .

وجاء ابو راتب وسأل عني ليرسلني مع سليم الى برمانا فحدثوه عن حجتي في رفض منحتهم الكريمة ، ولشدة دهشة الاهل كلهم ضحك (عمي الحجّي) وقال : اتركوه ورايه ، هادا ولد فيه خير وعنده كرامة . الله يوفقه وأنا حاضر على كل حال .

تركزت هذه الحادثة في نفسي أثراً كبيراً . فقد أصبح رفضي لمنحة (عمي الحججي) دافعا لي للتفوق في كل مراحل دراستي حتى الاجازة الجامعية التي نلتها بامتياز حصلت على اثرها على منحة من وزارة التربية للدراسة في الولايات المتحدة الاميركية لنيل درجتي الماجستير والدكتوراه في القانون الدولي لحساب جامعة دمشق . لكن احتجت كفالة ، فذهبت الى محله في شارع فيصل ، وما بدأت حديثي حتى قال : هيا يا ابني قبل ان تغلق دائرة كاتب العدل . وذهبت في بعثتي وعدت منها بعد اقل من خمس سنوات أحمل الشهادتين المطلوبتين وأصطحب زوجا وطفلا . وكان أول من استقبلني في المطار عمو الحججي ، وعانقني بدمعة حب وشعور اعتزاز بالدكتور العائد ، وكان أحدا قبلي لم يسبقني الى هذا اللقب . وأنا أقر أنني لولا دعمه وكفالاته لما تمكنت من الحصول على هذه الدكتوراه باليسر والسرعة اللتين حصلت بهما عليها . اذ كانت صورة عمي الحججي معي طيلة غيبيتي ورسائله الدائمة خير مرشد لي . وكنت أريد ان أفوز بالدرجات العلمية الواحدة تلو الاخرى وبتفوق حتى لا أخذل من علمتني مبادئ جعلهما الله من مرتكزات ايمان المؤمن .

عدت من الايفاد والتحقت بالجامعة بعد معاناة ربحت على اثرها الجولة وعينت مدرسا في جامعة دمشق .

بعد مدة من ممارستي التدريس في الجامعة دخلت سلك المحاماة في العام ١٩٦٨ وهرعت الى عمي الحججي اعرض عليه خدماتي محبة ورداً لبعض جمائله ، فواجهني بدرس جديد ما تعلمته في الجامعة . قال : شوف يا دكتور ، علمنا والذي رحمه الله ان لا ندخل المحاكم مدعين أو مدعى علينا لاننا نعرف حقوقنا وحقوق الغير وامتى حصل هذا فلم الدعوى ؟ وفي هذا درس معلّم تعلم من الدنيا وأفاد الآخرين بعلمه . واليوم يا عمي الحججي ، حين علمت أنك تعد مذكراتك أردت ان أكون واحدا من كثيرين يقولون فيك بعض ما أنت اهل له . أقول ما أقول لا ملقاً ولا زلفى ، ولكن لاني أقول الصدق والحق راجيا ان تقبلني واحدا من أبنائك المرصيين فقد كنت لي أباً رؤوفاً رحيماً فاقبلني مع راتب وسليم ومحمد وغسان وأمنحني ما تمنحهم من دعاء اكن لك اكثر شكرا وعرفانا . يحفظك الله ويديمك ذخرا لنا ولامة ما أشد حاجتها لرجل مثلك .

دمشق ١٠ رمضان ١٤١٠ - ٥ نيسان ١٩٩٠

الدكتور محمد عزيز شكري

الرجيل السني - ربط الماضي بالحاضر بالمستقبل

قليل جدا بين رجال هذا البلد البارزين من عمد الى تدوين مذكراته عن الاحداث الهامة التي شارك فيها أو اتفق له بحكم مركزه الإطلاع على وقائعها ، مما حرم الجيل الناشئ من مراجع قيّمة تعتبر روافد غزيرة لتاريخ تلك الفترة الفنية بالاحداث من حياة بلادنا وأمتنا ، وإعني بها الفترة التي بدأت مع إطلالة القرن الحالي واستمرت حتى ربعه الأخير ، والتي شهدت تطورا واسعا وعمقا شمل جميع نواحي الحياة القومية والاجتماعية والإقتصادية والعمرائية ، بدءا من الكيان السياسي وأنظمة الحكم حتى العادات والتقاليد وأساليب العيش ، ومرورا بالعلاقات الاجتماعية والعائلية والمفاهيم الأخلاقية ، مما ندر أن تعرض لملها قطر من الاقطار خلال مثل هذه الفترة المحدودة لذلك .

عندما ذكر لي الاخ الكبير السيد بدر الدين الشلاح عزمه على نشر مذكراته قدرت أي كثر فمبيل . سلف يتاح لنا الإطلاع عليه . ذلك لأن صاحب هذه المذكرات ليس بالشخص العادي الذي تمر به الاحداث من الكرام فلا يرى منها سوى المظاهر ولا تتحرك لديه من الأثر الا القليل ، ولا هو من الذين يقفون منها موقف المتفرج الصامت . ان الحاج بدر الدين دخل المعترك منذ البداية واختار موقعه في خضم تلك الاحداث والتطورات التي خضت قطاعات الحياة في بلادنا فسار معها لا سير المدفوع مع سيلها وإنما واعيا لتجاهاتها متفاعلا معها وفاعلا في كل نواحيها .

ففي الحياة السياسية ، ان لم يكن من رجالها فإنه لم يكن بعيدا عنهم ، وكان فديقا للجميع ليدل لهم النصيح والتوجيه والدعم . وفي المجال الأقتصادي شمل نشاطه أعمال التجارة والصناعة والزراعة ، كما يشمل البناء والعمارة ، يساعد على النجاح فيها حبه لعمله وحرصه على أفعاله . ولا يقتصر هذا النشاط على أعماله الخاصة وإنما يمتد الى ما يمس مصلحة البلد واقتصاده وأموره العامة ، ويروج هذا الاهتمام خاليا بأدارته الحكيمة لقرنة تجارة دمشق وأطلاقا منها الى آفاق المنظمات والعلاقات الاقتصادية والتجارية العربية والدولية ، ومشاركته في الجمعيات الخيرية والانسانية .

وهو يستوحى في كل أفكاره من منطلقاته شاملة فقد اتقن كيف يستغني الصراع الذي قام بين القديم والحديث ، والذي لا يزال مستمرا ، لم يتردد في الاخذ بما هو نافع وضروري متى مما يتجدد لدينا العصر وبما المفسر على نظر ينطق المتقدم والتطويرية مع علمنا لمحافظة على الاصل في الاخلاق والعادات والمخيمات العائلية والتمسك بقواعد اللدليل الحثيف بعيدا عن التزمت والتظاهر .

من هذه التجارب الغنية خرج الحاج بدر الدين بحصيلة ثمينة من الخبرة والمعرفة بالحياة والناس ، اكتسبها من مدرسة الحياة لا من من الكتب والمجلدات فاصبحت مدرسة بحد ذاتها ، ساعده على الاطاحة بها ما يتمتع به من حسن سليم يتبع له وزن الأمور بدهشة بمعاييرها الصحيحة ويخرج منها في كل موقف بكلمته الحريثة الصائبة يطلقها دون تردد أو محاباة ، فاكسب حب الناس وتفتهم وغدا المرجع الاول في هذا البلد يستعان برأيه على كل المستويات ، من المؤسسات الرسمية والدوائر الحكومية الى الهيئات الشعبية والافراد ، والكل يكتسب لديه المسورة والارشاد أو حل مشكلة او حصى التوفيق بين زوجين ، وكان لكل هؤلاء الذي الحاج بدر الدين الوقت والأهتمام والتبذل .

ولقد انعم الله عليّ بأن اكون حيارا له في منطقة جبالا في الريداني ، تلك الهضبة القائمة في حوض جبل بلودان والمطلّة على السهل الفسيح ، والتي عبرت وازدهرت بفضل مبادرة وجهود الحاج بدر الدين باقامة مشروع زراعي وعمراني واسع فيها فتحوّلت من جرود جرداء الى حضان خضراء . وكثيرا ما جلسنا معا ، في هدوء ليالي الصيف القمرية على شرفة دارته العامرة ، نتأمل مشاهد الانوار المتناثرة في السهل وعلى الجبال المحيطة بنا تحت قبة السماء الصافية ، واتفق بالاستماع اليه بحديثنا احاديثه الشيقية : ذكريات ووقائع وحكايات من الماضي والحاضر تبدو لأول وهلة عادية ، ولكن ما ان يصل الى خاتمتها حتى يتبين ما هدف اليه خلالها من المغازي والعبر التي هي خلاصة من تجاربه وخبراته .

كم تمنيت لو امكن جمع هذه الوقائع ونشرها ليطلع عليها الناس . وها هي امنيتي لتليح تحقيقها بفضل الكبر في طريقها الى الصدور لتكون متعة للقارىء ومرجعا للباحث ومصدرا للمؤرخ ، وهدى وعبرة للاجيال القادمة .

المهندس خليل الفرا

شاهد القرن العشرين

حين علمت أن المربي الكبير « بدر الدين الشلاح » قد دفع بمذكراته الى المطبعة ، رغبت أن أقدم مساهمة متواضعة باطلاع القارئ على بعض جوانب شخصية من أستطيع أن اطلق عليه بلا مبالغة لقب « شاهد القرن العشرين » .

ان الاحداث التي عرفتها سورية منذ نهاية الحرب العالمية الاولى الى يومنا هذا ، حريّ بنا أن نستعيد ذكراها وتواريخها بين الحين والآخر لتكون لنا عبرة ودرسا ونحن على أعتاب قرن جديد . ومن لنا اليوم كالحاج « بدر الدين الشلاح » ليشرح لنا جوانبها وخفاياها وتسلسلها وحقيقة أبعادها ، اذ عاشها وتفاعل معها وشارك فيها من موقعه كتاجر ومزارع ورجل أعمال .

لا أريد أن أستعرض هذه الاحداث فهو أحرى بأن يتحفنا بما عنده ، ولكن أوجه الانتباه الى الجوانب التربوية في شخصية صاحب المذكرات . فأذكر أحاديثه عن مقدار حبه للعلم وشغفه بالمطالعة وتقديره للمتعلمين والمثقفين ، وكيف أن الظروف التي عاشها والمصاعب التي عرفها قد حالت بينه وبين طلب العلم كما اعتدنا أن نطلبه في المدارس والجامعات ومعاهد التعليم العالي . وازاء هذا الحب الشديد للعلم والثقافة والحرص على رؤية العديد من أبناء الوطن - وفي مقدمتهم أولاده - وقد سلكوا مناهج العلم ينهلون من روافده ويقطفون ثماره وينعمون بخيراته، فتح الحاج قلبه لكل طالب علم وتبنى كل من قصرت امكانياته أو ضعفت موارده فمد له يد العون وشجع كل من لمس عنده القدرة والاستيعاب أو أحس لديه الميل والاستعداد . ولا ريب في أن العديد من أبناء سورية - وأنا واحد منهم - يذكرون بكل وفاء واعتزاز ما قدمه الحاج بدر الدين ليكونوا فخرا لوطنهم وعزة ومنعة لأمتهم .

أسبغ الله عليه ثوب القوة والصحة والعافية وجزاه عن الوطن خير الجزاء .

ستراسبورغ في ٢٨ شعبان ١٤١٠ هـ الموافق ٢٣ آذار ١٩٩٠ م .

للدكتور محمد أمين الميداني

ابو راتب ، رجل العمل الصادق

عرفت الاخ الاكبر ابا راتب منذ نحو خمسين سنة ، وأنا في اول الشباب . اسمع به وبأبيه وأسرته من الناس الذين يحبون الخير ويقدررون أهله ، وأسمع بهم من الذين يتمسكون بالاستقامة ويرونها جوهر الدين ، والتقيته أكثر من مرة في مناسبات عامة وكانت علاقة من الطف العلاقات فيها الكثير من التفاهم : أي محاولة كل منا أن يفهم الآخر . وعلى اختلاف ما كان بيننا من ظروف ، فقد كنا نصل دائما الى النقطة ذاتها تقريبا ، وهي في صلب الصالح العام . وكنت دائما أرى أنه رجل من الشعب لا يميز نفسه عن أي انسان ، ويفتح قلبه ويده للجميع ، ويؤمن أنه في رحلة الحياة مكلف بأن يقول خيرا ويفعل خيرا وهذا خير ما يتركه للناس .

وكنت أرى نباهته وذنائه الحاد ودزيبته العجيبة في امور الصناعة والتجارة وتصديه للعمل العام ، فلا أحس بالعجب ولكن أشعر بالاعجاب . وكان فيه من والذي الشيء الكثير ، بل هما نفس واحد في نفسين ، وهمة متماثلة في العمل ، وحب متعادل للناس بدءا من الاقربين ثم لا تزال الدائرة تنداح وتتسع حتى تشمل الناس جميعا ، الا الاشرار فهو لاء لهم الرحمة لا المحبة .

فلما زرتة ذات مرة وقال أنه سجل ذكرياته ، التقطت المناسبة على الطائر وقتت له : أنا لها . وفرح بي لأنه كان يسر من محادثتنا وفرحت بقبوله لأنه أتاح لي أن أقدم للناس خدمة كبيرة بتيسير اصدار هذه المذكرات ، وتفرغت لها ، وما فعل ذلك غيري الا رجل واحد هو بدر الدين الشلاح الذي يقدم الآخرين على نفسه وأتيح لي بذلك أن أكون أحد القراء الاوائل لهذا الكتاب الرشيق . ولم اترك لقلبي أي مجال ليتدخل في أسلوبه الشيق الذي يجمع البساطة والعمق ، فالذين عرفوه وسمعوه سيرون أنه في هذه المذكرات يكتب كما يتحدث ، وقد يسمعون صوته من خلال السطور . نعم ، فقد تركت كل شيء على عفويته ، وليس لي من فضل الا الاسراع في النشر ، ولقاءه حصدت زادا كثيرا من المعرفة والمحبة والصدق والاخلاص .

نجاة قصاب حسن

الكتاب الأول - ذكريات

الفصل الأول الذكريات

كتب هذه السطور ، بدر الدين الشلاح ، يوم من اسرة كبيرة العدد تعود في نسبها الأعلى الى الدوحة النبوية على ما قاله السابون ، وكان والدي المرحوم سليم بن رشيد الشلاح قد ولد في عام ١٨٦٦ وتوفي في ٤ تشرين الاول ١٩٤٧ رحمه الله .

ولدت عام ١٩٠٥ ميلادية في حي سوق ساروجه ، حيازة قولي . وكنت الابن الثالث للتاجر المرحوم سليم الشلاح من ابنته الستة وهم بالتوالي محمد وركية (حرم السيد محمد عيد سكر) وبدر الدين وانور وشفيق ورشاد . والآن من الاحفاد ثلاثة وثلاثون ومن ابناء الاحفاد ثلاثون ، حفظهم الله ووفقهم . وفي هذا الكتاب صورة تضمهم جميعا اخذت للذكرى .

وكان والدي من تجار الفواكه والجففات (قمر الدين) ومال القبان ، يسوقها بين دمشق ولبنان وفلسطين ومصر . وقد عرف بالامانة والاستقامة في تعامله مع الناس ، وكان في الوقت نفسه حازماً في الاشراف على اولاده فلا يتسامح معهم بأي خطأ بل يبادر الى تأنيبهم ومعاقبتهم برفق . وكان يعطينا نفقاتنا بمقادير محدودة وقليلة في حين يصدق على الجمعيات الخيرية واعمال البر والاحسان بمبالغ كبيرة . واذكر ان خرجتنا الاسبوعية في بعض الاوقات كانت ربع مجيدي . فلما زاد الغلاء ارجعنا الخرجية الى الوالد املا بالزيادة ، ولكنه اخذ ما رددناه ووضعها في الصندوق ، وسكننا لمدة اسبوعين ، ولما طالبناه بعد ذلك عاد فدفع لكل واحد منا ربع مجيدي ، ولما قلنا له انه لا يكفي قال بل يكفي . فطالبناه بخرجية الاسبوعين السابقين فقال لنا : اذهبوا . . ولم يدفع لنا عنهما شيئاً .

واذكر هنا انه كان من حظ شقيقي " انور ورشاد ان يتابعا دراستهما العليا في الخارج في حين انني وشقيقي " محمد وشفيق تركنا مقاعد الدراسة لمعاونة والدنا في اعماله التجارية الواسعة رغم حداثة السن . وكان الناس يكتفون في تلك الايام بتعليم اولادهم القراءة والكتابة فقط ، والقرآن الكريم بوجه خاص ، ولذلك فان سبب عدم متابعتي الدراسة كما سيأتي كان الطاعة لوالدي والامتثال لاوامره التي لا مرد لها .

الختان

وقبل أن أمضي في قصة التعليم أقول أنني كنت قد بلغت الخامسة أو السادسة دون ختان . وخلافاً للعادة السائدة وهو أن يختن الأولاد في حفلة كبرى يدعى اليها العشرات من الأهل والأقارب ، فإن والدي أرسلني أنا وعمي نعيم مع صانعة كانت في دارنا اسمها (سمره) الى دكان حلاق في الميدان السلطاني ونحن لا نعرف الغاية من ارسالنا ، والخدمة كانت تقول لنا ان هناك فرجة ظريفة . ولما دخلنا دكان الحلاق لم نشعر إلا وقد امسكوا بنا وأجروا الختان وتدفق الدم وربطوا الجرح . وعدنا مع الخادمة الى الدار فراينا والدي وزوجة جدي أم نعيم فدهشنا لما رأانا على هذه الحال ولم تكونا على علم بارسالنا فأقامتا النكير على الخادمة ولكن هذه اعتذرت بأنها فعلت ذلك بأمر رب العائلة ! . .

التعليم عند الخجا

ولما بلغت الخامسة من عمري أرسلني والدي رحمه الله الى الخجا كسائر اطفال ذلك الزمن ، والخجا هي المرأة التي تعلم الاطفال من الجنسين معاً بلا تفریق ، ويقتصر تعليمها على القراءة والكتابة وعلى الاخص القرآن الكريم .

وكان مقرّ الخجا حيث يجري جمع الأولاد وتعليمهم عبارة عن غرفة من دار يجلس فيها الاطفال على الأرض ، والخجا تحمل عصا طويلة تشير بها الى كل طفل يأتي دوره في القراءة كما تضرب بها من بعيد عند الاقتضاء ، وما اكثر ما كانت تضرب .

وكان لباس الاطفال القنباذ المصنوع من القطن او الحرير ، حسب حال أهلهم ، وكان بعضهم يأتي بالملابس التي كان نائماً بها وينتعل القبقاب الواطيء الشبيه بقبقاب (غوار الطوشة) الذي رايناه فيما بعد في مسلسلات الفنان دريد لحام .

والطفل يحتاج حتى يختم القرآن الكريم الى دراسة لا تقل عن السنتين ، ولكن والدي فحصني بعد ثلاثة اشهر فرآني ختمته ، قراءة لا حفظاً غير الآيات الصغيرة التي تقرأ بالصلاة .

الكتاب

وبعد مرحلة الخجا نقلني والذي الى الكتاب وهو مرحلة أرقى ، ومنه انتقلت الى مدرسة المرحوم الشيخ عيد السفرجلاني التي كانت قائمة في مبنى المدرسة الجقمقية جانب ضريح السلطان البطل صلاح الدين الأيوبي ، وهو يقع قرب باب الكلاسة وهو الباب الشمالي للجامع الاموي الكبير . وقد تخرج من هذه المدرسة جيلان من الطلبة بينهم العالم والاديب والمدرس والقاضي واصحاب المناصب العليا . وكانت مدارس دمشق في تلك الايام قليلة العدد . منها المدرسة الكاملة في سوق البزورية قرب قصر العظم الاثري ، ومدرسة عنبر الرسمية في حي الخراب ، ومدرسة في حي العمارة تعرف باسم مدرسة الكردي ، وهذه الاخيرة كان تعلم فيها والذي . واذكر من رفاق المدرسة المرحوم الشيخ احمد الدقر والمرحوم الدكتور رشدي العطار والسيد هدى الطباع التاجر في الحريقة والمرحوم سليم ايلوش التاجر في خان الباشا والمرحوم عربي الخيمي من تجار البزورية وآخرين .

وبعد عامين نقلني والذي الى مدرسة (تربية افكار) التركية وكانت في سوق ساروجه حارة العبيد جانب قبر الشيخ عثمان ، فأضيت فيها ستة أشهر . ثم انتقلت بعد ذلك الى مدرسة الملك الظاهر الحكومية فمدرسة انموذج المرجة .

ايام الحرب العالمية الأولى والمجاعة

واذكر انني في وقت اعلان الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ كنت في نحو العاشرة واذكر ان والذي رحمه الله كان التزم تقديم القمر الدين والنقوع للجيش التركي وشاركه في هذا الالتزام ستة من التجار . وكان إقدامه على قبول هذا الالتزام مع انه يكره التعامل مع الدولة انه كان من الاشخاص المرموقين ذوي المكانة الاجتماعية وكانت الحكومة التركية لا تترك أمثاله من اصحاب النفوذ إلا وتنفيهم . ولذلك كانت الدولة التركية تخرع الحجج لكي تجد عليهم ممسكاً يبرر لها ذلك .

ولذلك كان لا يمر يوم إلا ويطلب رجال الدولة من والذي مطالب مختلفة ليس له علاقة بها . فحتى يخلص من شرهم اقدم على الالتزام فرسا عليه تقديم القمر الدين والنقوع . ولكن الاسعار ارتفعت فكان القمر الدين يباع رطله بأربعة قروش فبلغ

سعره خمسة وعشرين قرشا وذلك لأن الناس اقبلوا على اكله بدلا من الخبز لان الخبز ارتفع ثمنه حتى تراوح بين السبعين قرشا والمائة قرش ، فكان العامل يأكل أوقية قمر الدين وربع أوقية لبنه .

وكانت الافران توزع وتبيع الخبز بالوثيقة أي بالقسائم ، ولا يستطيع أحد أن يحمل رغيفا بيده أو يظهره بالطريق من شدة مجاعة الناس ، واذا وجد الجائعون بيد أحد المارة رغيفا أو أكثر يهاجمه أشخاص لا يقلون عن عشرين شخصا ويخطفون الخبز من يده . كما أصبح من الصعب جدا أن يأكل أحد المارة برتقالة في الطريق واذا فعل ذلك ورمى بقشرها على الارض تخاطف الجائعون القشر واكلوه . وهذا الغلاء الفاحش اضطر والدي وشركاءه الى التأخر بتسليم ما تعهدوا به ، فاعتقلوا جميعا وسيقوا الى سجن النظارة وكانت في دخلة الشرايبي المتفرعة عن ساحة المرجة . وكان الخفير الذي يحرسهم يدعى زكي أفندي وقد سمح لوالدي تعاطفاً معه بأن يفادر النظارة الى داره ليلا ليلتين في الاسبوع ، على أن والدي كان يعود الى النظارة في الصباح الباكر .

الى المنفى

ولما كان والدي ينسام في سجن النظارة كنت انام معه في السجن وكنت أحضر له دفاتر محله التجاري مساء للاطلاع عليها وأعيدها صباحا فأسلمها الى المحل . وبعد أن قضى والدي أسبوعا في سجن النظارة صدر الامر ، وقت دخول صلاة العشاء ، بنقله مع رفاقه الى المحطة لنفيهم ، فرجعت الى الدار وأنا أبكي . ولما وصلت الدار وجدت جدي ووالدتي وقريباتي وهنّ يحمنن المسايح الألفية ويذكرن اسم (اللطيف) ، وحسب التعبير الدارج (يعمنن اللطيفية) رجاء أن يلطف الله بالوالد وبالمسلمين . ولما وقع نظرهن عليّ سألتني هل تعرف المحطة ؟ فقلت نعم ، فلبسن ملاءتهن وذهبت معهن الى المحطة . ولما وصلنا الى محطة الحجاز سألنا عن المنفيين فقالوا لنا أنهم في محطة البرامكة وكنت لا أعرف محطة البرامكة لاني كنت أقصد في صحبة والدي محطة الحجاز يوميا لاستلام المشحونات التي تصل اليها باسم الوالد ، وهذه البضاعة هي من بطيخ وبرتقال وما مائلها تصل من فلسطين وتباع في دمشق .

سألنا عن مكان محطة البرامكة فأرشدونا إليها ، فأخذنا نسير ونسأل الى ان وصلنا اليها فوجدنا هناك جمهرة كبيرة من النساء والرجال يكون وراينا المنفيين وبينهم الوالد وقد أوقفوا وراء حاجز وعهد الى عدد من رجال الشرطة بخفارتهم حتى لا تحدث أحدهم نفسه بالفرار .

وصل القطار فأركبهم الشرطيون وصعدت الى القطار خالتي زوجة والدي لترافق الوالد في منفاه وكان قد تزوجها على والدتي قبل أربع سنوات وكان عمرها عشرين عاماً ، أما الوالد فكان بلغ الخامسة والأربعين .

قال لي الوالد بعد ان ركب في القطار سأخذك معي (لأنك تعرف كام كلمة تركي) وسأستعين بك في المنفى . فرجعت أقص ما قاله لي على والدتي وكألت الى جانبها عممة والدي وعمتي أم حسن فقالت لي إياك أن تسافر معه لأن خالتك ستجعلك خادماً لها . فرجعت لأعتذر لوالدي عن السفر فلما رأني وأبتدا القطار بالصفير أمسكني من يدي ليرفعني الى القطار فصرخت بأعلى صوتي فاضطر لتركي وسار القطار ورجعنا الى الدار نكي لفراقه .

بعد ترحيله تسلم ادارة محله صهري محمد عيد سكر لبيديره مدة غيابه . ولم يطل النفي اكثر من ثلاثة أشهر فقد كان والي الولاية في الأستانة ، وهو صديق الوالد ، ولما عاود من العاصمة سأل عن والدي فأخبروه أنه نفي مع زملائه وان سبب النفي مدير الشرطة فأبرق الى حلب طالباً ارجاع المنفيين ، لكن البرقية وصلت بعد أن كانوا غادروها الى أضنه . فأبرق الى أضنه وكانوا غادروها لما وصلت البرقية ، وتابعوا سفرهم مخفورين الى قونيه ولما وصلوها أمر الوالي باعادتهم فأعيدوا ولكن بعد وقت . واستدعى الوالي والدي بعد وصوله من المنفى وسأله عن السبب فأعلمه بارتفاع الاسعار كما قدمت وأنه لم يعد بالمستطاع تقديم ما تعهد به إلا بخسارة كبيرة جداً ، فأمر الوالي بتعديل أسعار الالتزام تعديلاً مناسباً واستبدل العملة الورقية العثمانية بالليرات الذهبية العثمانية ، وأبدل تعهد النقوع بالزيتون . ولذلك فبعد أن كان الملتمزمون سيخسرون خسارة تكاد تقضي على ممتلكاتهم كلها صاروا يربحون وقد امنوا ارزاق الجيش التي بالتزاماتهم حتى نهاية الحرب .

عودة الى التعليم

على أنني بعد تقربي في العمل مع والدي كما سيأتي وبعد زوال الحكم التركي عدت بعض الوقت الى المدرسة ودخلت في عام ١٩٢٢ مدرسة الملك الظاهر ثم مدرسة انموذج المرجة الواقعة الى جانب تكية السلطان سليم وكان مديرها المرحوم سعيد أفندي مراد ومن أساتذتها توفيق أفرام والشيخ زين العابدين ومن رفاقي فيها ثابت الحافظ (المهندس فيما بعد) ومنيرشوري (الطبيب الجراح في المستقبل) وأخوه نذير شوري وأحمد المؤيد وآخرون . . . وقد بقيت فيها حتى آخر العام حيث أخذت الجلاء وعلاماتي في كل درس من الدروس عشرة وزائد الى ثلاثة زوائد حسب الاصطلاح المعروف في ذلك الوقت ، وما أخذت بدرس واحد عشرة بدون زائد ، وكلما دخل الاستاذ الى الصف وسأل سؤالاً كنت أرفع يدي فيقول « بدّي واحد غيرك يرفع يده ! » .

وقد بقيت في المدرسة ثلاثة أشهر وتركتها بعد أن تغلب عليّ شقيقي الأكبر واسمه محمد وهو يقول لا تذهب الى المدرسة ساعدنا بالمحل ، والدي كان قلق من إشرافه على المحل لانشغاله في بناء وكالته الكائنة في خان الباشا وأصبح العمل في المحل قليلاً ، وصار فراغ بالسوق لأن كثيرين من الناس صاروا يدخلون تجارة الفواكه ويأخذون قسماً من عملاء محلنا ، وبما أنني في تلك السن لم أكن أدرك قدر العلم كما لم يكن الكثيرون يهتمون بتحصيل العلوم ، فقد رضيت أن أترك المدرسة . واشتغلت بالمحل الى أن انتهت السنة وجاء موعد الفحوص فحضر لعند والدي مدير المدرسة سعيد أفندي مراد وأستاذ اللغة الفرنسية السيد توفيق أفرام وقالوا للوالد ان من الخطأ ان أترك المدرسة وأنهما في هذا العام كانا يريدان ترفيعي من الصف الرابع الى السادس مباشرة ، وأصرّاً عليه أن يأمرني بحضور فحص آخر السنة على الرغم من تفريقي ثلثي مدة الدراسة متعهدين بنجاحي بالفحص . وما زلت أذكر بعض ما قالاه ومنه : « جرام عليك أن تترك هذا الولد بدون اتمام تحصيله لأنها خسارة كبيرة ليس فقط بالنسبة لك بل بالنسبة الى المجتمع » .

وأذكر وأنا في المدرسة ان مفتش المعارف مصطفى بك تمر كان اذا حضر للصف السادس للاطلاع على القاء الدروس وفحص الطلاب كان أحد الاساتذة يدعوني من

الصف الرابع الى السادس ويوقفني امام اللوح للاجابة على الاسئلة التي يلقيها المفتش حتى يبيض وجه المعلم تجاهه .

في اليوم الثاني لمقابلة الاستاذين مراد وأفرام أمرني الوالد ان اعود للمدرسة . وعدت فعلا فدخلت غرفة الامتحان ووجدت فيها ثلاثة من الاساتذة الواحد من مدرستنا والاثنين الآخرين من مدارس اخرى . فسألوني مسائل عديدة وكان الفحص بدرس الحساب فأجبت ، ورايت من المعلمين المميزين التفاتاً لاني البس (القنيزار) وهذا يخالف نظام المدرسة فقال لهم استاذ مدرستنا لا تعجبوا لقد كان يبيض وجهنا امام المفتش بعد ان نحضره الى صفوف أعلى من صفه ، وقد تقيب عن المدرسة خمسة اشهر .

ولما انتهيت اذنوا لي بالخروج فخرجت رأساً الى باب المدرسة لأذهب الى الشغل، لكن الأذن منعني لان نظام المدرسة لا يسمح بالخروج إلا مع باقي الطلاب . وعبثاً حاولت اقناعه بانني لست طالباً فلم يقتنع فاضطرت للهرب من خلف المدرسة بعد ان قفزت فوق الحائط الى جنيئة النعنع ولم اعد للمدرسة في اليوم الثاني . وكان نصيبي ان ابقى متحسراً طول العمر على عدم اتمام دراستي .

عملي مع والدي في التجارة

قلت انني كنت اعمل دائماً مع والدي في تجارة الفواكه الطازجة والمجففة ومال القبان ، حتى حين كنت في صفري في الكتاب او المدرسة فاذهب بعدهما الى محله . وقد دفعتمني النزعة التجارية التي تكونت عندي من صحبتهم الى ان اجرب العمل المنفرد وانا عنده ، فكننت اشترى كيساً من الخيار او غيره فأبيعه امام المحل بالفرق واحصل على ربح صاف يتراوح في ذلك الوقت بين نصف المجيدي والمجيدي وهما من عملة تلك الايام الفضية ولهما قوة شرائية كبيرة كما سبق الذكر . وبهذا الربح كنت اسدد ثمن ما يلزمني من كتب ودفاتر لان والدي كان لا يزيد مخصصاته لنا عن الحد الأدنى ، مع ان مركزه التجاري كان مرموقاً من الناحيتين التجارية والاجتماعية ، ولكنها كانت وجهة نظره في تربية الاعتماد على النفس .

مغامرات في سبيل التجارة

وقد حدث لي وأنا بعد في أول أيام الفتوة ، وفي نحو الرابعة عشرة ، أن دخلت الحياة التجارية من أصعب مسالكها . . .

فقد كان والدي « جرّاد » يدعى علي حلاوة من قرية حرستا ، يشتري لحسابه البطيخ والبرتقال من فلسطين ويشحنه بالقطار الى دمشق . وفي أحد الايام طلب والدي من عمي « نعيم » مرافقة شاحنات البطيخ من فلسطين ، فاعتذر بحجة مرض والدته ، وهنا أعربت لوالدي عن استعدادي لسفر بدلا عنه ، فوافق فوراً ودفع لعمي حلاوة مبلغ (٢٥٠) جنيها مصريا لشراء البطيخ وذلك قبل طبع العملة الفلسطينية . وكان ثمن الجنيه يزيد على ثمن الليرة العثمانية الذهب خمسة عشر قرشا ذهبيا . وقد طلب حلاوة من والدي أن يرسل معه شخصا يرافقه في السفر والتسويق الى فلسطين ثم يعود مع البضاعة المشحونة في القطار الى دمشق ، ويبقى الجرّاد في فلسطين للتسويق والشحن .

صباح اليوم الثاني سافرت مع علي حلاوة الى فلسطين بالقطار ولما وصلنا الى العقولاه اشترى شاحنتين من البطيخ من أحد تجار هذا الصنف وقال لي سافر معهما الى دمشق . واذكر ان طن البطيخ كان يباع في دمشق قبل سفري بثمانماية غرش فضة ولما عدت لدمشق باع والدي كل طن منه بالف ومائة وخمسين قرشا فضيا . وتمت الصفقة بعد يومين اثنين فأعطاني والدي مئتي جنيه مصري وأمرني بالسفر في اليوم الثاني . فسافرت الى طول ترم وفيها اجتمعت مع حلاوة وبعد ايام عدت الى دمشق وعمي شاحنتان من البطيخ ، فلما وصلت الى درعا رأيت القيامة قائمة وعمت ان اهالي حوران ثاروا على الحكومة الفرنسية لانها احتلت البلاد وأخرجت الملك فيصل منها . ورأيت أن البعض ينهبون ما في المحطة من شاحنات وغيرها فتذكرت ان لوالدي صديقين في درعا هما الشيخ فاضل المحاميد شيخ درعا وآخر موظف بالجيش لم أعد اذكر اسمه . وخذراً من نهب الفواكه التي في شاحنتي الوالد سألت عن صديقي الوالد فاجتمعت بهما وقصصت عليهما القصة فحضرا حالا الى المحطة وكانت الجماهير تباشر فتح الشاحنات وبوصولهما ولما لهما من نفوذ حالا دون نهب ما في شاحنتانا . وفي المحطة وجدت مشتريين جاؤوا الى درعا لشراء ما يرد من فلسطين

من فواكه فدفعوا لي بالطن ١٤٠٠ غرش بينما كان سعره قبل سفري من دمشق ١١٥٠ كما قدمت ، ولخبرني التجارية امتنعت عن البيع وادركت أن الاسعار ارتفعت ولولا ذلك لما حضر هؤلاء الى درعا فطلبت بالطن ١٦٠٠ غرش فضاة فرفضوا الشراء . وكانت الليرة العثمانية سعرها ١٥٦ غرش . فركبت في احدى الشاحنتين وسار بنا القطار الى دمشق فوصلناها ليلا وبالصبح استلمنا الفاكهة . وبالتظر لنهب الشاحنات الاخرى فقد باع والذي طن البطيخ بالف وتسعمائة قرش فضاة ، وقد سبرّ والذي لما قصصت عليه ما جرى في درعا .

وفي اليوم الثاني أمرني والذي بالسفر فسافرت للمرة الثالثة ، وكان اليوم يوم الاثنين والقطار يسافر الى فلسطين في أيام السبت والاثنين والاربعاء من كل اسبوع . وما كاد القطار يصل المحطة في خربة الغزالة حتى وجدنا المحطة غاصة بجموع الحورانيين المسلحين . اوقف هؤلاء القطار أربع ساعات وفتشوا القطار والركاب ثم سمحوا للقطار بالسير فسافر بعد الغروب وسألت عن سبب ايقاف القطار وتفتيشه فأجبت ان حوران عصيانة على الحكومة والحورانيين يفتشون عن أشخاص أرسلتهم الحكومة الفرنسية بعد دخولها لسوريا .

وصلت طول كرم بعد منتصف الليل ووجدت علي حلاوة اشترى البطيخ فبعضه وضع في الشاحنتين وبعضه لم يرفع اليهما بعد . وثالث يوم وهو موعد سفر القطار فوجئنا بحبر مقتل عبد الرحمن باشا اليوسف في خربة الغزالة وبأن السكك الحديدية اقتلعت وانقطعت المواصلات مع دمشق فرأى علي حلاوة أن يأخذ الشاحنتين الى القطر المصري وقد نفذ عزمه وبقيت في طول كرم انام على اكوام البطيخ الباقية في الارض مدة عشرين يوما . وكان الحر شديدا وليس معي البسة اضافية حتى اغتير البستي ، وطول الليل كنت اسمع زئير الوحوش حول اكوام البطيخ . وقد استطاع تجار البطيخ أن يشحنوا ما ابتاعوه ولم يبق في الارض غير اكوام البطيخ التي تخص الوالد . وبدا البطيخ يفسد فأشار عليّ البعض أن ابيعه في القدس فنقلته الى شاحنة وركبت فيها وقصدت القدس وأنا أعرف أن لوالدي عميلا من التجار يسمى مصطفى الجبشة ولما وصلت القدس شعرت بلسع القمل فنزلت من المحطة واذا بي أمام جبانة فدخلتها وجلست بين القبور أتفلى وألقي القمل على الارض .

ولما انتهت هذه العملية المزعجة التي ما ألفتها من قبل قصدت الاسواق اسأل عن عميل والذي ولما وقع نظره عليّ بادرني بالسؤال « الست ابن سليم السلاح ؟ قلت نعم » وأخذت أبكي بكاء حاراً ولا أعرف سبب بكائي ، فأخذ يطيب خاطري ويهدئ روعي واستلم مني أوراق بوالص الشحن وأرسلني مع ولده الى داره وقال لا تزعل يا ابني والدك اخونا وانت ولدنا . ذهبت الى داره فأدخلوني الحمام ونظفوني وأحضروا لي ثيابا جديدة فبقيت في ضيافة الرجل يومين باع خلالها شاحنة البطيخ بخمسة عشر جنيتها تقريبا ودفع لي المبلغ فرجعت الى طول كرم فلم أجد حلاوه بل فوجئت باثنين من رجال الشرطة قاداني الى المخفر ووجدت هناك فلاحين ادعوا ان علي حلاوه لم يدفع قيمة البطيخ وأخذوا مني الدراهم التي جئت بها من القدس ولم يبق معي غير الفراطة وهي تكفيني لدفع اجرة الطريق الى حيفا .

سافرت الى حيفا وسألت عن شخص اسمه محمد الحسن كان عميلا لوالدي ولما وقع نظره عليّ قال لي : « انك ابن سليم السلاح وقد تلقيت برقيات من والدك يسأل عنك وما كنا نعلم أين مفرك حتى نعلمه ثم أدخلوني لداره وأدخلوني الحمام والبسوني ثيابا جديدة ونزلت ضيفا على السيد الحسن المشار اليه وذهبت معه الى الجامع لاداء الصلاة ، وهناك سأله عدد من التجار عني فأخبرهم باسمي وبقصتي فأدهشهم الخبر وتساءلوا كيف أهل الشام يتهاونون بأولادهم او قالوا هل من المعقول ان يرسل ولد الى الغربية بهذا الشكل وهو لا يتجاوز من العمر ١٤ سنة . كان الخط الحديدي لا يزال واقفا بسبب ثورة حوران وفي الصباح أركبني سيارة (لانسيه) تقل ثمانية ركاب الى بيروت عن طريق حيفا .

صعوبات السفر

لم تكن الطريق معبدة ولذا كانت السيارة تسير على الشاطئ فاذا اقتربت من الماء أصابها الموج فاطفاً المحرك حتى ننزل فندفشها واذا ابتعدت عن الماء تفرز بالرمل فنضطر ايضا لدفشها . حتى وصلنا عكا وتابعتنا سيرنا والطريق غير معبد الى صور ولم نتجاوزها بنحو خمسة أميال حتى ثقب الكاوتشوك فنزلنا في احدى الخانات ننتظر ورود سيارة ولكن دون جدوى . بتنا بالخان تلك الليلة ولم يكن معي إلا بضعة قروش مصرية لأنني خجلت ان آخذ دراهم من عميلنا قبل مغادرتي حيفا ، وثاني يوم

مرت سيارة ركب بها رفاقي وبقيت أنتظر رجوع السائق من بيروت وكان قد ذهب إليها ليحضر كاو تشوك وبقيت ثلاث ليال في ذلك الخان . آكل كل يوم رغيفا على قدر ما مهي من الدراهم ، ولما حضر السائق ركبت السيارة حتى وصلنا بيروت وقت الغروب وأنا عالم بأنني سأقصد احد عملائنا وأذكر اسمه الحاج خضر الطرابلسي وبمجرد وصولي الى بيروت طلبت من السائق ان ينزلني عند سوق الخضرة ففعل ذلك . وكان السوق في آخر شارع المعرض فدخلت السوق أسأل عن الحاج خضر الطرابلسي فقال من سألته : هذا سوق البيع بالمفرق أما الرجل فمحلته قريب من النورية . ولما قلت لا اعرف سوق النورية وأنا غريب أرسلوا معي ولداً دنني على محله لكن المحل كان مقفلاً ولكننا والحمد لله اجتمعنا به وهو واقف بعيداً عن الدكان ينتظر مرور الترام فلحقته وسلمت عليه وبمجرد سلامي قال لي : ألسنت ابن سليم الشلاح قلت نعم قال : أصلح الله أمورك شغلنا بالننا بهذه الفيبة وبكثرة سؤال والدك عنك وقد أبرقنا مرارا الى حيفا نسأل عنك ببناء على رغبة والدك .

ذهبت معه الى الدار واغتسلت ولبست ثياب احد اولاده ونمت تلك الليلة وفي الصباح اخذني راساً الى المحطة واركبني القطار وأوصى بي أحد الركاب وهو عميل يشتغل مع والدي اسمه خضر شاتيل . وصلت محطة البرامكة وقت الغروب فوجدت احد مستخدمي محل والدي بانتظاري ومعه كديش رهوان فركبت وراءه ووصلنا الى الدار التي كانت العائلة انتقلت إليها أثناء غيابي وهي في السنجدار وما ان دخلت الدار ووجدت عموم العائلة وطلبت يدي والدي لا قبلها حتى قال لي : الله لا كان جابك وبدأ بالبكاء .

كانت تلك الليلة ليلة سوداء لأنها كلها تأنيب من والدي وطول السهرة يقول اما كان بإمكانك أن ترسل تحريراً تذكر فيه ما جرى معك وبأي محل أنت حتى نطمئن عنك ؟ لقد غبت عنا شهراً كاملاً دون أن نعلم أين مصيرك وبدانا نحسب مع حادثة عبدالرحمن باشا أنه جرى لك حادث .

هذه السفارة لها ذبول ما نسيها رحمة الله عليه حتى بعد عشر سنوات حيث كان يقول كل مساء اكتب كام سطر لتحسين خطك . فأقعد أمامه لأبداً الكتابة فيقول اكتب : (السيد محمد افندي بعد السلام عليكم نعرض واصلكم فركونين بطيخ ارقامها

كذا وكذا وبوالص شحنتهم طيه نرجوكم اعطاء صافيهم الى ناقل الاحرف علي حلاوه
وخدوا لنا بصافي القيمة شيك باسمنا وارسلوه بالبريد المضمون الى عنواننا الكائن
في طول كرم رقم كذا . . .) .

وما أن ينهي من كلامه حتى يقول الله لا يبارك لك اما كان بإمكانك عندما أخذ حلاوه
الفركونين البطيخ أن تكتب مثل هذا التحرير ؟ والسبب أن علي حلاوه أخذ ثمن
شاحنتي البطيخ من مصر وبقي هناك وما عاد رجع بالمرّة ، وكان الذي بذمته أكثر من
٢٥٠ جنيه مصري . والحقيقة أن الذنب ليس ذنبي لأن والدي هو الذي سلم المذكور
الدرهم واثمنه عليها وأنا ما سافرت إلا لأرافق الشاحنات التي يشتريها وانني بمثل
ذلك العمر لا اعرف اكتب مكتوبا ولا اعرف الاصول التجاري ولا يمكن لاحد في مثل
عمري أن يقوم بمثل هذا العمل .

على أن والدي رحمه الله ما كان يمر يوم إلا ويذكر هذه الحادثة «ويعمل لي اللازم»
من اجلها .

والدي يمنحني ثقته

غير أنني احمد الله على توفيقى بأعمالي وفي حياتي الاجتماعية لأنها كلها مقرونة
بفضله وكرمه بالتوفيق . ففي هذه الفترة من الاشغال بدأ والدي ينظر إليّ نظرة
اعجاب وتقدير فقد لمس فرقا كبيرا بين خطتي وخطة شقيقي الاكبر محمد لأنه كان
يتصرف كما يشاء دون استئذان ويشتري ما اراد لنفسه دون مشورته . أما أنا
فكنت على العكس من ذلك لا ادفع لاحد إلا بعد استشارته ولا اشترى لنفسى شيئا
واكتفي بما يشتريه لي بيده . وكنت فطنا في البيع والشراء لانه كان لنا عملاء في
بيروت يرسلون فواكه لبيعها لحسابهم كما يرسلون بضائع منها لزملائنا لبيعها بالمصلحة،
فكان الذي يبيع بالجملة عندنا موظف عند والدي اسمه أحمد دعدوش عمل عند
والدي (٥٦) عاما . وقد كان رجلا بسيطا يبيع مثلا رطل البرتقال بستة قروش
ونفس الصنف عند زملائنا يباع بزيادة قرش عشا ، ولما استلمت البيع والشراء كنت
دائما ابيع زيادة عنهم مما اضطر العملاء لزيادة ما يوردونه لنا .

ما أن اطمئن والدي لمثابرتي على العمل ولجدي ونشاطي حتى سلمني مغاتيح

صندوق الحديد بعد أن كان يستلم مني ومن شقيقي قبلي الغلة التي نجتمعها يومياً ويفحصها ويضعها في الصندوق . وكانت مهمتنا محصورة في جمع قيمة المبيعات من المشتريين وتسليمها مساء كل يوم ولكن بعد أن سلمني مفاتيح الصندوق أصبح جميع القبض والصرف كترام قل بيدي ، ووالدي مشغول بالبناء والاشراف الجزئي على الاشغال . وبقي شقيقي المذكور يساعد والده وأصبح عمل والدي التجاري بيدي وبآخر العام أجريت الجرد وكانت النتائج حسنة فقال والدي : عملت لك أجرة يومية قدرها مجيدي (أي ٢٥ غرش فضة) وكانت الليرة الذهبية تساوي ١٨٧٥ ١٨٧٥ غرشاً فضياً وسجل اسمي بيده في الدفتر كموظف وسجل عملي ابتداء من أول العام .

وفي أحد الايام اضطررت لشراء حذاء وكانت قيمته مائة غرش وسجلت الثمن على حسابي فاطلع والدي على ذلك فقال : لماذا اشتريته ؟ اجبت لازم لي وقد قيدت الثمن على حسابي . قال أنا عملت لك ذلك تشجيعاً ، فقلت له أنا لا أريد أجرة ولا احتاج الى شيء ولن أشترى شيئاً بدون مشورتك ، قلت هذا وشطب اسمي من الدفتر . وبقيت على هذا الحال وكان ذلك في أواخر عام ١٩٢٣ .

زواجي المبكر

وأذكر أنني في ذات مساء كان والدي جالساً ونحن حولته ومن الجملة خالتي زوجته ووالدتي فقال : بما أننا صار لنا مدة منتقلين الى هذه الدار فعلياً أن نعمل فرحاً بها .

قالت خالتي : زوج ابنك بدر الدين . . .

وقالت والدي هذا عمره ١٥/١٤ عاماً وبعده صغير الآن لا نزوجه يكفي زوجنا شقيقه الأكبر محمد وهو صغير . وهنا انتهى الحديث بينهم .

وكانت الدار كبيرة جداً وقد اشتراها ونظفها وأكمل بناءها وهي مؤلفة من (٢٢) محلا عدا فسحة كبيرة وليوان ، ويمر وسط الدار نهر ، وكان يريد أن يزوج جميع اولاده فيها ليكونوا تحت انظاره عموماً . ولم تمض مدة قليلة حتى فاجاني في المحل بقوله : وكلني في عقد نكاحك ، فاحمر وجهي ولم أجب خجلاً ، فأصر على الجواب

وأضاف قل كما أقول وبدأ يردد : وكلني ان أعقد تكاحك على فلانة فولكلته . وفي المساء قصدت الدار ففهمت أنهم خطبوا لي الأنسة اقبال ابنة الضابط المتقاعد أمين بك التيناوي ، وعقدوا عقدة التكاح ودفعت الوالد المهر وقدره (٥٠) ليرة عثمانية ذهبية ولم يمض وقت قليل حتى جرت حفلة الزفاف .

كانت حفلة التلبيسة كبيرة حضرها فريق من أعيان المدينة ووجوهها ومن جملتهم حمدي بك الشلق رئيس محكمة الاستئناف ويحيى بك الصواف رئيس البلدية وحمدي بك الجلاد مدير الشرطة وعبد الحميد باشا القلطقجي اللواء المتقاعد وغيرهم .

دهش الحاضرون لهذه المفاجأة وعجبوا كيف أقدم والدي على زواجي وأنا في هذا العمر ؟ ومع ذلك ففي ثاني يوم الزفاف كنت على رأس عملي قبل طلوع الشمس ذلك لأن العمل يتطلب منا الذهاب صباحا لبيع الخضار والفواكه التي لا تباع إلا في الصباح الباكر ، وهكذا مضى شهر العسل على رأس العمل .

في السبعة الايام الاولى من شهر العسل اذكر اني كنت جالسا بالمحل وقد وصلتنا طلبية بزر قنب من أحد زملائنا في حلب فقال لي والدي اذهب واشترها من مسجد الاقصاب واشحنها له وهذه عمولتها ليرتان ذهبية عسى ان نعوض قسماً مما دفعناه لكم من المهر .

ولم يمض بعد ذلك اسبوع إلا وحضر الى الدكان ومد يده الى جيبه وللحال شعرت بما يريد ، وأنه يقصد مفاتيح الخزانة (صندوق الحديد) فقامت من وراء منضدة الكتابة التي بجانب الصندوق فجلس وراءها وطلب المفتاح متظاهرا انه يريد اخذ بعض الاوراق فقدمته له حالا وخرجت الى خارج المحل لحظة حتى لا يشعر بانني احسست بما يريد ثم رجعت فوجدته أقفل الصندوق ووضع المفتاح في جيبه فلم أسأله ولم اطلبه منه .

أخذ الوالد رحمه الله بعد ذلك في كل مساء يستلم الغلة كما كان يفعل في السابق دون أن يعلمني سبب اخذه المفاتيح ودون ان أسأله عن السبب غير أنه صار يقول لي دائماً : يا ابني خذ شوية سكاكر وموالمح الى زوجتك . هذه ولد وتريد ان تتسلى او ادفع لها في الاسبوع مجيدي تفرح به فكنك أجيب دائماً : لا آخذ لها شيئاً

ولا ادفع لها شيئاً طالما أنها ساكنة بالدار ولها بسعر أسرة أهل الدار تأكل مما يأكلون وتلبس كما يلبسون . ولم يمض على ذلك غير شهرين حتى عاد فأعطاني المفاتيح ، ولم أسأله عن سبب أخذها حتى ولا عن سبب إرجاعها اليّ . غير أنني فسرت عمله بأنني تزوجت وأنا صغير وسأدفع وسأشتري الى زوجتي ما تريد وأتدهور ، وهذا لا يعرفه اذا لم يراقب الفلة ويستلمها ويستلم مفاتيح الصندوق فكان عمله امتحاناً لي . .

كنت أقوم بالبيع والشراء وجمع الفلة وكتابة الحساب وجمع الصناديق الفارغة القرية من محلنا فأنقلها على كتفي والبعيدة أنقلها على ظهر الدابة لأننا كنا ندور البلد يومياً من شرقها الى غربها ومن جنوبها الى شمالها نجمع الديون والصناديق الفارغة . وكنت أسمع من بعض أبناء زملائي : انظروا المعروف والده الميسور يجمع الصناديق ويحملها على كتفه وهذا شغل عامل ، وكنت أسمع هذا واتظاهر بأنني ما سمعت شيئاً .

التسخين

نشبت الثورة السورية فزادت أعمال محلنا زيادة كبيرة وتضاعفت أضعافاً مضاعفة واخذ والذي يتردد على المحل أكثر مما كان يتردد وجدد نشاطه في عمله التجاري وكان لنا كثير من العملاء الفلاحين وكنت في صفري قبل أن أستلم العمل أتردد على المحل فيقول لي واحد منهم خذ تنباك وعبي نفس أركيله لفلان فأصدع بالأمر وادا عدت وانا أحمل الأركيله اسحب شحطات منها فاعتدت على شرب التنباك ولكنني ما كنت اتظاهر بشربه بل عندما يكون والذي خارج المحل ادخل الى مقهى صغير جانب المحل في الوكالة الجديدة التي بناها والذي وانتقلنا اليها عام ١٩٢٢ واعمل نفس أركيله . وفي أحد الايام ذهب والذي الى الفداء بالدار فدخلت المقهى وهيأت الأركيله وما أن قعدت وأمسكت التريش بيدي حتى حضر والذي ، ولعله نسي غرضاً فعاد ليأخذه ، فوقع نظره عليّ فأمسكني من يدي وبدأ يضربني بدون وعي أينما وقعت يده ويؤنّبني ويقول : الله لا يكبرك مو ناقصك إلا أركيله ، احسن ما تشرب أركيله قوم نقل الدفاتر احسن ما نسهر لنصف الليالي واقعد حسن خذلك الذي لا ينقبيل .

التأنيب والقتل متواصلان والجيران مجتمعون ولم يقدر أحد على منعه عني حتى حضر جار لنا يشتغل بالأخشاب اسمه أبو مصطفى ملص وهو رجل مسن ومحترم وكان يوميا يحضر لعندي يصرف ليرات ذهبية ليدفع لعماله وكان يسرّ مني وأنا في هذا العمر وقائم بهذا العمل فأخذ والدي بالقوة الى جانب وقال : أما تخاف من الله يا أبو زكي ، ولدك وزوجته عيب ضربه أمام الناس .

هذا روع والدي قليلا ثم عاد لتأنيبي ثانية وهو يقول : ما حرام عليك ؟ اقعده حسن خطك الذي هو مثل خربيش الدجاج . . . اليس لا تعرف تنشئء تحريراً ومن حق التاجر الذي تتعامل معه ان يضحك عليك وانت بهذا الانشاء وهذا الخط ؟

ثم تركني وانصرف الى الدار وهذا كان من حسن حظي لاني ابتدأت اكتب يومياً ما لا يقل عن خمسين سطراً عندما أجد أن التحارير الواردة اليها من الخارج خطها حسن ، واستفدت من ذلك حيث تحسن خطي وانشائي نوعاً ما .

وبعد ذلك أبدلت الأريكة بالسيكارة لأنها أخف زحمة ولا يراها والدي . وثابتت على شرب السيكارة وكثيراً ما كان يحضر الوالد الى المحل وأنا مشغول بالبيع ويرى السيكارة بيدي وهي في فمي فيقف بعيداً حتى تنتهي ثم يدخل ، وإذا كنت جالساً في المكتبة كان قبل أن يدخل يسعل حتى أشعر بدخوله ، وكثيراً ما كنت أفركها في يدي وأضعها في جيبتي وكثيراً ما احترقت جيبتي من ذلك .

وبمناسبة الأريكة تذكرت حادثة وأنا في السابعة من عمري فقد كان عندنا ضيف من الفلاحين وأغلب الفلاحين الذي نتعامل معهم كانوا ينامون عند من يتعاملون معه لقلّة الفنادق ، ولأن الباقية أن لا يدع التاجر عميله الفلاح أو التاجر أن ينزل في الفنادق .

كان ضيفنا العميل الفلاح يدخن أريكة وكنت أمام الضيف فقال والدي قل لوالدتك أن تحضر الى أبو فارس أريكة ، فأحضرتها وناولتني اياها وأنا واقف على الدرج فأمسكتها من قلبها الخشبي فسقطت الزجاجاة وانكسرت وسمع والدي صوت الكسر فضربني كفين ، قال هذه تمسك من الزجاجاة وليس من القلب ، وكانت هذه الأريكة عزيزة عليه لأنها من زمن جدّي هي ورفيقتها من الجنس الممتاز الذي كان

يسمى (قلم طراش) من بين ثلاثين أركيلة موجودة عندنا بالدار وهي مجموعتها تكفي لمقهى .

قبل أن ننتقل الى وكالتنا الجديدة التي بدأ في بنائها عام ١٩٢٢ وانتهى بعضها عام ١٩٢٣ نقل محلنا الى الوكالة وبقي محلنا في خان الباشا فارغا وكان فروغ المحل في ذلك الوقت يساوي اكثر من (٥٠٠) ليرة عثمانية ذهبية فسلمه والذي الى رجل يدعى محمود دعدوش بفروغ (١٠٠) ليرة فقط .

كان يشتغل عند والذي وكان نشيطا يعتمد عليه والذي في كثير من الاشغال ويحبه حبا زائدا لأن والذي كان مغرما بالذكي النشيط وقد ترك محمود العمل من عند والذي واشتغل لوحده في دكان صغيرة ونجح بعمله .

سألت والذي ، كيف سلمت الدكان لمحمود واكتفيت بمائة ليرة فروغها ؟ فقال هذا زلتنا ونحن ربيناه فنجاحه سرور لنا .

ويوما من الايام وخلال الاسبوع الاول من استلام محمود الدكان وأنا أبيع رايت احد زبائننا من فلاحي داريا فسألته اين البضاعة ؟ الم يبدأ القطف ؟ قال بلى . ولكني لا اعلم انكم انتقلتم فانزلت بضاعتي في دكانكم القديم .

ثار غضبي من زلتنا الذي أراد والذي تنشيطه ومساعدته وأراد هو ان يأخذ زبائننا بدلا من أن يهديه الى محلنا الجديد ، فذهبت الى دكانه وأنا ناثرة وعاتبته بلهجة قاسية فما كان منه إلا أن شتمني وشتم والذي فرجعت الى المحل فرايت والذي قد حضر فحكيت له ما جرى وقلت له انه شتمني وشتمك فكان جوابه : من الآن وصاعدا إياك ان تنقل لي شتيمة تسمعها عني لاني مسامح كل من يشتمني بحضوري وبفيما بي .

نصائح ابوية مفيدة

وقد علمني والذي امورا عديدة منها ان لا اشتهم أحدا مهما كان السبب وأن اتجنب الحدة في المناقشة وأكون رقيقا في المعاملات التجارية ، إذ كنت حاد الطبع من صغري لا أريد أن يلعب عليّ أحد ولا أحب ان العب على أحد وكان بعض الزبائن يتلمعون

فكثير من المشتريين يشتري كيس خيسار ويرجع بعد ساعة وهو يريد خصم بعض الثمن وهو يحمل سلاحا قويا لتنفيذ مأربه وهو : الشتم والكلام البذيء ، فاذا خصمنا له فهناك خمسون مثله من المشتريين يريدون الخصم ، واما ان نتعالج معه ونسمع كلاماً منه غير لائق .

فاذا كان والدي موجودا كانوا يخجلون من التماذي لما له من الوقار والمكانة .
في صباح يوم من رمضان وكان الحر شديدا والشغل كثيرا وكنت اشعر بضيق صدر لعدم شرب السيكرة ، جاء احد الزبائن واشترى ثلاثين صندوقا من الليمون الحامض وعاد بعد ساعة وأعاد البضاعة فما قبلت ارجاعها لانه مضى وقت بيعها وستبقى الى اليوم التالي والوقت حر وليس هناك برادات . تعالجت مع الرجل وتشانمتنا فحضر الوالد ونحن على هذه الحالة فسأل احد الجيران عن الشتام ومن ابتدا بها فقال له : ابنك ، فقال للشاري ما دام ولدي الباديء فلك ملء الحق بشتمه وهذه كانت تربية لي من ذلك التاريخ بان لا اشم احدا .

وفي يوم من الايام كانت عندنا طلبية ثوم الى عميل في بيروت اشتريتها من تاجرين من تجار هذا الصنف ، الاول اشترت منه بسعر ٦٥٠ والثاني بسعر ٧ ولم احضر فاتورة من البائعين بل اخذت الوزن على ورقة وحملت الثوم على سيارة وسجلت القيمة على العميل وقيدتها مجتمعة بسعر ٦٧٥ فسألني والدي هل احضرت الفاتورة ؟ قلت لا ، ولخني احضرت الوزن . قال احضر الفاتورة فذهبت واحضرتها وحين اطلع والدي عليها مزق الفاتورة التي عملتها الى العميل طالب البضاعة في بيروت وكان عبوانه (خطيب و جارودي) حيث يتوجب ارفاق الفاتورة مع السيارة حتى يعرف التاجر راسماله ويصرف البضاعة على بينة ولما سألته لماذا مزق الفاتورة والسيارة منتظرة التحرير والفاتورة تحتمل ساعة عمل اخرى قال انني صرفت جهداً لأعمل اسما محترما وأنت تريد خرابه بيوم واحد ؟ ودهشت وأنا أسأله : ما هو العمل اندي عملته ؟ أفاد أن الواجب يقضي عليك بأن تذكر بالفاتورة كل شروء من الثوم بوزنها وسعرها لوحدها . قلت له : ان الفرق بسيط لا يذكر ، قال ولو كان غرشا واحدا فاذا حضر يوما من الايام هذا العميل وسألك من اي محل اشترت البضاعة له البضاعة وذهب لسؤاله وكان الفرق غرشا واحدا فانه يدخل عليه الشك ولا يثق

في عملي . وهذه الحادثة كانت كافية لأن اكون دقيقاً في عملي وكانت هي واحدة من اسباب نجاحي .

مضى عام ونصف على زواجي من اقبال التيناوي وكانت صغيرة السن عمرها (١٢) سنة وعمري خمسة عشر عاما وكانت لا تحسن ارضاء خالتي ووالدتي في آن واحد خصوصا وان الدار كبيرة كما ذكرت تحوي على ٢٢ غرفة وتحتاج الى خدمة ، ولم تكن عندنا خادمة بل كان التعاون بين الجميع ومنهن زوجة أخي الكبير محمد ، ولكن يظل يحصل شجار متواصل . ونهت على زوجتي لكي تكون في معية والدتي أكثر من خالتي . وذهبت يوما الى دار والدها وكان لها خالة أيضا زوجة والدها وهؤلاء الخالات أكثرهن من مسلك واحد فأبقتها عندها بالدار ولم ترسلها في المساء وبقيت خمسة أيام لم تحضر ولما سألتنا عن السبب أفادوا لا يمكن ارسال ابنتهم لتعيش بين هذا الجمع . وبلغ والدي ما قلت لها فاعتاظ والدي لخالتي ولم يمض شهر إلا وطلب اهل زوجتي الفراق وقد تم ذلك وحضروا الدار واستلموا جميع أغراضها حتى بعض اقمشة كانت مشتراة لها ولم تخطط وقبضوا المتأخر والبالغ خمسة وعشرين ليرة ذهبية ، وقال والدي ان الشرع يقضي بأن تستلم وتقبض جميع حقوقها . ولم يمض شهر إلا وشعرت بالندامة على هذا الفراق خصوصا بعد أن بلغني أنها لحقت النساء واصبحت على غاية من الطول والجمال وليس بإمكانني مفاتحة والدي بهذا الأمر مما اضطرني لارسال والدتي لطلب ارجاعها ولكن مع الاسف رفضوا لانها كانت مخطوبة الى رجل آخر متزوج وله اولاد . وهكذا انقطع النصيب منها ولم تكن تنجب أي ولد ومضى عام واصبح والدي يخشى تأخري في المحل مما دعاه لأن يكلفهم بالخطوبة لي . وكان يوجد قريبة لخالتي وقريبة الى والدي أيضا احضروها الى الدار لأجل نظرها بدون أن تعلم وكان من العسير جدا أن يعرف الرجل خطيبته ولا يمكن أن يسمح له برؤيتها خصوصا وكان الحجاب للمرأة عاما . وكانت شقراء ذات بشرة بيضاء ، غير انني لم اقبلها لقربانها من خالتي وحتى لا تكون معها وتترك والدتي لوحدها . وقد سمعت خالتي جهدها لاتمام هذا القران منها ولكن دون جدوى . وبعدها كان لها قريبة أخرى ولها بنت احضروها للدار وكانت طويلة وصحتها نحيفة واميل الى السمار من البياض وكانت لي جدة أم والدتي وهي امرأة من أهل الصلاح وتعتقد على المشايخ أخذتني الى عند شيخ اسمه الفحل ، داره بسوق ساروجة

وطلبت منه عمل فال فأخذ اسم البنت ووالدتها وأسمي ووالدي وبدأ يحسب على ورقة أمامه ، وبعد أن انتهى كان جوابه ان هذا الزواج موفق من جميع النواحي . وهكذا تمت (الاستخارة) فقد طلبوها من والدتها ، فوافقت على شرط أنها لا تأخذ أي نقد اسمه المهر ، وعلينا أن نكسوها نحن ونشتري لها لوازمها الضرورية لأن حالة زوجها كانت متأخرة وليس بإمكانهم أن يضعوا لها قرشا واحدا . وكان لها شقيقة أكبر منها متزوجة من رجل يدعى حمدان عرفة في قطنا ، وعندما بلغها الخطوبة مانعت وأخذتها الى قطنا وأبقتها ما ينوف على أكثر من شهر ووالدتها ترسل لها اخبار لارسالها وهي تمنع والسبب في ذلك برأيي حسدا منها حيث كان والدي له سمعة كبيرة بالشام فكيف يكون لها هذا النصيب وهذا الحظ ؟ وبعدها تمت الخطوبة وتم عقد القران والزواج بدون أية حفلة حتى أنني اذكر أنه لم يكن عندي البسة جديدة لتلك الليلة وقد استعرنا (قنيزاراً) من أجل حفلة العرس .

عودة الى مسألة تعليمنا

قلت فيما مضى أنني كنت في المدرسة من المتفوقين ، وكان شقيقي الأكبر محمد قد حملني على ترك الدراسة والتفرغ للعمل بقوله ان المحل في حاجة اليّ في حين كان شقيقاي أنور ورشاد مستمرين في تلقي العلوم ، وقد انتقلا الى مدرسة اللايك الفرنسية التي كان مستوى التعليم فيها عالياً . وتحت الحاح شقيقي محمد تركت التعليم وهذا هو الشيء الوحيد الذي ندمت عليه ندما شديدا فيما بعد ، رغم أن تمرسي في حياة العمل أغناني عن الشهادات العالية . وقد كان دخول اخوي الشقيقين الى مدرسة اللايك وبتشجيع من أحد اصدقاء والدي المرحوم حمدي بك الشلق الذي كان يشغل مناصب كبيرة في القضاء ، وكانت له شهرة كبيرة في الوسط الشعبي والحكومي لأن هذه المدرسة تأخذ اقساطا كبيرة .

وكانت لا زالت عند المسلمين فكرة بأن يكتفوا بتعليم ابنائهم القراءة والكتابة فقط وهذا أقصى ما يطلبونه لأنه مضت قرون على الشرق والعرب في تأخر من الحكم التركي الذي كان في اواخر عهدهم في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين في تدهور مستمر ، ولا يمضي وقت إلا ويقطع جزء من اراضي الدولة العثمانية الى الدول الاخرى ، والملك منغمسة بالعظمة والجواري . وكان الغرب ينظم شعوبه ويفتح

الجامعات ويزيد منها في جميع العلوم ، وكنت أسمع من والدي أنه كان هناك كاتب يهودي يتجول في الاسواق التجارية بدمشق ويمسك دفاتر عدة محلات تجارية بسبب ما ذكرت من قلة التعليم . وفي هذا العام رسب شقيقي شفيق في الصف السابع وقد اثار زعل والدي وبعد رجاء طويل قبل ارجاعه للمدرسة وكذلك قبل ادخاله بمدرسة اللايك ، غير أن شقيقي لم يقبل دخوله المدرسة رغم كل محاولتي وافناعي له بعد أن لمست غلظتي بتركي المدرسة وبعد أن أصبحت أدرك بعض الشيء ضرورة العلم . وهكذا بقي هو الأخ الثالث الذي لم يكمل تحصيله .

شفيق يلتحق بالثورة !

وكان شفيق في يوم من الايام يلعب الورق في مقهى صغير في وكالتنا الكائنة بشارع الملك فيصل وكان اسمه خان الباشا وهو الذي يحوي محلات بيع الخضر والفواكه ، ولما دخل والده المحل وشى عليه احدهم لوالده بأنه يلعب الورق بالمقهى فما كان من والده إلا أن سحبه من المقهى لينزل به ضربا ولكما بيديه وكراسي المقهى أمام جمع غفير من الناس . وفي صباح اليوم التالي لهذا الحادث كان شفيق موفراً ليرتين ذهب فأخذهما وترك الدار وذهب للعوطة ليلحق بالثوار وكان عمره لا يتجاوز ١٥ عاماً . وقد اثار ذلك غضب والده ، وأما والدته فكانت تلح وتندب لارجاعه ولذن كيف الوصول اليه ؟ غير أنه عندما دخل الى قيادة الثورة في احدى قرى العوطة ظنوا أنه جاسوس اولاً ولما علموا بأنه ابن سليم السلاح أرسلوا ورقة لوالده يطلبون مائة ليرة ذهبية لقاء ارجاعه وعندما استلم والده الورقة كان جوابه انني أدفع المبلغ عندما يأتيني خبره ولن يحضر رأسه . وكان لنا صديق في برزة يدعى غازي أرسلت له خبراً وكان زعيم برزة للثوار رجل يدعى أبو محي الدين شعبان ، واشترينا له هدية وأرسلناها مع غازي ولم يمض يوم بعد ارسال الهدية إلا وقد أحضره الى برزة وهي قريبة من حي الاكراد وحضر للشام وأدخلناه الدار دون أن نعلم والده بذلك ، ولما قلنا لوالده أننا سنحضر اخي شفيق قال ليس له دخول للدار مطلقاً وقد سعيينا كل ما في وسعنا لاقناعه بالمغفوعه .

حريق السنجدار

وفي هذا العام خطبوا له زوجته التي تكبره بأكثر من خمسة أعوام دون ان يعلم ودون ان يأخذوا رايه ، وقد تم العقد والفرح ، ولم يمض وقت إلا وقد احترق حي السنجدار بكامله رغم كل المساعي التي بذلت من قبل الجيش والاطفاء واحضار مصلحة اطفاء بيروت حيث كان البناء كله من خشب ودهان زياتي ، وكانت هذه المنطقة احسن منطقة في دمشق وكانت دارنا في هذه المنطقة ، وبما ان النار صارت قريبة منها فقد اضطررنا الى نقل جميع الموجودات في الدار بعد ان وضعنا جيرا خشبيا على نهر باتياس الذي يفصل الدار من الجهة الجنوبية عن شارع جمال بادشا ومنها الى وكالتنا بخان الباشا . ومضى الليل بطوله والمطافئ تشتغل حتى وقفت النار عند دارنا وبدانا ثاني يوم بارجاع موجودات الدار ووجدنا بعض اشياء مفقودة مثل اراكيل قديمة كانت لجدنا المرحوم رشيد السلاح وكذلك بعض الكازات التي كانوا يستعملونها قبل وجود التيار الكهربائي . وعندما اردت السؤال عنها وكان والدنا جالسا كان جواب خالتنا ان قالت انا بعثتم وسأبيع ما يطيب لي . وليس لاحد منكم ان يتكلم . وكان كل منا مفتاظا من سلوكها مع والدتنا وسيطرتها على والدنا ، غير اننا لا نعلم اسباب سيطرتها . وكان جواب والدي اذا كنتم غير مسرورين منا فبإمكانكم اخذ والدتكم لتسكنوا معها في دار كانت له واقعة في عين الكرش . وكان جوابنا بالقبول ، ولما طلبنا اليه ثاني يوم تنفيذ ذلك قال لا يمكنه ان يعطينا تلك الدار لانها كانت تؤجر سنويا بمبلغ خمسين ليرة ذهبية افرنسية وكان له دار أخرى واقعة في زقاق العناتبة ، وهي دار علوية مؤلفة من ثلاث غرف وبنائها قديم والفارق كبير بينها وبين دار عين الكرش التي تحتوي على عدة محلات وحديقة كبيرة وكذلك بينها وبين الدار التي تقطنها في السنجدار والمؤلفة من ٢٢ غرفة . ولكننا اتفقنا نحن الاخوة جميعا على ترك الدار الكبيرة وقبول السكن في دار صغيرة . ولما علم بموافقنا كان زعلان كثيرا ، وأرسلنا الحريم لتنظيف الدار واحتملت يومين ، ولما باشرنا نقل الاغراض كان واقفا ليرى كل شيء ينقل ، في الوقت الذي ما كان لنا شيء خصوصا وان زوجتي لا تملك سوى الفراش واللحاف اللذين ننام عليهما ، واخذنا سجادة صغيرة فما كان منه الا ان ارجعها وقال لا يمكنني ان افرغ داري ، ولكنه

اعطانا قطعة بساط قديم ، ولم يعطنا من أواني المطبخ سوى بضعة صحنون مشكلة
واغلبها منقورة ومكسرة وطبق مبخوش . وهكذا سكن أخي شفيق بغرفة مع زوجته
وظم كنبات عائذ لها ، وأنا في غرفة ووالدتي في غرفة ومعها ابنتها رشاد ، وكان أخي
أنور يدرس في الجامعة الأميركية . وأما شقيقي الأكبر محمد وبعد أن كان صاحب الفكرة
بالسكنى لوحدنا فقد بقي عند والده لأن زوجته لم تقبل معه .

تخصيصنا بمحل مستقل

ولم يمض على ذلك ثلاثة أيام حتى بدأ والدي يجرّد الدفاتر وطلب اليّنا أن
نختار أحد أمرين الأول أن يترك رأسمال للمحل ليرة ذهبية وتكون نتيجة الأرباح
مناصفة بيننا وبينه ، والثاني أن يترك لنا خمسمائة ليرة ذهبية والنتائج لنا خاصة
على أن يسامحنا بأجرة الدار والمحل لقاء مصروفنا على أخينا رشاد ووالدتنا ، وكان
الحلان لا يوافقاننا لأن رأسمال المحل كان ٤٨٢٦ ليرة ذهبية ونتائج الرأسمال الجديد
لا يعمل حركة بالعمل خصوصا وأن مصلحتنا خزن أصناف الفواكه المجففة وتسليف
الفلاحين للضمان . وبقينا ثلاثة أيام ونحن نرجوه تعديل ذلك فلم يقبل ولا بشكل
من الأشكال مما اضطرني لمقابلة صديقه الحميم حمدي بك الشلق للتوسط ، وقد
حضر رحمة الله عليه الى المحل واختلى معه في المحل وبعدها دخلت وكان الموقف لم
يتبدل والجواب كالسابق ، وعند خروج حمدي بك من المحل قال لي أخطأتم في ترككم
والدكم لوحده في هذه الدار الكبيرة وأن والدكم عندما قال اسكنوا وحدكم كان يمزح
وما كان يتأمل أن تنفذوها ، وعندما دخلت على والدي وقلت له ان عموم الناس تأخذ
رايك وترشدهم لكل خير ونحن اولادك ونريد أن نختار ما تريد فكان جوابه : انني
اخترت لكم أخذ خمسمائة ليرة عثمانية ذهب رأسمال وتشتغلون بها مستقلين بالخضر
والفواكه وأنا أختص بالأصناف المجففة فكان جوابي بالقبول . وانتقى قائمة من الديون
على الفلاحين بلغت ٦١١ ليرة عثمانية ذهبية وعمل علينا سند دين بمبلغ خمسمائة ليرة
عثمانية ووقعنا عليه أنا وشقيقي شفيق وكان الشاهدان الأول خالي فهمي والثاني
الحاج عبد الرحمن العريسي أحد عملائنا القدامى في بيروت والصديق العزيز لوالدنا
رحمهم الله . وبدانا نشتغل ولكن الشغل كان بغيثا لعدم وجود مواسم من ناحية ومن
ناحية أخرى عدم توزيع دراهم على الفلاحين لعدم وجود نقدية ، لأن المبلغ الذي خصمه

لنا كان ديونا وأغلبها هالكة ومن أصلها قيمة موجودات المحل من الميزان الكبير والبهيم والحمار والشوالات الفارغة والشلف والصناديق ومن أصل الرأسمال قيمة نجاص مخزون وقد خسر أكثر من نصف القيمة المقررة علينا . وعلى ظني أنه لم يدخل علينا من هذا المبلغ أي من الرأسمال البالغ ٥٠٠ ثلثه والباقي كان هوالك . وكان تجمع لنا قيمة بضائع في بيروت مبلغ ومرادنا سحبه عن طريق البنك لكي نسدد أصحاب البضاعة فطلبنا منه أن يوافق على الاذاعة التجارية لنتمكن من التوقيع فلم يقبل إلا أن نسدده ١١١ ليرة عثمانية الزائدة عن الرأسمال المخصص ، فطلبنا اليه أخذ التجاص الذي خسر لحسابه أو أخذ بعض الديون فلم يقبل .

ان كل هذه الشدة التي استعملها معنا أعطتني درسا لأن أكون طائعا له بكل شيء ، وسددناه مطلوبه ومسك ورقة وكتب العبارة الآتية وهي بمثابة اذاعة تجارية : (بناء على رغبة والدنا سليم الشلاح فقد أسسنا محلا تجاريا لتعاطي أعمال التجارة والكومسيون تحت عنوان بدر الدين وشفيق الشلاح فنرجو أن تمنحونا ثقتم وبأدناه تواقيعنا) وقال اطبعوها ووزعوها وهكذا تم طبعها وتوزيعها وأصبح لنا اسم مستقل ولكن أين شهرتنا من شهرة والدنا ، ولم يمضي شهر إلا وعملنا تقويم وكان الزائد معنا ارباح ٣١ ليرة ذهبية مما شجعنا على النشاط وحضر والدنا وسألني هل وضحت حصتك من أخيك ؟ فقلت له أي حصة فالعمل شراكة وهي مناصفة . فقال من الضروري أن تعمل الثلثين لك والثلث لأخيك (لأنه كان يعلم أن خبرتي في العمل مضى عليها ٨ سنوات بينما لم يمض على خيرة شقيقي شفيق سوى سنة واحدة) . ودهشت لقوله وجوابته وهل يكون فرق بين أخ وأخيه ؟ وهل يجوز لي أن أكون ازود منه ؟ فسكت وقال افعل ما تريد . وعاد بعد ثلاثة ايام وقال كيف سيكون مصروفكما ؟ فقلت له مناصفة وقال ان ذلك خطأ : وليكن مصروف الاكل شراكة وأما المصروف الخاص من كسوة وغيرها على أساس أن كل واحد يسجل ما يستجره . ولكن كان جوابي أن كل شيء مناصفة وسوف نمشي زوجاتنا بشكل واحد . اجاب ان هذا يأتي لكم بمتاعب ، فقلت له طالما الثوابا طيبة والاخلاص موجود ورضاك علينا سوف لا يحصل شيء . وهكذا بقينا الى يومنا هذا ، فاذا كان الصندوق بيد شقيقي فهو الذي يتولى الدفع الى زوجتي وزوجته وأنا لا ادفع شيئا واذا كان الصندوق بيدي فانا ادفع وهو لا يدفع شيئا .

المساواة في كل شيء

وكان مضى على زواجي أكثر من خمس سنوات ولم أنجب أولادا ولم يمض على زواج شقيقي شهر إلا وحملت زوجته وحملت أيضا زوجتي ورزقنا الله بنتين وذلك بشهر واحد وبعدها بعام ولدين هما موفق وراتب . وهكذا كلما يأتي له بولد يأتي لي مقابله واحد كان هناك اتفاقا روحيا . ولم يمض ستة أشهر الا وطلب أبي الدفاتر وأخذها للدار وطلب مني عمل تقويم للمحل فكانت الارباح ما يقارب المائة ليرة عثمانية ذهباً وهذه نتيجة حسنة بالنسبة لتلك الظروف والتي كانت ابتداء للأزمة السورية المعروفة والتي كانت أزمة عالمية واستمرت منذ عام ١٩٢٩ حتى عام ١٩٣٦ . وكان يود أن لا تكون هذه النتيجة بل يكون عكسها لكي نرجع عن فكرنا ونرجع لعنده للدار لأن خروجنا من الدار كانت صدمة له حيث بقي في هذه الدار الكبيرة وهي فارغة ، وسبق أن تحمل مشقة ثلاثة أعوام وهو يبني بها ومراده اسكان جميع اولاده معه وتزويجهم في هذه الدار ، ولم يكن يقصد من قوله أن نسكن لوحدها سوى أن تسكن والدتنا أو أنها تسكن عند خالنا فهمي وكان يريد أن يتخلص منها من كثرة ما حصل له من تعب منها بمناسبة زواجه من خالتي .

وأراد ان يطلب أجره للدكان التي نشغلها ولكن كيف يمكنه هذا الطلب مباشرة وهذا امر متفق عليه سلفاً ؟ فما كان منه الا أن طلب اخلاء الدكان وكنت أفكر أنه يمزح ولكنه بقي مصراً وكل يوم يراجعنا عدة مرات بأن نسلّمه الدكان التي هي ضمن وكالته ولا يوجد في السوق محل فارغ نستأجره ولا يمكن لأحد من السوق أن يقبل يترك محله حتى ولو كان فروغ المحل الف ليرة ذهبية وكلما نسأله كيف ذلك ؟ يقول لا أعرف . وبقينا على هذا الالاح ما يقارب من عشرة ايام وأصبحت ضائعا لا أعرف ماذا أصنع حيث لا يمكنني مجابهته برضائه وليس لي إلا أفش قلبي بالبكاء كلما تمكنت من الانفراد بنفسي . ثم قال بإمكانكم الاتفاق مع أحد المستأجرين عنده وسمى لنا رجلا يدعى ديب الواوي وكان محله سابقا في مأذنة الشحم فقلنا له كيف ذلك وهل تريد أن تضع اسم الشلاح مع اسم الواوي ؟ قال لا أعرف ، أنا أطلب المحل . وفي يوم من الايام وجدني بالمحل أبكي بكاء شديدا ، قال لي لأي شيء هذا البكاء ؟ قلت له من طلبك الذي لا أتمكن من تنفيذه فاذا كان يرضيك أن نتفق مع

الواوي شراكة وتقرن اسمك باسمه فاننا مستعدان للتنفيذ ، واذا كان يرضيك نترك المحل فنحن مستعدان للتنفيذ وغاية ما نطلبه رضاك ، فما كان منه إلا أن قال ادفعوا لي خمسين ليرة ذهبية سنويا اجرة الدكان (وغايته كما قلت أن لا يتجمع معنا مال ونرجع لعنده) وكان جوابي على هذا الطلب الموافقة طالما هي ارادتك ، وأصبح يقبض اجرة الدكان خمسين ليرة عثمانية بينما لا تساوي اكثر من خمس عشرة ليرة ذهبية مقارنة مع امثالها من المحلات المؤجرة للغير . وكان يسجل علينا جميع اجرة المحلات المؤجرة للغير وعلينا أن نحصلها منهم وبدون مقابل . وكذلك كانت اذا دخلت سيارة الوكالة تدفع ربع مجيدي دخولية فكان علينا تحصيلها وتسجيلها له واذا مضى آخر العام وكان مديناً لنا بمبالغ قيمة قمر الدين يشتريه منا نراه مسددا وزائدا علينا ، ونحن لا نراجع في اي مسألة .

حادثة غريبة

وفي عام ١٩٣٠ على ما اذكر كانت هناك سيارة برتقال بالوكالة ليلا وكان ناطور الخاناتي جارنا سرق منها فما كان من ناطور الوكالة الا ان احضر الشرطة وامسكه وسلمه للشرطة وحكم عليه بسبعة أيام سجن . ولم تمض فترة الا وكان موسم الزيارة الى السيدة زينب في قرية الست ، وهذا الموسم يحضر الكثير من الشيعة من لبنان واكثرهم قرويون ينامون في الخان الذي بجوارنا وكانت سطوح الوكالة كلها اسمنت وسطوح الخان من طين والوقت حار وعموم القرويين ينامون على السطوح ونبهنا مرارا على ناطور الخان ان لا يدعمهم ينامون على سطحنا حتى لا يخرب الاسمنت وتذلف المحلات ولكن في هذه الليلة كانوا كلهم نائمين على سطحنا مما دعانا ان نصرخ عليهم بالذهاب الى سطح الخان . وكنا في هذا العام نقلنا سكننا من دار العناتبة التي كانت شراكة فيما بين والدي وعماتي وبيعت الى خالنا فهمي الى دار يملكها الوالد وهي عبارة عن ٣ غرف مفروزة من الوكالة ولها باب من الوكالة وباب آخر من زقاق المغاني الذي كانت سمعته الادبية سيئة جدا ، وباب الوكالة ايضا كله مجمع للمتعمشة والقرويين . ولكن ماذا نعمل وليس بإمكاننا مشتري دار وهذه هي ارادة والدنا .

ثم لم يتم صراخنا على من كان على سطح الوكالة الا وسقطت من ارتفاع طابقيين امرأة مسنة لا يقل عمرها عن ٧٥ عاما وماتت لغورها وكان الوقت بعد العشاء مما دعاني لاتوجه لعند والدي واقص عليه ما جرى وكان شقيقي أنور جالسا يقرأ احدى الصحف لوالده ، ولما همّ والدي بالذهاب معي قال له أنور أنا سأذهب وليته لم يذهب فقد سبب ذلك ورطة له ولنا . فلما حضرنا الوكالة وجدنا الشرطة والطبيب الشرعي ، ودخل أخي يسأل عن الخبر فما كان من ناطور الخان جارنا إلا أن قال اولاد الشلاح رموها وهذا هو احدهم وشهد جميع من معها على ذلك وأمسكه الشرطة وأخذوه للدائرة ورجعت اقصى الخير على والدي الذي زعل من تداخله وذهب ليلا الى عند حمدي بك الشلق الذي كان رئيسا لمحكمة الاستئناف بالعدلية لمشورته وكان جوابه ان ابقى أنا متغيبا للصباح ، واذا القي القبض عليّ ان اعطي الافادة الصحيحة والتي بها النجاة لأن الصوت الذي صرخناه كان السبب في سقوط المرأة والقانون يعاقب عليه غير انها تبقى جنحة بدلا من الجناية . وفي اليوم التالي مسكنني الشرطة وكانت تسمى دائرة البوليس من عهد الاتراك واحلنا الى العدلية التي قررت الجناية وحولتنا الى السجن بالقلعة ، وكان مراد الدركي وضع القلّ بأيدينا ، غير أن أخي أنور تشاجر معه ولم يقبل كيف ذلك وهو البريء ؟ وكان والدي بأعلى الدائرة وسمع صوت أخي أنور ، وعندها نزل المدعي العام السيد خليل بك رفعت الذي كان له مركز كبير ويشغل منصب نائب عام في القضاء وطلب الى الدركي (حيث كانت تابعة للدرك) ان يأخذنا الى السجن بالعربة بدون غلّ وعلى مسؤوليته ووصلنا السجن . وكان مديرا له السيد حسام الدين الصلاحي الذي استقبلنا ببشاشة واجلسنا عنده في الفرفة يهدئنا ، وكان قد كلمه رئيس الدولة آنذاك المرحوم الشيخ تاج الدين الحسيني والسيد خليل بك رفعت النائب العام بأن يضعنا في احدى الغرف التابعة للإدارة . وبقينا ثلاثة أيام ونحن نتجول ضمن السجن الى ان تم استئناف القرار واعتبرت القضية جنحة ، وقد كان الفضل الى السيد توفيق بيضون الذي كان من وجوه الشيعة بدمشق وكان اخا ماسونيا لوالدي حيث دفع الى اهل المرأة خمسا وسبعين ليرة ذهبية لكي يرجعوا عن افادتهم الاولى التي كانت بناء على طلب ناطور الخان ويتنازلوا عن حقهم الشخصي . وبعد مدة جرت المحاكمة وكان بعض الشهود الذين حضروا قالوا في شهادتهم بانني مسكت يد قريبة المرأة وأخي أنور هو الذي دفع

بها الى الارض ، وتأججت المحاكمة وكان رئيس المحكمة الاستاذ صلاح الدين الخطيب وكان مشهورا بشدته ، وقابل حمدي بك الشلق وقال له ان هذه الدعوى جنائية وسأحيلها للجنايات ، وبهذا لا يجوز لنا أن نكون طليقين لأن الدعوى الجنائية لا يقبل بها كفالة ، فأقنعه حمدي بك الشلق وقال اذا كان هذا الولد فعلا فعل ذلك فأكون انا الفاعل حتى قنع . وبالجلسة الاخيرة وبعد الاخذ والرد بين رئيس المحكمة وبين النائب العام خليل رفعت وحمدي الشلق تم الاتفاق على اصدار حكم عليّ ثلاثة أشهر وعلى اخي بالبراءة لانه لا يمكن براءتنا نحن الاثنين امام الراي العام ، حيث اول يوم جرى الحادث بدأت الصحف تنشر الخبر بالخط العريض وبالعنوان البارز (أبناء السلاح يقتلون امرأة ...) .

وكان وكيلنا الاستاذ زكي الخطيب الذي شغل مناصب وزارية قد زار الاستاذ خليل رفعت ، وفي المقابلة قال له خليل بك : الحمد لله الذي تمت النتيجة في هذا الحكم ومدة الحبس ٣ أشهر بالامكان استبدالها بقرار من الرئيس الشيخ تاج الدين الحسيني . إلا أن الوكيل الاستاذ زكي الخطيب لم يقبل الا ان يستأنف الحكم ، وكانت المحكمة برئاسة رامز الشريف وعضوية الاساتذة عبد الرزاق عابدين وجميل سنو ، وتعين موعد للمحاكمة وقدم الاستاذ زكي الخطيب دفاعا مطولا واتى على حادثة مماثلة في فرنسا حيث كانت الشهادات وهذا الاتهام لأخذ تعويض كبير طالما والدهم في هذا الفني وهذه السمعة . واختلت المحكمة بفرفة داخلية وخرجت وقرات القرار الذي قضى بالبراءة . حاولنا دفع مبلغ للمحامي المذكور ولكنه لم يقبل اي مبلغ رحمه الله ورحم الله تلك الصداقات كانت خالصة لوجه الله . وعندها حضر السيد حمدي الشلق لعند والدنا بالدار وقال لي احمد الله تعالى الذي جعلك ابن سليم السلاح وبجاهه توفقنا للبراءة .

الفصل الثاني

الحياة بين الماضي والحاضر

(صور وتكليف)

لا تكتمل صورة الزمان الذي شهدته وتحديث عنه إلا اذا عدت فذكرت ملامح الحياة التي كنا نعيشها بكل تفاصيلها ، وهذا يجعل هذه المذكرات تعطي ثمرتها المرجوة وهي المساهمة في تاريخ حياة بلادنا في هذه الحقبة أو هذا القرن العشرين ، واعطاء الجيل الحاضر (أواخر الثمانينات) والأجيال التي بعده ، معلومات عن الحياة بتفاصيلها وتطورها منذ مطلع هذا القرن . وأنا أعرف أن آخرين نهضوا بهذا العبء كلاً حسب ما أتذكر ، وأنا في هذه الذكريات اكمل الصورة حتى يستطيع المتابع في الحاضر والمستقبل أن يلم بكل اطراف الحياة الاقتصادية والاجتماعية والفكرية في هذا القطر ومنذ بداية القرن العشرين . واذا كنت تحدثت وأتحدث في هذه المذكرات عن نفسي وعائلتي وطائفة من الأعمال التي قمت بها أو شاركت فيها فان ذلك نابع من الرغبة في أن أعطي صورة عن حياة رجل عربي دمشقي رافق القرن العشرين منذ بدايته ، ورأى تبدل الحكومات والعهود والاضاع والطباع والعادات . واذا كنت قد أسهبت بعض الشيء في الاحاديث الشخصية والحميمية فلكني أعطي مثالا على تفكير انسان في عمري تفاعل مع المحيط والمجتمع ولم يرفض التطور ، فهذا يفيد الجيل الجديد والايام القادمة .

وكذلك رسائلي التي تبادلتها مع الناس والاقارب فهي مظهر من التفاعل والتعاطي في هذه الفترة ، وكذلك الرحلات لأنها تمثل صورة عالم القرن العشرين في عين عربي له نمط معين من التفكير وهو القائم على الاعتزاز بتاريخنا وعقيدتنا مع قبول التطور والاستفادة من كل المستجدات .

اذن فهذه قصة التطور وصورته اتابعها بمقدار ما أستطيعه من إيجاز يقودني اليه علمي بأن رجال هذه الأيام ليس عندهم الوقت للمطولات .

أما الخطابات والكتابات التي تشرح عقيدتي في الاقتصاد الوطني وتمثل صورة نشاطي في الحقل العام ، فلسوف أوردتها بما أمكن من الاجتزاء المفيد والاختصار الوافي

بالفرض لتكون المرأة لعملي في الشؤون الاقتصادية والمناصب التي شرفني زملائي بتوليها ، جزاهم الله عني خير الجزاء وجعلني ممن ينعمون الناس .

كيف كنا وكيف صرنا

لو سأل سائل أحد شبابنا اليوم : ماذا تعرف عن بلادنا كيف كانت وكيف صارت ، في حين تدور عجلة الزمان وتطوي السنين ؟ ربما اعوزه الجواب واعجزه .

اذن فيفيدنا ان نعود الى الوراء ، الى مطلع القرن العشرين ونستعرض كيف كانت الحياة وكيف تطورت وما أدى اليه هذا التطور من انقراض عادات واختفاء ثمار وزروع .

ولنشرح مع الذكريات ، بأفراحها وأشجانها ، الى أقصى ما نستطيع ، لنقارن الماضي مع ما نراه الآن من رفاه يتجاور مع الضيق والصعوبات ...
ولاترك هذه الذاكرة تمشي في منعرجات الماضي كما تريد ، والقارىء يعيد الترتيب ! ...

وصف حي من احياء دمشق

في عام ١٩٢٠ ، وكان عمري خمس عشرة ، أتذكر مدرسة (نموذج المرجه) كانت في جانب التكية السليمانية وجامع السلطان سليم ، وكان مديرها كما ذكرت المرحوم سعيد أفندي مراد وكان فيها معلم اللغة الفرنسية الاستاذ توفيق افرام ومعلم للرياضة اسمه الاستاذ صلاح الدين ولا اذكر بقية الاسم ولكن أعرف أنه مغربي الاصل وهو كان حياً الى عهد قريب .

وكان بناء المدرسة هو الذي تشغله الآن وزارة السياحة وقبلها مديرية التربية وقبلها كان داراً للمعلمين ومعهداً للحقوق ، وأذكر أن أحد طلاب معهد الحقوق الذين رأيتهم وعرفتهم بحكم جوار المدرستين كان الاستاذ مصطفى الرحيباني الذي تنقل في مناصب قضائية عالية فيما بعد ثم حين تقاعد مارس المحاماة وكان موضع الثقة ، ومن مزاياه أنه كان لا يقبل التوكل في دعوى إلا بعد قناعته بصدق الموكل الذي يقصده وأنه على حق ، رحمه الله .

وكننا نخرج من المدرسة عند الانصراف لنجتاز طريق بردى على ضفته (ولم يكن قد غطي في ذلك الوقت) ونمر بمقهى العباسية الذي يقع على الزاوية بين شارع نهر بردى ومحطة الحجاز ، وسبب تسميته بمقهى العباسية أن الذي بناه كان لبنانياً اسمه أبو عباس طحينه . وأذكر أنه في عام ١٩٢٧ أقيم في هذا المقهى معرض للفأكة السورية ، وكان وزير الزراعة في ذلك الوقت هو المرحوم نصوح البحاري ، وكنت والدي من جملة المعارضين للفواكه وقلنا عدة ميداليات ، وكانت الجائزة الأولى كأساً مصنوعة من النحاس البرونزي مطعمة بالفضة وعليها عبارة مناسبة .

عربسات الدليلجانس

والآن هدم هذا المقهى وشيد مكانه بناء ضخم يملكه الخط الحديدى الحجازي لأن الأرض وقف اسلامي للخط الحجازي ، وفي هذا البناء الآن مسرح كبير وفندق سميراميس . ومن الطريف أن أذكر أن هذه الأرض كانت قبل ذلك مغراً ومنطلقاً لعربات الدليلجانس . والدليلجانس كانت عربة تتسع لثمانية أشخاص نجرها سسة رؤوس من الخيل تنطلق من دمشق صباحاً وتصل الى بيروت مساء وتقف للامتراحة وتبديل الخيل في خانات على الطريق في الهامة وصحراء الديماس وميسلون ووادي القرن ووادي الحرير وهكذا . وكانت هي واسطة النقل الوحيدة قبل النطار .

أما الطريق النازل من محطة الحجاز حتى النهر فقد تم شقه في عام ١٩١٠ حين تم بناء محطة الحجاز ، ولم يكن قد اكتمل بل كانت تنقصه التسوية والتعبيد والأرصفة ، وهو يمتد من محطة الحجاز حتى الجسر القائم على النهر المسمى بجسر فكتوريا ، ولم تكن الأبنية الأخرى وهي المصرف وأبنية الأوقاف والبريد والقدسي قد انشئت وانما بنيت في الثلاثينيات وما بعدها أي في وقت متأخر . وكان مكانها بساتين وأشجار مشمرة ، وكانت الأرض وقفاً للمولوية .

الدراجات الأولى

وكانت الدراجة (البسكليت) من أول وسائل الركوب الخفيفة التي وصلت الى البلاد ، وكان الأولاد يستأجرونها من دكان في أول شارع النصر من جهة سوق الحميدية وكان صاحب الدكان يوسف حمصي ، أما في الطرف المقابل حيث يقوم

القصر العدلي الآن فكان يوجد بناء كبير اسمه المشيرية وتقيم فيه أيام الفرنسيين
دوائر الأمن الفرنسي ثم احترق وهدم وقام مكانه القصر العدلي في أوائل
الخمسينيات . . .

وكان من يستأجرون الدراجات أول عهدها يقطعون بها الطريق من أول محطة
الحجاز الى جسر فكتوريا ثم يعودون ، والناس يقفون ليتفرجوا متعجبين إذ كيف
يعتلي شخص آلة تسير على عجلتين فقط ويوازن نفسه دون أن يقع ، وكيف ينزل
عنها ، وكان هذا من المشاهد الفريدة في تلك الأيام ، وكل شيء يبهر الرائي
في البداية ثم يعتاد الناس عليه .

أول طائرة في دمشق

وتعي ذاكرتي مجيء أول طائرة الى سورية وكانت تتسع لشخصين فقط ، وقد
حطت في (مرج الحشيش) الذي يقوم عليه الآن معرض دمشق الدولي وكان يمتد من
التكية السليمانية الى المكان الذي يسمى في ذلك الوقت (صدر الباز) حيث تقوم
الآن ساحة الأمويين . وكان هذا المرج لا يزرع وتمج أرضه بالمياه وبنيت فيه الحشيش
تلقائياً لأن المياه تنصب عليه من فائض نهر بانياس الذي يعلو هذا المرج من ناحية
الجنوب . وقيل أن هذا المرج اوقف ليكون مسرحاً للخيال الهرمة يتكونها فيه حيث
ترعى حتى تموت ، وهذا من الأوقاف العجيبة واللطيفة في آن واحد .

ولما حطت الطائرة في هذا المرج الفسيح هرع أهل الشام الى مشاهدتها ، وكان
الطياران ضابطين تركيين اسمهما أنور وفتحي . وقد حدث هذا الحادث العجيب
في أيام الحرب العالمية الأولى التي تسمى (بالسفر برك) .

ولكن بعد أن نزل الضابطان المذكوران بالطيارة في هذا المرج عادا فأقلعا بها ، غير
أنها سقطت بهما عند بحيرة طبريا ، وجيء بالجتتين فدفنتا جانب مقام السلطان
صلاح الدين الأيوبي خلف المسجد الأموي . ومما يذكر أن هذا المقام تقع الى جانبه
مدرسة تسمى (الجقمقية) وكانت تدرس فيها العلوم واللغة العربية والتجويد .
ثم فيها كانت مدرسة الشيخ عيد السفرجلاني الذي تخرج على يديه عدد من كبار
التجار يشكون جيلين أو أكثر ، وقد درست فيها عامين .

البيوت الدمشقية - ومادة الكلس

لن اطيل الحديث عن البيوت الدمشقية فما يزال عدد كبير منها قائماً ولو ان الحريق ذهب بأجملها عندما احترق حي سيدي عامود ، ومكانه الآن سوق كبير يعرف بين الناس باسم الحريقة نتيجة لضرب الفرنسيين له بالقنابل اثناء الثورة السورية ، ثم احرقه عمداً بصب البنزين على أرجائه ، وكذلك حين احترقت منطقة السنجدار الجميلة الفنية ، وقد أتى حديث هذا الحريق حين أشرت الى سكننا قبل أن نتنقل منه .

ولكن اذكر هنا تفصيلاً ضرورياً وهو أن مادة الاسمنت لم تكن معروفة شائعة في بناء البيوت وطلائها ، وكان البديل عنها مادة الكلس . تقطع أحجار الكلس من الجبال ويؤتى بها فتوضع في أتون (في دمشق يسمونه ايتون) وهو بناء أسطواني ارتفاعه بين ثمانية أمتار وعشرة وقطره ستة أمتار . يوقد من أسفله بجذور الشجر الكبيرة وبالحطب وكل وسائل الاشتعال المتوفرة ، وتبقى النيران مشتعلة متأججة سبعة أيام حتى اذا نضجت تلك الأحجار نقلت الى المستودعات ويبتع الى البنائين . وحين يوضع حجر الكلس في الماء يتفاعل معه ويدوب ولكن في اثناء ذلك يغلي الماء الذي يوضع فيه الى أن يدوب فتصبح المادة بيضاء ناعمة الملمس تستعمل في البناء ولا سيما في طلي الجدران . ويتم ذلك بعد أن تضاف اليها مادة الكتكت وهي الياق القنب التي تفرم ناعمة فاذا امتزجت بالكلس أعطته التماسك . كما أن الكلس يستخدم كمادة لالتصاق الحجارة واللبن ، وهو جميل قوي وأفضل من الاسمنت . وكانت مراكز صنع الكلس ويبعه تقع في شارع الملك فيصل والعمارة ومسجد الأقباب والميدان والشاغور وفي كل مكان يمكن أن يبنى فيه الأتون (الايتون) . الذي هو مصنع الكلس .

مواقد النار القديمة

وبمناسبة الحديث عن المحروقات كان (الكائون) موقد النار الأساسي بل الوحيد فيما مضى من أجل الطبخ في البيوت . وهو يكون من حاجر من الطرفين ارتفاعهما ٣٠ سنتمراً بينيان من الأجر ، وعليهما توضع قدور الطعام من حبل وطانجر ، وبين الحاجزين توقد النار بالحطب وغيره من وسائل الاشتعال . أما سعة الكائون فتتبع

عند الناس الذين يأكلون من الطعام الذي يطبخ عليه وكبر القدور التي تستعمل .
وفوق الكانون تكون مدخنة لتصريف الدخان المتصاعد . وتقوم ربة البيت باشغال
الموقد بالحطب بمساعدة بناتها والكنائن وتراقب نضوج الطعام .

أما الحطب فتمتصون به العائلات في فصل الصيف من الأشجار اليابسة التي شاخت
أو آن أوآن تبدلها بغيرها ، وكان الحطب يأخذ حيناً لا بأس به في المنازل الى جانب
المواد التموينية الأخرى . وكان من المألوف أن يرى الناس الحطب تحمله الجمال
ويمشي معه الحطابون الذين يكسرونه حسب الطلب بفؤوسهم ، وأغلبهم من الأرنأؤوط
وبعضهم من قرى الفوطة وجوبر وبيت سحم . وأحسن أنواع الحطب الزيتون الذي
يشتل بنار أطول عمراً من أنواع الحطب الأخرى وأكثر حرارة ، ثم من بعده حطب
المشمس . والحطب قليل الثمن والآن استعضنا عنه بالمازوت الذي ندفع ثمنه بالدولار
ولا بد أن أضيف أن الحطب يستخدم لطهي الطعام ، كما استخدم للتدفئة حين صنعت
مدافئ الحطب ، كما يستخدم للتنور والصاج اللذين يصنع عليهما الخبز .

التنور والصاج

ولما كان أكثر الناس اعتادوا على أكل الخبز الذي نسميه (البيتي) وأقلهم
يأكلون الخبز (السوقي) الذي يصنع في الأفران ويباع ، فكان قسم منهم يعجن
ويخبز على التنور إذا كان له متسع في الدار ، وقسم آخر يرسل العجين الى الفرن
ليخبز فيه . وهذا النوع من الخبز يسمى (المشروح) وهو مستدير ورقيق
وطبقة واحدة .

وما يزال التنور قائماً ومستعملاً حتى الآن في القرى القريبة والبعيدة ، ولو أن
استعماله كاد ينعدم ، فالفلاحون أنفسهم صاروا يشترون الخبز الحكومي بالربطة
وهذا شيء غير معقول ومخالف للمنطق . وقد سمعنا بأن التنور صار يشغل في بعض
الفنادق والمطاعم الحديثة لاشباع رغبة روادها الى خبز طيب ويذكرهم بالماضي .

ومثل ذلك يقال عن الصاج وهو وعاء محذب من الصفيح الصلب يوضع على
الكانون أو على المنقل ويخبز عليه الخبز المرقوق ، وله شهرة لأن الخبز فيه يكون
رقيقاً جداً وطيب المذاق ، وقد انتعش الخبز على الصاج وصار يباع جاهزاً في

الأسواق لأنه أغلى ويربح أكثر ، ولكن بكميات ما تزال قليلة بسبب غلاء هذا النوع من الخبز بالمقارنة مع الخبز الحكومي . ويسمى الخبز الذي يخبز على الصاج (بالمرقوق) .

وعندما لا يكون في البيت تنور ولا صاج - وهما لا يكونان إلا في القرى أو البيوت الكبيرة - فإن ربة الدار تعجن الخبز في الدار في وعاء نحاسي كبير اسمه المعجن ، ومتى اختمر ترسله الى الفرن ليخبزه ثم ينقله أجير الغران مرة أخرى فيعيده الى المنزل مخبوزاً ، وقد يتجاوز عدد الأرغفة المئة ، ويتقاضى أجير الغران اكرامية على حمله (الخبزة) هي رغيف واحد مخبوز . وكانت الخبزة تصل الى ١٠ كيلو غرامات . وكان الخبز في أغلبه يصنع من طحين القمح المسمى (راسه بعه) اي الذي يحوي نخالته وهي مادة مفذية ونافعة ، وكان هذا الخبز طيباً ومع الأسف لم يبق إلا في ذاكرة القدامى كبار السن واستبدل الناس به أنواع الخبز السوقي الذي يخبز في الأفران من طحين لا يحوي النخالة (وأحياناً يشتري المصابون بالسكري خبز النخالة) .
الا ما اطيب مذاق رغيف القمح البيتي وما اطيب رائحته ! .

التموين بالقمح والكندوش : ولذلك كان التموين بالقمح أمراً أساسياً في البيوت ، فيقوم رب الأسرة بشراء القمح أيام الحصاد ويحفظ في الدار في وعاء خشبي مستطيل وقد يكون مصفحاً بالتنك وله فتحة كبيرة من اعلاه وأخرى صغيرة في أسفله لإخراج القمح كلما دعت الحاجة لطحنه وكان هذا الوعاء يسمى (كندوش) . ويرسل القمح الى مطحنة من المطاحن الكثيرة المنتشرة قديماً في دمشق وهي مطاحن مائية تحركها مياه الأنهر السبعة التي تسير في مختلف أرجاء دمشق قبل أن تصل الى الفوطلة ، وكانت وسيلة نقل القمح الى المطاحن واعادته منه هي الحمير .

القنب : أما قنود الأفران فكان بعض الحطب وكمية أكبر من القنب . والقنب يشبه القصب الرفيع الذي ينبت على ضفاف الأنهار والسواقي ، ولكن يختلف عنه بأنه يزرع من بذار يسمى القنبز (الأنبش) ، ويصل طول الساق أحياناً الى مترين وتكون حول الساق قشرة ليفية . فاما القشرة فتؤخذ ليصنع منها الحبال والمرس وخيطان تسمى (المصيص) ، وتستخرج القشرة بعد نقع الأغصان في حفرة ماء مدة تتراوح بين عشرة أيام وخمسة عشر . ومن قشر القنب تؤخذ مادة الكتكت التي تمزج

بالكلس كما سبق القول . كما أن بذور القنب المسماة القنبز (الأنبش) وتقطف من رؤوس الأغصان تعتبر من أحسن أنواع علف الطيور والدواجن ، وإذا جرى تحميصها مع الملح استطابها الأطفال والأولاد وهي لذيذة الطعم .

والخلاصة فإن القنب لا يهدر منه شيء على الإطلاق ، وقد انقرض الآن مع اليافه وبذاره وخسرنا بانقراضه مادة نحن في أشد الحاجة إليها وكنا نصدر منها الى فلسطين والأردن ولبنان ، ومن المؤسف أننا صرنا نستورد الخيطان النايلون الآن مكان خيطان القنب وحباله المتينة .

التدفئة المنزلية

وكانت وسائل التدفئة في الأيام السالفة تكون إما بالفحم أو بالحطب . فالفحم النباتي كان يستخرج من الأحراش ويصنع فيها ثم يباع في المدن ليحرق في أوعية أغلبها من النحاس وقد تكون من الحديد الرقيق ، ويسمى واحدها (المنقل) ، ويكون ممتلئاً بالرماد أو (الصفوة) التي تخلفها نيران الحطب والحقم . وتلنف العائلة حول المنقل في ليالي الشتاء الباردة للاستمتاع بالدفع ، وعليه يسخنون الخبز أو يصنعون القهوة والشاي . ولكن له خطرٌ هو نشر غاز الفحم فاذا ترك في غرفة مغلقة فيها نائمون ربما اختنقوا بغاز الفحم ، ولكن الناس كانوا منتبهين والحوادث قليلة . وقد يستخدم في الاحتراق الفحم الناعم المسمى (الدق) ، والفحمة الكبيرة التي لا تشتعل جيداً تسمى (عرّاطة) ، وإذا غطي الفحم المشتعل بالرماد وانطفأ صار اسمه (الطفي) .

ثم وجدت مدافئ الحطب - وأحياناً الفحم الحجري عند المترفين - وهي متصلة بأنابيب (بواربي) تمتد الى الخارج عبر فتحات في الجدران أو السقوف ، وتدفئتها صحيحة لأنها تبديل الهواء في الغرف . وقد انقرضت هذه المدافئ تقريباً بسبب ندرة الحطب أمام تكاثر السكان ، وحلت محلها مدافئ المازوت . وقد صار استهلاك المازوت كثيراً جداً ومكلفاً للناس وللبلد ، فضلاً عن تلويثه الجو .

أما المترفون فصاروا يستخدمون التدفئة المركزية التي تستهلك كميات كبيرة جداً من المازوت أو التدفئة الكهربائية . ولو قارنتا نفقات التدفئة القديمة حين كانت على

مناقل الفحم أو مدافئ الحطب بما ينفق الآن على التدفئة المركزية أو التدفئة الكهربائية لتوضيح الفرق الكبير والآن ننفق على التدفئة اضعاف الاضعاف ، وبدل أن يستفيد المزارعون من بيع الحطب والعمال من قطعه ونقله صرفنا نستورد المازوت بالعملة الصعبة وندفع ثمنه للخارج كما أن تلويثه للجو أكبر .

رحم الله أيام البساطة في العيش والاسرة الواحدة .

هذا وأقول بان من جملة وسائل الطهي والتدفئة (زيت الكاز) وهو الاسم الشائع لمادة (الكيروسين) . ويوضع في ببور الكاز وهو سهل النقل . وكان الكاز قديماً يأتي في صفائح مختومة من رومانيا وكل صفيحتين تكونان في صندوق خشبي وفي كل صفيحة عشرون لتراً ، وكان اول الوكلاء لزيت الكاز شركة طوطح وشحطوب اليهودية في سوق البزورية وخليل صيدح في وكالة الخضري الذي كان يقال له سوق التبن ، وهو في أول شارع الملك فيصل . وقد كانت بوابير الكاز تأتي من الخارج وهي بحجوم وقوة مختلفة ، ثم قام معمل لصنع بوابير الكاز في يبرود أسسه محمد كبور . وما زال (ببور الكاز) يستخدم حتى الآن ولو أن مادة البوتاغاز والمطابخ التي أساسها اشتعال هذه المادة قد صارت هي الاكثر شيوعاً في الوقت الحاضر .

والخلاصة أن الجديد يجاور القديم مدة طويلة قبل أن يزيحه الجديد بصورة نهائية .

وحدات القياس القديمة وتطورها

لقد حصل تبدل كبير جدا في وحدات الوزن والكيل والقياس اجد معه من المفيد التذكير بما كان موجودا في الماضي ليعلم به الجيل الجديد والامر لا يخلو من طرافة .

اول وحدات الوزن هي الرطل الدمشقي ويساوي ١٢ اوقية كل منها ٦٦٦ درهما فالرطل الدمشقي اذن ٨٠٠ درهم . ويعادل وزن بالگرامات ٢٥٦٠ غرام .

ثم الرطل الحلبي وهو ١٢ اوقية أيضا ولكن كل منها ٨٣٣ درهما ، فالرطل الحلبي اذن يساوي الف درهم او رطلا وربع بالنسبة للدمشقي . أما رطل حمص فهو ٣٠٠٠ غرام .

والقنطار مئة رطل ، والقنطار الدمشقي (٢٥٦) كيلو غرام والحلبي (٣٢٠) كيلوغرام ، وقد ظلت هذه الاوزان تستخدم حتى بداية الثلاثينات حيث فرضت السلطة الفرنسية المقياس المترية في الوزن وهي **الكيلو غرام** وهو الف غرام ثم **الطن** وهو الف كيلو غرام . ولكن ظل الناس يستعملون كلمة اوقية لوزن قدره ٢٠٠ غرام باعتبار أن الكيلو غرام خمس اوقيت .

ومع ذلك ظل الناس مدة طويلة يتداولون الشراء بالرطل والقنطار او يستخدمونهما في التقدير عند الحديث عن الاوزان - ولا سيما الحطب . وكان عند الناس اعتقاد ببركة الرطل والقنطار .

ثانياً - الكيل :

اول الاوزان (المد) وهو يعادل عشرين كيلو غرام من الحبوب وضعفه (الجفت) وهو اربعون كيلو غرام . واجزاء المد هي نصف المد وربع المد والثمانية أي واحد من ثمانية من المد والعامه تحرف الاسم فتقول (تبنية) .

وكما في الوزن كذلك في الكيل ففي الجزيرة يستخدمون للكيل وحدة اخرى هي (الوجلجك) ويعادل ٢٥ كيلو غرام أي عشرة ابطال تقريبا .

ولم تكن السوائل تباع بالكيل وإنما بالوزن ، واليوم صار بعضها يباع باللتر .
ان هذا التغيير أنهى الفوضى حيث كان بعض الباعة يعملون وعاء يكتالون به
ممن يبيعهم وآخر أصغر يكتالون به للمشتري ، وذلك رغم ملاحقة الدولة وفحص
الأوعية وختمها من قبل البلدية المشرفة على هذه المخالفات .

فقد جاء وصف عملهم القبيح في القرآن الكريم حيث يقول تعالى (ويل للطغفنين
الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم ينتهزون . ألا يظن
أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم ، يوم يقوم الناس لرب العالمين ؟) .

ثالثا - عدانات المياه :

ان مقاييس المياه المخصصة للسقاية المسماة (عدان) يأتي في رأسها (القيراط) ،
وهو يختلف في كل قرية عن الأخرى غالبا .

فمثلا في عرين حيث تشرب أرضها من نهر تورا ، يكون القيراط ١٠/٢٥ قصاب
وفي عرين حيث تشرب من باب الثلث من ماء الريحان ، يكون ١٤/٥ قصبه
وفي أرض السلون والرحياليات حيث تشرب من ماصية الخرق وماصية
السلق ١٥ قصبه .

رابعا - مساحات بيع الأراضي :

كانت الأرض في دمشق تباع بوحدتها اسمها (القصبه) وهي تعادل على الضبط
٢٣٧٥ مترا مربعا ولا يزال تعبير (القصبه) مستخدما في التقدير على السنة الناس
ولكن المبيعات تحسب قانونا بالمتر المربع .

أما في الأراضي الزراعية ، ففي دوما كانت تباع الأرض ب (المدي) أو (المسحاية)
ومساحته ستون قصبه أي ١٤٢٥ مترا مربعا أو نحو دونم ونصف .

وفي الزبداني تباع أرض العرق بالمصرية ومساحتها ٣٠٠ متر مربع .

وأرض البكري بالمصرية ومساحتها ٤٢٠ مترا مربعا .

وأرض النهر بالمصرية ومساحتها ٢٠٦٢٥ أمتار مربعة .

وفي المريج وباقي أراضي القوطة تباع بالفدان الشامي وه ويعدل (٢٤٠) قصبه
والقصبه هي ٢٣٧٥ مترا مربعا فتكون مساحة الفدان الشامي ٥٧١٣ مترا مربعا .

أما الأراضي الكبيرة مثل **الدرخبية** فتباع **بالفدان الروماني** وهو ٢٤ فدانا شاميا اي ١٣٧١٧٠ مترا مربعا .

وفي حوران تباع الأرض **بالربعة** وبالشجرة اي بعدد الأشجار . ومن الصعب ذكر جميع القواعد التي يعرفها ويتقنها المختصون في المناطق المختلفة .

ولكن بعد استخدام المقاييس المترية صارت الأراضي الزراعية تحسب قانونا بالامتار المربعة وبالدونم وهو ٩١٩٧١ مترا مربعا أو ٩٥٠ مترا مربعا وقد يحسب الف متر مربع اذا نص على أن الدونم الف متر .

العملات وتطور أسعارها منذ ١٩١٠

لقد بدأت أعي العملات وأسعارها ، وأعني تلك التي كانت رائجة ومستعملة ، منذ عام ١٩١٢ تقريبا .

العملة الذهبية : كانت هناك **ليرات ذهبية عثمانية** وهي نوعان **تجارية** و**ورشادية** وسعر هذه أعلى قليلا من التجارية .

وكانت الى جانبها **ليرات ذهبية انكليزية** وهي نوعان أحدهما وجه الملكة والثانية عليها حسان وتسمى (أم حسان) .

وليرات ذهبية فرنسية وهي شائعة الاستعمال أكثر من الانكليزية .

العملة الفضية والمعدنية : وتنقسم الليرة الذهبية الى أقسام تمثلها العملات الفضية وهذه الأقسام هي :

المجدي	=	٢٥	غرشا =	٤٠٠	مصرية =	١٠٠٠	بارة
نصف المجدي	=	١٢ر٥	غرشا =	٢٠٠	مصرية =	٥٠٠	بارة
ربع المجدي	=	٦ر٢٥	غرشا =	١٠٠	مصرية =	٢٥٠	بارة
البشلك	=	٣ر١٢٥	قرشا =	٥٠	مصرية =	١٢٥	بارة
أبو المية	=	٢ر٥٠	غرشا =	٤٠	مصرية =	١٠٠	بارة
أبو الخمسين	=	١ر٢٥	غرشا =	٢٠	مصرية =	٥٠	بارة
أبو العشرة	=	١	=	١٦	مصرية =	٤٠	بارة
النحاسة	=			٢ر٥	مصرية =	٦ر٢٥	بارة
أم الخمسة	=			٥	مصري =	١٢ر٥٠	بارة

وكانت الليرة الانكليزية سعرها الراج ١٤٠ غرشا
والليرة العثمانية سعرها الراج ١٣١ر٢٥ غرشا
والليرة الفرنسية سعرها الراج ١١٩ غرشا
وكان اكثر التعامل بالعثمانية والفرنسية .

ومن هذا التقسيم ترون كم كانت قيمة العملة الشرائية مرتفعة اذ ان اصغر القطع المعدنية وهي النحاسية كانت تشتري شيئا من السوق .

وقد انقرضت النحاسية في عام ١٩١٠ وانقرضت ام الخمسة في عام ١٩١٢ وبقيت الاجزاء الاخرى في التداول حتى عام ١٩٣٢ حيث بطل التعامل بكل العملات إلا السورية من الناحية الرسمية .

واذكر انه بعد ان اعلنت الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ حصل غلاء ، وفي ١٩١٦ طبعت الحكومة العثمانية التركية عملة ورقية تدفع بها معاشات الموظفين وكانت كل ليرة تركية ورقية تعادل ليرة عثمانية ذهبية . غير ان البائعين لم يقبلوا العملة الورقية فبدأت أسعارها تتنازل . وبينما كان سعرها الرسمي الاول ١٣١ر٢٥ غرشا كالذهبية ظلت تنزل حتى وصلت الى اقل من ٧٥ غرشا . وعندما انهارت الدولة العثمانية سقطت هذه النقود سقوطا كاملا .

ولما دخل الشريف فيصل بن الحسين الى الشام ودخل الانكليز بعده بدأت العملة الفضية تتراجع في قيمتها أمام الذهبية تدريجيا حتى ١٩٣٢ حيث صارت الليرة الذهبية تساوي ٥٥٠ غرشا سوريا بدلا من ١٣١ر٢٥ كما كانت في الماضي . ومع الفرنسيين ظهرت العملة السورية المرتبطة بالفرنك الفرنسي وكانت عملة ورقية ومعدنية وهي : الليرة ، ونصف الليرة ، وربع الليرة ، والعشرة غروش ، والفرنك ، وهو خمسة غروش ، ونصف الفرنك أي غرشان ونصف ، ثم الفرش (الذي كان مثقوبا من نصفه) وأخيرا نصف الفرش الذي يسمى النكلة . وتجاوزت العملتان حتى ١٩٣٢ كما قلت ثم لم تبق إلا العملة السورية وصارت العملة الفضية تسحب ويستفاد من وزنها كمعدن فضي . أما الليرة الذهبية بأنواعها فبقيت مدة اطول .

مدة اطول ، ولا بد من القول هنا ان كلمة غرش أخذت من كلمة (غروش-) وهي عملة نمسوية صغيرة مثلما أخذت (الليرة) من الفرنسية والاطالية .

تطور العملة السورية في قيمتها

حين طرحت العملة السورية الورقية والمعدنية التي يصدرها المصرف السوري (وهو فرنسي في حقيقته بخلاف اسمه) في عام ١٩٢٢ كانت قيمة الليرة السورية (ومثلها اللبنانية) تعادل (٣٩٥٠ ر.) من الليرة العثمانية الذهبية .

في عامي ١٩٢٦ و ١٩٢٧ صارت تعادل (٢٢ ر.) من الليرة الذهبية .
في عام ١٩٢٦ صارت تعادل (١٨٠ ر.) من الليرة العثمانية الذهبية .
في عام ١٩٥٥ صارت تعادل (٨٠ ر.) من الليرة العثمانية الذهبية .
ومنذ عام ١٩٦٠ بطل التعامل بالذهب وصارت جميع البيوع بالليرة السورية .

كيف كانت تسعر المحصولات

ولما كانت أسعار العملة في تبدل دائم اتفق تجار الحبوب أولا على تحديد سعر الليرة الذهبية بما يعادل ٢٥ غرشا فضا من العملة الرائجة . واتفق تجار مال القبان على تحديد هذا السعر بما يعادل ١٨٧٥٠ غرشا . أما باقي الأصناف فتباع بالعملة الفضية .

وكان التجار في مساء كل يوم يجمعون غلتهم من العملة الفضية التي يقبضونها ويذهبون الى الصيارف فيبيعونها بالسعر الرائج في ذلك اليوم ويأخذون مقابلها ليرات ذهبية يسلمونها الى المصارف لتحويلها الى الخارج من أجل الاستيراد . وكان ذلك يأخذ وقتا طويلا وجهدا ، ويكفي لوصفه ان اقول ان العملة الفضية كانت تجمع حسب انواعها وتلف في ورق . فكل ٤٠ مجديا ربطة اسطوانية الشكل ، وكل ٤٠ ابو المية ربطة ، وكل ١٠٠ ابو الخمسين ربطة . وظل ذلك الى ان ألغيت العملات الفضية في عام ١٩٣٢ كما سلف الذكر .

استمرار التعامل بالذهب في بعض البيوع

وقد استمر التعامل بالذهب بعد ١٩٣٢ في بيوع الاراضي والبيوت وفي القروض لأن الليرة السورية كانت تتعرض للهبوط والناس معتادون على الذهب . وكان يحصل اختلال ، فالاجور والمعاشات تدفع بالليرة السورية بينما البيوع والايحارات بالذهب . فالمستأجر الذي كان يدفع ٢٠ ليرة عثمانية سنويا تعادل كل منها ٥٥٠ غرشا كما كانت بعد ١٩٢٢ ، وجد بعد ١٩٣٦ انه صار يدفع اكثر لأن العثمانية صارت تعادل ١٤٠٠ غرش . وهنا اصدر المفوض السامي الفرنسي القرار ٢٤٥ تاريخ ١٩٣٩/٩/٢١ بعد بدء الحرب العالمية الثانية مباشرة) ومنع فيه التعامل بالذهب وحدد سعر الليرة الذهبية بالنسبة العقود السابقة لصدوره بمبلغ ثابت هو ١٤١٢ غرشا . ولكن سعر الذهب ظل يرتفع . ففي عام ١٩٥٠ صارت الليرة الذهبية العثمانية تعادل ٢٩٥٠ ، وظلت العقود السابقة تدفع على أساس التسعيرة الرسمية وهي ١٤١٢ غرشا .

تطور أسعار الحبوب بالجفت وهو ٢٠ كيلو غرام

فول صفت	فول حبة كبيرة	المدس الاحمر	الحمص	الشعير	الحنطة	الليزة الذهبية	المسام
٧٧/٧٥	٨٥/٨٢	١٠٣	١٢٥/١٠٦	٧٥/٧٠	١٤٢/١٣٠	غرشا	٢٥٠ ١٩٢٥
١٠٠	٢٩٠/١٥٠/٢٠٠	٢٠٠/١٦٢/١٥٠	١٧٥/١٢٥	٩٠/٧٠	١٧٥/١٥٠	(نتيجة الثورة)	» ١٩٢٨
٩٠	١٢٠	١٧٠/١٣٠	١٠٠/٨٠	٥٠/٤٠	٩٠/٨٠	»	» ١٩٣٠
٧٥	٨٥	١٠٣	١٢٥/١٠٠	٧٥/٧٠	١٤٠/١٣٠		٢٥٨ ١٩٣٢

تطور أسعار مال القبان - بالرطل وهو ٢٥٦٠ غرام والليزة الذهبية حسب ما قرره الاتجار

صابون نابلسي	صوف مفسول	خيطان	حيال	سمن	زيت حلو	رز	سمن دبري	سمن حديدي	القهوة	السكر	الليزة الذهبية	العام
-	٩٠	٨٥	٤٩	٢٢	٢٣	١٣	-	٩٠/٨٥	٤٢٥٠	١٣٥٠	١٨٧٥٠	١٩٢٢
-	٧٠/٦٠	٥٠/٣٢	٤٠/٣٠	-	٣٠	١١	٧٥	٩٠	٧٢/٦٥	١٢	»	١٩٢٥
٢٦	-	-	-	-	٣٣	١٠٥٠	٧٥	٨٠	٦٣/٥٥	١٠٥٠	»	١٩٢٨
-	-	٧٠/٤٢	٤٠/٢٠	-	٩٧٥	٥٥٠	٢٤	٢٥	٢٢/٢١	٤	١٠٠	١٩٣٠

تطور اسعار الفواكه المجففة وما شابهها - الليرة الذهبية ٢٥٨ غرشا - وبالرطل

زبيب مشمش	زبيب احمر	بزر سلطي	زبيب درابي	جوز قلب	جوز بقشره	التفوح	القمردين	الليرة الذهبية	المعام
١٩	-	١٨	٣٥	٩٠	٢٨	٣٥	٢٥/٢٥	٢٦٥	١٩٢٢
-	-	١٦	٢٧	٥٧	١٩	٤٢	٢٢/٢١	٢٦٥	١٩٢٥
-	-	-	٣٥/٣٠	٧٥/٧٠	٢٢/٢٠	٣٥/٣٠	١٩/١٦	٢٦٥	١٩٢٨
-	١٢/١٠	-	٣٠/٢٠	٧٥/٦٥	٢٦/٢٢	٣٧/٣٥	١٥/١٣	٤٤٢ - ٢٨٣	١٩٣٠

الفصل الثالث الفاكهة السورية وأصنافها

كانت دمشق مشهورة بفاكهتها الجميلة واللذيذة الطعم وكانت قبل هذا التوسع الكبير الذي اجتاح البساتين والحدائق والشجر ، محايطه من الغرب والجنوب والشرق ببساتين غناء مشجرة وخاصة من الغرب من الجبل ، وتسمى منطقة النرب وهي التي احتلها الآن حي أبو رمانة وغربي أبو رمانة والمالكي وغربي المالكي . هذه الاحياء الجديدة الحديثة كانت في أيام الماضي مزروعة بأحسن انواع الفاكهة . وكانت دافئة بالنسبة لاراضي غوطة دمشق ، ومحصولها يأتي باكرا قبل نضوج محصول الغوطة بخمسة عشر يوما . وكنا نصدر المشمش بأنواعه والجائرك والخوخ من محصول تلك المنطقة حتى يأتي محصول منطقة دمشق المعروفة ببساتين الشرقية والجنوبية وتسمى بساتين الشاغور والميدان وكفر سوسة ، ثم يأتي بعدها محصول منطقة جنوب دمشق وهي التي تسمى الغوطة الجنوبية . ونعاود التعبئة والتصدير بعدئذ من انتاج الغوطة الكبرى الحالية التي اشتهرت بأصناف متعددة من أنواع المشمش بدءاً من النوع الوزري فالتدمري فالعجمي ، وكان يصدر الى فلسطين ولبنان والاردن بصناديق خشبية والى الاسكندرية ضمن اقفاص تأتي فوارغها من مدينة بور سعيد لتعاد معبأة بفاكهة الشام .

اصناف العنب

وكانت دمشق مشهورة بانتاج العنب والزبيب وتصدر العديد من أصناف العنب الى البلدان المجاورة وحتى الى مصر . وكانت (داريا) التي تقع على مسافة سبعة كيلو مترات من دمشق تنتج الاصناف المعتازة من العنب الزيني والحلواني والبلدي للتصدير والاستهلاك المحلي . وكان النوع البلدي منه يصدر الى لبنان بواسطة القطار حيث ترسل عبواته الى محطة البرامكة عصراً ويوضع بالعربات ليسافر ليلا الى بيروت فيصلها في الصباح الباكر ليأخذ طريقه الى أسواق الخضار والفاكهة فيها . واما التصدير الى فلسطين فكان عن طريق القطار أيضا من دمشق الى حيفا ماراً بدمعا فوادي خالد فالحمه فحيفا .

وعندما شاع استعمال السيارات الشاحنة ، أصبح النقل بالسيارة ، وتحول الشحن الى السيارة حيث أنها تأخذ العنب والفاكهة المختلفة من المزرعة مباشرة عدا الكميات المخصصة للاسكندرية فانها تشحن عن طريق بيروت بواسطة القطار . حيث تنقل راسا للباخرة التي تبحر الى الاسكندرية ليلا فتصلها صباحا وتفرغ حمولتها لتأخذ طريقها الى السوق فوراً وكانت هناك شركات بحرية اذكر منها شركة ماساجيري ماريتم التي تعني بخط الاسكندرية بيروت البحري .

ولكن قرية داريا التي كانت تنتج احسن اصناف العنب أصبحت الآن حياً من احياء دمشق إذ تحول أكثر البساتين فيها الى عمارات سكنية و احياء حديثة ، والاصناف المتعددة من العنب التي كانت تنتجها داريا هي الآن آخذة طريقها الى الانقراض ، وهذا امر مؤسف ، في حين بدأ زرع العنب في البقاع وأصبحنا نستورده ونصدره الى القاهرة ، غير أن زراعة العنب في مناطق حوران وجبل العرب تمكننا الآن من استعادة النهضة في هذا المجال .

العنب والزبيب الدريلي :

وهناك أنواع أخرى من العنب منها العنب الدريلي الذي يصنع منه الزبيب المعروف بالدريلي وأكثر انتاجه كان يصدر الى مصر . وقد انقرض الآن مع شديد الاسف إذ كان يزرع قسم منه في أراضي دوما والقسم الاكبر وهو الجيد في أراضي الرحيبة وجيرود . وهناك العنب الاحمر المعروف بالدوماني وهو من انتاج أراضي قضاء دوما على بعد ١٠ - ١٥ كيلو متر عن دمشق وقليل منه من أراضي حرستا الواقعة قبل دوما وهو لا يصلح للتصدير لانه سريع العطب فكان ما يزيد عن استهلاكه محليا يصنع منه الزبيب الاحمر وكميات كبيرة منه تصدر لفرنسا لصناعة الخمور والباقي تصنع منه مادة الدبس وبعضه تصنع منه الخمور في سورية .

العنب الجبلي :

وكان هناك انواع متعددة من العنب تفرس في الاراضي البعلية منها ما يصلح للدبس ، ومنها ما يصلح للأكل والاستهلاك المحلي ومنها للزبيب وصناعة الخمر المحلية او التصدير .

أما الآن فقد صرنا نستورد العنب والفاكهة بكميات غير قليلة من لبنان بعد أن كنا نصدر إلى لبنان كل حاجياته من خضار وفاكهة والبان وأجبان وبيض .

العنب في حوران والنجبل :

وقد لوحظ مؤخرا تطبيق الزراعة الحديثة الخاصة بالعنب بواسطة العرائش وفق الاسس الفنية الزراعية في منطقة محافظة حوران التي صارت تعطي مردودا كبيرا ساهمت بتوسيع نطاقها في جميع اراضي المحافظة .

كما ان زراعة العنب انتشرت بشكل كبير في جبل العرب محافظة السويداء وتنتج عدة اصناف ولكنها ينقصها التعبئة الفنية عند القطف والتسويق .

تفاح الزبداني والوادي والتفاح الاميركي

كان تفاح الزبداني ووادي بردى الذي يضم قرى (دير قانون ودير مقرون والحسينية ...) صغير الحجم للذيد الطعم ، كما ان هذا النوع من التفاح يزرع على جوانب الكروم في قرىتي داريا والكسوة ، وكان ما يفيض منه عن الاستهلاك المحلي يصدر الى لبنان . وهو ذو انواع متعددة منه السكري والسكرجي وقد اشتهرت بهما بساكني الزبداني والوادي وهناك انواع السكري النقي والفاطمي ومتها التلي ، وهذان الصنفان يأتي انتاجهما متأخرا أي ينضجان في الخريف ، وهالك تفاح حامض الطعم كان يصدر الى فلسطين ويستهلكه اليهود للطبخ .

وفي الفترة الممتدة بين / ١٩٣٣ و ١٩٤٠ / انتشرت زراعة التفاح في مناطق جبال طرابلس وقد اضيفت عليها في الزرع اصناف جديدة غير تجارية .

وفي عام / ١٩٤٠ / اشترى رجل أعمال ومتمهد كبير اسمه « ريشار عبد النور » خمسة عشر دونماً من الارض في منطقة المديرج في لبنان على طريق بيروت شتورا - دمشق وذلك لأجل أعمال تعهداته الكبيرة . وقد استغل الارض فزرع تفاحا من نوع الستاركن والكولدن استورده من اميركا وعلى مساحة عشرة دونمات من الارض ولأول مرة في لبنان ، وكان من قبل يزرع في اميركا فقط .

وفي عام / ١٩٤٩ / بدأ انتاج ما زرعه هذا الرجل فبلغ ضمان محصوله

/١٤٠/ الف ليرة لبنانية فقد كان سعر الكيلو الواحد منه يومئذ /٢٥/ قرشا لبنانيا . ولم تتدخل الدولة بتحديد الاسعار وكان هذا الصنف يصدر اكثره الى مصر . والمعروف ان سعر دونم الارض في تلك المنطقة كان لا يتجاوز الالف ليرة لبنانية ، وهذا ما حمل التاجر والطبيب والمحامي والصيدلي وجميع القطاعات على الاتجاه الى زراعة التفاح في مختلف المناطق اللبنانية مستعينين بالنظريات الزراعية الحديثة مع ان اكلاف تسوية هذه الاراضي تفوق اثمانها .

وفي عام / ١٩٦٠ / وصل انتاج التفاح في لبنان الى / ١٢ / مليون صندوق تفاح اي ما يعادل / ٢٤٠ / الف طن وذلك بفضل العناية وتطبيق أحدث النظريات في عالم الزراعة والانتاج والتسويق ، وحرية البيع والتصدير ووجود مستلزمات الزراعة من جميع الآلات والادوية بالإضافة الى الخبراء المختصين بالتقليم والمكافحة . وكان من الطبيعي بعد ان بلغ الانتاج هذا القدر الكبير ان يؤثر ذلك على أسعاره في أسواقه الداخلية والخارجية تطبيقا للقاعدة التجارية المعروفة (قاعدة العرض والطلب) حيث نزل سعر الكيلو الى / ٥٠ / قرشا ثم تدنى الى / ٢٥ / قرشا لبنانيا اثر توقف مصر عن استيراد التفاح . وعلى اثر ذلك فكر المزارعون باقتلاع شجر التفاح والاستعاضة عنه بالعنب من النوع الحلواني القاسي ، غير ان هبوط أسعار التفاح شجع الناس على استهلاك المقادير الكبيرة منه ، وصار يباع عصيرا مما حمل الزارع على العدول عن فكرة اقتلاع أشجار التفاح ، وما زال التفاح يعطي حتى يومنا هذا (حين كتابة هذه السطور) انتاجا جيدا من الناحيتين المادية والزراعية .

التفاح وزراعته في سوريا

أما زراعة التفاح في القطر العربي السوري ، فقد كانت أبطأ مما كانت عليه في لبنان ، رغم وفرة الأراضي الواسعة والمرتفعات القابلة لزراعة عشرات الأنواع والأصناف وهي لا تقل جودة عن تربة أراضي لبنان التي نما فيها التفاح وازدهر . وقد قاربنا الآن الاكتفاء بالانتاج المحلي من التفاح لا سيما بعد أن تركت الدولة بيعه وتسعيره للعرض والطلب .

ولو ترك تسويق التفاح حرا لكانت زيادة الانتاج هي التي تفرض السعر هبوطا

سيرا على قاعدة المنافسة الحرة . ثم على الدولة قبل كل شيء تأمين حاجيات المواطن من المواد الضرورية كالسكر والأرز والخبز واللحوم والسمن بأقل الاسعار المعتدلة ، لأن هذه المواد هي التي تعطي الإنسان الحريرات الكافية كغذاء ضروري له ، قبل ان تلتفت الى حصر التفاح وتوزيعه .

تصدير التفاح والفواكه والخضار الى فلسطين

كانت سوريا في العقد الثاني والثالث وثلاثة ارباع العقد الرابع من هذا القرن تصدر يوميا الى فلسطين ما لا يقل وسطيًا عن / ٥٠ / الى / ٧٠ / طنا من الفاكهة والخضار حيث تباع منتجاتنا في أسواق حيفا والقدس ، كما كنا نصدر الى لبنان من / ٣٠ / الى / ٤٠ / طنا فضلا عن صادراتنا من المشمش والعنب والجاونك الى مصر ، ولم يكن لنا اسواق في السعودية ودول الخليج لانعدام المواصلات حينذاك بالاضافة الى ضعف القوة الشرائية في تلك البلاد حيث لم يكن البترول قد اكتشف فيها .

بداية التصدير الى السعودية

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية باشرنا بتصدير العنب والفاكهة والخضار الى جدة في المملكة العربية السعودية بواسطة الطائرات التي كانت تنقل الحجاج بي سوريا والحجاز إذ بدلا من عودتها فارغة عند انتهاء موسم الحج ورجوع الناس من مكة المكرمة ، تشحن عليها الخضار والفاكهة بكميات محدودة .

محصول القمح والبطاطا بالسعودية

وفي ٢٨/٢/١٩٨٥ لفت نظري ما قرأت في مجلة التجارة التي تصدر بالرياض عن الاتحاد العام للغرف التجارية والصناعية في المملكة العربية السعودية عن كميات المحصول الزراعي في السعودية لبعض الاصناف وأذكر منها ما يلي :

محصول القمح :

في عام ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م ١٣٠ ألف طن
وفي عام ١٤٠١ هـ - ١٩٨٢ م ٤١٢ ألف طن
وفي عام ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٥ م ١٣٠٠ ألف طن
وفي عام ١٩٨٩ م ٣٢٠٠ ألف طن

محصول البندورة :

في عام ١٢٩٨ هـ - ١٩٧٩ م ١٦٦ الف طن
وفي عام ١٢٩٩ هـ - ١٩٨٠ م ٢٢٢ الف طن

ومحصول البطاطا :

في عام ١٢٩٩ هـ - ١٩٨٠ م ٥٠٠٠ طن وبطبيعة الحال ازداد بعد ذلك كثيرا

ومحصول الكوسا :

في عام ١٢٩٩ هـ - ١٩٨٠ م ٢٣ الف طن
وفي عام ١٤٠٠ هـ - ١٩٨١ م ٣٦ الف طن
وفي عام ١٤٠١ هـ - ١٩٨٢ م ٤١ الف طن

وقبل ذلك كان استهلاك السعودية من الخضار والبطاطا والبصل تستورده من بور سعيد بواسطة . وقد أصبحت الآن تصدر البندورة والبطيخ بكميات كبيرة جدا وهذا ما يجعلني أقول ان علينا أن نزيد جهودنا المبذولة في نطاق الزراعة مستفيدين من المثاليين اللذين ذكرتهما عن زراعة التفاح في لبنان وانتاج المحاصيل الزراعية في السعودية .

اصناف وثمرات انقرضت

وخلاصة القول أن هناك أصنافا من الثمرات والزرع قد انقرضت كالقنب واليافه وبذاره المسمى الانبش (القنيز) والاجلجق ، وهو ثمرة لذيدة الطعم يشبه طعمها طعم الكرز أو الفريز ، وهذه الثمرة كان يصنع منها المرملاذ ولها نواة كنواة الزيتون . كما انقرضت ثمرة الزعوب وهو وردي الشكل ثمرته مستديرة ذات نواة تشبه حبات البن قبل تحميصها ، وشجرتها تشبه شجرة الجانرك ، اما شجرة الاجلجق فتشبه شجرة التوت بطول ساقها وتفرع اغصانها .

وانقرض ايضا أو في طريق الانقراض التفاح القديم بجميع أنواعه السكري والفاطمي وأبو غيره والسكرارجي وغيره . وعلى طريق الانقراض المشمش البلدي الذي يصنع منه النقوع والمشمش الحموي والسندياني والعريبي وجميعها نضوجها مبكر والمشمش الشحمي الاحمر .

انقراس توت

وانني في سبيل المحافظة على ثمرة التوت من الانقراض فقد غرست عشر غرسات في مطلع عام / ١٩٨٥ / للمحافظة على هذه الثمرة من الانقراض الذي جرف غيرها من الثمار . وكانت هذه الشجرة تزرع اكثرها على حدود الارض ليبقى ثمرها خارج الحدود حتى يتمكن الاشخاص المارون من اكل التوت مجاناً .

وبهذه المناسبة أقول أن أكثر البساتين كان أصحابها يضعون جرنًا حجريًا واسعاً عند باب البستان ويضعون به كمية من جميع الثمار التي في البستان لتأكل المارة منه مجاناً . وكان يوجد في المهاجرين بستان تملكه عائلة الأيوبي واسمه بستان الجرن .

فالفرق كبير اذن بين عامي / ١٩٤٨ و ١٩٨٣ / فنحن لا ننكر زيادة الانتاج في سوريا وإن تكن هذه الزيادة ليست بالمستوى المطلوب وليست كزيادة الانتاج في السعودية ، ولذلك فهي غير كافية لأن الاستهلاك أكثر بكثير بسبب زيادة عدد السكان وارتفاع دخل الفرد حيث أصبح الناس يعتنون بطعامهم ولباسهم مما أدى الى الاعتماد على المواد المستوردة لان زيادة الانتاج غير مكافئة لزيادة عدد السكان، وانتشار الوعي الثقافي والغذائي والصحي .

وهذا ما سبب وجود السوق السوداء وادخال مواد غذائية كثيرة الى القطر بالاضافة الى مواد البناء .

اذن فهذا التطور الاجتماعي الذي نشر المساواة بين أبناء شعبنا من حيث العناية بالصحة العامة يجب أن يرافقه زيادة في الانتاج الزراعي والصناعي .

ازمة الخضار والفواكه

وبهذه المناسبة فان ازمة الخضار والفواكه التي نعانيها في هذه الايام ، ونشكو بسببها من فقدان هذه المواد خلال موسم الشتاء ، لو رجعنا الى اسبابها لوجدنا اننا ساهمنا مساهمة كبيرة في خلقها بسبب الهدر الذي استولى على حياتنا في الماكل والملبس والمشرب والسكن والمظاهر ، فقد أصيبت البلاد بتخمة المحلات الاستهلاكية وتحول الريف وكل قرية فيه ، الى مدينة عامرة بالابنية الحديثة

والحوانيت المخصصة للاستهلاك وليست للإنتاج مع الاسف ، وتحولت ابنية عواصم المحافظات الى اسواق بيع وشراء وحتى الطوابق العليا ، صارت مراكز استيراد وتسويق بمختلف الوسائل وخاصة بمواد الكهرباء والفيديو والكماليات للمباهاة .

سورية التي كانت ينبوع الخضار والفواكه ، ومصدرا من أكبر مصادر انتاج وتصدير هذه المواد الى لبنان والاردن وفلسطين ومصر ، أصبحت تشكو من فقدها .

ليس من العار ان نرى أزمة خضار وفاكهة في بلد الخضار والفاكهة ، ومن المؤلم ان يتزاحم المواطنون بالعشرات والمئات على ابواب صالات البيع للحصول على هذه المواد في حالة لا تطاق بين دفش ورفس . . . ونعر ، وينتظرون دورهم لشراء كيلو بندورة أو كيلو كوسا ، أو كيلو برتقال . . . ؟ وقد يصادف ان تنفذ الكميات الموجودة عندما يصل الدور الى من قضى ساعة أو اكثر بالانتظار ، فينصرف بدون ان يحصل حتى على خفي حين ليعود في اليوم التالي .

ولو رجعنا الى التاريخ ، لوجدنا ان دمشق بالذات ارسلت الاغراس الى اسبانيا إبان الفتح الاسلامي ، أجل لقد ارسلت اغراس الزيتون والمشمش والبرتقال والكباد والنارنج الذي هو الآن في طريق الانقراض عندنا ، وكان كل ذلك يرسل بالمرائب الشراعية بحراً حين كان عدد سكان سورية آنذاك كبيراً جداً ، مع الاكتفاء الذاتي في الماكل والملبس ، وتصدير الفائض .

أما الآن فقد أصبحت سوريا مع الاسف تستورد الحبوب والاعلاف واللحوم والسمن والاجبان والسكر والفاكهة والخضار بجميع أنواعها ، وهي التي كانت تموّن لبنان وفلسطين والعراق والحجاز بها الى وقت قريب .

وانني اذكر ، وقد يتذكر معي بعض الاخوة الزملاء ، اننا كنا منذ انتهاء الحرب العالمية الاولى والى وقت قريب نصدر العنب والخوخ والكمثرى والتفاح والمشمش الى لبنان وفلسطين بما يعادل ست عربات سكة حديد يومياً ، ونصدر الى الاسكندرية بالبواخر ، وبعد استخدام السيارة للنقل ، صرنا نصدر لفلسطين من ١٠ - ١٢ سيارة يومياً ، ومن ٦ - ٨ سيارات فاكهة وخضار الى لبنان .

فهل يجوز الآن لسوريا التي تبلغ مساحتها / ١٨١ر٠٠٠ / كيلو متر مربع ، ان تستورد التفاح والكمثرى والعنب وحتى البصل والبطاطا ، من لبنان وتركيا وقبرس ؟ هذا ما لا يصدقه عقل ، ولا يقبله منطق سليم .

هناك حاجز ضد زيادة الانتاج ، اننا نطالب بتشكيل لجنة ترشيد للوصول الى كسر هذا الحاجز لانه من المستحيل ان يزيد الانتاج بدون كسر الحواجز وتخطيها، ولا يجوز لسوريا البلد الزراعي الخير ، ان تعيش على استيراد المواد التي كانت تصدرها من خضار وفاكهة واجبان وسمن ولحوم وبيض .

قد نحتاج في فصل الشتاء الى استيراد بعض المواد من الجارة الاردن ، كالكوسا والبندورة والبادنجان ، بسبب طبيعة طقس الأغرار الحار ، وذلك خلال مدة لا تزيد على شهرين الى ثلاثة أشهر .

إننا نطالب بتطبيق وتنفيذ ما جاء في خطاب رئيس جمهوريتنا الرئيس حافظ الأسد الذي ألقاه بتاريخ ١٣/٣/١٩٨٥ في مجلس الشعب ، بمناسبة تجديد رئاسته الثالثة والذي جاء فيه :

« سنعمل على تنمية القطاع العام وتشجيع القطاع المشترك وسوف نشجع القطاع الخاص ونساعد في تحويل اهتمامه نحو الانتاج .

سنعمل بكل ما نستطيع في المرحلة المقبلة للتوسع في التنمية اقتصاديا واجتماعيا، زراعيًا وصناعيًا وثقافيًا ، وعلى مستوى حس المسؤولية الذي نملك يتوقف الكثير من امكان نجاح خططنا بهذا الشأن .

إن حس المسؤولية يجب ان يتجلى في سلوكنا اليومي وممارستنا اليومية ، أينما كان موقعنا ، وأياً كانت أعمالنا فجميع العاملين في أي من الوزارات والمؤسسات والمعامل والمدارس ، يجب ان يشعروا بمسؤوليتهم مجتمعين ومنفردين عن ابقاء النور مضاء عندما لا تدعو ضرورة العمل الى ذلك ، وان يبادر كل منهم بالتالي الى اطفاء هذا النور توفيراً للكهرباء . ويجب ان يشعروا بمسؤوليتهم عند ابقاء صنوبر الماء مفتوحاً وتسييل المياه دون ان تكون حاجة لذلك ، وان يبادر كل منهم لاجلاق الحنفيه او اصلاحها اذا كانت معطلة .

يجب أن يشمروا بمسؤوليتهم عندما يرون باب مكتب مكسوراً ، جزئياً أو كلياً ، وأن يسارعوا إلى إصلاحه ، ولا يجوز أن يقول كل منهم ان هذا ليس من عملي بل من عمل الآخرين . وإلا ستبقى الأزمة آخذةً بازدياد والاختناق .

واضيف أنا : لله در من قال : ويل لامة تاكل مما لا تزرع ، وتلبس مما لا تصنع .

زراعة الجوز

زراعة الجوز في سورية قديمة جداً ، وأكثرها في دمشق ، وهو لا يزرع في بقية المحافظات إلا بنسبة ضئيلة لا تتجاوز الواحد في المئة . والجوز يستعمل في الأكل كغيره من أنواع النقل كالفستق واللوز وغيرهما ، كما يدخل في صناعة الحلويات . وهو لذيذ ودسم أكثر من الفستق وأرخص سعراً من الفستق . وكان أهالي بيروت يفضلونه في الحلويات على الفستق واللوز . كما أنه يستعمل في المكدوس .

ولتفسير المكدوس أقول أن أهل سورية كانوا يأكلون الخضار في الصيف ، فإذا جاء الشتاء لم تعد هناك خضار وفواكه طازجة . ولذلك كان الناس يعمدون إلى حفظها بطرق مختلفة ووضعيها في غرفة موجودة في كل دار تسمى غرفة (المونة) أي المونة ، وهي مخزن للأغذية فيه الخوابي الكبيرة والوسطى والصغيرة المصنوعة من الفخار (أي من الطين الفخاري) . وهذه الخوابي معدة لحفظ الزيت والمدس والفول اليابس والحنطة والبرغل وغيرها ، كما كانت توضع فيها أنواع أخرى . فالبنندورة تعصر في موسمها ويغلى العصير على النار أو يجفف في حرارة الشمس ثم توضع في أوعية زجاجية (قنطريجات) لاستعمالها في الشتاء . والباذنجان والبامية يجففان ويحفظان . والكوسا يشرش أي يحفظ في الماء والملح إلى الشتاء . أما الفاصولية فتجفف حبوبها ، وكذلك الجوز يحفظ إلى حين استعماله في سائر الفصول . ولشرح المكدوس نقول أن الناس يسلقون الباذنجان في موسمهم بالماء الحار ، ثم بعد أن يصفى من الماء يفتح قلب كل باذنجان ويحشى بمزيج معيّن من الجوز المكسر والملح والثوم ، ثم يوضع الباذنجان المحشو . بعد أن يترك قليلاً ليحمض بعض الشيء . يوضع في الزيت ويؤكل طول العام ولا سيما في الصباح . وكان رب البيت بذلك

لا يفتح كيسه للصرف إلا في المواسم للثمن ، أما في الوقت الحاضر فهو ملزم بالصرف في كل يوم .

أعود الى الجوز فأقول أنه كان يصدر منه الى كل البلاد العربية إما بقشره وإما بعد نزع القشر عنه ، وكنا نصدر منه بقشره الى انكلترا وهولندا ومصر وباقي البلاد العربية . ومن الجدير بالذكر انه كان يزرع على جوانب الارض التي يملكها كل مزارع ولا يزرع في وسطها لأن ظل شجرة الجوز واسع وكبير وتأخذ شجرة الجوز مساحة كبيرة فزراعته على اطراف الارض من ناحية الطرقات تخفف أكثر من نصف ظله . ونظرا لفساد أسعار الجوز وغلاء أسعار خشبه فان زراعته مربحة . ذلك أن خشبه أغلى من كل الاخشاب إذ يستعمل في صناعة الاثاث وأسعار هذا الخشب تعادل خمسة أضعاف باقي الاخشاب . ومن الامور التي يجب التنويه بها أن شجرة الجوز تعمر أكثر من مئة وخمسين عاما ، كما أن جميع الاراضي تصلح له . ومن المؤسف أنه لما بدأ قانون الاصلاح الزراعي بالتطبيق (القانون ١٦١ لعام ١٩٥٨) أخذ كثير من الملاكين يقطعون أشجار الجوز خوفاً من الاستيلاء ورغبة في ثمنه لأن قيمة شجر الجوز الموجود في الارض أكبر من نصف قيمة الارض ، لذلك لم يبق من أشجار الجوز عند الملاكين إلا العدد القليل .

وأذكر هذه الحادثة فقد جاء إلى مزارع كبير يملك الاراضي في قرية زبددين في غوطة دمشق وكانت توجد على اطراف أراضيها أشجار جوز وقد وزعها على اولاده في حياته تهرباً من ضريبة التركات . وفي أحد الايام زار الاراضي فوجد أشجار الجوز في احدى قطع الاراضي وقد قطعت فغضب وجاء الى محلي وهو يفتي غضباً وقال لي انه قضى في زراعتها واستثمارها وصحبتها سبعين عاما فلما رأى اشجاره مقطوعة تساءل من سيزرعها ثانية ؟ وهل لم يكن على ولده أن يشاوره في امرها ؟ وكان هذا الابن الذي قطع الاشجار صيدلياً معروفاً .

وقد أحجم الناس عن زراعة الجوز بعد ذلك خشية من تأثيره على ملكية الارض المسموح باستبقائها للمالك الواحد . وكذلك لأن غرسة الجوز غالية وثمنها أكثر ثلاث مرات من ثمن غرسة المشمش والدراق ونتاجها يتأخر فلا تعطي إلا بعد خمس عشرة سنة من غرسها بينما شجرة المشمش تعطي الثمر بعد أربع سنوات أو خمس . ومع

هذا فان شجرة الجوز ضرورية بسبب الحاجة الشديدة الى ثمارها وارتفاع أسعار هذه الثمار ، ولأن هذا النقصان في انتاجها ترافق مع ازدياد استهلاك المادة وقد بلغ سعر الجوز الحب في عامنا هذا / ١٩٨٩ / ٧٥ ل.س ، والجوز القلب ٢٧. ليرة سورية . وسوف يزداد الطلب على الجوز في حين يتناقص الانتاج . وقد افاق المزارعون على هذه الحقيقة ولكن بدأت صعوبة الحصول على الاغراس ، ولذلك فزيادة العناية في المشاتل بهذه الاغراس ضرورية جدا .

أما نحن وكنا قد هيأنا أرضا لزراعتها بشجر الجوز عند صدور قانون الاصلاح الزراعي ، فقد أصررنا على اتمام زراعتها بالجوز غير آبهين بنتائج ذلك أي حتى ولو كان سيأخذها الاصلاح الزراعي . وقد تمت زراعتها وهي الآن تعطي ثمارها وتعد الآن ذات مردود عال ونموذجي بالنسبة الى سواها .

ولقد كانت سورية في عام ١٩٣٨ قد صدرت من الجوز الحب والقلب ما زنته ١٢٨. طن بينما انعدم تصديره في الوقت الحاضر لعدم وجود انتاج كاف حتى للاستهلاك المحلي ، فاستوردنا في عام ١٩٨١ كمية وزنها ٢٨٣١ طن من الجوز الحب و ٥٤٧ طن من الجوز القلب وهي تعادل أكثر من ١٥٠٠ طن من الجوز بقشره أي بلغ مجموع استيرادنا منه ٤٣٣٩ طن . وبذلك كنا نصدر فصرنا نستورد ! . ولعل هذا ما ينبه القائمين على الزراعة ! .

الفصل الرابع

قصة المشمش في سورية

أنواع المشمش الذي كان يُزرع في بساين دمشق وغوطتها الخضراء

بمناسبة انقراض انواع من المشمش أردت أن اسجل هنا وفي هذه العجالة أنواعه المختلفة التي كانت تنتج في بساين دمشق وغوطتها ، آخذاً بعين الاعتبار مواعيد نضجه وقطفه .

كان النوع الذي يبدأ بالنضج هو المشمش العربي ولونه غامق وحجم حبته من النوع المتوسط وبزرتة مرة ، وكان يقطف بين اليوم العشرين واليوم الخامس والعشرين من شهر أيار ، وكميته قليلة جداً . وكان يزرع في البساين المجاورة للمدينة . وباعتبار نزوله المبكر فإن أسعاره تكون عالية .

والنوع الثاني الذي ينضج بعد المشمش العربي هو المعروف باسم السندياني ولونه فاتح وحبته تشبه حبة المشمش الحموي وهي أكبر وأصغر من المشمش الوزري ، غير أنه ليس له طعم ، وهو قليل جدا وأوسع مزرعة لا تحوي منه أكثر من شجرتين أو ثلاث شجرات . وبزرتة حلوة وينضج في أواخر شهر أيار وأوائل شهر حزيران .

ثم يأتي المشمش الحموي ، وهو لذيذ المائل نظرا لحلاوته ونكهته الطيبة ، وباستطاعة الانسان أن يأكل منه ما زنته كيلو غرام دفعة واحدة . وهذا النوع لا يحتمل البقاء على الشجر أكثر من يوم واحد بعد نضجه لذلك فإن موسمه قصير لا يمتد أكثر من أربعة أيام ، وزراعته قليلة جدا . وهو يزرع في البساين القريبة من المدينة لأنه لا يتحمل التأخير ويجب أن يقطف ويستهلك بسرعة وذلك بسبب سرعة نضجه كما أسلفت . وفي المدة الاخيرة صار يزرع في القرى البعيدة مثل المليحا وجرمانا والحديثة وبالا بعد أن أصبحت المواصلات سهلة وميسرة بالنسبة للقرى المذكورة .

وكان المرحوم شكري القوتلي يفتخر بهذا النوع من المشمش لانه محصول

دمشق ولا يزرع في غيرها ، وكان يكلفني عند نضج المشمش الحموي أن أعيء أربعين أو خمسين صندوقاً منه يومياً لإرسالها هدايا إلى الملك عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية وإلى الملك فاروق ملك مصر وإلى رئيس وزراء العراق نوري السعيد ، وغيرهم ، وذلك خلال ثلاثة أيام . وكنت أعرف البساتين التي يوجد فيها هذا النوع ، وكان الصندوق يزن ستة كيلو غرامات ، وكانت الصناديق تؤخذ إلى مطار المزة بعد أن تعبأ تعبئة جيدة لتأخذ طريقها بواسطة الجو إلى الملوك والرؤساء العرب المرسله إليهم ، وكان رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه يفتخر بهذه الهدية .

وقد غرست في مزرعتنا (العدمل) كمية من أشجار المشمش الحموي في قطعة أرض ، ثم بعث هذه القطعة ولكن المشتري قلع تلك الأشجار ، وأنا الآن أجدد زراعة هذا الصنف الممتاز من مشمش بلادنا .

وبعدده يأتي **المشمش الوزري** . حجمه وسط بين الصغير والكبير . لونه غامق وبزرتة حلوة ، لذيد الطعم يتحمل السفر والنقل إلى مسافات بعيدة . وكان يزرع في المزارع الكبيرة والصغيرة على السواء . وكان يصدر إلى لبنان والمدن السورية وفلسطين بواسطة القطار ، كما كان يصدر إلى مصر عن طريق البحر من بيروت إلى الإسكندرية وتقوم بنقله باخرتان فرنسيتان هما شامبوليون وبروفيدانس ، وتقلع الواحدة منهما من ميناء بيروت مساء فتصل صباحاً إلى الإسكندرية حيث تنزل ويباع المشمش في الوقت المناسب دون أن يصاب بأي ضرر ، مثله في ذلك مثل المشمش الذي يباع في أسواق مدينة دمشق ، ينزل مساء فيباع صباحاً ، أي كان المشمش المقطوف من بساتين الفوطية يصل إلى المستهلك المصري والمستهلك السوري في وقت واحد .

ثم يأتي المشمش المعروف باسم **المشمش التدمري** وحجمه أكبر من حجم المشمش الوزري وبزرتة حلوة ويتحمل السفر والنقل أكثر من المشمش الوزري البار ذكره ، وله مواصفات الوزري ذاتها ، وكان يصدر بعد انتهاء موسم الوزري .

وبعدده **المشمش البلدي** ابن البلد المدلل . بزرتة حلوة وطعمه لذيد ونكهته

جيدة جدا ولا يوجد لظمه نظير في انواع المشمش جميعها في كل العالم ، غير انه لا يتحمل السفر والنقل . وهو اقوى من الوزري ، ويستعمل للمعقود اي يفل في القطر ويحفظ لاستهلاكه في فصل الشتاء ، كما تصنع منه مربيات تعبأ بعلب وتقدم هدايا في المناسبات المختلفة . كما كان يجفف ويصنع منه النقوع (مشمش مجفف) . وهذه التسمية نشأت من كونه ينقع في الماء مع السكر ويؤكل كما يؤكل (الخشاف) . وكان المشمش البلدي يزرع في المناطق البعيدة مثل الحتية وبالا ، والآن وبعد أن توسع الناس في زراعة الانواع الجديدة من المشمش مثل المشمش الفرنسي والمشمش الأمريكي و **الولسن** ، صار المشمش البلدي قليلا جدا . ومن الضروري أن تعني وزارة الزراعة بما بقي منه وتنشط زراعته حتى لا ينقرض .

ثم يأتي المشمش العجمي وهو ناصع البياض حبته كبيرة ويزرته حلوة وتفضل عن اللب بسهولة . طعمه سكري وحلاوته زائدة ، يتحمل السفر والنقل ، لذلك فهو يصدر الى البلاد المجاورة كأمثاله من الانواع التي تتحمل النقل ، إلا أن زراعته قليلة جدا لتأثره بالصقيع في بعض السنين . وهذا لا يعني أن الانواع الاخرى لا تتأثر بالصقيع فهو عندما يكون شديدا يقضي على موسم المشمش كله .

أنواع أخرى من المشمش

ويمكن أن نتحدث عن نوع آخر من انواع المشمش هو المشمش الشحمي الذي كان يزرع في غوطة دمشق ، وهذا المشمش لونه أصفر ومورّد وجبه مكورّة وحجمه متوسط ، وأكثر ما يستعمل للتجفيف بالنار والشمس ويعبأ للهدايا ، وكميته قليلة ، وفقدانه الآن وعدم العناية بزراعته خسارة كبيرة لانه كثير الحمل .

المشمش الكلابي

ثم نخط الرحال لنطيل الحديث عن المشمش الكلابي لانه اكثر الانواع رواجاً في الزراعة حيث تشغل أشجاره أكبر مساحة من الاراضي المزروعة بالمشمش . تربي شتلات المشمش الكلابي في مشاتل خاصة ثم تنقل الشتلات بعد عامين الى المزارع والبساتين لتغرس من جديد فتتمو وتعطي الثمر الكثير .

بزرة المشمش الكلابي مرة ، وأنواعه كثيرة تتجاوز الخمسة عشر نوعاً وذلك حسب اللون والحجم والطعم وكثرة العصير أو قوته وبحسب أوقات النضج . وهو يبدأ بالنضج في أوائل شهر حزيران ويستمر القطف وجني المحصول طول هذا الشهر . وشجره ينمو ويكبر أكثر من أشجار المشمش كلها ، لأن الأصناف التي ذكرناها تزرع بذرة في مشتل خاص كما ذكرنا آنفاً وبعد عامين يجري نقلها الى الأرض التي تعيش فيها بقية حياتها ، ويطعمها الفلاح بالنوع الذي يرغب فيه كالبلدي والحموي أو العجمي أو الوزري . وبعد قبول الفرسة الكلابية للطعم تقطع الفروع التي نمت كلها ويترك الطعم ليصبح هو الشجرة التي تربي ، وبذلك يتأخر نمو الشجرة الجديدة التي تنمو في الأصل على الفرسة الكلابية . وهذا ما يجعل الفلاحين يرغبون في زراعة المشمش الكلابي بوجه خاص لأنه لا يحتاج الى تطعيم ، وهذا يعني نمو الشجرة وكبر حجمها وسرعة الانتاج حيث يكسب الفلاح مدة نمو الطعم وتحوله الى شجرة على حساب فرسة المشمش الكلابي التي قطعت فروعها بعد نمو الطعم الجديد البلدي أو العجمي أو غيره مما ذكرنا . ومما يرغب المزارعين بالمشمش الكلابي كثرة أنواعه واختلاف أوقات ازهاره فاذا حصل صقيع خلال وقت الازهار فانه لا يصيب الأنواع كلها لأن بعضها لم يخرج زهره من اكمامه بعد ، وهذا فيه كسب بالنسبة للفلاح . والقرى التي كانت تزرع المشمش الكلابي بكثرة هي جرمانا وحتيتة جرش وبالا وبزينة ثم يتلوها بحسب الكميات والمساحات المزروعة جسرين والمحمدية وغيرها .

وكان أشهر المختصين في جمع المشمش الكلابي وعصره وتحويله الى قمر الدين أهالي معربا وزملكا ، وهناك أسواق تقام في المزارع في أحضان الفوطنة يجتمع فيها الضمّانة ، ولهذه الاسواق دلالون مختصون حيث ينادي الدلال على البستان الفلاني أو بستان بيت فلان وتبدأ المزادة العلنية بألف ليرة سورية مثلاً وتنتهي بثلاثة آلاف ليرة سورية أو أكثر حسب مساحة البستان وكثرة حملته فيبارك الحضور لمن وقع عليه المزاد وفاز بالبستان ، ويقوم هذا بدفع العربون (ونسميه في الشام رعبون) لصاحب البستان الأصلي وهي سلفة مقدارها من ١٠٪ الى ١٥٪ من قيمة الضمان الذي يدفع ما تبقى منه تدريجياً .

وكان من عاداتهم أنه اذا حصل صقيع قبل اليوم السادس من أيار وأحدث ضرراً

في بساتين الشمس المضمنة قبل هذا اليوم قدرت الاضرار الحاصلة بواسطة خبراء مختصين وخصم المبلغ الذي يقابل هذه الاضرار من أصل الضمان . أما اذا حدث الصقيع بعد السادس من ايار أو حصل ضرر بفعل قوة فاهرة كهبوب رياح قوية اقتلعت الاشجار وطرحت المحصول أو قسماً منه على الارض أو رافق الامطار المتأخرة بَرَد أثلج جزءاً من المحصول فالأمر يختلف من أشخاص الى أشخاص فبعض الملاكين كانوا يتساهلون مع الضمانة وينزلون لهم من قيمة الضمان وبعضهم الآخر كانوا يتشددون ولا ينزلون شيئاً ويستوفون المبلغ المتفق عليه كاملاً . وحتى يحصلوا على المبلغ المتفق عليه كاملاً كانوا يحجزون الشمس أو ما تبقى منه ويمنعون الضمان من قطافه والتصرف به حتى يؤدي المبالغ كلها وربما حجروا الدفوف والآلات التي كان يستعملها الضمان في صناعة القمر الدين .

ولتوضح الصورة في اذهان القراء أعود وأذكر القرى التي كانت تزرع أعدادا كثيرة من أشجار الشمس الكلابي وأذكر أسماء العائلات الدمشقية التي كانت تملك بساتين في تلك القرى فأقول تقع أكثر بساتين الشمس في المنطقة الوسطى من الفوطة الشرقية مثل قرية **جرمانا** وكبار ملاكيها آل البكري والعظمة والصواف ، **والمليحة** وكبار ملاكيها آل الدالاتي و**الحيتنة** و**بالا** وكبار أصحابها آل القوتلي وآل الدالاتي ، **ووزبين** وكبار ملاكيها بيت الهبل وبيت الحاجة وبيت العجلاني وفيها مزرعة للشيخ عبد العزيز الخاني ، **وبزينة** و**بيت نايم** و**وحوش الصالحية** و**حزرما** لعائلة العابد . والآن وبعد تطبيق الاصلاح الزراعي أصبح أكثر المنتفعين من أهالي التل وعربين وسقبا .

والضمانة ليس لهم عمل سوى الضمان فهي مصلحتهم ينتظرونها طوال العام حيث يقومون في كل موسم بنقل الأسرة كلها : الزوجة والاولاد الى مكان الضمان في البساتين لجني المحصول وجمعه وعصره ونقله الى السوق . والربح الذي يحصل عليه هؤلاء الضمانة انما هو مقابل جهودهم وجهود افراد أسرهم ، واذا خسر الضمانة تحمل تجار سوق الهال خسارتهم ، هؤلاء التجار الذين كانوا يحتضنون الضمانة ويمدونهم بالسلف أي العربون المدفوع عند الضمان .

إبدال أنواع جديدة بالشمش الكلابي

يتم في مزارع آل الشلاح

في عام ١٩٤٥ أرسلت الأمم المتحدة الى سوريا خبيرا زراعيًا اسمه (بيكت) وهو أميركي الجنسية ، وكان المرحوم شكري القوتلي في ذلك الوقت يملك أرضا في بالا وانتقل مرض الشمش الى مزارعه ، فاستدعي الخبير الى القصر الجمهوري في المهاجرين واستدعي معه كاتب هذه الاسطر كما استدعي المزارع احسان بك القوتلي ابن عم الرئيس شكري القوتلي وموظف في مديرية الزراعة هو السيد عادل الفحل وطلب منا جميعا ايجاد حلول لاستبدال أنواع أخرى بالشمش الكلابي الذي كثرت أمراضه . وتشكلت هذه اللجنة بقرار رسمي صدر عن وزارة الزراعة وانتهت اللجنة الى وضع قرار أهم ما جاء فيه : زيارة مزارع الفوطة ومراقبة أصناف الشمش الكلابي عند الزهر ثم عند العقد (تحول الأزهار الى ثمار) ثم عند النضج وتحليلها عند النضج للتأكد من أن أضرارها لم تصبها لا في وقت الزهر ولا في وقت العقد وللتأكد من كونها ذات برة غير عالقة وأن تكون بزرتها صغيرة الحجم وأن تكون الثمرة قليلة الألياف كثيرة العصير وتحمل البقاء على الشجرة أطول مدة ممكنة بعد النضج ليتم قطفها باليد قبل أن تسقط على الأرض .

كل ذلك لنصل في النهاية الى تحديد نوع جيد تتوفر فيه الصفات المار ذكرها ليصار الى تكثيره وتعميم زراعته في الفوطة كلها وهذا ما جاء في مقررات اللجنة الاولى كما أوصت اللجنة أن يزور وفد رسمي البلاد المنتجة للشمش وهي أميركا واسبانيا وفرنسا وايطاليا والهند وتركيا لمعرفة أفضل أنواع الشمش ومعرفة الطرق التي يصنع بها الشمش لدى هذه الدول .

ونتيجة لجهود اللجنة المشكلة أمكن التعرف على بعض أنواع جيدة من الشمش في قرى الفوطة حيث كانت اللجنة تلاحظ الأشجار المرقمة من قبلها والموجودة في قرى الفوطة ، تلاحظها عند الإزهار وعند النضج وتلاحظ مدى تأثرها بموجات الصقيع ، وقامت اللجنة بالتحليل عند نضج الثمار لتتعرف

على كمية السكر وكثرة الالياف أو قلتها ثم وقفت اعمال اللجنة عند هذا الحد .
أما نحن فلم ننتظر نتائج اعمال اللجنة الحكومية فعندما تخرج ابني الدكتور
رانب عام ١٩٦٠ من جامعة بركلي قرب سان فرنسيسكو في الولايات المتحدة الاميركية
توجهت الى تلك البلاد لحضور حفلة تخرجه وكان هناك ابني الدكتور سليم
الصلاح وابن عمه الدكتور موفق الصلاح اللذان تخرجا عام / ١٩٦٥ / . وقد
زرت عدة مزارع ومشاغل ومصانع وفي اكثر من ولاية من الولايات المتحدة الاميركية
وأهمها ولاية كاليفورنيا المشهورة بزراعة انواع الفواكه كلها لا على مستوى
الولايات المتحدة فقط وإنما على مستوى العالم ومن بين فواكه كاليفورنيا
المشمش . فلاحظت أنواعه الموجودة في تلك الولاية وتعرفت على نوعين يناسبهما
المناخ السوري ويوافقان المواصفات المطلوبة بالنسبة لمزارعنا ومستهلكينا في سوريا
والعالم العربي . النوع الاول اسمه « نيلتون » والنوع الثاني اسمه « بلانهايم » ومن
خصائصهما أن ثمرهما كبير الحجم ولونه أصفر على أحمر وتنفصل بزرتهمما عن
الثمرة بسهولة وحملهما كثير ولا يتأثران بالصقيع إلا نادراً ، فأحضرت أغراسا مطعمة
من النوعين نقلتها على متن الطائرة التي عادت بي الى رحاب الوطن الحبيب .

ولا بد لي هنا من تسجيل ما لاقيناه من الصعوبات حتى تمكنا من
ادخال الاغراس الى القطر ، فبعد وصول الاغراس وانزالها من الطائرة طلبت ادارة
الجمارك اجازة استيراد لكي تسمح هذه الادارة بدخولها تقدمنا بطب
الى وزارة الزراعة وأحيل طلبنا الى موظف كبير في تلك الوزارة اجاب على طلبنا
بالرفض وعدم السماح بدخول الاغراس وحجته في ذلك أن الاغراس غير مرفقة
بشهادة زراعية من بلد المنشأ فحاولنا اقناعه وقلنا له ان الاغراس لا يمكن
أن تمش حتى تصل شهادة زراعية من كاليفورنيا وسيمر شهر على الأقل حتى تصل
هذه الشهادة أضف الى ذلك أن موعد زراعة الاغراس سيمر ولن نتمكن من
غرسها والاستفادة منها . ولم يغير الموظف الكبير موقفه وذهبت جيودنا المبدولة
لديه ادراج الرياح فاضطررنا الى اللجوء الى السيد وزير الزراعة آنذاك الأمير
حسن الاطرش الذي اقتنع بوجهة نظرنا وأوعز الى الموظف الكبير في وزارته بأن

يعطينا اجازة ادخال الاغراس فأدخلنا الاغراس وزرعناها في مزرعتنا بالعدمل وبعد عامين بدأ الانتاج واعطت الاغراس ثمرا جيدا وفير الكمية كما توقعنا ، فقمنا بتطعيم مشتل كبير حاوٍ على أعداد كبيرة من أغراس المشمش الكلابي طعمناه بطعموم مأخوذة من النوعين الجديدين وحتى أخبر الناس وأشرح لهم الخصائص والميزات الجيدة للنوعين الجديدين سعدت المنبر بعد صلاة الجمعة في مسجد لالا باشا الكائن في سوق الهال وكان غاصاً بالمصلين ، وتحدثت عن خصائص النوعين ثم طلبت ممن يريد أن يتعرف على هذه الخصائص أن يذهب الى مزرعتنا بالعدمل ووضعت أمام المسجد سيارة جاهزة لنقل من يرغب في التعرف على المشمش الجديد لاستبدال المشمش الكلابي به فلم يلب الدعوة إلا شخصان . ومضى عامان وبدأ هذا النوع الجديد من المشمش بالانتشار في مزارع الفوطة ، والآن يشغل أكبر مساحة من الارض التي كانت مزروعة قبلا بالمشمش الكلابي .

وأذكر هنا حادثة جرت لنا بالنسبة لهذا المشمش الجديد الذي حل ضيفا معززا مكرما في مزارعنا ومزارع الفوطة كلها بعد أن نقلنا أغراسه من أرض كولومبس من العالم الجديد ، من أميركا . ففي عام ١٩٨٥ كان محصول المشمش وفيرا جدا ونزلت أسعاره الى مائة وخمسين قرشا سوريا للكيلو غرام وكانت كلفة القطاف والتحميل وفرق الفارغة مائة قرش سوري على أقل تعديل ، لذلك فلم يبق من قيمة الكيلو غرام سوى خمسين قرشا . الامر الذي جعلنا نحوله الى (نقوع) أي الى مشمش مجفف ، فحصلنا على كيلو غرام نقوع من كل أربعة كيلو غرامات من المشمش ، وكلفة القطاف والنقل وفرق الصندوق واحدة ولا تزيد هذه الكلفة عند تحويل المشمش الى نقوع فن خمسين قرشا سوريا لكل كيلو غرام من المشمش ، وعلى ذلك تصبح كلفة كيلو النقوع الممتاز ست ليرات سورية أي قيمة أربعة كيلو غرامات مشمش ، ويضاف اليها ليرتان فرق الكلفة فيصبح كيلو النقوع بكلفة اجمالية قدرها ثمان ليرات . غير أننا بعنا هذا الكيلو غرام من النقوع بسعر تراوح بين خمس عشرة ليرة وثلاثين ليرة ! وكل هذا بفضل الخصائص الجيدة للمشمش الجديد من نوعي نيلتون وبلانهايم المجلوبين من العالم الجديد .

وبالامكان أيضا تحويل هذا المشمش الى قمر الدين فيعطي كميات جيدة

ايضا نظرا الى كبر حجم حبه وكثرة العصير فيه . والفرق بين هذا النوع وبين المشمش الكلابي كبير جدا ويكفي انه لا يسقط على الارض عند نضجه وتبقى حباته قوية وقاسية فيمكن قطفه على مهل ونقله للعصير وبذلك نضمن نظافة القمر الدين .

واذا لم تتدخل الدولة لتمنع زراعة المشمش الكلابي إلا بعد تطعيمه من هذين النوعين الجديدين فان صناعة القمر الدين تبقى على ما هي عليه من الرداءة وعدم النظافة ، ولن نجد له اسواقا لأن الاقطار المستوردة ستضطر الى رفضه .

الفصل الخامس صناعة القمر الدين وجُهود آل الشالّاح في تطوير هذه الصناعة

أما فيما يتعلق بصناعة القمر الدين فالشمس الكلابي كما ذكرت له انواع كثيرة تربو على خمسة عشر نوعاً . وكثير من الاشجار تكون ثمارها غير ناضجة في المساء وفي الصباح يتساقط الثمر على الارض بكثرة وهو على درجة من النضج لا يمكن معها نقله الى مكان بعيد ، الامر الذي جعل المزارعين يفكرون بتصنيع الشمس في حدود الارض التي تنتجها أي ضمن البساتين . وهكذا ظهرت الى حيز الوجود صناعة القمر الدين تلبية لهذه الظاهرة من ظواهر زراعة الشمس الكلابي، والحاجة ام الاختراع كما يقولون . ويمكن إجمال المراحل التي يمر بها الشمس حتى يتحول الى قمر الدين حسب الطريقة البدائية بالخطوات التالية :

يقوم صاحب الصناعة ببناء محل من لبن وطين يسمى مصطبة لجمع الشمس بعد جنيته ، وترتفع المصطبة ثلاثين سنتيمتراً عن سطح الارض وعلى حافات المصطبة حواجز بارتفاع نصف متر ، وتمد أرض المصطبة بالزرقة التي كانت تستعمل في مد الارض قبل وجود الاسمنت والبلاط . وتبنى الى جانب المصطبة حيث يكوم الشمس الناضج كما ذكرت حواجز بارتفاع متر وربع المتر يوضع فوقها الفربال ، وبين هذه الحواجز وتحت الفربال يوجد الحوض المسمى (التيفار) ويجتمع فيه عصير الشمس النازل من الفربال . . .

يجمع الشمس من الارض صباحا ومساء ويوضع على المصطبة ويزال عن الحبات ما يكون قد علق بها من تراب او طين حيث قد سقط الشمس على أرض مسقية مزروعة ببعض الخضار . وبعد اذان العشاء يأتي شخص اسمه المعاك فيقوم بنقل الشمس الى الفربال ويمعكه كما يمعك الثوب فينزل عصير الشمس من الفربال الى الحوض أي (التيفار) خاليا من البزر والثفل واكثر المعاك كانوا من اهالي منين لانهم اقوياء يستطيعون القيام بهذا العمل الشاق .

ومع طلوع الشمس تكون الدفوف مهياة إلى جانب الحوض (التيفار) ليمد عليها العصير . والدف مصنوع من خشب الحور الرومي يدهن بالزيت حتى لا يعلق عليه العصير (القمر الدين) بعد الجفاف ويكون الاولاد والنساء واقفين الى جانب (المداد) الذي يمد كيل عصير على كل لوح من ألواح الخشب ثم تنقل الألواح الى المكان المعد لها وهو (المسطاح) حيث تجف بتأثير حرارة الشمس . وبعد يومين من تعريض الألواح والعصير للشمس يجف العصير ويتحول الى قمر الدين . وفي الساعة الخامسة من مساء اليوم الثاني ينزع القمر الدين عن الدفوف (الألواح) ويطوى وينقل الى مقر العمال (الورشة) ومن الطبيعي انه كانت قديماً تعلق بالقمر الدين بعض الحشرات كالذباب والنمل والناموس وغيرها .

وبعد انتهاء موسم القطاف والجمع والعصير والتجفيف يجمع القمر الدين حيث تضم كل ثلاثة دفوف بعضها الى بعض ويوحد الوزن حيث يجعل وزن كل لفة (ربطة) رطلا واحداً أي كيلوين ونصف وستة غرامات (٢٥.٦) ، ويخزن القمر الدين في مستودعات خاصة بعضه فوق بعض حتى يقترب شهر رمضان المبارك فيخرج القمر الدين من مستودعانه ويباع في الأسواق وكان في الماضي يصدر قسم كبير منه الى مصر . هذه هي المراحل التي كانت تمر بها حبة المشمش حتى تصبح طيات (لقات) من القمر الدين فيستمتع بها الناس ولا سيما بعد عطش شديد كما هو الحال في شهر رمضان المبارك .

وفي عام ١٩٣٩ طلبنا آلات من ألمانيا لعصر البندورة بالإضافة الى آلات معمل الكونسروة الذي سيأتي ذكره في حلقة غير هذه الحلقة وكان بين تلك الآلات معصرة لعصر البندورة جربنا ان نعصر القمر الدين بواسطتها ولكن التجربة لم تنجح في البداية لأن البندورة طرية ولا تحتاج الى ضغط وأما المشمش فيحتاج الى ضغط حتى لا يبقى مع الثقل والبزر أي قطرة من قطرات العصير . فلما استعملناها في عصر المشمش صار بزر المشمش ينكسر أكثره تحت الضغط الشديد ويختلط عصيره المر بعصير المشمش ، وكان هناك شخص ماهر في الصناعة (ميكانيكي) اسمه أبو محمود يونس الجزائري ومحلّه أمام جامع المعلق وطاحونة الحلوانية في شارع الملك فيصل ، وكان لديه مخريطة . فدعوناّه ليحضر التجربة ، فحضر وفكر وقام بتغيير الاجزاء التي تهرس المشمش (وهي من الكاوتشوك) ، وبعد عدة تجارب واجراء تعديل على

السرعات بالنسبة للمحرك أصبح من الممكن عصر المشمش بهذه الآلة .

وهكذا أصبح المشمش يعصر بالآلة بدلا من عصره باليد وحصل ذلك في مزارعنا ومصانعنا فقط لأكثر من عشرة أعوام ثم انتقل الى أرباب مهنة صناعة القمر الدين تدريجياً وتطورت صناعة آلات العصر محليا وازداد الاقبال عليها حتى أصبحت على ما هي عليه الآن : أي معصرة بطابقين الطابق الاول يفصل البزر وثقوب مصفاته واسعة والثاني يفصل الثفل وثقوب مصفاته صغيرة ، وهكذا ينزل العصير خاليا من البزر والثفل .

وقبل نجاح هذه التجربة وتحويل العصر الى الآلة بدلا من الايدي كان المرحوم والذي قد اشترى عام ١٩٢٤ قطعة أرض في جرمانا مساحتها تسعة عشر فدانا أي ما يقارب (١١٤) دونماً من المرحوم مدحت البكري وفيها مشمش فاضطررنا لبناء المصطبة والحوض (التيفار) اللذين أتينا على ذكرهما سابقا ، ولكننا بيناهما من الاسمنت وغلفناهما (بالبورسلين) وبدأنا نغسل المشمش قبل عصره وكلفنا عاملات بتنقية المشمش من الشوائب أيضا . ولكن هذه التدابير لم تمنع التمل والحشرات الأخرى من التهافت على العصير الطري ففرق فيه وتجف معه ، أضف الى ذلك أن الدفوف بعد نقلها الى المكان المعد لتجفيف العصير (المسطح) كانت تتعرض للضار الذي كان يغطي القمر الدين بطبقة مقززة وهذا ما جعلنا نفكر برفع الدفوف عن الأرض بواسطة رفوف حديدية لتصبح بمعزل عن الحشرات التي تدب على الأرض وليخف تعرضها للآتربة المثارة بفعل الرياح .

ثم أدخلنا (القطر) بنسبة قليلة جدا وبهذه الطريقة تخلص القمر الدين من حشرة القاطوع التي كانت تحفر القمر الدين وتعيش بين طياته مخلقة آثارا تفرز النفس ، وخاصة اذا كان جسدها الميت المتفسخ هو أحد هذه الآتار . وقلدنا الناس في الخطوات التي كنا نخطوها في هذه الصناعة غير أن بعضهم أضاف القطر بكميات كبيرة على سبيل الفش لأن قيمة القطر أقل من قيمة المشمش فربح هؤلاء أرباحا طائلة ولكنها غير مشروعة في الوقت الذي حافظنا فيه على نسبة القطر المحدودة فتعرضنا لخسارة لأن وزارة الترموين سعرت المشمش دون أن تنظر الى

كمية القطن المضافة الى العصير واذا كان رمضان المبارك وهو موسم بيع القطن الدين لا يزال بعيدا تدهن طيات القطن الدين بالزيت لتحفظ من القاطوع الممار ذكره .

واما تعبئة القطن الدين وتهيئته للبيع فهي كما يلي :

تلف كل ثلاثة دقوف لفة او طية ويوحد الوزن كما ذكرت سابقا بحيث يكون وزن اللفة او الطية كيلوين ونصف وستة غرامات حتى يصبح الرطل (٢٥٠٦) غرامات ، وعندما الفني الوزن بالرطل واصبح الوزن بالكيلو ، وحدث ذلك أيام الانتداب الفرنسي على سورية صار وزن اللفة او الطية كيلوين ونصف اي (٢٥٠٠) غرام ثم نزل وزن اللفة الى كيلو غرام واحد ثم الى نصف كيلو غرام وربع كيلو غرام ، واصبحت تهيئته للبيع تكلف بقدر نصف قيمته ، ثمن ورق السلوفان و ثمن العلامة المسجلة (الماركة) واجور اليد العاملة .

وفي نهاية المطاف لا يسعني إلا ان افول ان الواجب الوطني يحتم علينا ان نستمر في تطوير صناعة القطن الدين كما يحتم علينا ان نبحث دائما عن انواع جديدة من المشمش حيث نحصل على كميات كبيرة من المحصول الجيد الذي يعطي كميات وفيرة من العصير الخالي من الثفل . فالقطن الدين سلعة لها اسواق في الوطن العربي والعالم ويمكن ان تعود على الدخل القومي لقطننا بالريح الوفير فسدد الله الخطا وأخذ بأيدي القائمين على تحسين اقتصادنا العربي ليصلوا الى كل ما هو مفيد .

هذا وقد حدث قبل أيام الوحدة مع مصر ان تطرق الرئيس عبد الناصر في احدي خطابه الى ضرورة منع عادات كانت سائدة عندهم في رمضان منها استعمال (النقل) أي المكسرات واصناف (الياشير) اي القطن الدين والنقوع وغيرها ، فبدأت السلطات المصرية تقوم بمضايقات لمنع دخولها بحجة أنها تحدل حشرات تؤثر على محصول القطن . وقد قال الرئيس عبد الناصر أنه بإمكان الشعب الاستغناء عن القطن الدين والاستعاضة عنه بالتمر هندي الذي يستورد من الهند . وقد قمنا بعمل تحليل في مصر للقطن الدين بواسطة موظف في الزراعة ونشرت خلاصة

التحليل في مجلة حواء المصرية في ذلك الحين ، وذلك لاثبات فائدته ونقااه ، ولكن القمر الدين ظل يمنع من دخول مصر حتى عام ١٩٦٩ ، ثم عادوا فسمحوا به حتى عام ١٩٧٦ ، ولكنهم بعد ذلك صاروا يمنعون جلبه من سورية مباشرة ، ولكن يذهب الى مصر عن طريق المسافرين المصريين في الخارج .

وأذكر وأنا أتحدث عن صناعة القمر الدين والنقوع انه كان لكل وزارة من وزارات الدولة ايام الانتداب مستشار فرنسي وهو الحاكم الفعلي القائم بتصريف الامور ، والوزير لم يكن إلا واجهة لتغطية تصرفات المستشار . كان مستشار وزارة الزراعة رجلا مسنا وقورا عاقلا طيب القلب اسمه (آشار) وقد تعرف على والدي وزاره في محله في خان الباشا مرات عديدة وأفهمه ان مادة الكبريت اذا استعملت في تبخير حبات المشمش أكسبتها لونا أصفر فاقعا ويكون لون القمر الدين او النقوع احمر فاتحا ، ولا يعود يتأثر بالشمس التي كانت تجعل لونه احمر غامقا ، وقال ذلك الرجل ان تبخير المشمش بالكبريت عملية بسيطة ولا تكلف الصانع كثيرا من المال . كما انه أحضر لنا صورا لآلة التبخير (كاتلوك) فاقنتع والسدي رحمسه الله بفكرة هذا الخبير وصنع مباخر شبيهة بالخزانة التي كانت تحفظ فيها الاطعمة ايام زمان (النملية) غير ان أبوابها مصنوعة من الاسلاك (منخل) يوضع المشمش في أقفاص داخل المبخرة مع أصابع الكبريت المشتعلة فيتخلل الدخان حبات المشمش في أقفاصها على الرفوف . . . عرضنا فكرة التبخير على الضمانة الذين كانوا يرتبطون بنا بحكم عملهم كما بينت في حديث سابق غير أنهم لم يرغبوا فيها بسبب كلفة المباخر والعمال الإضافيين فضلا عن نقل المباخر الى البساتين بعد دفع اثمانها . . . وهذا ما دعانا الى عمل (ورشة) تجريبية كبيرة على سطح وكالتنا في خان الباشا قامت بتبخير المشمش قبل عصره .

فنتج عندنا نوع جيد من القمر الدين والنقوع اقبل الناس على شرائه وطلبت منا كميات كبيرة على الرغم من أن أسعارنا كانت تزيد بمقدار ٢٠٪ عن أسعار القمر الدين والنقوع المنتج عند غيرنا بلا تبخير ، بينما لا تزيد كلفة اصنافنا عن ٨٠٪ من كلفة اصناف غيرنا مع وجود خطوة جديدة هي تبخير المشمش بالكبريت قبل العصر . . . ثم انتشرت هذه الخطوة بين أرباب المهنة عاما بعد

هام الى أن أصبحت جميع منتجات الشمس كالقمر الدين والنقوع تصنع من ثمار مبخرة بالكبريت .

وعندي صورة في هذا الشأن يظهر فيها المرحوم والدنا سليم السلاح وأولاده محمد وبدر الدين وأنور وهم يرتدون البسة العمل ومعهم بعض عمالهم الدائمين وهم يقومون بصنع القمر الدين من ثمار الشمس بعد غسلها وتنقيتها من الشوائب وتبخيرها بالكبريت . ومن العمال الظاهرين في الصورة : ضاهر الشنواني ابن شقيق سعيد الشنواني التاجر المشهور بخان الباشا في ذلك الحين ، وصالح الشنواني الذي أصبح هو الآخر تاجرا في سوق الهال .

الأمراض والآفات الزراعية التي كانت تصيب الشمس

أما الأمراض والآفات الزراعية التي كانت تصيب الشمس وغيره من المحاصيل الزراعية فهي كثيرة جدا ما يسمى بدودة البحر الابيض المتوسط وهي حشرة تعيش في التراب على وجه الأرض تبقى في مكمنها حتى تتكون ثمرة الشمس (القرعون) فتترك المكان الذي كانت تعيش فيه وتطير لتقع على ثمر الشمس (القرعون) وتفرز فيه وتنمو وتصبح حشرة تأكل البذرة قبل النضج ثم تعود ثانية الى الأرض . وكنا لا نعرف عن هذه الحشرة شيئا على الرغم من أن وزارة الزراعة كانت من الوزارات التي تشكلت منذ أمد بعيد . واذكر أنه كان في حكومتنا سبع وزارات فقط : الداخلية والعدلية والأشغال العامة والمعارف والصحة والزراعة والمالية ورئاسة مجلس الوزراء ، كان ذلك قبل أن تحدث وزارة اقتصاد ووزارة صناعة ووزارة عمل وغيرها من الوزارات حيث بلغ عدد الوزارات في هذا الوقت الذي أحرر فيه هذه الأسطر ستاً وثلاثين وزارة على رأس كل وزارة وزير مختص يشرف عليها ويصرف أمورها وينفذ ما جاء في خططها

ولنعد الآن بعد هذا الاستطراد القصير الى موضوع الحشرات وهو موضوع هذا البحث : فقد انتشرت الحشرات بكثرة في قرية بالا وانتقلت منها الى بساتين الحنطة والملحة وغيرها ، ولأجل مكافحة الحشرات والقضاء عليها أصدرت مديرية زراعة دمشق التي كان يرأسها آنذاك جواد العظمة قرارا يقضي بدفع ليرة سورية الى كل شخص يجمع كمية تنكة من الشمس الثقوب ويسلمها التي

المديرية لحرقها ، ولكن هذا الاجراء لم يات بالفائدة وفيه ضرر ولو بقي المشمش على الاشجار حتى ينضج وجثني عندها وحوال الى قمر الدين لكان الضرر اخف والخسارة قد لا تتعدى النصف لأن القمر الدين الناتج من النوع الرديء والبير يتلف منه ما يقارب الثلاثين بالمائة .

في هذه الفترة التي أتحدث عنها أي الفترة المحصورة بين عام ١٩٢٠ وعام ١٩٤٠ كانت علاقتنا بالضمانة وبمصلحة القمر الدين كبيرة جدا حيث كان والدنا المرحوم سليم الشلاح من أكبر تجار سوق الباشا أي قبل ان يبنى سوق الهال القديم الذي ألقي الآن وكان بناؤه أيام الانتداب الفرنسي على سورية ، كما كان والدنا رحمه الله من أكبر مصدري القمر الدين وباقي أصناف (الياميش) كالتنوع والجوز والزبيب واللوز وغيرها من المكسرات والمجففات وكانت تصدر الى مصر وفلسطين .

سوق الهال

بهذه المناسبة أقول ان تجارة الخضار والفواكه كانت من قبل منحصرة في خان الباشا الذي يجاوره من الغرب سوق الزيت والدبس ثم خان البطيخ (حيث كانت مدرسة الصناعة) . وفي عام ١٩٣٠ كان المندوب الفرنسي قد أبدل تسمية رئيس بلدية دمشق فجعلها (حاكم دمشق الإداري) وعين لها السيد واثق المؤيد العظم وكان أمين سره حيدر مردم بك . فلما جرى اقتراح بنقل تجارة الخضار الى سوق جديد يسمى بالهال على موجب التسمية الفرنسية ، اقترح حيدر مردم بك ان يكون موضعه في بستان عائذ لال مردم بك ووقف لالا باشا ، ولم يكن له مدخل إلا من ناحية خان البطيخ الذي يمر فيه شارع الثورة الآن . وقد تم ذلك واستملك البستان على أساس أن سعر القصبية (٢٤ مترا مربعا إلا ربع) اثنتا عشرة ليرة ذهبية ، ولكن حيدر بك استأنف قرار الاستملاك ، وكان والذي عضوا في اللجنة الاستثنائية رفعت السعر الى عشرين ليرة ذهبية للقصبية . ولكن الاوقاف اعترضت لأن عائذات الوقف لها ، ثم انتهى الاعتراض حين بنوا جامع لالا باشا في شارع بغداد لقاء المائدات الآتية من هذه الارض . وتم بناء سوق الهال القديم في مركز المدينة . وفي تلك الفترة أيضا تم بناء فندق أمية القديم في ساحة المرجة (الشهداء الآن) على زاوية البحصنة ، رغم وجود اشارة على الارض لتوسيع الشارع . وما يزال الفندق قائما .

الفصل السادس

أعمالنا الزراعية والصناعية والتجارية دروس وعبر

المعرض الأول وشركة الكونسروة

وفي تلك السنة نظم في دمشق معرض للصناعة والزراعة في الجامعة وعرض والدنا به النقوع والقمر الدين ، وكذلك كان اشترى طنجرة ضغط على البخار لحفظ الخضار التي تسمى بوقتنا (الكونسروة) وأخذ شهادات . ونشأت بعدها فكرة لتأسيس شركة مساهمة ، وبعد اجتماعات عقدت في دار والدي وبها صالون كبير يتسع لآكثر من خمسين شخصا تمت صياغة نظام الشركة ، والذي صاغه كان المحامي المرحوم نقولا نفس والمحامي كمال الخياط ، وطرحت الاسهم للبيع وكانت الأزمة في البلاد في منتهى الشدة والخسائر تتتابع على التجارة والزراعة حتى أصبح المخزن الذي كانت قيمته الف ليرة ذهبية لا يساوي مئتي ليرة ذهبية ، وقيمة فدان الارض في الفوطة الذي كانت قيمته ثلاثمائة ليرة ذهبية لا يساوي أكثر من ستين ليرة ذهبية ، وقد نشط أعضاء المجلس التأسيسي للشركة بالسفر الى جميع البلاد السورية لبيع الاسهم بعد القاء الخطب والدعايات ولكن ذلك لم يفظ سوى ١١٥٠٠ سهم من أصل ١٥٠٠٠ سهم وقيمة كل سهم ليرتان ذهبيتان ، بالإضافة الى صدور قرار حكومي لاشترك الموظفين بسهم وسهمين . وتم انتخاب أعضاء مجلس الإدارة وكان والدي أكثر الاعضاء أصواتا ومع ذلك تنازل عن الرئاسة الى السيد شكري بك القوتلي ، تقديرا واحتراما وشغل هو منصب الخازن .

وبدؤوا بتأسيس المعمل ، فحصل الخلاف بين والدي والسيد شكري القوتلي لأن والدي يريد الاقتصاد بالنفقات وان يقتصر البناء على الضروري ، وما كان أحد من الاعضاء يتفق مع والدي لأنه رحمه الله تعالى كان شديد الانفعال وينقصه الاسلوب

لعرض نظريته مع انه كان رأيه سديدا ونظرتة بعيدة . وحصل اختلاف بينهم على مشتري الارض للمعمل وانقسموا فريقين أحدهما يتزعمه والدي والآخر يتزعمه شكري بك الذي كان يستولي عليه بأسلوبه الناعم السيد سعيد افندي حمزة نقيب الاشراف ومراده شراء أرض للمعمل في أراضي عين ترما القريبة من دمشق . بينما والدي يرغب شراء الارض في شارع بغداد . واحتكموا الى دولة عطا بك الايوبي رحمه الله تعالى الذي شغل عدة مناصب حكومية ووزارية ورئاسة الوزارة ، وقد كان رأيه بجانب رأي والدي ، وتم شراء الارض في شارع بغداد بسعر القصبة ٥٠ ليرات ذهبية من زوجة ديب الشيخ المعروف بأبي عبده الشيخ والذي كان من الثوار البارزين في الثورة السورية ضد الافرنسيين . ولكثرة الاختلافات بين والدي والسيد شكري القوتلي استقال والذي وانسحب من المجلس وكان يملك مئتي سهم دفع من ثمنها قسط واحد هو مائتا ليرة عثمانية ، فباعها في المزاد العلني بنصف القيمة اي أنه خسر ما دفعه مقدماً . وتقلب على ادارة الشركة عدة مجالس ولا زالت قيمة السهم الواحد ليومنا هذا ما يقارب من رأسماله ، اي ليرتين عثمانيتين ذهبيتين بينما القوة الشرائية أصبحت لا تقل عن عشرة اضعاف . ومع ذلك اذا كانت قيمة السهم لا تزال برأسماله فان الفضل يعود لوجود الارض في شارع بغداد ، فقد أصبحت قيمة الارض وحدها تزيد على مئتي ضعف عن مشتراها ساعة كتابة هذه السطور ، ولولا وجود الارض وتحسينها لما كان السهم يساوي ربع رأسماله مع ان شركة الاسمنت تأسست في تلك الفترة وكان سعر السهم اربع ليرات ذهبية ولكنه تضاعف كثيرا قبل التأميم عدا عن الارباح السنوية الباهظة التي توزعها والتي تتراوح بين عشرة وخمسة عشر بالمائة .

العمل المتواصل والانضباط

واذكر اننا في تلك الفترة من العمل التجاري النشط ، كنا نبدأ بالعمل قبل شروق الشمس في بيع المحاصيل ، ونقضي النهار كله في اخراج الفواتير للفلاحين ونقل الدفاتر وجباية الديون وعمل الصوافي للمتعاملين ، ونكاد لا نجد وقتاً للطعام . ولم نعد الى تنظيم اوقاتنا إلا بعد زمن طويل ، عندما تحدث الينا شقيقنا رشاد عن مشاهداته في أوروبا حيث اتسم تحصيله ، وضرب لنا العديد من الامثلة عن تنظيم اوقات العمل والراحة وفرض الانضباط على كل شيء .

وعلى الأثر ، بدأت برمجة يوم العمل وتحديد مواعيد الطعام والراحة ، وعمدت الى ارتداء الحلة الفرنجية ، وفي الوقت نفسه تمسكت بعبادة الصدق والاستقامة في التعامل ، فازدهرت اعمالنا وربحنا السمعة الحسنة والثقة في الوسط التجاري ، وكان كبار التجار في سوق الهال يشركونني في مشاوراتهم واجتماعاتهم .

انتخبت مراقباً لشركة مساهمة

وفي عام ١٩٣٢ ، اتفقتنا على تأسيس شركة مساهمة لتصدير الفواكه والمجففات الى فلسطين وهدفها تجاوز العمل الفردي والمنافسة الضارة والخلاص من الفوضى ، بعد ان حلت الخسائر بالكثيرين نتيجة لغياب النظام ، وقد انتخبت مراقباً للشركة بصلاحيه تفوق صلاحية الرئيس ، واستمرت الشركة عاما كاملا تحققت فيه ارباح كبيرة ، ولو استمرت هذه الشركة لكانت من اكبر الشركات في القطر .

عسودة اخي انور من امريكا

وفي عام ١٩٣٣ عاد شقيقي انور من الولايات المتحدة الاميركية بعد ان حاز شهادة ماجستير بالكيمياء والتجارة ، وفوجيء بخروج والدنا من شركة الكونسروة ، حيث كان يأمل ان يشغل فيها منصبا يتفق مع اختصاصه ، واقتراح والدنا ان ننشئ معملا مستقلا للكونسروة على ان نبدأ بتجهيزات بسيطة ، بينما كان انور يفضل ان نحصل مبلغا كبيرا لهذا المشروع لشراء تجهيزات عصرية حديثة على مستوى التكنولوجيا الاميركية التي اطلع عليها وكان شديد الإعجاب بها خلال وجوده في الولايات المتحدة الاميركية للدراسة ، ولكن والدنا رفض المجازفة بمبلغ كبير قبل ان يضمن النتائج .

كانت الاموال في تلك الايام قليلة بأيدي الناس ، وكان اكبر تاجر لا يوجد لديه مبالغ نقدية تزيد عن الف ليرة ذهبية عثمانية ، وكان تاجر مال القبان لا يربح في كيس السكر الواحد اكثر من ربع ليرة سورية ، وبائع نصف الجملة في سوق البزورية يكتفي بربح الكيس الفارغ ، كما كان صندوق الشاي يربح فقط ثمن الصندوق الخشبي اي (الفارغة) .

كنت واخي شفيق نعمل سوية وشراكة في سوق الهال ، وكان اخي انور قد ابتدا بالعمل مع والدنا واخينا الاكبر محمد ، ثم انضم اليهما شقيقي رشاد لدنى عودته بعد

اتمام دراسته في فرنسا ، فنشأت خلافات من بين أسبابها أن أخي أنور طبع عنوانا باسم (سليم السلاح وأولاده) بدلا من سليم السلاح ، وذلك دون علم والدي وموافقته المسبقة ، اضافة الى الخلاف حول موضوع اساليب الصناعة الاميركية التي لم تكن مألوفة في وسطنا وعقليتنا .

الانطلاقة التجارية خلال الحرب الاسبانية

وفي عام ١٩٣٧ شبت الحرب الاهلية في اسبانيا التي كانت تصدر المشمش الى انكلترا ، فاضطرت الاخيرة الى البحث عن هذه المادة في سورية ، وكانت طلبياتها كبيرة ، فاقدمنا على ضمان محصول معظم البساتين من المشمش وأحدثنا أربعين ورشة مزودة بالعبوات والزيت وحيوانات الجر لجمع هذا المحصول ، وقد ضمت ورشة جرمانا أكثر من أربعمئة عاملة ، وزاد مجموع عمال الورشات على ثمانمئة عامل ، تم تزويدهم بسلاالم القطاف ودفوف التجفيف . ولقد صنعنا وانتجنا وصدرونا أكثر من شركة الكونسروة برأسمالها وامكانياتها الضخمة .

واشتد الطلب العالمي على المشمش المصنع ، فتابعنا في العام التالي تعهدات التصدير ، وصادف أن مواسم الزيتون في اسبانيا كانت ضئيلة ، وحصلت ثورة فرانكو في اسبانيا فاضطرت ايطاليا الى استيراد الزيت من سورية ، ففقدنا صفقات كبيرة لتصدير هذه المادة ، وكانت الاسواق الاميركية عطشى الى مادة زيت الزيتون التي كانت ايطاليا تستوردها للتصفية من الأسيدي ، في حين أن التوتر الدولي ينذر بالمزيد من الازمات ويقود العالم الى الحرب .

وما لبثت هذه الظروف الحرجة أن فجرت الحرب العالمية الثانية في ايلول عام ١٩٣٩ ، وكانت لدينا كميات من القمر الدين والجوز والنقوع معدة للتصدير الى أوروبا ومصر ، ولكن نشوب الحرب دفع السلطة الفرنسية الى اصدار قرار بمنع تصدير المواد الغذائية حذرا من فقدانها ، وبادرنا لبذل المساعي مع السلطة للافراج عن تصدير الاصناف المخزونة لدينا ولدى التجار والفلاحين ، ونجحنا في ذلك ، ونظرا لظروف الحرب كان من الصعب جدا ايجاد باخرة لنقل الكميات المعدة للتصدير بحرا ، ومرة أخرى تمكن والدي من تدليل هذه العقبة واتفق مع باخرة متجهة الى

الاسكندرية لنقل تلك الكميات على أن أرافقها بنفسى لتأمين تسليمها وتصفية حساباتها وتسوية علاقاتنا مع التجار المصريين حيث كانت لنا حسابات جارية تبلغ الف ليرة ذهبية نظرا لاحتمال انقطاع المواصلات بين سورية ومصر ، كما جرى بالحرب العالمية الاولى حيث انقطعت العلاقة مع مصر اربعة أعوام وبقيت الاموال حتى انتهت الحرب .

الرحلة الناجحة الى مصر

وهكذا سنحت لي الفرصة بالابتعاد عن جو خلافاتنا في العمل ، وكان فرحي شديدا بالسفر الى مصر حيث أستطيع أن أعمل بحرية كاملة بعيدا عن الشقاق والمتاعب، ولديّ رأسمالي الكافي الذي يتيح لي اشباع طموحي في ممارسة الاعمال والصفقات التجارية دون الرجوع الى أحد او الاصطدام بالأراء المتناقضة التي شلت حركتنا .

وفي الثالث عشر من ايلول عام ١٩٣٩ ، ركبت الباخرة التي تقل بضائعنا وبضائع قليلة لغيرنا الى الاسكندرية ، وصادفت العديد من المتاعب في تخليصها وتسويقها بأسعار جيدة ، كما توجهت الى بور سعيد حيث أتممت شحن بضائع لنا موجهة بالترانزيت الى هولندا وأرسلت بوالص الشحن الى دمشق ليقيضوا اعتماداتها .

قضيت في مصر ستة وخمسين يوما ، صفيت خلالها جميع المشكلات التجارية المتعلقة بأعمالنا ، وحولت جميع الاموال الى دمشق ، وكانت ارباح هذه الرحلة لا تقل عن ثمانمائة ليرة ذهبية ، الامر الذي اثار اعجاب والدي وتقديره .

فسخ الشراكة بين الأشقاء

من المؤسف أن ازدهار اعمالنا التجارية لم يخفف من خلافات الاشقاء التي كانت تتصاعد الى حد لا يسمح باستمرار اي شركة . وعلى الاثر قام اخونا أنور بجرد موجودات الشركة على أساس كنا نرى أنه مجحف بحقنا أنا وأخي شفيق . لقد كان من الواضح أنهم كانوا يريدون الاحتفاظ بمعمل الكونسروة والبضائع التابعة له بينما كان من الواضح أن حاصل الخشب والمخزن المتاخم له سيبقى لنا . اطلع والدي على قائمة الجرد التي وضعها شفيقي أنور ولم يقبل بها أبدا . وطلب الوالد منا عدم الموافقة عليها . لكنني خوفا من تفاقم الخلاف بين الاشقاء ومن السمعة السلبية

التي ستحقق بنا جميعا والدأ وأولاداً وأشقاء اذا ما ذاع نيا الخلافات بيننا ،
وحرصا على راحة السيد الوالد ذهبت الى أخي أنور ورقت له موافقتي على التقويم
الذي عملته دون تغيير أو تبديل رغم عدم موافقتنا على هذا التقويم ورغم معارضة
والدنا الشديدة له . ورغم ثورة والدي على توقيعي وموافقتي تمكنت من اقناعه
بان طي الخلاف والتفاهم على إنهاء الشركة حياً دون أن يسمع أحد بوقوع الخلاف
بيننا هو كرامة للوالد نفسه الذي قد يظن الناس بأنه غير قادر على توجيه أولاده
والتوفيق بينهم .

هكذا وبعد شراكة دامت خمسة أعوام عدنا أنا وأخي شفيق لنعمل سوية كما كنا
منذ عام ١٩٢٨ وباسم بدر الدين وشفيق السلاح ولا زلنا كذلك في عام ١٩٨٩
والحمد لله ، دون أي خلاف .

الأمال تشرق في الجزيرة

في تلك الفترة من الحرب العالمية الثانية برزت الجزيرة كمنطقة زراعية من
الدرجة الاولى واصبحت محط الانظار نتيجة لوضعها الممتاز في انتاج الحبوب التي
ارتفعت قيمتها خلال الحرب ارتفاعا كبيرا ، واتجه ارباب الاموال لشراء الاراضي في
الجزيرة للاستثمار الزراعي وكانت أسعارها زهيدة ، فطلب والدي منا ان نذهب
لشراء الاراضي ، فتوجهنا أولا الى دير الزور وقمنا باستطلاع الموقف ، وتبين لنا ان
المشائر العربية كانت واطعة اليد على معظم الاراضي المحاذية لنهر الفرات من الجانبين ،
والبعيدة عن النهر لا يمكن ارواؤها ومعظمها من املاك الدولة إلا من مياه الفرات ، ونصحا
المحافظ السيد توفيق شامية وقائد الادرك السيد عبد الغني القضماني بالاتجاه الى
القامشلي او الحسكة حيث يمكن شراء الاراضي دون مشاكل .

الرحلة الشاقة الى الحسكة

أذكر ان المواصلات بين دير الزور والحسكة كانت سيئة جدا ، وكان السائقون
يكسسون الركاب من بدو وحضر بعضهم فوق بعض ، وكانت روائح الابدان والالبسة
في الحر الشديد تبعث على الاغماء ، وقد استغرق السفر من دير الزور الى الحسكة
سبع ساعات ، رغم أن المسافة هي مائة وثمانون كيلو مترا ، ولكن الطريق غير معبدة
وازدحام الركاب في داخل السيارة حولها الى قفص خانق . وأذكر اننا اتفقنا مع

السائق قبل السفر على الانفراد بصدر السيارة لقاء زيادة الاجرة ، ولكنه نكث بالاتفاق وارغمنا على قبول أسرة بدوية ، وقد وصلنا الى الحسكة مع النفس الاخير ، واستلقيت على مقعد في أول دكان عرقسوسي وعلى رأسي مناشف مبللة لشدة الحر ، وبعد قليل استعدت الراحة في مقهى قائم على ضفاف الخابور .

بعد ان التقطت انفاسي اثر تلك الرحلة الشاقة ، تطلعت بامعان فيما حولي . كانت مدينة الحسكة خالية من اي بناء حديث او فندق ، وفيها مجموعة متناثرة من البيوت المبنية من الطين والخشب ، وعلمت ان جميع الاراضي الممتدة على ضفاف الخابور من الحسكة الى رأس العين أعطيت الى الآشوريين الذين هاجروا من العراق بعد اخماد ثورتهم هناك على يد المرحوم الملك غازي ، اما الاراضي الممتدة وراء الخابور فبعضها تحت تصرف العشائر العربية وبعضها الآخر ملك للدولة .

على ضفاف الخابور

في الليلة الاولى بالحسكة كان مبيتنا في (خان) بالمراء ، واستيقظت صباحا والتراب والرمال تملو وجهي ، وعندما التقيت مع قائد الدرك المرحوم احمد عزت (والد المرحوم الدكتور اسماعيل عزت الذي شغل منصب رئيس الجامعة) للاستفسار عن الاراضي نصحنا بالاتصال مع الشيخ دهام الهادي شيخ مشايخ شمر الذي يقيم عنى بعد عشرة كيلومترات من الحسكة ، وعلمت انه يملك بالتصرف ثلاثمائة دونم على الضفة الغربية للخابور يرويها سد روماني قديم يدعى (سبع سكور) وبجوارها مساحات شاسعة من الاراضي تعود ملكيتها الى الدولة ، إلا ان السلطة الفرنسية اصدرت آنذاك قانونا بتسليم الارض لكل من يتعهد باستصلاحها خلال ثلاث سنوات . وعندما قابلت الشيخ دهام الهادي اخبرني انه باع الارض التي يتصرف بها لمولين من دمشق هما الشيخ سعدي القنابي والسيد يوسف دبوس ، ولكنه يرغب في الرجوع عن هذه الصفقة ، ثم تبين لنا انه لا توجد اراضي قريبة للبيع في الحسكة ، وان الافضل لنا ان نذهب الى القامشلي .

كيف نشأت القامشلي

في صباح اليوم التالي توجهنا الى مدينة القامشلي ، ولاحظنا على الفور انها مدينة منظمة تمتد شوارعها بصورة مستقيمة ومتقاطعة وفقا لمخطط فني ، وكانت السلطة الفرنسية تولي هذه المنطقة الحدودية اهتماما خاصا ، وتخطط لاعادة تشكيلها من الناحية السكانية ، نظرا لحساسية موقعها وخصوبة أرضها ، وحدودها المباشرة مع الحكومة التركية ولا يفصل الحدود سوى خط القطار الحديدي .

وتروي مصادر التاريخ ان منطقة القامشلي كانت مأهولة بملايين السكان في العهد العباسي ، وقبل أربعمئة سنة اكتسح التتار البلاد فأبادوا أهلها وشردوا بقاياهم ، ومنذ ذلك الحين تحولت المنطقة الى مراعي لاغنام ومواشي العشائر العربية .
وفي عام ١٩٢٥ بدأت السلطة الفرنسية بتخطيط القامشلي واقامة الابنية فيها فأقبل الناس على سكنها وبلغ ايجار الغرفة الواحدة هناك ٣٠٠ ليرة سورية سنويا ، أي ان دارا فيها أربع غرف يبلغ دخلها ١٢٠٠ ليرة ، مع ان كلفة شراء الارض وبناء الدار لا تزيد عن ألفي ليرة سورية ، وفي ذلك الحين كان ايجار طابق جديد في دمشق لا يزيد عن ثلاثمئة ليرة سورية سنويا .

صفقة جديدة

وفي اليوم التالي كنا جالسين في المقهى في القامشلي حين طلب منا شخص مقابلة السيد عبد الباقي نظام الدين الذي كان وجيها بالقامشلي ووالده يملك عدة قرى حولها وبعض الاراضي الواقعة ضمن حدود بناء القرية . وتوجهنا الى داره التي هي على الشارع وجانب المقهى ، وبعد ان قدم لنا القهوة قال بلغني انه مرادكم شراء اراضي وهناك شروة ممتازة جدا لوجل اسمه شاهين بك معلوف لبستاني الجنسية كان حضر في عام ١٩٣٦ للجزيرة واول من احضر الاوائل الزراعية واشترى الاراضي والآن مراده بيع تلك الاراضي وهي قريبة من البلدة ، وهناك مساع لبيعها لابن توفيق شامية وشريك آخر له ، فشكرناه وذهبنا الى دار شاهين معلوف الذي استقبلنا وقال انه أصبح رجلا مسنا وليس له اولاد ومراده بيع ما يملكه واخذنا بسيارته للمزرعة التي لا تبعد اكثر من ألفي متر عن المدينة وتفرجنا على جميع هذه الارض

المؤلفة من نصف قرية جركين بسندات تملك سورية ، والنصف الثاني به معاملة تصرف غير منتهية ، وكذلك نصف قرية تل فارس بها معاملة تصرف ، وايضا ارض بالبلدة مبني عليها محلان فيهما اوائل تكرير ومساحتها / ٤٥٠ / متر . ونصف بستان ضمن البلدة مساحته / ٦٠ / دونم ، ودار واقعة امام سرايا الحكومة مبنية من اسمنت على ارض تحدها من اربعة اطرافها طرقات عامة وهي احسن دار بالمدينة وتطل على قرية جركين . ومساحة قرية جركين / ٥٤٠٠ / دونم ومساحة تل فارس / ١٥٠٠٠ / دونم ، والقرية بها حوش مؤلف من عدة غرف وبوايك ومحل لتصليح الاوائل حاوية على جميع الاوائل والعدة وجراري كاتربيلار قوة كل واحد / ٦٠ / حصان وحصادة وسكك وخلافها من الاوائل الزراعية مع / ٢٠٠ / شوال حنطة وسيارة نقل وسيارة ركاب صغيرة وجميع موجودات الحوش والدار . وجلسنا بالدار للمفاوضة وطلب منا قيمة كل ما شرحناه مائتي الف ليرة سورية وبقي ينزل حتى وصل معنا الى خمسين الف ليرة سورية ودفعنا له ثلاثين الف ليرة سورية ومرادنا الشراء بأكثر من خمسين الفا . ولما شعر بذلك امتنع وقال انه يبيع النصف فقط ولا يمكنه بيع الكامل وقبل معنا على اساس / ١٥ / الف ليرة سورية للنصف وان يبقى النصف الآخر له ولما لم يكن عندنا رغبة بالشراكة عرضت على اخي رشاد البقاء لادارة العمل الذي يعطي موردا لا يقل عن ثلاثين الى اربعين الف ليرة سورية فلم يقبل وافهمته ان اي اولادا ولا ائمن من ترك والذي وانه غير متزوج ، فلم يقبل مما جعلنا نعدل الاتفاق مع شاهين بك على اتمام نصف الصفقة كما ذكرت وعلى ان نؤجره حصتنا ب / ١٦٠٠ / ليرة سورية سنويا أي ما يعادل ١١٪ وهذا احسن ايرادا بنظرنا خصوصا وان الصفقة رخيصة جدا ولها مستقبل وعلى ان يكون النصف العائد لنا هو الذي بالسندات العقارية ، والنصف الذي بدون سندات يبقى له ، واجتمعنا في المساء بداره وبحضور المحامي لعمل العقد وحصل بعض الخلاف عند كتابة العقد وهذا ما يحصل في كثير من العقود ، فما كان من اخي رشاد الا تكلم معه كلاما قاسيا وهو رجل ذو هيبة وله مكانة محترمة بزحله ، وكان سابقا مغتربا في اميركا ، فعندما سمعه طلب تأجيل العقد لثاني يوم وكان قبل يومين حصل اجتماع بينه وبين المشتريين الآخرين الذين ذكرت اسماؤهم . وعندما بلغ الخواجه بطرس مقنص الذي كان مديرا للبنك السوري هناك وبلغ الخوري خبر مشترانا انتظرانا الى نصف الليل حتى خرجنا من عنده ودخلا

وتمموا الصفقة لهم لان النية كانت متجهة لجعل هذه المدينة منطقة خاصة بجماعتهم وذلك بمساعدة الافرنسيين . وفي الصباح قابلناه فأفادنا أن البيع تم ، وهكذا ندمنا على ما جرى وعلى ذهاب هذه الصفقة بعد عذابنا كل هذه المدة . وعدنا الى دمشق وكان زعلنا كثيرا فلو أننا تمكنا من شراء ولو قطعة أرض ضمن المدينة بأي مبلغ كان لاستفدنا لان التحسين ملموس ولان زراعة القطن لم تكن معروفة .

في منطقة عشائر طي

وفي اليوم التالي عرضت علينا صفقة شراء منطقة تدعى غراسة وهي عبارة عن اثنتي عشرة قرية لا تقل مساحتها عن ١٥٠ ألف دونم ، يرويها نهر ينبع من الاراضي التركية ، ويمكن اقامة سد بسيط عليها لا تزيد تكاليفه عن الفي ليرة سورية لمضاعفة فلالها عدة مرات ، وتم الاتفاق مع المتصرف وهو أحد مشايخ عشيرة طي الشيخ محمد عبد الرحمن على قيمة نصف الارض وهي عشرة آلاف ليرة سورية ، وأنشاء جلوسنا أنا وأخي رشاد في المقهى حضر اثنا عشر مختارا وأنذرونا بأن سكان هذه القرى المعروضة للبيع لن يسمحوا لأحد بدخولها لانها تعود اليهم بالتصرف ، وقد استملكها شيخ طي بنفوزه ، ولكننا اقنعنا هؤلاء المخائير وشرحنا لهم خطتنا وهي احضار فرقة فنية لمسح الارض ووضع مخططات افراز وتمليك الفلاحين الربع والاحتفاظ لنا بالربع ، وترك الباقي للشيخ ، وأوضحنا لهم قدرتنا على تجهيز الارض بالآلات والسماد ، ومضاعفة انتاجها ، فكانوا مسرورين للغاية ووافقوا علي ما أوضحناه من المشاريع .

وقد طلبنا بريقاً تحويل المبلغ فكان جواب اخينا انور أن نحضر البائع الى دمشق ، وكيف نستطيع نقل شيخ عشائر طي (الذي كان حارب السلطة الفرنسية) مع عشرة من مرافقيه ، وتحمل تكاليف ضيافتهم الزمن اللازم لانجاز الصفقة وتأمين نقل الضيوف في القდوم والعودة ؟ وفي هذه المرة كان المنا اشد بعد ان لمسنا بأعيننا أهمية منطقة الجزيرة من النواحي الزراعية والاقتصادية والاجتماعية .

بشائر الثروة في القطن

كانت بشائر المستقبل واضحة في الجزيرة ، فزراعة القطن كانت في بدايتها . وأذكر شخصا تركيا زرع قطننا وحصل من موسم واحد على أربعين ضعفا لقيمة الأرض كلها . أما مزارعو الحبوب فكانوا يحصدون في الموسم الواحد عشرين مثلا دون تعب ، وقد قلت لوالدي في دمشق أن أولئك الذين يهاجرون إلى أمريكا لطلب الرزق مخطئون ، فالجزيرة أكثر ثراء من أمريكا ، ولم يصدق والدي وحذرني من المبالغة ، فأكدت له أن أفقر مواطن في الجزيرة لديه مورد أفضل من أكبر تاجر في دمشق .

العودة إلى الاتفاق

وبعد عام تقريبا تلقينا رسالة من السيد عمر الخضري ، تقول أن السيد شاهين معلوف اختلف مع الفريق الذي اشترى أراضي في القامشلي ، ويريد الاتفاق معنا ، فطلبنا منه الحضور إلى دمشق ، حيث تعاقدنا معه على شراء نصف أراضي بقيمة ٢٢ الف ليرة سورية ، على أن نؤجرها له بمبلغ الف وستمئة ليرة سورية سنويا بدون تراكتورين وسيارة كانت مع الصفقة ولم يكن موجودا غيرها بالمنطقة ، وقدينا بمبلغ ١٥٠ الف ليرة سورية حيث قامت الحرب العالمية الثانية ولم يكن إمكان باستيراد تراكتورات وغيرها . ولقد تمت الصفقة بدار المحامي وديع بيطار بشارع بغداد ومساحة هذه الأرض تزيد على ١٠ آلاف دونم ، وكان أفضل بكثير لو تمت الصفقة السابقة .

ولقد رفض شقيقنا أنور المشاركة في هذه الصفقة ، وهدفه الانفراد بأعماله ، فاضطررنا أنا وشقيق للانفراد بأرض القامشلي وأدخلنا في الملكية عمي (نعيم) دون مقابل إذعانا لطلب والدي ، وانفصلنا أنا وأخي شقيق عن أشقائنا متحملين بذلك ما يمكن قبوله في سبيل تماسك العائلة .

شراء بقية الأرض

وانفقنا مع البائع أن نزرع لحسابنا ٣٥٠ دونم وأرسلنا شخصا اسمه أبو علي هاني الجزائري قام بزراعتها ، وعاد وقت الحصاد فأتهم حصادها وسلم شاهين معلوف ١٨٪ وسلم المحصول إلى الميرة وكانت الحصيلة ٩٨٠٠ ليرة سورية بمساحة ٣٥٠ دونم

من أصل ١٠ آلاف دونم . أي استعدنا حوالي اكثر من نصف قيمة الارض من موسم حنطة واحد ، ولم يصدق والدي هذا المردود الكبير الا بعد ان أكدنا له ذلك . وعلى الاثر اشترينا نصف البستان الآخر ب ٤٢٠٠ ليرة سورية ولم يمض عام واحد على شراء هذه الحصة من البستان حتى حصلنا على خمسة آلاف ليرة سورية ثمنا لاشجار الحور المفروسة في البستان ، وهكذا زادت قيمة الحور المفروس عن قيمة الارض كلها .

وبعد اربع سنوات اشترينا النصف العائد الى شريكنا شاهين معلوف بمبلغ سبعين الف ليرة سورية واصبح كامل الارض في القامشلي لنا . وبدانا استثمارها تحت اشراف وكيل كان يستأثر بمعظم الايراد ، ويرسل لنا مبلغا بسيطا ، ولما تفرغنا للذهاب الى القامشلي في عام ١٩٥٠ كان قد انقضى على زيارتنا الاولى لها عشرة اعوام ، وتضاعف عدد سكان القامشلي ثلاث مرات واتسع العمران فيها الى حد بعيد .

جامع السلاح

ولم يكن في القامشلي غير جامع واحد متداع ، فعرضنا على القائمقام بناء جامع حديث ، وتبرعنا لهذه الساية بمبلغ ٢٥ الف ليرة سورية مبدئيا ، وتم تكليف سماحة مفتي المنطقة بالاشراف على التنفيذ ، وبالفعل تم بناء الجامع واطلق عليه اسم جامع السلاح .

وإذا كنت انوه بهذا العمل ، فلأنني أرجو ان يكون من الحسنات التي ستوضع في حسابي حين أستقبل وجه ربي في الحياة الآخرة ، وهكذا أصبحنا لا نتأخر عن المشاركة في أي عمل اجتماعي في هذه المدينة ، هذا وان كل ما أذكره في هذا الشراء وهذا العمل كان باسم بدر الدين وشفيق السلاح لانهما اسمان بروح واحدة .

خاتمة القول في موضوع الجزيرة

ان أراضي الجزيرة ظلت منذ ذلك التاريخ وحتى الآن من اخصب المناطق وأكثرها فائدة للبلاد ، ولو ان الامور اختلفت لاسباب عديدة منها تبعثر الملكية بعد اصلاح الزراعي - واتكلم هنا عن اثره في الانتاج لتحوله من الانتاج الكبير الى الصغير ، وقيام بعض المنتفعين بايجار ارضهم بدلا من زراعتها بالذات ، ومنها انقطاع مياه جفجف .

ولكن المردود فيها ما يزال عاليا وقد صار استخدام السماد الوطني المركب يفيد بعد ان كانت الارض في الماضي أرضا بكرًا ولا حاجة كبيرة الى تسميدها ، وكذلك فان الفلاحة العميقة تساعد .

وما تزال الجزيرة حتى الآن تعتبر بلادا بكرًا ، ولكن صار عدد نفوس سكانها يتكاثر واستهلاكها كذلك ، وهذا جعلها تستورد بعض المحاصيل من المحافظات الاخرى كالفواكه مثلا مع ان الجزيرة صالحة جدا لزراعة الفواكه لو التفت المزارعون الى ذلك ، وهذا امر في ذروة الاهمية ، لا سيما بعد ان اتصلت الجزيرة بسائر المناطق عن طريق الخط الحديدي الجديد .

السكك الحديدية

ولما كان الشيء بالشيء يذكر فأقول انني كتبت منذ عام ١٩٥٣ احث الحكومة على مد خطوط السكك الحديدية لاستعمالها في نقل البضائع والركاب وقدمت دراسات في هذا الصدد . والآن قد تمت اقامة الخطوط الحديدية الكبرى وركبت القطار من القامشلي الى دير الزور منذ سنوات ثم ركبت القطار بعد ذلك الى طرطوس ، كما انه افتتح الخط الى اللاذقية للشحن وعما قريب سأسافر فيه متى تم افتتاحه للركاب ، لكي ابتهج وأشعر بالفرح الفامر لتحقيق حلمي . وأشير بأن القطار الذاهب من دمشق الى مختلف المناطق يمر بقرب مزرعتنا (العدمل) وفي كل مرة اسمع فيها صوت القاطرات الذاهبة والايبة احمد الله على اتني عشت حتى رايتها واتمنى ان تكون أكثر حركة وأكثر سرعة لما لذلك من تأثير على النواحي الانسانية والاقتصادية .

مجمل نشاطي في الثلاثينات والاربعينات

ولا بد لي من أن أذكر مجمل نشاطي أنا وأخي شفيق في الثلاثينات والاربعينات بعد أن فصلت في بعض النواحي عن طريق تداعي الافكار ، وأذكر ذلك للتاريخ ولم يدرسون الاوضاع الاجتماعية وسلوك الشرائح الانسانية المختلفة في المستقبل .

فقد كان عملنا الاساسي في التجارة والمحاصيل الزراعية ، وتركنا لبقية اشقائنا العمل في المحفوظات (الكونسروة) . وهذه المحاصيل كنا نسوقها داخلها وخارجيا عن طريق التصدير الى مختلف البلاد العربية والاوربية كما سبق الذكر ، واكتسبنا من ذلك خبرة وعلاقات عامة واسعة مع اطراف كثيرة في العالم . وحتى عملنا الانتاجي في الزراعة كان يتجه في هذا الاتجاه ، اذ اعطينا همنا للمحاصيل التي تنتج مواد تصالح للتصدير ، كالجوز مثلا وقد سبق الحديث عنه مفصلا ، والمشمش الذي عملنا في تصنيعه وتصديره بمختلف الصور ، ولم نتجه الى الفواكه الاخرى سريعة العطب أو التي (روحها قصيرة) فلا تعيش الزمن الكافي لوصولها الى بلاد المقصد .

وفي أيام الحرب توسعت اعمالنا كما سبق الذكر في اتجاه زيت الزيتون تصدده ، ونستورد الرز والسكر من مصر وايران وغيرها ، وقد ساهمنا شخصيا في تخفيض سعر مادة الرز أيام الحرب تخفيضا كبيرا (من ٣٠٠ قرش للكيلو الى ١٣٠ قرشا) وذلك عن طريق استيراد كميات منه من ايران سلمناها الى الدولة للتوزيع بالسعر النظامي ، فكان من جراء ذلك أن تنفس الفقراء الصعداء .

الشجر المثمر وشجر الزينة

وبناء على هذا التفكير الذي يتجه الى تأمين المحاصيل الاساسية فقد كتبت منذ اواخر الثلاثينات انتقد حملة التشجير التي اجرتها وزارة المواصلات مع وزارة الزراعة على طريق بيروت والزبداني . فقد فرستا كميات كبيرة من اشجار (المسكة) التي تعطي ولا شك رائحة عطرة ممتازة ، ولكن من ذا يستفيد منها سوى الشم اذا توقف ، وهل هي الا (قبض ربح) كما يقول الادباء ؟ وقد ناقشت في ذلك الوقت احد المسؤولين السيد صلاح الدين صاحب الموظف في وزارة (النافعة) كما كانت تسمى

وقلت له لماذا لا تزرعون الجوز والزيتون ، فقال لي ان الناس سينهوننه . قلت له فليأكلوه فهذا احسن من أن ننتج بعد التعب والمصروف شجرا عقيما ، كما يمكن أن نضمن محصول الجوز والزيتون فكل كيلو متر لفلاح يجنيه ويعطي الدولة حصتها ونكون ملأنا السوق بمحصول مفيد وقابل أيضا للتصدير . يومها لم يسمعوا كلامي ولو سمعوه لكان منه خير كثير . وقد رأيت في عديد من البلاد الاوربية بعد ذلك كيف كانت الأشجار الموازية للطرق مثمرة ولا أحد من المارة يمد يده اليها ، وهذا مصداق ما قلت ويفيد أيضا في تربية الناس .

أما الآن فيبدو أن النية متجهة - ولو متأخرة - الى زرع الأشجار المثمرة على الطرقات العامة اذ زرع الزيتون على طريق درعا ويجري الآن تشجير مناطق كبيرة بالتمر المثمر وهو مادة غذائية عالية القيمة غنية بالسعرات الحرارية ولها مردود كبير . وكان العراق أول الامر هو الذي يعني بها ثم جاءت السعودية فبذلت مجهودا كبيرا في هذا الاتجاه ، واليوم يقوم قطرنا العربي السوري بجهد كبير من أجل ذلك ، فعسى أن يتم السير في هذا الاتجاه بالسرعة المطلوبة .

من هذا المثال ، وما سبقه عندما ادخلنا اصنافا جديدة من المشمش لترزع في سورية وقد تقدم الحديث عنها ، يظهر أن العمل العام كان هديني وديدني منذ ايام شبابي، وعلى ضوءه أقوم بالعمل الخاص الذي أعيش منه أنا وعائلتي ، متمثلا بقول المعري:

فلو اني حببت الخلد فرداً لما أحببت بالخلد انفرادا

فلا هطلت عليّ ولا بأرضي سحائب ليس تنتظم البلادا

فالعامل العام يطيب الحياة ويعطيها محتوى منعشا ومفيدا . ولذلك فانني سأحدث عن هذا العمل على ضوء المصلحة العامة ولأشجع غيري على أن يذكر في كل لحظة يعمل فيها لنفسه أن حصة الله تعالى وعباد الله متوقفة على ما يبذله في سبيل المصلحة العامة .

نقابة تجار الخضار والفواكه

ولعل هذا هو ما حمل اخوتي وزملائي تجار الخضار والفواكه على انتخابي نقيباً لهم منذ عام ١٩٣٣ وحتى ١٩٦٧ ، وهو شرف كبير منحوني إياه وسعيت بكل جهدي لأرد الجميل لهم عن طريق خدمتهم وخدمة المصلحة العامة في الوقت عينه .

محل تجاري في جدة

وقد اقتضى توسع عملنا والتصدير الى أسواق المملكة العربية السعودية قبل ان تقوم المملكة بنهضتها الزراعية العظيمة التي سبق ذكرها في بعض الاحصاءات التي قدمتها في الفصول الأولى من هذا الكتاب (انظر الصفحتين ٥٩ و ٦٠) ان فتحنا محلا تجاريا فرعيا لنا في مدينة جدة ، وكان هذا المحل ضروريا لتسويق المحاصيل التجارية والزراعية السورية التي تنقلها الطائرات العائدة الى السعودية بعد نقل الحجاج الى سورية . وقد افتتح عام ١٩٤٨ وعمل فيه ابن شقيقتي السيد توفيق سكر لمدة عام ثم استلمه منه السيد محي الدين موصلي ، وفي السنة الاخيرة كان السيد الموصلي قد توفي الى رحمة الله ولم يبق من يدير المحل ، اضافة الى بوادر النهضة الزراعية السعودية ، فأغلقناه .

الاتجاه الى تجارة التمور

بعد استقلالنا انا واخي شفيق في العمل اتجهنا الى أسواق العراق ومصر وبدأنا استيراد التمور العراقية ، وتوجه اخي شفيق الى بغداد حيث كان يتسوق التمور ويقوم بشحنها الى دمشق ، كما اننا مارسنا التجارة تصديرا واستيرادا بأصناف اخرى لم تكن على خبرة سابقة بها ، ذلك لان شقيقي انور ورشاد انفردا بتجارة المحاصيل الزراعية الى اوربا وفي مصنع الكونسروة وبدأنا للبحث عن اصناف اخرى .

من مآثر والدي

كيف يوزع التجار ثروتهم

ومن واجبي هنا ان انوه بمأثرة كبيرة لوالدي رحمة الله ورضوانه عليه ، فلقد كان يشعر بانني واخي شفيق مغبونان في الشركة السابقة رغم جهودي المتواصلة منذ صفري في اعمالها ، ولهذا حين بدأنا من جديد انا وشقيقي شفيق منفردين اخرج من صندوقه الف ليرة عثمانية ذهبية ومنحني اياها لتمويل اعمالنا الجديدة التي تحتاج الى رأسمال كاف للشراء والتعامل ، وشعرت بأنه قدر موقفنا وتساھلنا خلال جرد الشركة الذي خرجنا منه خاسرين اكثر من هذا المبلغ . غير انني رفضت

قبضها لاننا لا نريد أكثر من دعاه ورضاه . وقد الح مؤكدا أنه سيعطيني المبلغ بالاضافة الى الرضاء ، ثم وافق معنا على قناعتنا بعد أن أكدنا له أننا مكتفون برضاه ولا نريد منه أن يميزنا عن اخوتنا بشيء .

وكان والدي يحتفظ في صندوقه بثلاثة آلاف ليرة ذهبية نقدا كاحتياط للطوارئ وقد جرت العادة آنذاك ان يحتفظ كل تاجر بمبلغ كاف من النقد المضمون لمواجهة الحالات غير المتوقعة ، ومن جهة اخرى يعتبر هذا المبلغ من الوصية للورثة للانفاق منه دون الحاجة الى بيع عقار . وكان العرف السائد لدى كبار التجار أن يقسم الواحد منهم ثروته الى أربعة أقسام ، الاول للعمل التجاري ، والثاني لشراء العقارات ، والثالث لشراء الاراضي ، والرابع للاحتياط . واليعض يقسم ثروته الى ثلاثة أقسام ، الاول للعمل التجاري ، والثاني لشراء الاراضي ، والثالث للاحتياط . وذلك عملا بالمثل القائل (فرّق مالك واجمع اولادك) .

ولقد تذكرت هذه الحوادث التي كان لها شأن في حياتي ، بعد ان رأيت المرحوم والدي في الحلم عندما كنت أستجم في منطقة ينابيع الحمة المعدنية عام ١٩٦٤ ، حيث فضيت فترة من الراحة ساعدتني على كتابة هذه المذكرات .

والدي يذهب الى الحج ثانية

ومن المآثر التي أذكرها لوالدي أنه نصحننا بشراء اثني عشر فدانا من أراضي الشاغور (مساحة الفدان الدمشقي ٢٤٠ قصبية ومساحة القصبية كما سبق الذكر ٢٣٧٥ مترا مربعا) وقد تعرضنا لعقبات ومشكلات قضائية قبل أن نتمكن من ملكية هذه الارض التي تضاعف ثمنها عدة مرات ، وقد أرضينا أصحابها وسددنا كامل حقوقهم .

وخلال معالجة هذه المشكلة اتيح لي لأول مرة أداء فريضة الحج الى بيت الله الحرام ، وكان ذلك في نهاية عام ١٩٤٤ ، وكان بين رفاقنا في أداء الفريضة والسفر السيد مصطفى سويد (أبو درويش) والسيد عبد الرزاق القوادي والسيد بدر الدين التيناوي والسيد عثمان النوري والسيد نصوح الطباع وصهري السيد محمد عيد

سكر وابنته ، ولم نعد من الديار المقدسة إلا بعد ستين يوماً . وكان السفر عن طريق حيفا بالقطار ومنها الى السويس بالقطار حيث نزلنا بباخرة اسمها (خير الله) هندية ومنها الى جده .

وقد اصر والدي على عدم تنظيم استقبال عند عودتنا من الديار المقدسة ، وهذا أعاد الى ذاكرتنا الاستقبال المهيب الذي نظمناه لوالدنا قبل سنوات طويلة عند عودته من الحج عام ١٩٣٢ ، وكان سني آنذاك لا يتجاوز ٢٦ عاماً . فقد خصصنا ثلاثين سيارة توجهت الى لبنان حاملة المستقبلين ورافقتهم الى دمشق حيث توقف الموكب عند حديقة المنشية وعزفت فرقة طلاب جمعية الاسعاف الخيري الموسيقى ورافقت والدي الى الدار ، وقد كان بالغ التأثير بهذا الاستقبال إلا انه لم يكن مرتاحاً الى نفقاته الكبيرة .

لمحة عن بعض أصدقاء الوالد

(أبو درويش سويد)

ولا يفوتني هنا أن أتحدث عن شخصية المرحوم أبو درويش سويد الذي كان بين رفاقنا في أداء فريضة الحج ، وهو رجل ذو شعبية واسعة ، اشتهر بالنكتة اللاذعة الممزوجة بالحكمة ، وحضر مجالس كبار القادة السياسيين الذين كانوا يرتاحون لجلوسه ويسرون لنوادره . واذكر أن مجلات دمشق ولا سيما المضحك المبكي كانت تقدمه بوصفه الممثل الحقيقي للرجل الدمشقي العادي ، وتروي على لسانه ما تود طرحه من نكات ومفارقات ونقد .

وكان أبو درويش يلزم محلنا أكثر الايام ، وقبل وفاته بأسبوع اجتمعنا في منزله أنا وأخي شفيق وولداي راتب وموفق ، وأمضينا أكثر من أربع ساعات في تندر وضحك متواصلين ، وكان موضوع النقاش الرئيسي الشركة التي شكلها شقيقنا أنور للتنقيب عن البترول برأسمال قدره مليون ليرة سورية موزعة على عشرة آلاف سهم كل سهم بمائة ليرة سورية ، وقد دعينا للاكتتاب بها فاكنتبت بعدد من الاسهم ارضاء لشقيقي أنور ، وبناء على الثقة بخبرتنا اشترى أبو درويش ثلاثمائة سهم ، ولم أكن مقتنعاً

بسلامة المشروع لأن أعمال التنقيب عن البترول تتطلب أموالاً طائلة وخبرات كبيرة وتجهيزات معقدة غير متوفرة ، وقال لي المرحوم أبو درويش : لدي مشتر بربح خمس ليرات للسهم الواحد فهل ابيع ، فاجبته : انني مستعد لبيع اسهمي بنقص خمس ليرات لسهم عن راسماله ، فصعق أبو درويش وتساءل لماذا اشتريت انت الاسهم واجبت : بانني فعلت امثالا لأخينا وحتى لا يقول اننا ابتعدعنه ، فقال أبو درويش رحمه الله (الله يخرب بيتت) انا وغيري ما اشترينا الاسهم إلا على الثقة باسمك ووجودك .

وأذكر ان تلك الشركة وزعت في العام الثاني ١٠ بالمائة ربحا للاسهم وكانت هي المرة الأولى والأخيرة ، ولم تداول اسهمها في السوق . ثم تفرغ أخي أنور لمعمل اندونسروه اعاند له ، وكان هذا افضل ما عمله لان المعمل الاخير اصاب النجاح وتضاعف انتاجه لجودته وحسن مصنوعاته .

ولنعد الى المرحوم أبو درويش سويد ، وهو كما قلت شخصية شعبية نادرة . كان والده ضريرا يبيع « الشنان » على ظهر الحمار ، والشنان مادة مطهرة رخيصة تقوم مقام انصابون وكان أبو درويش يقود الحيوان ممسكا بانرسن ، ولما عجز أبوه خلفه في هذه المهنة الفقيرة الشائفة ، وكان يقدم لأبيه كل يوم ما ربحه فيرضى عليه ويتوسل الى الله لتوفيقه ، وما هي الا ايسام حتى أصبح أبو درويش منتجا للشنان ، وتاجرا بالجملة لهذه المادة ، وسرعان ما دخل ميدان التجارة ولمع اسمه فبات يغشى مجالس اعظماء والرؤساء حيث لاقى نجاحا كبيرا لخفة دمه وحلاوة حديثه وقدرته على اطلاق النكتة في الوقت المناسب ، وكانت نكاته كلها فيها دروس وعبر وحكم ، ويعتبر من الشخصيات النادرة التي لا يوجد الزمان بمثلها الا مرة كل مائة عام . وقد دون حكاياته وفكاهاته المرحوم العلامة الشيخ أبو اليسر عابدين وهي موجودة في مكتبته .

الشيخ عبد الكريم الآوي

ولما كان الشيء بالشيء يذكر ، اود الحديث عن شخصية دمشقية أخرى لها شهرة خاصة هي المرحوم الشيخ عبد الكريم الآوي ، الذي كان حافظا للقرآن الكريم والحديث الشريف وعامة الناس ينسبون اليه الخوارق والكرامات لاقتناعهم بقدرته على معالجة المرضى بالوسائل الروحية . وقد امتدت شهرته الى بيروت وطرابلس ، وقد قص عليّ بنفسه أنه كان راعيا للاغنام والماعز بالجبل ، وظل أمياً حتى بلغ

العشرين من عمره فأرسله والده بائع الذرة الى شيخ القراء الحلواني بالعقيبة جامع التوبة ليتعلم القرآن ، فرده الشيخ في المرة الاولى لان لسانه الثغ ولكنه عاد الى الشيخ ومعه هدية وأصر على أن يتعلم ، فقبله وبأشر تعليمه ، ولم تمض فترة حتى تعلم قراءة القرآن وحفظه غيبا ، ثم تعلم الاحاديث النبوية والادعية وقول الشعر ، ووصل الى اعلى المجالس حيث كان ينفرد بالكلام غير تارك مجالا لاحد ، وبلغ من الاحترام أن كبار الناس كانوا يقبلون يديه . وكان ينسب هذا الى رضا والده إذ كان يدعوه له دائما بأن يقبل كبار الناس يديه ، وهذا ما تم فعلا .

مزرعة العدمل النموذجية

وفي عام ١٩٤٢ اشترت واخي شفيق قرية العدمل الكائنة في اراضي المرج من أحد أبناء الفزي بمبلغ ثلاثة آلاف وخمسمائة ليرة ذهبية ، ومن حقي أن انوه بهذا المشروع الناجح الذي أتاح لي احياء أرض موات كانت عبارة عن ٢٧٠٠ دونم من التلال الترابية والمستنقعات لا يصلح منها للزراعة الا مائة دونم فقط .

وقد امتنع مالك الارض عن تسليمها وفرض علينا بدون وجه حق زيادة في الثمن عن الاتفاق تعادل مئة ليرة ذهبية اضافة الى تقدير أشياء ليس لها قيمة وديون ساقطة على الفلاحين ، وثار والدي على تساهلي غير المقبول وحثني على رفض الزيادة، ولكنني كنت أريد تجنب اضاعه الوقت في الدعاوى مع خصمنا الذي كان يشغل مركزا مرموقا في القضاء .

وعلى الاثر ، واجهنا مشاق العمل في استصلاح الاراضي خلال ظروف الحرب ، حيث كان كل شيء مفقودا وبخاصة الآلات والاسمنت ومواد البناء ، وبعد جهود مضنية تمكنت من تأمين جرار لفلاحة الارض وبأشرنا بتشجير ١٥٠ دونما في العام الاول وتبع ذلك حفر الآبار واقامة الابنية وازالة التلال وردم المستنقعات ، ومضينا في هذا الجهد بدون كلل ولا ملل حتى أصبحت (العدمل) من المزارع النموذجية في الشرق الاوسط ، تحتوي على أشجار الفواكه من كل نوع وأشجار الحور ، وتعمل فيها الآلات الزراعية الحديثة ، وقد أقيمت ابنية للسكن وحظائر للحيوانات والاغنام ومستودعات للاعلاف واللوازم .

وفي بداية استثمار هذه المزرعة سجل الكيس الواحد من بذار الحنطة حوالي ثلاثين كيسا من المحصول لاول مرة في تاريخ غوطة دمشق ، ولم تكن هذه الارض تعطي اكثر من خمسة أمثال البذار في عهد المالك السابق . وان هذا المشروع الناجح مثال على ثمرات الجهد المستمر والتضحيات وعدم التردد .

عضو مجلس الشيوخ المصري ، يكتب عن مزرعة العدمل

وفي صدد المزرعة العدمل ، فان الكاتب الكبير المرحوم الاستاذ محمود أبو الفتح عضو مجلس الشيوخ المصري وصاحب جريدة المصري لسان حزب الوفد وصاحب أكبر مؤسسة صحفية في الشرق تصدر عنها ثلاث صحف يومية هي (المصري) بالعربية ، و (البروغريه) ، و (جورنال دي جيبت) بالفرنسية والانكليزية ، كان من المدعويين الى اول مؤتمر عربي اقتصادي لنواة اتحاد الغرف للتجارة والزراعة والصناعة العربية عقد في مدينة دمشق عام ١٩٥٣ . وكان الاستاذ أبو الفتح من الاعضاء البارزين في المؤتمر . وقد أقيمت لهذا المؤتمر الكبير حفلة غداء في مزرعة العدمل التي تبعد ٢٠ كيلو مترا عن دمشق ، حضرها ما لا يقل عن ستمائة شخص ، بحيث لم يسبق أن شهدت مدينة دمشق حفلة مثلها أو ما يماثلها من حيث روعتها وفخامتها ، وهذا العدد من المدعويين والانفاق بسخاء على هذه الحفلة .

وقد لبست المزرعة حلة من الزينة ، زادتها جمالا وروعة مناظر الاشجار المورقة والارض التي لبست حلة سندسية خضراء ، والازهار والورود التي تناثرت في ارجائها مرحة بالمدعويين ناشرة أريجها مع النسيم العليل يداعب الاغصان المتدللية لتظليل أمكنة جلوس المدعويين ، مع خرير الماء المنساب من البئر الارتوازية يشنف المسامع ومن النهر الجاري واسمه حاروش وهو ينبع من أراضي زبدين ويسقي قرية العدمل مع سبع غيرها وقد انتشر المدعوون في ارجاء المكان المعد لهم في المزرعة ، بينما نصبت الموائد العامرة في مكان قريب ، وقد حوت كل ما لذ وطاب من خراف محشوة وفراخ واصناف المحاشي والكبب والتبلات والمقبلات وغيرها مما لم يخطر على بال ، والى جانب هذه الالوان الفاخرة والحلويات المعجونة بالفستق والقشطة ، مما اشتهرت بها مدينة دمشق .

والى جانب هذه الموائد ، نصبت موائد مماثلة تماما للسائقين والعمال وفلاحي المزرعة ، وبعد انتهاء الحفلة ، وزع ما تبقى من الطعام والحلويات على جوار المزرعة والرعاة الذين اعتادوا نصب خيامهم في أفاصي اراضي المزرعة .

اقول ، ولا فخر ، أنني سمعت من كل من حضر الحفلة كل ثناء وتقدير ، نسيت معه كل ما بذلته من تعب وارهاق ومال وراحة . فالعدل عدت مزرعة نموذجية حديثة في غوطة دمشق . واذكر هنا المحافظ المرحوم عبد الحميد المارديني الذي ارسل اجهزة لرش المياه على الطرق التي لم تكن مزفتة في تلك الايام .

برقية صاحب المصري

واترك هنا الكلام للاستاذ محمد عثمان شحرور ، مدير مكتب جريدة المصري حينذاك وصاحب مجلة « الرقيب » يحدثنا عن انطباعات استاذة الكبير محمود ابو الفتوح ، عضو مجلس الشيوخ المصري ، ونقيب الصحافة المصرية ، عن الحفلة ، فيقول :

بعد انتهاء حفلة الغداء التي اقامها السيد بدر الدين الشلاح لاول مؤتمر اقتصادي عربي يعقد في دمشق ، رافقته الى الفندق حيث طلب مني ارسال برقية لجريدة المصري بوصفي مديرا لمكتبها بدمشق ، ابرز فيها كرم صاحب الدعوة السيد بدر الدين الشلاح واخيه شفيق ، وحسن ذوقه في الموقع والمكان والتنسيق واستقبال الضيوف في مزرعته بشكل اثار اعجاب المدعوين وتقديرهم ، إذ بلغ عدد السيارات التي دلفت في هذه الحفلة حوالي ١٥٠ سيارة ، وجدت كلها اماكن خاصة لوقوفها .

وقال لي ، رحمه الله : لا تبخل بالكلام ، ارسل البرقية من ٣٠٠ كلمة لرئاسة التحرير والاشارة الى التعقيب عليها في برقية خاصة سارسلها غدا لعدد الجمعة .

وبالفعل ، فقد ارسل البرقية بتوقيعه ، ونشرت في العدد الممتاز من المصري الذي يصدر صباح كل جمعة ، وكان مما قاله في هذه المقالة :

« كم تمنيت لو ان اصحاب العزب في مصر يشاهدون بأب العين ما رأيته في مزرعة العدمل بدمشق ، وكم تمنيت لو ان هؤلاء يمرون بمزرعة العدمل في زيارة خاطفة ليأخذوا دبروسا عن العزيمة الصادقة والاقدام ، وكيف تكون المزارع ، وكيف ازادة الانسان عندما يشمر عن ساعد الجد ويشق الارض ليزرع وينتج ويأكل رزقا حلالا مباركا اضعاف اضعاف ما تؤتيه الارض عندما يعتمد صاحبها على سواعده غيره . ليت «البكوات» عندنا في مصر ، نركوا « البكوية » جانبا ونزلوا الى ميدان العمل ليجدوا المزارع النموذجيه وينتجوا خيراتها الوفيرة .

لقد رايت في زيارتي لدمشق في مزرعة السيد الشلاح التي تزيد عن ٦٥ فدان مصري ، ومساحة الفدان المصري ٤٢٠ متر ، بينما الفدان السوري ٧٠٠ متر ، صورة حية عن مزارع هولندا وسويسرا ، وظننت ان القائم على هذه المزرعة شركة كبيرة لا انسان بمفرده لا يعرف المستحيل ، بل يعرف كيف يعمل ، وكيف يزرع ، وكيف ينتج ، وكيف يجني مختلف انواع الفاكهة والخضار وحنى الاخشاب للصناعة ، بل كيف حوّل المستنقع الذي كان ينشر الملاريا الى جنة وارفة الظلال .

رايت اماكن سكن الفلاحين والعمال في المزرعة ، يتخللها الهواء والنور والشمس ، وقد زودت بالماء العذب والكهرباء بمحرك خاص بالمزرعة ، وهي في مجموعها لا تختلف عن اماكن سكن العاملين في المزارع .

واجمل ما رايت في هذه المزرعة النموذجية السورية ، صاحب المزرعة السيد بدر الدين الشلاح واخوه شفيق ، بتواضعهما وكرمهما ونشاطهما وتسخير وقتهما للعمل المتواصل دون كلل او ملل مضحين براحتهما في سبيل تحقيق هدف حددا ابعاده ونتائجه .

بورك في حياتهما ، وبورك لهما في مزرعتهما ، وبورك بأمثالهما المجدين المكافحين في خضم الحياة ، وبمثلهم فليعمل العاملون « .

محمود ابو الفتح

قبل وفاة الوالد

في هذه الفترة ، كان والدنا الحاج سليم الشلاح رحمه الله قد تقلت به السن ، وقد قارب الثمانين من عمره في عام ١٩٤٥ ، واضطرته الامراض الى ملازمة الدار . ورغم مشاغلي العديدة في التجارة والزراعة والبناء لم افارقه الا بعض الوقت ، وقد ازدادت حالته خطورة في عام ١٩٤٦ فكنت الازمه ليل نهار . وفي هذه الفترة وضعت زوجتي غلاما اسميته «غسان» وبعد ساعة ونصف الساعة وضعت الثاني «محمدروان» فلما علم والدي بكى فرحا وسألني كيف تنبأت بأن زوجتك ستلد توأمين ؟ فذكرت له ان من محاسن الصدف ان اتفاقي مع أخي شفيق في الحياة والعمل التجاري كامل الى حد انه شاءت ارادة الله ان يكون لشقيقي اربعة ذكور ولدي اثنان ، وثالث توفي في السادسة من عمره في ١٩٤٢ ، وليعود التساوي يجب ان ارزق بتوأمين ، وهذا ما تحقق فعلا بولادة محمد وغسان فتمت المساواة ، وهذا من فضل الله ، فله الحمد والشكر .

كان قد انقضى علينا انا وأخي شفيق ، بعد انفكاكنا من المشاركة مع اشقائنا ست سنوات ، تمسكنا خلالها - شأننا دائما - بحسن المعاملة والاستقامة وصدق النية والاعتدال في المجالس والحديث ، واحرزنا سمعة نفخر بها . وكان والدي عضوا في غرفة تجارة دمشق في عام ١٩٤١ ، ولكن الجيل الناشئ آنذاك امثال السادة بشير رمضان ونوري الحكيم وبديع القصص وممدوح كوكش ، تكتلوا لابعاد المتقدمين في السن والحلول محلهم ، ولكن الحكومة سمت والدي عضوا في غرفة الصناعة عام ١٩٤٤ باعتباره صاحباً لمصنع كونسروة .

معركة الغرفة التجارية

واقْتداء منا بوالدنا في تحمل المسؤوليات ، دخلت انتخابات الغرفة التجارية في عام ١٩٤٦ ، منفردا عن قائمة اعضاء الغرفة الذين استعانوا بالسيد سليم البارودي لضمان اصوات تجار سوق الهال . وقد اثار نجاحنا دهشة رئيس الغرفة السيد مسلم السيوفي الذي لم يكن يتوقع وصول ممثلين عن تجارة الخضار والفواكه الى عضوية مجلس ادارة الغرفة ، كما ان احرازنا الاصوات الكثيرة في هذا القطاع كان مناجاة للآخرين ، وكما كان سرور والدنا عظيما بهذه النتيجة التي نعزوها الى رضاه .

أرض مدرسة الإسعاف الخيري

بعد أن نجت دار والدنا من الحريق الكبير تبرع لجمعية الإسعاف الخيري بقطعة أرض قيمتها ألف ليرة ذهبية لبناء مدرسة عليها تضم أبناءها الأيتام الذين شردوا بعد أن احترقت مدرستهم جانب دار العظم بالبزورية في أيام الثورة وأصبح عضواً بالجمعية التي تضم ١٥ عضواً من أعيان المدينة وكذلك انتسب إلى الماسونية إذ أقنعوه بأنها تنادي بالإنسانية والأخوة ونجدة الفقير والضعيف .

وأجدني مدفوعاً بقوة للحديث عن والذي رحمه الله وفاء لحقه وأحياء لذكراه ، فقد كان مولعاً بأعمال الخير ، ولم يتردد في دعم أي مشروع خيري ، ولهم يكف بالتبرع بقطعة الأرض الثمينة التي تقوم خلف مبنى المجلس النيابي وأنشئت عليها مدرسة جمعية الإسعاف الخيري ، بل قدم المساعدات الكثيرة لهذه الجمعية التي تعتبر من أقدم وأكبر الجمعيات الخيرية في دمشق . وعندما شكلت جمعية لبناء مستشفى عرض عليها قطعة أرض في عين الكرش بجوار شارع بفسداد مساحتها ٤٥٠ قسبة لإقامة المستشفى عليها ، ولكن أعضاء الجمعية لم يقبلوا بحجة أن هذه الأرض لا تكفي ، وحاولوا استملاك الأراضي المجاورة لها ولكن مجلس الشورى لم يجز ذلك .

جمعية المواسة تتباطأ

ونظراً لتباطؤ جمعية المواسة في تنفيذ المشروع ، نفر والذي منها وعدل عن أي تبرع لها ما دام المشروع يراوح مكانه ، إلا أنه رحمه الله ، تحت الحاح الأعضاء ، أعطى تعهداً مكتوباً بأن يبني خمسمائة متر مربع على نفقته في حياته أو على نفقة ورثته بعد مماته ، وفي ظروف أخرى ضاق ذرعاً بتصرفات أعضاء الجمعية ورفض تخصيص أي مبلغ لمشروعها في وصيته ، وذلك بتأثير شعوره بأن هذا المشروع لن ينفذ ، وبالفعل بقي مشروع مستشفى المواسة ماشياً في بطء حتى عام ١٩٥٨ حين أشرفت الحكومة على تنفيذه ووضعت له المخصصات في موازنة الجامعة .

وبعد انتقال والذي إلى دار البقاء ، أقام أعضاء جمعية المواسة دعوى قضائية استناداً إلى التعهد المكتوب من الوالد والذي أبطله في وصيته ، وقد رد القضاء الدعوى ولكننا تمهدنا بدعم المشروع والوفاء بهذا التعهد مهما كانت النتائج .

وفاة الوالد وجنازته الكبيرة

وكنت حتى عام ١٩٤٧ لا اغادر البلد الا نادرا لأبقى دائما في جانب والدي الذي تقدمت به السن لأخدمه وأنال عطفه . وأذكر أن والدي رحمه الله نزل قبل وفاته بأربعة أشهر الى المحل وهو بالقباز المنزلي وأخذني معه واستخرج من الصندوق ورقة أراني إيها وقال : انظر هل هذا التخمين مضبوط ؟ وكانت الورقة تضم تقديرا لقيمة المحلات المختلفة التي يملكها ، وفهمت من سؤاله ان مقصده هو ان يوزع امواله في حياته خشية ان يختلف اولاده من بعده . فقلت له على الفور ، يا والدي اعد هذه الورقة الى محلها فنحن لا يمكن ان نملك شيئا وانت تملك كل شيء ، وأبيت البحث في هذا الموضوع . واضفت انه هو الأدرى بالقيم ولا كلام لأحد من بعده .

ولما توفي الوالد الى رحمة الله بعد ذلك في ٤/١٠/١٩٤٧ ، نظمت له جنازة كبيرة جدا سار فيها الناس من كبراء وعلماء وأصدقاء وتجار وأقارب ، وتقدمتها فرقة مدرسة الاسعاف الخيري ، ولكنني ابيت ان ترافقها المولوية لاسباب عديدة منها ما يتصل بعقيدتي القائمة على البساطة ومنها ما هو غير ذلك .

وبعد الوفاة والخميس الاول ، عمدت الى فتح صندوقه بحضور الاخوة جميعا وتم تنفيذ وصيته الخيرية ضمن أقل من اسبوع من الوفاة ، ثم تم توزيع التركة وفق التقويم الذي وضعه مع الاسترشاد ببعض الآراء بناء على طلب بعض اخوتي ، ولما تمت القسمة وأخذ كل نصيبه عدت فدفعت زيادة لبعض الورثة من النساء من مالي الخاص لتطبيب خاطرهن ، وانطوت بالعطر والخير والذكرى الحسنة صفحة هذا الرجل الكبير .

الفصل السابع

نشاطي في الحقول العامة

منذ نعومة اظفاري رايتني مندفعاً الى الحياة العامة وخدمة الناس . فقد كان والدي رحمه الله قدوة لي في هذا المضمار اذ كان مع اهتمامه بتجارته يعمل جهده من اجل خدمة الآخرين ولا سيما في تأسيس الشركات التجارية العامة وفي المشاريع الخيرية مما سبقت الاشارة اليه بصورة مقتضبة ، وكان هذا قصارى ما يستطيعه في وقته ، حتى انه حين انضم الى الماسونية كان الجانب القائم على خدمة الناس هو الذي وضعت نصب عينيه من ذلك دون الالتفات الى نواحيها الاخرى .

وقد وجدت انا في كنفه ومن بعده ان مجال العمل الوطني العام لا يكون بالضرورة عن طريق العمل السياسي المباشر والدخول في الاحزاب ، وانما يكون بالعمل الاقتصادي والزراعي والوقفي والانساني العام والخيري ، وهذا كله جوهر السياسة . ولذلك كانت لي علاقات دائمة برجال العهود الوطنية المختلفة وبكبار المسؤولين ، وكانت هذه العلاقات قائمة على اني اقدم رأيي وفكري وجهدي لكل واحد منهم ولكل جماعة دون ان اكون معهم في التنظيم حتى لا افقد حريتي ، وان اخدم الناس عن طريق علاقتي بهم دون ان احاول (خدمة نفسي) عن طريق الانضمام الى اية واحدة من هذه المجموعات .

وكانت لي بطبيعة الحال آرائي المستقلة في خططهم وسياساتهم ، وكنت اذا رايت خطأ لم اسكت عنه لانني حر من الالتزام بأي حزب ، بل أستطيع ان اجد مع معظم الاحزاب والجماعات نقاط التقاء أستطيع بواسطتها ان اكون قريباً منهم الى حد النصيحة بعيداً عنهم الى حد الاستقلال وعدم التورط ، وسواء اكانوا في اليمين او الوسط او اليسار ، فان التعامل الصادق مع السياسات والامور العامة يظل ممكناً مع الجميع . ولذلك فسيكون لي من وقت الى آخر ، في هذه الصفحات ، رأي في بعض الاشخاص يقتضيني الصدق والتاريخ ان اقله مع مراعاة القاعدة القائلة (التمس لآخيك الف عذر ثم انهم نفسك) ، فانا اذا انتقدت لا اجرح ولا افضح ، واذا قدرت لا امدح ولا اجمع .

وكنت دائماً في أعمال الخير انطلق من الآية الكريمة (وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) فلا ارى في العطاء الا واجبا وأداء لحق ودين في رغبة المسور والموفق تجاه من هم في حالة عوز وبعد عن التوفيق . والعطاء لا يكون فقط بالزكاة وبالصدقات والاحسان ، وانما يكون أيضا بالخدمات وبالذفاع عن المظلوم والتوسط لاعطائه حقه وبتطبيب حياته وخطره بكل وسيلة . وكان رأيي ان عطاء الجماعة افضل من عطاء الفرد ، فانا افضل ان يأتي البر عن طريق جمعية خيرية لا مباشرة كلما امكن ذلك ، حتى يتجنب المعطي ما يمكن ان يساور النفس البشرية من زهو وعجب بأن اليد العليا (التي تمنح) خير من اليد السفلى (التي تأخذ) . فالنفس امتارة ، ومتي دخل العجب على الناس ضاعت مزية العطاء كواجب يرافقه الشعور بالامتنان لله تعالى الذي مكنهم من ان يحتاج الناس اليهم ولا يحتاجون الناس ، واعانهم على ان يكونوا مقصودين لا قاصدين . وهذا كله يكون بالعطاء عن طريق الجمعيات كلما امكن ، الا في حالات الاقربين والمستورين الذين يكون كتمان امرهم وحاجتهم افضل لهم من اي مال يعطى .

وهذا وسواه مما علمتني اياه صحبة والدي ومن بعده صحبة العدد الكبير من العلماء الأصفياء الشرفاء الذين كنت احضر مجالسهم واتعلم منهم واطرشفت كلماتهم واستفيد من نصائحهم ، فاني في هذا المجال عرضت جهدي وما فعلته في نطاق العمل العام من انساني وزراعي واقتصادي وفي مجالات الوقف وفي الوساطة لا يصل الحقوق لاصحابها وحل المنازعات بين المتخاصمين ، وافعل ذلك لا أمن به على احد فانا الشاكر للناس ثققتهم ومحبتهم ، وانما اقدم حسابا للأمة عما فعلته لقاء ما اعطاني ربي ويسر لي عن طريق الناس من صحة وعمر واولاد صالحين ومال حلال وعقل منفتح على الخير وثقة من الناس تمتد من ابسط البسطاء الى اكبر المسؤولين .

انه حساب اقدمه للأمة ، وارجو ان يكون من يقرأ هذه الصفحات رقيقاً بي في المحاسبة ، أما يوم الحساب فاني استعد له بالإيمان وبشفاعة الناس البسطاء الذين كانت خدمتهم هدفاً حياتي .

ازدياد اعبائي الاجتماعية

على مر الزمن كانت اعبائي الاجتماعية ، تزداد وتتنوع ، حتى أصبحت أكثر مما يستطيع احتماله والنهوض به شخص واحد . ففي عام ١٩٥١ كنت عضوا في غرفة تجارة دمشق وعضوا في مجلس الاوقاف وعضوا في لجنة فرض ضريبة الدخل وعضوا في مجلس ادارة المعهد العربي الاسلامي وجمعية الاسعاف الخيري ، وكانت هذه الهيئات كلها تكلفني باعمال ومهام عديدة لا مناص من انجازها وحدي .

اضافة لهذه الاعباء ، كان الكثيرون من اخواني واصدقائي يلجأون اليّ لحل مشكلاتهم ، كما كنت انتخب عضوا في لجان تحكيمية . ولم اجد سبيلا للتقليل من هذه الاعباء التي كانوا يلحون عليّ بتحملها رغم انه لم يعد لدي وقت ادخره لنفسي واسرتي ، وقد اثار ذلك دهشة الكثير من اخواني ، فيتساءلون : كيف اتمكن من القيام بهذه الاعباء كلها ؟

التنظيم عامل النجاح

والحقيقة انني استطعت الجمع بين هذه المسؤوليات العديدة والقيام بالاعمال الكثيرة بفضل النظام وضبط المواعيد وتنفيذ كل عمل في وقته دون تأجيل او اطالة او تباطؤ . وكنت لا اضيع دقيقة واحدة من الوقت دون عمل ، وقد افادني هذا التنظيم في القيام بهذه الاعمال كلها ، اضافة الى ادارة مشاريعنا الزراعية ومتابعة اعمال البناء والاشراف على الاملاك والاراضي وتسيير مصالحنا التجارية .

الأوقاف

وقد وجدت من واجبي أن أقوم بخدمة الاوقاف الاسلامية الخيرية والدينية واسمى لتحسين الانتفاع بها وزيادة مردودها ، وكنت عضوا في مجلس أوقاف دمشق منذ البدايات ، وذلك عن طريق انشاء ابنية تزيد من مواردها . واستطاعت أوقاف مديرية دمشق انشاء أكثر من عشرين بناية جديدة تستفيد من مواردها الهامة بدلا من الدور القديمة التي لم تكن تدر على الاوقاف دخلا يذكر ، وذلك خلال فترة عضويتي بمجلس الاوقاف .

وهذا ما حدا بمديرية أوقاف دمشق إلى العمل على أسس هذا المنهاج ، وذلك بتطوير ممتلكاتها وزيادة مواردها ، ثم استطاعت اعداد مشروع جامع « يلبغا » الذي ساهمت في اعداده ليكون مجمعا ضخما من أضخم المشاريع التي تنفذها الاوقاف في اجمل واكبر مناطق العاصمة السورية من حيث القيمة التجارية والاهمية السياحية، وقد بوشر فعلا بتنفيذ هذا المشروع .

وسيعاد جامع « يلبغا » من جديد وفقا لطرز اسلامي رائع في ابرز مكان بدمشق ، كما يقام ببناء تجاري وسياحي ضخم على شارعي الاتحاد والثورة ، يضم سوقا بديعة تتألف من عدة طوابق ومجموعة من المكاتب والوكالات وشبكة من المرائب لخدمة المنطقة .

جامع العثمان (الكويتي)

وكذلك عملت في انجاز جامع العثمان ، اذ كان ذلك الرجل الكويتي المحب للخير قد اوصى بثلث ماله لوجوه الخير المختلفة ، ومن جملتها اتمام مشروع الجامع الكبير الذي بني في دمشق قرب (الميسات) ويتضمن مسجدا كبيرا جدا ورائع البناء والتزيين ، ومعه مستوصف خيري ومدرسة شرعية وعقار للايجار من ريعه ينفق على دوام المشروع . وقد تعثر المشروع في البداية بعض الشيء ثم تم لنا تذليل الصعوبات وها هو المشروع الآن قائم مزدهر يجتمع فيه الجلال والجمال .

كما انني سعيت لحماية الاوقاف من المتسلطين ولتحريرها من الاشكالات الكثيرة، وأذكر من ذلك وقف المولوية وبنية القدسي وأماكن أخرى ، والله تعالى يجزي كل من عملوا في هذا السبيل خيرا .

بعض المعلومات والطرائف عن مجلس أوقاف دمشق

في عام ١٩٥٠ ، جرى انتخاب أعضاء مجلس الأوقاف بدمشق ، وقد رشحت للعضوية عن التجار ، وجرى انتخابي عضوا فيه . وبالمناسبة للمعلومات فان مجلس الأوقاف المؤلف من عشرة أعضاء ينتخب من قبل :

- ١ - ائمة المساجد بوزارة الاوقاف ويتراوح عددهم ما بين ١٢٠ و ١٨٠ موظفا .
- ٢ - أعضاء غرفة تجارة دمشق وعددهم ١٨ عضوا .

- ٣ - أعضاء غرفة الزراعة وعددهم ١٨ عضوا .
- ٤ - أعضاء مجلس ادارة المحافظة ١٢ عضوا .
- ٥ - أعضاء المجلس البلدي وعددهم ١٢ عضوا .
- ٦ - اثنين عن نقابة المهندسين .
- ٧ - اثنين عن نقابة الصيادلة .
- ٨ - اثنين عن نقابة الاطباء .
- ٩ - عن المجلس النيابي ١٤ عضوا .

ان اعضاء هذه الهيئة الانتخابية الذين ينتخبون اعضاء مجلس الاوقاف يمثلون في الحقيقة النخبة الممتازة في المجتمع .

وهنا اود ان اكتب لمحة عن سير الاعمال في المجلس المذكور .

أولا - هناك مدير أوقاف هو الذي يدير الجلسة وي طرح الامور المعروضة .

ثانيا - هناك رئيس دائم بالمجلس وهو القاضي الشرعي وهذا لا يتغير ولا يتبدل طالما هو القاضي ويقوم على رأس عمله .

ثالثا - ان مفتي الجمهورية عضو طبيعي بالمجلس .

رابعا - ان للقاضي الشرعي الحق في معارضة أي قرار يتعلق ببيع أي عقار من عقارات الاوقاف المعروضة للبيع .

خامسا - اما مدير الاوقاف فله حق الاعتراض على أي قرار ويرفع الى المجلس الاعلى للاوقاف الذي يبدي رأيه في القضية المرفوعة اليه من مدير أوقاف المحافظة .

اما المجلس فانه يتفق على موعد الاجتماع بالاتفاق مع جميع الاعضاء ، وقد اتفق على أن تعقد في كل اسبوع جلستين واحدة في الساعة العاشرة من صباح كل يوم أحد والثانية في الساعة نفسها من يوم الاربعاء .

وكان كل عضو يتقاضى مبلغ عشر ليرات سورية عن كل جلسة تحسم منها ضريبة الرواتب والاجور .

وقد تم الاتفاق بين الاعضاء على ان يحافظ العضو على دقة موعد الاجتماع وكل عضو يتأخر ولو ربع دقيقة عن الجلسة في وقتها المحدد يدفع غرامة قدرها ليرة سورية واحدة كاجراء رمزي .

واذا تأخر العضو ربع ساعة لا يسجل له حضور ولا يقبض اي تعويض وهكذا فكان لا يتأخر اي عضو عن الموعد . وكان المرحوم الدكتور ابو اليسر عابدين المفتي العام اذا وجد نفسه متأخرا يصعد كل درجتين معا ، حتى لا يدفع غرامة التأخير .

وعندما اصبح فضيلة الاستاذ الشيخ احمد كفتارو مفتيا عاما للجمهورية اوضحنا له مقام الاجتماعات ، الا انه في الاجتماع الاول حضر متأخرا فطلبنا منه الغرامة وقدرها ليرة سورية ، فظن ان هذا الاجراء الخاص من قبيل المزاح ، ولكن لم تفتح الجلسة الا بعد ان دفع الغرامة .

كما وان جميع المجالس واللجان التي احضرها كان مطبقا عليها هذه الغرامة ما عدا غرفة التجارة التي ليس لها تعويض فكان مطبقا عليها ١٠ ليرات سورية غرامة تأخير وغير مقبول أي عذر .

وكان قد تضمن اول جدول اعمال طلب قرض من المصرف التجاري بمبلغ نصف مليون ليرة سورية لاقامة بناء على قطعة ارض من اوقاف المولوية كان باعها الشيخ شمس الدين المولوي الذي كان قيما على وقف المولوية الى جان القدسى وبعد ان اعفت الدولة جميع المتولين آلت التولية الى مديرية الاوقاف .

طلبت من مدير اوقاف دمشق المرحوم عبد الرحمن الطباع تأجيل هذا الموضوع الى جلسة ثانية حتى يتسنى للمجلس الاطلاع على الموازنة وعلى املاك الدائرة ، وقال الاستاذ الطباع لا علاقة للقرض بالاطلاع على الموازنة ، اجبته : اني اختلف سياسة القروض لا سيما اذا كانت للبناء لأن البناء يحتاج الى سنوات لانهايه وتأجيله وهنا نخاف من ان تتبدل الايام كما جرى بعد الحرب العالمية الاولى حيث نعمت سورية بازدهار عظيم ودمشق بصورة خاصة اذ كانت اجرة الدكان بسوق مدحت باشا اثناء الحرب عشر ليرات ذهبية ارتفعت بفعل هذا الازدهار الى ٨٠ ليرة عثمانية ذهبية ، لذلك فاني اخاف بعد انتهاء البناء ان لا يكفي الإيراد لسد الفوائد التي تترتب على هذا الدين .

وبعد بضع جلسات واطلعنا على الواردات والنفقات لاحظت وجود املاك كثيرة لبيوت سكن قديمة بأجور تافهة بحيث لا تتجاوز أجرة الدكان الواحدة /٢٠٠/ ليرة سورية سنويا ، في حين أن الاجرة المذكورة لا تغطي نفقات الترميم ، لذلك قررنا بيع هذه العقارات واعطاء الافضلية بالامتلاك لساكنيها .

وهكذا انتهينا من عدد كبير من هذه الاملاك المتداعية التي لا مردود لها ، وبهذا أصبح لدى الدائرة سيولة مالية مما حملنا على البناء على الاراضي التي تملكها الاوقاف لتشييد بناء عوضا عنها ، وهكذا استطعنا ان نبني اكثر من ٢٠ بناية ما بين عام ١٩٥٠ و ١٩٦٤ ، اذكر منها المحلات التي تقع تحت جامع دنكر حيث يقام المسجد فوقها ، وبناء وزارة الزراعة والمحلات بأسفلها ، وقد قمنا ببناء ثلاثة محاضر وهي المشغولة الآن بمحافظة ريف دمشق والمحلات التجارية بأسفلها وبناء من اربع طوابق جانب جامع السنجدار وآخر بطلمة حمام الناصري بالسنجدار ، وبناء جانب مؤسسة عين الفيحة ، وبناء بالحريقة فيه المحلات السفلية مؤجرة والطوابق مشغولة من احد المصارف وبناء جانب وزارة السياحة ، وبناء جامع المؤيدية بشارع فيصل ومحلات تجارية بالطابق الارضي ، وبناء جانب الفرن باللدريشية ، وبناء جانب جامع سيدي خمار ، وبناء ميثم دار الامان ، وبناء جامع دنكر ودكاكين من الجهة الجنوبية ودكاكين من الجهة الشمالية ، وبناء بالحريقة مشغول من قبل مؤسسة البرق والبريد ، وذلك عدا الابنية الاخرى واذكر منها جامع الافرم ، وفي مجال الترميم صرفنا على المساجد مبالغ لا بأس بها واذكر منها جامع الورد وجامع المعلق وجامع السادات وجامع السقيفة في باب توما ، وجامع في الجزماتية ، وجامع في الميدان الوسطاني وغيرها من المساجد الكبيرة والصغيرة .

واما المسجد الاموي الكبير ، فقد تم فرشته بالسجاد وتنويره بالثريات وترميم المشاهد الثلاثة ، واعادة الرسوم لسقفه الخارجي بالفسيفساء وتجديد المحاريب اثنين في الحرم والثالث في المشهد الشمالي الغربي ، وتم رصف أرضه الخارجية المكشوفة بالرخام حيث لم تجدد هذه الارضية منذ حرقه منذ اكثر من مئة عام .

وكانت ميزانية الاوقاف في عام ١٩٥٠ بجميع مدخولها /٧١٠/ آلاف ليرة سورية ومقابلها مصاريف بمقدارها . وفي عام ١٩٥٧ كانت الميزانية قد وصلت الى ١٩٠٠

الف ليرة ، ثم لما أردنا تجديد جامع يلبغا في البحصنة وكانت البلدية قد هدمت بناية البرق والبريد القديمة ، ومبنى العدلية القديم ، ومبنى كراج بيروت الواقع جانب سوق علي باشا في المرجه ، طلبنا من الدولة استملاكها وضمها الى مشروع جامع يلبغا وقد أحيل الطلب الى المديرية العقارية ، ومنها الى مدير أملاك الدولة ، حيث تَمام المشروع ولم يرجع ، وقد رجوت مدير الاوقاف الاستاذ عبد الرحمن الطباع ملاحقة الموضوع فذهب بنفسه وقابل هذا المدير فقال بالحرف الواحد أن هذا المشروع غير مناسب وعندما بلغني ذلك وكان موعد عيد الفطر السعيد وكان المرحوم صبري العسلي حينذاك رئيسا للوزارة ذهبت الى داره الواقعة في المهاجرين ودخلت وكانت ملأى بالشخصيات التي جاءت لتبارك له بالعيد . وقبل وصولي اليه صرخت بصوت عالٍ وقلت له يا أبا شجاع أجدادنا تركوا لنا موردا من الاوقاف كان في عام ١٩٥٠ (٧١٠) آلاف ونحن مجلس أوقاف دمشق في برهة ٧ أسابيع أوصلنا الموازنة الى مليون وتسعمائة وثمانين الف ليرة سورية أي الى ثلاثة أضعاف ما كانت عليه والآن نرجو أن تنال الثواب وتجعلها بتوقيع منك أربعة ملايين ليرة سورية فتكون في عام واحد ضاعفتها ستة أضعاف . وكان الموجودون يصفون لكلامي العالي وينتظرون ايضاح هذا النداء وعندما وصلت الى امامه قلت : ان مجلس أوقاف دمشق مراده اقامة بناء على جامع يلبغا وصحنه الذي ينتظر الهبوط وان مرسوم استملاك أرض البريد والبرق وأرض العدلية والكراج موقوف عند مدير أملاك الدولة منذ ستة أشهر ، أجبني رحمه الله بالحرف الواحد : طول بالك كل شيء يصل الى محله وفي اليوم الثاني كلمت مدير أوقاف دمشق عبد الرحمن الطباع فقابل السيد صبري العسلي وشرح له موقف مدير أملاك الدولة ، وعندها عمل مرسوم استملاك جديد ولم يحوله الى الدوائر المختصة بل حوله الى مجلس الوزراء وتم التوقيع عليه دون الرجوع الى أملاك الدولة، وهكذا تم استملاك هذه العقارات وبدأنا بعمل المخططات لاقامة بناء على واجهة المرجة مؤلف من ١٢ طابقا وبمساحة ٦ آلاف متر طابقي وبناء على البحصنة البرانية وبناء كراج بمساحة ألف متر وفوقه بناء الجامع بدل الذي سيهدم والذي كانت مساحته ٩٠٠ متر ، وقد وجدنا معارضة حتى أن وزير الاوقاف آنذاك طلب احالة المخططات واعلان مسابقة عامة داخلية ودولية فاضطرت الى مقابلته لاقول بأن في هذه المسابقة يتأخر المشروع ونحن غايتنا من السرعة أن يقام البناء وتتضاعف موارد

الأوقاف وتعادل معاشات أئمة المساجد وخطباء المساجد الى رواتب تكون مقبولة لا سيما وان معاش الخطيب كان بحدود ٨٠ ليرة سورية والإمام ٩٠ ليرة سورية والخادم بحدود ٤٥ ليرة سورية ، وفي هذا المورد الجديد ترفع الخطيب الى ٤٠٠ ليرة سورية أي بنسبة معاش أكبر موظف في ذلك الوقت بعد ان نصنف المساجد الى فئات والمساجد الكبيرة يشترط أن يكون الخطيب فيها من حملة الدكتوراة بالسرعة، وجوامع خطباؤها بدرجة أستاذ خريج جامعة ثم أخرى خطباؤها من حملة البكالوريا حتى يكون الخطيب والخطبة على مستوى الزمان الذي نحن به . وقد بداننا بتصنيف بعض الجوامع لدرجة الدكتوراه هي المسجد الأموي ومسجد أبو رمانه ومسجد المراتب ومسجد الجسر الأبيض ، ومع ذلك لم تترك الصحف انتقادها على الأوقاف مما اضطرنا للجواب عليه وهكذا كانت تناقش الأمور علانية .

عبد الرحمن الطباع

عرفت خلال حياتي العملية عددا من الموظفين الممتازين الذين تحلوا بالخلق الكريم والسلوك اللائق والحلم والصبر على خدمة الناس . ويمثل المرحوم السيد عبد الرحمن الطباع نموذجا ممتازا من هذا النوع . وقد علمت أنه تزوج في سن مبكرة ولم يحز على شهادات عالية ولكن تربيته ومحيطه العائلي أكسباه المزيد من الأدب وحسن التعامل وكان والده المرحوم شكري الطباع قد تعرض لنكبة مالية نشأت عن مصادرة كميات كبيرة من التبغ كانت في حوزته - من قبل مصلحة الريجي - فضاقت سيولته المالية من هذه الحادثة .

وكان والده من الأصدقاء المقربين للشيخ تاج الدين الحسني فعين ولده عبد الرحمن كاتباً براتب قدره / ٣٦ / ليرة سورية كان يقبضها في نهاية الشهر ويدفعها بكاملها الى والده . وبلغ من نجاحه في الوظيفة واحترام المسؤولين له أن ترفيعه استمر حتى أصبح مديراً لأوقاف دمشق . وفيما بعد أصبح أيضاً وزيراً للأوقاف في عام ١٩٦٥ .

لم يكن المرحوم عبد الرحمن الطباع يفلق باب مكتبه اطلاقاً بل يستقبل جميع المراجعين ببشاشة ويسر ويسهل مراجعاتهم الكثيرة . ولم يخرج انسان من مكتبه الا راضياً وشاركراً رغم كثرة مشاكل الأوقاف واحتياجات الذين لهم علاقة بها

ولا سيما فاقدو البصر .

وكان مجلس الاوقاف يجتمع في الساعة العاشرة من صباح يومي الاحد والاربعاء كل اسبوع . وكل عضو يتأخر عن الموعد يتعرض للجزاء الملاي عقابا على تأخره .

أذكر انه اصدر امر بنقل السيد عبد الرحمن الطباع الى وظيفة مفتش فثارت موجة من الاحتجاجات والمراجعات من ارباب الشعائر الدينية وأئمة المساجد وموظفي الاوقاف . وقام وفد كبير من المواطنين باحتجاج لدى المسؤولين على هذا النقل . وكنت اول من قابل السيد صبري العسلي رئيس مجلس الوزراء وقلت له لا احد يقبل نقل عبد الرحمن الطباع ، خاصة وانه يضحي لأجل البقاء في الوظيفة وهناك من عرض عليه الفى ليرة سورية راتبا شهريا ورفض رغم أن راتبه وهو مدير اوقاف لا يزيد عن ستمائة ليرة ، وهكذا الفى قرار النقل .

وبعد أن ترك وزارة الاوقاف رجوته أن يقبل رئاسة وإدارة جمعية الاسعاف الخيري . وأسجل له أننا خلال ادارته للجمعية اقمنا بناءها الحالي على أرض تبرع بها والذي المرحوم سليم الشلاح . واضفنا الى مبرات الجمعية خدمات التعليم وجعلناها ملاذاً للايتام تحتضنهم تعليما ومبيتا مع أجود الطعام ، واني افخر بالاشراف عليها ودعمها ، كما افخر واعتز بمعرفة وصداقة المرحوم عبد الرحمن الطباع وأمثاله ممن تحلّوا بتلك الاخلاق وهذه المواصفات .

بعض الهبات والتبرعات

إذا كان من أدب الهبة أن تصل الى جهتها دون منة ولا مفاخرة فان من فوائد الاعلان عنها اثاره الحماسة والغيرة الدينية والوطنية . ولذلك ومن قبيل تشجيع الاخوة المواطنين على أن يحفظوا حق الله تعالى في أموالهم ويقدموه للمنفعة العامة والمستحقين ، أذكر أن والذي المرحوم سليم الشلاح قد لقننا درسا في العطاء السخي للجهات الوطنية والدينية والخيرية تبعتها ، ولم ينقص مالنا بذلك بل عوضنا الله عنه ، وهذا بعض ما في الذاكرة من التبرعات المقارية فقط ، ومن الامور المتعلقة بالمساجد والمآذن ولا اذكر سواها .

كان والدي المرحوم سليم الشلاح رحمه الله قد وهب جمعية الاسعاف الخيري التعليمي في عام ١٩٢٨ قطعة ارض خلف حديقة المجلس النيابي القائم عليها الآن ميسم الاسعاف الخيري التعليمي .

وبعد وفاته رحمه الله تعالى فرغت انا واخي انور بناء بالسنجقदार خلف مديرية الاوقاف سابقا ، مؤلفا من قبو وثلاثة مخازن ارضية وخمسة مكاتب بالطابق العلوي ليكون لاطعام واكساء ابناء مدرسة الاسعاف الخيري .

ثم تفرغنا كذلك عن طابق بناء بالسنجقदार الى مستشفى المواساة بتاريخ ١٩٦٤/١٠/٢٥ ورقم العقد ٢٧٤٦ .

وبناء امام فندق امية الجديد الآن (مقابل بناء جمعية الاسعاف الخيري) مؤلفا من قبوين وشقتين والسطح فارغا ليصير ريعه الى الكلية التي كنا أسسناها لتبنى بالزبداني بمستوى مدرسة برمانا في لبنان وقد ورد ذكر ذلك في مكان آخر ولا زال هذا البناء في ملك الاوقاف حتى الآن .

ثم وقفت انا واخي شفيق قطعة ارض في الميدان موصوفة بالمحضر رقم ١٠٧٢ من منطقة ميدان سلطاني .

وبعدها وقفت انا واخي شفيق حصصنا من قطع الاراضي الموصوفة بالمحاضر ١٥٥ و ١٨٨ و ١٩١ و ٢٢٦ و ٢٢٧ و ٢٢٨ و ٢٢٩ و ٢٣٠ من منطقة دير سلمان التابعة لمنطقة دوما لاسم جامع الدير سلمان وذلك بموجب العقد رقم ٨٠٣ تاريخ ١٩٧٩/٣/٢٥ .

وبعدها قدمنا بناء مؤلف من دكانتين ودارين تبرعا الى اسبوع الجزائر بموجب عقد مؤرخ في ١٩٥٩/٢/٨ ورقم المحضر ١٠٤٩ من منطقة الميدان .

ثم دارا بالمهاجرين جانب القصر الجمهوري السابق طابق اول مقسم ٢ محضر ١١٧٤ جرى فراغها لاسبوع التسليح الذي اشرف عليه المرحوم الرئيس شكري القوتلي وذلك في ١٩٥٧/١/٣٠ .

وهبنا مدرسة للبنات بالزبداني اسمها عائشة التميمية لقراءة القرآن اسبوعيا عن روح والدنا المرحوم سليم الشلاح بالعقد المؤرخ في ١٩٤٧/١٢/٢٤

تم وقفت انا وشقيقي شفيق قطعة أرض من اسم بدر الدين وشفيق الشلاح مساحتها كبيرة وموصوفة بالمحضر رقم ١٤٩/١٨ خان حازوره وقد بنيت عليها المدرسة الثانوية بالزبداني .

ووهبنا مخزنا على طريق الجرجانية أمام بناية الشلاح ليصرف ريعه على مسجد الشلاح بالزبداني .

وفي هذا العام وقفت لهذا المسجد قطعة أرض جانب الجامع تطل على ثلاثة شوارع لبناء مخازن ودور ويرصد ريعها الى المسجد ومساحتها / ٨٠٠ / متر تقريبا ورقمها ٢٤٣ - ٣/٧ .

المساجد والمآذن التي تم بناؤها من قبلنا

- جامع الشلاح بالقامشلي
- جامع مرج السلطان بالفوطة
- جامع الشلاح بحاليا
- مئذنة جامع عمر الفاروق بشارع بغداد
- مئذنة جامع فخر الدين الرازي في البرامكة جانب الجامعة
- مئذنة جامع الشيخ رسلان باب توما
- مئذنة قرية حرستا القنطرة في الفوطة
- مئذنة الدير سلمان بالفوطة
- مئذنة الاحمدية بالفوطة
- مئذنة المنصورية بالفوطة
- مئذنة نوله بالفوطة
- مئذنة العتيبة بالفوطة
- مئذنة عين ترما بالفوطة جامع طلحة والزبير
- مئذنة الحاجبية جانب مسجد الشيخ محي الدين
- مئذنة جامع الإيمان
- مئذنة جامع زين العابدين بالقامشلي
- مشاركة بجامع عبد الله بن رواحه
- مشاركة بجامع الحسن بالميدان كورنيش .

اعباء أخرى وسرّ القيام بها

وكنت في كل هذه الاوقات ومع عملي في الغرفة التجارية ومجلس الاوقاف عضوا في لجنة فرض ضريبة الدخل وكنت فيها اتولى حماية الفقراء ، وفي نفس الوقت يعامل المسورون بعدالة ، كما كنت عميدا للمعهد العربي الاسلامي ورئيسا لجمعية الاسعاف الخيري ورئيسا لمحفل ابراهيم الخليل ، واساعد في الوقت ذاته الكثيرين من الاصدقاء والاخوان بحل مشاكلهم ، وادخل عضوا في لجان تحكيمية ، ولعل من آخر ما قمت به من هذا القبيل العمل على انقاذ ما يسمى بمشروع (رائي) الذي تورط فيه خمسة عشر الف مواطن كادوا يضيعون ثرواتهم ، فعملت مع الاستاذ محمد البيرقدار على تشفيل بعض المشاريع وبيع بعضها الآخر ، واستطعنا تأمين مبالغ محترمة للمودعين ، ولكن الذين كانوا يستفيدون في البداية من أموالهم حسمنا عليهم مقبوضاتهم المبالغ فيها ، وكان جهد القاضي الاستاذ البيرقدار في هذا الموضوع كبيرا وموضع اعجابي .

وما اكثر ما احتاجت هذه الاعمال الى اسفار والى اجتماعات متوالية في الليل والنهار وحضور الكشوف ، وكان الجميع يلقون أكثر الاعباء عليّ حتى صار كل وقتي تقريبا لهذه الاعمال ، ولكن كان يعينني على النهوض بها النظام وضبط المواعيد والدقة فيها والانتقال من عمل الى عمل دون اضاءة دقيقة واحدة ، ولم اكن انسى أن ادير اعمالنا الخاصة من تجارية وزراعية ، ووفقني الله في كل هذا بعونه ومرضاته .

واكرر ان ما اقصد من ذكر ذلك ليس المبالاة ، فانا اشكر من كلفني بأي عمل لانه اشعرني بقيمة وجودي ونفي عني الشعور بأنني أعيش لنفسي وأقاربي وحدهم كما اعطاني بحمد الله شهرة طيبة ومحبة من الناس لا استطيع وفاءهم بالشكر عليها . انما اذكر ذلك لاقول ان التجربة علمتني أن تنظيم العمل وحسن استخدام الوقت يفيد في القيام بأعمال مضاعفة اضعافا لمن يريد ، والعامل من قدّم النصيحة لسواه ، والنصيحة نوع من الشكر لله تعالى على توفيقه .

من النشاطات التي قمت بها

- من مؤسسي شركة لتصدير الخضار والفواكه الى فلسطين عام ١٩٣٣
- رئيس نقابة تجار الخضار والفواكه الطازجة والمجففة من عام ١٩٣٣ حتى عام ١٩٦٦ .
- عضو في لجنة تسعيرة الانتاج الزراعي من عام ١٩٣٩ حتى عام ١٩٩٠ .
- رئيساً لشركة استيراد البرتقال من فلسطين في عام ١٩٤١ .
- عضو في لجنة فرض الدخل من عام ١٩٤٩ وحتى تاريخه .
- عضو في لجنة تخمين العقارات من عام ١٩٤١ وحتى عام ١٩٦٤ .
- عضو في مجلس أوقاف دمشق من عام ١٩٥١ وحتى عام ١٩٦٤ .
- عضو في لجنة الاصطياف العليا (بمشابة وزارة السياحة) من عام ١٩٤٧ وحتى عام ١٩٦٦ عندما أحدث منصب وزير للسياحة .
- عضو في لجنة تعديل الايجارات في عام ١٩٥٠ .
- عضو في لجنة اعادة الرئيس شكري القوتلي من الاسكندرية عام ١٩٥٤ (عدد اعضاء اللجنة ٧٨ عضواً من كبار رجالات سوريا) .
- عضو مجلس ثم رئيس لشركة التبريد حتى عام ١٩٦٤ .
- عضو في غرفة تجارة دمشق من عام ١٩٤٦ وحتى عام ١٩٧٢ .
- رئيس لغرفة تجارة دمشق من عام ١٩٧٢ وحتى تاريخه .
- نائب رئيس الغرف التجارية الاسلامية من عام ١٩٧٣ وحتى تاريخه .
- رئيس اتحاد الغرف التجارية السورية من عام ١٩٧٣ حتى تاريخه .
- رئيس لاتحاد الغرف التجارية الزراعية والصناعية العربية من عام ١٩٨٢ وحتى عام ١٩٨٤ .
- عضو في جمعية الاسعاف الخيري التعليمي في عام ١٩٤٧ .
- رئيس فخري لجمعية الاسعاف الخيري التعليمي من عام ١٩٧٠ وحتى تاريخه .
- عضو في جمعية السرطان حتى تاريخه .
- عضو في جمعية مكافحة السل حتى تاريخه .

- عضو في لجنة بناء مستشفى التل .
- عضو في لجنة جمع التبرعات ليوم التسليح برعاية الرئيس القوتلي وتم جمع ما يقارب ٢٧ مليون ليرة سورية .
- عضو في لجنة التبرعات للجزائر .
- عضو في لجنة وضع مخططات سوق الهال الجديد ولمدة عشرة أعوام .
- عضو في لجنة انتقاء المشمش واستبداله بالتنوع الكلابي بين ١٩٤٧ و ١٩٥٤ .
- عضو في لجنة مشتري السجاد من طهران للمساجد .
- عضو في لجنة ميتم سيد قريش من عام ١٩٥٠ حتى عام ١٩٦٤ .
- عضو وعميد جمعية المعهد العربي الاسلامي حتى عام ١٩٦٧ .
- عضو في لجنة اصلاح السجون .
- عضو في اللجنة المكلفة في وضع الروزنامة الزراعية عام ١٩٧٣
- عضو في اللجنة المجتمعة في بيروت لتسمية الحاويات عام ١٩٧٥
- عضو في لجنة تقدير اضرار حريق سوق الحميدية عام ١٩٦٨
- عضو في لجنة الترشيح .
- عضو في لجنة بناء مستشفى الاطفال بدمشق .

ولله الحمد والمنة على ثقة الناس وعلى اعطائي الصحة والهمة لاقوم بواجبي في كل هذه المجالات .

مشروع كلية في الزبداني على غرار كلية برمانا في لبنان

في ١٦/١١/١٩٥٤ خظرت لي الفكرة التالية النابعة من حبي لديني وللعلم والرغبة في أن توجد مجالا جديدا مبتكرا للاعمال الخيرية التي ربانا المرحوم الوالد على اعتبارها الشيء الذي به تطيب الحياة . ولما كان مثل هذا المشروع يحتاج الى رعاية عالية فقد توجهت نحو الجهة التي توسمت فيها القدرة والرغبة في اعطاء هذه الرعاية وهي المملكة العربية السعودية في أيام المغفور له الملك سعود ، فوجهت الكتاب التالي :

حضرة صاحب الجلالة الملك سعود المعظم

يتقدم بدر الدين السلاج التاجر بدمشق بتحيته الخالصة بمناسبة تسلمكم العرش معرباً عن امله الكبير في أن ينال المشروع ، المعروض على جلالتم فيما يلي ، عنايتكم بالافسة لما فيه من الخير العميم للعرب والمسلمين .

توفي والدي منذ سبع سنوات تاركا مبلغ مليون ليرة سورية ، أوصى بستمائة ألف ليرة منها لتنفق على اعمال البر وانفقت كلها بعد ثلاثة اسابيع من وفاته يضاف الى ذلك ما أنفقه على أعمال الخير في حياته ويقدر بنصف مليون ليرة ، منها ببناء مدرسة الاسعاف الخيري الذي يضم اليوم حوالي ستمائة يتيم .

لقد علمت اولادي في المراحل الابتدائية تعليما اسلاميا صرفا وبعد ان تيقنت من أن الإيمان دخل قلوبهم أرسلتهم الى المدارس الاجنبية في لبنان وهم الآن يتممون دراستهم العالية في انكلترا ، ولحرصني الشديد على أن يرتفع مستوى العلم لدى أبناء جميع الطبقات الاسلامية فكرت منذ عام بانشاء كلية علمية خيرية في مصيف الزبداني على طراز مدرسة برمانا الانكليزية في لبنان ، على ان تعني باللغة العربية وأصول الدين واللغة الانكليزية والعلوم الكونية ، واجتمعت بعدد من اهل الخير وتحديث اليهم عن المشروع فترعوا ب (١٨٨٧٥٠) ل.س حسب البيان المرفق بينما المشروع يحتاج تحقيقه الى ٦٥٠ الف ليرة سورية ونحن متأملون أن يتبرع سواهم بغير هذه المبالغ عند المباشرة . ولما اطلعت على امركم بعدم تعليم احد من الرعايا السعوديين في المدارس التبشيرية أدركت أن عملنا يفتح الباب أمام من يود

التعلم من رعاياكم ، يضاف الى ذلك خطابكم الذي قرأناه في الصحف عن افتتاح ٢٤٥ مدرسة في أنحاء مملكتكم ثم تبرعكم في العام الماضي بمبلغ خمسة عشر ألف جنيه للكلية الاسلامية في عمان .

ان كل هذه العوامل دفعتني للكتابة الى جلالتم بمناسبة ذكرى تسلمكم العرش راجيا تخصيص مبلغ ثلاثمائة ألف ليرة سورية لهذا المشروع لنتمكن من اتمامه وبذلك تسجلون يداً بيضاء على العلم وعلى شباب العرب المسلمين وتنقدونهم من المدارس التبشيرية المؤذية .

ان القائمين على المشروع يا صاحب الجلالة من صفوة المجتمع المسلم في سوريا وقد نالوا رخصة جمعيتهم من الحكومة كما بادرت لشراء أرض المدرسة من مالي الخاص في منطقة الزبداني وتبلغ مساحتها ٣٢ دونما ، وسأقدم لجلالتم نسخة عن نظام الجمعية الداخلي وفي استطاعة جلالتم السؤال عن الاشخاص القائمين على المشروع بواسطة سفارتكم في دمشق .

انني اذ اقدم تهنئتي المخلصة بهذه الذكرى السعيدة أرجو أن ترعوا المشروع بعنايتكم لان تخليكم عنه لا يعني إلاّ فشله وعدم تمكننا من اتمامه .

وتقبلوا يا صاحب الجلالة اسمي الاحترام وارفع التقدير .

بدر الدين السلاج

كما وجهت الى وزارة المعارف السعودية كتابا بالمعنى نفسه طلب فيه دراسة المشروع وتأييده ، ثم تابعت توجيه الرسائل بالمعنى نفسه .

وبعد أن اكتب عدد من المتبرعين بنحو مئتي ألف ليرة ، لم يردي جواب . فأرسلت رسالة أخرى الى وزارة التربية السعودية فلم تجبني أيضا ، ورغم عدد من التأكيدات ظل المشروع في مكانه . وكان أن سجلت قطعة الأرض باسم الاوقاف ، وفشل مشروع لو كان تم لكان منه خير كبير للثقافة الاسلامية والعربية .

من دروس الحياة

وعلمتني التجارب أيضا أن أعمل كثيرا للناس بلا مقابل ولكن لا ادخل في شراكة مع احد سوى شقيقي ، فان الحوادث التي اضطررت فيها لمشاركة غيري لم تعطني الشعور بالارتياح وهذا من مبادئى وهو عدم المشاركة في العمل ، فان وجود الآراء والمشارب المختلفة يجعل الاصطدام محتملا والخسارة واقعة وقد يصل الناس الى المحاكم ومتى دخلوها يصعب الخروج منها فضلا عن اضاعه الوقت والمال والصدقات . كما علمتني التجارب التقييد بالقانون وعدم الاستخفاف به لان المخالفة تعرض أصحابها للعقوبة أو المهانة كما يصاحبها الخوف الدائم وهو قتال للنفس . وقد حدث حين عقدنا شراكة اضطرارية في بعض الاعمال بين سورية ومصر أن أحد شركائنا حدثه نفسه بالاستفادة من تهريب العملة فشعرت بنوع من الحاسة السادسة بما جال في نفسه ونبهته وحذرتة الا انه لم يستمع وكان أن قام ببعض الاعمال مما ادى الى مصادرة أمواله وحبسه بعض الوقت وتفريمه غرامات فادحة ، ولم نسلم من ضرر أصاب سمعتنا موقتا لان الرجل ولو كان عمل لنفسه ودون رأينا كان اسمه ارتبط باسمنا في بعض الاعمال المشتركة من قبل . لا أريد التبسط في هذه الحوادث فانها تظل فردية والخسارة تعوض والربح يذهب ولكن تبقى العبرة والموعظة . وأنا بحكم الظروف والمشاركة الكثيفة في الامور الزراعية والتجارية والاجتماعية والاقتصادية والانسانية عامة ، صرت رجلا عاما ، فقد صار من المفروض فيّ والمفروض عليّ أن أقدم تجربتي للناس ، فما اعطاني اياه الشعب يجب ان يعود اليه ، ولذلك فحتى حين كان بوسعي أن آخذ حقي بالقوة لم آخذه بهذه الوسيلة وتمسكت بمبدأ يقول ان المفلوب حصته المولى تعالى وان المال يذهب حيث اتى وتبقى الاخلاق والسمعة والمبادئ ، وهي وحدها الثروة الباقية لدى التاجر ولدى كل انسان على الاطلاق . وقد عوضنا الله دائما اضعاف ما خسرناه بالتمسك بالمبادئ وسلوك سبيل الرحمة .

وهناك أشياء كثيرة تعلمتها من الحياة تأتي في حينها . فالتجارب كثيرة والاعمال واسعة متلاحقة والميادين مختلفة ، وكان عليّ أن أختار من هذه العبر جزءا بسيطا أتوسم فيه النفع لان انسان هذه الايام ليس عنده وقت للمطولات ، وبقية الحوادث التي مرت معي ولا أنقلها لكم في هذا الكتاب أرجو أن أضعها في مركز الوثائق التاريخية لينتفع بها من يريدون اجراء الدراسات الواقية في المستقبل .

انا والصحافة

كنت دائما على علاقة جيدة بالصحافة لاسباب عديدة ومفهومة . فالصحف تريد معلومات واخبارا في كل الميادين ، وتهتمها امور التجارة والزراعة والسياسة الاقتصادية وانا كنت بحكم اهتمامي بهذه الامور وسواها من الشؤون العامة عندي الكثير مما اريد ان اعرضه على الراي العام . ولذلك فانسى على عاداتي في تنظيم اوراقى ووثائقي جمعت قصاصات الصحف التي فيها احاديثي ومقالاتي ومقابلاتي والاخبار التي تهمني فلفت ملفا ضخما لا يمكن ولا يفيد ان يعاد نشره لان بعض الاخبار والكتابات الصحفية التي تكون في وقتها عظيمة الفائدة تصبح بعد الزمان الطويل مجردة من اسباب اعادة النشر . ولذلك فقد عزمت ان شاء الله على ايداع هذا الملف في مركز الوثائق التاريخية لمن شاء الاطلاع على بعض الامور التي كانت تشغل الناس .

واكتفي بتعداد المجالات التي كتبت فيها او اعطيت احاديث صحفية ، وهي مجالات الاوقاف الاسلامية تنظيمها ووارداتها ومشاريعها والمقترحات والمناقشات الصحفية العامة الجارية بشأن بعض المشاريع الهامة فيها كجامع يلبغا وجامع العثمان والعديد من المساجد والموارد الوقفية اللازمة لتأمين رواتب العاملين في دور العبادة الاسلامية ، وكنت اقوم بذلك بسبب اطلاعي الدقيق على هذه الامور لانني عضو في مجلس الاوقاف ، ثم المسائل المتعلقة بالانتاج الزراعي مما ورد ذكره في هذا الكتاب وسواه ، والمتعلقة بصناعة الكونسروة ، وبتجارة الخضار وسواها ، وبالفلاء ، مع المذكرات والمقالات والبرقيات المتعلقة بذلك .

ولكن هذا لم يمنعني من ان اعالج مرات كثيرة مشكلة السكن التي توضع منذ الاربعينات انها ستكون مشكلة خطيرة بكل نواحيها سواء اكان ذلك لتكاثر السكان ام لتأثير البناء على المناطق الزراعية ام الاثر على البيئة ام سوء تنظيم المرافق السكنية ام لمشاكل قانون الايجار او لتفاقم المخالفات العمرانية التي شوهت وجه المدينة . وقد كنت في ذلك كله اقدم الدراسات مشفوعة بأرقام دقيقة ومقترحات ومخططات واضحة . على انني لا اعود الى ذكرها الآن لان المشكلة ولو كانت تكبر وتتفاقم باستمرار إلا أن عناصرها وحلولها في تبدل دائم مع تطور العوامل المنشئة لها .

وعالجت مسألة الحمامات الدمشقية القديمة في احاديث كثيرة معترضا على سياسة هدمها ومطالباً بتجديدها وتشغيلها لأنها اساس لا يستغنى عنه لتأمين النظافة العامة بالنسبة للمقيمين حيث لا توجد حمامات في معظم البيوت القديمة التي يتساكن فيها الناس بأعداد كبيرة ، كما لا توجد مرافق غيرها لتأمين نظافة واستحمام الزائرين والغرباء . وعلى اساس أنها تراث قومي حضاري وصحي .

وعالجت مشكلة السير المتفاقمة هي الاخرى بسبب ان مدننا القديمة وشوارعنا لا تتسع للسيارات المتكاثرة ولا تتوافق مع متطلبات السير الحديثة . وكذلك مسائل الصحة العامة والمشافي وضرورة العناية بها باستمرار .

حتى المسائل الاجتماعية المتعلقة بالاسرة والزواج والطلاق لم تكن خارجة عن مجالي وكيف تخرج عنه وأنا رب أسرة كبيرة وأعرف ما يتصل بحياة الاسرة من اشكالات تتطلب الحل .

ولا يخفى انني بسبب عملي في غرفة التجارة لسنوات طويلة جدا كنت أركز على الامور التجارية وهي في بلادنا تثير مشاكل يومية من كل نوع تتطلب الحلول العاجلة وتنوير الرأي العام ومناشدة المسؤولين عن طريق المذكرات والاقتراحات وكل ذلك يجد طريقه يومياً الى الصحافة .

وقد كنت في هذه الامور على الاعم والاغلب متفائلاً ابحت عن الحلول أولاً وأبث الثقة بإمكان تلافي الاخطاء ، وليس عن طريق التشاؤم يمكن أن نعالج الامور العامة ولو كان التشاؤم يغلب في بعض الاحيان حين نلمح من بعض الجهات - على مدى عشرات السنين - أنها لا تنفذ الى اعماق المشاكل ولا تضع الرجل المناسب في المكان المناسب .

ولم أفعل حين اطلعت على وضع الجزيرة عن ضرورة البدء بعمليات التحديد والتحرير فيها وكتبت عن هذا الموضوع منذ عام ١٩٥٥ في عدد من الصحف .

آل الشلاح . . . التجار التقليديون في سورية

وأخيرا وما دمت في حديث الصحافة فأنا أنقل لكم هذا المقال الذي نشرته مجلة (نيرايس ت بيزنس الاميركية) في عام ١٩٧٧ :

منذ قرابة تسعين عاما ، وفي بناء تركي العهد ، غير شهاق ، يقع المركز الرئيسي في سوق المدينة لشركة الشلاح بين ضجيج وصخب أصوات البائعين الذين يساومون على أسعار الفواكه والقطن .

ويتربع بدر الدين الشلاح فوق أمبراطورية الشلاح التي بدأت في نهاية القرن الماضي ممثلة بوالده والتي ينميها الآن اولاده .

ان كبير عائلة الشلاح له من العمر (١٧٣) عاما ، وهو يذكر بفخر واعتزاز كيف ابتداء بعملية تصدير الفواكه برحلات تجارية الى فلسطين مرسلا من والده سليم ، حيث كان هناك يقوم بشراء البطيخ - ولم تكن الحدود والجمارك قائمة بين البلاد العربية في ذلك الوقت - ويؤتى به الى دمشق بواسطة السكة الحديدية ، وكانت بدايتهم كمصدرين صفار للبندق والبطيخ والتين . ثم أصبحوا سادة الحركة الزراعية .

والقفزة اتت في عام ١٩٢٨ ، فشقيق بدر الدين وهو أنور وكان طالبا في جامعة بيروت الاميركية ، رأى ووجد امكانيات تحسين انتاج الاغذية لأن حفظها وتعليبها لم يكن معروفا في الشرق الاوسط . وبدأ أنور بالاختبارات في المطربانات الفارغة ، وبدأ الشلاح في بيع ورق العنب المفرغ ، وبعد خمس سنوات أسست العائلة شركة .

والشركة ابتدأت ب ٥٠٠٠٠ سهم كما يقول بدر الدين ثم باعوا ١٢٠٠٠ سهم ولكن المهم بدانا وانطلقنا . وأنزل آل الشلاح الى الاسواق البامية والمربيات المعلبة في تلك المنطقة ، وبعدها ركزوا اهتمامهم على انتاج القمر الدين وهي عبارة عن صفائح طويلة من المشمش الحلو وهي اكلة شعبية ومعروفة في تلك المنطقة والعالم العربي . والقمر الدين كان يعصر باليد ، ولكن آل الشلاح صنعوا الآلات الميكانيكية ، واستعملوا ايضا مادة السلفر لانتاج القمر الدين بكميات كبيرة ، كانت وما زالت عملية ناجحة في تلك المنطقة .

وفي الاربعينيات ، كان آل الشلاح يقدمون تكنولوجيا حديثة للزراعة السورية كما في انتاج الاطعمة ، وبدأوا اختباراتهم بمزرعة نموذجية جديدة بأساليب جديدة في الري والتطعيم وابداء الحشرات . واشتروا هذه المزرعة في عام ١٩٥٤ بمساحة

٧. دونم وهي تبعد ٤٠ كم غربي دمشق في الزبداني . وقد أصبحت الزبداني هدفهم الرئيسي في مجال الاختبارات الزراعية .

ان بدر الدين الشلاح وابناه غيروا عادات الاكل في بلدهم بالانواع الجديدة والعديدة من الفواكه المزروعة في الزبداني ، فقدّموا التفاح الكولدن والستاركن اللذين حلا محل التفاح السكري ، واستوردوا المشمش من كاليفورنيا (وهو نوع بين التلتون والبليهم) والذي أصبح شعبيا ودعي فيما بعد في السوق الدمشقي بالمشمش الاميركاني .

وبمطالعات بدر الدين الشلاح للمجلات الزراعية الاجنبية من ناحية ، ورغبة من ناحية ثانية بالمجازفة في مغامرة جديدة ، حدثت سليات ظاهرة وخاصة فيما يتعلق بالاجاص الافرسي والذي يدعى الدوشينز والتي تزن الحبة الواحدة (١) كغ ، حتى ان ثقل الثمرة كان كثيرا على الشجرة ، ولم تنجح هذه العملية من الناحية التجارية .

وابناء بدر الدين الشلاح هم الآن يشرفون على الاعمال في المزارع بانتاج القمر الدين ، وبعض الابناء واولاد العم يقومون بالعلاقات الحكومية وبعمليات التجارة والاستيراد والتصدير .

وسليم الشلاح ، ابن السيد بدر الدين والذي يحمل دكتوراة في الاقتصاد الزراعي من جامعة ولاية اوكلاهوما ، هو المسؤول الاول عن الاختبارات الزراعية في مزرعة الزبداني . وقد شرح سليم اهم التحسينات في المزرعة وهي عوضا عن رش السماد حول الشجر وهي الطرق المتبعة الآن ، يجري رش السماد ممزوجا بالماء والمبيدات الحشرية على اوراق الشجر وذلك من مركز ثابت . وبهذه العملية لا توفر اليد العاملة فقط بل يتم تحاشي نمو الاعشاب ايضا ، فهذه الطريقة لا تسمد الارض والاوراق تمتص السماد مباشرة .

ومزارعهم تنتج ٢٥ طنا من المشمش و ١٠٠ طن من التفاح و ٦٠ طن من الاجاص وكميات قليلة من الدراق والتين والخوخ . وفي الايام غير الموسمية يزرعون الخيار والكوسا والباذنجان والبندورة .

ان ثروة عائلة الشلاح ليس مثل ثروات اغنياء البترول الجدد ، بل منبعها في الارض ومع ان معلمهم للكونسروة امم في عام ١٩٦٥ فقد ثابروا على الانتاج المزرعي في عملية الزرع والتنمية . وكتجار دمشقيين يقفون كما هم بعيدين عن الفورات البترولية .

الفصل الثامن الاقتصاد والمؤتمرات

ليس في موافقي الاقتصادية سر خاص يستدعي ايضاحا مفصلا . فانا تاجر اولاً ، والتاجر من اول مبادئه الحرية في العمل والاستيراد والتصدير ، والسهولة في الاتصال والمبادلة والتحويل ، والسرعة في حركة رأس المال لأن دوران رأس المال بسرعة يضاعف جدواه عما اذا كان مجمداً . ولكنني في عين الوقت اعطي للتجارة معناها الشريف الدقيق من حيث هي خدمة اساس ربحها الحلال ان يكون طريقه مشروعاً وحلالاً ، ولذلك اعتبرت وقلت دائماً ان حروف التاجر الاربعة جاءت من التقى والامانة والجهاد والرحمة . وقد عمل رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم بالتجارة فيجب ان تكون تجارتنا على ما رسم لنا حتى يكون ربحها المادي مترافقاً مع ربحها المعنوي . ولا يظن احد ان في هذا الكلام مغالاة لأن العمل التجاري متى افرغ من محتواه الاخلاقي اوشك ان يكون شيئاً غير مستحب ، ولا اسمى ادياً .

وبين الفترة والفترة تجري محاولات لرأب الصدع ولكن بعد ان يكون الضرر اصبح عسيراً على التفادي . وانا متمسك ولو كنت تركت الآن التجارة بمبدأ حرية التجارة ، مع حق الدولة في أن تضع المخطط العام للاحتياجات والقواعد التي تيسر ولا تعسر . ومع حق الدولة في أن يكون قطاعها العام نشيطاً ومنافساً جيداً وحقيقياً للقطاع الخاص ويعمل بغير قيود روتينية تفسد عليه امكان المنافسة . وقد رأينا بتجربة طويلة دامت اكثر من ثلاثين سنة ضرورة ذلك ، كما بدأ العالم يحس بأذى الوسائل المفايضة .

وانا من جهة ثانية وباعتباري تاجراً ومارست تجارة الفرق وتجارة الجملة ، اؤمن بوقف الهدر نهائياً ، لا سيما وان العالم امام التكاثر المخيف في سكانه صار بحاجة الى كسرة الخبزة وقطعة الزجاج وقطعة الخشب والورق لاعادة تصنيفها ، كما صار في حاجة الى الاقتصاد وشد الاحزمة ولكن ليس على ضعاف الناس وفي الضروريات .

ومن جهة ثالثة انظر الى المخالفات الاقتصادية نظرة اكثر رحمة لأن ما يكون صحيحا اليوم ثم يمنع غداً ليس جريمة دائمة القبح مثل القتل والقباحات الاخلاقية ولكنه تدبير اقتضته الضرورة ، والضرورة تقدر بقدرها .

لقد تركت ممارسة التجارة منذ زمن . لكنني حتى قبل ذلك التاريخ كنت مهتما اكثر بشؤون وشجون هذا الوطن الغالي من الناحية الحياتية . لقد كنت انظر الى نفسي على أنني مواطن اقتصادي : اي مواطن قبل ان اكون تاجرا لانني اقدم المصلحة الوطنية على المصلحة الخاصة ، وأرى أن التاجر مثله كأني عامل في هذا الوطن ، يجب ان يكون مواطنا قبل ان يكون تاجرا ، وان تصرفاته ومنهجه ونشاطه يجب ان يخدم مصلحته من خلال خدمة الوطن ودون الحاق أي ضرر بها . ثم أنني مواطن ، أي لست مسؤولا ، ذلك لانني وان كنت من خلال موقعي الذي اعطاني فرصة ابداء الراي وتقديم المقترحات واعطاء النصائح لم يكن في يدي حق طرح وتنفيذ القرارات . نعم لم اكن يوما من صانعي القرار ، ولم تكن لدي اية سلطة خارج ثقة المسؤولين باخلاصي وتجريدي المقرونة بالخبرة والممارسة . وضمن هذا الإطار كنت احاول تعديل وترشيد القرارات لتصبح اكثر ملاءمة للتنفيذ واكثر قدرة على تحقيق خدمة المصلحة العامة التي كان المسؤول والمشرع يهدف اليها . أي أنني كنت أنبّه الى المحاذير والسلبيات التطبيقية والعملية التي كان المسؤول في بعض الاحيان لا يلاحظها او يعيها .

ولقد كنت مواطنا اقتصاديا على اساس ان اهتمامي وهمومي كلها كانت تنصب في محور العمل الاقتصادي الميداني في هذا الوطن ، واعني الاقتصاد الجزئي التفصيلي والتطبيقي ، كل ذلك بعيدا عن السياسات العليا والمبادئ الشاملة أو العموميات .

ضمن هذا الإطار الاقتصادي كنت ولا زلت أرى ان هذا الوطن الغالي يتعرض لتحديات جسيمة وكبيرة (ناهيك عن المؤامرات والضعف والخارجية) بحيث يتوجب علينا جميعا - مواطنين ومسؤولين - ان ندركها أولا ومن ثم نضع الخطط الواعية ونتبعها بجهود مكثفة ودؤوبة حكيمة وحثيئة .

نحن بالاصل دولة نامية تعاني من نقص في الموارد والامكانات والانجازات . ورغم ان ما حققناه خلال العشرين عاما الماضية كان عملاقا وهاما وملموسا فاننا لا زلنا في بداية الطريق الطويل الشاق . اضافة الى ذلك فاننا نشهد تزايدا سكانيا ضخما يفرض علينا ضرورة تهيئة مجالات عمل انتاجية لجيل كبير من الشباب والشابات

الذين يتخرجون من المدارس والجامعات .

على هذا الاساس يجب ان تكون لدينا توفيرات داخلية كبيرة يواكبها استثمارات وتوظيفات مستمرة في مشاريع وصناعات وزراعات متزايدة كل عام . هذا العمل يتطلب تجنيدا وحشدا لكل الطاقات والعقول والسواعد ورؤوس الاموال ندعمها بالاجواء المشجعة والاكيدة ونقويها بمظلة وارفة من التشريعات والاجراءات المستحبة والمبسطة لتحقيق القفزة الجديدة المطلوبة .

اهم نقطة واكثر ما كان يعنيني في حياتي هو موضوع الانتاج . ففي نظري يجب ان يكون الانتاج هو السلطان المطلق وان يعطى الاهتمام والرعاية والافضلية القصوى . واخص بذلك الانتاج الذي يعتمد على عناصر ذاتية داخلية ولا يحتاج الى استيرادات كثيرة او غالية . يلي الانتاج في سلم اهتماماتي ومحاولاتي لدعمه وتنشيطه موضوع التصدير ، التصدير بمفهومه الشاسع الواسع العريض الذي يتضمن المواد الزراعية والغذائية والسلع الصناعية والخدمات والخبرات والسياحة . وهذا التصدير هو العنصر الاول والاهم في تقرير وتحديد ما يمكننا استيراده لتوفير ما نحتاجه من مواد اولية و سلع واورائل وتكنولوجيا وغيرها لتحقيق المزيد من الانتاج و لرفع المستوى المعيشي في القطر .

لتحقيق هذين الهدفين كنت دائما اناادي واطلب واحث على ضرورة اتباع سياسات حكومية واضحة ، طويلة المدى عامة وشاملة .

وبقدر ما نحن بحاجة ماسة الى توجيهات اجرائية حكيمة وواضحة ومبسطة فنحن ايضا بحاجة الى جهاز تنفيذي في الادارات والمؤسسات يكون مؤهلا وقادرا ومفوضا على تنفيذ تلك السياسات والتوجيهات بفعالية ونجاح . وهذا يعني اجتذاب الكفاءات والخبرات ، ومن ثم وضعها في المكان المناسب واعطاءها مجالا كافيا للعمل مع كل الحوافز والتشجيعات .

اننا نعم بوجود ثلاث قواعد رئيسية للعمل الاقتصادي . هذه القواعد تتمثل في القطاع العام والمشارك والخاص . فلنترك المجال المتساوي لكل هذه القطاعات لتعمل وتتنافس فيما بينها المنافسة الحقيقية المشروعة ويعطى كل قطاع كل الدعم المطلوب للعمل في تحقيق ما يتمكن عليه في تنفيذ الخطة والاهداف الموضوعية له .

وعلى الصعيد العربي

إن عملي الوطني على الصعيد الداخلي خلال أكثر من ستين عاما مضت من خلال الفرفة التجارية بالذات واكمه عمل مماثل على الصعيد العربي والقومي . فانا مؤمن بأن العمل الاقتصادي على الصعيد القطري يبقى ناقصا ومبتورا . لأنه وحده لا يكفي ابدا لاعطاء الامة العربية القدرة على مواجهة التحديات أو توفير العلاجات الكافية لحاجتنا الاقتصادية . انني أرى أن العمل العربي المشترك - بكل ما يعنيه ذلك من مشاركة وتعاون وتبادل وتعاضد وتوحيد - تمليه علينا التحديات العالمية التي تواجهنا في كل زاوية وركن ومكان . لهذا عملت وجاهدت منذ البداية على دعم وتشجيع وتطوير ذلك العمل . وانطلاقا من اتحاد الفرف العربية التجارية والزراعية والصناعية كنت اول من نادى بالتعاون العربي ، وبتأسيس السوق العربية المشتركة واتباع استراتيجيات موحدة في جميع النشاطات الصناعية والزراعية والتجارية والمالية وبتوحيد المؤسسات والتشريعات وبفتح باب التعاون العربي عريضا واسعا . أكثر من ذلك كنت من الذين دعوا الى ترجمة التعاون العربي المنشود عن طريق انشاء شركات ومؤسسات عربية مشتركة في اداراتها ورأس مالها ونشاطاتها وأهدافها على أساس أن هذه الشركات هي التي تشكل المنطلق الحقيقي للعمل المؤدي الى تكامل اقتصادي عربي يقودنا يوما الى الوحدة الاقتصادية التي نشدها وننادي بها والتي هي الجواب العملي الوحيد لمواجهة التحديات الناشطة على الساحة الدولية .

وقد عبرت عن هذه المبادئ وسواها في عملي في المؤتمرات المتعاقبة وفي اللجان التي تشرفت بعضويتها وفي مقالاتي لكبار المسؤولين ، وأرى انني اذا أوجزتها الآن في كتاب يلخص حياتي فاني أكون أدبت الامانة .

وتجنبنا للاطالة والدخول في التفاصيل انتقيت ثلاثة من المؤتمرات التي عقدتها الفرف التجارية العربية في دمشق في مسافات زمنية متباعدة هي الاعوام ١٩٥٣ و ١٩٧٧ و ١٩٨٨ ولخصت الكلمات التي دارت فيها ، وهذا يعطي مؤشرا عن تطور أفكارنا مع تطور الزمن . كما أقدم عددا من المذكرات التي قدمتها الى لجنة الترشيد في رئاسة مجلس الوزراء في تواريخ متلاحقة . أما الباقي من المذكرات والدراسات وهي بالعشرات إن لم تكن زادت على المئة ، فانها محفوظة في وثائق الهيئات الرسمية ومن يطلع عليها الآن أو في المستقبل يرى اثرها متواضعا لتاجر دمشقي اسمه بدر الدين الشلاح .

المؤتمرات الثلاثة لاتحاد الغرف التجارية والصناعية العربية

المنعقدة في دمشق : ١٩٥٣ ، ١٩٧٧ ، ١٩٨٨

مما يجدر ذكره - وهذا من ملاحظاتي الخاصة - ان المؤتمرات الثلاثة للغرف العربية التي عقدت في سورية من مجموع واحد وثلاثين مؤتمرا عقدت في الاقطار العربية الاخرى منذ عام ١٩٥١ وحتى عام ١٩٨٨ ، كانت موقع رعاية وتقدير المسؤولين السوريين ، الى درجة تظهر أصالة هذا القطر وتقاليدته في كرم الضيافة . اضافة الى تأكيدها على الاهتمام العميق برجال الاقتصاد ، والاقناع بأهمية دورهم في البناء والتقدم ، وإيمان الدولة بتقديم أعلى الدعم للعمل العربي المشترك .

وهذا يتضح من مستوى الرعاية الرسمية لهذه المؤتمرات ، اذ ان أول مؤتمر للغرف العربية عقد في سورية عام ١٩٥٣ ، افتتحه رئيس الدولة السيد فوزي سلو ونائب رئيس الدولة اديب الشيشكلي . وحضرة / ١١ / وزيراً . والمؤتمر الثاني عام ١٩٧٧ كان برعاية سيادة الرئيس حافظ الأسد وافتتحه اللواء عبد الرحمن الخليفاي رئيس مجلس الوزراء وحضرة / ١٢ / وزيراً . والمؤتمر الثالث عام ١٩٨٨ وكان ايضا تحت رعاية سيادة رئيس الجمهورية السورية حافظ الأسد وافتتحه الاستاذ محمود الزعبي رئيس مجلس الوزراء وحضره / ١٣ / وزيراً .

ومع احترامي وتقديري لجميع المسؤولين في الاقطار العربية كنت الاحظ ان ٢٨ مؤتمرا في بقية الاقطار العربية كانت في أكثر الاحيان برعاية رؤساء الدول فقط ولا يحضرها أكثر من وزير أو وزيرين .

وأود ان الفت انظار رجال الاقتصاد والانتاج في سوريا الى ما توليهم إياه الدولة من تقدير واحترام ومساندة ودعم لدورهم في المجتمع وهذا يقتضي منهم ان يقابلوا هذا التقدير بزيادة الاهتمام بالمصلحة العامة .

ان رعاية الحكومة السورية الرسمية لمؤتمرات الغرف يعكس ايضا اهتمامها المستمر بالامور الاقتصادية العربية وايمانها المطلق بضرورة دعم العمل العربي المشترك كما يعتبر عن رغبتها المعلنة والاكيدة بالاسترشاد بما تطرحه هذه المؤتمرات من آراء ومؤشرات وتوصيات .

مؤتمر الغرف التجارية - عام ١٩٥٣

اتاحت لي مشاركتي الدائمة في المؤتمرات العربية لاتحاد غرف التجارة والصناعة والزراعة ممثلاً للقطر العربي السوري الاحساس العميق برغبتني وبرغبات رجال الاقتصاد واصحاب الفعاليات الانتاجية المتنوعة بتحقيق اكبر قدر ممكن من الوحدة الاقتصادية العربية ورفع جميع الحواجز التي تعيق الانتقال والتسويق والمبادلات بين الاقطار العربية تمهيدا لقيام كتل اقتصادي عربي قادر على التعامل المتكافئ مع عمالقة الاقتصاد في العالم .

وقد تجسد هذا الموقف المتسم بالجدية والصدق في القرارات الصريحة والتوصيات الملحة لهذه المؤتمرات ، وما تنطوي عليه من وضوح وحسم في تحديد الخطوات الواجب اتخاذها من اجل ذلك الهدف القومي المصري ، واني اعود بالذاكرة الى الورااء اكثر من ٢٧ عاما ورااء مسيرة اتحاد الغرف العربية لكي اعيد الى الازهان مطالبه الثابتة التي وضعها بقوة ومثابرة امام المسؤولين العرب . وحثهم في كل مناسبة على تحقيقها .

انها امانني واقتناعاتي رجال الاعمال العرب منذ زمن طويل ، صاغوها في نداءات وبيانات جلية معرزة بالدراسات والارقام والمعطيات التي لا يرقى اليها الجدل ، ومن المحزن انه لم يتحقق منها الا القليل ، وحتى هذا القليل لم ينفذ بما يحقق الهدف المنشود ، وكان عرضة للتجادل في بعض الظروف .

اذكر ان الدورة الثالثة لمؤتمر غرف التجارة والصناعة والزراعة العربية التي انعقدت في السابع من ايار عام ١٩٥٣ بدمشق - كانت بمثابة تجمع عربي موسع لرجال الاقتصاد ، واصحاب الفعاليات والاعمال من سبعة اقطار عربية ، ومن اهم قراراتها مناقشة الدول العربية الغاء سمات السفر للمواطنين العرب بين اقطارها ، ومنح الانتاج الزراعي والحيواني ذي المنشأ العربي اعفاء جمركيا مطلقا ومعاملة انواع الانتاج الاخرى على اساس الاعفاء او التخفيض في الرسوم او الافضلية ، حسب ما تقتضيه المصلحة العربية بحيث تكون الرسوم الجمركية المستوفاة عن الانتاج العربي اقل من الرسوم المترتبة على المنتجات الاجنبية ، هذا بالاضافة الى انشاء

مصرف عربي لتمويل مشاريع التنمية والتسليف الزراعي والصناعي .

واكد قرار المؤتمر على انشاء اتحادات للفرف العربية في كل قطر عربي واعتبار غرفة مملكة ليبيا المتحدة عضوا في المؤتمر ، وعقد الدورة الرابعة للمؤتمر في بغداد ، ودعوة الحكومات العربية للاشتراك في معرض دمشق الدولي الذي كان على وشك افتتاح اول دورة في تاريخه .

وناشد المؤتمر الدولتين السورية واللبنانية للاسراع في تحقيق الوحدة الاقتصادية وجعلها نواة للوحدة الاقتصادية العربية ، وهناك قرارات اخرى .

والآن نتساءل ونحن نقف امام هذه القرارات والمطالب ترى ما الذي تحقق منها بعد سبع وثلاثين سنة من صدورها .

لم يتحقق منها الا اعفاء الانتاج الزراعي والحيواني العربي من الرسوم الجمركية واعفاء السلع الصناعية المنتجة بمواد محلية وايد عاملة عريقة من ٥٠٪ من الرسوم الجمركية ، وذلك بموجب قرار وزراء الاقتصاد والمال العرب المتعلق بالتبادل التجاري والصناعي والزراعي بين الاقطار العربية وهو من ثمار توصيات المؤتمر .

وجاءت الصدمة المؤلمة بالانفصال الجمركي بين القطرين السوري واللبناني بمسعى واصرار من السيد خالد العظم ، خلافا لتوصيات المؤتمر ، وبمناسبة انعقاد المؤتمر بدمشق ، بحضور حفلة الافتتاح السيد فوزي سلو رئيس الدولة السورية ، ونائبه الاستاذ اديب الشيشكلي ، والوزراء السادة محمد سعيد الزعيم وزير المالية ونائب وزير الاقتصاد ، وعبد الرحمن الهندي وزير الزراعة ، وتوفيق هارون وزير الاشغال ، وسنير غنام وزير العدل ، وسامي طيارة وزير المعارف ، وظافر الرفاعي وزير الخارجية ، وعزت طرابلسي مدير عام وزارة المالية ، وحسني الصواف ، ومحافظ الريف محمد علي يعقوب ، ومحمود النحاس وجورج خوري ومحافظ المدينة عبد الحميد المارديني .

اذكر انني اقمنا وشقيقي شفيق آنذاك مأدبة كبرى تكريما للاخوة العرب أعضاء المؤتمر في مزرعتنا بحوش العدمل في غوطة دمشق ، حضرها حوالي مائتين وخمسين ضيفا من الاخوة العرب والمسؤولين والتجار والوجهاء ، في طليعتهم السادة عبد المجيد باشا الرمالي رئيس غرفة تجارة القاهرة ، السيد علي نجيب سفير مصر ، ومحمد

جعفر الشيببي رئيس غرفة تجارة بغداد ، وجميل بيهم ممثل اليمينية المتوكلية ،
وعبدالرحمن السحمراني رئيس غرفة تجارة بيروت ، عبده باشا نجيم عضو غرفة تجارة
بور سعيد ، وعلي الزعتري رئيس غرفة تجارة صيدا ، محمد بدره مندوب تونس ،
وسامي التوتونجي عضو غرفة تجارة القاهرة ، وعلي شكري خميس مدير غرفة تجارة
الاسكندرية ، واصف كمال مدير البنك العربي ، سعيد حمادة أستاذ الاقتصاد في
الجامعة الامريكية في بيروت ، ومحمد سعيد الهندي رئيس غرفة تجارة حلب ،
ومحمد علي نمازي المشرف على الادارة الاقتصادية في الجامعة العربية .

وحضر المادة من الاخوان اعضاء غرفة تجارة دمشق السادة : مسلم السيوفي ،
عادل الخجا ، منير المهائني ، بشير رمضان ، بطرس مقنص ، ابراهيم الحسامي ،
أمين شحادة ، توفيق الطرايشي ، جورج ساره ، خيرى القنابي ، صياح بغدادى ،
عبد لهادي مارديني ، فؤاد الخباز ، نوري النص ، وجيه الصمادي ، رضا بعلبكي ،
وغيرهم أيضا ممن توفوا وسبقوني الى رحمة الله ، ولم يبق على قيد الحياة
غير السيد حسني الهبل ، وكاتب هذه الاسطر بدر الدين الشلاح .

وحضره أيضا اعضاء غرفة صناعة دمشق السادة : بدر الدين دياب ، رشدي
بكداش ، شريف الشبثون ، صادق الفراوي ، محمد القصص ، صبحي الحفار ،
حمدي البرزه ، وجيه لالقنابي ، حنين صحنواي ، صالح الشامي ، صديق مرتضى ،
عبد الوهاب القنواي ، الذين سبقونا الى رحمة الله ، والباقي على قيد الحياة : انور
الشلاح ، انور خطاب ، شفيق سكر ، محمد معتوق ، انور الدسوقي ، سهيل الخوري .

وعن غرفة الزراعة بدمشق : اسماعيل المالكى ، خليل الهبل ، رشيد الطرايشي ،
ومحمد شاكر من قرية برزه ، وسعدي القوتلي بن عارف القوتلي ، وحفيد مراد أفندي
القوتلي ، كذلك سبقونا الى رحمة الله تعالى ، وباقي أحمد العظم طال عمره .

وقدمت المحافظات بالسادة : سامي صائم الدهر ، وهبي الحريري ، عن غرفة صناعة حلب .
ومحمد سعيد هندي ، ميشيل جنبرت ، صبري الشرجي ، ويوردان عجمي
عن غرفة تجارة حلب .

وعبد المجيد قنباز ، وحيد الاسود ، خالد البارودي ، مصطفى فخري ، ومحمود
عبد اللطيف البارودي ، عن غرفة تجارة حماه .

وناصح العظم ، وحلمي البارودي ، عن غرفة زراعة حماه .
وعبد الحسيب رسلان ، محمد سعيد العوف ، نصوح رسلان ، مختار الحسيني ،
عن غرفة زراعة حمص .

وزكي حميد باشا ، رائف النوري ، آدفين خوري ، عن غرفة زراعة حلب .
ومحي الدين الازهري ، رودلف سعادة ، عن غرفة تجارة اللاذقية .
وتوفيق نديم هارون ، عن غرفة زراعة اللاذقية .
ويونان هدابا ، عن غرفة تجارة الحسكة .

وعزت سليم ، زكي نظام الدين ، يوسف صاع ، عن غرفة زراعة الحسكة .
وسعيد بوبس ، حمدي السيدا ، محمد أيوب الخولي ، عن غرفة تجارة درعا .
ونافع رجب ، والحاج محمود توفيق الهنيدي ، عن غرفة تجارة دير الزور .
وبالإضافة الى حفلة بدر الدين وشفيق الشلاح ، أقيمت / ٨ / حفلات وهي :
حفلة وزير المالية محمد سعيد الزعيم ، وحفلة غرف التجارة والصناعة والزراعة ،
وحفلة واصف كمال مدير البنك العربي ، وحفلة أديب الروماني مدير مصرف
الرافدين ، وحفلة غرفة تجارة حمص في مقهى الميماس ، وحفلة غرف التجارة
والصناعة والزراعة بحلب ، وحفلة رئيس بلدية حلب .

من الجانب السوري كان في المأدبة السادة : محمد العايش رئيس المجلس النيابي ،
محمد سعيد الزعيم وزير المالية ، عبد القادر الاسود رئيس محكمة التمييز ، الدكتور
أحمد السمان المستشار في غرفة تجارة دمشق ، والدكتور واصل القنابي ، وزياد
العسلي عن وزارة الاقتصاد ، وموفق العلاف رئيس دائرة المعارض والدعاية الخارجية ،
وعدنان حمصي رئيس دائرة الانتاج الصناعي ، وهشام عمر باشا رئيس دائرة الابحاث
الصناعية ، محمد زكريا اسماعيل رئيس دائرة الشؤون الاقتصادية ، يحيى المالكي
رئيس قسم التشريع ، والدكتور صادق الايوبي من وزارة المالية ، وعبد الوهاب الازرق
المدير العام للجمارك ، وممدوح الطباع مدير غرفة تجارة دمشق .

ومن رجال الصحافة كان ثلة من السادة : محمود أبو الفتح صاحب صحيفة
المصري ، ونصوح باييل صاحب صحيفة الايام ، وديع صيداوي صاحب صحيفة النصر ،
وجيه الحفار صاحب صحيفة الانشاء ، بشير العوف صاحب صحيفة المنار ، بسيم
مراد صاحب صحيفة الاخبار ، حبيب كحالة صاحب مجلة المضحك المبكي ، عباس

الحامض ، محمد عثمان الشحرور ، ياسين الحمصي ، فارس مراد مدير المطبوعات ،
الدكتور عبد السلام كنعان مدير مالية دمشق ، المهندس صبحي كحالة ، نوري الايبش ،
ادهم الجندي ، المحامي سعيد خماش ، فؤاد الشايب ، اكرم زريق ، كاظم الجزار ،
سليم المفتي ، عمر الشلق ، ماجد الفزي ، عدنان الخطيب ، نصح الدقاق ، عوض
بركات ، عبد الرحمن الطباع مدير الاوقاف ، شكري طوشان ، ميشيل مساميري ،
والكثير لم اذكر اسمائهم ولا اعرف من منهم انتقل ومن هو باقي قيد الحياة .

هؤلاء الذين اسففتني الذاكرة باسمائهم . الجانب الاكبر منهم انتقل الى رحمة الله ،
احسن الله اليهم واسكنهم فسيح جناته ، وتولى بعونه ورضوانه من تبقى ، وانا لله
وانا اليه زاجعون ، ولا نحمل الى لقاء وجه الله إلا اعمالنا مبتهلين اليه ان تكون
صفحاتنا ترجح فيها الحسنات وتقل السيئات . وان يكون الميزان لنا لا علينا
انه سميع مجيب . وقد حملني على تعداد اسمائهم جميعا الوفاء لذكراهم والرغبة في
تسجيل جهودهم في احياء الاقتصاد الوطني والترويج للمبادئ السليمة فيه .

اود هنا على سبيل النكتة ، ان اذكر حادثة جانبية عرضت لي في جولة
نظمتها غرفة تجارة دمشق على محافظات حلب وحمص واللاذقية . فلما حللنا في فندق
بارون بحلب كانت فيه الممثلة المصرية ماجدة بمناسبة عرض فيلم لها في صالات الشهباء
وتلبية لرغبتها زرتها مع بعض الاعضاء ، اذكر منهم المرحوم صبري الشربجي عضو
غرفة تجارة حلب ، وعلي شكري خميس مدير غرفة تجارة الاسكندرية .

وكانت الفرقة التي تحل بها ماجدة ، صغيرة لا تتسع لجلوس الكثيرين ، فاضطرت
للجلوس على سرير نومها ، والتقطت صورة لهذه الزيارة تظهرني انا والممثلة المذكورة
على سرير النوم ، وعند عودتي الى دمشق ، احدثت هذه الصورة إشكالا عائليا
وملاحظات حادة من ام راتب ، وكيف يمكن تصديق كونها زيارة مجاملة مع اصدقاء ،
بينما تظهرنا الصورة معاً على السرير ؟

هذا واليكم الكلمة التي ألقيتها في مؤتمر عام ١٩٥٣ :

بسم الله الرحمن الرحيم . سادتي واخواني ،
ارحب بكم أجمل ترحيب ، وأحييكم تحية عربية صادقة ، وأشكركم على
تلبيةكم هذه الدعوة المتواضعة ، فمثل هذه الحفلات تؤلف بين القلوب ، وتوحي
بالابتكار لما فيه مصلحة الوطن العربي الأكبر العزيز .

ما أحلاها من فرصة يجتمع فيها أقطاب المال والتجارة والصناعة والزراعة
في البلاد العربية ليوحدوا جهودهم في سبيل تعزيز العلاقات الاقتصادية التي
نريدها - وحدة كاملة متماسكة - لا يؤثر فيها الأعصار ، ولا تهزها الأزمان .

اخواني ، ان الاقتصاد هو نقطة الارتكاز في تدعيم الاستقلال ، وسورية في هذا
العهد المبارك ، قد خطت خطوات جبارة في حياتها الاقتصادية والزراعية ، واستطاعت
في مدة قليلة أن تسجل نجاحا عظيما والحمد لله ، وذلك بفضل القائمين على الحكم
وإدارة شؤون البلاد من عسكريين ومدنيين .

وانني اذ اكرر الترحيب بكم ، ارجو مؤتمرنا النجاح الذي يريده كل عربي في
هذه الدنيا . والسلام عليكم ورحمة الله .

دورة الاتحاد العام رقم ((٢١)) عام ١٩٧٧

الكلمة التي القيتها في افتتاح الدورة المذكورة بدمشق

بسم الله الرحمن الرحيم . سيادة رئيس مجلس الوزراء ممثل رئيس الجمهورية الاكرم السيد رئيس الاتحاد العام ، السيد امين عام الاتحاد ، ايها الاخوة الكرام ضيوفنا وزملاء ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

باسم العروبة ، وباسم هذا التجمع العربي الكبير احبيكم في بلدكم دمشق الشام ، دمشق التي انطلقت منها جحافل العرب الى افريقيا في الفتح الاسلامي ، كما زحف طارق بن زياد بجياده الى الاندلس حتى اوربا فاتحنا مظفرا .

ارحب بكم اجمل ترحيب ، حللتم اهلا وسهلا على الرحب والسعة بين الاشقاء لا ضيوفا ولكن مواطنين لكم الصدارة في هذا الجزء المتواضع المشرق من هذا الوطن العربي الكبير كما وانني ارحب بصورة خاصة بضيوفنا الافارقة الاكارم ممثلي الغرف الافريقية ، هذه القارة القريبة منا قلبا وروحا والعزيرة علينا قولا وعملا ، والتي نحن جزء منها وهي جزء منا . لقد مرت قطرنا العربي السوري بأحداث جسام في تاريخه المعاصر ، من كفاح ضد الاستعمار ، الى حروب شرسة مع العدو الصهيوني الفاصب الذي استمر في استنزاف طاقاتنا وجهدنا وتفكيرنا وسياستنا ، كما مررنا بتجارب عديدة قاسية ومؤلمة ، كانت كلها تعكس امانتي وتطلعات الشعب السوري القطرية والقومية ، او كانت تصطدم بواقع المؤامرات والاطماع الخارجية نتيجة نظرة الجميع بأن سورية هي معقل القومية وحصنها ومصدر اشعاعها . يضاف الى ذلك حربنا المستمرة لمحو رواسب الاستعمار ، المثقلة بالتخلف والتمزق والمليئة بالتناقضات .

ولقد قامت الحركة التصحيحية بقيادة الرئيس حافظ الاسد باعادة سورية الى مكانها اللائق بين دول العالم وخاصة العربية منها ، وكانت المنعطف الأهم في تاريخنا الحديث وفي ترسيخ وبلورة امانينا . ومنذ ذلك الوقت تمكنت سورية أن تقفز نحو تنمية اقتصادية وصناعية وثقافية واجتماعية شاملة يراها ويلمسها كل زائر وباحث . وعلى سبيل المثال ، نوضح ان التوظيفات الصناعية خلال السنوات السبع الاخيرة تفوق كل ما كان قائما من صناعات في سوريا منذ أن نالت استقلالها ، وهذه الصورة نفسها تتكرر وبالقوة ذاتها في مجالات التكنولوجيا والثقافة والتجارة والسياحة

- والمواصلات . واما في مجال الزراعة فان الحكومة الحاضرة قد اولتها كل عناية ورعاية واهتمام لاستغلال هذا القطاع كما جاء في بيان الحكومة الذي اذيع على الشعب .
- واذا كان سد الفرات هو احدى قمم هذه الانجازات التي ستلعب دورا في تركيب الاقتصاد السوري ، فهو بالذات لم يستنفذ طاقته في العطاء والدعم ، كما انه لم يكن إلا احدى هذه المرتكزات العديدة والهضبات الجديدة التي وصلنا اليها في جميع المجالات ولا يفوتنا عند تقييم هذه المنجزات الضخمة ، ان نشير الى نقاط جوهرية وهي :
- ١ - ان كل ما حققناه لا يتعدى كونه مجرد نقاط ارتكاز ، ومنطلقات متواضعة نحو الافضل ، في سبيل الانتعاش والازدهار . وفي تاريخ الامم لا يوجد اي مجال لاستراحة او لكبوة ، وكلما وصلت امة الى قمة جديدة توسع افق نظرتها وتطلعاتها وارتفعت قدرتها على العمل والانجاز . ان القمم التي نهدف اليها اليوم ستصبح بعدما تتحقق نقاط انطلاق جديدة لاهداف المستقبل .
 - ٢ - اننا نؤمن بان المعركة قومية لا قطرية ، واننا وحدنا لن نحقق ما نرجوه ، والمطامع الموجهة هي ضد المنطقة كلها ، ولو كانت الاستراتيجية المتبعة بتحقيق هذه المطامع هي بالتسرب عن طريق هذه الدولة او تلك . وهكذا فان قدر الامة العربية هو بتماسكها ووحدتها . ولا يمكننا تحقيق النجاح والازدهار والكرامة بالتجزئة والخلافات . وضمن هذا الاطار نشير الى سورية الثورة ، وسورية العروبة بوعي وتصميم قد حملت هذا المشعل ، وترجمت هذا التصور الى عمل تدعمه وترسخه ، ان سورية خطت بطريق تعاون صلب ومتين بين كل الاقطار العربية . ونذكر باعتزاز :
 - ١ - ان سورية قد لعبت دورها الكامل والمشرّف في حرب تشرين المجيدة وحرب الاستنزاف .
 - ٢ - ان سورية تحملت مسؤوليتها بصبر وداب وتضحية وتجرد لا يقف الهادر واقتتال في لبنان العزيز الغالي . واملنا المخلص هو ان يستعيد هذا الجزء من الوطن العربي ازدهاره وتأخيه ووجهه المشرق النضوك .
 - ٣ - ان اتفاق سورية ومصر والسودان ما هو إلا احدى خطوات قطع الطريق على المؤامرات الاستعمارية في البحر الاحمر .
 - ٤ - ان اللقاء الذي تم بين سورية والاردن ، وما أسفر عنه من تقارب ومقررات

ما هو إلا فجر جديد ومسيرة طبيعية نحو تحقيق الهدف الاسمى ، نحو الوحدة العربية الكبرى ، بفضل جهود القائدين العربيين سيادة الرئيس حافظ الاسد وجمالة الملك حسين .

اننا كرجال اعمال نهتم أيضا بالنواحي العلمية والاهلية . وفي هذا المجال بالذات نجد أن سورية كانت سباقة في فتح ابوابها وقلبها لكل مواطن عربي . فلا اذن دخول مسبق ، ولا شروط اقامة او عمل . ان المجال مفتوح للراسمال العربي ، وله الفرصة الكاملة للمساهمة الفعالة والاستفادة الكاملة من الشروط المشجعة الممنوحة له . ايها الاخوة الاعزاء ،

انكم تجتمعون اليوم لتتدارسوا وتخططوا من اجل استخلاص صيغ جديدة وتوصيات بناءة تنسجم مع معطيات المرحلة الخاصة والدقيقة التي تمر بها بلادنا العربية .

ان الوحدة الاقتصادية التي تم التصديق عليها من قبل / ١٢ / دولة عربية بتاريخ ١٩٥٧/٧/٣ ، والسوق العربية المشتركة التي طالب بها مؤتمركم منذ عام ١٩٥٣ وتم التصديق عليها في ١٢/٨/١٩٦٤ من بعض الدول العربية على ان تطبق ضمن مدة /١٠/ سنوات ، كان المفروض ان تسمح بانتقال البضائع بين البلاد العربية بدون رسوم ابتداء من عام ١٩٧٥ ، فما هي الاسباب يا ترى ؟ .

من هنا جاء قرار مجلس اتحادكم الذي انعقد في ليبيا في شهر شباط بالتركيز على هذا الموضوع ، وأن نصارح به ونطالب ، فاذا لم تحصل بعض التنازلات الجزئية والبسيطة في سبيل المصلحة القومية البعيدة المدى تبقى تلك السوق حبراً على ورق عشرات الاعوام .

ان مؤتمركم يدرك ان المطلوب يتعدى تحقيق الوحدة الاقتصادية ، ويتطلب الوصول الى الجذور الاقتصادية الأعمق والأشمل من مجرد تبادل السلع والبضائع وهو الوصول الى تعاون مشترك مثمر يحقق وقرأ للجميع ، ويمحو الازدواجية ويمنع الهدر . كما ان مؤتمركم يدرك الدور الهام الذي سيلعبه التمويل في تقرير تنفيذ المشاريع ومدى اندفاعها ، لكونه العصب المنظم لخطط التنمية والتطور في العالم العربي .

اخواني ، يبدو لي ان سبب التعثر في تحقيق العديد من آماني الشعب العربي ينبع من ان بعض الاقطار لا تزال تتردد ازاء التنازلات الجزئية والمؤقتة في سبيل المصلحة الذاتية والقومية البعيدة المدى .

ويبدو اننا معشر العرب نميل الى تأجيل اتخاذ خطوات اساسية طالما انها غير ملحة وغير عاجلة . وفي المقابل وعند الملمات ترانا جميعا مستعدين لكل تنازل وكل تضحية .

الى ان تتبلور هذه الافكار ، وتترجم فعلياً الى عمل منظم ومدروس ، فسنبقى نمحص الافكار وندرس المقترحات ، ونقدم التوصيات ، آمليين ومؤمنين بأن الوقت لن يطول قبل ان تصبح حقيقة وواقعاً .

اخواني الأعمام ،

أربعة وعشرون عاماً انقضت على مؤتمركم الذي عقد في دمشق ، واني حقاً افتقد وجوها كثيرة غالية كانت حاضرة في ذلك المؤتمر ، وكانت وقادة ورائدة حملت الشعلة ، شعلة العمل العربي المشترك .

لقد غابت عنا هذه الوجوه الكريمة ، فنرجو الله أن يتغمدها برحمته وبركاته ، وفي الوقت نفسه أرى وجوها شابة مشرقة وقادة ، احتلت مكانها بالتجديد ، شباب مندفع ومتحمس مقرون بشيخوخة حكيمة وخبرة ، يلتحمان معاً لحمل المسؤولية ورعاية الامانة .

اخواني ، ان أهم حصيلة يجنيها الانسان في حياته ، هي عندما ينظر الى ما حققه اثناء ما كان المجال امامه مفتوحاً والفرص مواتية . والسعادة والراحة هي ان يشعر انه قام بواجبه وأرضى ضميره بما ساهم في أداء واجب الخدمة لمجتمعه ووطنه والانسانية . واملني ان تكون جميعاً من عداد هؤلاء الذين تركوا لخلفهم وطناً أفضل وأكثر اشراقاً مما استلموه من السلف ، علنا نكسب شرف المواطنة الصحيحة ودعوات الاجيال القادمة بالشكر والتقدير .

واذا اكرر املني بنجاح مؤتمركم الكريم ، ورجائي بأن يحقق الاهداف المرجوة ، اتمنى لكم في ربوع وطنكم الكريم ، سورية العزيزة اقامة سعيدة ومثمرة .

سدد الله خطاكم ، والله وليّ التوفيق .

مؤتمر الغرف العربية لعام ١٩٨٨

لم يمض / ١٠ / سنوات على مرور دورة مؤتمر الغرف العربية الذي عقد في دمشق عام ١٩٧٧ ، حتى دعا رئيس الوفد السوري الحاج بدر الدين الشلاح المؤتمر الى اقامة دورته الثلاثين في دمشق في التاسع من ايار ١٩٨٨ ، وقد تم افتتاحه تحت رعاية سيادة رئيس الجمهورية العربية السورية الرئيس القائد حافظ الاسد . وقد افتتح المؤتمر سيادة رئيس مجلس الوزراء الاستاذ محمود الزعبي ، وحضره نواب الرئيس والوزراء السادة : الدكتور سليم ياسين ، والاستاذ محمود قدور ، والدكتور محمد العمادي ، والاساتذة حسان السقا ومحمد غباش ومحمد سلمان وياسين رجوح ويوسف الاحمد وحيدر بوظو وعدنان قولي وخالد المهاني والدكتور محمد حربيه وعبد المجيد طرابلسي .

وكان اعضاء المؤتمر يزيدون عن / ٤٠٠ / عضو يمثلون / ٢١ / دولة عربية ، بالاضافة الى / ٢٢ / عضوا يمثلون الغرف العربية الاجنبية المشتركة ، و / ١٥ / منظمة ومؤسسة عربية .

وافتح الحفل سيادة الاستاذ محمود الزعبي رئيس مجلس الوزراء ، بكلمة قومية جامعة وشاملة نشرت في كل الصحف وهي مطبوعة في مجلة غرفة تجارة دمشق . وبعده القى الاستاذ عدنان قصار نائب رئيس الاتحاد العام كلمة ، ثم كانت كلمة الحاج بدر الدين الشلاح رئيس اتحاد غرف التجارة والصناعة السورية ورئيس المؤتمر الحالي . ثم كلمة الدكتور برهان الدجاني الامين العام للاتحاد ، ثم القى سعادة الشيخ عبد العزيز الصقر رئيس غرفة تجارة وصناعة الكويت كلمة الغرف العربية وكانت كلمة قومية شاملة . . .

والقى رؤساء الغرف الاجنبية المشتركة كلماتهم بعد ذلك . ثم اقام رئيس مجلس الوزراء حفلة ضمت جميع وزراء الدولة واران القيادة القطرية وكبار موظفي الدولة . واقام رئيس الشركة السياحية الدكتور عثمان العائدي ، حفلة كبيرة تكريما لاعضاء المؤتمر في فندق الشام . واقامت السيدة نجاح العطار وزيرة الثقافة حفل سمر . وزارت الوفود مدينة القنيطرة وقدم السيد وزير النقل الاستاذ يوسف الاحمد

طائرة لنقل أعضاء المؤتمر برحلة الى مدينة اللاذقية ، زار الوفد خلالها المدينة الرياضية ومزارع الحمضيات والسياحة . و اخيرا عادوا مساء بسلامة الله .

وحيث كان قراري النهائي ، ان اعتزل التمثيل بالاتحاد وبغرفة تجارة دمشق افمت أنا وأخي شفيق وأولادنا حفلة غداء وداعية في مزرعتنا بالعدمل في غوطة دمشق . وكان عدد المدعوين / ١٤٠٠ / مدعو ، وكانت المزرعة مزدانة بالاعلام العربية واللافتات المذكور فيها بعض الاحاديث النبوية عن الشام وعن الغوطة وألقيت فيها كلمة يجدها القارئ بعد قليل . وقد كان الطقس جميلا جدا ، فلم يكن حارا ولا باردا ، وكانت مكبرات الصوت موزعة في كافة أرجاء المزرعة . وكان حاضرا عدد كبير من الوزراء .

ثم قامت الوفود الى المائدة الممتدة . . وهي تحتوي على جميع اصناف الطعام والحلويات والفواكه ، وبين نعمات الموسيقى ، وركوب الخيل . وكان أفراد العائلة شيوخا وشبابا وأولادا وأحفادا يقومون بالخدمة على الطعام ، بالإضافة الى مقدمي الطعام ، وكل ذلك في ظلال غابة من أشجار السرو والصنوبر ، وصوت المياه من الشلالات ، وروائح الخبز البلدي الساخن من التنور . وزاد عدد السيارات عن / ٢٠٠ / سيارة في المكان المخصص لها ، دون أي عرقلة سير . وبقي أكثر المدعوين الى حين آذان المغرب . وانقل لكم من الوثائق الرسمية الكلمة التي ألقيتها بصفتي رئيسا لاتحاد غرف التجارة السورية في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر .

* * *

الكلمة التي القيتها في جلسة افتتاح مؤتمر ١٩٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم . نستمد منه العون والتوفيق ، ونسأله أن يأخذ بأيدينا .
ليكلل مؤتمرنا هذا بالنجاح ، ويعم نفعه سائر البلاد والعباد .
بالنجاح ، ويعم نفعه سائر البلاد والعباد .
أيها الحفل الكريم ، أيها السادة أعضاء المؤتمر الأفاضل :
نفتتح مؤتمرنا هذا تحت رعاية سيادة الرئيس حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية ، الذي تفضل فأناج عنه سيادة رئيس مجلس الوزراء الاستاذ محمود الزعبي ممثلاً عنه ، فتفضل مشكوراً بافتتاحه .
فباسمه وباسم السادة المسؤولين السوريين الذين تكرموا بحضورهم للمشاركة في افتتاح هذا المؤتمر والترحيب بأعضائه وضيوفه .
وباسم سائر الغرف السورية ، بل وباسم شعب سورية الكريم الاصيل جئت أرحب ترحيباً طيباً خالصاً من القلب المحب بكم جميعاً ، أرحب ب :
اتحاد الغرف التجارية والصناعية والزراعية رؤساء وأعضاء كراماً .
وبالسادة رؤساء وأعضاء الغرف العربية الأجنبية المشتركة .
وبالسادة ممثلي ومندوبي المؤسسات العربية المتخصصة .
وبالسادة السفراء ومثلي الاقطار الصديقة الذين يحضرون هذا الحفل .
إننا من القلب ، نتمنى لكم جميعاً إقامة سعيدة في قلب العروبة وصخرتها ، في القطر العربي السوري وعاصمته دمشق (الشام) . ومن القلب نتمنى لهذا المؤتمر كل النجاح والتوفيق ، والاسهام في خدمة الاقتصاد العربي المترابط القوي المنيح .
أيها السادة الأكارم ،
منذ نيتف وأربعين عاماً ، ابتداء اتحاد الغرف يتبلور على أسس كانت مثالا للواقعية والحس الوطني السليم ، وبعد النظر . فيما كان العرب مقبلين عليه ، وفيما كان يترتب عليهم من وعي وعمل .
ومنذ البداية ادرك أعضاء الاتحاد وبنائته ، أن أمة العرب ، يجب أن تتسق وتتعاقد وتتساعد وتتبادل على أسس وطنية وقومية علمية وعملية وحكيمة .

وخير دليل على ما اقول يأتي في القرارات والتوصيات والدراسات المتتالية التي صدرت عن المؤتمرات ، منذ اول مؤتمر حتى تاريخنا هذا .

لقد طالبنا ونصحنا بخلق السوق العربية ، يوم كانت السوق الاوربية لا زالت في مهدها ، ويوم كانوا يتكلمون عن سوق اوروبية للصلب والفحم والحديد .

وكم يحزّ في القلب ان اوروبا تلك ، اوروبا المتناقضات والخلافات والحروب والتنافر ، اوروبا المتخلخلة المنهوكة ، عندما وجدت مصيرها ومستقبلها وازدهارها يعتمد على التعاون فيما بينها . رات ان لا سبيل امامها للتصدي والسمود تجاه ظهور الدول العملاقة على الساحة الدولية إلا بالتعاون ، إلا بأن تلم شملها وتنسى خلافاتها وتناقضاتها ، لتؤسس أكبر سوق وأكبر كتلة اقتصادية قادرة على المنافسة مع التحديات .

من جهة اخرى ، نجد ان الاربعة عاما السابقة ، اظهرت ان العرب رغم حسن نواياهم ، ورغم ترانهم المشترك ومصيرهم الواحد ، رغم الامكانات والمقومات الايجابية الهائلة التي يملكونها لتحقيق تكتل اقتصادي قوي ومتطور ، فانهم لم ينجحوا بتحقيق اي تقدم حقيقي او نسبي في تطلعاتهم ومسؤولياتهم الاقتصادية .

جهود متفتتة ، عمل غير مركز ، قرارات واتفاقات لم تجد النور الحقيقي او الترجمة العملية المجدية والفعالة .

والصورة التي نراها على الساحات القطرية والوطنية ، لا تفوق الصورة على الساحة القومية كثيرا باسراقاتها ، رغم الانجازات الكبيرة التي تحققت في الفترة الاخيرة .

نحن لا نكر ان المنطقة بأسرها تتعرض لجزء من الازمة الاقتصادية السائدة في العالم . واننا اضافة لذلك نعاني من هجمة اقتصادية مركزة مسمومة تحقن على فترات لهذا القطر او ذلك بشكل او باخر .

اننا نملك الارض والتربة والمناخ ، وقد أعطانا الله عزّ وجلّ موارد طبيعية تفوق تصورنا او حاجتنا . والامة العربية تغبط وتحسد على انسانها العربي المتميز بالجد والذكاء ، وعندنا الاسواق ولدينا الرغبة والامل ، كما أننا جميعا نشعر ونؤمن بضرورة وحمية التكتل والتنسيق والتعاون . كل ما هو مطلوب هو ايجاد الصيغ

الواقعية والفعالة ، لصهر كل هذه المقومات واستقطاب الامكانات وتفجير الطاقات لكي نصل الى ما تتطلبه منا امتنا وتحتمة علينا ظروفنا وماستحاسبنا عليه أجيالنا المقبلة .

ومؤتمرنا هذا فرصة جديدة يجب أن تستثمر للاسهام في حشد طاقاتنا وطاقتنا جميع اخواننا العرب في وجوه الخير والبناء ، فلنعاون تعاوننا حقيقيا موضوعيا كاملا وشاملا . فالنصر دائما حليف المخلصين ، والتوفيق دأب العاملين ، وجمع الكلمة على الحق والخير سبيل السعادة والحماية والرعاية . وفي ذلك كبح لجماح العدو المغتصب ورد عملي فعال يحطم كل هجمة استعمارية شرسة على بلادنا العربية واقتصادها .

وهنا أحب أن أشير الى أن هذا القطر منذ الحركة التصحيحية الذي قادها الرئيس حافظ الأسد ، آلى على نفسه قائدا وحكومة وشعبا وعن رضا وقناعة وإيمان ، اعطاء القضايا المصرية والقومية الصدارة المطلقة في اهتماماته وعطاءاته ففضلها عن أي هتمام أو برنامج آخر . ونتيجة لذلك نجد أن أعباء خدمة قضايا الامة العربية هي أكبر من أن يتمكن أي قطر آخر بحجمنا ومواردنا وامكاناتنا تحملها منفردا وحده .

أربعون عاما ونحن نخصص بشكل مباشر ٧٠٪ من مجموع وارداتنا وميزانياتنا في سبيل الدفاع عن الوطن والعروبة . والاسهامات التي تقررت لدول الصمود كانت بالماضي تساعد لسنين قليلة على تغطية بعض العجز وسد بعض المتطلبات ، ورغم تقلص

اتناء زياراتكم ومشاهداتكم ، ستلمسون معالم هذا التقدم وهذه الانجازات أكثر هذه الاسهامات تمكن قطرنا أن يحقق تنمية وازدهارا وتقدم في جميع المجالات والميادين . الظاهرة في كل مجال ، كالبنى الاساسية والطرق والمعامل والسكك والجامعات والمؤسسات .

يشير بعض الناس الى وجود صعوبات يمر بها هذا القطر ، والى ظهور بعض الجواب السلبية في بعض الميادين .

أن ما يسمى بالازمة هو مجرد سحابة عابرة وبسيطة وأقل بكثير مما يوهم بها اعداؤنا ويتصورها اصدقاؤنا . انها بالواقع افرازات طبيعية لقفزة كبيرة عملاقة حققناها في شتى الميادين في برهة قصيرة جدا كان لا بد أن تترك بعض النتوءات والخلل ، واننا بعون الله سائرون على الطريق الاكيد نحو التقدم والمنعة والازدهار .

ان مشاريعنا بدأت وتبدأ بالانتاج والمطاء والاسهامات العربية ستساعد على

تغطية جزء من المصاريف . وسيزداد حجم انتاجنا من البترول ، ليشكل مصدرا مرموقا لتحقيق المناعة وانجاز الانماء .

ويبقى اعتمادنا الرئيسي على الانتاج وزيادته ، وها نحن والحمد لله ننعيم بعام يبشر بالخير والبركة ، نتيجة الامطار الجيدة التي ستوفر علينا القطع الاجنبي الذي دفعناه للحبوب والفضاء والعلف .

يكفيننا ان هذا القطر لا يعانني من أي أزمة في الديون الداخلية الخطيرة التي يعاني منها كثير من الاقطار الاخرى . كما ان ديونه الخارجية لا زالت ضمن حدود ضيقة ومعقولة . واننا نعلنها بصدق وصراحة ان هذا القطر الذي اصبح بقيادة السيد الرئيس الحكيم الصخرة المنيعه للقضايا العربية ، سيصبح القلعة الاقتصادية الحصينة بين الدول العربية الشقيقة .

ثم لا بد لنا من أن نشير الى اننا نعيش اليوم مع الانتفاضة العارمة التي عمّت جميع انحاء فلسطين على الارض المحتلة ، وهي ثورة شعبية شاملة تؤكد حقوق هذا الشعب في ارضه ورفضه العيش تحت الاحتلال ، فتحيّة اجلال واكبار الى ابطال الحجارة ونساء الحجارة واطفال الحجارة .

ولا يفوتني أخيرا أن اشكر كل من ساهم بأي جهد كبير او صغير في إعداد وتنظيم وإقامة هذا المؤتمر الكريم . واخص منهم بالذكر :

اولا : الامانة العامة لاتحاد الغرف العربية ، وفي طليعتهم الاخ الدكتور برهان الدجاني .

ثانيا : السادة المسؤولين في غرفة تجارة دمشق ، واتحاد غرف التجارة السورية ، والغرف الزراعية والصناعية ، معترفاً مع الشكر الجزيل والعرفان بالجميل للسادة المسؤولين بما قدموا من التسهيلات وأبدوا من تعاون فعال ومثمر .

وللسادة الاساتذة الذين تقدموا بدراسات قيّمة ، متمنيا لهذا المؤتمر ان يحقق اهدافه على احسن ما يرام ، ولاعضائه في بلادنا سورية العارمة ، طيب المقام .
ويد الله مع الجماعة ، وانما يأكل الذئب من الفم القاصية .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

بدر الدين السلاح

الاثنين في ١٠/٤/١٩٨٨

مقتطفات من

كلمة رئيس المؤتمر السيد بدر الدين افشلاح

في الحفلة التي اقامها في مزرعته ألاتين في ١١/٤/١٩٨٨

اصحاب السعادة والسيادة ، ايها الاخوة الاكارم ، ايها الزملاء المحترمون

باسمي ، وباسم اخي شفيق ، وباسم اولادنا واحفادنا ، ارحب بكم جميعا اجمل الترحيب واخلصه في بلدكم سورية ، وفي عاصمتها دمشق « الشام » وفي غوطتها الغنشاء التي جاء بها الحديث الشريف عن ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم : يا ليتني بالغوطة بمدينة يقال لها دمشق حتى آتي موضع الانبياء .

هذه الرياض المزهرة نمت وتفتحت ازهارها ، فعاشت بلقائكم ربيعا ناضرا باسماء سبعة وثلاثون عاما ونيّف ، مضت على اول مؤتمر للفرف العربية ، شاركت فيه ولا زلت اشارك فيه كل عام منذ ذلك التاريخ .

لقد عقد المؤتمر الثالث في الشام يوم ٧/٤/١٩٥٣ وكان المرحوم مسلم السيوفي رئيسا لغرفة تجارة دمشق والمرحوم جعفر الشيببي رئيسا لغرفة تجارة بغداد ، وعبد المجيد باشا الرمالي رئيسا لغرفة تجارة مصر والمرحوم عبد الرحمن السحراني رئيسا لغرفة تجارة بيروت ، والمرحوم علي شكر خميس مدير غرفة تجارة الاسكندرية ، والسيد محمد بن زيتون رئيس غرفة تجارة طرابلس في ليبيا ولا اعرف ان كان موجودا الآن ، والمرحوم محمد جميل بيهم مندوب الملكة التوكلية اليمينية ، ذكرت هؤلاء عندما كانت الدول العربية المستقلة هي لبنان ، سورية ، السعودية ، مصر ، الاردن ، اليمن ، العراق ، وهي الدول التي تكوّن منها اتحاد الغرف .

في سورية كان عدد اعضاء الغرف التجارية والزراعية والصناعية /٤٠٠/ عضو ، على ظني لم يبق منهم سوى / ٢٠ / على قيد للحياة والباقي سبقونا الى رحمة الله وانا واحد من الباقين ، تذكرة السفر بيدي وبانتظار القطار للسفر ، الباري يرحمنا جميعا .

كما اذكر الزميل والصديق السيد محمد علي بدير الموجود بيننا حاليا والذي

كان المرحوم والده الحاج عثمان صديقا لنا في اجتماع دوري اسبوعيا وأقيمت للمؤتمر حفلة وفي هذه المزرعة .

وعقد المؤتمر الحادي والعشرون كذلك في الشام « سورية » وأقيمت له حفلة في هذه المزرعة أيضا . وهامي الدورة الثلاثون تقام أيضا في الشام « سورية » ويحصل لي شرف زيارتكم وقبولكم دعوتنا هذه للمرة الثالثة في هذه المزرعة .

اتنان وأربعون عاما مضت ، وأنا في غرفة تجارة دمشق ومن ثم في اتحاد غرف التجارة السورية ، وكل ذلك ضمن حقبة من الزمن ، بلغت السبعين عاما وأنا أكافح وأشارك وأبذل الجهد بما أعانني الله تعالى عليه .

ولن أقول أنني حاولت ما استطعت لتحقيق مصالح سورية خاصة والوحدة الاقتصادية والسوق العربية المشتركة عامة ، التي هي أميبي الأولى في هذه الحياة .

فعملي أكثر تواضعا وبساطة من أن يسمى كذلك . بل أقول أنني حاولت بجد وإخلاص وتفانٍ وضمن حدود امكانياتي ، أن أكون الرجل المخلص والمواطن الصالح ، والخادم الوفي لاهلي ومجتمعي ووطني وعروبي . أرجو الله أن أكون قد وفقت بأن أكون ذلك الرجل الذي كان عند حسن الظن أحسن التصرف فإدى الواجب وقام بالمهمة ، وحافظ على معاني احرف كلمة تاجر وهي : تقى وأمانة وجهاد ورحمة ، ، يعني لا يبيع صنفا بسعر / ٢٠ / ليرة إذا كان رأسماله عشرة ، بل نكتفي ببيعه بسعر احدى عشرة ليرة سورية فقط ، حقبة طويلة من العمر قضيتها برضى وسعادة وحمد وشكر ، عشت معكم خلالها الاخلاص والوفاء والنصح والتضحية وبذل الجهد والعلم والمعرفة في حياة عامرة بالعمل والبناء والعطاء .

لم تتح لي في حياتي فرصة التعلم الرسمي ، انما اقتصر تعليمي على مدرسة شافة ، هي مدرسة الحياة والخبرة والتجربة . وكان أساتذتي الحقيقيون ، تلك النخبة الصافية والارتال لكبيرة من جميع الطبقات والمستويات ، حالفني الحظ بمزاملتهم وصدقاتهم والتعامل معهم والاحتكاك بهم . فالى كل هؤلاء انا مدين بالشكر والعرفان والتقدير ، لمحبتهم ورعايتهم وآرائهم وتعاونهم .

وانتم في هذا الحفل تمثلون اكثرية من تبقى لي ومن هؤلاء الاسانذة والاخوة والزملاء

استمبحكم عنذرا اذا تكلمت عن اساتذتي بالشكر والعرفان ، لانني بلغت من العمر ما يجعلني اشعر بأن حياة العمل الرسمي قد قاربت على الانتهاء وهذا آخر مؤتمر أحضره كرئيس لفرفة تجارة دمشق أو لاتحاد الغرف التجارية السورية .

لقد قررت الاعتزال عن العمل الاداري مفسحا المجال لشبابنا المتوقد الصاعد ، ليتسلم الامانة ويقوم بالواجب على اكمل وجه باذن الله ، واذا كنت سانسحب من العمل الرسمي مودعا مستأذنا ، فاني أرجو الله ان طال عمري وبقي عندي الصحة والقدرة ، بأن تتاح لي فرص حضور المؤتمرات والمجالس والاجتماعات ، كمستمع وتلميذ . وساكون رقيقا وناصحا أيضا ، حيث لم يبق لي في هذه الحياة سوى اهلي واخواني الممثلين بكم وبأشخاصكم . كما لم يبق لي سوى عبادتي ، حتى يأتي اليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم .

الكل يعلم ، أنه تلوح بالافق سحابة سوداء مبيتة لوطننا العربي ككل ، من خلال جرعات متتالية من السم الزعاف ، تحقق بتسلسل في هذا الجزء او ذلك . واملنا الوحيد بدرء شرور هذه المخططات ، يكمن بتعاقدنا وتأخينا وتعاوننا ووجدتنا . ونجاحنا يعتمد على وجود جيل جديد من الشباب المتفتح الواعي والحريص على مصلحة هذه الامة وازدهارها ومستقبلها ، وعلى أيديهم نرجو أن تتحقق أعظم الاعمال ، لينتعش الاقتصاد في عالمنا العربي . ورجبتي ورجائي الاخير ، هو أن أرى عالمنا العربي وقد تحققت وحدته وآماله وطموحاته ، ليصبح الحصن الامين والدرع المتين ، في وجه كل ما يحاك ضده بشراسة وضراوة من مؤامرات تهدف الى تفكيكه وتجزئته وتقهره . كما أن قيادتنا هي التي ستكون قادرة باذن الله ، ان تقودنا الى شاطئ الامان ، الى الكرامة الى البجوحة والى الازدهار .

بقي عليّ ان اذكر صديقة عزيزة عليّ ، فيوما اراها متزينة بحلى الفضة ، ويوما اراها بحلى الياقوت ، ويوما اراها بحلى المرجان ، ويوما بحلى الالماس ، ويوما بلباس الذهب ، ويوما اراها ترقص . ليست التي أتهموني بها زوجة وأشاعوا هذا الخبر على جميع معارفي سامحهم الله ، ولكنها الارض التي منها خلقنا واليها نعود ، بل هي الارض التي علمتني الكثير ، علمتني الايثار ، علمتني الكرم ، علمتني الصبر ، علمتني المحبة ، خرساء طرشاء وعمياء ، تعطي ولا تمنّ ، تعطي ولا تحسد ، تعطي ولا تنظر ،

وهي كلما صبر عليها الانسان تضاعف له العطاء اضعافا مضاعفة ، كما جاء في القرآن الكريم « مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل ، في كل سنبله مئة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع عليم » .

والانفاق بمعناه الحقيقي كما جاء ، اي الانفاق على الارض حتى تعيد للانسان اضعافا مضاعفة ، الانفاق على الفقراء جاء واضحا بالآية الكريمة « وفي اموالكم حق معلوم للسائل والمحروم » .

هذه الشجرة التي امامكم وهي من نوع الاشجار الحراجية عمرها (٣٠) عاما يقدر وزنها بطونين وقيمتها بخمسة عشر الف ليرة سورية ، وعندني من اغراس الحراج الرومي وعمرها (٤٠) عاما وزنها يقدر باربعة اطنان وقيمتها اربعمائة الف ليرة سورية ، وهذه هي المضاعفة الحقيقية وليست الحسنة التي تعطى للسائل .
لذلك اوصيكم اشراك عملكم التجاري بعمل زراعي فيه البركة المضاعفة .

كثيرا ما اسئل عن عمري فأقول (١٦) ستة عشر عاما . ويمضي عام واعوام ثم اسأل مرة ثانية فأجيب (١٦) عاما . يستغربون هذا ، وبعد ان مرّ فترة من الزمن استغرق بضع سنوات نسيت تاريخها ، خفّت أعمالي وزراعتي ، حيث قارب العمر بالانتهاء ، حتى حصل لي شرف المقابلة مع السيد رئيس الجمهورية ، وسألني عن عمري ، فقلت (١٦) عاما ، قال كيف ؟ قلت له من يوم (١٦) تشرين يوم الحركة التصحيحية ، عدت الى نشاطي ورجعت أعمل (١٦) ساعة يوميا ، كما كنت طيلة حياتي ولا زلت لأن وأنا في الثالثة والثمانين من العمر ، اكثر أيامي اذهب الى المزرعة بعد صلاة الفجر ، وهذا العهد لسيادة الرئيس محافظ عليه لقوله تعالى « وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا » . وطالما أكرمني الله بالصحة والعافية سأصرفها بما يرضي الله .

وأخيرا شكرنا لجميع من تفضل لتلبية دعوتنا المتواضعة هذه ، وسيكون اولادنا رهن اشارتكم كلما شرفتم دمشق وتذكرونا بالخير وتدعون لنا بالمسامحة والسلام عليكم .

بدر الدين الشلاح

دمشق في ١١/٤/١٩٨٨

كلمة السيد محمد العمادي وزير الاقتصاد والتجارة الخارجية السوري

في حفلة مؤتمر الغرف العربية المنعقد بدمشق ١٩٨٨/٤/٩

أيها الاخوة والاخوات

انها بالتأكيد امسية سعيدة بالنسبة لنا جميعا في سورية .

فاذا اردنا ان نكرم هذا الحفل الكريم فعلينا ان نكرم كل شخص فيه وكل من زار هذا البلد وكل من اخذ يعمل من اجل اهداف هذا الاتحاد الكريم اتحاد الغرف الذي قام قبل ان تقوم اي منظمة فعلية تعمل من اجل تحقيق الوحدة العربية . فهذا الاتحاد ، ايها الاخوة ، عزيز علينا جميعا ، لاننا ننادي بالوحدة ، واتحادكم هو الوحدة من الجذور ، هو الوحدة من دون حكومات ، هو وحدة الشعوب ، وحدة الامة العربية . فهذا الاتحاد بالنسبة لنا يمثل التطلعات والكثير مما نرجو ان يتحقق . فكل من يعمل بهذا الاتحاد هو محط آمالنا ومحط تقديرنا ، ولا سيما الاخوة الذين قاموا على تأسيس هذا الاتحاد وهم السيد محمد علي بدير والسيد عبد العزيز الصقر والعم الحاج بدر الدين الشلاح .

اننا نكن لهم جميعا اعلى آيات التقدير والمحبة والعرفان . ولو سمحتم لي ان اتحدث عنهم جميعا بما يستحقون لاخذت كل وقتكم ، ولكن اقول باختصار انه كان شرفا كبيرا لي ان اتعرف على كل واحد منهم .

عبد العزيز الصقر ركن من اركان العمل العربي الاقتصادي المشترك وهو في الكويت صخرة صامدة ، وكل الناس تقصد ذلك المنبع اعنى الاستاذ ابو احمد الاخ عبد العزيز الصقر .

في الاردن الشقيق ، في الاردن الحبيب محمد علي بدير ، نفتخر ونعتز بأصله من هذه المدينة الخالدة مدينة دمشق ، ونرى فيه مثلا من امثلة الامتداد ، من امثلة الوحدة ، نحن نعتشق الوحدة وهو رابطة من روابطها القوية .

اما الاخ والعم الحاج بدر الدين الشلاح فهو بالنسبة لي مدرسة كاملة . هل تصدقون ايها الاخوة اني عندما التقيت بالعم ابو راتب باسمه الكبير قلت له

أنني سأضع الآن كل ما تعلمت في تلك الجامعات جانبا وأبدأ بأن اتعلم من مدرسة أبو راتب ، من مدرسة العمل الفعلي ، من مدرسة السوق ، من مدرسة التجار والزراعة والصناعة الكبيرة ؛ لأنه لا يمكن أن نعمل بما اتينا به من كل بلد ولا من الكتب دون أن نتفحص أين نجد ما يجب أن يطبق وما يجب ألا يطبق .

والاخ ، العم أبو راتب كان مدرسة عجيبة ، وسأضرب لكم بعض الامثلة عن هذه المدرسة :

حدثني مرة وقال انه كانت توجد في الزبداني أرض واسعة غير معمورة هي (حالياً) التي تعرفونها جميعا . وقد تلقى مبلغا من المال من احد الشركاء الذي اراد أن يتبرع به ولكن عوضا عن أن يوزع هذا المال على من يستحق ممن كان موجودا في تلك المنطقة ، قال سأبني في هذه المنطقة بناء شامخا ، سأبني مسجدا ، وسأطلب الى الذين كان يودي أن اعطيهم التبرع بلا عمل ولا مقابل أن يعملوا في هذا البناء . وبني ذلك المسجد كما بنى قصره هناك أيضا ، وامتد العمران واغتنى الناس وارتفعت أسعار الأراضي ، وهكذا بدأ بالفعل تجربة فريدة من تجارب الاعمار والبناء في الأرض التي يعشقها أبو راتب ، في الأرض التي يحبها أبو راتب والشجر الذي يرى فيه ملكوتا جديا من ملكوت السموات والأرض . فالشجر الذي ينبت ويعطينا زهرا وثمرا وخضرة ، هذا الشجر الذي يعشقه كان دائما حلم أبي راتب أن يجد من يفرس ويزرع شجرة جديدة في أرض الوطن .

أبو راتب كان معنا في كثير من المفاوضات وكان بارعا . وقد تكون أم طنوس وأبو طنوس احدى حكاياته المعروفة لديكم التي كان من خلالها يدخل الى قلوب الناس بلطف ويأخذ ما يريد .

احبه رئيسنا لأنه احب وطنه ، رئيسنا قال له في بداية الحركة التصحيحية « التجار والمزارعون والصناعيون كلهم أبناء هذا الوطن ، كلهم شرفاء ، كل من يبني فهو شريف ، كل من يعطي هذا الوطن فهو أمين على هذا الوطن » . لذلك ورد في الحركة التصحيحية ما اسمناه الوحدة الوطنية ، وحدة جميع القوى العاملة التي تحب الوطن وتعمل من أجل بناء الوطن . لأنه في مسيرة رئيسنا لا يمكن أن تحقق الوحدة العربية الا اذا حققنا وانطلقنا من تحقيق الوحدة الوطنية . لذلك كانت الجبهة

الوطنية الديمقراطية وكان شعارنا دائما (يد معطاءة يد تعطي) ، (واليد العليا هي اليد المنتجة في دولة البعث) . هذا ما قلناه وهذا ما نعمل على تطبيقه .
لذلك احببنا ابا راتب لانه كان بالنسبة لنا يمثل تلك الوحدة وذلك التعاطف مع القطاع العام . هل تصدقون ايها الاخوة انه بعد الاصلاح الزراعي ذهب بعض ابناء وطننا الى لخارج لانهم ظنوا ان عملية الاصلاح الزراعي لم تكن كما يريدون ، و ابو راتب قال انا بقيت ورضيت بتلك القطعة من الارض التي بقيت لي . وانظروا الي الآن وانظروا الى الآخرين : ماذا بقي لهم وماذا بقي لي .
ايها الاخوة عندما نكرم في هذا البلد القطاع الخاص والقطاع المشترك والحرفيين فنحن نكرم انفسنا لاننا كقطاع عام - وانا لم اعمل الا في القطاع العام - نقف مع القطاع الخاص ومع القطاع المشترك نتزاحم ونعمل جميعا من اجل بناء هذا الوطن . فهذا اكرامنا لابي راتب .

محمد العمادي

الفرف التجارية قدمت وزراء كثيرين

من دواعي الفخر للتجارة وللغرف التجارية انها على مرّ الازمنة قدمت وزراء كثيرين وعلى كل الساحة العربية خرجوا من صفوفها وابدعوا في مراكزهم الرسمية ، ومن هؤلاء في سورية :

السيد لطفي الحفار - الذي تولى رئاسة الوزارة عام ١٩٣٨ ، السيد حنين صحنائي ، السيد عوض بركات ، السيد سليم جنبرت ، السيد محمد سعيد الزعيم ، السيد وهبي الحريري ، السيد عبد الرحمن الهندي ، السيد ادمون حمصي ، السيد هنري هندية ، السيد رودولف سعادة .

ومن اذكرهم في البلاد العربية :

السيد موسى الشهبندر - بغداد ، السيد محمد العوضي - السعودية ، السيد زكريا توفيق - مصر ، السيد حمدي الطباع - الاردن ، السيد سليم الحص - لبنان ، السيد فكتور قصير - لبنان ، السيد عبد الله الازماني - المغرب ، السيد الفرحاني بن عمار - تونس ، السيد منصف بالعبود - تونس .

ومعذرة من الآخرين الذين انسيت اسماءهم .

بعض مذكراتي الى لجنة الترشيد

في رئاسة مجلس الوزراء

المذكرة الاولى - تاريخ ٦/١٠/١٩٨٤

سيادة رئيس مجلس الوزراء ، رئيس لجنة الترشيد
السادة الوزراء ، السادة الاعضاء
تحية واحتراماً ،

ان اي نظرة لاوضاعنا الاقتصادية يجب ان تتم ضمن اطار دراسة الاوضاع
الاقتصادية العالمية بالاضافة الى الاوضاع الاقتصادية الاقليمية .

في يومنا هذا يعيش العالم وقتنا صعبا جدا لم يسبق ان شهد له مثيلا منذ
الازمة العالمية الكبرى قبل نيّف وخمسين عاما ، واذا كان العالم قد مرت بازمات
اقتصادية قاسية خلال هذه الفترة ، لكنه لم يسبق لتلك الازمات ان اخذت هذه
الابعاد والاشكال . والازمة الحالية تتميز بتعدد الوجوه والجوانب ، فهي بان واحد
ازمة بطالة ، وازمة تضخم ، وازمة عجز بالموازين التجارية ، وازمة تقلص الموجودات
من العملات الاجنبية .

وهو ما ازعج واقلق الباحثين والمسؤولين لعدم توفر أي دواء بسيط أو مركب
يمكن ان يشفي جميع هذه الجوانب معا ، بل على العكس : فكل دواء يداوي احدى
هذه المشاكل يأتي بنتائج سلبية وعكسية على النواحي الاخرى المقصود معالجتها . .
وهذا ما اوضحه في الكلمة التي القاها في اجتماع عقد بالمغرب منذ عام .

ان الدولة الاكبر والاكثر قدرة على التقليل من النتائج السلبية لهذا الوضع
المتدهور ، هي أميركا التي استرسلت داخليا بالسماح لاسعار الفوائد بالارتفاع بشكل
ادى الى امتصاص اكثر اموال العالم نحوها ، وبالتالي الى ارتفاع كبير بسعر الدولار
بالنسبة لاسعار جميع العملات العالمية الاخرى .

كل ذلك على حساب بقية دول العالم وبالمدى الطويل فهو بالواقع على حساب
اميركا نفسها . فحتى الولايات المتحدة عاجزة عن الاستمرار في تسيير اقتصادها

وازدهاره الوهمي على حساب الاستدانة ، ولن تبقى عملة اي دولة قوية ومرتفعة طالما ان اقتصادها ضعيف وميزان تجارتها عاجز . لهذا يخطئ الاميركيون عندما يظنون ان الانتعاش الاقتصادي سيكفي لتفطية العجز في ميزانية الدولة ، وبالتالي لتسيديد الديون الهائلة التي تتكبدتها بسبب هذه السياسة . ولن يطول الوقت كثيرا قبل ان ينعكس تدفق الاموال نحو اميركا ليتجه خارجها ، وعندها سنرى الكوارث تنهال على الدول والعلاقات الدولية بسبب الانهيار الذي سيصيب الدولار واسعاره .

وقد نزل فعلا سعر الدولار بالنسبة لكافة العملات حيث كان في نهاية عام ١٩٨٤
 واول عام ١٩٨٥ :

عام ١٩٨٦	عام ١٩٨٤	
١٥٢	٢٣٠	الين الياباني
٢٠٧	٢٦٦	المارك
١٦٧	٢٢٠	سويسري
٦٨٠	٨٣٥	افرنسي
١٤٨	١٤٢	استرليني

على صعيد الاقتصاد الاقليمي ، نرى ان دول البترول كانت قد وضعت مشاريع وخطط تنمية طموحة مبنية على تخمينات متفائلة لاسعار النفط الذي يشكل المورد الرئيسي لهذه الدول ، وقد سبب الانخفاض الكبير الذي طرأ على اسعار النفط تلبكا كبيرا لاكثر هذه الدول . كما شكلت الحرب الايرانية العراقية استنزافا كبيرا لموجودات تلك الدول واحتياطياتها من العملات الاجنبية . هذان العاملان اديا خارجيا الى تقليص برامج المساعدة والمعونات الى باقي دول المنطقة ، وباخليا الى توقف اكثر المشاريع والبرامج التنموية . هذه الاجراءات ادت ايضا للاستغناء عن اعداد كبيرة من العمال والموظفين والحرفيين العرب ، الذي كان يشكل دخلهم المحول الى بلادهم موردا هاما لتلك البلدان .

والنتيجة هي ان دول النفط العربية وسواها أصبحت جميعا تعاني من أزمة اقتصادية مستعصية تبدو وكأنها اكبر من ان تحل بسهولة أو بسرعة .

أما على الصعيد القطري ، فان سورية تتميز عن باقي جميع الدول العربية بأنها في طبيعة من حمل مسؤولية القضايا العربية وأعبائها والدفاع عنها بكل ما لديها من قوة وقدرة . واذا كنا نفتخر بالدور المشرف والحكيم الذي تلعبه حكومتنا الكريمة بقيادة وتوجيهات سيادة الرئيس ، فلا بد لنا أن نعني ونقدر النتائج الساطعة والمشرنة التي حققتها هذه السياسة . لذلك فان الشعب السوري سيبقى محافظا على العهد يحمل لواء العروبة وأهدافها ، يحمي مصالحها ويدافع عن حقوقها مهما ارتفع الثمن ومهما عظمت التضحيات .

بالإضافة الى التزامنا القومية والدفاعية ، فان اهتمامنا بعد ذلك قد انصب على خطة تنمية عميقة وواسعة ومتوازنة شملت المجال الزراعي والصناعي والسياحي والاجتماعي والثقافي والصحي والبنى الاساسية . والنهضة بل التفزة الجبارة التي حققها قطرنا العزيز في جميع هذه المجالات ، هي الشاهد والدليل على تطورنا وازدهارنا الذي بدأنا نجني ثماره .

ضمن اطار الخطة التنموية والدفاعية ، يبقى أن نشير الى بعض الجوانب الركنية للاقتصاد القطري وهي كما يلي :

اولا - يبدو وكأننا مضطرون خلال الفترة القادمة أن نعمل مع وفاءات منخفضة لدول النفط العربية لالتزاماتها بالاسهام في معركة الصمود والتصدي التي تقودها سورية . وبالتالي فان مواردنا من النقد الاجنبي من هذه الناحية ستتقلص تباعا مع تزايد المتاعب الاقتصادية لدول النفط ومع درجة تلكتها في تحمل مسؤولياتها .

ثانيا - ان موارد المواطنين العاملين في الدول النفطية ، ستخفص مع تزايد البطالة والانكماش الاقتصادي في تلك الدول . وبالتالي فان تدفق هذه الاموال نحو القطر سينخفص مع انخفاض موارد هؤلاء المواطنين .

ثالثا - ان صادراتنا نفسها ستتقلص بقدر الانكماش الاقتصادي السائد في جميع دول العالم . هذا الانكماش الذي سيؤثر على صادراتنا من ناحيتين اثنتين : الاولى . هي حجم هذه الصادرات والثانية ، تكمن في انخفاض اسعار هذه السلع مما يجعل التقلص مضاعفا .

رابعا - ان صادراتنا تقلصت بسبب تدني الانتاج نفسه وعدم انخفاض مماثل في الاستهلاك الداخلي لهذا العام . قد تدنى الانتاج بسبب الاحوال الطبيعية وقلة الامطار التي شهدها القطر . ولا يخفى عليكم اننا سنضطر لاستيراد اكثر من مليون طن من الحنطة والحبوب لسد حاجتنا التموينية عوضا عن الفوائض التي كنا نصدرها بالسابق . ونتاجنا الصناعي قد تأثر أيضا بقرارات ترشيد الاستيراد التي حدثت كثيرا من استيراد المواد الاولية المطلوبة لعملية التصنيع نفسها .

ان البحث في النواحي الاقتصادية يتطلب اكثر من مجرد بضع صفحات ويحتاج لدراسة مستفيضة حتى يتناول جميع الجوانب والعوامل الضرورية . رغم ذلك فاننا نكتفي بذكر بعض التوصيات التي نرى بحثها مفيدا بالوقت الحاضر وهي :

أولا - علينا التعايش مع (وقبول واقع) ارتفاع أسعار العملات الاجنبية تماشيا مع سوانا من دول العالم . كلنا نعلم أن الارتفاع الذي طرأ على سعر الدولار في القطر لم يتعدّ بعد الارتفاع الذي شهدته عملات الدول الكبيرة كالجنه الاسترليني والفرنك الفرنسي والفلورين الهولندي .

ضمن هذا الاطار نرى انه من الافضل رفع السعر الموازي والسياحي للدولار بشكل يتساوى به مع السوق العالمية . بهذا الاجراء نحقق اهدافا عديدة اهمها ثلاثة وهي :

الاول : اننا سنجذب جزءا أكبر من الاموال العائدة للمواطنين المقيمين في داخل القطر وخارجه ، واجتذاب هذه الاموال يعتمد على اقتناع اصحابها بأن السعر المعمول به هو سعر معقول وقريب من الواقع .

الثاني : هو أننا سنجعل من ارتفاع سعر العملات الاجنبية عائفا حقيقيا للاستهلاك الكبير الذي يشهده القطر . ان جميع السلع الرئيسية الضرورية المستوردة لهذا القطر هي محصورة بالقطاع العام ، وبالتالي فان الاساسية منها مدعومة ، ويجب أن تبقى على أسعارها الحالية حتى لا تؤثر سلبيا على كلفة معيشة اصحاب الدخول المحدودة ، وعلى كل حال نحن نحبذ اعادة النظر في سلم الرواتب والدخول بشكل يعيد التوازن والانصاف لدخولهم وتكاليف معيشتهم . والسلع التي ستأثر اكثر نتيجة ارتفاع أسعار العملات الاجنبية هي السلع الكمالية، وهذا ما سيتحتم علينا تقليصه .

ثالثها : هي ان نشجع عملية التصدير بشكل يتماشى مع أسعار هذه الصادرات السائدة في الاقطار المجاورة والمنافسة ، كما أننا سنضع ضابطا لعمليات التهريب التي أخذت طريقها الى قطاع التصدير نفسه .

ثانيا - لقد كان لقرار الحكومة وضع حد صارم للتهريب الذي كان قد أخذ مجراه من الاقطار المجاورة ، صدق حسن وترحيب كبير من كل الجهات ، وبدون هذا الحد يصعب على الحكومة اتباع أي نهج أو سياسة توجيهية طالما تبقى ثغرات كبيرة تجعل هذه السياسات عديمة الجدوى وفارغة المضمون .

لقد كان هذا القرار أحد المطالب الرئيسية التي تقدمنا بها ، غير أن هذا القرار - مع ضرورته القصوى - لا يكفي ولا يفي بالفرض المطلوب ، وكان من المفروض أن يسبق هذا القرار تصور واضح لسياسة استيراد محددة للمواد الضرورية التي يجب أن يسمح باستيرادها بموجب سلم أولويات يراعى بها النقاط التالية :

أ - أن تعطى المواد والمعدات والآلات الزراعية الأولوية المطلقة ، خاصة لان الانتاج الزراعي والصناعات الزراعية في القطر يشكلان وفرا كاملا للقطاع الاجنبي سواء عن طريق تصدير هذا الانتاج أو الاستغناء عن استيراد ما يوازيه . ويمكن للحكومة وضع ضوابط لتسعير هذه السلع وتأمين صيانتها وقطعها التبديلية ، كما توضح التوجيهات اللازمة بالنسبة لضرورة التصليح والصيانة . وانا ننظر براحة كبيرة الى الاهتمام الكبير الذي توليه الدولة الكريمة لموضوع الزراعة والى الخطة الزراعية التي رسمتها ووضعتها .

ب - أن تعطى المواد الصناعية والمعدات والآلات أولوية ثانية ، خاصة تلك الصناعات ومتمماتها التي يشكل انتاجها واردا حقيقيا من القطع الاجنبي أو وفرا حقيقيا لهذا القطع . ويستثنى من ذلك الصناعات التي تصدر انتاجها الى الدول التي تربطنا معها اتفاقات مدفوعات .

ج - مع الاستمرار بسياسة التشدد ضد عمليات التهريب ، أننا نرى تحجيد وضع ضوابط لاستيراداتنا من السلع الكمالية والاستهلاكية . بمعنى آخر ايها الاخوة، لن يكون لنا مفر من القبول بحالة نقشف في حياتنا وفي استهلاكنا وهدرنا على المستويين الحكومي والشعبي .

د- لقد ذكرنا الاموال الطائلة التي يملكها المواطنون المقيمون والعاملون في الخارج . هذه الاموال الموظفة بعملات اجنبية وفي معادن ثمينة ، بالواقع أن هذه الاموال تشكل مضيعة كبيرة للاقتصاد الوطني وحسن الاستفادة من هذه الاموال يشكل احدى أهم الوسائل للتقليل من الازمة الحالية لاسعار النقد من جهة وللإسهام في عملية التنمية وتنشيط الاقتصاد من جهة ثانية .

لذلك فإن الحكومة الكريمة مدعوة لدراسة هذا الموضوع دراسة جدية وموضوعية وشاملة ، ومن ثم ايجاد صيغة ناجحة وفعالة للاستفادة من هذه الاموال في اتجاهين اثنين ، الاتجاه الاول يكمن في تمويل جزء من الاستيرادات للقطر ، وطبعا تلك الاستيرادات التي تحددها الدولة ضمن جدول الاولويات التي ذكرناها آنفا . والاتجاه الثاني في توظيف وتوظيف هذه الاموال داخل القطر ، وهذه الناحية هي ذات أهمية قصوى - وهي لوحدها بحاجة لبحث مستفيض وطويل لما لها من أهمية .

المهم أن توظيف وتوظيف الاموال التي تستورد بموجبها ، يجب أن يكون عملية اجتذاب دائمة وليس مجرد عملية ترانزيت أو مرور مؤقت ليستورد بها ثم لا تلبث أن تحول الى مكانها السابق في الخارج .

هناك موضوع آخر وهام جدا ، وهو يتعلق بالمناطق الحرة ونظام الادخال المؤقت . لقد سبق أن تطرقنا الى هذين الموضوعين بعدة مناسبات ، ونظرا لاهمية الدور وأهمية نشاط هذين القطاعين من تركيب التجارة الخارجية للقطر فاننا نكرر الرجاء ونلتمس من الدولة الكريمة اعادة حركة المناطق الحرة الى سابق عهدها بعد اعادة النظر في السلبات التي ظهرت اثناء الممارسة . كما نلتمس اعادة الحياة والدعم لاسلوب الادخال المؤقت . وليت بالامكان التأكيد على ضرورة سرعة الاجراءات بهذا الصدد نظرا لوضع هذه المناطق مع مثيلاتها في البلدان المجاورة .

لقد سبق أن تقدمت بحل القضية البضائع الموجودة بالجمارك بسبب بعض المخالفات منها العفوية ومنها المقصودة ، للقرارات التي صدرت . وقد سبق أن وافقت لاجتكم الموقرة على تلك المقترحات ، غير أنها لأن لم تجد طريقها نحو التنفيذ ، لذلك أتقدم ثانية باقتراح تشكيل لجنة مشتركة من الجمارك والاقتصاد وغرف التجارة والصناعة،

يكون لها صلاحية التصرف بما في ذلك وضع غرامات أو بيع البضاعة ، ليوزع الناتج بين الدولة واصحاب البضاعة أو غيرها من القرارات . والفاية من كل ذلك هي وضع حد للتلف والضرر الذي اصاب ويصيب هذه البضاعة من جراء بقائها ملقاة في المستودعات .

هذه بعض الخواطر اوردناها للمداولة لعلنا بأن حكومتنا الكريمة ستأخذها بعين الاعتبار ، حيث أننا تعودنا أن نجد لديها اذنا صاغية لكل اقتراح مخلص ومجرد ، يسهم في رفع شأن هذا البلد الكريم ، ليبقى تحت رعاية قائد المسيرة المفدى ، القلعة الحصينة للعروبة والعزة والازدهار .

بدر الدين الشلاح

دمشق في ٦/١٠/١٩٨٤

* * *

المذكرة الثانية - تاريخ ٢٤/١/١٩٨٧

سيادة رئيس مجلس الوزراء ، رئيس لجنة الترشيد الأكرم

السادة الوزراء المحترمون

السادة الاعضاء الكرام

سبق لي ان تقدمت لسيادتكم بدراسة مستفيضة مؤرخة في ١٠/١/١٩٨٤ ، عالجت فيها عدة مواضيع هامة كانت مطروحة امام لجنتم الموقرة ، وخاصة موضوع النقد الاجنبي وأسعاره ، وطرق معالجته ، اشرنا فيها الى اقتراح رفع السعر الموازي والسياحي للدولار ، بحيث يصبح متماشيا ومتساويا مع مستوى أسعار السوق الداخلية وأسعار أسواق الدول المجاورة .

والهدف المتوخى من هذا الاجراء كان يكمن في النقاط التالية :

١ - ان تحديد السعر الرسمي بمستوى قريب من السعر الخارجي ، يمكن الحكومة من اجتذاب جميع العملات الاجنبية التي ترد الى القطر ، وخاصة ، تلك المداخيل التي يحققها المواطنون السوريون المقيمون والمغتربون ، بالاضافة الى المدفوعات التي يحولها المواطنون العرب الى داخل القطر وعن طريق هذه السياسة ، تصبح الدولة المصب الاهم لجميع العملات الاجنبية الواردة للقطر . وعن طريق هذه السياسة وبانعدام الفوارق بين السعرين لن يبق هناك حاجة او مبرر لأي فرد او افراد أن يلجؤوا للوسطاء لبيعهم ما لديهم من نقد اجنبي . هذا النهج يتيح للدولة السيطرة على موارد القطر من النقد الاجنبي ، والتحكم في حركة هذه الاموال . فسيكون عندها القدرة على توزيعها بالشكل الذي يواكب ويدعم سياسة الدولة الاقتصادية والمالية بما فيها سياسة الاستيراد والتصدير .

لربما تظهر لسيادتكم أهمية هذه النقطة بشكل أفضل وأوضح ، اذا درسنا الوضع البديل ، أي الوضع المعمول به حاليا ، وهو عندما يكون السعر الرسمي لا يجاري ولا يساوي السعر الحقيقي . في هذا الحال يتم التداول في النقد الاجنبي دخولا وخروجا ، بعيدا عن النطاق والجهاز الحكومي ، وتكون الاسعار الرسمية المعمول بها خارجة عن مجال سيطرة الحكومة او حتى التأثير عليها . النتيجة التي شهدناها هي ارتفاع شديد ومستمر بأسعار النقد الاجنبي .

قد يكون لبعض هذا الارتفاع واقع يبرره ، خاصة اذا سلمنا بأن عملات دول العالم الصناعية نفسها قد تعرضت لانتكاسات في أسعارها تجاه الدولار . وقد يكون لتفحص موارد القطر من النقد الاجنبي خلال السنوات الاخيرة ، اثر سلبي أدى الى تخفيض قيمة الليرة السورية ، كما أن سوء الموسم الماضي وحاجة القطر لاستيراد العلف والحبوب والطحين بدلا من تصديره ، بالإضافة الى سوء الحالة الاقتصادية في البلدان العربية بشكل خاص ، ودول العالم بشكل عام ، ساهم في نقص تدفق النقد الاجنبي وأدى الى ارتفاع أسعاره . ولا يخفى على أحد أن التزاماتنا القومية المتزايدة دفاعا عن كرامة الامة العربية ومستقبلها ، مع تلكؤ وتباطؤ دول النفط بتحويل مساهمتها التي التزمت بها ، كانت عنصرا اضافيا في التأثير على عدم توفر النقد الاجنبي وعلى أسعاره .

لكن الواقع يبين بأنه إضافة للأسباب المذكورة هناك سبب آخر لارتفاع أسعار النقد الاجنبي ، كان مصدره آلية التعامل بالنقطة الاجنبي السائدة في القطر ، ان آلية البيع والشراء بغياب تواجد الدولة في هذا السوق ، الناتج عن سعر النقد المتدني الذي حددته الدولة ، أصبحت تتم بسوق غير منظمة وغير ظاهرة وغير معروفة . عندما تكون السوق بهذا الوضع من الابهام والشبهية ، تصبح خاضعة لعوامل الدعاية والاشاعة والمناورات . ولمجرد انتشار أي إشاعة بسيطة ، تشهد السوق ارتفاعات كبيرة ومضخمة ، أول ما يتأثر بها الأشخاص البسطاء والعاديون ، تفوق الأسعار التي يبررها العرض والطلب الحقيقي والواقع .

ولا يسعنا الا ان نتساءل : لماذا نسمح لتجار العملة في كل من جدة وعمان وبيروت ان يكونوا هم الطرف المهم في تقرير أسعار الليرة السورية ؟ ولماذا نسأل هذه الاسواق عن الأسعار ، كلما أردنا معرفتها ؟ . اننا لا نتكلم عن بعض الصيارفة المحليين لانهم يعملوا ضمن اطار محدود جدا ، لا يتعدى دور الوسيط البسيط الذي يجمع بين العارض والمحتاج ، لقاء فارق بسيط . فهؤلاء هم صمام صغير لعمليات التوفير بين حاجة وعرض محلي ومحدود ، ودورهم لا يؤثر على الأسعار ، بل اننا نتكلم عن تجار العملة المتواجدين في مراكز الاسواق المالية المجاورة ، كجدة وعمان ولبنان . فهؤلاء هم المهيمنون على العمليات الكبيرة وتحت أيديهم أموال كبيرة تمكنهم من التحكم بالأسعار .

النتيجة الثالثة لهذه الآلية وخضوعها للاشاعات المصطنعة والترويج المزيف هي كونها قد خلقت قناعات زائفة لدى المواطنين والمقربين ، بأن ارتفاع سعر النقد الاجنبي ، هو مسلسل مستمر ومتواصل . وبهذا نجد أن أكثر الذين كانوا يريدون تحويل وفرهم ومدخراتهم بالعملة الاجنبية ، بانوا يُؤجلون ذلك ويفضلون الاحتفاظ بها لآخر فرصة ممكنة ، أملا بالحصول على سعر أعلى . كما أن الكثرة من أفراد الشعب العاديين بدأوا يقدمون وبشكل متزايد على شراء المعادن الثمينة كالذهب والفضة أو النقد الاجنبي - كالليرة اللبنانية والدولار .

اننا قانعون بأن هذه التوظيفات ستثبت بالنهاية على أنها غير حكيمة ولا سليمة، الدليل الواضح على ذلك يكمن بملايين الليرات اللبنانية التي اقتناها الآلاف من المواطنين والتي أدت بهم الى كوارث جسيمة لم تظهر نتائجها ولا أبعادها الآن .

اما بالنسبة للدولار وارتفاعه الحالي ، فلقد سبق لنا أن أوضحنا بأن هذا الارتفاع هو على حساب دول العالم كلها . اننا مؤمنون بأن الولايات المتحدة الاميركية نفسها ، على عظمتها وقدرتها ، عاجزة عن الاستمرار في تسيير اقتصادها وازدهاره الوهمي على حساب المديونية . والقاعدة الاقتصادية الطبيعية وغير القابلة للدحض ، تقضي بأن عملة أية دولة لن تبقى قوية ومرتفعة ، طالما أن اقتصادها (مبني على أسس غير سليمة) وموازن عاجز في التجارة والمدفوعات .

ان العجز الحقيقي والوضع غير السليم سيظهر واضحا عندما تبدأ جماهير ومؤسسات العالم بتحويل توظيفاتها هروبا من الدولار نحو نقد أكثر قوة ومثانة .

يستخلص من هذه الناحية بأننا نرجو وجودا فعالا ومؤثرا في سوق النقد الاجنبي السوق الرسمي والسوق غير الرسمي على السواء . هذا الوجود لن يكتمل الا باعتماد سعر نقد اجنبي رسمي قريب من الواقع للسيطرة عليه وتحريكه وتوجيهه .

٢ - ان السوق الموازية للنقد الاجنبي والمعتمد في قطرنا ، هو السوق الذي ينطبق على تسعير صادراتنا وسلعنا . وتحديد هذا السعر بأقل من ٥٠٪ من سعر السوق السائدة يشكل عائقا حقيقيا وجذريا لعملية التصدير .

بهذا الشكل تصبح بضائعنا وسلعنا غير قادرة على منافسة سلع وبضائع البلدان

المجاورة والمنافسة . وعندما تصبح عاجزين عن تصدير سلعنا وبضائعنا بسبب السعر المتدني المحدد لاسعار السوق الموازية . يبقى امامنا اربعة حلول بديلة كلها شرور ، نريد تجنبها اذا أمكن :

الاول : هو أن تبقى هذه البضائع والسلع بدون تصدير وتحول الى الاستهلاك المحلي ، وهذا ما نريد تقليصه وترشيده .

الثاني : هو أن تتوجه هذه البضائع الى بلدان الدول التي تربطنا واياها اتفاقات مدفوعات لن نجني بنتيجتها أي قطع نادر .

الثالث : أن يتوقف الانتاج أو التصنيع بسبب عدم جدوى الانتاج أو التصنيع .
الرابع : هو بتشجيع مباشر لعملية التهريب التي ستتسرب الى مجالات التصدير نفسه .

نحن نماني كثيرا من مشاكل التهريب من خارج القطر الى داخله ، والحكومة الموقرة قد شنت حملة شعواء لمحاربة التهريب وايقافه كليا ، بالحري أن لا نسمح لعملية التهريب بالتنفسي في مجالات التصدير تفشيا قد يشكل خلا في تركيبه القطر الاقتصادية .

كل هذه العوامل تشير الى ضرورة رفع سعر النقد الاجنبي ، تشجيعا للتصدير وحلا جذريا لردع عملية التوقف أو التهريب .

كم يسعدني اذ اشير الى التوصيات الكريمة التي ناقشها وتقدم بها المؤتمر القطري الثامن ، والمنعقد مؤخرا تحت لواء سيادة رئيسنا القائد المفدى ، والتي تضمنت ضرورة الربط بين خطة التجارة الخارجية وخطة القطع الاجنبي . ووضع الاجراءات التي من شأنها زيادة التصدير ، بما في ذلك دراسة موضوع الوصول الى سعر تشجيعي لليرة تجاه العملات الاجنبية .

سادتي الكرام ،

لقد طالبنا والحقنا في طلبنا نحو جعل السوق الموازية ، سوقا موازية فعلا وعملا ، املا منا بتوجيه تدفق النقد الاجنبي ، ورجاء منا بتوجيه الاسعار بناء لسياسة مرنة ومستقرة بأن واحد . وتحقيقا لتشجيع التصدير والصادرات .

ولكننا كما سبق لنا وطلبنا العمل الجدي على قطع دابر التهريب ، وطلبنا ان يلازم هذا الاجراء سياسة بديلة لعملية الاستيراد وتوفير حاجتنا عن الطريق الرسمي وبشكل افضل ، تتحقق بموجبه سياسة الدولة المالية والاقتصادية .

اننا نؤكد على ان تعديل اسعار النقد ، رغم ضرورته والحاج الحاجة اليه فهو غير كاف ابدأ لتوفير العلاج المطلوب . ان عملية التصدير تشكل حلقة واحدة نهائية في مسلسل طويل وهام . هو مسلسل الانتاج . لهذا نجد ان معالجة ومداواة وتشجيع التصدير ، هي معالجة جزئية لموضوع أشمل وأعم وأهم .

وعناصر الانتاج ، على تعددها ، يجب ان تتوافر وان تحشد وتستنفذ جميعها في سبيل تحقيق التنمية والتطور والازدهار الذي نشده ، ونسعى اليه في هذا القطر . من دواعي الفخر والاعتزاز لجميع أبناء هذا القطر ، أننا قطعنا شوطا طويلا في طريق النمو والازدهار . وأهم ما حققناه ، هو بناء وتدعيم البنية التحتية والاساسية ، الاقتصادية والثقافية والفنية ، الضرورية لعملية التنمية ، فمن جيل جديد تخرج من الجامعات والمعاهد التي انتشرت في كل انحاء القطر ، الى شبكة طرق وسكك حديدية ، من أحدث ما وجد في المنطقة ، الى خطوط مواصلات سلكية ولاسلكية وتلكسية ، الى موانئ جوية وبحرية مجهزة بأحدث التجهيزات وكاملة الاستعداد ، الى مشاريع في الكهرباء والري والتشجير والتحريش . . . كلها عناصر هامة وأساسية للانتاج والانماء .

يبقى علينا ان نتم وننجز هذه الانجازات ، لنتمكن من جني كل ثمار ما صنعناه ، ونحصل على الازدهار المنشود .

اننا لا ندعي الاحاطة بجميع نواحي الانتاج بهذه الدراسة المحدودة والبسيطة ، وسنحاول الاكتفاء بالإشارة لبعض جوانبها التي نراها ضرورية ومفيدة بالمرحلة الحالية . ان اهم شروط تدعيم الانتاج حاليا ، تكمن في تمكين القطاع الخاص ليقوم بمهمته المناطة به والمتمة لعملية التنمية التي يقوم بها القطاع العام . نقول ذلك لان هذا القطاع يمتلك بالوقت الحالي ، طاقات وامكانيات وعناصر تحتاج كلها لحشد واستقطاب وتوجيه .

أول ما نشير إليه ، هو الاموال الكبيرة المتوفرة لدى أفراد الشعب ، نتيجة الازدهار الذي شهده خلال السنوات الاخيرة . ومع الاسف أن أكثر هذه الاموال توجه حاليا نحو التوظيفات غير المفيدة وغير المثمرة . على سبيل المثال ، نوضح بأن الاشخاص الذين يوجهون توظيفاتهم نحو « السيارة والعقار والذهب أو الدولار » انما يوجهونها نحو المجالات الأكثر رواجاً في القطر في الوقت الحاضر . الواقع أنها ليست رائجة فقط بل أنها هي المتوفرة حالياً ، وليس من مجال آخر أمامها سوى الهدر والاستهلاك وشراء التوافه والكماليات .

ان الاموال المتوفرة لدى القطاع الاهلي ، تشكل بالواقع مبالغ طائلة يجب الاستفادة منها واشراكها في عملية الاستثمار والانماء ، لتساهم في عملية التنمية والتطوير . مرة ثانية نشير بكثير من التقدير ، لتوصيات المؤتمر القطري الذي نص على توجيه الفائض النقدي في البلاد نحو التنمية الاقتصادية ، بالاضافة الى تشجيع الادخار ، وتوجيهه نحو الاستثمار الانمائي .

ان هذه الاموال المتوفرة ، تحتاج لصيغة جديدة ومجالات توظيف مشجعة ، تتمكن من اجتذابها وتوظيفها وتوظيفها ، سواء كان ذلك في مجالات القطاع الخاص او المشترك أو العام .

طبعاً لا يكفي توجيه الاموال المتوفرة نحو الاستثمار الانمائي ، علينا أيضاً أن نوجه الافكار والعقول والسواعد ، وهذا يتطلب منا اعادة التوازن للانتاج والانماء . لقد أصبح الكثير منا يجد بعملية الاستهلاك والوساطة والتوزيع وخلافها من العمليات غير المنتجة أنها هي العملية المربحة والاوفر حظاً والاكثر ضماناً للكسب والربح والتقدم .

والآن أصبح لزاماً علينا رد الاعتبار والكيان لعملية الانتاج ، يجعلها هي المجدية وهي المربحة وهي المحزبة .

بقي أن نشير الى ضرورة توفير المواد اللازمة والمتممة والمشجعة للانتاج والتنمية والتطور . بمجال الزراعة ، هناك البذور والسماذ والآلات . . . وبمجال الصناعة هناك المواد الاولية والمتممة (ومواد التعبئة والتغليف) ، كل هذه المواد يجب أن

تتوفر عن طريق سياسة استيراد واضحة نعطئها الاولوية والافضلية المطلقة على المواد الاستهلاكية والكمالية ، حتى لا تتعطل عملية الانتاج ، بسبب اي نقص يأتي من عناصرها .

هناك نقطتان نود التنبية لهما ، وكلاهما بفاية الهمية :

النقطة الاولى : هي عنصر الوقت المطلوب ، والذي يجب أن ينقضي قبل أن تعطي هذه الاجراءات ثمارها . فمن الخطأ أن نخطط أو ننتظر نتائج فورية وسريعة ، لان عملية الانتاج عملية طويلة ومعقدة .

والنقطة الثانية : تكمن باحدى سلبيات الاجراءات المطلوبة ، ونتائجها على التركيبه الاقتصادية والوضع الاجتماعي .

لا شك بأن الحكومة الموقرة تعي تماما بأن الاسعار المقترحة للنقد الاجنبي يجب أن لا تطال السلع الاساسية المستوردة ، حتى لا يتاثر أصحاب الدخل المحدود بها وهم يشكلون الاكثريه الساحقة للشعب ، وأي انخفاض في قوة شراء الليرة أو أي تضخم يحصل ، يأتي بنتيجة عكسية على مستوى معيشتهم .

وقفنا الله جميعا للاسهام في خدمة هذا الوطن ، والعمل على رفع كيانه وتطويره وازدهاره ، والسلام عليكم .

رئيس غرفة تجارة دمشق

دمشق في ٢٤/١/١٩٨٥

بلر الدين الشلاح

تعليقات حول المرسوم رقم ٢٤

سيادة الدكتور عبد الرؤوف الكسم

رئيس مجلس الوزراء ورئيس لجنة الترشيد المحترم

لقد دعينا ظهر أمس الى اجتماعكم الكريم اليوم ، ورغم قصر الوقت سارعنا لتسطير بعض الملاحظات حول المرسوم رقم / ٢٤ / الذي صدر بتاريخ ١٩٨٦/٨/٣١ .
واملنا بذلك هو أن تدرس هذه النقاط وتحظى على موافقتكم عليها راجين بأن ما تجدوه معقولا سيدرج ويوضح ويفسر بالشكل المطلوب ضمن التعليمات التنظيمية التي سيصدرها سيادة وزير الاقتصاد تنفيذا لاحكام هذا المرسوم .

لقد اوضحنا مرارا أننا مع كل اجراء يدعم اقتصادنا الوطني من جهة ويقطع دابر المتلاعبين من جهة أخرى ، لذلك فاننا نؤيد الهدف الرئيسي للمرسوم المشار اليه منعا للتلاعب والتهريب ، كما أننا نوضح أن هذه الاجراءات الرادعة والواقية تمثل الجانب الدفاعي والسلبى لمعالجة مشكلة القطع الاجنبي .

واننا نذكر سيادتكم باننا تقدمنا بعدة مذكرات خطية ، منذ البدء باجتماعات اللجنة ، واشرنا الى مشكلة القطع الاجنبي التي سنواجهها ، كما تقدمنا بعدة اقتراحات للاجراءات المرجو اتخاذها ، ونوضح بأن هناك أكثر من سبب واحد وراء ارتفاع سعر القطع الاجنبي في القطر وهي :

اولا - الانكماش الاقتصادي الدولي الذي فرض وانعكس على جميع دول العالم وخاصة دول العالم الثالث ومنها الدول العربية .

ثانيا - انخفاض وتباطؤ الاسهامات المالية للدول النفطية التي اقترتها اجتماعات القمة العربية لتحمل قسطا من العبء الكبير الذي يتحمله القطر السوري بالدرجة الاولى .

ثالثا - انحسار تحويلات المواطنين المغتربين في دول الخليج نتيجة الازمة الاقتصادية التي تعيشها تلك الدول والتي انعكست على المواطنين السوريين بالنقص في عددهم وبانخفاض مداخيل من بقي منهم على عمله ، كما أن صادراتنا الى تلك

الاقطار تقلصت لنفس هذه الاسباب .

رابعا - استمرار الدولة والقطاعات العامة والقطاع الاهلي الكبير والواسع في عدم تقليص النفقات العامة والاستيرادات منذ أن بدأت بوادر الازمة الاقتصادية العالمية .
خامسا - تواجد فوائض مالية لدى القطاع الاهلي الواسع الانتشار (والذي يمثل جميع فئات الشعب بأكمله ما عدا فئة أصحاب الدخل المحدود الذين ليس لديهم أي مدخرات أو مصادر دخل خلاف وظائفهم) . هذه الفوائض كانت تبحث في مجالات للتوظيف تركزت على السيارة والعقار ومن ثم تحولت الى المعادن الثمينة والعملات الاجنبية ، من ناحية ثانية ، ان هناك مبالغ كبيرة من القطع الاجنبي كانت ولا زالت تتدفق الى القطر ويمكن أن تتدفق الى القطر ، وليس مهماً سواء اكان مصدر هذه الاموال المواطنين العرب أو المواطنين السوريين المقيمين أو المفترين ، وقد كان تحويل هذه المبالغ الى الليرة السورية يتم عن طريق قنوات غير رسمية بسبب الفوارق الموجودة بين السعر الرسمي والسعر البديل . ومنذ عامين اشرنا الى هذا الواقع ونصحنا بضرورة تبديل توجه هذه العمليات الى القطاع الرسمي باتباع تسعيرة واقعية لاسعار القطع . لذا فاننا نؤيد العمل بالسعر الرائج الذي اعتمدته الحكومة . ونرجو أن تبقى المرونة والواقعية هما الرائدتين في تحديد أسعار بيع وشراء القطع اليومية . بهذه الطريقة لا يوجد أي سبب أو داع أو مبرر لأي كان أن يبيع ما لديه من قطع اجنبي الا عبر القنوات الرسمية والمأذونة .

الموضوع الاهم هو : ان المشكلة لا تنحصر في وضع النقد الاجنبي وارتفاع اسعاره ، بل أنه الوضع الاقتصادي الوطني بأكمله . هذا الاقتصاد الذي يمثل جزءاً من العالم العربي والاقليمي والدولي ، والذي يعاني بمجمله اوضاعا تختلف كلياً عن الاوضاع والظروف الاقتصادية السائدة في السنين السابقة . انها ازمة عميقة وطويلة تفرض علينا ، وتتطلب اعادة دراسة الظروف الجديدة الحالية والمنتظرة فيلها نهج جديد في المتطلبات والسبل والاولويات . ولا يسمح المجال لاكثر من مجرد التأكيد على أهمية هذه النقطة وضرورة معالجتها معالجة جديّة ومدروسة .

كما أنه يتوجب علينا أن لا نسمح لهذه الازمة لتجعل من تصرفاتنا سلبية ومعالجاتنا دفاعية وتمثل ردود فعل لما نواجهه .

ان هذا القطر يتمتع بمزايا وموارد وبنية أساسية وشعب وقاد . تمكنه من تجاوز المحنة والتغلب عليها . وعلينا أن نعطي العمل الإيجابي البناء المبني على الثقة والطمأنينة والتشويق حقه من الرعاية والدعم والتنشيط .

أما بالنسبة للمرسوم التشريعي بالذات ، فإننا نورد لسيادتكم النقاط التالية راجين أن تحظى بالبحث والدراسة ، وتجد طريقها بعد موافقتكم عليها لتدرج في التعليمات التنظيمية :

بالنسبة للمادة الثانية :

انا نرى بأن هناك صعوبة فعلية تبلغ درجة الاستحالة للتأكد من عملية «المحاولة» التي نص عليها المرسوم والتي جعل عقوبتها مماثلة لجرم وعقوبة عملية البيع والشراء نفسها .

ان هناك احتمالات حقيقية لاجحاف وظلم قد يلحق العديد من الناس نتيجة سوء تفسير أو التباسات ستقع بالاتهام والتقييم . لذلك نرجو من سيادتكم التمييز بين المحاولة وبين عملية البيع والشراء بالذات ، وإذا لا يمكن ، فالرجاء وضع ضوابط وتفسيرات واضحة لتحديد ما يشكل جرم المحاولة بدون شك أو التباس ، وذلك منعا لكل ظلم أو اساءة قد يصاب بها البريء والساذج .

بالنسبة للمادة الرابعة :

ان الهدف المعلن لهذا المرسوم ، يكمن في ردع المضاربة ودعم الاقتصاد ، وهذا يعني أن لا تتضارب أحكام المادة الرابعة من هذا المرسوم ، مع أهداف الدولة بتنشيط التصدير وتشجيعه ودعمه ، بهذا المجال نود أن نذكر أننا ننافس بصادراتنا الدول المجاورة المماثلة .

ان بضائع الدول المجاورة تنافس البضائع السورية بالنواحي التالية :

١ - ان سعر صرف النقد الاجنبي لبضائع الدول المجاورة تتم بالسعر السائد والرائج .

٢ - أن المواد الأولية والمستلزمات الأخرى للصادرات العربية المنافسة متوفرة بسهولة ورخص .

٣ - أن على البضائع السورية التي تصدر إلى أسواق البلدان المجاورة أن تنافس البضائع السورية التي يشتريها الزوار الأجانب والعرب في الأسواق الداخلية السورية ، بعد أن يكونوا قد حولوا عملاتهم إلى الليرة السورية بالأسعار الرائجة التي تبلغ ضعفي السعر السياحي المعتمد حالياً ، وهم يوفرون أيضاً رسوم الإنتاج والتصدير التي يدفعها المصدرون .

هذه العوامل الثلاثة ، وخلافها ، خلقت فوارق كبيرة في كلفة البضائع السورية المصدرة ، وهذا ما دعا في السابق الغرف التجارية وبمعرفة السادة المسؤولين لقبول وضع أسعار لتعهدات القطع أقل من السعر الحقيقي . والهدف من ذلك كان لتمكين المصدر من المنافسة والاستمرارية ، حيث أنه كان يبيع التفاضل بين القيمة الحقيقية والقيمة المدرجة لتعهدات القطع بالسعر الرائج تمثيلاً مع النهج الحكومي الرامي لتنشيط ودعم التصدير واستمراريته .

نرجو أن تتضمن التعليمات التنظيمية التي سيصدرها سيادة وزير الاقتصاد تنفيذاً لأحكام هذا المرسوم ، الاعتبارات والبدائل التالية :

١ - الإبقاء على السعر السياحي وقبول تسديد أي مبلغ إضافي يفوق قيمة التعهد عن طريق المصارف المأذونة وبالسعر الرائج .

٢ - قبول تسديد المبالغ الإضافية عن مبالغ تعهدات التصدير لتسديد قيمة الاستيرادات التي تتم بموجب رخص استيراد نظامية .

بالنسبة للمادة الخامسة :

منعاً لكل التباس أو غموض ، يرجى إيضاح وتحديد المعادن الثمينة التي منع المرسوم تداولها ، ومن ثم تحديد جهة مأذونة يناط بها شراء كل وأي من المعادن المنوعة بأسعار واقعية ومعلنة .

بالنسبة للمادة الثامنة :

بالنسبة لهذه المادة ، نرجو أن يكون هناك تمييز واضح بين عمليات المضاربة والتهرب الضارة ، وبين العمليات البسيطة والعادية التي تتم لقضاء حاجة صغيرة أو تسديد نفقة محدودة أو نتيجة غلط أو سهو أو جهل .

على هذا الاساس ، نرجو لو أن الاجراءات التي سيتم العمل بها بموجب التعليمات التنظيمية ستقبل ما يلي :

١ - يكتفى بمصادرة كل مبلغ يفوق ال (١٠٠٠) ألف ليرة سورية ولا يتجاوز ال (٥٠٠٠) خمسة آلاف ليرة سورية .

٢ - يكتفى بالمصادرة مع دفع الغرامة المالية لكل مبلغ يفوق ال (٥٠٠٠) خمسة آلاف ليرة سورية ، ولا يتجاوز ال (١٠٠٠٠) عشرة آلاف ليرة سورية .

٣ - يخضع كل مبلغ يفوق ال (١٠٠٠٠) عشرة آلاف ليرة سورية للعقوبات المنصوص عليها في هذا المرسوم .

أوردنا هذه الارقام للاستئناس والقبول مبدأ التفريق بين الغلط والسهو ، وبين المخالفة الصريحة والمقصودة .

استفسارات واستيضاحات :

بالنهاية ، هناك استيضاحات وتساؤلات يطرحها المواطنون ، ونرجو أن تتم التعليمات التنظيمية لتشملها وتوضحها بأقرب وقت . وعلى سبيل المثال نشير الى :

١ - كيفية الدفع والوفاء بالالتزامات المستحقة أو التي ستستحق لاشخاص غير مقيمين (العامل الاجنبي ، الفنان ، صاحب وسيلة نقل أو سياحة) .

٢ - المواطن المسافر وتقدير حاجته للقطع الاجنبي ، وسبل تأمينها له .

٣ - الطلاب الموضوعين تحت الاشراف .

٤ - الاشتراكات بالمجلات والكتب .

٥ - الاشتراكات بالمؤتمرات والمحافل العربية والدولية .

رئيس غرفة تجارة دمشق

دمشق في ١٩٨٦/٩/٧

بدر الدين الشلاح

خواطر حول الاقتصاد السوري

يعيش القطر العربي السوري عصرا ذهبيا من الازدهار والانتعاش الاقتصادي لم يسبق له مثيل . فعلى المستوى الشعبي نجد أن جميع فئات الشعب قد اخذت نصيبها الكامل من هذا الازدهار . ولربما الفئة الوحيدة التي تأثرت سلبيا ولم تحظ بقسطها من ارتفاع مستواها المعيشي هي فئة الموظفين العفيين والنزهاء الذين تنحصر موارد عيشتهم برواتبهم دون أن يكون لديهم أي وفر أو دخولات اضافة لرواتبهم وتشمل هذه الفئة فئة الموظفين المتقاعدين ويلاحظ أن التدابير الاخيرة التي رفعت من مستوى الرواتب لم تكن بالقدر الكافي ، حيث أن ارتفاعات معدلات الاسعار كانت قد تجاوزتها حتى قبل صدور قرار رفع المعاشات والاجور .

أما خلافا لذلك فلا يوجد أي فئة على الاطلاق الا وتمتعت بقسط وافر من هذا الازدهار تمثلت بارتفاع كبير في مستوى دخولهم وموجوداتهم ومستوى معيشتهم ومصاريفهم ، ويلاحظ أن التحسن قد أصاب فئات الشعب بشكل أفقي شبه عادل (أصحاب المهن) .

ويمكن الاستنتاج بأن جميع أفراد الشعب - رغم كل ما قد يشاع ويقال - تعيش في بحبوحة وسعادة ورضى . وأكثر من ذلك فإن مجالات اضطراد التقدم تبدو مفتوحة بأبواب عريضة وواسعة ، وإذا ما تمكنا من تصحيح أوضاع أصحاب الدخل المحدود من موظفين ومتقاعدين فستصبح سورية حقاً من الدول النامية القليلة جدا التي استطاعت أن تحقق ازدهارا حقيقيا عاما وشاملا . كما وأن تصحيح أوضاع أصحاب الدخل المحدود سيسهل على الحكومة والمسؤولين عملية الرفع من مستوى انتاجية الموظفين وسويتهم المسلكية التي أصبحت ضرورية وملحة .

أما على الصعيد الاقتصادي الشامل والمستقبلي فإن تقويم الوضع والدلائل يصبح أكثر صعوبة لما يتضمنه من عوامل عديدة ، مهمة ومتشابكة بل وحتى متضاربة بنفس الوقت . وضمن هذا الإطار يلاحظ أن خطط التنمية الزراعية والصناعية بالإضافة الى الخدمات العامة كالمواصلات والمستشفيات والمدارس التي انجزت خلال السنوات الاخيرة كانت فعلا خطوات عملاقة وتستحق الاعجاب والتقدير . وبمجرد

اتمام المشاريع ستقفز سورية قفزة مرموقة نحو التقدم الملموس لتصبح بطليعة دول العالم العربي رغم عدم تمتعها بموارد طبيعية او ثروات بترولية كما هو الحال في تلك البلاد .

وإذا كان لا بد لكل مخلص الا وأن يحيي النتائج تقديرا واعجابا لما حقق ويحقق في المضمار الاقتصادي في سورية فهذا لا يمنع الاشارة لبعض النقاط التي نرى لمعالجتها تسهلا فعلا لعملية التنمية والازدهار .

ان خطة التنمية في سورية على عظمها لم ترتفع الى القدر الممكن والمطوب ولم تتمكن بأن تسبق أو أن تتماشى مع التطور الكبير في حجم الاستهلاكات أو مقادير الوفورات الوطنية وقد وصلنا الى حدود تفوق كل حد وكل تصور . ولتفادي الانعكاسات السلبية على الانتاج فانه يتوجب على سورية القيام بعملية مزدوجة .

اولها السعي الى تخفيف معدلات الاستهلاك ، وثانيهما توجيه التوفيرات القومية والشعبية نحو الانتاج والتوظيف . ورغم أنه بإمكان الحكومة تكثيف الجهود والقيام بالمزيد من المشاريع الانتاجية فهذا وحده - وان كان ضروريا - لا يكفي . ولا بد من اشراك القطاع الخاص بمسؤولية ومهمة المساهمة الاكثر فعالية ضمن اطار الخطة العامة وحسب توجيهات الدولة . ويلاحظ أن فائض الاموال والوفورات الوطنية قد تضاعف عدة مرات بينما مجالات التوظيف المثمرة والمنتجة لا تزال محدودة ومحصورة بدون أي منطلق أو مبرر . ونتيجة لذلك يلاحظ اتجاه التوظيفات الى الحقول الغير منتجة او الى استهلاكات غير مجدية وغير مفيدة . ومن هنا تصبح عملية استجذاب هذه الاموال بالاضافة الى الاموال السورية والعربية الموجودة بالخارج والتي تنتظر النور الاخضر لتتدفق بشكل كبير عملية ضرورية وملحة خاصة وان هذا الاستجذاب هو بنفسه اكبر عائق لعملية الاستهلاك والهدر السائدة في القطر .

وبالاضافة الى عملية اعادة توجيه الاموال هناك عملية اعادة نظر أخرى لا تقل عنها الحاحا وهي في اعادة توجيهه واشغال العنصر البشري والقوى العاملة . فيلاحظ ان زيادة الاستهلاك قد أدت الى اعادة توزيع في تركيب القوى العاملة . وبينما كانت اكثرية فئات الشعب تسهم بالعملية الانتاجية كالزراعة والصناعة ، نجد أن هذا التركيب قد انقلب وتحولت اكثرية فئات هذا الشعب الى فئة غير منتجة ، فهي نفسها

أصبحت مستهلكة وبنفس الوقت تساعد على زيادة الاستهلاك . فهل يعقل أن يكون بمدينة دمشق وحدها ما لا يقل عن ١١٠.٠٠٠ متجر للبيع المجزء ، أو هل يعقل أن يكون بدمشق وحدها ما لا يقل عن ٢٠.٠٠٠ بائع متجول ؟ ! نحن لا نقترح مجرد الحد من هذا الاتجاه وإيقاف هذا الهدر بل ننصح بأن توجه لهذا الحشد من الطاقات البشرية المعطلة والمعطلة مجالات عمل أفضل لهم وأكثر افادة للوطن .

وبخلاصة فإننا نجد أن ليس بمقدور سورية أن تستمر في هذا المستوى من الاستهلاك وتحقق بنفس الوقت تنمية اقتصادية حقيقية . ولا بد لنا أن نوفر ونوظف وننتج ومن ثم نصدر اذا ما أردنا أن نستمر في دفع قيمة ما نحتاجه من مواد أولية و سلع ومعامل .

ويبدو أن خطة التصنيع هي بالشمول والعمق بشكل قد أدى بكثير من هذه البرامج الى نقاط اختناق هي طبيعية ومنتظرة . واذا كان المجال لا يسمح بتعداد عوامل أو مسببات الاختناقات هذه ، يستحسن على الدولة بوضع مسح كامل للصناعات التي لا زالت قيد التنفيذ ومن ثم وضع تقويم لمراحل تنفيذ المشاريع هذه والمراحل المطلوبة لاتمام كل منها ومن ثم وضع برنامج عمل زمني يجري من خلاله تركيز الاهتمام على انهاء تنفيذ هذه المشاريع أولا بأول .

وعلى ذكر برامج التصنيع فيلاحظ ان التشريعات القائمة حالياً - وان كانت لا تزال بحاجة الى المزيد من التوضيح والتحديد - قد وضعت مسؤولية التصنيع على ثلاثة قطاعات وهي القطاع العام والقطاع المشترك والقطاع الخاص . ويلاحظ أن القطاع المشترك لم يبرز بعد ليلعب دوره الكامل في مضمار التصنيع والتنمية . ويستحسن أن تعطى الاهمية البالغة لهذا القطاع وأن تهيأ له كافة السبل ومقومات النجاح الكاملة لانه يعتبر صيغة رائدة في الاسهام الفعال في التصنيع وفي سد ثغرة كبيرة في تقنية واستقطاب جزء كبير من الطاقات والامكانيات البشرية والفنية والمالية . اما بالنسبة للقطاع الخاص فرغم أن التوظيفات التي وضعت في التصنيع والتنمية كبيرة ومتنوعة وقد قامت بدور محمود في التنمية ، فهناك بعض الملاحظات الضرورية معالجتها . ويلاحظ أن أكثر مشاريع القطاع الخاص هي ليست بالحجم الكافي للاستفادة من مميزات التوفيرات التقنية الناتجة عن احجام المشاريع الكبرى . كما أنها كائت

على مستوى مؤسسات فردية بخبرات وامكانات محدودة ، بينما الصناعات المطلوبة هي اعلى من ذلك المستوى بكثير ولا بد أن تكون على مستوى قطري وقومي لتجني ايضا الاستفادة الكاملة من السوق العربي بأكمله . واذا كنا نقترح دعم وتشجيع هذين القطاعين بمؤازرتهم من جهة مع خلق سبل مراقبة وتوجيه من جهة ثانية ، فاننا نجد أن احدى العوائق النفسانية البسيطة القائمة تكمن في عدم معالجة قضية المساهمين بالشركات القديمة ، ونرى بتطبيق قانون التأميم لعام ١٩٦٥ ودفع تعويضات لهم مبادرة تشجيعية ستنتج أثرا طيبا جدا خاصة وان المبالغ هذه أصبحت قليلة وتشمل عددا كبيرا جدا من فئات الشعب . وكاقترح بديل يمكن اعطاء سندات لحملة هذه الاسهم يمكن توظيفها فقط في احدى مشاريع القطاع الخاص التي تجتد الدولة قيامها وتشجيعها .

هناك أخيرا بعض التساؤلات التي تتداولها الاوساط الاقتصادية والشعبية التي تدور حول سياسة واسلوب الدولة المعنية بالتجارة والاستيراد والتوزيع . ويلاحظ ان اكثر المواد قيد البحث غالبا ما تكون مفقودة في الاسواق أو تباع اعلى بكثير من اسعار البيع المحددة من قبل هذه المؤسسات . ولهذا الوضع نتائج سلبية وعكسية . وحول هذا الموضوع نبدي بعض الملاحظات التالية :

أولا - من المسلم به لدى الجميع أن خطة الاستيراد والتوزيع للمؤسسات العامة تمثل جزءا من سياسة شاملة ومتكاملة ترمي الى تحقيق أهداف اقتصادية وصناعية واجتماعية وان بعض السلع التموينية والرئيسية والمواد الاولية تباع بأسعار أقل من الكلفة بكثير بينما تحدد أسعار باقي السلع لتحقيق وفورات تغطي الخسائر عن المواد الرئيسية والتموينية من جهة والباقي للاسهام في برامج التنمية والتصنيع ، ولا شك أن الجهد الذي تقوم به المؤسسات العامة جهد كبير وجبار .

ثانيا - يكفي أن نبين أن أكثر هذه المؤسسات تستورد كل منها سنويا بما كانت تبلغ اليه جميع استيرادات القطر السوري بكامله منذ أقل من عشر سنوات مضت . وفعلا نجد أن جميع هذه المؤسسات مرهقة وجهازها الفني لا يتكافأ أبدا مع حجم أعمالها . وعلى ضوء هاتين النقطتين نرى استحسان السماح للقطاع الخاص والمشارك بالقيام بعمل مماثل بل ومساعد لما تقوم به هذه المؤسسات . وحتى تبقى سياسة

الاستيراد والتوزيع على شمولها فلا مانع أن توضع ضريبة اضافية على مستوردي القطاع المشترك أو الخاص توازي المخصصات التي تخصص للتنمية وتغطية عجز الدعم المقررة في وضع تسعيرة هذه المواد لدى المؤسسات العامة . وبهذا الاجراء نرى تحقيق ثلاث تسهيلات ضرورية دون المساس بالسياسة العامة للدولة وهي :

أولاً - تخفيف العبء الكبير والمتزايد عن المؤسسات العامة .

ثانياً - تسهيل تواجد ووفرة هذه المواد .

ثالثاً - نجد بهذا الاجراء الاسلوب الناجح لمعالجة الفوارق الكبيرة بين الاسعار الرسمية للبيع المعلنة من قبل المؤسسات العامة وبين الاسعار الحقيقية التي يدفعها المستهلك .

الزراعة : بالنسبة للزراعة فان الدولة تعطيها أهمية كبيرة نظرا لما لهذا القطاع من الدور الاهم الذي يلعبه في تركيب القطر الاقتصادي والاجتماعي . والمهم في هذا الموضوع هو أن العالم بأجمعه يتجه نحو اعطاء الزراعة ومنها للصناعات الزراعية كل الاهتمام نظرا لما يتنبأ للعالم من نقص كبير وخطر في المواد الزراعية الاولية . وسورية بالذات تتمتع بامكانيات مرموقة في هذا المجال ، وتؤمن بأن المردود الهامشي لكل جهد اضافي في هذا الحقل يكاد يفوق كل مردود من أي جهد أو توظيف أو اهتمام بأي حقل آخر . والمهم أن نعي بأن العملية الزراعية لم تعد العملية البدائية والعفوية واللااعلامية التي كانت تعتبر بها بالسابق ، فالزراعة هي علم وفن واختصاص . والحكومة قد خطت خطوات كبيرة في جهودها باستصلاح الاراضي واقامة السدود وتأسيس الجمعيات التعاونية التي ستساهم في مضاعفة انتاج القطر الزراعية .

والملاحظة الوحيدة التي نود ان نبديها في هذا المجال هي حول ضرورة توفير كامل المتممات والمشجعات المطلوبة لزيادة انتاجنا الزراعي وتحسينه . واذا كانت الجمعيات التعاونية قد لعبت دورا جيدا بهذا الاتجاه ، فاننا نجد ان خدماتها كانت اقل مما كان مأمولا منها . فالحقيقة أن المزارع يحتاج فيما يحتاج وقبل كل شيء الى ارشاد فني يشمل تحديد نوعية المزروعات الافضل للمنطقة المعنية وارشاده حول برامج زمني للزرع والسقي والوقاية ومكافحة الآفات والحشرات وكذلك بالنسبة

للحصاد والقطاف والتعبئة . كما ان المزارع اصبح يحتاج اكثر فأكثر لمختلف الاوائل الحديثة والفنية للزراعة والوقاية والحصاد والتوضيب ، هذه المعدات التي ليس بمقدور كل مزارع تهيئتها سواء كان ذلك بسبب تكلفتها الكبيرة او عدم استفلالها استفلالا صحيحا نظرا لكون طاقتها اكبر من حاجته او بسبب عدم توفر الخبرة الفنية المطلوبة لتشغيلها .

واخيرا فان المزارع يحتاج الى البذار الافضل والسماذات والمبيدات ووسائل التعبئة بالاضافة الى التوجيه او حتى المساعدة في تسويق منتجاته ، ولكننا نرى ان الاعباء التي اقيت على عاتق هذه الجمعيات تجاوزت هذه الحدود ، ونرى لو ان الجمعيات هذه قد اکتفت بمحاولة القيام بهذه المهمات بالذات ونجحت بها لكانت اصبحت كل من هذه الجمعيات نواة حقيقية لكل منطقة زراعية ومحور نشاطها ولاصبت احدى أهم أسس التركيب الاجتماعي في الريف السوري ولتمكنت من استقطاب جميع هذه الفئات لتزيد من عدد اعضائها وبالتالي لتؤدي خدمة حقيقية واكثر فعالية للوطن . ولنأت على مثال واحد ، من المعلوم ان المحاصيل الزراعية اذا لم تسمد لا يمكن ان تعطي المحصول الجيد . والسماذ اصبح أنواعا ، فهناك سماذ يرش على الاوراق ويعطي اضعاف المحصول بالنسبة للسماذ العضوي والكيماوي ، بالاضافة الى انه يوفر قدر قيمته ايادي عاملة ، ويسأل عنه المزارع فلا يجده ، فهو مفقود بالاسواق وحتى ان الزراعة لا تسمح باستيراده . هذه الامور يلزم ان تعالج من قبل خبراء .

واذا كانت عملية التصنيع وزيادة الانتاج بحجم يفوق الاستهلاك ضرورية ، فان تشجيع السياحة وتهيئة اسباب نجاحها وازدهارها لا تقل عنها أهمية . والسياحة اصبحت تشكل أحد الموارد الرئيسية ومن أهم مصادر القطع الاجنبي للعديد من بلدان العالم . ومجرد التذكير بمداخل ايطاليا واسبانيا او حتى يوغسلافيا من السياحة يكفي لابرز اهميتها وضرورة تشجيعها وتنميتها .

وقانون التملك الاخير كان له آثاره السلبية أكثر من نجاحه بالحد من ارتفاع الاراضي الذي لاجله وجد هذا القانون بالاضافة الى ان كثيرين من المواطنين العرب والمغتربين السوريين أحجموا عن شراء أراضي بسورية ولا سيما في مناطق الاصطياف

بالإضافة الى أن المواطنين السوريين توقفوا عن الشراء أو البيع لانه لا يوجد توظيف للاموال التي سيقبضونها عن أملاكهم وفضلوا بقاء الاراضي وأكثر اصحاب الاراضي الذين باعوا أراضيهم لا سيما الجرداء منها واستعاضوا عنها بتوظيف ما قبضوه في البناء .

اما أزمة السكن على الرغم من صدور القانون الاخير الذي ترك حرية الايجار للابنية الجديدة لمدة ٥ و ٧ سنوات فانه لا يستفيد منها سوى الذي عنده امكانية الإستئجار بأسعار عالية ، فانه أصبح يجد سكنا ، وأما أصحاب الدخل المحدود فمن الضروري أن يتملك بأسعار رخيصة وهذا لا يتوفر الا بايجاد مدينة سكنية جديدة قريبة من العاصمة وتكون قيمة الاراضي رخيصة ونرى أن المنطقة الواقعة شمالي شرقي القابون الذي تمتد حتى شمال حرستا ودوما منطقة كبيرة جدا وهي لحف جبل وقريبة من العاصمة وتطل على مناظر الفوطة كما يطل حي المهاجرين وكما تطل مدينة المزة واسعارها لا تشكل شيء يذكر ، فاذا لم يباشر في احداث هذه المدينة سوف تتفاقم أزمة السكن طالما هناك زيادة بعدد السكان الذي نحن بحاجة اليه عكس الدول الاخرى لان مستقبل البلاد واضح مثل الشمس .

كما أن مجال جعل سوريا مركزا ماليا دوليا هاما ممكن وسهل وضروري جدا الاهتمام به واصدار التشريعات اللازمة لايجاد جهاز مصرفي منفصل ومستقل عن الجهاز المصرفي الداخلي . وهنا نذكر بان الودائع المصرفية في لبنان بلغت حوالي ١٦ مليار ليرة سورية ، ويمكن اجتذاب اكثرها الى سورية ، ولذا نذكر أن أكثر من نصف عجز انكلترا يغطي من مواردها من الاعمال المصرفية والتأمينية التي تقوم بها مؤسساتها في العالم .

الاستيراد بالتسهيلات الائتمانية يعني دفع قيمة البضاعة مرتين :

وأخيرا نجد أن سورية لا زالت تتبع نظام الاستيراد عن طريق ما يدعى بالتسهيلات الائتمانية لمدة ثلاثمائة وستين يوما ، وهذا التدبير لا يتعدى كونه مكلفا ووهيبا وغير حقيقي وكل ما يعنيه هو دفع قيمة هذه البضاعة مرتين ودفع ضعف كلفة فتح الاعتمادات والعمولات بالإضافة الى حرمان سورية ومؤسساتها المصرفية من هذه

العمولات . والحمد لله أن سورية تتبع سياسة واقعية ، لذلك لا يجوز لنظام الاستيراد بما يدعي بالتسهيلات الائتمانية أن يستمر لان هذه الوسيلة ليس بها أي فائدة أو مزية حقيقية تذكر ، بل على العكس ففيها كل الضرر ، حيث أنه من جهة أقل ما تعنيه هو زيادة النفقات والمصاريف بالإضافة الى أنها أدت وتؤدي في العديد من الحالات لاضرار ومشاكل كثيرة يتحملها المستورد وهو مكره على أمره . فهو كثيرا ما يكون عاجزا عن معالجة هذه المشاكل بمفرده كما أنه ليس بمقدوره الجهر بها للاستعانة رسميا على تذليلها . ولو أنه تم تأسيس المصارف المقترحة والآنفة الذكر فسيصبح الاستغناء عن نظام التسهيلات أكثر سهولة ومتلزما مع تحويل جميع هذه الاعمال الى تلك المصارف الوطنية .

ويجدر الاشارة الى الازدحام الكبير والمرهق للاعصاب والمضر بالصحة في جميع الطرقات والشوارع وذلك نتيجة زيادة عدد السيارات العاملة في البلدة بشكل صاروخي خلال السنوات الاخيرة ، دون أن يلزمه زيادة متناسبة بالطرق والشوارع في المدن ودون أن يلزمه أي زيادة اطلاقا في بناء كراجات ومرائب يضاف الى ذلك زيادة مستمرة في اشغال الطرق في المدينة من قبل الباعة المتجولين ، وأصبح المواطن العادي ينظر الى هذه الظاهرة على أنها أهم مصادر القلق والانزعاج . لذلك نحث المسؤولين على ضرورة معالجة هذه الازمة التي تزداد تفاقمًا وتعقيدًا يوما بعد يوم وذلك عن طريق اتمام الطرق والمعابر المرسومة بأقرب وقت بالإضافة الى تأسيس مرائب للسيارات وخاصة في المناطق التجارية واجبار كل بناء على تخصيص طابق سفلي لايواء السيارات وعلى تخصيص وتحديد الاماكن التي يسمح بها للباعة المتجولين باشغال الطرق العامة ، كما ان نقل سوق الهال من قلب المدينة الى مقره الجديد سيساعد على تخفيف هذه الازمة والحد منها .

ومن ثم هناك أزمة التعقيد والتأخير والروتين لكل مواطن له أي علاقة أو مطلب من أي دائرة أو مؤسسة في الدولة ، فكم من وقت يهدر وأعصاب تتلف نتيجة لذلك . والامل أن تبدي اهتماما كافيا لقلب هذا النظام لتسهيل وتبسيط وتقصير مدة معاملة او مطلب كل مواطن وذلك بتفويض صلاحيات تسيير الامور وتلبية طلب كل مواطن من قبل موظف واحد مختص ومسؤول عوضا عن أن تتوه كل معاملة في ممر طويل من الروتين والتواقيع والدراسات والمراجعات .

أزمة لبنان :

أزمة لبنان كان لها آثارها وانعكاساتها على الوضع الاقتصادي :

لا شك أن الأزمة الأخيرة في لبنان الشقيق كان لها آثارها وانعكاساتها على الوضع الاقتصادي السوري . وإذا كان البعض يظن أن بعض هذه الآثار والنتائج كان لصالح سورية ، فنحن نؤمن أن الأضرار التي لحقت بسورية وبالاقتصاد السوري تتعدى كل حد وتفوق كل تصور .

أولاً - أن الالتزام السوري يدرء الخطر عن لبنان والسعي الحثيث لإيجاد حل سلمي للأزمة اللبنانية قد حمل ويحمل الخزينة السورية عبئاً كبيراً جداً .

ثانياً - أن جزءاً كبيراً من المنشآت والمؤسسات اللبنانية تعود للسوريين ، وما تدمير القسم الأكبر منها إلا ضرراً أصاب السوريين بقدر ما أصاب اللبنانيين .

ثالثاً - أن العديد من النشاطات والفعاليات الاقتصادية اللبنانية كانت بيد السوريين أن لم تكن أكثرها بملكيتهم ، وتوقف هذه النشاطات يعني توقف مورد من أكبر موارد السوريين في الخارج .

رابعاً - أن مبالغ ضخمة عائدة للسوريين كانت مودعة في لبنان والله وحده يعرف مصيرها .

خامساً - أن ما لا يقل عن ٣٠٠.٠٠٠ شخص سوري كان يكسب معيشته من عمله في لبنان ، فمن جهة حرم هؤلاء من مصادر معيشتهم ، كما وأن سورية حرمت بما لا يقل عن مليار ليرة سورية كانت ترد لسورية عن طريق هؤلاء المواطنين المقيمين والعاملين في لبنان .

سادساً - فوق كل هذه الأضرار نجد أن ما تبقى من موجودات السوريين وسلمت أو سلم جزء منها ولا زال هذا الجزء محافظاً على قيمته السوقية السابقة ، فإن قيمة ما تبقى يكون قد انخفض بحوالي ٤٠٪ هذه النسبة التي تعادل انخفاض قيمة الليرة اللبنانية بالمقارنة مع العملات العالمية نتيجة الأزمة .

أما على الصعيد الداخلي فلقد كان للأزمة اللبنانية آثارها وانعكاساتها السلبية أيضا ، فلقد ازداد العبء التموييني وتفاقت أزمة السكن والسرير وتضاعف استهلاك الوقود والبتروول . وإذا كان البعض يرى أن هذه الحالة قد نشطت حركة الاسواق والبيع والشراء ، فاننا نرى أن هذه الحالة هي بالواقع كمن يلحس الدم على المبرد بلسانه ، لان جميع هذه الموارد نحن ندفع قيمتها بالقطع النادر ، وإذا كنا نأمل مخلصين على أن تتكفل الجهود السورية الشريفة لحقن دماء الابرياء واعادة السلم والامن الى لبنان فما ذلك لحرصنا على تفادي المزيد من الاضرار المادية فقط ، بل لحرصنا وايماننا بأن أمن لبنان هو أمن سورية وازدهارها هو ازدهارنا وبأن السلاح العربي يجب أن يوجه للعدو المتربص على الحدود وبأن العرب أن يكونوا أكثر وعيا على احباط المؤامرات التي تحاك ضدهم وأن يكونوا أكثر تصميمًا على توحيد الصف وشد الهمم لمعاركتنا المشتركة ليس فقط ضد العدو على الحدود ، بل أيضا بمعركتنا ضد الاعداء الداخليين المتمثلة في محو الامية والجهل والفقر والعوز والمرض والتأخر .

وإذا اتينا على ذكر الآثار المادية الملموسة على الاقتصاد السوري فان الخسارة هي مصابنا الاليم باخواننا والشقائنا والسبائنا وجيراننا واحبائنا في لبنان ، وفي هذا المصاب حرقه لا تطفأ ولوعة لا تنسى وجراح لا تدمل .

هذه الخواطر انما قصد منها القاء أضواء على بعض القضايا الهامة الواجب الاسراع بمعالجتها ضمانا لعد مشرق وامل باسم وثقة لا تتزعزع بهذا الوطن وعزيمة ابنائه .

بدر الدين الشلاح

دمشق في ١٩٧٦/٦/٢٧

قصة التبريد في سورية

قبل أن أختتم القسم الاقتصادي من هذا الكتاب وبعد أن وصلنا في الطباعة الى هذا المكان تذكرت واقعة تتعلق بقصة شركات التبريد في سورية أحببت أن أذكرها للتاريخ .

في عام ١٩٤٢ وبعد دخول القوات البريطانية مع القوات الديفولية الى سورية لاجراج قوات حكومة فيشي من سورية ، نوفر الدولار والجنيه الاسترليني بكميات كبيرة في سورية ، وبدأ عن طريقه استيراد البضائع بما يسمى (الكوتا) . وقد حصلت منافسة ما بين المرحوم السيد مسلم السيوفي رئيس الغرفة التجارية وبين اعضاء الشركة الخماسية التي كانت اعطيت حصة كبيرة من النقد الاجنبي استوردت بها الآلات وانشأت الشركة الخماسية للنسيج ، فأخذ السيد مسلم السيوفي بالمقابل مقدارا كبيرا من القطع وزعه على التجار الذين تأسست منهم شركة لاستيراد النسيج والخيوط . ومن حصيللة أرباح هذه الشركة المستوردة أسست شركة للتبريد وهي شركة مساهمة موزعة على... ٥٥٥ سهم . وكانت فكرته أن يبنى البراد على الساحتين الكبيرتين في سوق الهال القديم بخان الباشا ، وادخلت محافظة دمشق شريكة في هذه الشركة لقاء قيمة هذه الارض واعطيت ربع الاسهم ، وكانت قيمة كل سهم (١٠٠) مئة ليرة سورية . غير أن المحافظة لم توافق على بناء البراد بسوق الهال مما اضطر الشركة لشراء أرض من بستان كائن جانب الجمارك بنت عليها معمل التبريد وفرن الخبز . أما على أرض المحافظة بسوق الهال فقد بنت القبو والمخازن وطابقا واحدا للمكاتب وفندقا ، ووصل سعر السهم في البورصة الى (١٤٠ - ١٥٠) ليرة سورية . ولكن عند تشغيل المخبز بدأت الخسارة تتوالى وصدر قانون الإيجار لتخفيض الاجور فتوقفت الشركة عن توزيع الارباح ونزلت أسعار الاسهم الى (٣٦) ست وثلاثين ليرة للسهم في عام ١٩٥٢ ، وكانت للسيد جميل اللشي أسهم باعها في ذلك الوقت بثلاث وثلاثين ليرة سورية . وتصادف في هذا العام أن انتهت مدةمجلس الادارة ودعي المساهمون لانتخابمجلس جديد ، وكانت هناك مزاحمة على الترشيح ، فكلفني المجلس القديم بترشيح نفسي للمجلس الجديد . واعتذرت لانني لا املك

اسهما في الشركة المذكورة ، غير أن الانتخابات كانت قد انتهت ووضع مجلس الادارة اسمي في قائمة المرشحين ونجحت القائمة واصبحت عضوا بمجلس الادارة . وهنا اعتذرت مجددا لعدم ملكيتي اسهما في الشركة المذكورة ، غير أنهم اصروا عليّ بقبول العضوية ، وهكذا بقيت عضوا . وعندئذ بدأت فقومت الشركة تقويما فعليا ووجدت ان الموجودات اكثر من رأس المال فأوقفنا المخبز لتوفير الخسارة واجرنا المولد الكهربائي الى شركة الكهرباء بأجر قدره ٦٦٦ ليرة سورية للكيلو الساعي ، وهكذا انقلبت الخسارة الى ارباح . ثم اقترحت بيع العقارات بسوق الهال لساكنيها اذ ليس من المعقول أن تؤجر الشركة العقارات بنسبة خمسة بالمئة وسبعة بالمئة وتدفع مصاريف الادارة والجباية فلا يبقى سوى ٢ بالمئة ، وقد تمت الموافقة على ذلك مما اضطرنا الى اخذ قرار بتصفية الشركة وبيع املاكها . وتم بيع المحلات الارضية بسوق الهال ووزعنا قيمة المباع على أصحاب الاسهم وبلغت القيمة المعادة لاصحاب الاسهم (٣٣) ليرة سورية عن كل سهم اضافة الى ١٢ ليرة سورية عن كل سهم كأرباح وسعينا مع الوزارة لتقويم ما تبقى من الشركة من جديد وبلغ التقويم ٦٥ ليرة سورية لكل سهم . وكان للشركة معمل جليد (بوظ) كان انتاجه الف لوح يوميا وسعناه وصار ينتج اربعة اضعاف ما كان ينتجه في السابق ، وبهذه المناسبة اقول انه لم يكن في دمشق سوى ثلاثة معامل صغيرة للجليد احدها في زقاق الصخر والآخر في مسجد الاقصاب والثالث في شارع بين الحواصل امام جامع المعلق وكان يملكه التاجر الكبير طلعت جبري .

هذه قصة شركة التبريد السابقة ، وبهذه المناسبة اذكر للقراء كيف كانت المدينة توفر التبريد قبل هذه المدة وقبل المعامل الكثيرة التي أسست فيما بعد وصارت تؤمن التبريد على نطاق واسع .

قصة الثلج والتبريد

قبل أن توجد البرادات الحديثة المنزلية وشركات التبريد التي تحفظ المأكول والاطعمة ، كانت بلادنا قد وجدت حلا لمشكلة حفظ الاطعمة قائما على البساطة وتجنيد الطبيعة لخدمة الانسان ، مما يحقق الوفرة والفائدة والنظافة .

فالماء يحفظ في اوعية فخارية اذا وضعت في الهواء برطبها الهواء ، وكانت لها اسماء بحسب حجمها والبلد الذي يصنعها ، وهي اما من الفضاء الاحمر الذي يصنع على ايدي صناع مهرة يسمى واحدهم (الفواخيري) ومن ذلك حي (الفواخير) الذي كان يلتقي فيه الكثير منهم في اول المهاجرين ، وبعض هذه الجرار يشوى وبعضها يجفف في الشمس . والاطعمة كانت تحفظ على طبق يعلق في الهواء في سقف الغرفة ، ثم اوجدت خزائن يتخللها الهواء ولا يمر فيها لا النمل ولا الحشرات وتسمى واحدها لذلك (نملية) ويحفظ فيها الطعام من الفساد .

اما الاشربة التي تحتاج الى تبريد مثل عرق السوس والتمر هندي واللبن العيران فكانت تمزج من اجل تبريدها بالواح من الثلج الطبيعي الذي يخزنه الفلاحون في الجبال العالية المثلجة في نوع من الابنية له جدران حجرية سميقة . وكان من المعروف أن الثلجة الثالثة من كل عام هي التي يحفظ ثلجها ، وكان المثل المعروف يقول اول ثلجة سم والثانية دم والثالثة كول (اي تستطيع اكلها) ولا تنهم . . . وهذا القول سببه في الواقع أن الشعب تعلم بالتجربة أن الثلجة الاولى تنزل معها ما في الجو من دخان وغبار ، وكذلك الثانية ، اما الثالثة فيكون الجو فيها نقيا والثلج كذلك فيصبح من الممكن جمعه ورضه بالضغط عليه حتى لا تبقى فيه مسام يتخللها الهواء ويؤدي الى الذوبان . وعندما يأتي فصل الحر تفتتح من هذا الثلج قطع مثل الواح الجليد وتباع في الاسواق ، وكانت تسمى بالسويق ، وهي كلمة عربية قديمة ، وينادي الباعة على هذا الثلج بقولهم كول من السويق ولكن تدغم حروفها فيشبه صوتيا قولهم (هو مناسوي) وكان من المألوف أن يشتري الثلج ويخلط بالدبس وهو يعطي طعما طيبا وباردا . ويأتي حفظ الفواكه ، فالعنب الحلواني وهو قوي ومقاوم يقطف وتقط عناقيدته بمحلول من تراب احمر من ارض عين ترما وتجف فتحفظ العناقيد لعدم اتصالها بالهواء فاذا اريد اكلها بعد اشهر (وخلال ثلاثة اشهر) غسلت فبقي العنقود سليما .

اما التفاح والاجاص والسفرجل فالنوع الشتوي منها يحفظ في غرف باردة ومستودعات خاصة ، وينزل الى الاسواق بعد انتهاء الموسم .

وكل هذا كان دون نفقات كبيرة لشراء البرادات المنزلية والفريرزات وقبل انشاء شركات التبريد .

شخصيات اقتصادية عربية

في هذا الكتاب قصرت الحديث على عدد محدود من رجال السياسة ورجال الاقتصاد والعاملين في الحقل الاجتماعي ، وأشعر في هذا المجال بأنني وقعت في احراج شديد . فاذا شئت ان اذكر كل النابهين الذين تشرفت بمعرفتهم ولقائهم والتعامل معهم في نحو سبعين سنة من العمل الواعي فان كتابي سيتحول الى سجل للاعلام في معظم سنوات هذا القرن ، وهو امر لا تسعف به الذاكرة ويضيق عنه المجال كما يخرج عن الخط الذي وضعته لهذا الكتاب ، وهو خط جامع ولكنه ليس مانعا ، فيه المفيد ولكن ليس فيه كل الضروري ، وما جمع انسان فأوعى .

لقد تشرفت بلقاء معظم الرؤساء والملوك العرب وعدد من الرؤسا الاجانب ، وسعدت بلقاء معظم رؤساء الحكومات العربية وفي الجمهورية العربية السورية وعملت مع اكثرهم ومع معظم الوزراء في مختلف المجالات ، وما منهم واحد الا وكان يملأ مركزه ويملك من الذكاء والمعرفة والحكمة ما يستحق التقدير . وجمعتني الاعمال اليومية واللقاءات والتعامل وقيامي بالوساطات المجدية لحل المشاكل وايصال الناس الى حقوقهم بعدد لا يحصى من الموظفين الكبار والقضاة والمحامين والاطباء والمهندسين وغيرهم من رجال المهن الحرة . والتجار كانوا زملائي وخطائتي وتعاملت معهم في كل يوم وكل ساعة ، ومن كان مثلي محبا للناس يقدر مزاياهم ومواهبهم ويتركز على الجانب الطيب في كل واحد منهم يشعر بانهم جميعا جديرون بأن يخصص لهم مكان في المذكرات بقدر ما كان لهم من مكان في حياتي .

ولم اجد مخرجا من هذا الموقف الا بان اقدم اعتذاري جملة لكل هذه الشخصيات الماجدة والفعالة والمؤثرة ، واذا ذكرت بعضهم من أعضاء اتحاد الغرف العربية فان كل واحد منهم يعتبر رمزا لبقية اخوانه وزملائه على الساحة العربية . واذا كان مجرى الحديث قد حملني على ذكر بعض الاخوة المواطنين دون سواهم فانني اعلن للآخرين حبي وتقديري واقدم اعتذاري . ولعل الله تعالى يسعف بالعمر والصحة فاكتب كتابا آخر اخصه للتوسع وذكر الآخرين ولا سيما الاخوة السوريون لاعطيهم حقهم بما لهم من مكانة وتأثير وفضل في الحياة العامة .

الشيخ يوسف ياسين

من الشخصيات التي أعتز بمعرفتها الشيخ يوسف ياسين الذي شغل أعلى المناصب في المملكة العربية السعودية . وقد زادت معرفتنا توطيدا حين انعقدت اواصر المصاهرة بيننا وبينه وكان موقفه في أعلى درجات النبالة والشهامة والترفع والخلق الانساني العربي . وقد دامت بيننا الزيارات والعلاقات مدة طويلة . وفي ذات مرة قدم الى دمشق فأقمنا مأدبة على شرفه في مزرعة العدمل حضرها مائة وعشرون مدعواً من كبار الشخصيات في عام ١٩٥٧ بينهم رئيس المجلس النيابي الدكتور ناظم القدسي ورئيس مجلس الوزراء الاستاذ صبري العسلي والنواب البارزون وقادة الجيش وأعضاء المجلس البلدي ومجلس الاوقاف ، وقد طاف مع المدعويين بالسيارة في أرجاء المزرعة وأبدى إعجاباه بحسن التنظيم والتنسيق فيها وفي طرقاتها المنظمة .

وكنت حين أزور المملكة العربية السعودية أنزل في بعض الزيارات ضيفا عليه ويضع تحت تصرفي سيارته ويؤمن جميع التسهيلات اللازمة للطواف والسعي والقيام بالشعائر .

وأذكر أنني وصلت مرة الى عرفات وكانت موجة الحر شديدة وبدأ الحجاج يتساقطون صرعى بضربة الشمس وشهدت أكثر من مئتين وخمسين ميتا ينقلون امامي الى المستوصف خلال ساعة واحدة ، وعلى الاثر أرسل الشيخ يوسف ياسين سيارة اسعاف من وزارة الصحة لتقلي الى المخيم بالمزدلفة وكان بوقها يفتح لنا الطريق حتى نسرع ولا نتأخر .

وقد توفي الى رحمة الله عام ١٩٦٢ .

السيد عبد العزيز الصقر

من الشخصيات النادرة التي تعرفت عليها السيد عبد العزيز الصقر الذي كان رئيساً لغرفة تجارة وصناعة الكويت منذ عام ١٩٥٩ وحتى الآن ، بالإضافة إلى نشاطه الكبير والفعال في عالم التجارة والصناعة . ولقد كانت حياته حافلة بالعمل الدؤوب المستمر في خدمة المجتمع والوطن ، كما تبوأ مناصب رفيعة كثيرة اذكر منها عضوية المجلس التأسيسي ووزارة الصحة ورئاسة مجلس الامة في دولة الكويت ورئاسة مؤسسة الكويت للتقدم العلمي .

وكان له نشاط بارز جدا في اتحاد الغرف التجارية والصناعية العربية في جميع مؤتمراتها ومجالسها ونال من الجميع أعلى ما يبلغه التقدير .

وقد اقيمت له حفلة تكريمية في الكويت دعي اليها عدد كبير من اصدقائه واحبابه في العالم العربي وحضرها كبار رجالات الكويت وكنت انا بين المدعوين وقد كانت كلمته في الاحتفال جامعة اکتفي بأن اقتطف منها الفقرة التالية :

(لقد علمتني الحياة انه ليس عن الوقت من بديل فطريق النجاح في معظم الاحيان موحشة طويلة . ومن الخطأ ايها الشباب ان تحاولوا اختصارها بسلوك دروب غير مشروعة متعرجة المسالك مظلمة الانفاق لانكم اذا مشيتم في هذه الدروب مرة صعبت عليكم العودة الى الطريق السوية وتولدت في نفوسكم سموم من القلق والضياع لم يجد العلم تريباها لها ولن يجد . وكلنا نعرف اشخاصا سلکوا تلك الدروب السهلة القصيرة فملکوا المال بسرعة ثم قضاوا حياتهم ينفقون ما جمعوا لا يتبايع ما لا يشتري بمال ، وهو حياة الامن والسلام مع الخالق ولاخلق والضمير !) .

لقد جاءت هذه الكلمة في سبع صفحات كلها دروس وعبر . كما اذكر فقرتين من كلمة القاها في الدورة الثلاثين لمؤتمر الغرف العربية المنعقد في دمشق بتاريخ ١٩٨٨/٤/٧ حيث قال :

(نجتمع اليوم في دمشق اول عواصم التاريخ عراقا واول عواصم العروبة وحدة واصالة ، حاضرة الامويين التي يحتضن ترابها ابن الوليد وصلاح الدين ، وعاصمة سورية الحديثة اصلب العرب صمودا في وجه التحدي الاسرائيلي ، والتي حلق من

اجوائها النسر الفلسطيني لينقض كالقندر على معسكر الذئاب مفعجرا ثورة اطفال الحجارة ، اطفال اطول من العمالقة سموخا واروع من فوح الدم شهادة وحجارة اغلى من الالماس ثمنا وانبل من النبل هدفا) . . .

ويسعدني ان يكون اصدر عن نشاطه وحياته كتابا رائعا ممتعا هيئات منه كل كتاب .

الشيخ اسماعيل ابو داود

الشيخ اسماعيل ابو داود ، هذا الصديق والاخ والزميل في اتحاد غرف التجارة العربية والاسلامية والمشاركة ، يمثل تمثيلا صادقا جيلا من رجال الاعمال العرب الذين كافحوا ونجحوا وعملوا فأفلحوا من بداية بسيطة الى مجد كبير ، سواء في الثروة او الاسم او الاخلاق . والشيخ اسماعيل يتميز بأخلاقه الكريمة ، وثروته لم تفسر من تواضعه ، ومركزه الرفيع لم يثنه عن خدمة أهله وحرفته ووطنه ودينه ، انه نجم ساطع في عالم الصناعة والتجارة في المملكة العربية السعودية ، وقائد وقاد الذهن والعزيمة في غرفة التجارة والصناعة في جدة ، وقد ارتقى بهذه الغرفة من خلال رئاسته لها لمدة جاوزت العشرين عاما من غرفة متواضعة الى ان اصبحت مؤسسة متألقة في خدمة الاقتصاد السعودي ورائدة في دعم رجال الاعمال هناك .

ولقد قمنا سويا ، ومعنا أبناء ذلك الجيل من رجال الاعمال ، بتطوير وترسيخ مفهوم العمل العربي المشترك نظرية وممارسة ، وسعينا لإبعاد هذا العمل عن العلاقات الآنية التي تربط مختلف الاقطار العربية بعضها مع بعض لاعتقادنا ان هذه العلاقات اذا اكننفها وهن او غيوم فهي لا تكون الا سحابة صيف عابرة لا تلبث ان تزول ويعود الاشقاء الى التلاقي والتعاون والتآزر .

ولا يفوتني ان اذكر الجهود الكبيرة والمضنية التي بذلها اخي الشيخ اسماعيل في سبيل تأسيس وانشاء الغرف الاسلامية رغم ما لقيناه من متاعب ومصاعب في هذا المضمار .

اننا نمثل الآن شيوخ هذه الغرف وقداماها كبار السن ، وكل ما نرجوه هو ان نكون قد وفقنا بان نترك هذه المؤسسات لمن يأتي بعدنا وهي مهياة للقيام بكل عمل مطلوب في طريق الوحدة والتعاون والتآزر .

الدكتور عبد الله دحلان

من نعم الله تعالى على عبده كاتب هذه السطور ، انني اتعرف حيثما حللت على اناس من كرام الرجال سمّيت بهم الفضائل وتمثلت العراقة والاصالة . ويسرني ان انوه بالاخ الدكتور عبد الله دحلان المدير العام للفرقة التجارية - الصناعية في جدة ، وينتمي الى أسرة شرفها الله بالانتساب الى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، واشتهر افرادها بالعلم ونباهة الذكر وعلو المراكز .

شغل والده الاستاذ صادق دحلان اكبر منصب شرعي في القضاء ، وفي صبيحة يوم مبارك صليت الفجر في حرم مكة ثم توجهت الى داره وكان جالسا بعد الصلاة ، فعرفته على نفسي واخذنا نتبادل الحديث عن الحياة وتربية الابناء ، فعلمت ان له منهم خمسة من الذكور واربع اناث ، وان تعليم الذكور لم يكلفه شيئا لانهم كانوا خلال عطلة المدارس يقومون بأعمال حرة ويدخرون ما يكسبونه للانفاق على دراستهم وعندما يحصل واحداهم على الشهادة الثانوية يعمل موظفا ويجمع رواتبه لتأمين نفقات الدراسات العليا في الخارج ، وبعد التخرج يتولون مناصب عليا ويجمعون ثروات كبيرة .

يدير الدكتور عبد الله دحلان الفرقة التجارية - الصناعية في جدة وللمقارنة علمت ان رواتبه الشهرية تصل الى ٣٥ الف ريال قبل خمس سنوات ، ومع ذلك فان اشقائه يحصلون على دخل اكبر بكثير ، وهم ربيع البالغ من العمر ٤١ عاما ويحمل شهادة دكتوراه الاعمال من الولايات المتحدة الامريكية وقد شغل منصب المدير العام للهاتف في المنطقة الجنوبية ونفذ احدث شبكة هاتف في العالم العربي ، وفي هذا العام استلم منصب معاون امارة مكة ، وانشأ جامعا في جدة على نفقته . والثالث سمير البالغ من العمر ٣٩ عاما ويحمل شهادة ماجستير في ادارة الاعمال ، وهو الآن مدير شركة بدر للاتصالات السلكية واللاسلكية ، والرابع هو عماد وعمره ٣١ عاما ويحمل شهادتي ماجستير الاولى في ادارة الاعمال والثانية في الهندسة المدنية ، وقد استلم اخيرا ادارة معرض جدة العائد لفرقة التجارة والصناعة ، والابن الخامس وعمره ٢٥ عاما ويعمل مهندسا ويحمل شهادة ماجستير في الهندسة المعمارية من الولايات المتحدة الامريكية .

وأعود الى الدكتور عبد الله دحلان الامين العام لغرفة تجارة وصناعة جدة ، وقد
لمست كيف يدير الغرفة ادارة حكيمة ويشرف على حوالي مائة وثلاثين موظفا بينهم
حملة ماجستير وبكالوريوس وبينهم حملة شهادات متوسطة .

ويكنّ الدكتور عبد الله دحلان احتراما عظيما للاخ الشيخ اسماعيل ابو داوود ،
ويعتبره والدا ثانيا له ، ويشيد بتوجيهاته امام الجميع .

رجال كرام في غرفة تجارة وصناعة جدة

هذا وان غرفة تجارة وصناعة جدة اول غرفة تأسست في عهد جلالة المغفور له
الملك عبد العزيز آل سعود ، وقد ترأسها اولا السيد عبد الله علي رضا ، ثم تولى
رئاستها الشيخ محمد العوض الذي أصبح وزيرا للتجارة في عام ١٩٧١ للميلاد ، وخلفه
الرئيس الحالي الشيخ اسماعيل ابو داوود صاحب الفضل في تأسيس مقرها الضخم ،
بعد أن حصل على معونة من المغفور له الملك فيصل واشترى الارض اللازمة لبناء هذا
المقر في شارع الميناء في شهر محرم من عام ١٣٩٢ للهجرة .

السيد جمعه الماجد

بفضل من الله حالفتني الحظ بالتعرف على نخبة من افاضل التجار في امارة دبي ،
ولمست من شمائلهم ومكارمهم ما يستحق التنويه في هذه المذكرات التي أسجل فيها
مشاهداتي في هذا العالم ، تحدثا بنعم الله تعالى .

ابدا بالصديق الكريم الاخ جمعة الماجد الذي كان وما زال من كبار تجار دبي حتى
زمننا هذا وأرجح أنني تعرفت عليه في عام ١٩٧٣ هناك ، واستمعت منه الى
قصة حياته التي تعتبر من أعجب قصص النجاح . لقد بدأ حياته العملية برأسمال
لا يزيد عن ثمانمائة روبية أخذها من خاله (والد السيدين سيف وعبد الله الفريز
التاجرين الكبارين) ، ويكنّ الاخ جمعة الماجد لخاله هذا كل الاحترام والمحبة ويذكره
بالخير وقد انتقل الى رحمة الله منذ سنوات .

اذكر للأخ جمعة الماجد انه تبرع بمائتي الف ليرة سورية للمستشفى الذي تبنيه
جمعية مكافحة السرطان التي يرأسها السيد عبد الرحمن خليفاوي رئيس الوزراء
السابق ، كان ذلك في عام ١٩٧٨ وكان سعر الدولار آنذاك الربع ليرات سورية تقريبا ،

اي أن المبلغ المتبرع به يعادل خمسين ألف دولار ، وطلب ان يخصص باسمه طابق في المستشفى المذكور .

لم اقبل قبض هذا المبلغ آنذاك إلا بعد موافقة السيد وزير العمل والشؤون الاجتماعية سيادة الاستاذ يوسف جعيداني نظرا لأن القانون يمنع قبض تبرعات لاي جمعية خيرية دون موافقة الوزارة المختصة ، واني أحمل الموافقة مع تاريخها حتى لا اكون مسؤولا عن المبلغ الذي سلم الى الجمعية .

أعود الى السيد جمعة الماجد واذكر أنني زرتة في دبي أكثر من عشر مرات ، وإطلعت على أعماله الواسعة . بدأ الرجل بثمانمائة روبية - ولم يكن الدرهم قد استعمل آنذاك - أما الآن فان ثروته يصعب حصرها .

حسب خبرتي لا يمكن تقدير ثروة انسان ، والعادة أن حصر ثروة شخص ما يحدث اذا كان مدينا ، في هذه الحالة يجري تحديد أملاكه ورأسماله وتقدير عمله التجاري وحصر موجوداته .

أما الاخ جمعة الماجد فلا يمكن حصر ثروته ، وعندما اطلعت على محلاته شاهدت مستودعات تزيد موجوداتها عن عشرة أضعاف ما في مستودعات جمارك الدولة ، هناك مستودع خاص للسجاد ، ومستودع للتجهيزات الكهربائية ، ومستودع للأواني الصينية ، ومستودع للبرادي ، ومستودعات لاصناف أخرى ، كل مستودع تدخله أكبر سيارة تفرغ حمولتها وتعبأ ثم تخرج ، وله محل خاص للساعات اذ أنه وكيل ماركتين مشهورتين من الساعات اليابانية احدهما سيتيزن وعلمت أن مبيعاته من الساعات كبيرة ، وقد اكتسح السوق السعودية بها رغم أنه ليس سعودياً ، وليس له مستودع في السعودية اضافة الى وكالتين للسيارات وفروع في امانة الشارقة .

ومن أعماله مخبز حديث تصنع فيه كل أنواع الخبز والكمك والكاتو والحلوى ، ويتبعه سوق خاص لبيع هذه المنتجات فيه أكثر من عشرين دكانا ، وتزيد مساحته عن ثمانمائة متر مربع ، اضافة الى سيارات للتوزيع على الاسواق والزبائن في تنظيم رائع .

من مآثر الاخ جمعة الماجد انه أنشأ منذ أربع سنوات مدرسة لتعليم أولاد وبنات

الموظفين تضم ألف طالب وألف طالبة ، فيها ساحتان كبيرتان ، كل منهما مساحتها عشرة الاف متر مربع ، وقد اقيمت منشآتها على افضل طراز ، يعمل بها أساندة محترمون ، خدمة للموظفين الاجانب ذوي الرواب المحدوده والمثبتين ، مقابل رسم يقل عن الخفة لتدريس ابنائهم في دبي ، حيث لا يمدن فيونهم في مدارس الدولة لانهم اجانب ، وهناك مدارس اجنبية ولكن اجورها مرتفعه جدا ، لا يحتملها الموظف .

كما انشأ جمعة الماجد كلية جامعية فيها تدريس منفصل لكل من الذكور والاناث ، ويعمل بها موظفون ذوو مؤهلات من الاقطار العربية ، وشيدت فيها مكتبة عظيمة لا تقدر بثمن قد طلب مني جمعة الماجد ان أساعده في تأمين مدير لها كان مديرا للكلية الشريعة في دمشق ، وقد رجوت الدكتور كمال شرف وزير التعليم العالي آنذاك اعارتنا المدير المذكور وقد تم ذلك ، فبعد ثلاثة اشهر زرت جمعة الماجد في دبي فوجدت عنده المدير المطلوب نفسه الذي توسطت لنقله من دمشق ، وقد فرحت لذلك جدا ، وهذا الرجل اكرمه الله لانه انسان ممتاز عرفته عندما كنت عضوا في لجنة شكلها السيد وزير الاوقاف لادارة العقارات الموقوفة على جامع العثمان وعلى مشروع كلية ومستوصف اقيما بجوار الجامع المذكور ، ونعمل الآن بتشجيع السيد عبد المجيد الطرابلسي وزير الاوقاف الحالي حفظه الله وأكثر من امثاله لانجاز هذين المشروعين .

اذكر ان جمعة الماجد جاء الى دمشق مرة ، واشترت له مكتبة ثمينه بمائة الف ليرة سورية مع خزائنها المصنوعة من الموزاييك الجيد ومعها طاولات ومقاعد ، وحصلت على موافقة الجهة المختصة لنقلها الى دبي ، وقمنا بتعبئتها وشحنها الى هناك ، وعندما زرت جمعة الماجد رأيت البناء الخاص الذي اقامه بجوار منزله لهذه المكتبة ، وجلب لها المزيد من الكتب وعين لها موظفين ، وخصصها للمطالعة والاعارة ليستفيد منها الطلاب ، انها عمل يستحق كل احترام وتقدير .

الحق يقال ، لقد وصل الاخ جمعة الماجد الى مكانة رفيعة يستحقها ، انه مثال للكرم والشهامة ذو عقل راجح وآراء ناضجة توليه الدولة كامل ثقها ، وله شعبية ملموسة .

مما يجدر ذكره انه كان كل عام في شهر رمضان يبعث مبالغ كبيرة الى سورية وباقي الاقطار الاسلامية لتوزيعها على الفقراء ، ولا يتأخر أبدا عن ارسالها .

أذكر أنني اشتريت منزلا للسيد جمعة الماجد في مصيف الزبداني ، واصلحناه ولكنه لا يحتوي على أكثر من خمس غرف في طابقين ، ولا يمكن مقارنته بقصره في دبي ، أقام فيه أربع سنوات ، والواقع أنه كان مسرورا بوفرة المياه العذبة والفواكه والخضار والمناظر الجميلة التي تتراعى من الاطلالة على سهل الزبداني ، الا أن خدمات الاتصال لم تكن متوفرة ، والرجل له أعمال كبيرة في الهند وأمريكا والباكستان وكان مضطرا للاتصال مع وكلائه العديدين بينما لم تكن الخطوط الهاتفية متوفرة في مصيف الزبداني ، واضطر الى تركه وبعد ذلك باعته وهو في دبي دون استشارتي لأحد الشيوخ .

بصراحة أقول لو كانت الخدمات الحديثة متوفرة في مصيف الزبداني لكل المصطافين لأصبح المصيف المفضل لأهل الخليج ، ولكانت لهم منطقة خاصة بهم ، فهم يفضلون مناطقنا لما فيها من راحة للنفس وهواء عليل ومجتمع متدين محافظ يتفق مع مزاجهم ، ولكن أين الخدمات .

أعود الى جمعة الماجد ، لو تكلمت ساعات عنه ما وفيت بحقه ، له ولد واحد أتم تدريسه في الولايات المتحدة الأمريكية وعاد بالشهادة فوضعه في وظيفة تابعة لأحد موظفيه حتى لا يتعالى على الناس ، ولكي يتمرن من البداية ويصبح لائقا ومؤهلا لاستلام الإدارة .

وفي يوم ١٥/١/١٩٨٧ زوج جمعة الماجد كريمته هنا للشيخ سعود ابن الشيخ سقر القاسمي ابن أمير رأس الخيمة ، وتم الزفاف في احتفال فخيم بأكبر فندق في دبي ، وقد تلقيت دعوة لحضور هذا العرس تشمل ستة أشخاص ، وذهبت اليها ومعها حرمي أم راتب وولدي الدكتور سليم وزوجته ، وابن أخي الدكتور موفق وزوجته ، وكانت الدعوة مقرونة بست بطاقات من الدرجة الاولى لركوب الطائرة ، ومكثنا هناك خمسة أيام أو ستة وكان احتفالا ممتازا تعرفنا خلاله على شخصيات عديدة .
وانتهزنا فرصة وجود معرض صيني هناك فاشترينا مجموعة من السجاد والاثاث وزعت على أبنائي .

وكانت زيارة ممتعة لا تنسى لدي ، وتولت عائلتي نقل أحرّ الشكر الى عائلة المضيف الكريم رحمه الله .

سيف الغرير وعبد الله الغرير

في هذا العام اقلقني حفيدي زكي ابن ولدي محمد ، لانه لم ينجح في فحص الشهادة الثانوية رغم محاولتنا ، فارسله والده الى جدة ولم اكن مرتاحا لذلك ، بل فضلت ارساله الى الخليج حيث توجد رقابة عائلية ، فهناك يقيم السيد خلدون الرملي زوج ابنتي الذي يمكن ان يشرف عليه ، وقد طلبت من الاخ العزيز السيد سيف الغرير تشغيل حفيدي في محلاته كموظف ، اجابني عبد الله : لا اقبل هذا ابدا ، حفيد بدر الدين الشلاح يعمل موظفا عندي ، اذا اعتمدت انا اسلمه محلا من محلاتي يمارس فيه البيع والشراء ، ولا يكون تابعا لاحد تكريما لمقامك ، اتركه لي وان شاء الله في ظرف اسبوع تصلك الاقامة ، وبالفعل جاءت الاقامة ولكن والد زكي وظفه عند الاخ جمعة الماجد واستقر هناك وكان مرتاحا ، اما انا فافضل رأي الاخ عبد الله الغرير الذي اعد له محلا بلا فروغ ولا اجر وهذا فضل كبير ، قدرني الله على مكافأته والوفاء بجميله .

وفي احد الاعوام زارنا في مصيف الزبداني السادة جمعة الماجد وسيف وعبد الله الغرير وقضوا يوما طيبا في هذه المنطقة وكان سرورهم بالغا . وقد دعوتهم للمبيت في منزلي فلم يقبلوا بل ذهبوا الى بلودان وبعد ساعتين عادوا إليّ وقالوا انهم سينزلون الى دمشق لانهم لم يجدوا غرفة في الفندق ، وهنا اتصلت مع المرحوم توفيق الحبوباتي وقلت له هؤلاء ضيوفنا ولا بد من تأمين مبيتهم ، فاستدعى موظفي الفندق وامرهم باخلاء غرف لهم مهما كلف الامر فتم ذلك وباتوا مسرورين ومكثوا اسبوعا .

وفي هذه الاثناء جرت محادثات بينهم وبين السيد عبد الله الخاني وزير السياحة آنذاك بشأن انشاء فندق هيلتون في دمشق على ارض حديقة المنشية القديمة ، وتم فعلا استملاك تيراس مجاور لمبنى مدرسة التجهيز لاقامة الفندق المذكور ، واعدت اوراق رسمية بهذا الاتفاق على ان يعودوا من دبي للبدء بالتنفيذ .

وبعد ذهابهم الى دبي طرا عليهم التردد وآل بهم الامر الى الفناء الاتفاق وتحويل الاموال الى مشاريع اخرى ، واعتقد ان هذا المشروع لو نفذ لاصاب نجاحا كبيرا ، ويدل واقع التجربة على ان الاشخاص الذين اشتغلوا باقامة الفنادق في سورية منذ

ذلك التاريخ أصبحوا في مستوى عالٍ من النجاح والثروة نظرا لان المشاريع الفندقية تعفى من الضرائب سبع سنوات ، والمواد المستوردة لها تعفى من الرسوم الجمركية .

وانتقل الى السيدين سيف وعبدالله الفرير ولدي خال جمعة الماجد . فهما اقتصاديان كبيران ورجلا أعمال معروفان بالثراء ورجاحة العقل وكرم الاخلاق ، وكنت قد اشتريت في الزيداني دارا للاول وارضا لشقيقه ليعمرها متى شاء ، وكان الشقيقان الكريمان على وشك المشاركة في بناء فندق هيلتون في دمشق بالاتفاق مع وزارة السياحة ، ثم عدلا عن ذلك ووظفا المال في اقامة بناء ضخم في دبي زادت تكاليفه عن ٥٠٠ مليون دولار ، ويشتمل الطابقان الاولان من هذا البناء على أسواق تضم عددا من الدكاكين تزيد على نصف عدد محلات سوق الحميدية على مستوى عالٍ ، وخصص الطابق الثالث لالعاب الاطفال وتسليية زبائن الاسواق والزوار ، وخصص طابق آخر بكامله مرآبا يتسع لمائة سيارة ، اضافة الى المرآب الارضي الذي يتسع لمائتي سيارة ، وهناك ستة طوابق للسكن في كل منها عشرون شقة على أحدث طراز .

ولاحظت ان أكثر من عشرة محلات في السوق يشغلها سوريون ، منهم محمد الصمادي الذي في حوزته أربعة محلات .

يملك سيف وعبدالله الفرير أيضا المعمل الوحيد للاسمنت في دبي ، ولهما أيضا مطحنة حديثة ومستودعات حبوب تسحب من البواخر الشاحنة وتخزن الحبوب وبعد طحنها توزع في البلاد ، ولديهما أيضا معمل الومنيوم ذو انتاج كبير .

لهما أيضا مصرف كبير هو مصرف عمان له فروع في باكستان ومسقط والامارات وفي مصرف دبي توجد ترتيبات حديثة لقبض المال من الحسابات حتى في الليل ، فيأتي صاحب الحاجة ومعه الاشارة والمفتاح الخاص الذي يفتح كوة فتبرز بطاقة تذكر رصيده وبكبسة زر يطلب المبلغ الذي يشاء وسرعان ما يبرز المبلغ المطلوب ، وبذلك تستطيع الحصول على حاجتك الطارئة من المال في أي وقت ، وحتى في منتصف الليل دون أن يكون هناك موظفون للقيام بهذه الخدمة ، وهذا نوع متطور وممتاز من الخدمات المصرفية يستحق التنويه .

ذكرت بعض ما اعرفه عن الشيخ جمعة الماجد والسيدان سيف وعبدالله

الفرير ، واذا كنت أشرت الى ثروتهم فلايين كيف أصبحوا من اعلام ونجوم رجال الاعمال في العالم العربي ، وكيف يمكن للعرب أن يديروا مؤسسات دولية بحجمها وفعاليتها بنجاح وتائق . ولم تتأثر اخلاقهم الحميدة بالثروة وبقوا على زهدهم وطيبهم وكرمهم ومتابعة الاعمال الخيرية والعلمية والاجتماعية ، بارك الله لنا في أمثالهم .

الحاج محمد علي بدير

ومن الشخصيات التي اعتز بها ومزاملتها والتعاون معها الاستاذ محمد علي بدير رجل الاعمال الاول في المملكة الاردنية الهاشمية . فهو التاجر الكبير ، وهو الصناعي المتميز ، وهو صاحب البصمات الواضحة في ميدان الواقع العملي في العديد من المؤسسات الاقتصادية التي انشئت وكان نواة النهضة الصناعية في عمان . فهو رئيس المجلس للعديد من الشركات الصناعية والخدمات العامة كالكهرباء ، كما انه كان عميد التجار ورجال الاعمال وبنفس الوقت المستشار للمسؤولين ورجال الدولة ، وتقديرا لكل ما عمله وانجزه فلقد عين ولا يزال عضوا في مجلس الاعيان في الاردن .

وبالاضافة للدأب والجهد المستمر في خدمة اتحاد الغرف والعمل العربي الاقتصادي المشترك الذي كنا نشترك فيه جميعا فلقد تحلى اخونا أبو عصام بالهدوء والحكمة والرؤية بالاضافة الى الاسلوب الراقى الذي كان يقدم به آراءه وخطاباته . ومن اهم انجازاته انجاله الكرام الذين يتحلون بتربية راقية جدا واخلاق كريمة وصفات حميدة .

الاستاذ برهان الدجاني

وهو كذلك علم من اعلام الفكر الاقتصادي في العالم العربي وشعلة وقادة اثار هذا العمل وأغننه تحليلا وتوضيحا وتوصيات . ومنذ اول الخمسينات عندما كان استاذا متألقا في الجامعة الاميركية في بيروت ابتداء عطاءه الكبير وجهوده المتواصلة وكفاحه المستمر ، ولأن فمن يراه بهذه الحركة الدائمة والسفر المتواصل والعطاء النيّر يخاله وكأنه في ريعان الشباب . ان اتحاد الغرف العربية وما تفرع عنه من مؤسسات ودوائر ومؤتمرات يدين له بالكثير مما حققه من نجاح وثمرات ، كما ان المكاتب العربية غنية بانجازاته ، والفكر الاقتصادي العربي استنار بأعماله ، والجيل الجديد من الشباب المثقفين سيجدون في الاستاذ برهان مثالا يتبع بما يمثله من فكر وعمل واخلاص وانتاج .

السيد سعيد النابودة

هو رئيس غرفة الصناعة والتجارة بدبي ، وقد انتقل ببراعة من تجارة بسيطة الى مساهم كبير في بناء صرح حركة التجارة النشطة في دبي . ومؤسساته اليوم لها وزنها ووجودها وفعاليتها في ساحة العمران والتجارة والمكننة . شملت نشاطاته عضويته في المجلس الوطني وفي اللجنة التأسيسية لوضع دستور جديد عام ١٩٧٥ ومن ثم عضويته في المجلس البلدي لدبي ، جلست أحدثت معه وشعرت بأن محدثي خريج جامعة اكسفورد .

ويقول الشيخ سعيد ان أهم أسباب النجاح الذي حققه في حياته يكمن في طموحه الكبير المدعوم بالعزم والتصميم والعمل الدائب والمبني على الصدق والامانة . ومع نجاحه الكبير نتيجة حياة مليئة بالكفاح الطويل المستمر تراه ذلك الرجل الهادئ المتزن الرصين الذي يستمد منه من يعرفه رباطة الجأش والثقة بالنفس مع الايمان العميق . واذا أردت شرح ما عرفته عن السيد سعيد النابودة فان ذلك يحتاج الى كتاب خاص ولكنني اكتفي بما لمحتة في جلساتي الخاصة معه وهي كثيرة في مكتبه وداره ومزرعته . فعندما يحدثك لا يخطر في بالك أنك تتحدث مع رجل اعمال فقط بل أنك تتحدث مع رجل تخرج بشهادة دكتوراه ادارة اعمال من جامعة اكسفورد في انكلترا او جامعة بركلي في كاليفورنيا او جامعة هارفارد .

* * *

الشيخ محمد با حارث

عرفت الشيخ محمد با حارث قبل عام ١٩٥٣ ، وكان موظفا في وزارة المالية ثم صار معاون وزير واقرن بكريمة السيد حسن هاشم بدمشق ، وكنت كلما حلت في جدة اقوم بزيارته في محله وداره ، وقد ترك الوظيفة الحكومية وباشر العمل التجاري فأصاب نجاحا مرموقا جعله في طليعة تجار جدة ، ونال ثقة المسؤولين كما احرز سمعة طيبة لدى الناس .

وصدف أن المقاول العالمي الشيخ محمد بن لادن انتقل الى رحمة الله وترك اكثر من ثلاثين ولدا لم يبلغ اكبرهم سن الرشد ، ولما كانت أعمال المرحوم كبيرة جدا تشمل جميع مشاريع المملكة العربية السعودية وفي طليعتها توسيع الحرمين ، اراد المفطور له الملك فيصل أن تبقى مؤسسة بن لادن قائمة بكامل نشاطها حتى يكبر الاولاد، فأصدر أمرا ملكيا بتأليف مجلس ادارة لها من الرجال المعروفين بالامانة والنزاهة والفعالية في جدة ، وتسلم رئاسة المجلس الشيخ محمد با حارث لمدة طويلة حتى كبر اولاد بن لادن واستلموا أعمالهم وما زالوا يعملون في المقاولات ، والفضل للشيخ محمد با حارث الذي حافظ على هذه المؤسسة ووسع أعمالها .

وفي الوقت نفسه كانت أعمال الشيخ محمد با حارث الخاصة تزداد يوما بعد يوم وكان مرجعا لحل الخلافات في المملكة العربية السعودية ، ووثق الناس بنزاهته وسداد رأيه ، وكنت أزوره دائما كلما وصلت جدة لاستفيد من حكمته وادارته .

واذكر أنه علم باقامة مشفى لعلاج السرطان بدمشق فحوّل لي مبلغ خمسة وعشرين ألف ليرة سورية سلمته للجمعية التي تنفذ المشروع ، كما أنه قدم تبرعات خفية لكثير من المساجد التي بنيت في دمشق ، وكافأه رئيس بلدية جدة بتسمية شارع في جدة باسمه ، أكثر الله من الطيبين .

فوائد المراجعة والملاحقة اذا كانت بحق

وقبل ان أختتم القسم الاقتصادي من هذه المذكرات أحب ان أذكر مسألة هامة .
في ١٩٥٢/٢/٥ صدر القانون ١٠٤ بتعديل نسب ضريبة ريع العقارات على شرائح
تبدأ ب ٧ بالمائة وتنتهي ب ٣٠ بالمائة تعديلا للمرسوم ١٧٨ الذي صدر في ١٩٤٥/٥/٢٦
بشأن الضريبة المذكورة .

وعند صدور القانون ١٠٤ المذكور تبين لي بمجرد قراءته أنه شمل الجمعيات
الخيرية وممتلكات الاوقاف والبلديات بالشريحة العالية التي تصل الى ٣٠ بالمائة
من الربح وهذه النسبة مرتفعة ومرهقة لهذه الجهات وتضعف مواردها وفعاليتها .
وعلى الاثر ذهب لمقابلة السيد محمد سعيد الزعيم الذي كان وزيرا للمالية في
حكومة السيد فوزي سلو ، ولفت نظره الى هذه النقطة الهامة والمناقضة لروح القانون
الهادف الى تحميل القادرين أعباء ضريبية مناسبة تحول دون تكتل الثروات وتزيد
دخل الخزينة العامة ، وتخفف الضرائب غير المباشرة على ذوي الدخل المحدود .

أذكر أن السيد الزعيم استقبلني استقبالا حارا ، وكانت علاقانا به متينة ، وكنا
نصدر الاقمشة التي كان ينتجها الى العراق وايران بكثرة ، وقد وافق على وجهة نظري
بالنسبة للضريبة ، ولكن قال أن موضوع تعديلها منحصر في يد المرحوم أديب
الشيшки الذي كان آنذاك القوة الحقيقية في الحكم .

في تلك الفترة حلّ العيد وكان الشيшкиلي يستقبل المهنيين في نادي الضباط
بدمشق القائم بجوار مبنى المجلس النيابي ، فقامت بتهنئته وهمست في أذنه بضرورة
عدم تطبيق الشريحة العليا من الضريبة على الجمعيات الخيرية والاوقاف والبلديات ،
وأذكر أن السيد آصف القباني نجل الطبيب نظمي القباني كان سكرتيرا للمرحوم
الشيшкиلي وضاق ذرعا بوقوفي معه وأنا أحدثه بشأن الضريبة وقال : ليس هذا
وقته ، ولكنني لاحظت أن الشيшкиلي كان مرتاحا وتقبل ما عرضت عليه .

وفعلا لم يمض أكثر من خمسة أيام حتى صدر مرسوم بتعديل المادة المقصودة
في القانون ، وخفضت الضريبة على الجمعيات الخيرية والاوقاف الى الشريحة الدنيا ،

وغاب عن ذهنهم أمر البلديات التي ظلت تعاني من الشريحة المرتفعة حتى عام ١٩٦٠ ، حين شملها القانون ٤٦ ، وهذا مثال على جدوى المراجعة للمسؤولين حول القضايا العامة .

أود أن أورد وقفة أخرى من هذا القبيل لها أهميتها : عندما صدر قانون ضريبة الدخل قابلت الدكتور عزة الطرابلسي وكان أمينا عاما لوزارة المالية ورجوته اعفاء التحويلات والشيكات والفواتير من الطوابع لأن كثرة التعديلات التي طرأت على قانون الطوابع جعلت من المستحيل على التاجر معرفة قيمة الطابع المطلوب الصاقه على الفاتورة والشيك بالنسبة للقيمة المسجلة ، بل إن المحاسب المالي آنذاك لم يستطيع معرفة ذلك ، ولهذا كيف يمكن للتاجر أن يضع الطابع المطلوب على الفاتورة وهو يجهل مقداره ، وأكدت أن الغاء هذا الطابع لا يعود بالخسارة على الخزينة العامة وفي الوقت نفسه تريح سجلات حقيقية لدى التاجر ، وتبقى خزينته في المصرف ، وعند دفع أي مبلغ يحرر حوالة على المصرف .

ولم يمض يومان على هذه المراجعة حتى صدر قانون يعفي من رسم الطابع الحوالات والحوالات للامر عندما يكون تسديدها واجبا فور ابرازها ، هذه واحدة من الامثلة الكثيرة التي اذكرها كدليل على تجاوب المسؤولين مع كل مراجعة محققة يتوفر فيها الاقناع والحجة .

ضرورة تحديث وسائلنا

هنا يجرتنا الحديث الى وضع الاجراءات والمعاملات في مصارفنا المحلية التي ما زالت مقيدة بمتاهة من الروتين تجعل قبض أي مبلغ يستغرق اكثر من ساعة ، بينما نجد المصارف الاوروبية قد أخذت باستخدام ادوات التكنولوجيا الحديثة ويستطيع أي متعامل مع المصرف هناك أن يقف على باب خاص ويضع بطاقته فيقبض ويدفع دون مراجعة أي موظف .

وحتى الآن لم يسمح في سورية بالهاتف المتحرك ، ولا بجهاز الفاكسيميلي الذي يوصل أي تحرير على الفور الى أية جهة في العالم وهو موجود في البلاد النامية .

ولم يصل الهاتف الى ريفنا ، وما زلنا نضطر الى هدر البنزين وتكاليف السيارة لدى كل حاجة في المزرعة ، وكان ممكنا أن تقضى بالهاتف الذي يعد وسيلة مواصلات لا يصل الخبر والمطلوب دون كلفة ، ونتساءل متى يسمحون بالهاتف المتحرك .

اقتصاديون مرموقون

وبما ان الشيء بالشيء يذكر فاني اجد لزاما عليّ ان اُصف الدكتور عزة الطرابلسي هذا الرجل المالي القدير الذي اشتهر بالكفاءة والخبرة والاستقامة والاستمساك بالثوابت والاصول ، وكان حاكما للمصرف المركزي ويملك صلاحية اصدار اوراق النقد دون الرجوع الى أي جهة ولكنه لم يقدم على ذلك ، ولما استدعاه الرئيس جمال عبد الناصر في عهد الوحدة وطلب منه طبع المزيد من النقد الورقي عارض الفكرة وقال ان اصدار العملة الورقية لا يخدم مصلحة البلد ، وهذا الموقف من أسباب ما قاله الرئيس عبد الناصر في الكلمة التي ألقاها بعد ذلك في اللاذقية .

ولا يزال الدكتور عزة الطرابلسي من خيرة رجالنا الماليين الذين يديرون المصارف العربية بكفاءة وأمانة وأمثلة الدكتور نعمان الازهري من اللاذقية والدكتور سعيد النابلسي والدكتور عوض بركات والدكتور يسار بيطار والدكتور عبد الوهاب خياطه والدكتور فخر الدين خليل والدكتور شفيق الاخرس والدكتور عبد الله العظمة ، وهؤلاء يمثلون الجيل الجديد من الشباب المثقف الذين رفعوا اسم سورية عاليا ، والدكتور عبد الغني حمور الذي بيّض وجهنا بادارة العمل التجاري الحر وبالطريقة التجارية الصرف على المستوى الدولي .

ولو رحّت أتحدث عن رجال الاعمال السوريين المقربين لاحتجت الى مساحة كبيرة ووقت . فمنهم السيد شمسي باشا الذي اشترى محل أجواخ في لندن وهو ينتج احسن جوخ في العالم . والسيد طلال الزين من تجار البترول في اللاذقية .

واني لأرجو الله أن يفسح في الاجل حتى أتم في الجزء الثاني ما شرعت به وأذكر الجميع بفضائلهم العالمة .

* * *

من اسباب اهتمامي بالزراعة

ولا بأس هنا بأن أذكر الحافز الذي جعلني أهتم بالزراعة بعد أن كانت مهنتنا الأساسية تجارة الخضار . فقد كنت بحكم المهنة على صلة دائمة بالمزارعين الذين يبيع محصولاتهم وأزور بساتينهم . وكان لأبي بستان في المنطقة المجاورة الآن لمجلس الشعب حيث يقوم ببناء جمعية الاسعاف الخيري ومسجدها ، وكان جمال باشا قد شق في هذه المنطقة الشارع الموجود الآن اضافة الى شوارع اخرى كثيرة . ولكن هذا البستان كان للنزهة ويستثمر قليلا .

وفي عام ١٩٢٧ زارني في محطنا التجاري أحد أعضاء شركة زراعية أجنبية تملك مزرعة في طبريا (فلسطين) وكانت معه سيارة محملة بالبادنجان فسألته عن مساحة الارض التي تنتج هذه الكمية التي عبات السيارة فقال لي انها لا تتجاوز الدونم الواحد ، أي الف متر مربع ، فتعجبت لأن هذه الكمية تحتاج عندنا عشرة أضعاف المساحة . ولما استفسرت منه عن تفاصيل العمل وأجور العمال الزراعيين والخبرات المتوفرة دعاني الى زيارة المزرعة التي تديرها شركته . وفعلا لما زرتها بعد فترة اثناء سفرة قمت بها الى حيفا شاهدت اساليب الزراعة الحديثة وتربية الابقار ، فوجد عندي انحافز للتفكير بالزراعة لشدة اعجابي بالتنظيم وبالانتاج . وفي عام ١٩٣٢ اشترى والدي قطعة أرض في جرمانا من مدحت البكري مساحتها تقارب ١١٤ دونم وكانت مشجرة على الطراز القديم ويعمل بها بعض المزارعين من اهالي القرية ، وكان اهالي القرية لا يملكون أكثر من ربع الارض والباقي لعائلات البكري والعظم والناشف والقاري والصواف .

ثم اشترى والدي قطعة ثانية في المنطقة نفسها ، وبدانا الزراعة ولكن الاساليب الحديثة كانت تنقصنا على خلاف ما كنت شاهدته في طبريا ، ولذلك كان في اعماقي دافع لأن أقوم بزراعة حديثة متطورة بدافع وطني ، وهو ما حققته فيما بعد في مزرعة العدمل وفي مزرعة الزبداني .

ان الزراعة هي ثروة الوطن الحقيقية وهي التي تسد حاجة الناس الذين يتكاثرون كما يمكن أن تفيد في تصدير الفائض الى كثير من بلاد العالم المحتاجة الى الطعام .

الفصل التاسع

السياسة - شخصيات عربية وعالمية

اننا والسياسة

منذ بداية هذا القرن أصبح الوطن العربي ساحة للصراع بين القوى العالمية على مناطق النفوذ ، وتعرضت أقطاره لمحاذير الاقتسام بين هذه القوى وفقا للصفقات المعقودة في الخفاء ، والتي كان من نتائجها انقراض عقد الدولة العثمانية ووقوع سورية ولبنان تحت الانتداب الفرنسي بموجب اتفاقية سايكس بيكو عقب الحرب العالمية الاولى .

أفاق العرب على هذه الصدمة المريعة ، وترعزت ثقتهم بالوعود والمواثيق والبيانات المعسولة ، ولكن وعيهم بالحقائق فتش أعينهم على المخططات الاستعمارية الهادفة الى اغتصاب وطنهم وفرض التبعية عليهم ، وأصبحت السياسة زاهم اليومي في كفاحهم المستمر من أجل الحرية والوحدة .

في هذا المناخ الوطني شب جيلنا وترعرع متطلعا الى المشاركة في النضال الوطني المتواصل ، وكنت واحدا من هذا الجيل الذي حمل معاناة الوطن وعاش أحداثه السارة حينا والمفجعة حينا آخر ، وتملكني الشعور بالمسؤولية الشخصية عن العمل من أجل تحرير وبناء وطني الذي انتمي اليه ، وأعيش تحت سمائه وأعمل في أرضه وأعود الى ترابه راضيا مرضيا .

اني أفهم السياسة وعيا عميقا بالمصير الوطني ، واحساسا صادقا بمصلحة المجتمع اذانه الامانة والصدق والعمل وتقديم الخدمة العامة وفق الامكان ، ولا أفهمها تعصبا لفئة ضد فئة أخرى ، أو سبيلا للسيطرة والاستثمار ، أو سلاحا لفرض المصالح الضيقة ، ولهذا لم انتسب الى أي جماعة أو فئة ، بل انتميت الى الوطن والشعب دون تمييز .

هذا الفهم حدد مسلكي السياسي - إذا صح التعبير ، فلم أمارس السياسة بالمعنى الشائع ، ولا اتخذتها وسيلة للبروز . ولكنني كنت قريبا من الوسط السياسي بحكم وجودي في طليعة فئة نجارية كانت على احتكاك مستمر مع المسؤولين ، وتوكلها فعاليتها لمؤازرة العمل السياسي الوطني وبخاصة في مجالات التموين والتمويل والتبرع والمشورة .

أما ثقافتني الخاصة فهي وليدة الاطلاع المستمر في مدرسة الحياة . وشاءت ظروفي ان لا اصل الى المرحلة الجامعية ، ولكن شغفي بالمعرفة والتعلم دفعني للمطالعة المستمرة والتتبع الملح للتعليقات والآراء والنظريات التي كانت تقع في يدي ، وكنت بصورة خاصة اهتم بقراءة مذكرات الزعماء والسياسيين من وطنيين واقليميين ودوليين ، فلا أعلم بحدود احداها حتى أبادر الى اقتنائها وقراءتها وقد أعانتني هذه المؤلفات على تفهم الكثير من الامور ، ليس في مجال السياسة فحسب ، بل في مجالات اخرى عديدة ومتنوعة .

قد يتسم البعض عندما أقول ان اهتمامي بالسياسة واعجابي بذكريات القادة حدا بي في وقت مبكر لكتابة خواطر يومية وتعليقات على الاحداث التي مرت ببلادي منذ بداية القرن العشرين ، وكنت أعتبرها سجلات هاوٍ يهتم بما يجري حوله وينفعل بما يحدث ، الا ان طبيعتي التي تتمسك بالنظام والتقيد بالمواعيد جعلت من كتابة المذكرات عملا يوميا ثابتا ، فلم أهمل شاردة ولا واردة الا سجلتها في حينها مكتوبة حتى لا يطويها النسيان ومرور الزمن .

ولا حاجة بي لتأكيد ما أحسه من معاناة وانفعال بالاحداث التي توالى على امتنا العربية ، ولكنني كنت قوي الايمان بان هذه الامة قادرة على التصدي لما يحاك لها، شريطة أن تتجاوز كل المسائل الجانبية بالتعاون والتعاقد والتنسيق والاتحاد .

ما يثير عجبني هو أنني عندما ابتدأت اكتب وأسجل ما يخالجنني من خواطر وما يمر ببلادي من احداث كنت أعني بتسجيل الاحداث والظواهر السياسية قبل غيرها فالسياسة غلبت عليّ تفكيري دائما ، ولا سيما ان العالم من خلال ثورة المواصلات وانتشار وسائل الاخبار أصبح صغيرا ومتشابكا ، وكل حدث ولو كان مجرد

تصريح لشخصية سياسية يحدث صدى فوراً ، ويؤثر حتماً على حياة المواطن العادي في كل ركن من المعمورة .

وعلى كل حال كنت مجرد هاوٍ غيور يمارس السياسة بمجرد الاطلاع والمتابعة والتسجيل ، وتفادياً لأي سوء تفسير من القارئ لهذه المذكرات التي دونتها منذ العشرينات وحتى الستينات عمدت الى حرقها في عام ١٩٦٦ ، ومع ذلك ما زالت جائزة محفوظة في اعماق ذاكرتي استعيدها وأتفحصها وأستخلص منها العبرة والحكمة .

رغم اهتمامي بالسياسة ووجودي في مناخها اليومي لم انخرط في أي فئة ولم أنتسب الى أي حزب ولم أتحمز الى أي فريق لئلا أبتعد عن غايتي الأساسية وهي خدمة وطني عن طريق الاقتصاد والخدمات والمشاريع العامة والعمل الخيري ، وكنت موقناً بأن التحزب أو العمل الفئوي أو الاحتراف السياسي سيقلل مقدرتي على العمل الاقتصادي المفيد الذي لا يرقى اليه الجدل والخلاف .

أردت أن أكون - وكنت فعلاً باقتناعي - أخاً للجميع ، وخداماً للجميع ، أقدم العون بما أستطيع وفي حدود امكاني ، وحيث أجد أن هذا العون سليم وفي محله ، وهذا حدد لوني ومسلكي ازاء كل انسان ، أخدم بما يوحي به يقيني ، ووفقاً لخبرتي بالحياة والناس وبما أراه صالحاً لبلدي .

* * *

الرئيس حافظ الأسد

تعيش في ذاكرتي حية ومؤثرة صورة المناسبات العديدة التي تشرفت فيها بلقاء الرئيس حافظ الأسد ، هذا القائد الفذ الذي نبت من قلب الجماهير الفقيرة واستطاع بشجاعته وذكائه وحكمته ومقدرته على اجتذاب الناس وتوحيد صفوفهم النضالية أن يبلغ مرتبة قلّ أن تتحقق لسواه فأصبح فوق مكانته في بلادنا ووطننا العربي رئيسا له وزن عالمي كبير في مصائر المنطقة العربية وفي الميدان الدولي .

ولقد كانت هذه اللقاءات دائما مثمرة وباعثة على الاعجاب المتزايد بشخصيته العظيمة وحضور بديهته ووضوح رؤيته للامور ولا سيما الاقتصادية - واتحدث عنها لانها مجالي الاول .

وإذا كنت سأتحدث عن السيد الرئيس الأسد من خلال لقاءاتي مع سيادته فلأنني أود ان أضيف الى صورته العامة المعروفة من الجميع بعض الملامح التي أثرت في شخصيا ، وهذه مساهمتي المتواضعة في جلاء صورته الواضحة ببعض التفاصيل .

اللقاءات الأولى

ففي عام ١٩٧١ كان السيد الرئيس حافظ الأسد رئيسا للوزارة وكان السيد اللواء عبد الرحمن خليفاي وزيراً للداخلية معه ، فدعينا للاجتماع هناك وكان هذا أول لقاء لي مع السيد الرئيس . ولما طرحنا عليه سؤالاً عن السياسة الجديدة التي سينتهجها اجاب : هناك قطاع عام سيكون له دوره الكبير في هذه الايام .

فسألناه عن القطاع الخاص فأجاب أن دوره يمشي مع القطاع العام والبقاء للأفضل ، اي انه اذا كانت هناك مادة يستوردها القطاع الخاص فيعمل القطاع العام فيها والذي يبقى هو الافضل . فشعرنا بالاطمئنان لأن هناك خطين يمشان معاً .

وبعد مدة دعيت غرفة تجارة دمشق مع هيئات اخرى لمقابلة السيد الرئيس وقد تساءل المدعون عن سبب الدعوة وكان بعضهم يقول لانها لسبب بعض الحوادث التي طرأت في القطر وبعضهم يتنبأ بأنها من أجل مرسوم يصدر بتأجيل الديون التجارية وكان الذي يقول بالاحتمال الثاني مدينا بديون كبيرة ويأمل أن يكون الامر كذلك ، اما انا فكان رأيي أن المقابلة هي لشجب بعض الاحداث التي جرت وتآلم منها البلد .

وقد بدأت الحديث بطريقة لا علاقة لها بالموضوع ضحك الرئيس منها وحدث انفراج في الجو ، ثم قلت له : انني واخي شفيق نعمل بالتجارة منذ خمس وخمسين سنة وفي كل يوم يمتد عملنا ثماني عشرة ساعة . ولكننا بين ١٩٦٣ و ١٩٧٠ ابطأنا العمل لشعورنا بالتعب ، انما بعد قيام الحركة التصحيحية عدنا الى العمل كما في السابق ونحن مطمئنان . وهنا ظهر الارتياح على وجه السيد الرئيس . وبعد أن تحدثت بما يناسب المقام في شؤون الساعة السياسية بادرنا السيد الرئيس بطرح موضوع قانون تأجيل الديون موضحاً ان القضايا المالية فيها صعوبة وتحتاج الى مناقشة وترتيب ولكن لا بد ان يصدر ان شاء الله . ومن هذا يتضح أن السيد الرئيس يتمتع بدكاء خارق ومعلومات دقيقة عن الجميع وانه رجل واقعي بكل معنى الكلمة حتى انه بادرنا الى الحديث عن القانون دون أن نكون فتحنا الحديث حوله . وبالفعل لم يمض شهر على تلك المقابلة حتى صدر قانون تأجيل الديون التجارية .

ثم توالى اللقاءات بعد ذلك فكان السيد الرئيس يطرح ويعالج الشؤون الاقتصادية ويسمح لنا بأن نقول ما نراه الحقيقة ، حتى أنني في ذات مرة انتقدت امامه تولي الحكومة تسويق الفواكه والخضار وقلت هل تريد الحكومة أن تعمل فاكهانيا وخضريا وهل تستطيع تجفيف الفواكه وتسويقها وتصريفها ، واشرت الى ان هذا أدى الى فقدان بعض الاصناف .

وكان الرئيس يحيطني برعاية خاصة ، فقد اصطحبت معي ولدي محمد الى القصر

حين اعطوني موعدا لمقابلة السيد الرئيس ، فأبقتة امانة السر في غرفة الانتظار ولم تسمح له بالدخول معي ، ولما علم الرئيس بذلك امر بأن ينضم اليها فكانت لفتة كريمة . وفي مقابلة اخرى وكان الرئيس على سفر في تلك الليلة دخل امين السر مرات لتذكير الرئيس بموعد السفر ولكن الرئيس استمر في الحديث الودي ، وطلب مني يوما ان انقل اليه عن طريق امين سره كل ما تشكو منه البلد لمعالجته ، وقد نقلت ذلك مرارا وأمر الرئيس بمعالجة المواضيع المشاره .

في افتتاح سد الفرات

ولا انسى انني دعيت من قبل الرئيس خليفاوي للمشاركة في الاحتفال بتدشين سد الفرات ، وانني ذهبت بالطائرة حتى لا تتسبب رحلة السيارة بالتعب لي بالنظر الى سني . وكان الاحتفال كبيرا حضره ما يقرب من مائتي مدعو من الشخصيات العالمية والعربية والوطنية ، وكان قد شاع ان الرئيس لن يحضر ولكنه فاجأ الجميع بحضوره شخصيا يرافقه عدد من كبار المدعويين الاجانب . ولما اصطفنا لاستقباله ووصل اليّ توقف امامي لحظات قبل ان يتابع سيره فكانت لفتة كريمة اثار انتباه الناس . ولما تمشى الرئيس على جسم السد ومعه كبار مرافقيه كنت بين من دعوا لمرافقته من الشخصيات القليلة ، وهنا التفت السيد الرئيس وسأل رئيس الوزارة اللواء خليفاوي : ماذا ستزرعون في الاراضي التي بدأ السد يرويها ؟ اجابه اللواء : نسأل ابا راتب . وسألني الرئيس عن رأيي فقلت له على الفور : نزرع الحور بالدرجة الاولى لان اسعاره عالية ونموه سريع ووارداته كبيرة جدا .

وفي اول مقابلة تالية ذهبت الى القصر وانا بملابس العمل وفي يدي غرستان من الحور . ولما سئلت عن سبب مجيئي بلباس العمل في المزرعة قلت انا بدر الدين الشلاح نصفي مدني ونصفي فلاح . وقد سألني الرئيس عندما رأني ما هذا الذي بيديك فقلت انها غرسة حور لا يزيد وزنها الآن عن عشرين غراما ولكنها ستصبح شجرة وزنها ثلاثة اطنان او اربعة في خلال عشرين سنة ، أي ستضاعف مئات آلاف المرات ، في حين ان اي مال يوضع في المصرف لا يعطي فائدة اكثر من ٤ او ٥ او ٦ بالمائة . والحور لا يكلف سوى سقاية واحدة كل شهر ، ونستطيع بواسطته ان نخفف استيراد الخشب

من تركيا ورومانيا والسويد . وقد شعرت بأن الرئيس سرّ من هذا الحديث وأقتنع به بدليل أن الحور زرع فعلا وعلى نطاق واسع في منطقة سد الفرات ، وهذا يدل على أن سيادته يبادر فوراً الى تنفيذ ما يقتنع به .

الإنجازات في عهده

وهنا لا بد لي من أن أتحدث بانصاف عن التحولات التي طرأت على سورية بعد قيام الحركة التصحيحية فأقول بمنتهى الامانة أن ثمة إنجازات كبرى لم يسبق لها مثيل ، وأبدأ بالخطوط الحديدية كمثال . فمن قبل لم يكن عندنا من الخطوط الحديدية الا القليل المستهلك ، والآن تنتشر شبكة الخطوط الحديدية من دمشق الى حمص حيث تتفرع الى طرطوس وأخيراً وصلت الى اللاذقية ، وفي الوقت نفسه فإن الخطوط الحديدية التي كانت ممتدة من حمص الى حلب وصلت في عهده الى الرقة ودير الزور والحسكة وبلغت القامشلي في أقصى القطر على الحدود التركية ، ولا تزال تنشأ خطوط فرعية جديدة . انه عمل جبار يسجل بمداد الفخر ، وقد زود البلاد بقاعدة واسعة وحديثة من المواصلات لم يكن لها وجود .

ولننظر الى غوطة دمشق . انا مزارع عايشت الماضي وأعرف كيف كانت مشاق الانتقال على طرقات الغوطة ، اذ لم يكن هناك طرق البتة بعد جسر المطير بجوار أراضي الشاغور عند حدود دمشق . وما زلت اذكر المشاق التي كنت أعانيها انا واولادي ونحن نخوض في الفيضانات والاحوال ساعات حتى نصل الى المكان المقصود ، وكان مالك اي ارض في الغوطة يركب الفرس ساعتين أو أكثر للوصول الى مزرعته ، وفي منطقة دوما كانت توجد ٨٤ قرية ليس لها طرق ، أما بعد الحركة التصحيحية فقد انقلبت الصورة رأساً على عقب وانتشرت شبكة من الطرق المزففة في طول الغوطة وعرضها ، ولم تبق قرية واحدة دون طريق ، وكل قاطن في الغوطة يصل اليوم الى قرينته بأقصى السرعة ، وأستطيع اليوم أن أصل بالسيارة الى المرج - ما وراء الغوطة بسهولة ودون عناء وفي اقرب وقت ، وكان هذا حلماً بعيد المنال .

وقد شملت القطر كله شبكة واسعة من الطرق الدولية (الاوتستادات) وصلت - عبر البادية - الى تدمر ودير الزور والرقة والحسكة والقامشلي وحتى تل كوشك على الحدود ، وكلها طرقات ذات مواصفات عالية أفضل من طرق البلدان المجاورة بكثير .

اما الإعمار فهو بدوره مذهل ، ويكفي أن اذكر ضاحية المزة وحدها ، حيث قام حجم هائل من الابنية السكنية يزيد عن عشرة اضعاف دمشق القديمة .

كما انشئت مصانع عظيمة ، وهنا اذكر صوامع الحبوب ومعامل الغزل والزيت وحلج الاقطان ، ولكنني أشعر بأن اخطاء حدثت وكانت تكاليفها ضخمة ، مثل معمل الورق الذي انشئ في دير الزور حيث لا يوجد أخشاب ولا مواد أولية ولا تبين وكلف ملايين الدولارات ، كما انشئ معمل للكونسروة في الحسكة حيث لا توجد لا فواكه ولا خضار ، وهذا بالتأكيد من اخطاء المنفذين للتوجيهات .

تشجير قاسيون

ويجب أن اذكر بوجه خاص ماثرة الرئيس في تشجير جبل قاسيون وأعماله العمرانية الواسعة في دمشق خاصة . فلقد أحدث السيد الرئيس مؤسسة خاصة منحها الثقة والصلاحيات الواسعة ، فبدأت بفرس الجبل بالاشجار الحراجية وشقت الطرق في كافة اجزاء جبل قاسيون ، وشقت وعبدت الطريق من دمر الى مدينة دمشق بدءا من حي المهاجرين فصار الطريق الذي يوصل بسرعة الى اطراف المدينة ، كما غرست حديقة واسعة تركها التنظيم الاخير لبساتين الصالحية وستكون من أجمل حدائق دمشق ، ثم بنت قصر الضيافة الذي كنا محرومين منه رغم حاجتنا الى قصر نستقبل فيه كبار الزوار من رؤساء الدول العربية والاجنبية ولم يكن عندنا للضيافة الا بيت عادي واسع بني في زقاق الصخر . وكانت هذه المؤسسة اني تحمل اسم جبل قاسيون هي التي زرعت الاشجار بكثافة حول قصر الضيافة وفي بقية الارض الجبلية في الشمال والغرب ، ثم شقت الطرق المحيطة بالمدينة من كل الجهات وبنيت اخيرا الجسر الذي وصل المدينة بمشروع دمر السكني الأهل بالسكان .

ولقد عوضت دمشق بما زرع في قاسيون من شجر حراجي ما فقدته من بساتين الصالحية . ولقد حاول بعض المشككين أن يدخلوا الريبة على هذا المشروع العظيم فقالوا ان الجبل سينزلق عند نزول الامطار وتسقط الاشجار ، فذهب السيد الرئيس وزار المنطقة زيارة ميدانية واطلع على سير العمل وارتاح اليه . ومن الامانة أن اذكر أن القائم على هذا المشروع لتنفيذه وهو المهندس علي الطرابلسي قد نشأ في قرية

الزبداني وكان تلميذا ناجحا في فتوته ، وعصاميا يعطي الدروس لابناء المصطافيين
ليساعد نفسه في نفقات الدراسة الجامعية .

هذا ولا يفوتني أن أشير الى أنني كنت ادعى الى جميع المناسبات التي تقيمها
وزارة الاوقاف باعتباري كنت عضوا في مجلس أوقاف دمشق وكذلك بسبب كوني
رئيسا لفرفة تجارة دمشق ، وكنت أشاور نفسي هل اذهب وفي الذهاب مشقة ام
اعتذر ولكنني كنت احضر دائما بسبب ما يحيطني به الرئيس من لفتة خاصة فيها اناس
ولطف ومداعبة ووقفة أطول مما يقف مع سواي وهذا كان دائما موضع شكري وامتناني .

وأخيرا فانا حين اتحدث عن شخصية الرئيس حافظ الأسد الأسرة فلا ينعني
هذا من أن أحدثه بصراحة حين يكون لدي ما أقوله في تبني للأحداث ، إذ
انني كنت أدون في مذكراتي ما يجري من أمور وتعليقاتي عليها . وقد قلت
للرئيس مرارا حديث الصراحة فكان يستمع اليه بعناية واهتمام ، حتى أنه قال لي
مرة أنه كان يقدر اخلاصي في آرائي ولو كان لا يأخذ بها في كل الاحوال . وكنت
أقول ان عندي ملاحظات كثيرة يملئها الاخلاص والوفاء واتصالي بالناس وسماعي
شكاواهم وكنت أنقلها الى سيادته فكان يصغي باهتمام ، وفي كثير من الاحيان كنت
المس النتائج مباشرة في ازالة اسباب الشكوى .

السواء عبد الرحمن خليفاي

ولما كان ورد ذكر اللواء خليفاي في المناسبات التي سلف ذكرها فيقتضي
الوفاء ان أقول أنه يسعد كل وطني شريف أن يكون اللواء عبد الرحمن
خليفاي كان في طليعة من اعتمدتهم الرئيس الأسد لمعاونته في ادارة امور
البلاد بحزم وفعالية تقودهما روح طيبة مخلصة نقية تتحلّى بالخلق والاخلاص
والدأب . وقد شدني اليه حبه غير المحدود لوطنه ، وجرأته في اتخاذ القرارات ،
وتحسسه بالصالح العام الى حد الشعور بالتمزق والاحترق كلما وجد الامور تسير
على غير ما ينبغي أو تبين تقاعسا أو تهاونا من اي مسؤول في اي موقع . انه رجل
دولة بكل معنى الكلمة ، ولا يمكن لانسان طيب لقيه الا أن يشعر نحوه بالاحترام
والحب مجتمعين ، اما السيئون فانهم يخافون منه ، ولهم الحق في هذا فليس الرجل
ممن يتساهلون أو يتركون الامور تجري في اعنتها القديمة .

الرئيس شكري القوتلي

اذا تصدبت للرئيس شكري القوتلي من خلال معرفتي به ، وأعطيت عنه صورة سريعة لا تصل الى حد التاريخ وانما تقف عند الملامح الكبيرة ، اكون قد صورت من خلاله الرجل الدمشقي المجاهد المخلص في سبيل وطنه والمتعفف عن كل مصلحة شخصية . ان شكري القوتلي لا يكون بهذا رجلا انقصى ملامح حياته ، وانما يكون موقفا احبه الناس وقدروه وانسانا كالأخرين يخطيء ويصيب .

اول ما سمعت باسمه كان ذلك في صفري حين اوقفه الاتراك في سجن قريب من محل والدي ، ووعت أذني وأنا فتى حكاية محاولته الانتحار في السجن بقطع شرايين يده خشية من التعذيب الذي ربما يحمله على البوح بأسماء رفاقه رجال الحركة العربية الاولى . ثم لما غادر البلاد لاجئا الى فلسطين بعد دخول الفرنسيين رأيتهم مصادفة في حيفا حين ذهبت الى فندق فيها - وكان ينزل فيه - وذلك أثناء رحلة ارسلني بها والدي لشراء البطيخ وقد سبق ذكرها . وعرفت بعد ذلك أنه اشترك في الثورة السورية وأنه كان من البارزين في السياسة الوطنية اعضاء الكتلة الوطنية التي قادت البلاد في العشرينات والثلاثينات وما بعدها .

ولما قام اضراب عام ١٩٣٦ في المدن السورية ، هذا الاضراب الذي سمي بالخمسيني لانه دام ستة وخمسين يوما اغلقت فيها كل المحلات التجارية والمدارس دون استثناء ولا اخلال وقامت جموع الناس بمظاهرات سلاحها الحجارة في وجه بنادق المستعمرين ، كانت الكتلة الوطنية وزعمائها ومنهم شكري القوتلي هم الذين قادوا هذه الانتفاضة الشعبية التي تشبهها انتفاضة الشعب الفلسطيني الآن وثورة الحجارة . وقد حاول الفرنسيون كسر الاضراب بالعنف من الخارج او تفتيته من الداخل بالتهديد بكسر اغلاق المحلات التجارية وتعريضها للنهب ، ولكن التجار افضلوا مع الشعب هذه المحاولات ، وظلوا يسددون التزاماتهم التجارية حتى لا تحدث بلبلة رغم توقف البيع والشراء ، وحمى الشعب المحلات من النهب فلم تقع سرقة واحدة ، واستمرت التضحيات طول هذه المدة كما قام التجار والوجهاء في الاحياء بتنظيم المساعدة التموينية للناس خلال الفترة وجمعوا من التبرعات ما وقى الناس المجاعة ، حتى اضطر افرنسيون تحت هذا الضغط الى اطلاق سراح المعتقلين

واعادة الشخصيات السياسية المنفية ومفاوضة الوطنيين . ولما تالفت اول حكومة وطنية لمفاوضة الفرنسيين على معاهدة تنتهي بالجلء ، كان السيد شكري القوتلي وزيرا للمالية فيها .

فخري البارودي

ولا بأس هنا من ذكر لمحة عن شخصية وطنية شعبية هي شخصية السيد فخري البارودي الذي كان زعيما وطنيا واسع الشعبية قادرا على مخاطبة الجماهير واثارة حماسها كما لا يستطيع سواه ، ولذلك نفاه الفرنسيون الى الحسكة . ولما عاد المنفيون نظم الشعب السوري لفخري البارودي استقبالا لا مثيل له حتى ذلك الوقت ، وخرج الناس على طول الطريق المؤدية الى دمشق لاستقباله ، وكان والذي قد اصطحبني انا واخي انور للمشاركة في هذا الاستقبال بسيارتنا التي نصفها مكشوف ونصفها مفلق وكانت نادرة في تلك الايام . واول السيارات كانت مكشوفة وتسمى توربيدو ، وعندما صارت مغطاة ولها بللور سميت لاندونه .

ولما وصل السيد البارودي الى دوما اضطره اهل دوما لمحبتهم اياه الى النزول في دار احد وجهائها السيد محمود خيتي للاستراحة وسماع الخطب والكلمات والقاء مثلها ، ثم لما اراد متابعة السير والناس حشود على الطريق ، ركب سيارتنا ليقف فيها ويحيي الناس وكان يقودها اخي انور ويركب مع البارودي فيها كل من نسيب البكري وفوزي البكري . وهنا اقترح بعض الحاضرين من اجل السرعة وتجنب الناس المستقبلين في حرستا وطول الطريق الى دمشق ، ان نسير في طريق فرعية في القوطة هي طريق الشفونية بيت نايم جسرين . وحاولت الاعتراض لخوفي من ان تنصب السلطة الفرنسية او عملاؤها كميننا لاغتتيال البارودي وعندئذ قد يساء اليها لاننا شاركنا في هذا التحويل عن الخط العادي ، ولكن اصر منظمو المسيرة على ذلك وظلت تحت الهواجس حتى وصلنا الى دار السيد البارودي في الشابكية في حي القنوات عند منتصف الليل فانزاحت عني الغمة . ودامت الاجتفالات سبعة ايام بلباليها .

عودة الى الرئيس القوتلي

بعد فترة من الزمن وفي عام ١٩٣٧ استقال السيد القوتلي من وزارة المالية احتجاجا على توقيع اتفاقيتي البترول والمصرف السوري في غيابه ودون علمه وبقي في منزله ليأسه من وفاء الفرنسيين بوعودهم . وفي عام ١٩٣٩ علق الفرنسيون الدستور وعينوا حكومة برئاسة بهيج الخطيب اسمها حكومة المديرين ، وتوالت الاحداث بعد ذلك مما هو في كتب التاريخ وتولى الحكم الشيخ تاج الدين الحسيني بقرار من المفوض السامي الجنرال كاترو في ايلول عام ١٩٤١ وبقي في المنصب حتى توفي عام ١٩٤٢ ولما توفي الشيخ تاج خلفته حكومة برئاسة جميل الالشي ولكن لم تدم اكثر من اسبوع لانها رفعت سعر الخبز قرشا وربع للكيلو ثم عينت حكومة مؤقتة برئاسة السيد عطا الايوبي وجرت انتخابات وانتخب السيد شكري القوتلي رئيسا للجمهورية ، وكان معه سعد الله الجابري رئيسا للوزارة وفارس الخوري رئيسا للمجلس النيابي وجميل مردم سفيرا لسورية بمصر ليعدهوه عن الوزارة .

ولكن الفرنسيين ارادوا ان يضربوا الحركة الوطنية ضربة قاضية لأن الحكومة ورهطهما العدوان الفرنسي في ٢٩ ايار عام ١٩٤٥ ، وهاجمت دباباتهم ومدافعهم مقر المجلس النيابي وقتل جنودهم حامية المجلس برمتها إلا اثنين تظاهرا بالموت وعاشا ليرويا القصة ، كما صبوا حمم المدافع على عدد من الاحياء واحرقوا المنطقة المعروفة في ذلك الوقت بشارع فؤاد الاول (حيث تقوم اليوم ابنية المحافظة) ولكن الجيش البريطاني تدخل واجبر الفرنسيين على لزوم ثكناتهم . وقامت في المحافل الدولية ومجلس الامن معركة سياسية انتهت بجلاء الجيوش الاجنبية في ١٧ نيسان عام ١٩٤٦ وكان هذا نصرا للشعب السوري وفخرا لرئيسه شكري القوتلي الذي وقف موقف الصمود والبسالة .

ولكن الاقويل ثارت بعد ذلك حول بعض من كانوا حوله من الحاشية والموظفين ، وقامت المعارضة بحملة شعواء ، والانتخابات النيابية التي جرت بعد ذلك لم تكن في صالح القائمة التي دعمها ، ثم قام حسني الزعيم بانقلابه وكان يريد قتل القوتلي اولاً مداخلة شديدة من الملك عبد العزيز آل سعود ... وقد وقع حسني الزعيم في خلال فترة قليلة اتفاقية التابلاين وسمح بتمديد انايب الشركة الاميركية الى الزهراني . وذهب القوتلي بعد ذلك الى مصر وبقي فيها مدة حتى اجتمعت الكلمة في سورية على

دعوته وأوفدت له الوفود وكنت في عدادها وكان لي رأي خاص في هذه العودة .
ومن بعد ذلك انتخب مرة أخرى لرئاسة الجمهورية وظل فيها الى أن قامت الوحدة
وتنازل عن الرئاسة الى الرئيس جمال عبد الناصر .

قلت أن المعارضة عملت طويلا على تشويه سمعة عدد من السياسيين والموظفين
الذين كانوا حول الرئيس القوتلي ، ولكن شخصه بقي فوق الشبهات من حيث الوطنية
والنزاهة ، وظل نقي الصفحة حتى انه وهو الذي ولد غنيا مات فقيرا .

والذي لا يعرفه الكثيرون ان المرحوم القوتلي كان قد اشترى ارضا على الشيوع
في تنظيم غربي ابو رمانه وحدد له محضر مساحته نحو ٢٤٠٠ متر كما كانت له ارض
في (حاليًا) قرب الزبداني ، وكان يقترض من البنك العربي اموالاً ليعيش . فلما
أصدرت الحكومة قراراً رفعت فيه الفائدة من ٤٪ الى ٧٫٥٪ استدعى مدير البنك
العربي السيد عبد الحميد شومان وقابله بحضوري وسأله هل ستطبق عليه المعدلات
الجديدة فنفى شومان ذلك وقال ان الامر بيده ، ولكن تأميم المصارف الذي جاء بعد
قليل جعل الدين على السيد القوتلي يبلغ ١٢٠٣ ليرات ذهبية في حين كان اصله
٧٥٠ ليرة . ووقع في مأزق مالي وأراد بيع العقار في ابو رمانه خلاصاً من الدين ولكن
السوق كان بارداً في تلك الفترة ولا يوجد من يشتري .

وفي ذات مساء زارني في منزلي في الزبداني ضابط مصري كان تابعاً للرئيس
عبد الناصر مباشرة وكان عندي ضيوف فمكث برهة وذهب واتصل بي بالهاتف
ليسألني اذا كان الضيوف ذهبوا . فلما اجبت بالاجاب حضر وسألني عن اوضاع
السيد شكري القوتلي المالية وقال ان الرئيس عبد الناصر يود ايجاد طريقة لوفاء
ديونه او بعضها فاقترحت شراء قطعة الارض في ابو رمانه بسعر جيد فتكون المساعدة
بهذا الشكل مقبولة .

وبعد أيام اخبرني شكري بك أن هناك مشترياً للارض بسعر ٧٥ ليرة ذهبية
للقصبة (كان سعرها الواقعي ٤٠ ليرة ذهبية) وان هذا المشتري مقرب له
الحقيقة وان الشراء ليس مقرب وانما للحكومة ، فرفض البيع على الفور مع شدة
حاجته الى المبلغ لوفاء الدين ولوجود مضايقات من المصرف . وبعد فترة يبعث
الارض والدار اللتان يملكهما المرحوم الرئيس القوتلي بما يعادل تماماً دين المصرف

وكان المشتري رجل أعمال سعودي وسجلهما باسم زوجته السورية .
وهكذا لم يبق لدى الرئيس القوتلي سوى قطعة أرض اسمها بستان التفاح
ومساحتها محدودة وبيعت بعد وفاته بمبلغ بسيط ولو بقيت الأرض التي في أبو رمانة
الى الآن لكان ثمنها عشرات الاضعاف .

بين الرئيسين شكري القوتلي وعبد الناصر

وحين جاء الرئيس عبد الناصر رحمه الله الى اللاذقية في أيام الوحدة وألقى
خطابه الشهير الذي هاجم فيه فئات كثيرة من التجار وسواهم ممن نعتهم بالرجعية
اتبع ذلك بإصدار قرارات منع فيها التعامل بالنقد الاجنبي إلا في حدود الرقابة .
وقد اجتمعت غرفة التجارة في دمشق وكلفتنني بأن أقابل الرئيس القوتلي الذي حمل
عبد الناصر امانة الحكم وذلك من أجل بسط وجهة نظرنا عن طريقه ، وقد حاولت
الاعتذار لعلمي بصعوبة المهمة ولكنهم اصروا فامتثلت وذهبت الى شكري بك
ونقلت له ما جرى .

وأجابني الرئيس القوتلي رحمه الله انه كان قبل يوم قد قابل الرئيس عبد الناصر
وأخبره بأن هذه القوانين لا تتفق في حينها مع طبيعة البلاد وأن الافضل الاجتماع
مع الهيئات الاقتصادية والمدولة معها في الانظمة التي تصدر ، فكان جواب الرئيس
عبد الناصر الاصرار ، أما النتائج فهي غنية عن التعريف والتذكير .

السيد محمد علي العابد

قلت أن اهتمامي بالسياسة ودخولي في الحياة السياسية ليس مردّه تعلقي بها بالذات ، بل لأنها كانت في نظري وسيلة لتحقيق أهدافي التي كانت تصب في ميادين الشؤون الاجتماعية والاقتصادية ، وهي الميادين التي كانت ولا تزال مجال نشاطي وطموحي ، وكل ما سجلته من خدمات واعمال طوال حياتي .

على سبيل المثال اذكر حادثة وقعت بيني وبين المرحوم محمد علي بك العابد ، والمعروف أنه كان يقطن في حارة قولبي من حي سوق ساروجة بالدار المعروفة التي لا تزال تنسب اليه ، وكانت عائلتنا آل الشلاح تقيم في نفس الحي ، وفي عام ١٩٣٢ رشح المرحوم العابد نفسه لانتخابات المجلس النيابي ، فأقدمت على قيادة حملة المعارضة ضده ، ولما بلغه النبأ تأثر بذلك نظراً للصدقة التي كانت تربطه مع والذي الحاج سليم الشلاح ، وأقام مأدبة ودعا إليها عددا من الاصدقاء ووجهاء الحي وبينهم والذي المرحوم حمدي بك الشلق رئيس محكمة الاستئناف العليا .

خلال المأدبة فاتح المرحوم العابد والذي باستيائه من معارضتي لترشيحه ، وعندما سئلت عن سبب عن سبب هذه المعارضة قلت ان المرحوم العابد أهمل تنفيذ وصية والده المرحوم عزة باشا العابد رغم مرور أكثر من عشر سنوات على وفاته ، وتقضي هذه الوصية بانفاق عشرة آلاف جنيه استرليني على أعمال البر . وكان سعر الجنيه الاسترليني عند وفاة عزة باشا العابد ١١٣ قرشا ذهبيا ، وخلال السنوات التالية هبط السعر الى ٧٠ قرشا وانخفضت قيمة المبلغ المحدد في الوصية ، وقلت : عندما تنفذ تلك الوصية اصبح مطمئنا الى مصداقية المرحوم العابد ونواياه لدعم عمل الخير .

على الاثر تحرك الاوصياء (وأذكر أن المرحوم رشيد الطرابيشي كان أحدهم) وقرروا التكفل بنفقات بناء طابق ثان في مدرسة الاسعاف الخيري التي كان المرحوم والذي أبرز مؤسسها كما انه تبرع بالأرض التي اقيم عليها البناء .

ويحمل الطابق المذكور حتى الآن لوحة تذكارية سجل فيها ان بناء هذا الطابق أقيم من قبل المرحوم محمد علي العابد عن وصية والده ، وللتاريخ أذكر أن المرحوم

العابد انتخب رئيسا للجمهورية في عام ١٩٣٢ واستمر في هذا المنصب حتى عام ١٩٣٦ وقد أسلفت هذه الحادثة لابين أن علاقتي بالسياسة كانت منذ البداية محصورة بالسعي لدعم العمل الخيري وتعزيز المشاريع الاجتماعية بعيدا عن جوهر العمل السياسي وحيثياته وأهدافه في الحكم .

الشيخ تاج الدين الحسني

وقد علقت بذاكرتي حوادث تتعلق ببعض رجالات سورية أحرص على أن أوردتها لمجرد العبرة إذ لا أقصد منها تبرير المسلك السياسي لهذا الرجل أو ذلك ، بل تسجيل مثال اطلعت عليه أو شهدته بنفسي .

ومن هذه الحوادث واحدة تتعلق بالشيخ تاج الدين الحسني الذي شغل رئاسة الحكومة أكثر من مرة في عهد الانتداب الفرنسي ، ثم عين رئيسا للجمهورية بقرار من المفوض السامي الفرنسي ووافاه الأجل وهو في هذا المنصب خلال الحرب العالمية الثانية . والمرحوم الشيخ تاج الدين هو نجل المحدث الكبير الشيخ بدر الدين الحسني طيب الله ثراه ، والديه غني عن التعريف بتقواه وعلمه ومكانته الدينية . وكان ولده الشيخ تاج يتعاون مع السلطة الفرنسية الى درجة أثارت انتقاد الكتلة الوطنية له حتى وصمته بالخيانة ، ولكنه دافع عن نفسه بأن من الأفضل التعاون مع السلطة المنتدبة والوصول عن هذا الطريق الى ادوات الحل والربط محليا وترك الشؤون الخارجية للفرنسيين .

وكانت السلطة الفرنسية في اعقاب الثورة السورية في عام ١٩٢٥ التي استمرت عامين قد عمدت الى تشكيل حكومات متعاقبة على رأسها اشخاص انتدابيون أمثال الداماد أحمد نامي بك (والداماد كلمة تعني صهر السلطان) وصبحي بركات ، ولما فشلت هذه الحكومات بسبب كراهية الناس لها والمناخ السائد بعد الثورة ، اختير تاج الدين لرئاسة الحكومة نظرا لكونه نجل شخصية دينية تحظى بالاحترام ، إضافة الى أن تاج الدين نفسه كان عالما وقاضيا ، وعمل في منصبه على رأس الحكومة كرجل دولة .

أذكر أن المرحوم صبحي بركات عندما ترك رئاسة الحكومة ورشح نفسه لرئاسة المجلس التمثيلي آنذاك قابله والذي المرحوم سليم الشلاح ، وكنت معه ، وسمعت صبحي بركات يقول لوالدي : تركت في الخزينة السورية ما يقارب ستة ملايين ليرة ذهبية عثمانية ونصف المليون ، غير أنه خلال رئاسة تاج الدين لم يبق في الخزينة سوى مليون ونصف مليون ليرة عثمانية ذهبية .

نقل والذي هذا الكلام الى الشيخ تاج فقال له نعم هذا صحيح غير أنني صرفت المبالغ المذكورة على انشاء ابنية ومقرات للحكومة في دمشق ومحافظات حمص وحلب وحماه ومدن القامشلي وقطنا ودوما وغيرها ، وانشاء مدرسة التجهيز ودائرة الاوقاف وبناء المصالح العقارية في دمشق وبناء فندق بلودان وغيره ، ولولا انفاق المال في هذه المشاريع لسرقه رجال السلطة الفرنسية ، او تسرب الذهب الى فرنسا .

والواقع ان سورية عند سقوط الحكم العثماني كانت تحتزن أربعين مليون ليرة ذهبية ، وقد فرضت السلطة الفرنسية النقد الورقي على التعامل والعقود وحددت سعرا بخسا لليرة الذهبية العثمانية ، وبهذه الوسيلة أمكن لفرنسا سحب الذهب السوري لقاء نقود ورقية غير مضمونة وغير متداولة خارجيا ، ومما يجدر ذكره أن قبول سورية بالنقد الورقي كان أحد الشروط التي وردت في ائذار الجنرال غوزو للملك فيصل

أعود الى الشيخ تاج الدين لأذكر أنه عندما كان رئيسا لوزارته الاولى اشترى دارا في حي الحلبوني من المرحوم نسيب سليق وشرع في بنائها ثم توقف عن اكمالها لقلّة ما في حوزته من المال فاقترض من والذي مائتي ليرة ذهبية ولم يتمكن من وفاء الدين وسافر الى باريس حيث مكث مدة طويلة الى أن عاد الى سورية مع استلام الديفوليين الحكم وعيّن رئيسا للجمهورية ، وحينذاك بدأ بتسديد الدين على أقساط ، وعندما توفي فجأة كانت ذمته مشغولة بالبقية من الدين فسامحه المرحوم والذي .

حادثة بئر العبرة

وأود الإشارة الى حادثة قديمة كان للشيخ تاج فيها دور انساني ، ذلك أنه في عام ١٩١٧ كان هناك شخص يدعى محمد الاخضر ملقب بأبي عبده الاخضر له دكان تجارة خان الباشا بجوار بحرة المدورة يبيع فيها الخضار والفواكه بالصيف والالبان بالشتاء ، وبينما كان احد الحمالين يفرغ وعاء مليئا باللبن المصفى صادف مرور ضابط تركي يدعى اشرف بيلرم فأصاب رشاش اللبن سترته ، فما كان منه إلا ان انهال بالضرب المبرح على الحمال المسن ، ورغم تدخل ابي عبده الاخضر ورجائه الضابط التركي بالكف عن ضرب الرجل الفقير لم يكف الضابط عن عمله الوحشي ، بل أنه ذهب الى مقر (القانون جاویش) بالسنجقदार للتحرير عن المسكين ، وكان هذا المقر بجوار فندق دار السرور (من أملاك آل اليوسف) فاستدعى المخفر محمد الاخضر والحمال ، وقام الضابط بتقييد أيدي الحمال بالفلقة ، وانهال عليه بالخيزران ضربا حتى نزل الدم من كفيه . وكان هذا الضابط هو الذي يلاحق الهاربين من الخدمة وهو مشهور بقسوته وشراسته .

ذهب الاخضر الى والدي المرحوم سليم السلاح وقص عليه ما حدث فأخذه وذهب به الى دار الحديث مقر الشيخ بدر الدين الحسني وعرض عليه هذه الحادثة وسأله هل يقبل الدين الاسلامي بذلك ؟ حينذا لصاح الشيخ بدر الدين على ولده تاج الدين الذي كان يجلس في مكتب علوي وكان قاضيا ، وقال له اذهب الى جمال باشا الصغير (كان صغيرا بالاسم كبيرا بالحجم) وأخبره بما حدث وقال له : هل يقبل هذا الظلم ؟

كان جمال باشا الصغير يتخذ مقرا له في فندق فيكتوريا فذهب اليه يصحبه والدي وأبو عبده في عربة خيل ، وركبت أنا بجانب العربي ، وعرض مع والدي على جمال قصة المضروب فطيب خاطره ووعدته خيرا ، وسرعان ما عزل الضابط المعتدي عن منصبه .

بعد عام انتهت الحرب العالمية الاولى - وكنا نسميها السفر برك - وكنا نسكن في دخلة بجوار الجامع بشارع السنجقदार ، فرأيت الضابط المعتدي يعمل كناسا في جملة الكناسين امام المقر الذي كان يعذب فيه الناس ، والعبرة لمن اعتبر .

شخصيات عالمية

الرئيس جيمي كارتر

ان حديثي عن كارتر له مناسبة قومية كبرى تستدعيه وهي أنه تحت تأثير جماعات الضغط اليهودي على دوائر القرار في الولايات المتحدة الامريكية أصدر الكونغرس الامريكي في عام ١٩٧٨ قانونا يفرض العقوبة على كل شركة أو هيئة أو شخص أمريكي يتقيد بأحكام المقاطعة العربية لاسرائيل .

وقد عارضت الغرف العربية - الامريكية هذا القرار ، وأصدرت بيانات موضوعية تثبت نزاهة المقاطعة العربية وانتفاء الطابع العنصري عنها ، وتؤكد أنها موجهة ضد العدوان الاسرائيلي المدان عالميا من منطلق الدفاع عن النفس ، اضافة الى أنها اجراءات قانونية محضة لها سوابق معروفة حتى في السياسة الامريكية .

وسرعان ما تحركت الجهات المسؤولة في سورية للاعتراض على القرار الامريكي الجائر والمعادي للحق العربي ، ووضع مشروع مرسوم بإيفاد الدكتور محمد العمادي وزير الاقتصاد والتجارة الخارجية الى أمريكا لهذه الغاية ، وتكليفى بأمانة السر ، ونظرا للظروف السائدة آنذاك تعذر سفر الدكتور العمادي واضطرت للسفر للقيام بهذه المهمة . وكان الوفد على مستوى كبار رجال الاعمال من الدول العربية وسأعود الى حديثه في الرحلات .

كان برنامج الزيارة يشتمل على مقابلة للرئيس الامريكي جيمي كارتر ، ولهذا قررت إعداد هدية ثمينة ذات مغزى ورجوت وزارة الاوقاف لتكليف ورشة الجامع الاموي بصنع لوحة من الفسيفساء تمثل دار الخليفة الوليد بن عبد الملك .

وفي يوم ٢٨/٤/١٩٧٨ جرى احتفال برئاسة الرئيس جيمي كارتر ، إلا أنه اعتلر بسبب مشاغله ، وناب عنه وزير المالية الامريكية ، وبلغ عدد الحضور ستمائة شخص ، وبعد انتهاء خطاب وزير المالية الامريكية الذي استمر أربعين دقيقة صعدت المنصة لالقاء كلمتي ، والى جانبي ولدي الدكتور راتب الذي قام بترجمتها .

ورجوت الزميلين السيدين تيسير الفرا ومحمد توفيق سكر باحضار اللوحة ووضعها على المنصة ليطلع عليها الحضور ، أما كلمتي آنذاك فهذا نصها :

ما هو سبب حضورنا الى هذه البلاد ، هل هي الغرفة العربية - الامريكية أم اتحاد الغرف العربية الذي أوجد الغرف العربية - الامريكية أم اتحاد الغرف السورية أم الطائرة التي اقلتنا جواً الى هذه البلاد العظيمة ؟ الجواب بالنفي .

يعود الفضل لحضورنا الى هنا للعلم والعمل الذين استعملهما العالم اديسون واخترع الكهرباء ، ولولا ذلك لم تكن هناك طائرات تقلنا الى هنا عبر المحيطات والمسافات الشاسعة .

لذلك كرم المولى تعالى رجال الاعمال حيث قال جلّ وعلا في كتابه الكريم : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً) . ويسرنا بهذه المناسبة ان نقدم هذه اللوحة المصنوعة من الفسيفساء القديم ، والتي ترمز الى قصر الخليفة الوليد بن عبد الملك أحد الخلفاء الامويين الذين في عهدهم اتتشر العلم في انحاء العالم كافة ، وفي عهدهم وصلوا الى الاندلس وحتى الحدود الفرنسية .

إلا أن العرب يرزحون تحت نير الاستعمار منذ خمسمائة عام ، وحين الوقت ليفيقوا من نومهم ويستعيدوا مجدهم باذن الله ، فأرجو قبول هديتنا هذه لذكرى زيارتنا لبلادكم راجياً ابلاغ تحياتنا وتقديرنا للرئيس كارتر مع الشكر .

مؤتمر صحفي في واشنطن

وبعد ذلك الاحتفال جرى مؤتمر صحفي في واشنطن تحدث فيه أمام رجال الصحافة ، واليكم خلاصة نقلت عنه من الشريط المسجل :

ان القرار الذي صدر عنكم بخصوص المقاطعة ليس في مصلحة أمريكا . فنحن نستورد من أمريكا في كل عام بمبالغ كبيرة ، فاذا فرضت شروطها فسوف نلجأ الى الاستيراد من مناطق أخرى واسواق جديدة وتخسر أمريكا . وكذلك صادراتنا ففي ارضنا مخزون من البترول فبدلاً من أن ينضب في ثلاثين سنة يمكن أن ينضب في خمسين وتأخذ ثمنه أضعافاً . ولذلك فقرار أمريكا ليس في مصلحتها .

والمال لا ينفصل عن السياسة ، والسياسة مرتبطة بالاقتصاد ، والعلم الذي ينظم الاقتصاد اسمه الاقتصاد السياسي . ولذلك ولو كنا اقتصاديين فاسمحوا أن اتكلم

بالسياسة . فهناك قضية اسمها قضية فلسطين واذا لم تحل فلن يحل اي شيء آخر في قضية الشرق الاوسط . ان هناك مليون فلسطيني مشرد ، ولنتساءل : هل يقبل اي انسان من اي شعب ان يخلى بالقوة من بيت يملكه ويسكن فيه ؟ فكيف يمكن ان يرضى من اخذت بيوتهم وأراضيهم وصودرت أملاكهم وشردوا وصاروا يعيشون تحت الخيام ؟ وهل يعقل الا ننظم المقاطعة في البلاد العربية ؟ اذا مات الجد والاب فالابن الذي شردوه بالقوة سيحاول ان يعود الى بيته بالقوة . ولذلك فلا يمكن ان تحل اية قضية ما لم تحل القضية الفلسطينية . واعتقادي ان الشعب الاميركي في اكثريته معنا .

وبعد عودتنا الى دمشق تلقيت من الرئيس كارتر بتاريخ ١٩ مايس ١٩٧٨ جواب شكر على هذه الهدية ، ومرت الايام واذا بالرئيس كارتر يزور دمشق ، وخلال حفل استقبال اقامتها له السفارة الامريكية سال عني فاجتمعت اليه والتقطت لنا صورة تذكارية ضمت قربنته ، وفي اليوم الثاني ابلغتني السفارة الامريكية بان الرئيس كارتر يود زيارتي في مزرعة العدمل ، فاستأذنت وزارة الخارجية على ان يحضر احد رجال المراسم ، وفي اليوم التالي وكان يوم جمعة حيث اعتادت عائلتي قضاء هذا اليوم في المزرعة ، اقبل الرئيس كارتر يرافقه السفير الاميركي وموظفو الامن والشرطة ففوجيء بحشد كبير . ولما سال عن الحضور اجبته بان هذا الحشد مؤلف من اسرة السلاح ، واكثرهم من احد اشقائي وابنائاه اضافة الى ابنائي واولادهم ، وامضى الرئيس كارتر وقتا طويلا في المزرعة يتحدث مع جميع افراد العائلة .

وفي طريق عودته اطلع الرئيس كارتر على مصنع القمر الدين وتقع الشمس وتكسير بذر الشمس المر حيث قوبل بالحفاوة .

وعندما قدم الرئيس كارتر الى دمشق للمرة الثالثة دعاني الى السفارة الامريكية حيث استعاد هذه الذكريات وتمنى ان يكون لديه الوقت لزيارة المزرعة و

* * *

الرئيس فرانسوا ميتران

منحني وسام جوقة الشرف الفرنسي

تكرم دول العالم المتمدن الرجال الذين ساهموا في تقدم العلاقات الطيبة بين بلادهم والبلاد الأخرى ، ومن هذا القبيل انني فوجئت - ولم أدهش - بكتاب يصل اليّ ويفيد أن السفير الفرنسي المتميز بحبه لبلادنا وطول اقامته السيد فرناند رويون قد اقترح على رئيس الجمهورية الفرنسية السيد فرانسوا ميتران منحني وسام جوقة الشرف الفرنسي من رتبة فارس ، وهو من ارفع الاوسمة العالمية . وفيما يلي نص الكتاب الموجه اليّ وانا رئيس لغرفة التجارة ، ولذلك فعليّ الشكر لهذا التقدير :

السفارة الفرنسية - السفير - دمشق في ١٩٨٢/٢/٤

سيدي الرئيس

لي الشرف والسرور بأن اُنقل الي علمكم انه ، بنساء على اقتراح من السيد فرناند رويون ، قام السيد رئيس الجمهورية بتسميتكم فارسا في جوقة الشرف .

ان هذا التقدير العالي الشأن يأتي ليكافئ بحق مزاياكم ، فأنتم تساهمون بنشاط في تطور بلادكم الاقتصادي بصفتكم رئيسا لغرفة تجارة دمشق ، وتقومون عن جدارة بإدارة العديد من المشاريع التجارية والصناعية . وعلاوة على ذلك فانكم تعاونون باخلاص في عديد من المهام الخيرية والدينية .

ان هذا الوسام يعبر كذلك عن تقدير بلدنا للصدقة الناجعة التي اظهرتموها لبلدنا على الدوام ، سواء في غرفة التجارة الفرنسية العربية التي أنتم أحد مؤسسيها ، أو لمناسبة الزيارات التي قام بها وزراء فرنسيون ووفود تجارية .

وانني اذ اوجه اليكم أخلص تهانئي ، أرجوكم يا سيدي الرئيس ان تكونوا على يقين من اعتباري الفائق .

السفير ه . سرفان

كما وجه السيد فرناند رويتون من أنقره ، حيث صار سفيرا فيها، الرسالة التالية :

انقره في ١٩٨٢/١٢/٣

تأثرت كثيرا برسالتكم يا عزيزي الرئيس ، واعبر لكم عن آيات الشكر
راجيا ان تقبلوا اجر التهاني واصدقها بمناسبة تسميتكم فارسا في جوقه
الشرف ، وهو ما اهلتم له مواهبكم ومزاياكم وجعلته نجاحاتكم امرا
مناسبا بل ضروريا بصورة مطلقة .

وانتم لشرف لفرنسا ولاعضاء جوقتنا الوطنية بأن تصبحوا في هذه
الجوقه ، وسرور لي ولزوجتي ، وسنظل مخلصين على الدوام لدمشق
ولاسرة السلاح التي هي رمز هذه المدينة . ويتابنا الف اسف على اننا
لا نستطيع ان ننضم اليكم في ٧ كانون الاول ، ولكننا سنكون من كل قلبينا
معكم ونحن في انقره ، ونتطلع الى لقائكم في دمشق في آذار القادم كما نأمل
ان ننقل اليكم مشاعر الصداقة الاخوية التي نرجو ان تشاطرونا اياها .
واكرر شكري لكم ولرسالتكم ، ولكم اطيب الامنيات .

فرنان رويتون

* * *

شخصيات لا تنسى

في هذا الكتاب سجلت ما تذكرته عن بلد نشأت فيه وترعرعت هو مدينة دمشق ، وعن تجارة هذا البلد وزراعته اللتين عملت فيهما طول حياتي ومنها اكلت خبزي وخبز اولادي وغمرتني نعمة الله عليّ ، ولم يكن لي بد من أن أسجل ما اطلعت عليه من أمور وساهمت فيه من مناقشات نتيجة لكوني نلت ثقة اخواني وتوليت مناصب في غرف التجارة المتعاقبة وفي اتحاد الغرف التجارية العربية ، وما كنت اعرضه من آراء ومقترحات في الامور الاقتصادية نتيجة عضويتي في لجان اقتصادية عليا مثل لجنة الترشيد الملحقه برئاسة مجلس الوزراء ، ولجان عليا للاوقاف وغيرها كنت فيها عضوا نشيطا ، وأخيرا كان لا بد من ذكر بعض النبذ والملامح عن شخصيات التقيت بها وعرفتها من قرب بدءا من أسرتي وانتهاء بمن صاروا في ذمة الله من رجال عرفتهم واخترت بينهم عددا قليلا خصصته بالذكر دون سواء لعلاقة حميمة او لجلاء بعض الملامح . ولكنني لو رحمت اكتب عن كل من كان لي شرف الالتقاء بهم من الرجال العظماء والرجال المؤثرين في مختلف المجالات لاعياني ذلك واعجزني وانقلب كتابي من صفته الحالية الى ان يصبح كتاب تاريخ ، وأنا لست مؤرخا . كما لست انسى ان التاريخ علم جليل وان المؤرخ يجب ان يتصف بالاحاطة والتدقيق والعمل الطويل في محاولة رسم صور الناس والاحداث ، وان يمحو نفسه وذاته في سبيل الحقيقة اذ ليس له ان يدخل عاطفته عندما يتقصى صورة الناس والاحداث . اما انا فاني رجل يتحدث على السجية ، ويعترف بمحدودية الانسان ، ولست قادرا على ان اخرج من جلدي كتاجر ومزارع واقتصادي لادخل في إهاب المؤرخ .

فليعذرني الكرام الذين لم اخصهم بذكر خاص ومسهب من رجالنا الاحياء منذ الله في عمرهم ، وليسامحني من ذكرتهم وراوا اني قصرت في حقهم او ربما اسأت عن غير قصد ، والله من وراء القصد .

عضاميون

لذلك وفي صدد الحديث عن الشخصيات البارزة التي التقيتها في حياتي اذكر انه منذ ثلاث سنوات اصدر الاستاذ عبد الله الخشرمي كتاب (عضاميون) وضمنه قصصا وتجارب خمسة وعشرين انسانا من رجال الاعمال السعوديين

الذين حققوا أمثلة جيدة من النجاح ، وقد شعرت بمتعة عميقة وأنا اطالع هذه الفصول التي كتبها العصاميون بأنفسهم ، وقدم كل منهم فيها لمحة عن تجربته وكيفية تدرجه في سلم الاعمال حتى تحققت آماله .

ومما أثار ارتياحي أنني كنت من شهود بعض هذه التجارب المثمرة ورافقت شخصيا بعض أحداثها وتعرفت على أصحابها مباشرة ، ومن حقي أن أعقب على هذه السير بشيء مما أجمله من انطباعات وذكريات .

أذكر أنني كنت وأخي (بدر الدين وشفيق الشلاح) على صلة مباشرة مع رجالات المملكة العربية السعودية ، ولنا فيها حضور مستمر ، وكان أخي شفيق قد أدى فريضة الحج للمرة الأولى في عام ١٩٤١ للميلاد عن طريق البر قادمًا من بغداد ، أما أنا فقد أديت الفريضة المقدسة للمرة الأولى في عام ١٩٤٤ مبتدئًا من دمشق فحيفا فالسويس بالقطار ثم ركبت الباخرة الهندية (خير الله) الى جدة وهذه الباخرة غرقت فيما بعد خلال الحرب .

وفي مطلع عام ١٩٤٧ باشرنا شحن الخضار والفواكه الى السعودية بالطائرات ، ثم أسسنا محلا سبقت الاشارة اليه في مناسبة سابقة كما سجلنا في الفرة التجارية . وفي تلك الحقبة تعارفنا مع خيرة التجار السعوديين ، وتعاملنا مع بعضهم ممن ورد ذكرهم في كتاب (عصاميون) وأذكر أننا آنذاك كنا عن طريقهم نبدل العملة اي الريالات الفضية التي كنا نقبضها بالليرات الانكليزية الذهبية او نحولها بالجنيه المصري . وعن طريق زمالة الفرف التجارية واتحادات الفرف وفي الندوات والمؤتمرات تعارفنا الى الكثير من الاخوة المذكورين في الكتاب ، والحق يقال ان مشاريع وأعمال هؤلاء السادة كانت مفخرة لهم ولبلادهم في المجتمع العربي واوروبا ، وقيل أن بكرمهم هذا الكتاب سبق للباري تعالى أن كرمهم في كتابه المنزل على اكرم الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في ٧٧ آية اولها في سورة البقرة ورقمها ٢٥ حيث قال تعالى : ويشر الذين آمنوا و عملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل . وفي الايتين ٢ و ٣ من سورة العصر جاء : ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا و عملوا الصالحات .

جلالة الملك فيصل

وأود ان أعقب على حديث الامير عبد الله الفيصل في الصفحة ١١ من كتاب (عصاميون) حيث اشار الى جوانب من سيرة والده العظيم المغفور له الملك فيصل ابن عبد العزيز آل سعود ، وكان لي شرف زيارته في داره بمصر الجديدة في القاهرة اثر عودته من أوروبا حيث أجرى عملية جراحية ، وفي ذلك الحين ادلى جلالتة بتصريح رائع عن العدوان على مصر .

وحالفني الحظ في عام ١٩٥٩ بان أحج في مخيم الملك فيصل في عرفات ومنى ، وفي عام ١٩٧٢ كنت عضوا في وفد سوري رسمي مؤلف من السيد الدكتور محمد العمادي وزير التخطيط والسيد مصطفى الحلاج وزير الاقتصاد والتجارة الخارجية .

كانت مهمة الوفد تجديد الاتفاقية التجارية مع المملكة العربية السعودية ، وبعد أربعة اجتماعات متوالية مع الموظفين المختصين تم الاجتماع مع الوزراء السعوديين الشيخ محمد العوضي وزير التجارة والدكتور سليمان السليم والدكتور هشام الناظر وزير التخطيط . وبعد توقيع الاتفاقية تشرفنا بمقابلة المغفور له الملك فيصل آل سعود أكرم الله مشواه وأسكنه فسيح جناته ، واستمعنا منه الى كلمات تشرح الصدور .

وكنت أؤدي فريضة الحج في كل عام وأسمع كلمة الملك فيصل التي اعتاد أن يلقيها في اجتماع رؤساء البعثات الاسلامية الى الحج ، وكان رحمه الله يرتجلها ارتجالا وتتبع من قلب مؤمن وصاف ، وكل جملة موضوع قائم بذاته ، ولا يفوتني القول أن جلالة الملك فيصل واحد من ثلاثة سياسيين كبار شهدهم هذا القرن ولا مثيل لهم وأرجو أن يمد الله في عمري لأتحدث عنهم في جزء آخر من هذه المذكرات .

هذا وقد حاولت مرارا ان أزور الامير عبد الله الفيصل خلال زيارتي للسعودية فلم أسعد بذلك مع أنني أتممت - والحمد لله - ثلاثا وعشرين حجة وأكثر من مائة عمرة ، وزرت المملكة بكاملها بدعوة من جلالة الملك فهد حفظه الله ورعاه مع وفد مؤلف من أكثر من عشرين عضوا من رجال الاعمال العرب في ٢٣ آذار من عام ١٩٧٩ وهو ما أوضحته في قسم الرحلات .

الفصل العاشر

الأسرة - الأبناء والأحفاد والوصيات

يعيش العربي في جو أسرته ويجد فيها وحدها عضدًا وهناءً . ولقد كان هذا الارتباط بالأسرة في الماضي وعند العرب القدامى عصبية قلبية ، ثم جاء الإسلام فحمل اللين إلى الأخلاق - وما من مؤمن حقيقي الا ويتمسك بلين الأخلاق ! - فاتسع الحب وصار مرحمة وشمل بخيره ذوي الأرحام والأقرباء جميعا ثم الناس كافة ، وقد نشأت في دوحة آل السلاج وفي فرع منها ، ولما كان هذا الفرع واسعا بفضل الله فسوف اقتصر عليه فلست عالما في الأنساب ، وإنما ذكر بالمودة من جمعتهم ظللنا القريبة . كان والذي الحاج سليم بن رشيد السلاج من أسرة تعمل في التجارة وقد سبق ذكره والحديث عن مآثره وطاعتي له وحرصني على رضاه بصورة مفصلة في هذا الكتاب .

وقد ولد له من الأولاد على التوالي : (محمد) الذي توفي عام ١٩٨٥ ، ثم كاتب هذه السطور بدر الدين ، ثم أنور ، ثم شفيق ، وأخيرا رشاد .

إن أخي محمد قد ترك بعده ولداً هو عبد الماجد وخمس بنات ، وأخي أنور له ولد اسمه نبيل السلاج وهو يعمل مع والده وست بنات ، وأخي وشريك شفيق له ثلاثة أبناء هم موفق ورفيق وطارق ، وسيرد ذكرهم والحديث عنهم ومعهم في الرسائل التي وجهناها اليهم أنا وأخي شفيق أثناء الدراسة أو التي أجابونا بها على رسائلنا ، كما أن له ثلاث بنات . ولأخي رشاد من الأولاد الذكور فايز وغيث وهما يعملان مع والدهما ، وثلاث بنات .

ثم آتي بالتفصيل على ذكر زوجتي أم راتب وأولادي وأحفادي وذلك من قبيل ادخال المسرة عليهم وحين يطالعونهم وأولادهم وذريتهم من بعدهم صفحات هذا الكتاب سيرهم انني ذكرتهم واحدا واحدا وقد يعتب من لم يذكر . ولذلك فأرجو القارئ الكريم الذي يفترض انه تهمة المسائل العامة دون الخاصة أن يتسامح معي قليلا اذا سهبت في تعداد الأولاد والأحفاد بعد أن اوضحت الدافع وهو الحنان والفاية وهي ادخال المسرة .

• أم راتب ، جوهرة العائلة •

سبق أن قلت أن التقادير شاءت أن لا يدوم زواجي الاول المبكر أكثر من سنة ونصف بسبب صعوبة التعايش بين « السلايف » والكنة والحماة وخاصة اذا كانت هناك حماة ثانية اضافة ، أي زوجة أب ، نظرا للجهل والامية التي كانت متفشية بين نساء ذلك العصر . ولا يعني الا أن أشيد بمن سبقونا الى رحاب الله على حسن المعاملة التي كانت الزوجة تلقاها من والدي بصورة خاصة ، ولكن مشيئة القدر والقسمة والتبصيب جعلت من المشاكسة أمرا مستحيل الاحتمال في التعايش مما ادى الى التفريق وصدق الله تعالى : « وما تشاؤون إلا أن يشاء الله ، ان الله كان عليما حكيما » .

وقد أنعم الله علي بزواج مثالي أفردت له حقلا خاصا في هذه المذكرات تكريما بل واكراما لهذه السيدة الفاضلة ، وشكرا لله تعالى على ما أولى به وأتمم .

فقد كان الزواج الثاني موفقا جدا ، فجدت الزوجة لوالدتها المرحوم عبد الرحمن النابلسي كان في القصر الملكي باستنبول حيث تولى عدة مناصب عالية في العاصمة التركية . وكانت هذه الزوجة مثالية في اخلاقها وخلقها وهبها الله العقل الراجح عرفت معه كيف تكسب محبة افراد العائلة بين هذا الحشر من سكان الدار الواسعة وأسأل الله عز وجل أن يؤتيها ثواب الدنيا والآخرة .

أجل عرفت في زوجتي هذه كل معاني الصدق والامانة والمحبة والكلمة الحلوة مما أكسبها احترامي واحترام الجميع لها ، عرفت فيها كل فضل وخلق رفيع وحنان ومحبة وهي التي رزقني الله منها ذرية سالحة فكانت نعم الزوجة ، وللاولاد نعم الأم وللأسرة كل الاسرة نعم الصديق بعقلها الراجح ورايها السديد تلك هي أم راتب .

« وبنا آتينا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار » .

« صدق الله العظيم »

قالوا يا رسول الله ان حسنة الآخرة هي الجنة فما هي حسنة الدنيا ؟ فقال رسول الله « زوجة خلوق مطيعة » .

واني عرفت بأم راتب كل ما اوتيت الزوجة المطيعة الصالحة من خصائص وهبها الله لعباده المخلصين الاوفياء الاتقياء ، واتي أسجل ذلك لها راضيا عنها كل الرضا .

أولادي وأولادهم

— أولى بناتي نجاح ، وقد ولدت عام ١٩٢٩ وتزوجت من السيد توفيق سكر وأنجبت له أربعة من الذكور هم : زياد ونزار وعماد ورياض ، وبناتاً واحدة هي فاتنة .
وقد تزوج زياد وأنجب ثلاثة ذكور هم : توفيق وأنس وطارق .
وتزوج نزار وأنجب ثلاث بنات هن : نجاح ونور ورناء .
وتزوج عماد وأنجب أولاداً هم حازم وحمره وزينه وسارة .
وتزوج رياض وأنجب ريم وراما .
وتزوجت فاتنة وأنجبت زينه ودانية لزوجها السيد عامر البعلبي .
وتزوجت الحفيدة رنا من السيد عماد الدين السمان .

وبذلك تكون نجاح أعطتني خمسة من الاحفاد او (الحفدة) كنا يقول المعجم ، وهؤلاء الخمسة ولد لهم حتى ساعة كتابة السطور ثلاثة عشر من أبناء الاحفاد .

— بعدها ولدي الدكتور راتب وقد ولد عام ١٩٣٢ وله من الاولاد : بدر ولينا ولقي وعمر . وقد تزوجت ابنته لينا من السيد خالد ابن المرحوم توفيق الحبوباتي وولدت له ابنتين هما تالا وسيما .

— ثم ابنتي دلال ، وهي الثالثة وقد ولدت عام ١٩٣٣ ، وتزوجت من الصحفي الاستاذ عثمان الشحرور الذي توفي الى رحمة الله قبل سنوات قليلة ، وأنجبت له البنات : سحر واسمناز وجمانه وريما ومنى ومن الذكور محمد .

وقد تزوجت سحر من السيد غازي الوتار وأنجبت له — ولي ايضاً من اولاد الاحفاد — : رنا وريم وهاله وراما .

وتزوجت اسمناز من الدكتور معاذ عثمان وولدت له : محمد وفرح ويارا .
وتزوجت جمانه من الدكتور سامر الحلبي وولدت له : عمر ويزن ورامي .
وتزوجت ريماء من السيد سمير حبال وولدت له : زينه ومحمود وبدر ودلال .
وتزوجت منى من السيد ماهر البعلبي وولدت له : ميساء وهيفاء ومايا .
وتزوج محمد من سامية بنت السيد شفيق العقاد وولدت له ولداً اسمه عثمان .

- ثم ابنتي رجاء المولودة عام ١٩٣٧ ، وقد تزوجت السيد حكمت حجيلي من حلب وولدت له : محمد وفادي ورناء ورشا ورائية .

- ثم ابني سليم من مواليد ١٩٣٩ ، وله من الاولاد : عامر ورولا ولى .

- ثم ابنتي رمزية من مواليد ١٩٤٢ ، وقد تزوجت من السيد خلدون رملي وأنجبت له : عارف وباسل ومايا ولنا .

ثم ولد غسان ومحمد عام ١٩٤٦ توأمين . وقد تزوج غسان من سناء بنت المرحوم اللواء عمر الابرش وله منها الاولاد رشيد ودانية ولانا . وتزوج محمد من فاتنة بنت المرحوم صادق ملص وأنجبت له ابنه زكي ثم تزوج من منى بنت السيد محمود الحبال وجاءه منها الولدان بشر وخالد .

اذن فأولادي ثمانية واولادهم ثلاثة وثلاثون وأحفادي خمسة وثلاثون فيكون اكتمل العدد حتى الآن ستة وسبعين (ما شاء الله) من ذرية صالحة . وتكاد تغلبنى الفكاهة فأقول على عادة التجار بعد ان (يفظوا) البيان : عدا السهو والغلط .

وقد أعاني الله على تربيتهن تربية صالحة قدر ما أستطيع ، وفقهم الله جميعا وجعلهم من سعداء الدارين .

تعليم اولادي

منذ اليوم الذي تركت فيه المدرسة مرغماً تحت ضغط الوالد وشقيقي محمد من اجل ان أفرغ للعمل في محلنا التجاري ، وقد سبق الحديث عنه ، بقيت اشعر بعقدة الحرمان من متابعة الدراسة في مراحلها حتى العالية ، ولم يخفف عني هذه العقدة معرفتي الاكيدة بأن مدرسة الحياة كفيلة بتزويد الانسان بكثير من الخبرة والثقافة ، وقد فعلت وأشكر الله على نعمائه . ولذلك فقد آليت على نفسي أن اعلم اولادي جميعا حتى مراحل التعليم العليا وقدر ما أستطيع وذلك وفاء لحقهم في الثقافة والحصول على الاختصاصات المفيدة ما دمت قادرا بعون الله على تأمين النفقات . ولم اكن أستطيع أن انسى النظرة الفوقية التي لمستها من اشقائي الذين تابعوا تحصيلهم في الغرب والذين ظلوا فترة طويلة يعتبرون اننا دونهم لمجرد أن الظروف أضاعت علينا فرص التعلم والمتابعة كما آتحت لهم .

راتب وموفق

لذلك وبحكم شراكتي مع أخي شفيق واتحاد المشرب فيما بيننا ، ما كاد ولدي راتب وابن أخي موفق ينجزان المرحلة الابتدائية حتى الحقتما بمدرسة « برمانا » العالية في لبنان ، وهي مدرسة بريطانية شروط القبول فيها صعبة وذلك من أجل تقويتها باللغة الانكليزية . وبعد هذه المرحلة انتقل راتب الى احدى مدارس انكلترا واسمها مدرسة بوزم في يورك ، وكان الطالب العربي الوحيد آنذاك في تلك المدرسة ، فشعر منذ البداية بنظرة غير مستحبة يكنها الانكليز للعرب اذ كانوا يعتبرونهم من البدو رعاة الإبل والقمم الذين يعيشون في الخيام مع السائمة .

ولكن لم ينقض شهران حتى استطاع راتب بآدبه وسعة صدره ولباقته اقامة علاقة ود مع مدير المدرسة الذي أصبح يدعو الى منزله كل يوم عطلة وكان الطالب الوحيد المقرب اليه . فتبدلت نظرة زملائه الانكليز وحل الاحترام محل الانكماش ، وما زلت اذكر ملاحظات مدير المدرسة على ورقة علامات راتب حيث قال حرفياً : لقد علمنا راتب وتعلمنا منه اكثر مما علمناه . ان طلاب المدرسة البالغ عددهم ٧٠٣ طلاب ، ياسفون لترك راتب المدرسة ويتمنون لو كانت اقامته في مدرستهم اعواما بدلا من عام واحد .

وانتقل راتب بعد ذلك الى جامعة في مدينة « هل » في الشمال الشرقي من انكلترا وما لبث هناك أن تعرف على العديد من الاصدقاء ، وفي مقدمتهم السيد « هورصلي » شريف المدينة ، ورئيس بلديتها الفخري ، وصاحب أكبر معامل الحليب والشوكولاته وشراب البرتقال ومحللات التبريد . ويملك ١١ معملا في عدة مدن بانكلترا ، وقد زرت هذه الجامعة وزرت هذا الصديق هورصلي وسيأتي ذكر هذه الزيارة في احدي رحلاتي بشيء من التفصيل اراه مفيدا .

وخلال لقاءات راتب مع رفاقه من الطلاب العرب جرى ذكر جامعة اكسفورد الشهيرة بمستواها العلمي والاجتماعي وشروطها الصعبة للقبول ، ومنها أن يكون الطالب من عائلة ذات مكانة مرموقة في وطنه ، وذات سمعة حسنة وارومة رفيعة . وقد عزم راتب على دخول جامعة اكسفورد ، وتقدم للفحص الخاص فنجح ، ثم اجتاز

شرط التركيبة من شخصية بريطانية معروفة حيث وردت دون علمنا بشهادة جيدة من مدير مدرسة « بوزم في يورك » التي داوم فيها عاما واحدا ، فكان خلال مدة دراسته في اكسفورد موضع ثقة وحب زملائه وأساتذته .

وقد نقل لي المرحوم فايز الخوري سفيرنا حينذاك في بريطانيا ، انه أقام حفلة شاي بدار السفارة للوفد الصحفي السوري المؤلف من السادة عبد القادر القواص وفؤاد كردوس وبشير كعدان ومحمد عثمان شحرور ، حيث كان الوفد المشار اليه في زيارة لبريطانيا بدعوة رسمية . وقد حضر الحفلة وكيل الخارجية البريطانية والمستر سوبرك المحقق الصحفي البريطاني وعدد من أعضاء السلك الدبلوماسي العربي والشاعر الاستاذ نزار قباني الذي كان مستشارا بالسفارة ، ودعي بهذه المناسبة راتب السلاج وابن عمه موفق . وعندما قدم السفير راتب الى وكيل الخارجية البريطانية على انه طالب سوري في جامعة اكسفورد ، راح يتحدث اليه وطال حديثه معه وأعرب السفير لراتب عن اعجابه بسلامة نطقه وسعة اطلاعه وذكائه ، وقال له : اهنتك فانك تتكلم الانكليزية بطلاقة ، ونطق سليم ، اكثر من الانكليز انفسهم .

ومن اكسفورد ، انطلق الى الولايات المتحدة الاميركية ، طلبا للمزيد من العلم والمعرفة والثقافة ، وقد كنت حريصا على احضار راتب خلال العطلة السنوية الى دمشق حتى لا يتأثر بالعادات البريطانية وليبقى مؤتلفا مع جو وطنه ومنسجما مع اهله ومجتمعه ، وكنت لاحظ ان كثيرا من شبانا الذين تابعوا التحصيل في الغرب ، تأثروا بتقاليد الغرب وعاداته واجواء أوروبا فتبدلت نظرتهم لبلادهم ، ومنهم من فضل العيش في أوروبا وعدم الرجوع الى وطنه ، واحمد الله تعالى على اننا لم تقع في هذا الخطأ .

وفي عام ١٩٥٦ ، التحق راتب بجامعة بركلي في كاليفورنيا ، وكنت أرى ان ينخصص بالتجارة والاقتصاد في أعلى مستويات التعليم نظرا لافتقار أعمالنا التجارية الى المتخصصين ، وكانت استيرادات الاصناف الرئيسية وحتى كل المستوردات السورية محصورة في أيدي تجار لبنان بسبب المامهم باللغات الاجنبية وثقافتهم التجارية .

وفي عام ١٩٦٠ حصل على شهادة الدكتوراه في العلوم وادارة الأعمال ، وعاد الى

دمشق حيث عمل معنا في محلنا التجاري لمدة أربعة أعوام ، وعمل في نفس الوقت استاذا محاضرا في كلية التجارة في جامعة دمشق لمدة سبعة أعوام . ومن بعد ذلك ذهب الى بيروت واسس لنفسه مكتبا تجاريا مستقلا ، وكان يحضر في نفس الوقت الى دمشق يومين في كل اسبوع ليوجه عملنا التجاري ويشرف عليه ويلقي محاضراته في جامعة دمشق ويؤنس الاهل بوجوده . وكان في الوقت عينه استاذا محاضرا في الجامعة الاميركية في بيروت وبقي كذلك حتى عام ١٩٨٣ حيث عاد الى دمشق واشترى منزلا وأرضا زراعية وأصبح يدير من دمشق أعمال مكتبه في بيروت ، ونحمد الله اذ أسعدنا بوجوده وأسعده بالقرب منا رغم الاضرار التي أصابت عمله نتيجة الاحداث في لبنان والركود في السودان .

وحصل ابن شقيقي الدكتور موفق على الدكتوراه في الولايات المتحدة ، ونال اخواه رفيق وطارق شهادات عالية منها ايضا ، في حين حصل سليم على الدكتوراه في الاقتصاد الزراعي ، وقد عمل مع الدكتور موفق كمحاضر في جامعتي دمشق وعمان . وكذلك كان شأن ولدي غسان فقد نال شهادة بكالوريوس في العلوم السياسية من الجامعة الاميركية وحصل اخوه محمد على شهادة البكالوريا ، وصار الكل يعملون معنا في محلاتنا ومزارعنا وما يزالون .

ومنذ عودة اولادنا تباعا من دراستهم في البلاد المتقدمة كنا نتمحس وضعنا ووضعهم في المحل ، ووجدنا ان نوعية نشاط مؤسستنا التجارية وطبيعتها قد تقلصت تقلصا كبيرا وذلك لاكثر من سبب . فمن الاسباب اننا كنا نتبع التركيز في توجيه عملنا اذ كنا دائما وفي كل الاوقات نفكر ونعمل للتصدير ونتجنب الاستيراد ما أمكن . كما اننا كنا لا نرغب في الدخول في مجالات العمل الجديدة التي كانت تتوفر في القطر ، ولذلك قررنا عن وعي وادراك ومعرفة اننا سنكتفي بالمجالات التي دأبنا على العمل فيها منذ البداية ، وكنا دائما نسعى لان نبقي غير خجولين بل فخورين بما نعمل ولا نعتدر عنه ، واكثر من ذلك ، فرغم كثرة أصدقائنا المحبين على المستوى الرسمي وضعنا نصب اعيننا واعين اولادنا اننا لا نتوسط لدى اي من اخواتنا وأصدقائنا في أي عمل يعود علينا بالنفع الخاص ولا نطلب أي استثناء لعملية معينة تقوم بها مهما كانت ، كما اننا نحاول ان لا نخالف أو نتجاوز القرارات والانظمة حتى لا نضطر ان نغطي أخطاءنا .

ان اهم نقطة في بلدنا الصغير هي ان لا شيء يحصل دون ان يعلم به كل من هو مهتم او متأثر . ولذلك نحمد الله اذ ان اعمالنا التي كانت ولا زالت تحت المجهر لم تتعرض لأي شائعة مخالفة او تجاوز وقد يقال اننا كنا متقاعسين بعض الشيء مع اننا نملك الجهاز والقدرة والمعرفة وكان يتوجب علينا ان نعطي اولادنا الفرصة الاكبر لتحقيق أهدافهم واستعمال طاقاتهم . وقد كان ذلك باختيارهم وتربيتهم هم لا نتيجة ضغط منا .

المهم ان تناقص نشاطنا النابع منا ذاتياً والنابع كذلك من تقلص حجم العمل بأعمالنا التقليدية قد اعطى نتائج غير مرضية وغير كافية لاعالة هذا العدد الكبير من الاولاد واعطائهم الفرصة لعيش كريم ومحترم . اضافة لذلك فاننا لا اخفي باننا تركنا لهم عبئاً اجتماعياً كبيراً نتيجة الاسم الرموق الذي نتمتع به .

ولذلك فلقد تركنا عملنا التجاري وانسحب من المكتب اخي شفيق وأنا وبالتالي فان هذا المحل قد اصبح الآن لابن اخي الدكتور موفق وولدي محمد ومروان وهناك تعاون بينهم وبين ولدي الدكتور راتب . اما ولدي الدكتور سليم فلقد اختص بالزراعة والزبداني اضافة الى بعض اعمال تجارية اخرى يقوم بها مستقلاً وبالتعاون مع عمه الاستاذ انور وابن عمه الاخ نبيل السلاح . والاستاذ رفيق افتتح مكتباً مستقلاً للاستشارات واستيراد المواد الزراعية قرب فندق الشام ، اما السيد طارق فلقد فتح مكتباً للسياحة والسفر في شارع الفردوس وهو الآن عضو في مجلس ادارة جمعية السياحة والطيران . واخيراً فان ولدي غسان السلاح يتعاون مع بعض الشركات الاجنبية العاملة في دمشق . ثم اننا لم نكتف بان انسحبنا كلياً من العمل التجاري ولم يعد لنا اي علاقة مادية به او معه ، بل اننا منذ عشر سنوات تقريباً وزعنا اننا واخي شفيق كل ما لدينا على الاولاد وكل واحد منهم الآن يملك ويتصرف بشكل مستقل وشخصي وان هذا التوزيع كان هبة دفعنا عنها الضريبة المالية .

وما نزال نحفظ ببعض الايرادات الزراعية لتغطية نفقاتنا ومصاريفنا . ومن نعم الله عز وجل علينا ان اولادنا قد شبّوا على الصلاح والسمعة الحسنة وهم رغم تملكهم واستقلاليتهم لا زالوا يستشيروننا في الرأي بما هم مقبلون او عازمون عليه .

ندعو لهم دائماً بالتوفيق والنجاح المبنيين على توازن لا يسمح لهم ابداً بان يحققوا اي نجاح او أي ربح على حساب ضرر الآخرين أو ضرر هذا الوطن الغالي العزيز .

حسن الختام ان شاء الله

لقد اكرمني الله بهذه الاسرة وصار يتحتم عليّ ان اسجل ما اوصيت به اولادي واولادهم وكل اسرتي ليكون الناس شهداء عليهم وليفعل الناس ما فعلته في صدد وصية العابد التي سبق ذكرها قبل قليل ، لان السهر على تنفيذ ارادة من يسبقون الى رحمة ربهم واجب في عنق الباقيين حتى يستمر المعروف وتترابط ارادة السلف والخلف . وهاكم وصيتي اللتين كتبتهما في هذا الصدد .

وصيتي المعنوية الاولى في ١٩٦٣/١٢/٢

والدتي الحنونة ، زوجتي الحبيبة ، شقيقي شفيق ، اشقائي محمد وانور ورشاد ، شقيقتي زكية ، اولادي الاعزاء ، اصهاري الغالين ، أبناء شقيقي شفيق .

كنت ادعو وانا في اول عمري ان يقويني الله تعالى على القيام بواجبي نحو والديّ لآكسب رضاهما ولاتمكن من ان اعيش عيشة هنيئة غير متعبة بالنسبة لي ولاولادي ، وارجو الله ان اكون قمت بالواجب خير قيام وهذا ما اتمناه .

أخي شفيق اطال الله عمرك انك كنت في حياتي تمثلني خير تمثيل لانني كنت اعتبر اننا روح واحدة وتفكير واحد ومبدأ واحد ولكننا جسمان منفصلان ، لذلك فانني اعتبر نفسي كأنني لم امت على الرغم من انني مسرور باليوم الذي الاقي فيه وجه ربي وانا مرتاح الضمير ، ولا بد ان يجعل تلك الساعة ساعة رحمة وعفو وغفران . لذلك فانت الوصي والناظر لتنفيذ وصيتي المحررة والمؤرخة في ١٩٦٣/١٢/٢ بالحرف الواحد وان تقرا هذه الوصية المعنوية والوصية المادية المذكور تاريخها اعلاه قبل نقلي من هذه الدار الغائية الى الدار الآخرة .

والدتي الحنونة الغالية : إياك والحزن فهذا أمر الله لا مرد له وارجو الا تقطعي الدعاء لي بعد كل صلاة ، وأن تأخذي من أخي شفيق جميع ما يخصك من الأيراد بحسب نصيبك الشرعي وتصرفيه على راحتك ولوازمك وأعمال البر والاحسان ، وان تتنازلي عن كامل حصتك الى اولادي فقط وتتمتعي بالريع كما ذكرت ، وهذا اذا قبلتني بالرجاء مني ائلبك الله ، واذا لم تقبلني فهو حقك بكامله . وارجو ان تسامحيني عن كل ما بدرمني من قصور لانني مهما قدمت فاني لم اتمكن من وفائك حقك .

زوجتي الحبيبة ام راتب : اولا ارجوك ان تسامحيني اذا كان قد حصل بعض الاختلاف بوجهات النظر في حياتنا الزوجية والتي لم تصدر ان كان مني او منك الا لما فيه المصلحة الزوجية ، والله وحده يعلم مقدار حبي لك الذي ما كنت اظهر لك منه الا الجزء القليل خوفا من ان تنساقني مع نفسك وكان ذلك تقديرا مني على حسن معاملتك لوالدتي ووالدي ولكافة افراد عائلتي واولادك ، جزاك الله عني كل خير .

والآن رجائي بعدم رفع اي صوت عليّ بل تقبلي ذلك بكل صبر ، وهذه سنة الله في خلقه . ولا تدعي احدا من بناتك واولادك يرفع صوته واعلمي ان أخي شفيق هو الوصي والذي يفرضه هو الحق والعدل وعليكم جميعا قبوله بدون اي مراجعة .

اولادي راتب ونجاح ودلال وسليم ورجاء ورمزية ومحمد وغسان ، الله يرضى عليكم ويعافيكم من كل بلاء : أعتبر نفسي انني اترك هذه الدار الفانية وذاهب للدار الآخرة وانا مرتاح الضمير تجاهكم وأظن اني قمت بواجبي نحوكم ، واذا حصل قصور فأرجو ان تسامحوني . ووصيتي لكم الآن هي الايمان بالله الايمان الحقيقي والتخلق بالاخلاق المحمدية والمثابرة على الصلاة ومعاشرة بعضكم معاشرة تسامح ومحبة واخلاص . واعلموا انكم وابناء عمومكم اخوة لا فرق بين أخ وأخيه وبين أخ وابن عم، واعلموا ان كثيرا من الاملاك والاراضي والاسهم مسجلة على أسماء بعضكم ومسجل بالدفاتر والبعض الآخر غير مسجل باسمه شيء كون الذي لم يسجل لهم كانوا غير بالفين ولا يمكن تسجيل شيء بأسمائهم لذلك فعمكم أبو موفق هو الذي يضع سعرا لكافة ما اتركه لكم وهو الذي يعطي لكل ذي حق حقه ، وعليكم قبول كل ما يفرضه عليكم . ويوجد بعض اشياء طفيفة مسجلة باسمي والحقيقة هي مناصفة بيني وبينه والذي اريده ان تعطى كل البنات حصتهن من الارث ليتصرفن بها على الشكل الذي يردنه واذا طلع لهن حصة بالاراضي فهذه الحصص تسجل بالطابو بأسمائهن وتبقى ادارة الاراضي ادارة واحدة وبعد تنزيل المصروف بأخر العام وتنزيل حصة تعادل 10٪ على الاقل الى الذي يشرف على الادارة ويوزع الباقي من الايراد على المالكين كل بنسبة حصته . والسبب في ذلك اذا بقيت الادارة واحدة والوكيل والخولي والدائرة والمصروف بيد واحدة اوفق من ان كل بنت تستلم حصتها وتديرها وبذلك لا يمكن لها الاستفادة من الايراد بشيء بل على العكس لربما لا يكفي الايراد للمصروف . وعليكم ان لا تقطعوا

زيارة بعضكم وخصوصا الذكور منكم وعلى الاخص كل هذا مسؤول عنه الاخ الاكبر وهو راتب الذي يفرض عليه الواجب ان يكون والدا لكم وان تكونوا جميعا اولادا له واني مطمئن بانه سيكون عند حسن الظن واحسن مما اعهد به من اخلاص ومحبة وجمع الشمل .

واخيرا اوصيك يا راتب ويا سليم ويا محمد وغسان ان تكونوا يدا واحدة مع ابناء عمكم شفيق اولاد ومع ابناء عمومكم جميعا ثانيا وان لا تتركوا البنات اللواتي ما تزوجن وتعطفوا عليهن عطف الاب الحنون والله اسأل ان يوفقكم جميعا ويرضى عليكم .

اولادي موفق ورفيق وطارق ونعمت واميرة وغادة : اوصيكم بما اوصيت به اعلاه ابناء عمكم بالحرف الواحد وما كان عندي فرق بين واحد منكم وبين واحد من ابنائى اطلب من الله ان يرضى عليكم .

زوجة شقيقي ام موفق ارجوك ان تسامحيني اذا كان حصل مني شيء يوما من الايام ازعجك ولم اكن اقصد من كل الشدة التي استعملتها معك الا لمصلحتك ومصلحة اولادك ومصلحة العائلة ولولا ذلك لما نظرت هذه النتائج التي وصلت اليها ووصل اليها عموم افراد هذه العائلة من محبة وإلفة وراحة وهناء وعلم ، لذلك فاني ارجع واكرر ان تسامحيني .

اخواني محمد وانور ورشاد ، اودعكم الله وارجو لكم التوفيق واطلب منكم ان تسامحوني وثقوا انه ما خطر في بالي يوما من الايام وانا صغير وانتم في المدارس ان تكون فرقة بيننا وبينكم ، امر الله نفذ وحصل الانفصال عن بعضنا بالاعمال ولكن لم يحصل اي انفصال اخوي بل على العكس زاد عما هو عليه وكان لا فرق بين واحد منكم وبين ابي موفق الا العمل والمصلحة . لذلك ارجوكم واكرر رجائي بأن تسامحوني خصوصا وانكم تركتم لي والى ابي موفق صرف وصية والدكم وارجو الله ان نكون قمنا بذلك خير قيام .

شقيقتي ام توفيق اودعك الله وارجو لك الصحة والعافية وان يديمك فوق راس الاولاد جميعا وارجو الله ان يوفقهم في هذه الحياة وان يجعلهم من السعداء وان يكونوا كلهم اطوع لك ، والحقيقة ان الله انعم علينا نعمة لا تقدر فيك لانه قليل من امثالك

فأرجو منك أن تسامحيني وتطلبي من صهري العزيز أبي توفيق أن يسامحني وأرجو الله أن يعافيه .

اصهاري الاعزاء : اوصيكم خير وصية في البنات واحمدوا ربكم على نصيبكم بهم وانني لم اذكر ذلك لانهن بناتي بل لانهن خير الزوجات في عصرنا هذا من ناحية الدين والقناعة والاطاعة لكم . واني كنت بحكم وضعي الاجتماعي مطلعا على كثير من الحياة الزوجية في بلدنا ولكن قلّ أن يوجد بنات يتحلين بالصفات المطلوبة للزوج مثلهن وأرجو أن لا تقبلوا منهن اي عذر اذا اظهرن الحزن بل حزنهن ان يتذكرني بقراءة شيء من القرآن اذا توفر لهن وقت ، وأرجوكم أن يقبلوا كل ما يفرضه اخي شفيق وولدي راتب بخصوص قسمة التركة ، والطريق الذي يسلكونه هو الطريق الحق الصحيح المنصف ، والله اسأل ان يديمكم على رأس الاولاد .

ان اغراض المنزل عمومه ان كان في المصيف أم في الدار أم في القرية فهي ملك خاص الى زوجتي أرجو ان لا يأخذ أحد منها شيئا الا والدتي فاذا رغبت شيئا فهو لها .
واخيرا أقول الى أولادي الاعزاء :

كنت أدعو الله وانتم اطفال ان يمد في عمري حتى أراكم جميعا قادرين على العمل وكسب العيش ، متمتعين بالفنى عن الناس ، مكرسين الوقت الأكبر لخدمة المجتمع بجميع نواحيه وقضيت حياتي كلها في الكفاح وكسب المال الحلال لانفقه على تعاليمكم ليقوم كل منكم على رأس عمل ناجح ينظر اليه الآخرون بلا حسد . ان ما تركته في صدوركم من العلم وفي رؤوسكم من الاخلاق هو الثروة التي اوصيكم بها وليست الثروة المادية التي ستكون قليلة بعد توزيعها بينكم ، فهي الاساس وثروة العلم والاخلاق اثنان من مال الدنيا اذا صينت وحفظت ولم يستهتر بها أصحابها . على اني وأنا اغادركم الى دنيا جديدة لا رجعة منها اوصيكم ان تبرّوا أمكم وان تجعلوا منزلتها فوق كل منزلة وهي الجديرة بالتقدير لانها كانت السبب الاول في نجاح تربيتم ولانها كانت المضحية براحتها في سبيلكم وليكن كل فرد منكم جلودا على الحياة باسماء في حالتي غضبه ورضاه ، بشوشا في فقره وغناه ، وسطا في بؤسه وسعادته ، لا يخفض رأسه ذلاً ولا يمشي في الارض مرحا في السعادة ، فتلك هي الرجولة التي يستحق صاحبها الحياة ، وان صبر المرء على نفسه خير من صبر الناس عليه فليصبر كل

منكم ويتجلد للشدائد ، ويتغاض عن الهنات فنهاية الصبر النصر ونهاية الغضب الغسل ، وليكن نل منكم في حالات قوته وضممه مثلاً في الله بنمسه . ان القوي ينفذ على نفسه ويحسب ألف حساب لكل خطوة خشيعة ان يضطرب فتتزلق قدمه ويدق عنقه بسبب تافه او قليل . اما الضعيف فقد يصل به ضعفه الى اليأس واليأس يولد الشجاعة ويقضي على الخوف ويستبعد الجبن فلا يقيم وزناً لاحتمالات المشغل ، ومن هنا تبدأ نقطة انطلاق الضعيف وتراجع القوي فلا يرهب احدكم من الضعف ولا يفتر بالقوة ، واذا آمن بنفسه وبربه فقد ضمن السلامة وفتحت له الابواب واحبه الناس .

واوصيكم وصية ثانية بعمكم شفيق لكي تعتبروه والدا حقيقيا لكم وتمشوا تحت لوائه وبحسب مشورته لانكم مهما علمتم عنه فانكم لا تعلمون شيء لانه رجل مسالم متكلم على الله حق الاتكال متصل بربه حق الاتصال مسامح مع كل الناس وله مقام عظيم عند ربه .

وبعد فاذا الباربي اراد وإطال عمري لاكمل كتاب حياتي الذي باشرت به ولم أتمكن من اتمامه لأن لعدم وجود فراغ في اوقاتي ، فأرجو الله أن يمكنني من اتمامه واني أوصيكم بقراءته لانه يحوي كثيرا من النصيح والارشاد وينير الطريق أمامكم في كيفية الوصول الى المكانة المرموقة ، واذا لم أتمكن من اتمامه وكانت المنية عاجلتني فهناك جزء من هذا لكتاب محرر على ورق وموجود ضمن ملف فيه كثير من أشياء مرادي اضافتها للكتاب وقسم كبير من التحارير المرسله لكم يمكنكم جمعها وتصنيفها .

وأخيرا أرجو لكم حياة حلوة غمر الله دنياكم بالرضا والسعادة وغمر آخرتي بالفقران والرضوان والسلام عليكم .

في ٢٠ كانون الاول عام ١٩٦٣

بندر الدين الشلاح

طالب العفو والفران من المولى الكريم

حاشية : وبعد ان اخذ الاصلاح الزراعي احسن الاراضي ويبيع القسم الآخر اصبح من اللازم اجراء الافراز والتخصص لكل الارض وعدم بقائها بدون افراز حتى يتمكن كل وارث من التصرف بالشكل الذي يرثاه والسلام .

في ١٩ كانون الاول ١٩٦٨

حاشية ثانية :

بعد ان جربت تسليم العمل الزراعي الى اكثر الاولاد ومنهم اولاد رفيق ثم موفق ثم محمد ثم غسان رايت من العسير انسجامهم مع الارض لذلك اصبح من الضروري الافراز والتخصص بشرط ان لا يكون في اي محضر شريكان بل كل محضر للمالك واحد حتى الحوش وحتى الورشة والموتورات وبعد الاختصاص كل واحد يتصرف كيف يشاء .

في ٢ تشرين الاول ١٩٧٨

وصيتي المعنوية الثانية في ١٧/٢/١٩٨٥

زوجتي الحبيبة ، ابنائي وبناتي وازواجهم :

قبلاتي لوجناتكم جميعا وبعد ، اكتب هذا لربما تكون هذه آخر كتابة اليكم جميعا كوصية اوصيكم به . ا . تعلمون بانني قد عملت قسمة بيني وبين عمكم شفيق الحاج ابي موفق الذي عشت معه هذا العمر الطويل ولا احد منكم ولا من ابناء عمكم ولا والدتكم ولا والدتهم يعلم ماذا بيني وبينه . ثم ان القسمة التي اختص كل منا بها لم تعرض عليكم والقصد من ذلك حتى بعد مغادرتنا هذه الدنيا الغاية لا تكون علاقة قسمة بينكم وبين ابناء عمكم ، ومن ثم فقد كانت نتيجة القسمة ان خصصت ابنائي وابناء شقيقتي وبحسب النصاب الشرعي وبعد التخمين الواقعي لكل عقار وكل قطعة ارض وعلنا جداول اختصاص وقعننا عليها ووقعتم عليه انتم جميعا . ولما كان يوجد تسجيل ملكية باسما افراد منكم لم تكن هذه الملكية تخصهم بعد القسمة ، فقد احضرنا كاتب العدل الى الدار وعلنا تنازلات بكل عقار اصبح للغير ، مع العلم انني لم اخصص لوالدتك اي شيء باعتبار انكم ابناؤها ، وهي كذلك ستفاد هذه الدنيا الغاية ويعود

لكم ما كان يصيبها من الارث . وانا على يقين بانها لا ترغب بان يسجل لها شيء ثم يعود لكم بعد وفاتها ، وانا وهي مطمئنان تمام الاطمئنان بانه لا يمنع عنها شيء تطلبه بل على العكس سيكون منكم العرض عليها بما يلزمها وما لا يلزمها .

واعود الآن لايضاح الغاية من هذه الوصية فأقول : بان المحل التجاري الذي لا يزال باسم بدر الدين وشفيق الشلاح اصبح مسجلا في السجل التجاري وفي المحكمة باسم موفق وسليم الشلاح ، وهو هائد لهما بشراكة الدكتور راتب ومحمد مروان الشلاح بكافة موجوداته وشهرته وفروغه ، وحصتي من الراسمال هي الى راتب وسليم وغسان ومحمد مروان ، واما نجاح ودلال ورمزية فلهن أموال نقدية مسجلة لهن بالدفاتر ذمة ومنذ ثلاث سنين تدفع لهن أرباح عن هذا الراسمال .

غير انه بعد القسمة كانت بقيت بعض قطع من الارض بالعدل ولم توزع . كذلك دفعت قيمة عقارين عائدين الى المرحومة بشيرة العوا ، وقد عملت بها تنازلات الى البعض منكم وقد تم قيد القيمة عليهم . كما انني بعث من حصة محمد مروان وقد قيدت له قيمتها وقيدت عليه قيمة ما تنازلت عنه له . وان القطعة الموصوفة بالمحضر / ٢٧١ / من العدل قد تنازلت عنها الى الدكتور راتب بدون قيمة للاضرار التي تحملها وحده في بيروت لزم اعلامكم . والان اوصيكم بما يأتي :

ان لا تتغير الاجراءات التي اتهمتها برضائي واختياري ، وانا واثق بانه سوف لا يحصل اي خلاف بينكم لان اجراءاتي كانت عادلة وواثق ايضا من اصهاري وعلى رأسهم عميدهم الذي هو من دمننا ولحمننا الحاج توفيق سكر ابو زياد بانهم سوف يكون موقف الرضاء والدعاء .

فقط هناك نقدية مسجلة بالدفتري الخاص والعاثد لي ومسجل به ما علي وما الي ، تسدد الذمم التي علي من الموجود واذا بقي شيء يقسم بينكم حسب الشرع حصتين للدكور مقابل حصة للاناث .

اعود واوصيكم بأبناء عمكم شفيق ، وان تكونوا كالاخوة كما كنت مع اخي شفيق بحال حياتي ، ولا احد يعلم من هو الذي يسبق الآخر وهل تكون منيستي قبله ام منيسته قبلي فاذا كتلت منيسته قبلي فساكون مع اولاده كاب بمعنى خادم وناصح

ومخلص ، وكونوا على يقين تام بأنه طيبٌ وأطيب أخ موجود في الزمن الطويل الذي عشته معه . وعليكم أن تقدروه بعدي كأب واثني موجود ، وأنا على علم بأنكم لا تحتاجون لمثل هذه الوصية لانكم في حال وجودي اعرف تماما محبتكم وتقديركم واحترامكم له .

اعود لوصية اخرى ، اوصيكم بأخيكم راتب الذي سيكون بمقام والدكم وليس فقط بمثابة اخ كبير ، وعلى الرغم من طيبتكم جميع ذكورا وانانا فانه اطيب ما وجدت في حياتي من ابناء واخوة فهو اثر على نفسه طيلة حياتي فقد قدم لي اكثر مما يطلب الوالد من ولده مع علمي ويقيني في حال وجودي كنتم كلكم ذكورا وانانا واصهارا وابناء عم تقدرون محبته لكم وتفانيه في خدمتكم وليس لكم فقط بل لكل من عرفه وعاشره .

ومرة اخرى اوصيكم بوالدتكم ، وان لا يخرج احد منكم من الدار قبل زيارته لها وسؤالها عما تريد وترغب ، واياكم ان تتأخروا او تنسوا اي غرض تطلبه الا وان يكون عندها في ذات اليوم ، وان تجعلوا مكائنها عالية واطاعتها اطاعة عمياء مع انها هي التي ترغب بان تقدم لكم روحها ولا ترغب بازعاج احدكم باي طلب ولا ترغب بتكليفكم بشيء وهي فنوعة لا تحب الدنيا ولا تحب المال ، فعندما كانت تأخذ الشهرية كانت تأخذها لتصدق بها وتوزعها على الفقراء وعمل الخير ولم يبق في زماننا مثلها من النساء .

اغراض الدار لا احد يأخذ منها حتى ولا ابرة او دبوسا الا اذا توفاهها الله فلتكن القسمة بمعرفة راتب والذي يرغب الذكور يأخذونه أولا واما المصاغ فهو راسا الى البنات ، واما المكتبة فاحفظوها عند واحد منكم لتكون ذكرى الى ذرية الذرية .

واما الصور والاقسمة والسيوف فيلزم حفظها عند الدكتور راتب لان هذا تراث ويلزم ان يكون محفوظا ، واما الشطرنج فهو للدكتور راتب خاصة .

أرجع الى والدتكم ، لا تتركوها صباحا ولا مساء حتى لا تندموا مثلما ندمت انا بعد وفاة المرحومة والدتي رحمها الله ، فلقد عشت بعدها كل الوقت معذب الضمير ليل نهارا لانني ما فرشت لها الدار التي سكنتها بالبناية ، كان الواجب يقضي بان افرشها لها من جديد واعيد لها ذكراها وكالتها عروس حتى تعوض ما مضى عليها من زعل

عندما بلغها طلاق والدي لها بعد وفاته ، ولكن الندم لا ينفع بعد فوات الاوان ، رحمها الله
وتفمدها برحمته واسكنها فسيح جناته مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن رفيقا وانا لله وانا اليه راجعون .

لا تتركوا شخصا من الذين تعرفوهم سبق ان تعامل معنا او ممن اشتغلوا عندنا
او زاملونا ان كان في سورية او في خارجها الا وتطلبوا منهم ان يسامحونا ، واذا وجدتم
اي احد له ظلامة علينا اكرموه بما يرضيه .

هذه الوصية هي متممة لوصايا سابقة جميعها سارية المفعول ، اقرؤوها ان كانت
مكتوبة وانسخوها للجميع ، واسمعوها ان كانت مسجلة ووزعوا التسجيل على الجميع ،
وايضا وزعوا من الصور التذكارية ومن الافلام ، اعملوا للجميع نسخا ثانية .

واذا المنيّة سبقت انهاء صدور كتابي اوصيك يا راتب بتكليف كاتب اديب ان
يخرجه ويطبعه ، وكلفته اخصمها من اصل الموجود من الدراهم .

اوصيكم جميع بالمدأومة على الصلاة ، الله يرضى عليكم ولا تتركوا فرصة بين الحين
والآخر من صلاة الفجر في مسجد الشيخ محي الدين العربي رحمه الله وأن تقرؤوا
الفاتحة يوميا وتهبوا الى ارواح جميع المسلمين واكموهم كعادتي التي تعرفونها
الله يرضى عليكم .

دمشق في ١٧/٢/١٩٨٥

* * *

مقابلة على التلفزيون وكلمة القيتها

بمناسبة عيد الاضحى المبارك

وفي عيد الاضحى من عام ١٤٠٨ الموافق ليوم الجمعة ٢٢ تموز ١٩٨٨ زارني وفد من التلفزيون العربي السوري مع المحامي الاستاذ نجاة قصاب حسن وأجرى معي حديثا يكون فيه اطلاق للجيل الحاضر على أفكار رجل من الجيل الماضي ، وبعد الحديث الذي أذيع اثناء العيد من تلفزيون دمشق القيت الكلمة التالية :

اخواني واخواتي وانائي وبناتي واحفادي جميعا ...

من عاداتنا القديمة وهي عادات حميدة ، أن الناس يزور بعضهم بعضا في الاعياد من اجل صلة الرحم ومؤانسة الجار وتفقد احوال القريب والبعيد .

وهذه العادة بدأت تخف مع الاسف فيذهب الناس الى السيارات وينطوون على انفسهم . لا يا اخواني .. ابقوا هذه العادة القديمة الحميدة وقورها ولنقم بزيارة اخواننا واقاربنا وجيراننا في الاعياد ، خاصة وان توسع المدينة يبعد العائلات فصار القريب لا يرى قريبه الا في المناسبات .

ارجوكم لنترجع الى عادة الزيارة ولا سيما في العيد ، وطبعاً مع الزيارة تفقد احوال الضعيف وجبر خاطر ، ولا سيما للرحم .

حديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال :

« من ضمن لي اثنتين ضمننت له الجنة .. بر الوالدين وصلة الرحم » .

وانا احبكم جميعا ، وكما أنني الآن في عيونكم انتم في عيوني وقلبي ، فأرجو منكم ان تعذروني اذا لم أزر كل واحد على حدة .

وشكرا للتلفزيون العربي السوري على انه اتاح لي فرصة معايدتكم جميعا واحسبها زيارة ، وأهلا بكم اذا شئتم ان تردوها ولكم الفضل .

وعندنا عادات حميدة اخرى في العيد ، وهي زيارة قبور الاحباء والاقرباء ، كنا ولا نزال نذهب مع اولادنا واحفادنا ونضع عرفقا اخضر وزهرة على قبورهم . هذه

العادة يا اخواني تؤنس الحي وتشعره بأنه ذات يوم عند حلول الاجل لن يكون منسيا . فأرجوكم حافظوا على العادات الطيبة القديمة التي تركها لنا السلف . فانها من حكمة مئات السنين .

وكلمة اخيرة ، حافظوا على الكلمة الحلوة ، فهي مثل الهدية الغالية ولا تستحوا من اهداء أي شيء ولو بسيط .

قال سيدنا علي رضي الله عنه :

« لا تستح من اعطاء القليل ، فان الحرمان اقل منه » .

وفي الاعياد يفرح الكبار والصغار ، ويستبدلون الالبسة القديمة باللبسة جديدة فرحا بالعيد .

اما انا العبد الفقير الى الله تعالى ، فقد أصبح لبسي في العيد وغيره سواء . وكما تنظرونني الآن البس صيفا الالبسة البيضاء والكرافات الحمراء واضع الوردة الحمراء . وليس كما يقول البعض ، ان اباراتب (مشبشب حاله) وعلى العكس فأنني أحمل بطاقة سفر وانتظر حضور القطار .

لذلك فأنني حاضر للسفر حتى اذا حضر القطار ركبت راسا الى غير عودة وأكون بين يدي رب العالمين الذي يراني لابسا البسة الافراح ، يراني وأنا كلتي شكر لله تعالى ويأمر بادخالي الجنة . هذا ما يجعلني أن اكون جاهزا لهذا اللقاء .

واخيرا أرجوكم المعذرة . دامت عليكم جميعا نعمة الايمان والصحة والرضاء . وكل عام وانتم وجميع المخلوقات بخير .

الجمعة في ٩ ذي الحجة ١٩٠٨ الموافق لـ ٢٢ تموز ١٩٨٨ .

الكتاب الثاني

الرسائل والرحلات

الفصل الحادي عشر

رسائل إلى أولادنا ومنهم

مقدمة

رَبِّ انْسانَ يَعْتَقِدُ انَّ الرِّسائِلَ العائِليَّةَ ولا سِما المَوْجِهةَ الى الوِلاَدِ امرٌ يَخْصُ العائِلةَ وحِدها . ولكِنِّني اَعْتَقِدُ انَّ هذِهِ الرِّسائِلَ فِئها صُورٌ لِلامورِ الآتِيةِ :

١ - سِيرُ الزِمانِ وما يرافِقهُ من اَحْداثٍ يَجْري التعلِيقُ عَلِئها فِئ وِقتِها وبصُورةٍ عَرْضِيةٍ (وِقد رَتبْتها حَسَبَ الزِمانِ) فِئها ذِاتٌ دِلالَةٌ مَفِيدةٌ ، لا سِما وانْها مَتناثِرةٌ عَلى نَحوِ ثَمانيَّةِ عِشرِ عَاما من اَسْرَعِ الاعْوامِ فِئ التَبَدِلاتِ والتَفْيرِاتِ من كِلا نِوعٍ ، وفِئها ذِكرٌ لِحوادثٍ كَثِيرةٍ سِئناسِها مَعَ الزِمانِ ، ولاشْخاصٍ كَثِيرِينَ من المَعروفِينَ الذِينَ تَرْتبِطُ مَعَهُم بِروابطِ الصِّداقةِ او المَعْرِفةِ .

٢ - وِجِهاً نَظَرَ انْسانَ من جِليي فِئ تَرْبِيةِ اولادِهِ ، كما انَّ فِئها تَوْجِيةً نَحوِ حَفْظِ المراسِلاتِ فِلاولا ذِلكَ لَدَهَبَتْ كِلاها وهِئ قِطْعٌ من الحِياةِ . . .

٣ - المِصاعِبُ الَّتِئ تَكْتَنِفُ تَرْبِيةَ الوِلاَدِ من حِثِّ تَأْمِينِ دِراسَتِهِمِ والِانْفاقِ عَلِئهِمِ اذا كانوا بَعَدَدُ كَبِيرٍ (ما شاءَ اللهُ) ومن حِثِّ ضَمانِ التَوْجِيةِ الاخْلاقيِّ السِّليمِ فِئ زِمانٍ مَتغِيرِ سَريعِ الرِكْضِ باِلبِغِ الصِّعوبةِ . وِقد اَخْتَرْتُ عَدداً بَسِطاً من هذِهِ الرِّسائِلِ يَعْتَبَرُ نِموذِجاً لِفِئها وهِئ كَثِيرةٌ .

٤ - اُمورٌ زِواجِهمِ والمَوْقفِ الوِسطِ بَينَ النِّصِيحةِ والحِريةِ ، وكذِلكَ اُمورٌ اخْتِيارِ الاخْتِصاصِ والِعَمَلِ فِئ المِستَقْبَلِ ، ولا تَخْلُو هذِهِ الرِّسائِلُ لِمَن يَقرأها جِملَةً وتَباعاً بَعَدَ عِشْراتِ السِّنِّينَ من اَن يَجِدَ فِئها تَكراراً والحاحاً ، ولكِنِّني اَثَرْتُ انَّ اَتْرَكْها كما هِئ لِتَبقى لَها دِلالَتُها وحِرارَتُها . ثم انَّ الحاحي عَلى مِسالَةِ الانْفاقِ وصِّعوبةِ تَدبِيرِ المِمالِ لَم تَكُنْ لا من قَبِيلِ التَذْمِرِ ولا من قَبِيلِ المِنِّ ، وانما نَحْنُ تِجارٌ ومِزارِعونٌ وِلِيسَ فِئ عِقلِنا ما هُوَ اكْبَرُ من الوِقتِ والمِمالِ اِلا الاخْلاقُ .

بِسْمِ الدِّينِ الشِّلاحِ

دمشق ١٩٥٢/١٠/١٢

الاقتصاد في النفقة

قلبه مع ولده

معرفته بالرجال

ولدي راتب الشلاح وفقه الله آمين بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

وصلتني رسالتك ذات الرقم ٥/٣ كما استلمت برقيتك وقد أخبرتني فيهما عن وصولك سالما عن طريق طريق فاطمان قلبي وحمدت الله سبحانه وتعالى على ذلك .

تحدثت في رسالتك عن زيارتك للسفير السوري الاستاذ فائز بك الخوري ، وذكرت حفاوته بك وموانسته لك كما تحدثت عن أخلاقه الحسنة . وهنا أقول لك أنك لا بد تذكر حديثنا الذي دار حول هذا الرجل ، وتذكر الكلمات الطيبة التي وصفناه بها . ان فائز بك والحق يقال صاحب خلق نبيل ، وصرت احس احساسا ملحا بوجود الكتابة اليه لاشكره على حسن استقباله لك .

ولدي الحبيب ، سمعت في نشرات الاخبار انه حصل صدام في القطارات البريطانية يوم الاربعاء الماضي أي في اليوم الذي غادرت فيه لندن كما هو مفهوم من رسالتك الموجودة لدي ، وهذا ما جعلني اهتم بالنبأ فانشغلت افكاري وبقيت اتتبع الاخبار طوال يومين كاملين دون ان يطمن قلبي وهذا ما جعلني أوجه برقية الى موفق أسأله فيها عن صحتك ، وقد أجبني في حينه أنك بخير والحمد لله ، فاطمان القلب وهدأت الخواطر . وقد استغرب موفق سؤالي عن صحتك ، فها أنا قد بينت لك السبب ، وسوف أكتب الي موفق لأبين له السبب أيضا . وأقول لك تعليقا على ما مر : كان الله بعون الآباء على ما يلاقون من مشقات ويتحملون من متاعب حتى يكبر اولادهم ويصبحوا شبابا نافعين لانفسهم ولعائلتهم ووطنهم . ولا يسعني وأنا اخط رسالتك هذه اليك الا أن أوصيك بضرورة الاقتصاد في النفقة قدر الامكان ، فالدراهم لها قيمتها ويصعب الحصول عليها احيانا كثيرة ولا سيما في هذه الفترة التي نمر بها . . . ان كسب المال من طرق الحلال يحتاج الى مشقة وجهد كما يحتاج الى مركز ممتاز وسمعة طيبة بين الناس . ويجب عليك الا تعتبر أنك وصلت الى مرحلة الكمال فالانسان مهما درس ومهما تعلم من الحياة والناس يبقى أمامه أشياء كثيرة يحتاج الى

ان يلم بها ويستفيد منها . لذلك فانا اذكرك بوجوب الرجوع الى رسائلي السابقة ونصائحي الموجهة اليك ، واني على ثقة من انك تعرف جيدا انني لا اشك بحسن تصرفك بالنسبة للنفقة والدليل على ذلك انني لم أسألك في العام الماضي عن كيفية انفاق المبالغ المرسلة اليك ، فلا تظن انني انسب اليك الاسراف انما هي فكرة اجبت ان اهمس بها في اذنك لتزداد حرصا

وختاما نسال الله سبحانه وتعالى أن يوفقكم جميعا يا احباءنا ويحكمكم من سعداء الدنيا والآخرة ويحفظكم بعين عنايته ويسدد خطاكم على دروب الهدى والخير .

أبوراتب

- يؤثر اولاده على نفسه

اكسفورد

- طريق العلم اقصر طريق للنجاح

دمشق في ١٩٥٢/١١/٢

ولدي راتب الشلاح وفقه الله آمين بعد تقبيل وجنتيك الجميلتين

استلمت رسالتك اللتين تحملان الرقم / ٢٢ / والرقم / ٦٢ / وعلمت كل ما جاء فيهما وسررت من عباراتك الرقيقة الواردة فيهما حول ما قدمته من نصائح وارشادات في رسائلي السابقة . وانا آمل من صميم فؤادي أن يعود ذلك بالخير عليك لأن هم الوالد بالنسبة لولده أن يكون الولد أحسن الناس خلقا وجاها ومكانة ، وقل أن يوجد آباء يؤثرون أولادهم على أنفسهم كما نفعل نحن . فأعمالنا تتسع يوما بعد يوم وتتطلب وجود أشخاص عديدين ليقوموا بها ويساعدونا بإدارتها وتوجيهها ، ولكنني اتحمل التعب والمشقة لاوفر لك فرصة التعلم والحصول على أعلى المراتب والدرجات العلمية ، وعندما تجني ثمار العلم الذي تتلقاه الآن ستذكرني بخير ولا سيما أنك تدرك أن زماننا هذا زمن العلم ولن يتمكن انسان في القريب العاجل أن يحتل مكانة مرموقة في مجتمعه الا بالعلم واذا كنت تنظر الى حياتنا وتقول اننا حصلنا على مراكز دون أن نتزود بالعلم فاني اقول : لقد كان ذلك بفضل رضاء الوالدين ، وبفضل ما استفدناه من معاشره الناس ومخالطتهم ، وبفضل المثابرة على العمل المتواصل الجاد ليلا ونهارا وبدون ملل ، وفي مجالات الحياة المتعددة من تجارة وزراعة وبناء .

ولا يفبين عن الفكر ان الاخلاق الفاضلة هي الاساس المتين الذي يقسم الألسان العاقل فوقه صرح حياته السعيدة . . . ولتعلم أخيرا انني أصبحت اميل في الآونة الاخيرة الى عدم الاكثار من الكتابة اليك حول هذه الامور لأنك صرت تدركها ادراكا جيدا ولكن قلمي يسبق أفكارني فانثر لك بعض النصائح في طيات رسائلي اليك وما ذلك الا لانني احبك وأحرص على أن تسلك أقوم الطرق وأقربها لبناء مستقبلك الزاهر .

وفيما يتعلق بوكالة ستاندرد لا تشغل فكرك كثيرا بهذا الموضوع فاذا لم يقبل اصحاب الشركة أن يعطونا وكالة سورية فأملنا بالله كبير بأنه سيهيء لنا ما هو احسن من هذه الوكالة . المهم عندي الا تضيع اوقاتك الا بالدراسة وتحصيل العلم ، وعندما تتم دراستك بنجاح وتفوق فسوف يهيء الله لك من الاعمال ما يسرك . . موفق لم تتلق منه رسائل منذ خمسة عشر يوما لتتعرف على أخباره ودمتم .
وختاما أرجو الله سبحانه وتعالى أن يجعلك من سعداء الدنيا والآخرة .

أبو راتب

ويعلق العم أبو موفق على هذه الرسالة فيقول :

ولنا الموفق راتب

قرانا عباراتكم وسررنا منها كثيرا ودعونا لكم بالتوفيق والنجاح ونكتفي بما خطه يراع والدكم اعلاه من نصائح وتوجيهات ثمينة تكتب بماء الذهب وتحفظ في القلوب لتكون رافداً مهماً لدراستكم وللعلوم التي تحصلون عليها . . . نحن الآن ياقون في دمشق وسنخبركم عن سفرنا في حينه . . . الجميع عندنا بخير يدعون لكم بالتوفيق والنجاح ، حفظكم الله وسدد خطاكم .

أبو موفق

دمشق ١٩٥٤/٤/١٥

- عودة الرئيس القوتلي الى سورية

مانشستر - انكلترا

- يرى التجارة خدمة - ووظيفة من الله

ولدنا موفق وفقه الله آمين بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

وصلتني رسالتك الاخيرة واطلعت على ما جاء فيها . وقد ذكرت انك زرت راتب في الآونة الاخيرة ، فترجو ان تكون قد سررت بهذه الزيارة ولقاء الاحباء وذلك لتستقبل الفحص القادم وانت مرتاح الفكر .

رداً على ما ذكرته من شكرك لنا وتقديرك لجهودنا فاننا نحمد الله سبحانه على أننا استطعنا بعنايته وتوفيقه ان نقوم بواجبنا تجاه تربيتم وتعليمكم وغرس روح المحبة فيما بينكم جميعاً . ولتعلم أنه يترتب على الانسان في هذه الحياة واجبات كثيرة تجاه زوجته وأولاده وأخوته وأفراد عائلته وأصدقائه وحكومته وشعبه وامته وتجارته وزراعته وطاعة ربه . والسعيد السعيد في هذه الحياة من يرشده الله جلّ وعلا الى القيام بهذه الواجبات على اكمل وجه ووفق ما جاء في كتاب الله الكريم والحديث النبوي الشريف . وكونوا على ثقة ويقين من أننا لانام في اليوم والليلة اكثر من ثلاث ساعات او اربع بسبب كثرة الواجبات الملقاة على عاتقنا لا سيما واننا الآن في موسم التصدير الى الاسكندرية وهذا يتطلب جهداً اكبر وتضحيات جسيمة لان الصنف الذي نصدره ربحه محدود ويتوقع المرء فيه الخسارة - فاذا ربح - قد لا يتجاوز ربحه نسبة ٢٪ ، بينما لا تقل خسارته عن ١٠٪ اذا خسرننا لا سمح الله . فهو يحتاج الى اعمال كثيرة وتخطي صعوبات جمة في الشحن والمعاملة والبيع هناك واعادة القيمة ، ولكن الواجب يفرض علينا تحمل ذلك كله لان الله سبحانه اوكل الينا هذه المهمة وجعلنا واسطة بين منتجي هذه الاصناف في قطرنا وبين مستهلكيها في القطر المصري ، فاذا نحن تقاعسنا او قصرنا في أداء هذه المهمة خسرنا ان يعزلنا المولى تعالى عن هذه المهمة ويستبدل بنا غيرنا في ادائها فنخسر ما بها من ثواب وهو عندنا اهم بكثير مما يعود علينا من ارباح . والذي يطلب الدنيا من اجل اسعاد نفسه فقط ومن اجل كسب المادة لا يستحق الحياة ، ونرجو الله

سبحانه ان يوفقمك لاداء هذه الاعمال في المستقبل لان الخلق كلهم عيال الله واحبهم اليه سبحانه انفعهم لعِياله . . .

كنا في الاسبوع الماضي في بغداد واقمنا هناك قرابة اسبوع ثم عدنا الى دمشق ثم سافرنا الى الاسكندرية واقمنا هناك اربعة ايام ، وكنا ضمن وفد مؤلف من خمسة وسبعين شخصا يمثل طبقات الشعب جميعها ، وبمهمة وطنية هي اقناع الرئيس شكري القوتلي بالعودة الى دمشق لجمع الكلمة وتوحيد الصفوف تجاه الاحداث الاخيرة ، ولكنه لم يوافق على العودة الآن وصرح بأنه سيعود بعد فترة لم يحددها . فترجو الله سبحانه ان يهيء الخير لهذه الامة .

افراد العائلة كلهم بخير يهدونكم تحياتهم ويدعون لك بالتوفيق والنجاح والله عز وجل وعلا يحفظكم بعين رعايته .

ابوراتب

دمشق في ١٧/١٠/١٩٥٤

- المحافظة على عادات الشرق

- يطلب من ولده ان يستشير اسانفته بالنسبة

لونبرا - اكسفورد

لدراسته

- البر بالجدة

ولدنا راتب وفقه الله آمين بعد تقبيل وجنتيك

وصلتنا امس رسالتك التي تحمل تاريخ اليوم الثامن من الشهر الجاري وتذكر فيها انك ارسلت رسالة قبلها ولم تذكر تاريخ تلك الرسالة التي لم تصلنا ولم يصلنا منك سوى بطاقة الطائرة والبرقية .

تاخرت عن الكتابة اليها فرسالتك هذه وصلتنا بعد مضي اثنين وعشرين يوما على مفادرتك دمشق وهي رسالة مختصرة لم تحدثنا فيها عن ابن عمك ليطمئن قلبنا عليه . . . كما أنك لم تذكر في رسالتك اي شيء يتعلق بجدتك علما أننا نبهناك سابقا لهذا الامر واوصيناك بالا تخلو رسالة من رسائلك من السؤال عنها وعن عمك

وأهداء السلام لهما . فجدتك تسأل عن الرسائل دائما ، فإذا حضرت رسالة منك وقرانها لهما ولم تسمعك تحييهما وتسأل عن صحتهما فإلهما سوف تمتنان عليك ولا يهون عليهما هذا الامر وربما تحملان في نفسيهما عليك . فالعادات عندنا تختلف عن العادات الموجودة في البلاد التي تعيش فيها الآن ومن الضرورة بمكان أن يراعي الانسان عادات المجتمع الذي رأى فيه النور أول مرة وعاش بين أفرادها ردها من الزمن وسيعود اليه ليتم الاشواط المتبقية من حياته . فمستقبلك في الشرق ، لذلك يجب عليك أن تراعي عادات أهل الشرق .

ذكرت أنك سكنت في الكلية التي تدرس فيها وهذا دليل توفيق الله تعالى ، فمهما كان نوع السكن في الكلية فهو أوفر من جهة النفقة وأقرب لمكان الدراسة وجو الدراسة ورفاق الدراسة حيث تسهل الباحثة في الدروس والمذاكرة فيها وهذا ما يهمننا . نريد أن تبحث مع أساتذتك أمور مستقبلك ومستقبل دراستك وهل يكفي حسب رأيهم أن تتم هذا العام في أكسفورد وتحصل على شهادة BA . اذكر لهم أن عملك في المستقبل سيكون مزاولا أعمال حرة وإدارة أعمال تجارية ولا مطمع لك في الوظيفة . خذ رأيهم حول هذا الموضوع وهل يكفي شهادة BA لمن يريد أن يمارس الأعمال الحرة أم أن هناك ضرورة لمتابعة الدراسة للحصول على شهادة MA أو شهادة الدكتوراه ؟ سلهم عن ذلك كله وسلهم عن شهادة الدكتوراه بالنسبة لك أنت ، ثم سلهم هل الاحسن الحصول على شهادة الدكتوراه من أكسفورد أو من أميركا ، وبعد أن تحصل على آرائهم أخبرني عنها بالتفصيل مع رغبتك أنت وانطباعاتك الخاصة حول هذه الآراء لنكتب لك مبيينين رأينا ، فإذا اتفقنا على انتمام دراستك العليا في أميركا سجلت اسمك في إحدى جامعاتها وحجزت مكانا هذا ما يدور في نفسي وضحته لك وأنا انتظر اجابتك في اول رسالة تردني منك .

الأهل كلهم بخير يدعون لكم بالتوفيق وخصص منهم بالذكر جدتك التي آمل ألا تفعل ذكرها في جميع رسائلك المقبلة . وختاما نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلكم جميعا من سعداء الدنيا والآخرة أنت واخوتك وأبناء أعمامك . قبلاتنا لوجنتيك
أرسل الشهادة لتكون جاهزة لدينا لتقديمها للتجنيد عندما يطلبونها منا .

ابوراتب

دمشق في ١٩٥٤/١١/٢٧

اكسفورد - انكلترا

- يعذر من اليباس والتردد

- حديث عن الاصحاب

- صناعة المشمش

ولدنا راتب الشلاح وفقه الله آمين بعد تقبيل وجنتيك

امامي الآن رسالتك التي تحمل تاريخ اليوم الثاني والعشرين من الشهر الحالي وقد علمت كل ما جاء فيها . حدثتني عن المشمش والقمر الدين فأرغب ان تذهب الى المكان الذي اشرت اليه في رسالتك وتأخذ فكرة عن تصنيع المشمش وهل يمكن عصره وحفظه ضمن زجاجات وبيعه للمقاهي بدلا من بقيصة المشروبات التي تقدم في هذه الاماكن ؟ لأن صنع القمر الدين أصبح متعذرا بعد وجود صعوبات كثيرة تحول دون ادخاله الى مصر . . . بالنسبة لقضاء أيام العطلة التي ستجيء قريبا وحيرتك في اختيار المكان الذي ستقضي هذه الايام فيه ، لأن هناك رحلات كثيرة ودعوات متعددة كما فهم من رسالتك ، فأقول لك اختر من هذه الاماكن ما فيه فائدة لدعم دراستك وتوسيع آفاق معرفتك ، فمن الضرورة ان تختار المكان الذي يعجبك ويفيدك .

ذكرت في رسالتك ان شبعا مخيفا يخيم على مخيلتك وانك تعيش في كرب وضيق ولا تفهم من صفحات الكتب التي تدرسها شيئا . . . واني لأعجب من صدور هذه الكلمات عنك كما أعجب من ترددك وعدم الحزم والجزم في امورك كلها ، كما أعجب ايضا مما بدا لي من ضعفك وعدم ثقتك بنفسك ومن دخول الالوهام الى قلبك ، وأعجب أخيرا من أن اسمع من راتب مثل هذا الكلام وهو من أعرف عنه الثقة بالنفس والاعتماد عليها والتوكل على الله ، وأعرف عنه الاجتهاد والذكاء الوقاد . فانسان يتحلى بهذه الصفات لا يمكن ان يتضايق من أي فحص مهما بلغت صعوبته وتعقيداته . . . هذا غلط منك وأوهام وتردد وهي أمور يجب الا تدع مجالاً لدخولها الى نفسك ، ويجب الا تدع لها مجالاً للاستيلاء على تفكيرك . ابعد عنك هذه الهواجس كلها واشغل وقتك بالمطالعة والدرس وقل لنفسك وبكل ثقة واطمئنان ان النجاح محقق ، معتمداً بذلك على دراستك وعلى موهبتي الفهم السريع والذكاء الحاد اللتين وهبهما الله لك ، معتمداً بعد ذلك على رضاء الوالدين وعون الله وتوفيقه .

كثرة الرفاق فيها فائدة لك حيث تزداد صلتك بالناس وتجد معهم بعض السرور والمرح الذي يؤنسك في رحلة الحياة الطويلة ، ولكن أقول لك وفي هذه المرحلة التي تمر بها الآن ويتوقف عليها بناء مستقبلك كما يتوقف عليها تحصيلك للمعارف والعلوم ، أقول لك ليكن عدد رفاقك محدودا ولا تصاحب الا من ينهض بك نحو المطالعة والدرس حاله واجتهاده ، وبدلك على طريق التقدم والنجاح حديثه وكلامه . وليكن همك الوحيد المحافظة على أوقاتك التي يجب أن تصرف على المطالعة وتحصيل العلوم ونحن منذ الآن نتعهد بأن نوفر لك الظروف الملائمة كي تخالط من تحب وتقضي الاوقات الطويلة مع اصدقائك كما نعدك برحلة ممتعة وطويلة تزور فيها البلاد التي تحب أن تزورها وتطلع على معالمها الحضارية وتمتع نفسك بمشاهدة كل جميل فيها .

شكرك لنا على تضحياتنا التي نقدمها لك ولاخوتك ولابناء عمك عواطف رقيقة وجميلة نقدرك من أجلها ونقول لك أننا نقوم بواجبنا تجاه فلدات كبدنا الذين نحبههم ونحرص على تربيتهم تربية صالحة ونعلق عليهم الآمال بأن ينجحوا ويتفوقوا في دراستهم وبأن يحتلوا في القريب العاجل أعلى المراتب وأرفع الدرجات .

ابو راتب

دمشق في ٢٠/١٢/١٩٥٤ - تربية متميزة
اكسفورد - انكلترا - محافظة على مكانة العائلة

ولدنا راتب وفقه الله آمين بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

امامي الآن رسالتك التي تحمل تاريخ اليوم الثاني عشر من الشهر الحالي ، وقد علمت بما جاء فيها . تعبيرك عن حبك لي وتقديرك لجهودي ليس مستغربا منك وانت من اثق به وأحرص على أن يكون مستقبله زاهرا واكن له الحب .

واعترافك بالجميل يشجعني على المضي في متابعة الجهود المبذولة لاتمام ما بدأت فيه ، وكن على ثقة أن جميع ما أبدله لا أريد من ورائه الا مصلحتك وبناء مستقبلك فلاجلكم أضحى وأبدل ، وأنا في ذلك اسلك مسلكا أوريبا بل مسلكا بريطانيا ولا اسلك

مسلكا شرقيا . بل ربما كان في مسلكي ما يريد على المسلك البريطاني ، فاذا وجد حسب التربية الشرقية من يقدر العلم ويقدر واجبه تجاه اولاده ، وعدد هؤلاء قليل ويا للأسف الشديد ، اقول اذا وجد هؤلاء فانهم لا يضحون الا في حدود معينة تسمح بها قدراتهم المادية ، واقصى ما يمكن ان يقوموا به ان يعلموا اولادهم في المدارس الرسمية التي لا يساعد مستواها العلمي على التقدم والحصول على الشهادات العالية . ويمكن ان نلاحظ نقطة تشابه والتقاء بين البريطانيين وبين الشرقيين الذين يحبون ان يعلموا ابناءهم وهذه النقطة هي تخلي الاب عن ابنه عندما يتم تعليمه ويسلك طريق الحياة . وهنا يجب ان نبين الفرق بيننا وبين هؤلاء جميعا من بريطانيين وشرقيين ، فانا لا اکتفي بان تنال قسطا يسيرا من العلم ، بل اريد ان تحصل على أعلى الدرجات العالية ويصعب عليّ ان تمارس الاعمال قبل الحصول على شهادة الدكتوراه في الاختصاص الذي ترغب فيه . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى اقول لك انني لن اتخلي عنك حتى بعد تخرجك ، فكل ما ابدله من جهود في مجال الزراعة او في مجال التجارة وحياسة الاملاك ، وكل ما حصلت عليه من سمعة حسنة وثقة بين افراد مجتمعنا ، وكل سعبي وعطائي هو لكم انت واخوتك وابناء عمك ومن اجلكم . واظن انه لا يخفى عليكم ان الشرقي عندما ياتي به مورد يكفيه يخف نشاطه ويدعي انه قام بواجبه وصار له الحق في ان يستريح ، بينما انا يزداد نشاطي يوما بعد يوم وهدفي من ذلك ان تجدوا الامور مهياة وسبل العمل ميسورة عندما تتمون تحصيلكم ، عندها تستلمون الاعمال وتزيدون فيها . فجدنا المرحوم رشيد السلاح هو الذي وضع اساس الشهرة لهذا الاسم ، وجاء بعده والدنا المرحوم سليم السلاح ، فحافظ على ما بناه والده وزاد فيه واعلى قممه وذراه ، حتى اذا وافته المنية كان البناء اعلى والسمعة اكبر . ونحن الآن انا وعمك نقوم بدورنا خير قيام بحون الله وتوفيقه ، نحافظ على البناء ونزيد فيه ونعلي قممه وذراه ، وهذا هو الفرق بيننا وبين غيرنا . . . هذا هو الفرق بين العلم وبين الجهل ، فالجهل يقطع ما غرس ويدمر ما بني بدلا من ان يزيد في الفرس والبناء فتتقوض الدعائم وتضيع الجهود . كان بودي ان ازيد في حديثي هذا لولا ان الوقت لا يسمح لي بالزيادة ورسالتي هذه مضى على البدء فيها عدة ايام ولم اتمكن من اتمامها الا بصعوبة بالغة . فكلما جلست للكتابة دخل مراجع يريد قضاء حاجة ما فانصرف الى قضاء حاجته وحل مشكلته ، وهذا ما يشتت التفكير ويفوت

عليّ فرصة التعبير عن أفكارتي التي أريد أن تصلكم دائما على أتم وأكمل ما أريد لها من التمام والكمال والوضوح .

وختاماً - قبلاتنا لكم ودمتم سالمين موفقين محاطين برعاية الله وعنايته .

ابو راتب

- يحضر من ثقلبات الطقس

دمشق في ١٩٥٥/١/٢٨

- هت على السبح فلما للحصول على امل

اكسفورد - انكلترا

الشهادات

ولدننا راتب الشلاح وفقه الله آمين بعد تقبيل وجنتيك

ارسلت لك رسالة قبل رسالتي هذه آمل أن تكون قد وصلتك ، وامامي الآن رسالتك التي تحمل الرقم / ٨ / وقد علمت ما جاء فيها كله . لقد انشغل فكري واضطرب كثيرا بسبب ما ذكرت عن مرضك ومما زادني قلقا أنك لم توضح لي الامور توضيحا كافيا . وحتى يزول ما تعاني من قلق واضطراب اخبرني عما حصل وطمئن قلبي عن شفائك التام . وانا اوصيك دائما بالتحفظ والاخذ بالاسباب التي من شأنها أن تبعد عن الانسان احتمال اصابته بالمرض . فعدم الاكتراث بالصحة فيه ضرر كثير لا سيما وان الطقس عندكم كثير الثقلب . انني انتظر رسالة موضحة ليطمئن قلبي عن صحتك وأبعد عن أفكارتي كل ما ساورها من قلق . . . ما ذكرته عن موفق وانه قد ذهب الى مانجستر عليم بالنسبة لنا وندعو الله سبحانه من اعماق قلوبنا أن يجعل أموره وأمورك سهلة ميسرة وان يسدد خطاكم .

قلت أن متابعة الدراسة في جامعة اكسفورد نفاية ما تحصل على شهادة الدكتوراه متوقف على فحص خزيران ، وتذكر اننا تحدثنا عن هذه الناحية مرات كثيرة وأوضحت لك رأيي كاملا . . . والذي أعجب منه هذا اليأس الذي لا ادري كيف وجد طريقة الى نفسك وانت من أصحاب الهمم الغالية والنفوس الكبيرة . ومن هذا المنطلق أجدني مضطرا لأن أقول لك - كن واثقا بنفسك ، كن واثقا باجتهدك ، لان الخوف في معظم احواله يرجع الى فقدان الثقة بالنفس ولا يفيدك في امتلاك نواصي الامور والحصول

على النجاح مثل الثقة بالنفس ، وقدرتها على اجتياز العقبات وتخطي كل ما يعترض طريقها من صعوبات ، بل قدرتها على اجتياز عقبة الخوف نفسه وتبديد سحابته السوداء لتسير بعد ذلك في طريقك واثق الخطى وهنا يكون النجاح حليفك . . . وأجديني مضطرا لأن أقول لك أيضا - ان جميع من أفلحوا وبرزوا على مسرح الحياة كانوا أمثلة للجد والجرأة والثقة بالنفس والمستقبل . وقد خلقت مثلهم ووهبك الله سبحانه كثيرا من المزايا والمؤهلات ، أقول اذن أنه لا يمنعك اي مانع من ان تكون مثلهم ثقة بالنفس وإيماننا بالمستقبل ، والغايات التي يسعى اليها الانسان تغدو قريبة اذا ما ادرك هذا الانسان السبل التي توصله ، وسلك تلك السبل بقوة لا تلين ولا تقهر . لذلك فمن الامور الضرورية لك أكثر من سواها والزمها نسبة لدراستك في هذه الآونة ان تفترض ان الفحص القادم قد جاء وخضت غماره بجد واجتهاد وثقة بالنفس وكنت فيه من الناجحين المتفوقين . ضع هذا نصب عينيك ثم جد واجتهد وهيء الاسباب . كن صافي الذهن ، اطرده الوسواس والشكوك والخوف وتسلح بالجرأة ، فلا يفوز بالطيبات ولا يحقق الآمال الكبار الا الشجعان الاقوياء . عليك اذن أن تتخطى الصعوبات ولا تقعد بك همتك عن هذا التخطي وهذا التحدي ولتقرا معي قول شاعرنا العربي :

ومن يتهيب صعود الجبال يعش أبد الدهر بين الحفر

لا تخف ولا تتوقف عن تخطي الصعوبات وتحديها بالعمل والمثابرة والثقة والجرأة . وختاما ، الجدة المحترمة تدعو لك ليل نهار ، ونحن وعمك والوالدة ندعو لك ليل نهار ، وعموم أفراد العائلة يدعون لك ليل نهار . . . فانهض بهمتك العالية التي نعهدا وسر على درب العمل والجد والاجتهاد وسيكون لك ما تريد .

طلبت دراهم منسا ، تجد طي رسالتنا هذه حوالة بمبلغ مئتين وخمسين جنيها استرلينيا . . . اخبرني عن وصول هذه الحوالة ولا تحسب أي حساب للدراهم والمصروف فاني على استعداد لأن أقدم لك كل ما تطلب ، ولتثق تماما انني كلما طلبت دراهم ولييت طلبك سررت كثيرا لأنني قد نذرت حياتي لتهديبكم وتعليمكم وضمنان راحتكم وصحتكم وتأمين مصروفكم التي تضعونه في الطرق المرضية مهما بلغ . لذلك لا تشغل نفسك بشيء من هذا القبيل . . . حفظك الله بين رعايته وسدد خطاكم جميعا .

ابو راتب

دمشق في ٢٨/٢/١٩٥٦

- التريبة بين الماضي والحاضر

- قيمة العلم وضرورة السير حتى الحصول

بركلي - اكسفورد

على اعلى الشهادات

- الراحة في العمل المفيد لا يتركه العمل .

امثاله لراينسا باكمال الدكتوراه

ولدنا راتب الشلاح وفقه الله آمين بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

استلمنا رسالتك الاخيرة وعلمنا كل ما جاء فيها . . .

قلت في الرسالة أن الحوالة قد وصلتك فالحمد لله . . . كما أنك اعتذرت فيها عن تأخرك بمراسلتنا فنحن نقدر ظروفك ونقبل عذرك ونعلمك أنه لا يخفى علينا ما تكتنه لنا من محبة واحترام ولا يخامرنا شك في أنك تبادلنا كل ما نكنه نحن اليك . وأريد أن أقول لك أننا لسنا ممن لا يفتاحون أبناءهم بمكنون صدورهم خشية أن يسوء تصرف الأبناء تجاه الآباء فتسول لهم نفسهم الجراة على آباؤهم في الحديث والمعاملة ، الأمر الذي جرت عليه عادة الناس عندنا ولمسناه من جدكم رحمه الله ، إذ كان حتى آخر مرحلة من مراحل حياته لا يظهر لنا شيئا من حبه لنا وحرصه علينا على الرغم من أننا صرنا في ذلك الوقت كالأخوة بالنسبة اليه ولنا مركز اجتماعي مرموق وسمعة حسنة بين الناس . كل هذا لم يشفع لنا عنده ليظهر لنا شيئا مما يكتنه لنا من محبة وعطف حتى لا نكون (دلعين) على حد تعبير اهل ذلك الزمان . ولكننا كنا ندرك حبه لنا وعطفه علينا واعتزازه بنا من خلال نظراته وملامح وجهه ، وهو رحمه الله كان يدرك بدوره أننا نعرف ذلك ونعرف الهدف الذي من أجله يخفي عنا حبه وعطفه . . . وخطتي تجاهكم تقوم على أسس تختلف عن الاسس التي المحت اليها سابقا حيث أنني أحب أن أظهر لكم كل ما في قلبي ولا يوجد لدي أي مبرر لكي أخفي محبتي . . . لذلك فأنا أقول لك أنني أحب أن أنظر اليك دائما كما أحب أن أقبلك دائما وأود أن اضحك في قلبي ليلا ونهارا . أنني أذكرك دائما حتى لكأنك الى جانبي . لهذا كله فأنا أشعر بكل ما يجول بخاطرك تجاهي وأقدره أجلّ تقدير وأؤمن به لعشق الإيمان وأدعو الله سبحانه وتعالى لك بالتوفيق والنجاح وأن تكون من معطاء

الدنيا والآخرة متحليا بالاخلاق الحميدة على صاحبها افضل الصلاة وأتم التسليم
وان تكون حياتك كلها هناء ومسرات والا تلاقى أي متاعب عندما تربى ذريتك
وتوجه ابناءؤك .

ولدي الحبيب ...

فيما يتعلق بالدراسة ذكرت انك قررت ان تحصل على شهادة MBA
بادارة الاعمال كما ذكرت أنك قد ابعدت عن ذهنك فكرة الحصول على شهادة
الدكتوراه ... فهذا الحديث غير غريب بالنسبة لي وأنا أعرفه حق المعرفة ، وأعرف
كذلك ان سفرك الاخير لاتمام الدراسة ليس فيه فائدة كبيرة طالما أنك ستمارس
اعمالا تجارية حرة ولديك من المعلومات ما يكفيك للقيام بهذه المهمة كما أنه لديك من
القبليات ما يساعدك على التوسع في المعرفة وفي الخبرات العلمية التي ستحصل عليها
من جراء الاختلاط بالناس والانخراط في مجالات العمل التجاري الحر . كل هذا أعرفه
وأعرف ان سفرك كان امثالا لأوامري ونزولا عند رغبتني ، كما أعرف أنك تريد اختصار
الوقت وتقصير مدة الدراسة لتعود الينا وتحمل عني اعباء العمل ومشاقه
المتزايدة . وتعليقا على ذلك كله وتوضيحا له أقول أنني أشعر بالراحة ولا اتحمل
أي عبء من جراء اتساع أعمالنا وتشعبها لأنني والحمد لله أتمتع براحة الفكر وراحة
الضمير ، وهذا ما يخفف عني الاعباء مهما عظمت ومهما ثقلت ... ولا أريد أن أطيل
عليك في شرح الامور وبيان فلسفة كل منهما لضيق الوقت أولا ولعدم تمكني ثانيا من
التعبير خطيا عن كل ما يجول في خاطري .

ان عودتك الينا بسرعة لا تخفف أي عبء عني الآن لأن قيامك بأعمالنا يتطلب
مضي بعض الوقت حتى تتعرف على الناس ويتعرف الناس عليك ويجربوك وتنال
ثقتهم ، وعندها تستطيع أن تتحمل بعض الاعمال المنوطة بنا ، ولنا عندها من الثقة
بك وبأخلاقك الحميدة وبذكائك الحاد ومعلوماتك ما يجعلنا نؤمن بأنك ستحصل على
ذلك كله في أقصر وقت ممكن .

أما سبب الحاحي عليك ورغبتني في أن تتابع دراستك حتى تحصل على درجة
الدكتوراه في مادة اختصاصك رغم معرفتي لجميع ما ذكرته وإيماني واقتناعي به فذلك

لاني شاورت الدكتور احمد السمان والدكتور كنعان حتى لا انفرد برأيي وأستأثر به فوجدت آراءهما مطابقة لآرائي في وجوب الحصول على شهادة الدكتوراه وذلك من عدة وجوه :

١ - ربما خطر ببالك قضية الوقت وقضية النفقات ، فهذا امر يجب أن تستبعده لاني أوافق سلفا على الزمن اللازم للدراسة مهما طالت .

٢ - قضية اللغة الالمانية ليست مشكلة وبإمكانك تعلم تلك اللغة خلال ستة اشهر طالما توجد عندك الرغبة والقابلية ولا تشغل أوقاتك إلا بالدراسة .

٣ - تهيئة الموضوع يمكن أن نساعدك به عن طريق الدكتور سمان ، كما يمكن أن نضع بين أيديك جميع ما تطلبه من أجل إعداد الموضوع ، وتبقى المشكلة مشكلة وقت فقط ومهما طال هذا الوقت فلن يزيد أكثر من سنة ونصف عما هو مقرر سابقا ، وتنقضي هذه المدة وتعود بعدها وأنت تحمل الشهادة التي ترغب في حصولك عليها .

٤ - أنا إناسبني أن تعود بسرعة وتحمل عني اعباء العمل ولكنني لا أريد أن تندم في المستقبل على عودتك السريعة وعدم حصولك على شهادة الدكتوراه ، الأمر الذي لا تشعر به الآن وسيكون ذلك حين لا تنفع الندامة لأن ما فات لا يمكن أن يستعاد .

٥ - اذا أردت معرفة رأيي فانا لا أوافق الا على الاستمرار في الدراسة حتى تحصل على شهادة الدكتوراه حتى ولو مارست أعمالا حرة في المستقبل . فيا راتب يكفي لقب دكتور لا لأجل اللقب ذاته ولكن لأجل المركز التجاري والاجتماعي الذي سوف تتمتع به عندما تخرج الى معترك الحياة ولنضرب لك مثلا على ما ذكرناه سابقا الدكتور السمان الذي يتقاضى رواتب وتعويزات يفوق مجموعها ثلاثة آلاف ليرة سورية ، بينما رئيس الجمهورية لا ينال إلا ألفي ليرة سورية . والدكتور عزت الطرابلسي عين مديرا للمصرف المركزي بمرتب شهري قدره خمسة آلاف وخمسمائة ليرة سورية مع حصة من الأرباح ، وقد رجوه عدة مرات حتى قبل هذا المنصب الحساس . فاسمع مني يا راتب جد واجتهد وتوكل على الله وخض هذه المعركة ، الله يرضى عليك ، فلا أريد أن تندم على ضياع هذه الفرصة في المستقبل .

واخيرا اعود واقول ان الامر متروك لك فاختر ما شئت فاني لا اريد ان اشق عليك
واتعبك بان اطلب منك شيئا لا تريده ولكنني بينت رأبي . . .

٦ - ولا بأس من العودة الى الموضوع فشهادة دكتور في ادارة الاعمال ليست شيئا
بسيطا لا قيمة له حتى تعرض عنه ، واكبر مثال على قيمة هذا الاختصاص وفائدته
نجاح الشركة الخماسية المنقطع النظر بسبب وجود عبد المجيد الرباط واشرافه على
هذه الشركة ، وعبد المجيد الرباط درس ادارة الاعمال في اميركا كما تعلم ، وازيد الامر
وضوحا فاقول ان الشركة الخماسية تربح سنويا ما يساوي ٢٥٪ من قيمة رأس المال
بينما لا تربح شركة المغازل والمناسج وهي شركة تشبه الشركة الخماسية من حيث
الاختصاص وسعة الاعمال إلا ٦٪ من قيمة رأس المال ويعود هذا كله كما أسلفت الى
الادارة الحسنة التي توفرت للشركة الخماسية على يدي السيد عبد المجيد الرباط .

٧ - بلادنا مقبلة على نهضة اقتصادية وستكثر فيها الاعمال لانها بلاد بكر
ومساحتها واسعة ، وعندنا الآن عدة مشروعات قيد التنفيذ مثل مرفأ اللادقية
وشركة الكهرباء ومشروع استصلاح اراضي القاب ومصرف سورية المركزي ومؤسسة
الانماء الاقتصادي التي لم يجدوا شخصا يستلم رئاستها على الرغم من مضي ستة
اشهر على تأسيسها . . . ان كل ما يقوم في بلدنا من مشروعات اقتصادية وانمائية
يحتاج الى مجالس ادارة تشرف وتوجه ، ومن يمارس اعمالا حرة يجب ان يكون
مشاركاً في عضوية عدة ادارات ليكسب اسما تجاريا لامعا وسمعة حسنة وليحصل
على ثقة كبيرة من قبل أبناء المجتمع .

٨ - اختيار موضوع الرسالة امر سهل فعندنا في سورية جوانب اقتصادية متعددة
والوثائق عنها متوفرة وبامكاننا ان نزودك بكل ما تحتاج اليه من هذه الوثائق
والمعلومات .

وختاماً - فنحن جميعا نقبلك عن بعد ونتمنى لك دوام النجاح والتوفيق والتقدم
والباري سبحانه يحفظك ودمت .

ابوراتب

دمشق في ١٨/٣/١٩٥٩

ماشستر - انكلترا

- الاستفسار عن الرفاق

- تشجيع على رحلة للاستطلاع

- الحث على الدراسة

ولدنا موفق وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

امامنا رسالتك اللتان تحملان تاريخ اليوم الثاني واليوم الرابع عشر من الشهر الحالي وقد علمنا كل ما جاء فيها ، والدك حضر من القاهرة بعد ان اقام هناك مدة اسبوعين وحضر معه ابو زهير . ذكرت انه قد المت بك وعكة بسيطة شفيت منها فالحمد لله الذي عافك وقد انشغل فكرنا كثيرا لهذا النبأ وعلى كل الاحوال نوصيك بأن تتحفظ من البرد وبأن تراجع الطبيب المختص عند وجود أي عارض تشعر به لا سمح الله . نحن راضون من الدرجات التي حصلت عليها في فحص آذار ولكن الامر يتوقف على درجات الفحص النهائي الذي سيجري آخر العام الدراسي لأن درجات هذا الفحص هي التي تؤثر على نجاحك في الشهادة بتقدير مرض فترجو ان تشمر عن ساعد الجد لتحوز على أحسن الدرجات ونرجو الله سبحانه أن يوفقك دائما لما تحبه وترضاه ويسدد خطاك على دروب الهدى والخير والجد والاجتهاد انه سميع مجيب . تحدثت عن محل سكنك كما تحدثت عن رفاقك في هذه السكنى وهذا أمر سرنا كثيرا لاننا كنا نود أن نستفسر عنه لتوجيهك التوجيه اللازم حوله .

فالرفيق قبل الطريق ، والجار قبل الدار كما يقولون ، اما وقد رسمت صورة حسنة عن هؤلاء الرفاق فقد اطمأن قلبنا ونهدي لرفاقتك تحياتنا القلبية . ورجاؤنا من الله سبحانه وتعالى لهم جميعا أن ينتبهوا الى تحصيل العلم لان الوقت كالذهب كما بينا لكم في رسائل سابقة ، وكل دقيقة تضع سدى قد يقابلها ضياع شهر من عمر الانسان ، وضياع ساعة قد يقابله ضياع سنة ، والايام تمر مر السحاب لذلك فمن الضرورة أن تنتبهوا كثيرا اولا خلال تلقي الدرس من الاساتذة لتفهم كافة النقاط التي تطرح وتناقش داخل حجرات الدروس واحفظها حفظا جيدا وبتعمق وامعان ، ثم ان تنتبهوا ثانيا الى عدم الانشغال بالاشياء التي لا تقبل الدراسة والعلم . ولدنا الحبيب - كل ما نبذله من جهود وكل ما نتحملة من متاعب ومشقات هو

من أجل أن نعلم أولادنا ، فكللفة كل واحد منكم لا تقبل عن سبعة أو ثمانية آلاف ليرة سورية سنويا ، ومجموع ما ننفقه على اخوتكم الصغار لا يقل عن خمسة وعشرين الف ليرة سورية في السنة الواحدة أيضا . أضف الى ذلك ما ننفقه على اخوتكم الذين لا يزالون في المدارس الابتدائية وهذه المبالغ تشكل رقما كبيرا وتحتاج الى جهود جبارة للحصول عليها لذلك فنحن نسعى ونجد في السعي لنفسح الطريق امامكم كي تتلقوا علومكم كاملة ونأمل أن تقضوا جميعا حياة مليئة بالسعادة والاحترام لأن مركز العلم لا يضاهيه مركز آخر في المجتمع ، هذا اذا كان العلم مقرونا بالاخلاق الفاضلة .

طلبت تحويل مائتي جنيهه استرليني ترى طي رسالتك هذه حوالة بهذا المبلغ أخبرنا عن وصولها . تحدثت عن مؤسسة الطلاب الدولية وذكرت أنك ترأسها فهذا فخر لنا على الا تشغلك امور الرئاسة عن الدراسة . وبخصوص استشارتك لنا بالنسبة للسفر الى السويد . . . نحن لا نرى مانعا من الذهاب ونوصيك بأن تختار الطقس الحسن المناسب للسفر ، وهذه الرحلات فيها فوائد كثيرة لمن يريد ان يتعلم لانها توسع مداركه وتزوده بمعارف عملية ترفد دراسته بأشياء قيّمة يستفيد منها في حياته . جدتك بخير وتدعو لك بالتوفيق والنجاح وقد قرأنا لها رسالتك وكانت مسرورة جدا عند سماعها .

أفراد العائلة كلهم بخير ويدعون لك بالتوفيق والنجاح أيضا ، ونحن بدورنا نقبلك عن بعد ونتمنى لك الخير كل الخير .

أبورايب

دمشق في ١٩٥٦/٥/٦ - الزواج
بركلي - امركا - الزواج بالاجنبيات

ولدنا راتب الشلاح وفقه الله آمين ، بعد تقبيل الوجدتين
امامي الآن رسالتك الاخيرة وكل ما جاء فيها أصبح معلوما .

قلت في هذه الرسالة أن فحوصك ستبدأ بتاريخ ٥/٢٥ وانك ستقدم اليها معتمدا على الله سبحانه وتعالى ، ونحن نرجوه سبحانه ان يوفقك في هذه الفحوص لتكون من الناجحين المتفوقين .

ان الثقة الممنوحة منا لك كبيرة جدا لانك صرت تقدر قيمة المال وتحسن بالصعوبات التي تحول دون الحصول عليه وخاصة بالنسبة لمن هم مثلنا ممن لم ينالوا حظا كبيرا من العلم ، أما بالنسبة للمتعلمين فانهم يحصلون على مال كثير وبجهد اقل من الجهد الذي بذله . فانا لو لم يكن لديّ الجهد والمثابرة على العمل ولو لم اتحمل من الناس كل ما تحملمته لما استطعت أن احصل على ما حصلت عليه من المال . ولو لم أكن أصبر على عناء الاجتماعات ولو لم أفضل حضورها بدقة ونظام على راحتى وطعامي لما حصلت على هذا المركز الذي أتمتع به . . . ان ايماني الثابت الذي لا يمكن أن يتطرق اليه الشك بانك صرت تدرك كل ما أشرت اليه هو الذي يجعلني امنحك ثقتي المطلقة .

وانتقل أخيرا الى مشكلة هامة أود أن أشرح لك وجهة نظري حولها ، تلك المشكلة هي مشكلة الزواج بالاجنبيات . فقد ذكرت أن كثيرين من الشبان العرب الذين ذهبوا الى أمريكا أو أوروبا كانت نتائج دراستهم غير مرضية لانهم تزوجوا بالاجنبيات . . . وأقول لك أن عملهم هذا له عواقب وخيمة جدا على البلاد وعليهم وعلى كافة أبناء المجتمع . فبالنسبة للبلاد سيعمل هؤلاء على تغيير النسل وسيكون اولادهم واولاد اولادهم مشكلة تعوق تقدم الوطن والاخلاص له واعادة أمجاده . أما بالنسبة لهم فانهم سيضعون أهلهم وعائلاتهم تحت الامر الواقع وهذا ما يجعل الاهل ساخطين عليهم ولو أظهروا الرضاء والقبول ، فتحدث مشكلات عائلية لها اول وليس لها آخر . . . وأما بالنسبة للمجتمع فان البنات السوريات سيزيد عددهن عن عدد الرجال اذا استمر هؤلاء الطائشون على الزواج بالاجنبيات وهذا ما يحدث ازمات اجتماعية حادة قد تنجم عنها كوارث رهيبة . اني اعرف حق المعرفة تفهمك لسلك ما ذكرته كما انني اثق بك بانك لن تتصرف الا ضمن ما تتفهم من قضايا وأمور ، وانا لم ارد من حديثي الا ان يكون تذكرة لك ورافدا قويا لما انطويت عليه من افكار نيرة تقدر الاهل والوطن وتكن لهم جميعا الحب والاخلاص .

ولا يسعني وأنا ألمّ الشباك وأنفض القلم لأغادر سطور هذه الرسالة الا أن أذكرك بالمحافظة على الوقت ، فاستغل أوقاتك كلها من أجل الدراسة وتحصيل العلوم والمعارف الانسانية التي ستعود عليك بالخير والبركات ، اذا شعرت ان لديك أوقاتا زائدة فاشغلها بكتابة المذكرات وتدوين كل ما يمر بك من أحداث قد تحتاج اليها في المستقبل لان الذاكرة مهما كانت قوية فانها ستنسى الكثير من احداث الماضي .

وختاما - تحياتنا وتمنياتنا القلبية لك ودمت .

بدر الدين الشلاح

ويعلق العم أبو موفق على هذه الرسالة فيقول :

ولدناراتب وفقه الله آمين

قرانا رسائلكم كلها ونحن ندعو الله سبحانه ان يسدد خطاكم وأن يجعل التوفيق حليفكم .

فيما يتعلق بشهادة الدكتوراه الح والدكم عليكم كثيرا من أجل الحصول عليها نظرا لقيمتها العظمى بالنسبة لكم وحتى لا تندموا في المستقبل ، وهو الآن في رسالته هذه يترك لك الخيار حتى لا يأسرك فيما تقرر ونحن نقول لك فكر جيدا قبل أن تقدم على اتخاذ أية خطوة ولا تدع هذه الفرصة تفوتك اغتنمها واحصل على أعلى مرتبة علمية في الاختصاص الذي تحبه والسلام .

شفيق الشلاح

- العلم والنسوج البكر

دمشق في ١٠/٧/١٩٥٦

- الجد وعدم الالتفات الى الترهات

بركلي - أميركا

- الزوجة الاجنبية والزوجة العربية

- الراحة في العمل الجاد

ولدي راتب وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك

وصلتني رسالتك التي تحمل تاريخ اليوم السابع والعشرين من الشهر الماضي
وعلمت كل ما جاء فيها .

ولدي الحبيب ...

سررت جدا من تحليلاتك ومن أفكارك الناضجة فنسيت أتعابي كلها كما نسيت
كل ما أنفقته في سبيل تعليمك . هذا هو الفرق بين العلم وعدم العلم . فالعلم يساعد
على النضوج قبل الاوان ولو أنني كنت متعلما لحصلت على المركز الذي أنا فيه الآن
وحصلت على الثروة التي بين يديّ قبل عشرين عاما ، وهذا ما حملني على أن أفكر
بتعليمك منذ كنت صغيرا . ولقد عملت وتحملت ما تحمته من الاعتاب والنفقات
وتحملت بعدك عنا وما أحدثه هذا البعد من الفراغ والوحشة في نفوسنا ، تحملت
ذلك كله في سبيل أن اراك متعلما ناضجا فأقرا وأسمع أفكارك الناضجة . ان ما لمست
في رسائلك من سعة اطلاع ونضوج فكريّ يجعل قلبي يطمئن ويرضى ، فلا تقلق بسبب
غيابك عنا ما دمت تحصل العلم والمعرفة . انني مطمئن عليك من جهة النفقة فانت
لا تنفق شيئا الا في الوجوه الضرورية التي تعود عليك بالنفع ، كما أنني مطمئن عليك
من جهة السلوك فانت لا تذهب الى الامكنة التي لا يليق بك الذهاب اليها لانك تتجه
الى بناء مستقبلك الزاهر متسلحا بالاخلاق الفاضلة والهمة العالية التي لا تشغلها
عن بلوغ اهدافها الامور التافهة مهما كان لها من البريق والاغراء . فانت تطلب العلا
ومن طلب العلا سهر وجدّ وبذل وضحي وترفع عن صفائر الامور ومحقراتها ، والشبان
الذين هم بسنك ويتمون دراستهم كما تتم أنت دراستك ليسوا جميعا مؤمنين بهذه
الحقائق التي ذكرتها لك ، ولا سيما اولئك الشبان الذين يتعمون بالملذات ويشغلون
انفسهم بالترهات ويتسترون عليها باسم الزواج . ولتعلم أن عمل هؤلاء مناف للوفاء
فهم ليسوا اوفياء للوطن والمجتمع لانهم يحضرون الاجنبيات الى بلادنا باسم زوجات
في الوقت الذي يوجد فيه بنات كثيرات في وطننا يمكن أن يقتنوا بهن ويتخذوا
منهن زوجات وفيات وشريكات حياة يصبرن معهم على السراء والضراء ويقطعن معهم
دروب الحياة ويتخطين صعوباتها بكل اخلاص ووفاء . أضف الى ذلك أن الجيل
الذي سيولد من هؤلاء الفرنجيات لن يكون مؤمنا على الغالب وكما ينبغي بأمته ووطنه
بل بأهل امه الذين غالبا ماتملىء صدورهم بالحق على العرب ويريدون لهم السوء والدمار .

وهؤلاء الذين يركبون رؤوسهم ويتزوجون بالاجنبيات غير اوفياء لوالديهم الذين تعبوا كثيرا وضحوا من أجل اولادهم ، ووحشة الوالد على ولده الغائب لا يمكن ان يحس الاولاد بها مهما أسهنا في الحديث عنها الا بعد ان يصبحوا آباء . ابعد هذا كله يقدم اصحاب الهمم الضعيفة والنفوس المنهارة امام سلطان الشهوات على الزواج بأجنبيات يسيء وجودهن للأب وللعائلة ويضر بمصلحة الوطن ؟ ولا أحب ان اترك هذه النقطة قبل ان اضيف عليها شيئا يبين ضعف هؤلاء الشبان الذين وصفتهم لي في رسالتك فاقول انهم كانوا يدعون الرغبة في الزواج لان السن التي يمرون بها ليست سن زواج بل هي سن تحصيل العلوم والمعارف والمعرفة ، فباؤا لذلك بخسران مبين تظهر نتائجه الخطيرة فشلا في حياتهم وحياة وطنهم الذي كان يعلق الآمال عليهم وعلى الاختصاص الذي كان بإمكانهم الحصول عليه لو استمروا بالجهد والاجتهاد ، هذا الاختصاص الذي عن طريقه يشتركون في تطوير بلدهم ونفع انفسهم وامتهم . واننا لتضرع الى الله سبحانه ان يصلح امور هؤلاء الشبان التائهين وان يلمهم رشدهم حتى يكونوا اوفياء للأهل والوطن .

اما ردنا على ما أبديته من ملاحظات تتعلق بنا وبوجوب التخفيف من الاعباء والمتاعب واخذ قسط من الراحة فنشكرك على ذلك . نشكرك على اهتمامك بنا ولكننا نقول لك ان ما أشرت اليه غير ممكن الآن على أقل تقدير لان اعباءنا تزداد يوما بعد يوم بسبب الثقة التي نتمتع بها لدى ابناء مجتمعنا وهذا ما يسرنا ويشجع صدورنا والحمد لله ، وكلما زادت الثقة ثقلت معها الاعباء الملقاة على عاتقنا . ونحن من جهتنا لا نجد بذلك مشقة بل نجد راحة وسرورا لاننا نقوم بواجبنا تجاه ابناء مجتمعنا الذين اولونا ثقتهم ونرضي ضميرنا بخدمة وطننا . والانسان لا يمكن ان يحصل على مركز اجتماعي مرموق الا بعد ان يدفع الثمن وهو خدمات اجتماعية وتضحيات وإشارة على النفس . فالمشقة لا بد منها وهذا ما جعل الشاعر المتنبسي يقول :

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر والاقدام قتال

من اراد ان يحتل مركزا ممتازا بين ابناء المجتمع عليه الا يحسب للمشقات والصعوبات اي حساب كما يجب عليه ان يضحي وأن يدفع الثمن غاليا . والذين

يحتلون مركزاً بعلمهم المفيد الذي يخدم المجتمع دفعوا الثمن أيضا ودفعوه غاليا عندما تغربوا عن الأهل والوطن وأنفقوا زهرة شبابهم منكبين على الدراسة . تحملوا المشاق الكثيرة والصعوبات الجمة وحطوها على صخرة همهم العالية التي لا تلين . أما الذين يريدون أن يحصلوا على المركز الممتاز والسمعة الحسنة عن طريق العمل فدربهم أطول وتضحياتهم أكبر وأضخم لأنها تزداد يوما بعد يوم . ونحن الذين سلكنا هذا الطريق طريق العمل المتواصل والتضحيات الجسام نتحمل ذلك كله ونجد فيه لذة لأننا نخدم المصلحة العامة كما أسلفت ولأننا نعمل من أجلكم وحباً بكم حتى إذا ما أنهيتهم دراستكم بنجاح وعدتم الى وطنكم وأهلكم سالمين ونزلتم الى ميدان العمل وجدتم المركز الممتاز والاسم العالي وهذا يخفف كل عناء .

أبوراتب

- التعلق بالعلم

- لذة العمل

- حسن المعاملة

- كسب ود العامل

- حفظ الرسائل

دمشق في ١٠/١٠/١٩٥٦

برمانا

ولدنا سليم وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

بعد ابداء شوقنا اليك نعلمك بوصول كتابك ذي الرقم ١٠/٥ ومعرفتنا لكل ما ورد فيه .

تقول في كتابك المنوره عنه أعلاه أنك كنت عندنا بالامس القريب ثم تتحدث عما لاقيته خلال مكثك عندنا من سعادة وحب ورعاية ، وأنا أقول لك ان مما يفيدك بالنسبة لمستقبلك ان تكون الى جانب العلم . فالاب والام والعائلة لا يدومون للأولاد بل يذهبون ويبقى لأولادهم ما حصلوا عليه من علم وأخلاق فاضلة وسمعة حسنة . والمثال على ذلك قريب منا جميعا فلقد لازمنا والدنا زمنا طويلا ونعمنا بالقرب منه ولكنه غاب عنا رحمه الله ولم يبق لنا سوى جدنا ونشاطنا وما تعلمناه من

تجارب الحياة ، وهو على جلال أمره وعلو قدره لا يوازن مع علم المدرسة . لذلك يجب عليك الا تتعلق بنا كثيرا طالما أنت قريب من دار العلم التي فيها تبني مستقبلك .

ولدنا العزيز : بالنسبة لانتخابات البلدية احيطك علما انها قد أجلت الى وقت آخر ومتى حان الموعد فانني سأعمل جهدي لاقناع نفسي بالترشيح اليها باذن الله . وبهذه المناسبة أقول بأنني في كل حياتي لم أطلب مركزا وانما كان المركز هو الذي يطلبني وهذا ما أحمد الله عليه .

وتحدثت في رسالتك عن التعب الذي نعاني منه والجهد الكثير الذي نبذله واحب أن أقول لك أن ما تسميه تعباً فأنا لا أعده كذلك والسبب في ذلك أن الانسان اذا ابتعد عن العمل وقام بنزهة جميلة وهو غير مسرور من عمله كان تصرفه مقبولا ولكن اذا كان الانسان يعمل وهو منسجم مع عمله مسرور منه فانه لا يحس بتعب مطلقا ، كما انه لن يحتاج لأن يبتعد عن عمله ليرتاح . وهذا هو الشيء الافضل وهذه اللذة لا يشعر بها الا من يتذوقها ويرتوي من كووسها العذبة كووس لذة العمل . ونحن نتوجه الى الله سبحانه وتعالى أن يوفقكم جميعا في دراستكم لتحتلوا مراكز ممتازة في مجتمعكم ويكون عندكم مثل هذا الجهد والنشاط والرغبة الصادقة بالعمل والانسجام معه وعندها ستجدون أن اللذة والراحة لا تكون الا بالانغماس في العمل ولا تكون أبدا بالجلوس في البيت او المنتزهات . ولاعطيك مثلا واحدا يوضح لك ما أريد : ففي بداية هذا الصيف قضيت أنت وقتا طويلا في المنزل تخلد فيه الى الراحة وبعد ذلك قضيت وقتا قصيرا في المعرض . والسؤال الذي اطرحه عليك : اي الوقتين كان اجمل وأمتع وأجلب للسرور والراحة ؟ وأظنك ستجيب بأن الوقت الذي قضيته في المعرض هو الاجمل والامتع لانك كنت ترى آلاف الناس ومئات المشترين والمتعاملين وهذا ما يؤكد ما ذهبنا اليه . وزيادة في التوضيح أقول ان قضاء فصل الصيف في الزبداني ليس متعبا لان النوم في الهواء الطلق النقي العليل يخفف متاعنا النهارية وينسينا الحر الذي كنا نعاني منه في المدينة . اعمالنا ومشاغلتنا كلها راحة وسرور لاننا نلقي عليها التقدير الكافي من الناس الذين نتعامل معهم او نجتمع بهم وهذا غاية ما نطمح اليه .

التدخين مضر بالصحة ومتعب للجسم ولكنه عادة تعودتها منذ الصغر ولو فاتحني والذي رحمه الله بخصوصها ونصحني بالعدول عنها لما تعودتها . . . وهذه العادة سيئة تتغلغل في النفس ويصعب على الانسان ان يكف عنها لذلك قال الحكماء خير عادة الا يعتاد الانسان عادة . وهم يعنون بذلك العادات التي تسيطر على المرء وتعود عليه بنتائج وخيمة لا تحمد عقباها . . . لذلك كله أردنا نحن ان نغير طريقتنا معكم في التربية والإعداد للحياة فعمدنا الى ان ننبهكم مباشرة وبلا تأخر الى كل ما يجب أن تتجنبوه وتبتعدوا عنه كما عمدنا الى أن ننبهكم الى كل ما يجب أن تلتزموه وتألفوه أيضا . ولذلك وجب عليّ الآن أن أعلمك أن ضربك لـ (الأخرس) كان عملا غير مناسب لان العامل لا يضرب والانسان لا يمكن ان يكسب محبة عماله عن طريق الضرب بل يكسب محبتهم عن طريق العطف عليهم والتسامح معهم ولا سيما ان المذكور من سنك . ولو علمت بالحادثة قبل سفرك لنهيتك عن الوقوع في مثل هذا الخطأ مرة ثانية ، ولتعلم أن الانسان لا يمكنه ان يسيطر على غيره إلا بمكارم الاخلاق . والحديث الشريف الذي روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (انما بعثت معلما ، انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) يؤكد ما قلت ، فمكارم الاخلاق من الدين بل هي صفة عالية يتصف بها من صح دينه واتبع هدى الله وهدى نبيه . وأنا انما أردت هذه العبارات وذكرت تلك الحادثة لأجعلك تندم على عملك ولتعامل الصانع والعامل كما تعامل أشقاءك الكبار والصفار ، ولا بد ان يأتي اليوم الذي تتبين فيه صحة وجهة نظري فتذكرني بخير . حبيبنا اريد منك ان تحتفظ برسائلي اليك في ملف خاص مهما بلغ عددها لتكون لك خير واعظ ومذكر معين عندما تكبر وتخوض غمار الحياة؛ وعندها سينطلق لسانك بالثناء عليّ لانك ستلمس فيها حبي لك وحرصى عليك . انني مسرور جدا من تفكيرك ونظرتك للامور نظرة جادة ورسالتك هذه جيدة للغاية ، لذلك فانتني أعود وكرر وصيتي السابقة لك بالجد والانتباه الى معلميك وهم يلقون عليك الدروس .

بالنسبة لدراستك نحن نتنظر جواب اخيك راتب كما ذكرت لك سابقا وقد كتبت له برقية استوضح عن ها الموضوع فاذا وجدت صعوبات تحول بينك وبين الدخول الى الجامعات البريطانية فربما تفكر بادخالك الى الجامعة الاميركية في بيروت

لتقضي فيها مدة وجيزة تحصل بعدها على شهادة تؤهلك للذهاب الى أميركا من اجل التخصص والحصول على شهادة الدكتوراه . . . لم أبحث معك ومع فاروق رغبتكما بالتخصص وهل توافقان على أن يختار كل منكما اختصاصا من الاختصاصات التالية : هندسة كهربائية - هندسة بترول - هندسة بناء - هندسة زراعية . انني أود أن أعرف ميولكما ورغباتكما وأخبرك انني على استعداد لأوافق كل منكما على دراسة الاختصاص الذي يريده . تلقيت رسالة من طارق اما فاروق ورفيق فلم أتلق منهما اي رسالة . وختاما نقبل وجنانكم جميعا وندعو لك بالتوفيق والرشاد .

أبسو راتب

دمشق في / / ١٩٥٦ - حسن المعاملة

- حث على الدراسة

ولدنا سليم وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

أعلمك انه وصلتني رسالتك المؤرخة ذات الرقم / ٢١ / وعلمت كل ما ذكر فيها . ان ما جاء في رسالتك من عبارة لطيفة جعلتني ازيد ثقة بك وآمل لكم جميعا مستقبلا زاهرا مملوءا بالسعادة . وقد سررت كذلك من رسائل فاروق ورفيق وطارق وكان سروري أكثر بسلوكك تجاه الاخرس واعترافك له بخطأ بدر منك واعتذارك منه ووعدهك بإياه بعدم تكرار هذا الحادث . . . فانا أود أن تتعلموا الاخلاق الفاضلة وأن تعاملوا من هو أكبر منكم سنا معاملة احترام واطاعة سواء اكان أخا ام ابن عم ام رفيقا في المدرسة ام غريبا عنكم ، الا ان يأمر بمعصية الله سبحانه وتعالى لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . كما انني أود أن تعاملوا من هو أصغر منكم سنا معاملة النصيحة والارشاد والرحمة والشفقة وهذا ما أوصى به ديننا الحنيف ونبينا الكريم عليه الصلاة والسلام ، فلا تلجؤوا الى استعمال العنف مع احد وبذلك تكسبون طاعة من هو أصغر منكم وعطف من هو أكبر منكم . فيما يتعلق بدراستك وصلتني رسالة من أخيك راتب وهو ينتظر تلقي تعليمات من المدير وقد أرسلت له جوابا على رسالته أوضحت له فيه رغبتك بالتخصص . وأعلمك أننا سنرسلك

الى أمريكا غالبا ونرجو الله تعالى أن يوفقك الى أستغلال وقتك كله من أجل الدراسة لتحصل في نهاية العام الدراسي على علامات عالية جدا ولا سيما بمادتي اللغة الانكليزية والرياضيات حتى تتمكن من اخذ مصدقة تفوق من المدير ، وهذه المصدقة تساعدك على القبول في معاهد أمريكا وجامعاتها حيث نأمل أن يتوفر لك عاما دراسة في أمريكا . وختاما نقبلك عن بعد ونتمنى لك النجاح والتوفيق ، ونحن نظمن عن صحتك دائما عن طريق عميتك انور ورشاد وعن طريق جدتك أيضا . وكم أتمنى أن أجد فراغا لآزورك ولكن ما العمل وأشغالنا الكثيرة لا تسمح لنا بذلك . فنسأل الله العلي القدير أن ينهي راتب وموفق دراستهما بتفوق وبالنجاح والتوفيق لنستعين بهما قليلا وان تنهي أنت أيضا دراستك ورايات النجاح والتوفيق معقودة فوق رؤوسكم ، وعندها نترك الاعمال لكم جميعا ، وفقكم الله آمين .

ابو راتب

دمشق في ١٩٥٦/١١/٤

مانشستر - انكلترا

- العلم واتره في مجال الزراعة

ولدننا موفق وفقه الله آمين

أثامي الآن رسالتك التي تحمل رقم / ٢٥ / وقد علمت كل ما جاء فيها ، شررت جدا بنتائج الامتحان ونجاحك فيه بتفوق وأرجو لك دوام التقدم وأقول : ان هذا النجاح ما هو الا ثمرة الجهد والانتباه وفقك الله وسدد خطاك . تقول انك تميل الى الزراعة وانك ستدرس الاقتصاد الزراعي وان هذه الدراسة تحتاج الى هذا العام والعام القادم وبذلك توفر عاما دراسيا . هذا الامر اصبح معلوما لدينا ونرجو الله سبحانه وتعالى أن يوفقك ، فالاختصاص بالزراعة مفيد جدا ويستطيع من يختص بالزراعة ان يعمل في مجال التجارة الحرة والذين يؤسسون مشاريع زراعية وهم مختصون بالزراعة ينجحون نجاحا كبيرا ، وقد اصبح العلم في هذه الايام اساس كل نهضة وتقدم . فالزارع المتعلم يتمكن من أن ينتج من مساحة صغيرة (عشرة دونمات مثلا) ما يزيد عن معاش رئيس دولة . ففي لبنان مثلا يعطى دونم الارض المزروعة تفاحا على الطرق الحديثة ما لا يقل عن أربعين أو خمسين ألف

ليرة سورية . . . ولا بد أنك لا زلت تذكر زيارتنا الى ايطاليا (فيرونا) حيث رأينا ان الارض التي تبلغ مساحتها اربعمائة دونم تدار من قبل شركة مساهمة . فالعلم له دور بارز في جميع الاعمال الامر الذي لم نصل اليه بعد في سورية ، ففي مجال الزراعة مثلا لا تزال الطرق القديمة لم تستفد من التطور العلمي الذي حصل في البلدان المتقدمة كاستعمال آلة الحراثة (التراكتور) . ومتى دخلت الطرق العلمية الى بلدنا سوريا فسوف يتضاعف المحصول الزراعي الى خمسين ضعفا . ونحن دخلنا مجال العمل الزراعي منذ ثلاثة عشر عاما ومشاريعنا ناجحة نسبيا والحمد لله ، ولكن هذا النجاح كلفنا جهدا وعرقا ، وغاية أملنا ان تتأثر بمسيرتنا لكي تكون في المستقبل موفقا في اعمالك متعاوننا مع اخوتك وأبناء عمك منسجمين متحابين متسلحين بسلاح العلم في أعمالكم كلها .

الجميع بخير والحمد لله فكن مطمئنا وانصرف الى الدراسة بكل ما تستطيع من قوة ولا تشغل أفكارك الا بتحصيل المعارف والعلوم وفقك الله وسدد خطاك آمين .

أبوراتيب

- حث على المثابرة ورد على ملاحظات حول

دمشق في ٢٧/١١/١٩٥٦

تطوير الاعمال

بركلي - كاليفورنيا

ولدنا راتب الشلاح رفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك

أمامي الآن رسالتك رقم / ٢٧ / والاخرى رقم / ١٥ / وما بهما علم ، وأول ما أود ان الفت اليه أنظارك ان يكون يقينك بالله جيدا واعتمادك عليه قويا لأن كل توفيق في هذه الحياة مبني على اليقين بالله . فمن كان يقينه بالله قويا اشتد ساعده وارتفعت معنوياته ووفق لكل عمل يقدم عليه ، لأن من شروط الايمان أن يؤمن بالله سبحانه وتعالى وبملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله تعالى . . . وأنت تذكر في رسالتك أنك لم تدرس منذ أسبوعين نظرا لانشغال أفكارك ، فمن أي شيء تشغل أفكارك وتبتعد عن القيام بمهمتك الكبيرة التي هي الدراسة حتى تحصل على أعلى الدرجات العلمية ؟ . . . وهننا الفت نظرك ثانية الى اليقين بالله والاعتماد

عليه سبحانه وتعالى والأيمان به وعندها ستري أنه لا يقع واقع إلا بأمر الله تعالى فتبتعد عنك الهواجس التي تشغل أفكارك وتعوق دراستك . فاليقين يحميك من القلق والاضطراب ويجعلك تندفع كالسهم في تحقيق الذي تسمى اليه ، فانت تقوم بعمل يرضي الله ويعود عليك وعلى الوطن والامة بالخير . انك تسلك طريق العلم ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما يسر الله طريقا الى الجنة . أي ستكون لك اعمال كبيرة في خدمة الآخرين تحصل بسببها على مرضاة الله سبحانه وهذا هو طريق الخير الموصل الى الجنة ، لذلك يجب عليك الا تهمل دروسك والاطمئنان اوقاتك سدى فالوقت كالسيف ان لم تقطعه بالعمل وتشغله بالسعي قطعك بالاهمال والندم . فلا تشغل أفكارك بشيء فكل شيء مقدر وهذا حال الدنيا . فمئذ خلق الله سيدنا آدم عليه السلام تبرز مشكلات تعترض طريق الرجال ومتاعب تتحداهم وهم من جهتهم يعملون كل ما في وسعهم للتغلب على تلك المشكلات وتذليل تلك المتاعب ، وعندما ينجحون ينبعث في نفوسهم نور الامل والثقة بالنفس فيمضون في طريقهم وكأن شيئاً لم يكن . ان طريق العلاء يمضي ابدا للامام ويفرض علينا ان نثبت أمام الصعاب وفي ذلك لذة للنفس وتحقيق لاهدافها الخيرة مهما كانت بعيدة .

عند وصول رسالتنا هذه اليك ارسل لنا عنوان السيدة (فال هاروسلي) حتى نكتب اليها شاكرين ، وانت ارسل لها كتابا آخر على لساننا تشكرها فيه لأن هذه السيدة تستحق الشكر ولاننا بذلك نعرفها على مكانة الاسلام واخلاق المسلم الذي يقدر المعروف .

ما جاء في كتابك الذي يحمل تاريخ اليوم السابع والعشرين من الشهر الماضي قرأته بامعان وفهمت كل ما جال في خاطرك وها أنا ارد على ما جاء في رسالتك تلك بايجاز يتناسب مع الوقت الضيق الذي اكاد اختلسه اختلاسا من بين يدي اشغالنا الكثيرة .

فقد ذكرت أنك ترغب في تغيير عملنا أو تحويل جهتنا الى انشاء مصنع ، فهذا الامر نتركه الآن وننتظر حتى تنتهي دراستك وتعود الينا بالسلامة والنجاح ، وعندها تختار ما يرضيك من الاعمال الحرة . وسأضع بين يديك خبرتي وخلاصة تجاربي ، كما سأضع بين يديك ما أملك لتضيف ذلك كله الى علمك وثقافتك وسأفوضك

بإبقاء ما تراه مناسباً من الأعمال التي نزاولها وسأقبل منك كل اقتراح يهدف إلى تنظيمها أو إلى جعلها تسير على الوجه الأفضل والاثم ، والمدة المتبقية لإتمام تحصيلك ستمر أيامها مهما طال .

هذا ما أحببت أن أقوله في هذه العجالة لأنني كما ذكرت لك في بداية حديثي أميل إلى الإيجاز منظرًا وقد كنت أوضحت لك أموراً كثيرة تتعلق بأعمالنا عندما كنت تحضر إلى دمشق في أيام العطل ، ولكنني ما كنت أخوض في التفاصيل الدقيقة مراعاةً مني لسنك ولما يمكن أن تستوعبه واثت في غمرة الدراسة والتحصيل . ولديّ أيضاً كثيرٌ من أساطعك عليها عندما تحضر إلى دمشق ، كما سأطلعك على الكثير من المشكلات والمتاعب التي اعترضت سبيلنا ولا سيما أنك صرت الآن في مرحلة من الوعي والنضج الثقافي تسمح لي بأن أمد أبصارك إلى آفاق جديدة .

اتصل بموفق عن طريق الرسائل أو عن طريق الهاتف وقل له إذا كان يجد صعوبة في إتمام دراسته في انكلترا فليذهب إلى أمريكا وليتم دراسته هناك (عندك) . وقد حررنا له رسالة بهذا الخصوص وأرسلنا له حوالة إلى بنك لويد ليكون معه زيادة من المال ولا يحتاج إلى أحد .

ملاحظتك التي أبديتها حول أعمالنا صحيحة وبإمكاننا كما قلت أن نبيع بناءً نوسع بثمنه أعمالنا التجارية ولكن فإني أمر هام نود أن نعرفك عليه وهو من عرفنا التجاري . فكلما ازداد رأس المال احتاج إلى جهد أكثر وتعب أكبر ، فإني رأيت المال العالي يتطلب أشخاصاً وادمغة تنصرف بكليتها لتشغيله وتوجيهه ، ونحن كما تعلم لا نستطيع أن نتحمل أكثر مما نتحمله الآن بالأعمال الحالية ورأس المال الحالي . ولكن عندما تعود باذن الله وترغب بأعمال أوسع فنسوس أعمالنا ونؤسس لك الأعمال التي تحبها وبدون أي تعب أو مشقة .

أما عن اطالنتك الكلام ومناقشتك لنا في أعمالنا فهذا ما نرغب فيه ونحن مسرورون من الأفكار التي طرحتها حول الأعمال التجارية وغير التجارية ، والذي نرجوه من الله سبحانه وتعالى أن يوفقكم جميعاً أخوة وأبناء عم ، وأن يجعلكم من سعداء الدنيا والآخرة . . . اتصالك بنا هاتفياً كان بمثابة بلسم لنفوسنا لأنك جعلتنا

نظمين عن موفق . الحالة عندنا هادئة ولا يوجد ما يعكر خاطر ، وما حصل في مصر وتوقف بعض البلدان عن استيراد محصولنا وترفع كثير من الناس عن العمل خلق ازمة مالية . غير ان المصرف المركزي بتوجيه الحكومة قضى على هذه الازمة وبدا التجار يتصلون بأسواق جديدة لتصريف محصول بلادنا من القطن ، وقد بيعت منه كميات قليلة نسبيا ، ومتى ازدادت الكميات المباعة فستفرج الازمة المالية نهائيا . المعلومات التي طلبتها عن المصرف المركزي والدور الكبير الذي يقوم به الآن في خدمة الاقتصاد الوطني والمعلومات التي تتعلق بتصريف الامور وتسييرها قبل وجود المصرف ستصلك عما قريب اذ طلبنا من الدكتور عبد الفني حمور (واظن أنك تعرفت عليه عندما زرناه مع الوالدة في الزبداني وفي دار الخالدي ، وهو شاب مثقف حصل على الدكتوراه من فرنسا ويتمتع بذكاء حاد ويتفهم القضايا الاقتصادية تفهما جيدا) طلبنا منه ان يجيبك ويزودك بما طلبت ، وقد وعدنا انه خلال يومين سيعد لك دراسة وافية فيها الايضاح الكافي ، وعندما ينتهي من اعداد هذه الدراسة سنرسلها لك .

وأخيرا الجميع عندنا بخير والحمد لله يهدونك السلام ويقبلون وجناتك عن بعد ويدعون لك بالتوفيق والنجاح . عمك لم يقل (شايفك ما في غير حككي ، بدنا نشوف شو بده يطلع بالآخر) فنحن جميعا نثق بك وقلوبنا مطمئنة من جهتك فالقصب لا يعطي إلا السكر ، والنحل لا يعطي إلا العسل ، فسر مستعينا بالله لتحصل على ما تريده ونريده نحن لك من علم زائد ومراكز ممتازة والله يسدد الخطأ ويهدي السبيل . الجدة الكريمة بخير تدعو لك بالنجاح والتوفيق ونحن نقبلك عن بعد من وجناتك وعيونك ، والباري سبحانه يوفقك ويكؤلك بعين عنايته والسلام .

أبو راتب

دمشق في ١٢/٢٠/١٩٥٦

بركسي - كاليفورنيا

- الزواج - الزواج بالاجنبيات - عقود

الاهل والوطن ...

- رضا الوالدين

وللنا راتب وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

استلمت رسالتك رقم (١٣) ورسالتك رقم (١٧) وعلمت كل ما جاء فيهما
واترك الآن الاجابة عن الرسالة الاولى واجيب عن الرسالة الثانية نظرا لاهميتها . فانت
تتحدث فيها عن الزواج ، والزواج أمر هام . فلذا كانت أمور الحياة تقدر بفراط
واحد فان القضية التي تحدثت عنها تقدر بكل ما بقي من قراريط أي بثلاثة وعشرين
قيراطا وذلك لان الراحة والسرور نصيب من يوفق في زواجه بسبب ما جعله الله
جالت حكمته من مودة ورحمة بين الرجل والمرأة التي ستكون شريكة حياته ، ولان
الكدر والتعب من جهة أخرى نصيب من يخفق في زواجه . والزواج خير سبيل لتكوين
الاسرة وهي الحجرية الصغيرة من حجيرات المجتمع ، لهذا فمهما اعطيناه من الهمية
فلن نعطيه حقه ، وكن على ثقة من انني مسرور من مصارحتك لي بهذا الامر ، ومسرور
من تفكيرك به ، ومن آرائك الجيدة الناضجة حوله . وانا لست ممن يتمسكون بعقلية
القدماء تلك العقلية التي كان اصحابها يحجمون عن مشاركة ابنائهم في حل مشكلاتهم ،
كما كانوا يصمون آذانهم عن سماع آراء الابناء حول هذه المشكلات .

ومشكلة الزواج مشكلة من مشكلاتكم أيها الابناء بل ربما كانت اهم مشكلاتكم
على الاطلاق . وانا كلما فكرت بأمر زواجك كنت أردد في سريري أنني سأقدم لك
خبرتي كلها وتجاربي جميعها ، كما سأضع بين يديك كل ما عانيت من مشكلات في نطاق
العائلة وما استقر في ذاكرتي وتأثرت به من مشكلات الناس أيضا ثم أترك لك بعدها
الخيار ، وتنهج السبيل الذي تحب وتسلق الطريق الذي ترى . فالذي يهمني من
زواجك سروري العظيم بأنك تزوجت وأصبحت رب أسرة ، كما يهمني ان تكون حياتك
الزوجية كلها هناء وراحة . واذا حصل خلاف ما نريد وما نتوقع فإن نتأثر الاعن
بعد وخلال فترة قصيرة ومحدودة وستبقى وحدك تتحمل النتائج كلها . فأنا سأندخل
في الموضوع لضمان راحتك ، وكن على ثقة بأن أكبر فرحة للوالد هي زواج اولاده في
حياته . ولترجع الآن الى الموضوع ولنتناوله من أسسه الاولى :

تقول في تحريرك أنك تفكر بالزواج منذ مدة ، وتحب ان تتزوج لأسباب عديدة منها تعرض الشاب لشباك البنات وان سبعين بالمائة من الطلاب الثريين أمثالك متزوجون وان الزواج لا يؤخر الدراسة بل ربما تحسنت ظروف دراستك فيما اذا تزوجت . . . نحن نوافقك الآراء ولا نحول بينك وبين الزواج وانما نقول لك منذ البدء وقبل ان تضع أي خطوة على الدرب اننا لا نوافق على زواجك بأجنبية لان في هذا الزواج المعقوت عقوقا لي وللوطن وعقوقا لمن يتزوج الاجنبية ايضا .

١ - فالعقوق بالنسبة لي هو ان ارى ولدي الذي تعبت كثيرا وضيعت كثيرا من اجل ان اراه متعلما يحتل مركزا مرموقا بين أبناء وطنه ومن اجل ان يتزوج امرأة عربية يعيش معها براحة ، ونعرف نحن افراد العائلة كيف نتعامل معها ، ان ارى ولدي هذا الذي اعلق عليه الآمال يضرب بكل ذلك عرض الحائط ويقدم على عمل لا اريده له وهو الزواج بأجنبية ، هو العقوق . لذلك فمهما كانت الزوجة فهي ليست لك وحدك . انها لك بالحب والود والاخلاص والعون على بناء الاسرة وتخطي صعوبات الحياة ، ولكنها لعائلتك بحسن المعاملة والتصرف اللائق الذي يحافظ على اسم العائلة ولا يعرضه للتمريغ بأوحال النقائص والدم من قبل الآخرين . وانك انت ، انت ذاتك ، لست لنفسك وحدها بل انت لوالديك ولعائلتك ولوطنك .

والعقوق بالنسبة للوطن يتجلى في أن العرب الذين يقدمون على الزواج بالاجنبيات تكون الرابطة مفقودة بينهم وبين زوجاتهم ، ومفقودة بين هؤلاء الزوجات وبين الوطن . وسينتج عن هذا الزواج اولاد مهجنون أي ليسوا عربا وليسوا اجانب ولا نعلم ماذا ستكون ذريتهم في المستقبل وماذا ستكون مواقفهم من قضايا وطنهم ، هذا الوطن الذي فضل علينا جميعا إذ عشنا فيه واكلنا من ثمره وتنسمننا من هوائه وشربنا من مائه وتمتعنا بخيراته كلها ، فهل بعد ذلك كله نترك له نوعا من الذرية قد تميل مع اعدائه او انها في احسن احوالها ستقصر في خدمته والقيام بما يفرضه عليها من مهام ؟ وهذا عقوق واي عقوق للوطن ولابناء الوطن .

والعقوق بالنسبة لمن يقدم على هذا العمل المشين فانك مهما لقيت في الزوجة الاجنبية من جمال وطباع حسنة واخلاق مرضية فهذا كله لا يمكن ان يدوم لان دم الانسان ونشاته الاولى سيؤثران عليه في المستقبل ، وهذا ما حصل لكثيرين ممن

تزوجوا بأجنبيات واحضروهن الى الوطن حيث اصطدموا بصعوبات ومشكلات كثيرة .
والذين سلموا من المشكلات قلائل وهم مع ذلك يعيشون على مضض من تصرفات
زوجاتهم التي لا يمكن ان يتقبلها العربي مهما بلغ من التحرر والانسلاخ عن اخلاق
امته وعاداتها وأعرافها وتقاليدها . . . والشاب لا يحسب للمستقبل اي حساب
ولا ينظر في العواقب فينجرف مع عاطفته وغريزته البشرية . انه لا ينظر الى ابعد من
انفه كما يقولون ويغيب عن ذهنه ان الرجل القوي لا تعرف رجولته الا بقدرته على
تحمل الصعاب وتخطي العقبات ، اما اذا انهار امام المغريات فلا يكون رجلا حقا ولا بد
ان فيه نقصا سبب له التعثر فالسقوط . وهناك بيتان من الشعر للامام البوصيري
رضي الله عنه مرآ بذكرتي الآن واحب ان اذكرهما لك ويقول فيهما :

وخالف النفس والشيطان واعصهما وان هما محضاك النصح فاتهم
ولا تطع منهما خصماً ولا حكماً فانت تعرف كيد الخصم والحكم

ويتضح من معنى هذين البيتين ان النفس الضعيفة والشيطان هما عدوان لدودان
للانسان حيث يتظاهر كل واحد منهما بالنصح ويتهم الآخر بالفش والتدليس . لذلك
يجب على الانسان الا يطيعهما كما يجب عليه ان يكون بعيد النظر كثير التحمل يصمد
امام ما يعترض سبيله من عقبات . ومن المعلوم ان غريزة الانسان تقوى ويشتد
ساعدها في السن الذي يتراوح بين الثامنة عشرة والخامسة والعشرين ، والعاقل من
يجتاز هذه السنين الحرجة بسلام ، وعندها يكون قد بنى حياته ووصل الى الهدف
الذي يسعى الى تحقيقه .

ولنعد الآن الى ما نحن بصدد الحديث عنه :

انا واثق من جميع ما جاء برسالتك ، واثق من طاعتك لنا ، واثق من تطبيقك
لكل ما جاء في توجيهاتنا ، واثق بانك لا تتصرف اي تصرف الا بعد اخذ موافقتنا . وانا
واثق من انك ستنسى كل ما جاء في رسالتك ، واثق بطلبك منا ان نمزق تلك الرسالة
ولا نعلم احدا بما جاء فيها في حال رفضنا للفكرة . كل ما ذكرته لك آنفا وتحدثت عنه
في رسالتك اثق به بل جعلني ازداد ثقة بولدي راتب ولا اغير شيئا من الامال التي
اعقدها عليه ، بل ازددت يقينا بأنه سيكون لك مستقبل زاهر ما دمت انت بهذا الوضع
الممتاز من النصح وتتمتع بمثل هذه الاخلاق الكريمة واليقين الذي يدعو الى الثقة والاطمئنان .

والآن جاء دور الخطيبة :

- ١ - قلت انها عربية وهذا ما يجعلنا لا نتردد بالموافقة والقبول .
- ٢ - عمرها يتراوح بين السابعة عشرة والثامنة عشرة وهذا امر حسن ايضا .
- ٣ - انها على غاية من الجمال وهذا ما أريده لك (زوجة جميلة) .
- ٤ - والدها له مكانة وعائلتها محترمة ، فأكرم به من والد وأكرم بها من عائلة ونعم النسب نسب الكرام .
- ٥ - وضع والدها المالي لا يعيننا كثيرا لأن المال لا يقدم الانسان ولا يؤخره ولربما كان كل ما نملكه نحن وعمك لا يساوي فضلات صندوق والدها ، ولكننا والحمد لله نتمتع بمكانة رفيعة في بلدنا وبين أبناء مجتمعنا وقد حصلنا عليها من قبل كل من يسمع باسمنا في قطرنا وفي الاقطار العربية كلها .
- ٦ - رسالتك مختصرة ولكنها واضحة تناولت اكثر الجوانب الهامة للموضوع غير أنك لم تذكر شيئاً عن والدها واخوتها ، والذي اعرفه أنا ان والدها من عائلة شامية طيبة وان والدها من العلماء وان البنت ربما تكون قد درست مع اخوتها في كلية فكتوريا بالاسكندرية ووالدها مركزه معروف (وقد كان المستشار المخلص الامين للملك المرحوم عبد العزيز آل سعود ، كما انه يحتل الآن المكانة ذاتها عند الملك الحالي سعود بن عبد العزيز) وهو من عائلة عريقة اتصف أفرادها بالعلم . فوالده (أي جد الخطيبة) عالم كبير ، وولده الاكبر شقيق الخطيبة له أعمال واسعة في مصر وانكلترا وأمريكا ويقضي اغلب أوقاته في أمريكا نحن بنساء على رغبتك لم نستشر أحدا ، لا السيد عثمان ولا أعمامك ولا جدتك ولا والدتك ، ولم يقرأ رسالتك الا أنا وعمك ، وعليه أحب ان أقول لك نحن موافقون على الخطبة طالما ان البنت قد أعجبتك ولا يوجد لدينا أي مانع ففاتها بالامر وعرفها على وضعنا الحقيقي دون زيادة أو نقصان ، فاذا تمت الموافقة من قبلها ومن قبل والدها ووالدتها وأشقاتها فنحن مستعدون للتقدم لخطبتها بصورة رسمية من والدها ، كما أننا مستعدون للتقدم بالسفر الى أي مكان اكراما لك . ومتى تم كل شيء فلن نتأخر عن تعيين وقت اجراء عقد النكاح في فصل الصيف القادم ، وليكن موعد العرس كذلك في هذا الفصل وبعدها تعود لاتمام دراستك مصطحبا معك الزوجة .

وبالختام نرجو الله سبحانه أن يختار لك ولاشقاؤك ولابناء عمك ولها أيضا الخير والفلاح .

يوم سافرت لاداء فريضة الحج خرج جدك معي الى المحطة لوداعي وكان في المحطة حشد كبير من الناس لا يقل عن عشرة آلاف نسمة من مودعيّ ومودعي ألف حاج كانوا معي في تلك الرحلة المقدسة ، وامام الجمع المحتشد وعندما بدأ القطار يتحرك قبلت يده ونزلت الى الارض اقبل رجله وهو يبكي والناس يبكون ، وطلب مني ان اكف عن هذه العملية وانهض . . . هذه الحادثة يذكرها الناس في مجالسهم وقد جلبت لي سمعة حسنة تزيد عن تلك السمعة التي حصلت عليها من كل ما قمت به ، ففي أيامنا هذه يقولون يكفي أن يقبل الابن يدي والده ، ولكن الناس لا يدرون أن مثل ذلك الموقف يزيد من قيمة الرجل ويعلي مكانته بين أبناء مجتمعه وهو رأس مال كبير له في حياته . . هذا شاهد من شواهد كثيرة احببت أن أذكرها لك لتزداد تمسكا بما أنت عليه من رضا الوالدين والسير ضمن نصائحهما وارشاداتهما .

خيرني بسرعة عن كل ما يطرا بالنسبة للخطبة حتى اذا سارت الامور حسبما نتوقع فاننا لن نبقي زواجك الى فصل الصيف بل سنجعله في اول الربيع فلا تتغيب عن دوامك الجامعي أكثر من أسبوع .

ابوراتب

دمشق في ١١/١١/١٩٥٧

- الدراسة وحفظ الرسائل

- معهم ويقفله ما يحدث لاحدهم

برمانا

- البعد عن اللعب بطيش

أولادنا الموفقين : سليم وفاروق وطارق وغسان ومحمد ، وفقهم الله جميعا

اقبل وجناتكم عن بعد واخبركم اننا استلمنا رسالتكم وسررنا غاية السرور من
الحبايبكم على الدراسة وتقديركم لنا واعترافكم بجهودنا التي نبذلها في سبيل القيام
بواجبنا ازاءكم لنؤمن مستقبلكم . ونحن بدورنا نرجو الله سبحانه وتعالى ان يوفقكم
جميعا لتطبقوا ما جاء في رسالتكم وعلمنا من غسان ومحمد انهما يدرسان جيدا
على حين وصلنا اخبار تقول انهما ضعيفان بالنسبة لدراستهما وهذا ما لا نقبله منهما
لاننا جازفنا ودفعنا نفقات غالية للمدرسة لا تقل عن ثلاثة آلاف ليرة سورية عن
كل واحد منهما املا بان يكونا بعيدين عن المنزل وعن اولاد اختهما ولينصرفا للدراسة
وتلقي العلوم . ومبلغ ثلاثة آلاف يدفع على ولد يمثل سنهما ليس من السهل دفعه .
فمعاش الموظف العادي كالشرطي والدركي لا يتجاوز شهريا مائة وخمسين ليرة سورية
وهو بهذا المبلغ يعيش مع زوجته واولاده ويدفع اجرة البيت وهذا ما يوجب
عليهما وعليكم جميعا ان تحافظوا على الوقت وان تبتعدوا عن اللعب وتقدروا جهدنا
الذي نبذله تجاهكم . ايها الاحباء بلفنا نبأ سقوط طارق من السطح الى الارض فكلفنا
السيد خالد سعد ان يزوركم ويطمئن قلوبنا عنه ، وقد عرفنا انه اخذ الى بيروت
وصور وكانت النتيجة انه سليم والحمد لله ، وقد اتصلنا بالمدرسة هاتفيا وتحدثنا مع
فاروق فطمأننا عن حالة طارق ونحمد الله الذي حفظه وعافاه وهنا نود ان
نلفت انتباهكم الى نصائحنا الماضية لكم ولتذكروا اقوالنا لكم من ان اللعب بطيش
وعدم انتباه نتائج وخيمة . ماذا نقول لكم ؟ هل نسيت نصائحنا وجعلتموها
دبر اذانكم ؟ عجبنا والله انكم تذكرونها في رسائلكم الينا وتثنون عليها ولا تطبقونها في
حياتكم ؟ ! ولتذكروا جميعا انني اوصيتكم بحفظ رسائلنا في ملف خاص لتعودوا اليها
بين الحين والحين لتستفيدوا مما جاء فيها ، وانني الان احمل مسؤولية حفظ
هذه الرسائل لسليم . انا افكر بالسفر الى مصر لحضور مؤتمر الغرف التجارية العربية .
وختاما - نقبلكم جميعا عن بعد ودمتم .

أبورايب

دمشق في ١٩٥٨/٢/٤

- زيارة مصر

برمانا

- مكانة العلم والعلماء

ولدينا سليم وفاروق وفقهما الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيكما

يوم الأربعاء الماضي وصلنا القاهرة بالسلامة والحمد لله ومعنا الجدة الكريمة
وأم راتب وهما بتمام الصحة والعافية تدعوان لكما بالتوفيق والنجاح . . . وقد
كنا مسرورين جدا من زيارتكما للقطر المصري الشقيق وكنا نأمل أن يطول وقت الزيارة
حتى تتمكننا من زيارة مدينة الاسكندرية ومدينة بور سعيد ، ولكن حرصنا على
دراستكما جعلنا نكتفي بالمدة التي أمضيتها في ربوع الكنانة . وقد أخذنا فكرة عن
مدينة القاهرة ومعالمها الاثرية وقصورها ونيلها الفني المعطاء . . . أيها الحبيبان
عرفنا من رسالتكما أن الرئيس لم يسمح لكما بالسكن خارج المدرسة فنرجو الا يكون
ذلك معرقلا لدراستكما واجتهادكما . ومتى توكل الانسان على الله وانصرف الى دروسه
بجد ونشاط فلا بد من أن يكون ناجحا وعلاماته تكون كاملة وكل من جد وجد وكل
من سار على الدرب وصل . ونريد ان نعلمكما ونحن في هذا العمر وقد مر علينا كثير
من التجارب أن العلم فوق كل شيء والعالم يحتل المركز الاول في أي اجتماع يحضره
 ويفرض وجوده في كل لجنة يشكل . لذلك فلا تضيعا ساعة من أوقاتكما بغير
اجتهاد ومطالعة ، هذه الايام فرصة متاحة لكما وستندمان في المستقبل على كل
دقيقة تذهب سدى . املي وطيد بأنكما ستواصلان الدراسة والاجتهاد ، وأوجه
كلامي هذا الى محمد وغسان ، فقد بلغا الثانية عشرة من العمر ولا بد من الجهد
والاجتهاد ، وقد كتبت لهما رسالة سلماها لهما .

وفي الختام الجميع عندنا بخير يدعون لكم بالتوفيق والنجاح . . . وقد وصلنا
رسالة من امين سر المدرسة يشكرنا فيها على الهدية التي قدمناها له ، ولا بد انه
سيكرمكم ويعتني بكم . . . حفظكم الباري بعنايته .

أبوراتب

دمشق في ١٩٥٨/٢/٤

- لا فرق بين أب وغم

برمانا

- الحث على الدراسة

أولادنا طارق ورفيق وغسان ومحمد السلاح وفقهم الله آمين

بعد ابداء الشوق وتقدير الوجات

حضرتم الى دمشق في عطلة عيد الميلاد وكنا غائبين في مصر . ولكم كنا نود ان نكون موجودين لشراكم لاننا مشتاقون لكم كثيرا ، ولكن طالما ان والدم (شفيق) موجود فقد حصل المطلوب لانه لا فرق بيننا نحن الاثنين ، فاذا نظرتم هو فكاننا نظرناكم واذا نظرتموه انتم فكانكم نظرتمونا . لقد سبق وعدنا الى سليم وفاروق بأن يزورا مصر ليطلعوا على معالم مدينة القاهرة وهذا الوعد امانة في عنقنا وقد وفيناه ولكن كان الوقت قصيرا جدا فهذه الرحلة تحتاج الى خمسة عشر يوما على الاقل ، وقد بذلنا جهدا لا بأس به ليحصل فاروق وسليم على المطلوب من هذه الرحلة وهو الاطلاع على معالم مدينة القاهرة عاصمة الكنانة واعاننا على ذلك وجود سيارة تحت تصرفنا . والذي نرجوه من الله سبحانه وتعالى ان يحفظكم بعين رعايته حتم تكبروا لناخذكم برحلات تطلعون فيها على معالم وطننا العربي والعالم . بلفني ان هناك قصورا في الدراسة بالنسبة لغسان ومحمد وهذا يخالف الوعد الذي قطعاه على نفسيهما بوجوب الدراسة والحفظ والمطالعة والانتباه خلال الدروس واقول لهما ان موعد الامتحان الاخير لا يزال بعيدا ولديهما فسحة من الوقت يستطيعان خلالها ان يتداركا تقصيرهما واملني كبير انكم جميعا ستكونون منتبهين الى دروسكم ، واملني كبير ايضا ان اجدكم جميعا في نهاية الفصل ناجحين حائزين على أعلى العلامات بالنسبة لرفاقكم جميعا . وختاما ارجو لكم التوفيق جميعا ، حفظم الباري وسدد خطاكم .

ابو راتب

دمشق في ١٩/٢/١٩٥٨

الزواج من فتاة ثرية

ولدنا راتب وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

ورد في رسالتك جملة تقول فيها أنك لا تريد أن تكون زوجتك صفرا على الشمال ، وأجبتك مستغربا ذلك . فلم ييدر مني يوما من الايام ما يدل على أنني عاملت والدتك كصفرة على الشمال ، وأنت أعرف الناس بطريقتي وآرائي . ولم اطلب منك أو من أحد أشقائك يوما تنفيذ شيء لا ترغبون فيه وتقدرتون على حمله ، وأنت تعرف ما تحملت من ضغط وأعباء لا تحتمل ، وقليل من الآباء من يستطيع تحمل ما حملته . ولكنني أخذت عهدا على نفسي بالألا أكون والدًا بل أخا كبيرا لجميع أولادي ولابناء عمهم أيضا وأنا اب لكم جميعا ، وبهذه الصفة أكون ناصحا ومنقذا وموجها لما فيه صالحكم ومستقبلكم وكيانكم الاجتماعي وراحة بالكم .

ولهذا فان كل رأي أبدي ، لكم الحق في قبوله أو عدم قبوله . ولكن علمتنا التجارب أن الرأي اذا صدر عن شخص مجرب عركته الحياة ونظر الى خفاياها يكون هذا الرأي صائبا ، انما الاولاد لا يشعرون بالنتائج الا عند وقوعهم بالمشاكل .

اعود الى مسألة الزواج من فتاة ثرية فأقول أن الحياة في القاهرة تختلف عنها في دمشق . فهناك الزوجة لا تهتم بشؤون المنزل والطعام فلديها طهارة وخدم وسائقون وسيارات وتجده كل شيء جاهزا في خدمتها ولديها اوقات فراغ تقضيها في الزيارات والاستقبالات والحفلات والملاهي ، إلا أن هذه المعيشة لا يتمكن من تأمين نفقاتها إلا اصحاب المورد الكبير .

ولكن هذا لا يدوم ولا ينطوي على أي عدل اجتماعي ، فأناس يعيشون في ترف طاع وبطر ، وحولهم اناس ربما لا يتاح لهم الخبز الحاف والفول المدمس .

ولهذا قامت ثورة مصر ، وأول عمل قامت به هو تحديد الملكية . فالرجل الثري الذي يملك خمسمائة فدان ايرادها عشرة آلاف جنيه بدون تعب خفضت ملكيته السي

مائي فدان ايرادها اربعة آلاف جنيه لا تكفيه للمعيشة على المستوى السابق . ونحن لدينا مواردنا ، ولكن الافضل ان ننفق على قدرها دون تبذير . وحتى في اشد البلدان الراسمالية ثراء كأميركا وانكلترا نجد ان المجتمع لا يسمح بنمو الثروة الفردية الى حد مفرط بل يخففها بالضرائب ويحول دون الانفاق غير المسؤول إلا في صالح المجموع . ولاحظت مثلا ان (هورسلي) صاحب المعامل الكثيرة والدخل الضخم يعيش مع أسرته وأولاده من حيث النفقات والترف في مستوى عادي . لقد اقترح عمك والد زوجتك بناء فيلا مستقلة لك ولزوجتك ، ولديه القدرة لدفع المبلغ المطلوب ، ولكننا لسنا ملزمين بأن نعيش من فضل أحد . ولا ننكر نعمة الله علينا وسمعتنا من الناحية الاجتماعية قل من حصل عليها من طبقتنا . المهم ان نبني المستقبل وهو مستقبلكم الذي عملنا وتحملنا من اجله الكثير ووصلنا الى مركز يغبطنا عليه الاصدقاء ويحسدنا غيرهم ، ذلك لانه لا تشكل جمعية الا ونحن في طليعة مؤسسيها ، ولا يشكل وفد الا ونحن في المقدمة ، ولا يوضع مشروع الا ونحن في عداد المشاركين فيه ، ولو أردنا ان ننصرف الى الاعمال الخاصة لجمعنا اضعاف اضعاف ما نملك ، والواقع ان همتنا في الحياة هو تربية اولادنا وتعليمهم وراحتهم .

ابو راتب

دمشق في ١٩٥٨/٢/٢٢
برمانا
- في العمل النافع راحة
- الانسان عليه ان يبذل وان يضحي
- كونوا بيدا واحدة

ولدي سليم السلاج وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

وصلتني رسالتك ذات الرقم (١٤) وعلمت كل ما جاء فيها . وقد سررت من حسن تعبيرك وجمال أسلوبك ، فلقد عبرت عما يدور في نفسك وما يدور في نفسنا ولكنك لم تستقص كل ما يدور في أنفسنا . ولكي تكون لديك الصورة الواضحة عن ذلك الموضوع اقول : قلت ان ذهابنا الى مصر لم يكن للراحة وانما كان للتعب ، وقد سبق ان اوضحت لك اننا مسرورون من هذا التعب ، وسرورنا قد يفوق سرور الكثيرين من الراحة . فالراحة الحقيقية لا يحصل عليها الا صاحب الايمان القوي

واليقين الثابت ، وایماننا قوي بأن الانسان لم یخلق على وجه الارض الا لیعمرها .
والعمران یتسم بأن یتكون معلما لغيره حینا وتلميذا حینا آخر . یفید ویستفید .
والعمران یتسم بأن ینشئ ابنیة ویحدث مزارع ویحسن الى خلق الله لان الحدیث
الشریف یقول الخلق کلهم عیال الله وأحبهم الى الله أنفعهم لعیاله . فاذا أنعم الله على
عبده بنعمة الجاه وجب علیه الا یتخل بجاهه بل یساعد به خلق الله . وإلا فما الفرق
بینه و بین الذین لیس لهم جاه ومكانة ؟ واذا أنعم الله سبحانه على عبده بنعمة
المال وجب علیه الا یتخل بماله على المحتاج . وقل الامر نفسه بالنسبة للقوة والعافية
والعقل والحجة والمنطق ، فكل هذه الامور هبات من الله لعبده وضعها بین یدیه
لیساعد خلق الله ، واذا لم یقم المنعم علیه بمساعدة خلق الله سلب هذه النعمة وهذه
الهبات واعطاها الله لمن یحسن الشکر علیها والوفاء بحقها . وقد ترى كثيرین من
أصحاب الجاه والمال قد سلبوا نعمة الجاه ونعمة المال بعد فترة من الزمن وما ذلك
إلا لانهم لم یقوموا بما علیهم من واجبات تجاه خلق الله .

زیارة مصر لم نرد منها الا سمعتكم ومصلحتكم . تذكر انني وعدتك بزیارة مصر
من قبل وكنت اود ان تكون المدة الكافية التي مكثت فيها في ارض الكنانة اطول مما
كانت لتستفید فائدة اكبر ، وكنت اود ایضا ان يكون لدي فراغ كاف لتزور اماكن
عدیده في مصر غیر تلك التي زرناها .

انني اوافق على سكنك خارج المدرسة لانني اعرف تمام المعرفة انه لن یتغیر
سلوكك وسیرك ولن یتخلف اخلاقك . انا اعرف ذلك واعرف انك لن تترك السكن في
المدرسة دون مشورة لما اعرف ایضا ان الطلاب حریصون على الاعمال التي یقومون
بها الا تضر مستقبلهم . ولتعلم ان النظام والاحترام واحترام النظام هو اساس
الحیة . ونحن لیس لنا هدف في هذه الحیة إلا تعلیمكم لتستفیدوا ولاجل ان
تدکرونا بخیر عندما تکبرون . وانا سنرفع راسنا عاليا عندما تنهون مرحلة الدراسة
بنجاح وتفوق وتستلمون مراكز مرموقة في المجتمع .

وختما أمل ان تكونوا جميعا بخیر وعلى نية عالية واحدة وبهذا تحصلون على
النجاح . . . وفقكم الله لما یحبه ویرضاه وسدد خطاكم جميعا .

ابوراتب

دمشق في ١٨/٣/١٩٥٨

- الشعور بالارهاق

برمانا

- موازنة بين مجتمعا ومجتمع الانكليز ...

ولدي سليم وفقه اأمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين
احيطك علما انني استلمت رسالتك التي تحمل رقم / ٩ / واطلعت على كل ما جاء
فيها . سمعت الامثلة التي سمعتها من بعض المعلمين الانكليز والموقف الذي اتخذه
من هذه الامثلة يجعلني اقول ان كلا من الطرفين على حق . فهذه الامثلة واقعية ولكن
ما العمل وهذا هو نظام الحياة في هذا الشرق المسكين ؟ والمعلم الانكليزي يتحدث
عن نظام الحياة في بلده حيث يعرف كل فرد من افراد الامة ان عليه واجبا ويتحمل
مسؤولية ، وهذا ما يجعل الافراد يقومون بالاعمال التي يستطيعون القيام بها .
اما في شرقنا فقد يجهل الكثيرون من افرادنا الواجبات المترتبة عليهم تجاه ابناء
المجتمع ، كما انهم يجهلون حقوقهم التي يجب ان يطالبوا بها ولهذا السبب يكون حمل
الذين يشعرون بالمسؤولية ثقيلًا . . . فمتى يتهيأ للامة العربية ان تنهض من عثرتها ؟
ونرجو الله سبحانه وتعالى ان يتحقق ذلك في القريب العاجل . وفي هذه الايام ايام
الوحدة بين قطرين من اقطار العروبة مصر وسورية . . . ونرجو الله التوفيق لكل
عمل وحدوي يتم على ثرى الوطن العربي ، كما نرجو سبحانه ان يجعلك من الموفقين
لتحتل في المستقبل القريب اعلى المراكز وذلك بعد ان تنهي دراستك بنجاح وتفوق
لتنزل الى معترك الحياة وتقدم كل ما تقدر عليه من خدمة لامتك ووطنك . انني احاول
اعتزال بعض الاعمال العامة التي باتت ترهقني وتأخذ الكثير من وقتي ، ولكن الناس
لا يسمحون لي بذلك لاستقامتي ، ولو كان افراد الامة كلهم متحلين بالاستقامة والشعور
بالمسؤولية لكان الحمل على امثالي خفيفا . ارسلت رسالة الى محمد وغسان مع
رسالتي هذه ويلزمهما التشجيع عسى ان يفتح الباري عليهما من ابواب عنايته
ما يجعلهما يجدان في دراستهما وانا سأحاول ان ازورك في عطلة الربيع لاتحدث مع
المعلمة عن اوضاعهما واعود بكم جميعا الى دمشق . . . وكما احب ان املك المزيد من
الوقت لاوضح لكم كل ما اريد توضيحه ، ولكن الاوقات تضيق بالنسبة لاعمالنا
الكثيرة ولا حول ولا قوة الا بالله .

الجميع عندنا بخير يدعون لكم جميعا بالتوفيق والنجاح والباري يحفظكم ويسدد خطاكم دائما

ابو راتب

دمشق في ١٩٥٨/٩/٢

اميركا - بركلي

حث على الدراسة

ولدنا راتب وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك

امامي رسالتك ذات الرقم / ٢٣ / وقد علمت كل ما جاء فيها .

ما ذكرته عن الفحص والمطالعة والجهد الذي تلاقيه علم لدينا ونسأل المولى
جلّ وعلا أن يكون معيناً لك وموفقاً .

كثيرون ممن حصلوا على شهادة الدكتوراه ويشغلون مناصب عالية قد تعبوا
ولا شك ، واعترضت سبيلهم المشاق والصعوبات الجسام ولا سيما أن أكثرهم لا توجد
عند آبائهم القدرة المالية الكافية للانفاق عليهم ، ولكنهم درسوا وجدّوا في دراستهم ،
دخلوا مسابقات ونجحوا فيها وذهبوا بعثات مجانية الى بلاد الغربة وكان ذلك نتيجة
لتفوقهم العلمي ، ولا يعلم أحد إلا الله كيف عاشوا في تلك البلاد وكيف امضوا سني
الدراسة ، ولكنهم في نهاية المطاف وصلوا الى غاياتهم وحققوا اهدافهم على الرغم
من كل العقبات التي اعترضت سبيلهم . فالحياة كفاح يفوز فيها من يبذل الجهد
ويصبر ويتخطى العقبات ويستعين بالصعوبات .

نحن عاتبون عليك لانك تأخرت عن الكتابة الينا ولكننا نعذرک الآن ونريد أن تتفرغ
لدراستك حتى تنجح وتتفوق على أقرانك باذن الله ولا سيما أننا علمنا أن فحصك
سيكون بعد ساعتين من هذا الوقت الذي نحرر لك فيه هذه الرسالة . فتح الله
عليك فتوح العارفين ووفقك في هذا الفحص وفي الفحص النهائي اي في مناقشة
الاطروحة ثم في أعمالك الجرة وحياتك المقبلة أنت وابناء عمك واخوتك وجعلكم من
سعداء الدنيا والآخرة .

فيما يتعلق بالاطروحة قلت أنك بدأت بوضع أسسها ومخططاتها ، وموضوعها
السياسة النقدية والمالية في سورية ، وذكرت أن احد الاساتذة يرى أن تكتب عن
السياسة النقدية والمالية في الجمهورية العربية المتحدة . كما قلت أنك وضعت مخططا

للموضوع وافق الأستاذ عليه ، فنحن نقول لك اختر ما تراه مناسباً وما ينشرح له صدرك وتوكل على الله فهو خير معين .

وختاماً قلت أننا نعد حديثك عن المتاعب والصعوبات تبريراً للتباطؤ والتمهل الذي نتهمك به . هذا خطأ في تقديرانك وحساباتك ولم يخطر لنا على بال لاننا نشق بك وبهمتكم العالية ولا نتهمك بأي تباطؤ أو تمهل أو تقصير .

ابو راتب

- عتاب على ذكر كلمة والذي بدل كلمة والذي

دمشق في ١٨/١٠/١٩٥٨

- تعليق من جوانب على حياة الاميريين

امريكا

- الحث على تسجيل المذكرات

- صحبة

ولدينا سليم وفاروق وصلاح وفقهما الله آمين

اقبل وجنتيكما واحيطكما علما ان رسالتيكما المؤرختين في ١٨/١٠/١٩٥٨ قد وصلتنا وحمدنا الباري سبحانه على وصولكما بالسلامة والبركة . سليم لم يذكر في رسالته إلا كلمة والذي مع العلم انه لم يتبع هذه الطريقة في رسائله السابقة فقد كان يكتب كلمة والذي الحبيبين . لذلك فأنا أوجه له كلمة عتاب رقيق لانه سها عن النصائح التي القيناها عليكما ليلة سفركما والتي قلنا فيها اننا بالنسبة لكم جميعا لسنا والداً وعماً بل نحن والدان اي ابوان ، ونحن على يقين من أن ما حصل هو نتيجة السهو غير المتعمد وقع بتأثير القربة وتأثير الاشياء الجديدة التي ربما دهشتما من مشاهدتها . . . انها لفتة نظر احببت ان اصدر بها رسالتي هذه اليكما حتى لا يتكرر مثل هذا الامر في المستقبل . ونحن كلنا نعلم ما في قلبيكما من حب وتقدير لنا جميعاً ونثق بكما ثقة عالية ولكن الناس الذين لا يعرفون ذلك ربما يظنون بكما ظنوناً لا نريدها لكما . ايها الحبيبان حدثمانا عن مشاهدتكم خلال رحلتكم من أرض الامويين الى أرض العالم الجديد ونحبذ ان يكتب كل منكما مذكرات عن هذه الرحلة يدون فيها مشاهداته وخواطره منذ ان ترك دمشق حتى يعود اليها بعد انتهاء الدراسة

بالتوفيق والنجاح بادن الله . . . سجلا كل ما تشاهدانه في المطارات ، في الطائرة ، في المدرسة ، في الجامعة ، في المدن . سجلا ذلك وليخص كل منكما فترة عشره دقائق لهذا الفرض في كل يوم وسيكون لديكما في نهاية المطاف مذكرات قيّمة ترجعان اليها كلما أحببتما أن تتذكرا فترة اقامتكما في اميركا وفي ذلك فائدة لكم ومنتعة . . . كما أننا نحبد حفظ رسائلنا اليكما في ملف خاص بعد ترتيبها وفق تاريخ وصولها اليكما . . . سجلا في دفاتر خاصة ما اطعتما وتطلعنا عليه واحفظاه للمستقبل لتتم الفائدة التي اشرفنا اليها .

استقبال السيد محمد سليم لكما في المطار وتنازله لكما عن سكنه الخاص لانه قريب من مدرستكما سرتنا كثيرا ونرجو الله سبحانه وتعالى أن يجزيه عنا خير جزاء . وهذا الموقف يجب أن يكون فيه عظة لكما لتتخذوا اصدقاء اوفياء لكما كما فعل اخوكما راتب واخوكما موفق حفظهما الله . وبهذه المناسبة احذركما من رساق السوء . ابتعدا عنهما ولا تتخذوا اصدقاء إلا من الطلاب المجدين اصحاب الاخلاق الفاضلة الرفيعة الذين يحبون العلم ويحبون اساتدتهم ويؤثرون اصدقائهم على انفسهم . فالصديق مرآة صديقه وصحبة الاخيار خير وصحبة الاشرار شر . فايكما ومصاحبة من يهملون ويقضون اوقاتهم باللهو واللعب . قلتما انكما دخلتما المدرسة التي تعدكما لدخول الجامعة بعد قضاء سبعة أشهر فيها وانكما أخذتما برنامج الدراسة فانتبها للدروس والمحاضرات عند القاها فهذا يفيدكما كثيرا ويساعدكما على فهم واستيعاب الدروس . . . فرغا افكاركما من كل ما يشغلها ليكون الفهم تاما والاستيعاب وافيا . . . محبتكما لنا وللعائلة وهي محبة كبيرة كما نمتقد جازمين ، هذه المحبة اختبرناها الآن في جانب من جوانب قلبيكما الحبيبين الطيبين الطاهرين ، وانصرفا الى الدراسة والاقبال على تحصيل العلم بهمة وفهم لان الله سبحانه وتعالى يعطي العبد على قدر فهمه وهمته . وعن حديثكما عن زملائكما من الطلاب وقولكما أنهم لا يعرفون شيئا عن بلادنا او البلاد الاخرى ، يجب أن تستفيدوا من ذلك فليس من الضروري أن يشغل طالب العلم افكاره بالمعلومات العامة ويترك مادة اختصاصه دون المام كاف بجوانبها كلها . ولربما كانت تلك الظاهرة طريقة ناجحة من طرق التربية لدى هؤلاء القوم الذين ذهبتما الى بلادهم للتخصص . فالمهم ان يتقن الطالب مادة اختصاصه

سواء كان طبيبا أو مهندسا أو محاميا والآن تشغله بمعلومات جانبية سيطلع عليها عندما يخرج الى مدرسة الحياة الواسعة وبهذا تكون الفائدة اعم والطريق اسلم .
 وحذا لو جنبنا الطالب في بلادنا كثيرا من العوائق والمشكلات التي تقف في طريقه وتحول بينه وبين التعمق في مادة اختصاصه . فطالبنا مشغول بمعلومات عامة قد تفيده وقد لا تفيده . مشغول بأهله وبجيرانه . مشغول بالسياسة العامة والخاصة ، وهذا كله يجعل معلوماته حول مادة اختصاصه ناقصة وضحلة لا تسمن ولا تغني من جوع . فالتفرغ للتفرغ للدراسة والانكباب الانكباب على العلم لتحصلا على ما تريدان وثريد لكما من تقدم ورفعة ونجاح . قولكما أن منهاج الدراسة يشغل وقت الطالب كله ويجعله يكب على الاجتهاد ، واستنتاجكما من ذلك أن الحياة الاميركية تتطلب العمل وتستغل وقت الانسان كله من أجل العمل فهذا يتفق مع ما كنا نشرحه لكما كما يتفق مع خطتنا في العمل ومع ما لمستموه جميعا بأيديكم من سيرتنا في الحياة .
 فما القصد منه بالنسبة لنا سوى رفع مستوانا ومكانتنا بين الناس ولنكون مثلا للجد والنشاط . أما ما لمستماه من حب الذات لدى الاميركيين وان الوالد يأخذ من ولده اجرة السكن فهذا ليس حب الذات بل هو طريقة من الطرق التي يسلكها هؤلاء القوم ليعودوا اولادهم على الاعتماد على النفس وليبعدوا عنهم حب الاتكال على غيرهم وليمكن هؤلاء الابناء من أن يشقوا طريقهم في الحياة بنجاح ويكون الشعب كله منتجا وهذا ما يجعله يسير في طليعة الشعوب بقوته واقتصاده . . . وهذا الامر لا نلمسه عندنا في الشرق حيث نجد الابناء يعتمدون على آباءهم حتى بعد ان يتعلموا ويخرجوا الى الحياة العملية ولا سيما اذا كان الآباء ممن يملكون الثروة والجاه . ونحن نحب لكما أن نتخذنا من ذلك عبرة وعظة ومثالا من امثلة الاعتماد على النفس . واستطيع ان اقول لكما بكل ثقة واطمئنان ان كل ما شاهدتماه من تقدم وحضارة في اميركا انما هو نتيجة من نتائج الاعتماد على النفس والجد والنشاط والتقدم في مجال العلوم .

حديثكما عن الغلاء في اميركا جعلنا نقول أن الغلاء عندهم ربما يكون مظهرا من مظاهر الرخاء والتقدم لانه يدل دلالة واضحة على ارتفاع دخل الفرد الاميركي وإلا لما استطاع أن يشتري حاجاته بسعر مرتفع . . . ويطول بي الحديث اذا أردت ان اعلق على الملاحظات التي وردت في رسائلكما لذلك اكتفي بما قلته .

تأخر كما عن مراسلتنا لا يزعجنا ونقبل عذركما ونكتفي برسالة واحدة شهريا وذلك لتفرغا لدراستكما ولتجعلنا أنيسكما الكتاب والمطالعة والاجتهاد تقولا أن وزن سليم قد ازداد خمسة كيلو غرامات وهذا أمر يسرنا لانه يدل على تحسن صحته وسلامة جسمه ، وقد ذكرت لكما مرارا أن العقل السليم في الجسم السليم ، وكم كنا نطلب من سليم الا يبيت بلا عشاء لأن ترك العشاء مهمة كما ورد في تراثنا الثقافي المجيد . فلما اخبرتمانا عن ازدياد وزن سليم وسلامة جسمه استبشرنا بحسن استيعابه للدروس وقيامه بواجبه تجاه جسمه الذي له عليه حق الرعاية والعناية . اما قولكما أن الدرس الذي سمعتماه منا قد سجل على صفحات قلبيكما فهذا ما نريده منكم جميعاً وما كنا نقصده من حديثنا اليكم .

ولا يسعني وأنا اهمّ بانهاء رسالتي هذه الا ان اكرر وصيتي لكما بالآ تشغلا نفسيكما بالتفكير بنا وبأن لا تتشاءما من المستقبل بل تفاعلا لأن من تفاعل بالخير وجده . وليكن املكما بالله كبيرا وثقتكما بجنابه العالي قويا قويا . هذا الى جانب تهيئة الاسباب بالجد والاجتهاد والثقة بالنفس . . . جدتكما لا تزال في الزبداني وهي بخير وعافية والحمد لله وتدعو لكما بالتوفيق والنجاح ، ونحن نذهب الى الزبداني مرتين في الاسبوع . . .

الاهل كلهم بخير يهدون لكما تحياتهم القلبية ودمتم موفقين .

ابو راتب

دمشق في ١٣/٥/١٩٥٩

- العلم يرفع مستوى المعيشة

- ويضاعف الدخل القومي

- نشاط المكتب العربي للدعاية

- على ابناء الامة العربية ان يعودوا

اميركا

ولدنا موفق وفقه الله آمين

امامي الان رسالتك التي تحمل تاريخ اليوم الخامس من الشهر الحالي وقد علمت كل ما جاء فيها .

اعتذارك عن التأخر بالمراسلة ووعدك لنا بالألا تتأخر من الآن فصاعدا علينا لدينا ونحن لا نريد ان تشغلك أو نشق عليك بكثرة الرسائل كما ذكرت لك سابقا ، ونكتفي برسالة كل شهر نظمتن بها عن صحتك وعن سير دراستك . سررت بحديثك عن الحياة الاميركية وموازنتها مع الحياة البريطانية لما جاء فيه من تحليل ودقة في الوصف وأتمنى أن تحدثنا عن جوانب اخرى في رسائلك المقبلة .

بصدد حديثك عن دخل الفرد في اميركا وارتفاع مستوى المعيشة نقول ان سبب ذلك هو التقدم العلمي في تلك البلاد لأن العلم لا يقف في تقدمه عند حد معين وكلمنا قطع العلم اشواطا على طريق التقدم زادت المخترعات الجديدة ، لذلك يبقى الدخل القومي للبلد في زيادة مستمرة . ولولا ذلك لما كان هذا الازدهار الذي نشهده في اميركا وهذا بالتالي ما يجعل الفرد الاميركي يعيش برفاهية وراحة واطمئنان فنرجو الله ان يلهم ابناء الامة العربية الذين يدرسون في اميركا أو في غيرها من البلدان الاجنبية ان يعودوا الى اوطانهم بعد ان يتموا دراستهم ليعمل كل واحد منهم في مجال اختصاصه مع مراعاة الاحوال الاجتماعية والمادية في وطننا العربي وملاحظة الفروق في الاخلاق والعادات بين بلدهم والبلد الذي درسوا فيه ، وبذلك يحققون تقدما ملموسا لوطننا العربي خلال مدة وجيزة ، وتبدأ امتنا بشق طريقها نحو الرفعة والمجد وتخلص عنها رداء التخلف والجهل ، فيزداد بذلك الدخل القومي ويرتفع مستوى المعيشة بالنسبة للفرد في أرجاء الوطن العربي كله .

تحدثت عن نشاط المكتب العربي للدعاية والاعلام وقلت انه توجد فروع لهذا

المكتب في سائر أنحاء أميركا يشرف عليها موظفون قديرون يحملون الشهادات العالية . . . هذا الامر حسن لانه يفيد العرب ويخدم قضاياهم المصرية لان وجود مكاتب للدعاية والاعلام يشرف عليها نفر من ابناء الامة المثقفين الواعين المتفانين في خدمة قضايا أمتهم يجعلنا نكسب الشعب الاميركي الذي خدعته الدعاية الصهيونية المضللة ، وبذلك نكون قد رددنا نضالنا من أجل تحرير أرضنا بقوة لا يستهان بها عندما نعرف شعوب العالم بعدالة قضيتنا فنكسب تعاطفهم معنا . واذا لم يحصل ذلك واذا لم تنجح في تنوير الراي العام العالمي فان الدعاية الصهيونية ستبقى طاغية تضلل الشعوب في أميركا وأوربا وسيبقى وضع فلسطين كما هو ونحمل نحن العرب بعض المسؤولية عندما نمنا وفسحنا المجال للدعاية الصهيونية بأن تقوم وتحول ما تشاء ولم نقم نحن بدعاية مضادة تنور الراي العام العالمي وتفتح عينيه على الحقيقة التي غابت عن اذهان الكثيرين بفعل التضليل الصهيوني حيث اغتصبت أرض وشرذ شعب ليحل محله غرباء أتوا من أصقاع متباعدة من الارض . . .

وقد راينا انه عندما اجتمعت كلمة العرب واتفقوا على مقاطعة اسرائيل كيف عجزت تلك الدولة المعتدية التي غرست ظلما وعدوانا في قلب الوطن العربي عن التوسع واذا كان التاريخ هو ذاكرة الامة كما يقولون فان تاريخنا العربي يهمس في آذاننا قائلا : كلما اجتمعت كلمة الامة وقامت بأعمال جماعية مفيدة عاشت بأمان وسلام وكلما تفرقت الكلمة وقلّ العمل الجماعي المفيد تعرضنا للخطر والغزو . . . بالنسبة لدراستك قلت : انك ستحاول أن تحصل على الشهادة قبل الموعد المحدد بسنتين وانك ستأخذ ثلاثة بحوث تدرسها وانك قد قدمت بحثا عن الانماء الاقتصادي وعلاقة رأس المال به وانه جرى نقاش حول بحثك في الصف. وان الجميع كانوا مسرورين جدا . فنحن ايضا سررنا كثيرا لأن هذا العمل مفيد جدا للطالب حيث يستفيد من المناقشة ويدرك مدى معرفته بما يدرس ويعزز قدرته على الدفاع عن أفكاره وتحصيل لديه الجراءة كما يتعرف على أخطائه .

تحضرك الآن بحثا جديدا عن الانماء الاقتصادي في الشرق الاوسط والجمهورية العربية المتحدة سررنا كثيرا ونرجو أن تعرفنا عن مدى نجاحك في العرض والمناقشة ليزداد سرورنا . . . وقلت انك تقضي معظم أوقاتك في المطالعة والتحضير في المكتبة

او في الفرفة وخاصة انه لا توجد محلات للتسلية الا السينما التي لا ترتادها فهذا مطلبنا لان الوقت ثمين ليس فقط بالنسبة للنفقة والكلفة بل بالنسبة للايام التي تذهب من عمر الانسان الذي يطالب العلم وهي محسوبة عليه . فكلما تمكن الطالب من اتمام دراسته في وقت مبكر من سن حياته استطاع ان يستفيد من الوقت الموفر ليستخدمه من اجل القيام بعمل يفيد ونتيجة هذه الفائدة ستعكس عليه وعلى بلاده وعلى ابناء مجتمعه ، ونحن نحب ان يستفيد ابناء امتنا كلهم من جهودنا . . .

ابو راتب

كلمة توجيهية مرتجلة بمناسبة سفر سليم وفاروق الشلاح

في ايلول ١٩٥٩ الى اميركا

سليم وفاروق ، انتبها . لقد تكلم معكما عمكما انور لاجل موضوع الاختصاص ومع انه مصيب برأيه غير انني لا اود ان اعين لكما نوع الاختصاص الواجب التخصص به لان هذا عائد اليكما ولرغبتكما ، ولكن من الاحسن ان لا تتجها الى نوع واحد من الاختصاص . ولقد تخصص اخوكما راتب بالاقتصاد وادارة الاعمال وكذلك اخوكما موفق فاصبح من الضروري تغيير رأيكما عن هذا الاختصاص . واذا كنتما تعرفان ان عندكما المؤهلات الكافية الى الهندسة فلا مانع وإلا بإمكانكما التخصص بالزراعة لأن بلادنا زراعية في الدرجة الاولى ولغاية الآن لم يدخل على الزراعة في بلادنا الاختصاص . ومهما حاولنا أن نجعل بلادنا صناعية فلا يمكن الا ان تكون زراعية . واذا كان طرا على الزراعة بعض الفتور لسبب بعض الاوضاع فسوف تتعدل وتحتل مركزها .

والآن وبما أن غيابكما سوف يستغرق أكثر من خمس سنوات وسوف لا تحضران في كل هذه المدة نظرا لكثرة مصاريف السفر فعليكما ان لا تتركا فرصة بدون دراسة . ولا اريد أن أشق عليكم كما ذكر عمكما انور بل يلزمكما اوقات للراحة لأن الدماغ مطاط ويحتاج للراحة بعض الوقت . فاذا كان صار وقت العطلة الكبيرة بإمكانكما أن تشتغلا بأحد المعامل التي تميلان اليها . وهذا لا يعني الحاجة للمال بل لاجل التمرين

ولعرفة مدى التعب حتى لا تقضوا هذه المدة بالدراسة . وبعد الانتهاء نزلان لمعترك الحياة ، ولا تقولان ان اخواننا راتب وموفق كانا يحضران من انكثرا بالعطلة فهناك فارق كبير لان مصروف السفر الى انكلترا ٧٠٠ ليرة سورية بينما الاجرة لاميركا ٤٠٠٠ ذهابا وايابا ، وهذا المبلغ ليس باستطاعتنا تحمله . واما ال ٧٠٠ ليرة سورية فاذا ما حضرا فسيوفران اكثر منها مصروفا هناك ، فبحضورهما كل عطلة كانا يستفيدان من ترك المحيط الاجنبي ويختلطان مع محيطهما الذي سيعيشان فيه . وهذا ما ساعدهما الآن بعد الانتهاء من الدراسة فلم يجدا شيئا غريبا عنهما . واني شاعر بهذا تماما من سلوك راتب بهذه المدة التي قضاها عندنا بعد رجوعه ، وكان عمكما انور قد اعطاكم بطاقات الى اصدقائه بأميركا حتى تقابلوهم وتطلبوا مساعدتهم اذا كان هناك حاجة ، وانا لا امانع من اخذها ولكنني اختلف معه بالتفكير من هذه الناحية لانه يتوجب عليكما ان تعتمدا على نفسيكما وان تتعرفا على الناس وان لا توسطا احدا بقضية تخصكما وعليكما وحدكما الاتصال بمن ترغبون الاتصال به وتطلبوا قضاء حاجتكما . فكل شيء يكون حقاً لا يحتاج لواسطة ، وهذا مبني في الحياة لاني ما وسطت قط احدا في قضية تتعلق بي وباعمالي . وعندما اقول انا او لي او باعمالي فاني اعني بها انا واخي شفيق لأن الاسمين جسم واحد وتفكير واحد ومحل واحد ولكن دارج على لسان الانسان ان يقول انا (فأعوذ بالله من كلمة انا ، هذه الكلمة اودت بابليس الى جهنم وبئس القرار) وهذه طبعا يعلمها أخي ابو موفق . فعندما اتكلم ويكون جالسا ويكون كلامي مفردا يعلم بالباطن انني لا اعني بها الا ما يصدر عني وعنه ويعلمها بالقلب لأن قلبينا واحد . واريدهم ان اعطيكم مثلا عن هذا ، فقد صدف معنا هذا اليوم بالذات انني كنت اتكلم مع السيد انس يسين بموضوع دكان حضره أخي شفيق واتى على ذكر شاهد منذ خمسة وعشرين عاما ولم يذكر هذا الحديث امامي طيلة هذه المدة . غير انني كنت أعلم به بدون ان اسمعه لان هناك صلة قلبية ما بيننا ، مع العلم ان هذه الصلة ليست بيني وبينه فقط بل بيننا نحن الخمسة الاخوة انور وشفيق ومحمد ورشاد وانا . واذا كانت الظروف اجبرتنا للعمل انا وشفيق فليس معنى ذلك وجود اختلاف بيننا . كان هناك خلاف بالعقلية واسباب داخلية ووجود خالة امراة اب . لقد ذكرت لكم انني لا اوسط احدا بعمل يخصنا ولكن حرصني على اتمام دراستكما والعراقل الكثيرة التي وجدناها باخذ اذن

من الجنديّة والمعارف اضطررتني بأن اكلف بعض الاصحاب عندما تعرقلت معاملتكمما ولقد توسط لكما عمكما ، وزيادة في الحرص على سفركما وحتى لا تحرموا من التعليم فلقد كسرت نفسي وكلفت أول يوم الاستاذ نصوح الدقاق مدير المصرف الزراعي والذي ترك البنك وذهب للوساطة مع الامين العام ، ومع ذلك لم اطمئن . ولثلا ترفض من قبل معالي الوزير فلقد كلفت حاكم مصرف سورية المركزي الدكتور عزت طرابلسي الذي هو بدرجة رئيس وزراء ، وقد ترك مكتبه وتوجه لئند معالي الوزير ، وهذه لأول مرة رجال بهذه المراكز يتركون مراكزهم في وقت الدوام ويتوجهون لقضاء حاجتي فهذه لا تقدّر . وما ذلك كلبه الا حفظا عليكما ورحمة بكما حتى تكملا تحصيلكما ولا تكونا مثلي ومثل أخي أبو موفق . ومنذ / ١٥ / عاما بعد ان شعرت بمكانة العلم والحاجة اليه كنت اقول سوف لا يقبل آذن في دائرة الا بشهادة بكالوريا . وها هو الآن من يحمل شهادة حقوق التي هي أعلى من البكالوريا بأربع سنوات يتعين بوظيفة معاشها / ٣٧٥ / ليرة سورية ، وأريد أن أعلن على مسامح سليم الذي كان يقول عندما أرسلناه لبرمانا أنه لا يريد التعليم ، وها هو والده وعمه غير متعلمين وحاصلان على أحسن مركز وصار معهما أحسن ثروة ، ان هذا لا يؤخذ مثلا والايام الماضية كان يسلك من كان مثلنا وخصوصا وان هذه صدفة من صدف الدهر لاننا كنا بائعين للبصل والثوم والبطاطة وغير حائزين على ثقافة وعشنا بمحيط فريد من نوعه بالشام هو محيط سوق الهال والذي نعامله هو اما فلاح أو متعيش ، وكنت لا اصدق أننا سنخرج من هذا المحيط أو نصل الى هذا المركز . ولكن السبب الرئيسي الذي ساعدنا هو الاستقامة والصدق والحرص على الموعد وخدمة الناس وايثارنا على أنفسنا مع كل من كان لنا علاقة معه ان كان الوالدين أو العائلة أو المجتمع ، ولكن هذا كلفنا جهدا وكلفنا تعباً ولولا ذلك ما وصلنا . وسبب عدم تعلمنا اولاً أنا كنت صغيراً ولا ادرك قيمة العلم ولعب بعقلي أخي محمد بترك المدرسة والوالدي رحمه الله لم يمنعي من البطالة رغم أنني كنت الاول في كل صف دخلته .

والآن أريد بعض الايضاح طالما أن أكثركم موجود هنا وليس غائباً الا موفق نرجو الله أن نراه بالسلامة . هناك بعض الاراضي والاملاك مطوبة بأسمائكم والبعض غير مطوب له شيء ونود أن نتمم معاملة الفراغ للجميع على الفريضة الشرعية ولكن

بعض الصعوبات اخرتنا ، والذي اضطرنا للطابو كان الحذر من احتمالات المستقبل . لذلك فانتنا نوصيكم اذا تم امر الله ولم نتم نقل الملكيات فعليكم ان تمشوا حسب تعليمات من يبقى منا على قيد الحياة ، فان كان عمر اخي أبو موفق أطول عليكم الرجوع له واطاعة أوامره ومثلما يقسم ويفرض عليكم قبوله . وهنا أكثر الكلام موجه الى الراشدين منكم أي أنت يا راتب وكذلك الى موفق الغائب . واذا فقدنا نحن الاثنين عليك وحدك يا راتب القسمة بالعدل خصوصا حصة البنات لانهن ضلع قاصر وهذا حق من حقوقهن فرضه الله تعالى لان هناك كثيرا من الاولاد يصعب عليهم ان تورث البنت لاجل الصهر وهذا غلط . فالحمد لله الباري ارسل لنا اصهارا ممتازين ، وهؤلاء معزتهم بمعزتك ولو كان هناك من يتعب نفسه فنرجو الله ان يرده الى الصواب ، وأكثر من ذلك ان صهرين عندكم من دمنا ولحمنا اولاد اختنا ، وما هو الفرق بين الابن وابن الاخت ؟ خصوصا هذه الاخت التي نرجو الله ان يشفيها ويعافيها . ومعاملتكم / لبعضكم / دائما يلزم ان تكون معاملة تسامح وأن تكون محبتكم الاخوة أو ابناء العم على شكل واحد وأعني كأبناء عم ليست بالنسبة لي ولشفيق بل والى اولاد عمك أنور ورشاد ومحمد . أفهمتكم أنني وشفيق روح واحدة ، ما قصدت بهذا الحصر بالاول الا لوجود العمل المشترك ولكن بالنسبة للمحبة والروح لا تختلف مع العموم . والرجل يعتز اذا كان أخوه ملكا أو وزيرا أو رئيس بلدة أو عضوا في غرفة ومفخرة ان يكون أخوه بمركز ممتاز . ذكرت لكم القسمة وأنا انصح كل واحد منكم ان يكون هو المغلوب والمغلوب حصته الله . خذوا مثلا عنا عندما توفي والدنا رحمه الله وكان لم يمض على وفاته أكثر من / ٢٥ / يوما وكان كل واحد منا متسامحا مع الآخر ، ولا تفتكروا ان اختصاصنا بالعمل اثر على حالتنا الاخوية مع بعضنا بل بالعكس . هذه الوحدة والصلة الاخوية لوحدها . نعم أنا عشت مع شفيق ولكن لا أحد يعرف ما بيننا لا من اعمال ولا من الطابو ولا من اسرار ، والسبب في ذلك اننا لم نجعل دخلا لاحد في شؤوننا العملية ولا التجارية . وخذوا علما بأن جميع ما نملكه مسجل بدفتر الاملاك بايضاح ، كل ما هو جاء باسمي أو باسمه وكل شيء عليه ايضاحه . والحمد لله مشينا بنظام بدون ان نأخذه بالمدرسة فكل شيء نملكه مسجل رغم وجود سندات ، مسجل طبق الاصل بالدفتر كما هو بالنسبة وكل السندات موجودة واذا كان سند مفقودا يكون مسجلا بصفحة خاصة مع أي شخص ولاي سبب سلمناه

ومع ذلك كل مدة نعمل ضبط وإذا كان سند ليس موجودا ننظر قيده مع من ونطالبه به . وجميع المياه مسجلة والاسهم ، اما نظرتم كيف نسجل وصولات الضرائب بالدفتري تاريخ الوصل ورقمه ونوع الضريبة ورقم العقار وعن أي سنة تكليف ومع ذلك فان الوصولات تحفظ وأي وصل يطلب مسند / ٢٠ / عاما للآن فهو موجود بمحلته . وحتى أكثر من ذلك لا نمثل مصلحة عامة الا ولها دوسيه نرجع لها عند اللزوم ، لقد طلب راتب مخطط الدار لاجل الفرش وهذه البناية صار لها مبنية / ١٢ / عاما ومع ذلك بأقل من لحظة طالعت له نسخة عن داره واحتفظ بالخرائط واذا طلبها يخرجها بلحظة ، هاهو راتب اسألوه . ثم اوصيكم بحفظ التحارير التي ارسلها لكم كما اوصيت بزماي راتب وموفق ، وانني محتفظ بجميع مكاتيبكم من يوم ما فقدوا في برمانا . ارجع واكرر بحسن معاملتكم وليس فقط للاخوة والعائلة بل الى المجتمع من الوزير حتى العامل لانني ما في يوم من الايام طلبت كأس ماء من مستخدم في المحل الا واقول له من فضلك زكاتك تسمح لي بكاسة ماء . هذا ما فيه خسارة بل يجلب المحبة للشخص . وانت يا سليم انا لا اريد منك ان تتكل فقط على رضاء الوالدين كلا ولو كان اساس النجاح هو رضاهم انما هذه تؤثر على مستقبل دراستك ، عليك ان تدرس وتجد وتجتهد وتكسب رضاء الوالدين .

الى الآن ومحتفظ بنسخ مكاتيبهم لهم كلهم بدوسيه وسأعملهم كتابا مطبوعا وهذا سيفيدكم بالمستقبل لان هناك عبارات مكتوبة لهم لا يفهمون معناها الآن ولكن سيفهمونها بعد عشرين عاما لانه مهما كانت مداركهم عالية لا يدركونها . وهذا الكتاب احفظوه بين الكتب الكثيرة التي درستوها وهذا واحد من جملتها لان الرجوع اليه يفيدكم كثيرا وتترحمون علينا وتذكروننا بالخير .

واذا مشيتم على هذا الطريق انتم رابحون وساكون شريككم ولو في قبري . واني لا اسامح أي بنت من البنات تحزن ، واذا كان هنالك حزن فليكن باتباع نصائحي وقراءة فاتحة تكفيني لان ما ذنب الزوج ينتظر فك الحزن سنة ، وكل من يحضر للدار يموت قلبه من لبس الاسود والوجه الكامد المقوت ؟ والموت محتتم وسنة الكون ، علما اكثر الذين يحزنون كذابون وحزنهم فقط خوفا من حكي الناس ! والسلام عليكم .

دمشق في ١١/٢٢/١٩٥٩

أميركا

العمل أثناء الدراسة

- انطلاب والسياسة

- انتظار النجاح والتفوق

ولدينا الحبيين سليم وفاروق السلاح وفقهما الله آمين

بعد تقبيل وجناتكما الحلوتين

أمامي الآن رسالتكما التي تحمل رقم / ٧ / وقد علمت كل ما جاء فيهما .

أي بني : أخبرتماني أن رسالتي قد وصلتكما وأنكما سررتما كثيرا بما جاء فيها من ملاحظات ، لذلك فأنني أعود فأذكركما بما طلبته منكما قبلا وهو حفظ رسالتنا في ملف خاص مرتبة حسب ورودها اليكما . ثم ذكرتما في رسالتكما أن الاولاد في أميركا يشتغلون أما في المطاعم وأما في توزيع الصحف وأما في المحلات الكبيرة ، فأقول لكما انها ظاهرة جيدة فالأمم المتقدمة لم تصل الى ما وصلت اليه الا بفضل الجهد والنشاط والاستقامة ، والفرد كذلك لا يمكن أن يصل الى ما يريد الا بالجهد والنشاط ومعرفة قيمة الوقت . ان عمر الانسان مهما طال ما هو الا لحظات بالنسبة لعمر الكون وسرعة سيره . وهذا ما يجعلنا نقول أن المرء يجب عليه أن يحافظ على الوقت وأن لا يدع ثانية واحدة من وقته تضيع سدى ، فالمولى سبحانه جعل هذه الحياة الدنيا دار عمل وكتب على الانسان أن يسعى فيها كما نوهت الى ذلك أحاديث شريفة وآيات كريمه ، وزود سبحانه الانسان بالفكر كي يستعمله في هذه الحياة . . . ولو أراد سبحانه غير ذلك لخلق لنا كل شيء جاهزا للاستعمال : اللباس والطعام والسكن ، ولكنه جلت حكمته خلق الارض وجعل فيها خليفة ليصمرها وهو الانسان ، وزوده بالفكر وكلفه بالعمل لكي يحصل على ما يحتاج اليه حيث قال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم (وقل اعملوا فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون) صدق الله العظيم . . . واذكر لكما أن عمكما انور حين درس في أميركا كان يستعين بما يكسبه من عمله فيسند به ما ينفقه من نفقات دراسته ، لان جدكما رحمه الله لم يكن مثلنا يسرع في ارسال الدراهم عند أي طلب ، وكان عمكما مع ذلك مجتهدا في دروسه كلها يتصدر باجتهاده رفقاءه كلهم ويحصل على أعلى الدرجات في فحوصه كلها ، لذلك فقد أتم دراسته بنجاح

وتفوق وهو الآن مثال الجد والنشاط كما تعهدونه لا يكل ولا يمل ، ويعمل ليل نهار بهمة عالية وعزيمة لا تلين . . .

أحباءنا قلمنا في رسالتكما أن طلاب أميركا لا يعرفون شيئا عن السياسة بخلاف ما هو معروف في بلادنا ، وهذه ظاهرة حسنة أيضا لأن الطالب لا يجوز أن يشغل أوقاته بغير الدراسة والتحصيل ووقت الدراسة محدد في فترة من عمر الانسان ومتى مرت تلك الفترة لا يستطيع أي انسان أن يتعلم ويستوعب معارف عصره . والامر الذي نوهتما به بالنسبة لطلاب أميركا (لا يعرفون شيئا عن السياسة) وطلابنا (الذين يهتمون بالسياسة) ربما يكون هو السبب الذي جعل طلاب أميركا يتقدمون في مجالات العلم المختلفة بينما قصر طلابنا في تلك المجالات نتيجة انشغالهم بأمور بعيدة عن مجال دراستهم ومجال اعدادهم للحياة ، لذلك فهم يتخرجون من المدارس والجامعات دون أن يتزودوا بالعلوم الكافية ، وحين يستلمون أعمالا ويتحملون اعباء في مجالات التجارة والصناعة أو العمل الوظيفي يقصرون ولا يقومون بواجبهم على الوجه الصحيح ، فينعكس ذلك على الوضع العام لمجتمعنا وينال بشرته مرافق الحياة كلها فنصبح متأخرين ولا نستطيع مجاراة من أعدوا ابناءهم اعدادا ممتازا لتحمل الابعاء وصرفوهم عن كل ما يسبب ضياع الوقت ابان فترة الدراسة وتحصيل المعارف والتبحر في العلوم المفيدة . ولا بد من أن أذكر بهذا الصدد نصائح لكما فأنني والحمد لله لم أكن أتكلم الا عن معرفة وتجربة واخلاص لكما وحرص على مستقبلكما . ما ذكرتماه عن تقدم أميركا وعظمتها هو نتيجة من نتائج الجد والعمل ، وحسبي الآن ما قدمته من تعليق على ما جاء في رسالتكما لان الوقت ضيق بالنسبة لي ، و (أبو موفق) ذهب الى الاسكندرية لاجل انتهاء شركة الاسكندرية وتصفية المحل لاننا انهيننا علاقتنا بالعقاد بالنسبة للاعمال في دمشق وفرزنا مشروع الزيداني واختص العقاد بثائه وبقي لنا ثلثه ، وأصبحنا مضطرين للبقاء في المحل مدة أطول من ذي قبل ومعنا راتب الذي أصبح اليد اليمنى لنا في تصريف الامور وتوجيهها . وسيحضر موفق باذن الله بعد فترة قصيرة وسيعمل مع راتب وسيشعران بلذة العمل والكسب الحلال . . . ونحن لن نترك العمل بل سنستمر فيه كمساعدين لهما لانهما سيصبحان أصحاب العمل والمشرفين الحقيقيين عليه وانتما كذلك ستعودان باذن الله تعالى بعد

مضي وقت قصير وقد اتهمتما دراستكما بنجاح وتفوق لتعملا السى جانبهما ، وهنا
مستبدا مرحلة التمرين والتدريب مرحلة الدراسة العملية لتصبحا ايها الاحباب كتلة
واحدة ويداً واحدة رائدها العمل والعطاء والاخلاص ، يصرف كل واحد منكم امور
العمل الذي يعهد اليه به وتتبادلون الراي وتسخرون مواهبكم ومعلوماتكم لخدمة
اعمالكم وتصريفها على احسن وجه وادق نظام ، واملنا بالله وطيد بان يجعلنا بهذا
المنظر الجميل الذي تكلمنا عنه ، فترى ثمرة جهدنا وجهدكم ونشعر باننا قمنا بواجبنا
تجاه اولادنا وعائلتنا فنترك هذه الدار قريري العين مطمئنين راضين .

ايها الاحباء ذكرتما انكما ستتخصصان بادارة الاعمال ونحن نريد ان ننوعا
الاختصاصات حتى لا تقتصروا على اختصاص واحد وانتم أخوة وانباء عم ، حتى
لو كان عملكم واحداً في المستقبل . فنوعوا الاختصاص . ومع ذلك فنحن نترك هذا
الامر لكما تتصرفان تجاهه حسب رغبتكما وميولكما ولن نجبركما على اختيار اختصاص
معين فالامر يعود لرغبتكما ونحن انما احببنا ان تصلا الى اميركا لتطلعا على عظمة
تلك البلاد وتحصلا على لذة الدراسة وتريا نتائج التقدم العلمي وتتعرفا على
الشخصيات الكبيرة التي تدير اعمالا واسعة مثل شق الطرق وادارة المشاريع والمصانع
واقامة الابنية الضخمة وايجاد المخترعات الجديدة ، فتتكون لديكما فكرة جديدة
ونظريات جديدة لا يمكن ايصالكما اليها قبل ذهابكما الى اميركا وانهاء دراستكما العليا
فيها . . . انا نترك لكما حرية الاختيار بالنسبة للاختصاص ، فعلى ضوء مشاهدتكما
وانطباعكما والافكار التي استقرت في نفوسكما خططا مستقبليكما وارسما اهدافكما
وختاما الجميع عندنا بخير . الجدة بخير تدعو لكما والوالدان كذلك وتذكرانكما عند
كل مناسبة تمر وعند تقديم كل اكلة طيبة . . . والسلام .

ابو راتب

دمشق في ١٢/١٢/١٩٥٩

أميركا

- الخبرة والاختلاط بالناس

- العلم والثقافة يقصران طريق

- الحصول على الخبرة

ولدينا سليم وفاروق والشاح وفقهما الله آمين

أقبل وجناتكما وأخبركما أننا استلمنا رسالتكما ذات الرقم (١ و ٢) وعرفنا كل ما جاء فيها .

ذكرت ما أن رسالتني السابقة وصلتكما وقرأت ماها مرات عديدة وذكرت ما أنكما تتبعان ما جاء فيها من توجيهات وارشادات فنرجو الله سبحانه وتعالى أن يوفقكما لما فيه رضاه . ولتعلموا أيها الحبيب أني لم أوجه لكم تلك النصائح والارشادات الا حرصا مني على مصلحتكما ، وهذه النصائح ما هي الا نتيجة تجارب مررت بها وأنا أذرع درب الحياة ، ولا يمكن أن يحصل عليها الطالب من الدراسة أو من مداركه الخاصة لانها حصاد الخبرة والاختلاط بالناس والتعامل معهم . . . فكل طبقة من الناس وكل فئة منهم ، بل وكل مدينة أو قرية لها طابع خاص من حيث طريقة التعامل والعادات والنفسيات ، وقد حصلت على هذه الافكار التي سجلتها في توجيهاتي اليكما من الاختلاط بهذه الطبقات والفئات كلها . والعلم الذي تتلقيناه سلاح قسوي سيساعدكما على ادراك هذه الامور بأقصر مدة ممكنة في حين أن ادراكها كلفنا نحن طويلا ، ولو أتيح لنا أن نتسلح بالعلم والثقافة لوفرنا على أنفسنا كثيرا من العناء . الجدة العزيزة بخير وعافية تدعو لكم بالنجاح والتوفيق ، والوالدان بخير كذلك والحمد لله . وفقكما الباري تعالى وسدد خطاكما .

أبو راتب

دمشق في ١٤/١٢/١٩٦٠

أميركا

- المحافظة على الدين والتراث ، والبعد عن

العزبية

- الجهد والاجتهاد

- الطلاب العرب في أميركا

ولدينا سليم وفاروق وفقهما الله آمين

بعد تقبيل وجنتيكما الحلوتين

وصلتني رسالتكما المؤرخة في ٢٤/١٢/١٩٥٩ وعلمت كل ما جاء فيها .

اشكركما على تهنتكما لنا بعيد رأس السنة ونسأل الله تعالى ان تكون هذه السنة سنة خير وبركة للبشرية كلها وأن يكون من بركتها علينا نجاحكما وتفوتكما بدراستكما انتما واخوانكما جميعا . . . أخوكم راتب ربما يتوجه الى أميركا في آخر هذه السنة لتقديم الاطروحة ، واذا تم ذلك فربما نتوجه نحن الى أميركا أيضا بعد شهر رمضان ونعود مع راتب ، واذا حال ديون ذلك حائل ما فسنؤجل سفرنا الى فرصة أخرى . ذكرتما أنكما ستبقيان في المدرسة حتى تنالا الشهادة وهذا عمل جيد وافق عليه وأسأل الله سبحانه أن يحفظكما بعين عنايته وأن يوفقكما لما فيه الخير . .

الاختصاص تقررانه عندما تنتسبان الى الجامعة كما فهمت من رسائلكما . . .

أما حديثكما عن الدين وتمسككما به فهذا امر اساسي بالنسبة للحياة ونحن نحب ذلك ونحثكما عليه ونذكركما بوصية النبي الكريم عليه الصلاة والسلام لابن عمر حيث قال له في حديث شريف معناه (يا ابن عمر انما هو لحكمك ودمك . خذ عن الذين استقاموا ولا تأخذ عن الذين مالوا) فالدين طريق الحياة المستقرة السعيدة طريق ارضاء الله وخدمة خلقه . . . أما عن اعتناق المذاهب فنحن لا نريد لكم ذلك لان نتائج الحزبية تفريق الشعوب وتدمير اقتصادها . ذكرتما انكما مسروران من سكنكما حيث انكما استأجرتما دارا كاملة تشغلانها وحدكما وذكرتما ان صاحبة الدار مسرورة من معاملتكما لها فلتعلما أيها الحبيبان أن الانسان لا يملك الانسان الا بالاحسان والرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام لم يملك قلوب العرب في الجاهلية الا بالاحسان ومكارم الاخلاق . وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق) فالاخلاق الحسنة والمعاملة الطيبة أساس النجاح في الحياة . والتسامح مع الناس يجعل صاحبه في مكانة عالية والوفاء بالوعد من دعائم النجاح أيضا وهو خلق نبيل تحلّى به سلفنا الصالح فملكوا به وبأخلاقهم الكريمة قلوب الناس ، وقد قال شاعرنا العربي :

أحسن الى الناس تستعبد قلوبهم فظالما استعبد الانسان احسان

ذكرتما ان علامتكما كلها جيدة فالحمد لله على هذه النعمة وعلى سائر نعمه سبحانه وتعالى وأرجوه سبحانه أن يكون النجاح حليفكما دائما وان تكونا مضرب المثل بحسن السيرة والاجتهاد يتحدث عنكما المعلمون والطلاب والادارة الاحاديث الحسنة

فستكسبان بذلك عطف الجميع ومساعدتهم وتستفيدان من علومهم وتعوضان ما فاتكما من أوقات لأن الوقت ثمين . ورحم الله أهل الامثال الذين قالوا : الوقت كالسيف ان لم تقطعه قطعك . وهم يريدون من ذلك ان الانسان يجب ان يستغل اوقاته ويسخرها لتحقيق مآربه وتحقيق أهدافه وبناء مستقبله واذا هو لم يفعل ذلك خسر ولم يصل الى تحقيق أي هدف يطمح اليه . فالدقيقة او الساعة التي تمر لا يمكن ان تعوض وعمر الانسان محدود وكل دقيقة تضيع تذهب من عمره وهي محسوبة عليه وسيسال عنها . . .

حدثكما عن الطلاب العرب الذين يدرسون في اميركا نعلق عليه بقولنا أن العاقل من هؤلاء الطلاب هو من يدرك المسؤولية الملقاة على عاتقه تجاه وطنه وعائلته وينكب على الدراسة ولا يضيع اوقاته سدى ولو عرف هؤلاء قيمة المال الذي ينفق عليهم وعرفوا الصعوبات التي تعترض طريق جمعه والحصول عليه لكان لهم مواقف أخرى وتصرفات مغايرة لتصرفاتهم التي تحدثنا عنهم . وأقول لهؤلاء أن يتصور أحدهم ولو جدلا تأخر وصول المال اليه مدة شهرين فقط وعندها سيعرفون جميعا قيمة المال وسيعرفون كيف ينفقونه في الوجوه التي يجب ان تنفق فيه فقط وسيعرفون كيف أنهم سيحرصون على الوقت ويستغلونه كله للدراسة حتى لا يبذروا المال . وسيدكرون الأمل الذي يعلق عليهم ويناط بهم عندما يعودون الى اوطانهم ويباشرون اعمالهم متسلحين باختصاص مفيد ووطنهم بأمن الحاجة اليه . . . وليعلم هؤلاء الطلاب جميعهم ان تصرفات الانسان تسجل عليه وسيسال عنها كما اسلفت . . . هذه الامور تحتاج الى ايضاح طويل ولا نريد ان نشغلكما ونشغل انفسنا بأكثر مما قدمنا وستدركان هذه الامور تدريجيا كلما تقدمت بكما السن وحصلتما المزيد من العلم والثقافة وازددتما خبرة بالحياة وبمشكلات الحياة .

الجدة العزيزة بخير وتدعو لكما ليل نهار . . . عموم افراد العائلة بخير . . . والله سبحانه نسال ان يجعل اموركما سهلة ميسرة ويوفقكما جميعا لما يحبه ويرضاه .

بدر الدين الشلاح

دمشق في ٢١/١/١٩٦٠

- يحذر من اغراءات الاجنبيات والزواج

- تربية الاولاد

اميركا

ولدنا فاروق وولدنا سليم الشلاح حفظكما الله آمين . بعد تقبيل وجنتيكما

أمس توجه راتب الى أميركا لتقديم اطروحته وسيمكث في القاهرة يوما واحدا ثم يتابع سفره ليصل اليكم بالسلامة . ونحن من الممكن ان نساfer بعد مضي شهر رمضان المبارك الى أميركا لزيارتكما ثم نعود مع راتب اذا ندر الله وأعان ، وقد ذكرت لكما ذلك في رسائل سابقة . لا تشغلا نفسكما بكثرة الرسائل كتابة واجابة حتى لا تضيع اوقات الدراسة . الدعوات التي تتلقيانها من زملائكما المقيمين في أميركا مع عائلاتهم لا مانع من قبولها ولكن احذروا أن يكون الاكثر منها سببا لضياع الوقت واهمال الدراسة . وياكما والاختلاط بالآنسات لانهن يرمين شباهن لاصطياد الطلاب ، وأثر الشبان العرب الذين ذهبوا الى ديار الغرب للدراسة وقعوا في شباهن وتزوجوا بأجنبيات ، وهذا يضر مصلتهم ومصالحة بلادهم ومجتمعهم . وأكثر من أقدموا على الزواج بأوربيات أو أمريكانيات لم يهدأ لهم بال لانه يصعب حصول الوفاق والتعاهم بينهم وبين زوجاتهم الاجنبيات ويصعب ايضا امتزاجهم بمجتمعهم الشرقي وتالفهم مع عاداته وأعرافه السائدة ، فيضطر هؤلاء الى ترك الاهل والوطن والهجرة اكراما لزوجاتهم بعد ان يكونوا قد أنجبوا منهن اولادا فيعيشون عيشة كدر طول حياتهم بعد ان تعبوا ليحصلوا على اختصاصات علمية مفيدة وتعلق عليهم الآمال لأن على أيديهم سيسير الوطن في طريق التقدم والازدهار . كما ان العائلات ستخسر أبناءها الذين تحلم بعودتهم الى رحاب الوطن سالمين غانمين وبالمناصب العالية التي يمكن ان يستلموها . . . لذلك فنحن ننبهكما ونحذركما من اغراءات الاجنبيات وشباهن ، ونعود الى الحديث عن الحياة الاميركية العائلية وقولكم أنهم يتكون الحرية التامة لأولادهم وان الاولاد لا يحترمون آباءهم وأمهاتهم . فاقوم مخطئون بهذا أكبر خطب ، ولا ننكر أن هناك خطأ في الطرق المتبعة عندنا نحن الشرقيين أيضا عندما نتشدد في التربية ونقيد حرية الاولاد ونمنعهم من التصرف بأي شيء ، والصحيح الا يكره الاولاد على اخلاق الآباء والامهات لانهم مخلوقون لزمان غير زمانهم ، ولكن الصحيح أيضا الا يترك الحبل على الغارب ، فلا يوجه الاب اولاده ولا يحذرهم من الزائق التي قد

لا يعرفونها ولا يدركون الاخطار الجسيمة التي قد تترتب عليهم نتيجة لها . فالفضيلة وسط بين طرفين ، وسط بين الافراط في الشدة والتفريط بالولد وتركه يسرح ويمرح بلا توجيه او رعاية . فالاب رب الاسرة وراعيها وهو مسؤول عن رعيته واحترام الاولاد لأبائهم وأمهاتهم واجب نقدهس ونجعله جزءا من رضاء الله سبحانه وتعالى الذي وصى الانسان بوالديه احسانا وجعل احترام الكبير ورحمة الصغير والعطف عليه من مكارم الاخلاق وشعارا من شعارات تطبيق الانسان لدينه وعلامة من علامات انتسابه اليه . فليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويعرف لعالمنا حقه كما ورد في بعض الاحاديث النبوية الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام . والوالد عليه أن يحسن تربية ولده ويعامله برفق مراعاة لسنة ويلعبه حتى سن السابعة ، وينصحه ويرشده حتى سن الخامسة عشرة ، ويحذره حتى سن الخامسة والعشرين ، ثم يتخذه أخاً بعد ذلك والمثل يقول (ان كبر ابنك آخه) هذا كله مع ترك شيء من الحرية ضمن حدود الآداب العامة واللباقة حتى ينشأ الولد معتمدا على نفسه من جهة مستفيدا من جهة أخرى . وهذا ما كنا نذكره لكما ونذكره لراتب ونقول له بالأ يقيد نفسه بعد هذا السن . اما عن رأي القوم في اللباس وحديثكما عن نظرية انكليزية ونظرية اميركية فبامكانكم أن تختاروا احسن النظريتين ، والأولى لكما أن يكون لباسكما دالا على ذوق وفيه بساطة . والباري سبحانه يوفقكم جميعا .

اسبو راتب

- تعليم الاولاد والانفاق عليهم واجب

دمشق في ١٨/٢/١٩٦٠

- واجبات اخرى على الانسان ان يقوم بها

اميركا

- طريق العلم يختصر الطريق والجهد

ولدنا راتب وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

ارسلت لك رسالة تحمل تاريخ ٣١/١/١٩٦٠ أي يوم سفرك وبعدها استلمت رسالتك المؤرخة في ٦/٢/١٩٦٠ وحمدت الله سبحانه وتعالى على وصولك بالسلامة . اما ما انطوت عليه رسالتك من عبارات الشكر والتقدير بالنسبة لنا فكنت لا اريد ذكرها لأنني أقدر ذلك فيك وأعرفه حق المعرفة ، والباري سبحانه قد تفضل علينا

بالفراسة فبمجرد ان انظر الى وجه الشخص فانني اعرف ما يكنه قلبه واعرف ما يدور في نفسه من افكار ، ومتى اطلع الانسان على ما في القلب كفى ، لان مكونات القلب اجمل واصدق من منطوقات اللسان .

واود ان اقول لك انني لم اقم بما قمت به تجاهكم جميعا من اجل الحصول على الشكر لانني اثق تمام الثقة بانني لم اقم الاّ بواجبي تجاهكم ، والانسان عليه واجبات كثيرة في هذه الحياة منها ما هو تجاه والديه ، ومنها ما هو تجاه جيرانه واقاربه ، ومنها ما هو تجاه اهله وعائلته واولاده ومن هم تحت رعايته ، ومنها ما هو تجاه ابناء مجتمعه كلهم . فالانسان لم يخلق على وجه الارض ولم تهب له سبل الحياة ليعمل من اجل نفسه فقط وانما وجد ليعمل من اجل الناس جميعهم . وعندما يقوم بواجبه يوفى اجره من الله سبحانه وتعالى لان الخلق كلهم عيال الله والحيهم الى الله انفعهم لعياله . والحياة مع ذلك كله لا تخلو من متاعب وصعوبات . ان اختلاطي الكثير بالناس واطلاعي على جوانب من الحياة التي قد لا يهتم بها غيري ثم فهمي لكثير من معاني القرآن الكريم وقصصه ومراميه واهدافه ، كل ذلك جعلني اعيش في اجواء تختلف عن الاجواء التي يعيش فيها غيري ، واصبحت نظرتي الى الحياة تختلف عن نظرات غيري من الناس . فلكل انسان عوينات تختلف عن عوينات غيره يرى من خلالها ويقدر عبرها الحياة وامور الحياة . لذلك كله يجب عليك ان تقبل ما اقوله لك وان ترضى بما هو مكتوب ، ودع القدر يتصرف كيف يشاء فالامور كلها بيد الله يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب . ولكن ذلك كله ضمن ما يوافق الانسان ويساعده على السير في طريق الهداية والنجاة . وليس في امكان الانسان ان يسلك طريقا ابداع واحسن وامن من تلك الطريق التي يريد الله ان يسلكها ، طريق الايمان والعمل الصالح . واكتفي الان بما ذكرت آنفا لان قلبي عاجز عن ان يسطر لك كل ما يدور في نفسي من افكار .

جعلت قلبي يطمئن عن وصولك بالسلامة ويطمئن عن سليم وفاروق . وسرت باجتماعك بهما وسرورك وفرحك بهما لانهما يتمتعان بصحة جيدة وسلوك حسن وقد حصلنا على علامات جيدة في امتحاناتهما وهذا ما يثلج صدري ويزيدني سرورا وسعادة ، فانسى اتعابي كلها لانه لا توجد لذة في هذه الحياة تفوق لذة الوالد

وشروره عندما يرى أولاده متعلمين حاصلين على مراكز اجتماعية مرموقة يشار إليها بالبنيان، ويثنى عليهم بالثناء الحسن في كل مجلس من مجالس الناس . وقد تحدثت عن هذا الموضوع في مرات كثيرة وبينت أنني وصلت الى ما وصلت اليه بالجهد والمشقة التي قد لا يتعرض لها من تسليح بالعلم والمعرفة . لقد عملت بجهد واجتهاد ليل نهار وضربت بسهمي في مناهات الحياة وتحملت أثقالها ومتاعبها وقترت على النفس ، وهدني من وراء ذلك كله أن يصبح أولادي متعلمين يشقون طريقهم في الحياة ويحصلوا على ما حصل عليه أهل العلم والفضل دون أن يطول هذا الطريق ودون أن يتعرضوا للمتاعب التي عانيت منها كثيرا .

بالنسبة للاطروحة أتوقع أنك بدأت بتقديمها ومناقشتها ، كما أتوقع أنك قد تغلبت على جميع الصعوبات ، سدد الله خطاك وفتح عليك فتوح العارفين وأفاض عليك علمه الواسع وزادك توفيقا وتقدما ونجاحا . . . أعلمني عن سيرك بالنسبة للاطروحة وأقول لك سلفا أنني مطمئن مستبشر بالنتائج بإذن الله .

أبو راتب

- دروس خاصة

دمشق في ١٩٦٠/٢/٣

- بحث على الدراسة

برمانا

- تعنيف بسبب التقصير

ولدنا محمد مروان الشلاح وفقه الله آمين

بعد ابداء الشوق والدعاء الى الله تعالى أن يفتح على قلبك وبصرك ، بلغني أنك لا زلت مقصرا في بعض الدروس ، كما فهمت أن نجاحك متوقف على حسن تفهمك للدروس عند القائنها من قبل الاساتذة ثم انكبابك عليها بعد ذلك مطالعة وحفظا وتطبيقا وحل الوظائف . وقد رجونا رئيس المدرسة أن يهيء لك دروسا خاصة على شرط أن تسير مع الاستاذ في الصف وتلبي جميع طلباته انتباها وحفظا ، وكفاك يا محمد أنك كنت مقصرا في العام الماضي فهل تقبل بأن تكون مقصرا في هذا العام أيضا ؟ ونحن نعمل بداب ليل نهار لنهيء لك المال اللازم لدفع الاقساط وتأمين النفقات . . . يجب أن تقدر هذا جيدا وتنصرف الى دراستك وتساعد الاستاذ الذي

يريد أن يعلمك الدروس جميعها وذلك عن طريق الانتباه خلال القاء الدروس ثم غسن طريق المطالعة والحفظ . وتعلم أنه صعب علينا بقاءك بلا علم حيث ستضطر السى العمل المتواضع (صانع) وبأجر زهيد لا يؤمن لك ثمن الخبز الحاف كما يقال ، هذا اذا وجدت مثل هذا العمل . اقول لك بصراحة أنك ستلاقي هذا المصير في الوقت الذي يتناول المتعلم فيه اجرا يساوي مائة صانع ، لذلك فانتبه وتفهم الامور جيدا وتعلم أنني بريء الذمة أمام الله لانني بينت وأبين لك الامور وشرحتها أوضح شرح، وأرجو الله سبحانه وتعالى أن تكون هذه الرسالة والدروس الخاصة التي ستلقاها من الاستاذ خير حافظ لك الى أن تنتبه وتفكر جادا بمستقبلك والسلام .

والدك بدر الدين الشلاح

- الاختصاص

دمشق ٢١/١٠/١٩٦٠

- عدم التسرع بالنسبة للزواج

اميركا

ولدينا سليم وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين استلمت رسالتك المؤرخة او رقم ٢/٥ ولربما تأخرت بالرد عليها والسبب في ذلك يعود الى ضيق الوقت . كما استلمت رسالة ثانية منك لا تحجل تاريخها . . . سررت كثيرا بتهانيك التي قدمتها لنا بمناسبة العيد وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يعيده علينا وعلى أفراد العائلة كلهم وعلى جميع المسلمين بالخير والبركة وكل عام وأنتم بخير .

بشرتنا أن علامتك عالية وأنها اعلى العلامات التي حصل عليها الطلاب ، فهذا يشجع صدورنا ويسرنا اعظم سرور لأن همنا العظيم وشغلنا الشاغل أن تتعلموا وتنجحوا ، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يهيء لك سبل النجاح والتفوق وأن يجعلك من الموفقين السعداء في الدنيا والآخرة .

ولدي الحبيب : لم تذكر لنا في رسالتك شيئاً عن الاختصاص الذي ستختاره وهل لا زلت تفكر بالاقتصاد ؟ وقد عرفتك سابقاً أنني لن اكرهك على التحوّل الى اختصاص لا تحبه وإنما أحب أن اقول لك أنه ليس من المعقول أن يختص أربعة شبان أخوة وابناء عم اختصاصا واحداً لأن راتب وموفق اختصاصهما واحد وهو

الاختصاص الذي تريد أنت أن تتجه إليه ، لذلك يجب أن تبحث عن اختصاص آخر يختلف عن اختصاص راتب وموفق حتى تتمكنوا من تنويع نشاطكم في الحياة العملية وحتى تحققوا تعاوناً فيما بينكم . والامر متروك لك ويمكنك أن تبحث هذه النقطة مع أخيك راتب لتتفقا على رأي ، وعندها تمضي في طريقك بخطوات ثابتة ، والشيء الذي تتفقان عليه يرضينا ولا نمانع فيه فتوكل على الله .

انني مسرور من حديثك عن الزواج وعن اخلاق بعض الطلبة العرب واحمد الله سبحانه وتعالى على سلوكك العالي الحميد وعقيدتك المتينة الراسخة رسوخ الجبال . والايام مهما طالت فان لها نهاية وهي مرّ السحاب ، ونحن نرقب بفارغ الصبر ذلك اليوم الذي تنهي فيه دراستك بنجاح بعون الله وتوفيقه وتحصل فيه على الشهادة التي ترغب فيها وتعود اليها سالماً وتستلم الاعمال وعندها سنفرح بزواجك ممن تحب ومن خيرة الفتيات . نحن لا نملك الآن إلا خبرتنا نضعها بين ايديك لتستفيد منها ، ومن هذا المنطلق نقول لك لا تتسرع بالنسبة لامر الزواج لان في العجلة الندامة وفي الثاني السلامة ، كما يقولون ان الحياة يا ولدنا كلها دروس وعبر . سفرنا الى اميركا متوقف على انتهاء راتب من تقديم اطروحته ومناقشتها حتى يتفرغ لنا وحتى لا نشغله عن عمله ولكي يسير في جولته معنا بعد فترة العمل الذي مضى في اعداد الاطروحة . ونسأل الله سبحانه ان يجعل اموره سهلة ميسرة . ولساننا لا يفتر لكم عن الدعاء لكم جميعاً بالتوفيق والنجاح طيلة ايام رمضان لا في الليل ولا النهار ، اعانكم الله جميعاً ووفقكم بدراستكم والجميع عندنا بخير . ساعة كتابة هذه الرسالة واصلتنا رسالة من راتب سنجيبه عليها وسناخذ له شيكاً (حوالة مالية) ونرسله له ، قبلتنا لوجنتك.

أبو راتب

- الدراسة - ينصح وبين ويترك حرية

دمشق في ٢٥/٤/١٩٦٠

التصرف لصاحب العلاقة

اميركا

- الزواج -

- تربية اسلامية وطنية

ولدنا موفق وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

امامي الآن رسالتك التي تحمل الرقم / ١٣ / وقد علمت كل ما جاء فيها . طلبت

مبلغ خمسمائة دولار ، ترى طي رسالتنا هذه حوالة بالمبلغ اعلاه أعلمنا عن وصولها ،

تحدثت عن الشهادة وبينت الاسباب التي تحملك على عدم متابعة الدراسة حتى تحصل على شهادة الدكتوراه وقد علمنا كله وأدركنا ما تريد من رسالتك الاولى . . . لكننا أردنا ان نفسح المجال ليتبين لنا رأيك بوضوح وبحرية تامة ولننسط لك وجهة نظرنا بعد الاطلاع على ما يدور في نفسك جرياً على ما اعتدناه في تربيتكم حيث سرنا بها ضمن ما تمليه ضرورات العصر وطبيعته ، ولم نسر على ما كان عليه أهنا قبل ثلاثين عاما ولا حتى قبل عشرين عاما ولا حتى ما كئن عليه الجيل الذي عاصرناه اي جيل والدنا رحمه الله ، حيث كان الآباء لا يطلقون الحرية لاولادهم . بل عزمنا على ان نربيكم تربية اسلامية وطنية صادقة ومن ثم كنا نصارحكم بكل ما نريد وبكل ما فيه نفعكم وفائدتكم ، وسمحنا لكم بأن تصارحونا وتناقشونا بكل موضوع تريدون مناقشته ونحمد الله على اننا وفقنا في تربيتنا كما نحمده سبحانه على اننا سبقنا عصرنا في اعمالنا وافكارنا . فاذا كنت الآن تريد ان تعرف رأيي فانا ابينه لك واضع امامك وجهات نظرنا وعليك ان تختار ما تريد وسترى اننا لن نمانع ولن نعارض فيما تقرر . ذكرت انك امضيت الى الآن اربعة عشر عاما في الدراسة بعيدا عنا وعن مرايع الوطن الحبيب فنقول لك ردا على ذلك : ان شعورك بهذا الامر لا يوازي جزءا من مليون جزء من شعورنا وشوقنا اليك ورجبتنا في ان نراك قريبا منا في الصباح والمساء وفي كل حين . وربما يخيل اليك اننا مبالغون في ذلك ولكننا نقول لك انك ربما لا تقدر هذا الامر الآن حق التقدير وستقدر عندما تصبح ابا ولك ابناء ويكبر هؤلاء الابناء ويضطرون للعيش بعيدين عنك . . . ومع ذلك فنحن قد تحملنا وسنظل نتحمل هذا الفراق ونتجرع مرارته حبا بكم واشارا منا لكم على انفسنا وراحتنا وتضحية في سبيل فائدتكم وبناء مستقبلكم الذي نريد له ان يكون زاهرا مشرقا . وكان الواجب يحتم علينا ان نضعك في المدارس منذ سن الرابعة وعندها كان بالامكان ان توفر اربع سنين او خمس سنين ولكن هذا الذي حصل .

الشهادة التي ستحصل عليها وهي شهادة M.B.A شهادة عالية ولا بأس بها ولكنها قد لا توازي الدكتوراه ولو أنك بينت لنا أفكارك هذه قبل البدء بها لاشرنا عليك بالاعداد لشهادة الدكتوراه راسا ، فنحن لم نكن على علم بانك لا تريد ان تستمر

بالدراسة حتى تحصل على شهادة الدكتوراه ولو كنا نعلم لما اجبرناك على الذهاب الى اميركا . صار عندنا عدد كبير ممن يحملون شهادة الدكتوراه ودراستهم اقدم من دراستكم بعشرة اعوام وخمسة عشر عاما ، والآن نريد ان تكتفي بشهادة اقل قيمة من شهادة هؤلاء ؟؟؟ نحن لا نوافق على ذلك ومن رأينا اتمام الدراسة حتى تحصل على اعلى الشهادات والرتب العلمية حتى لو ادى ذلك الى تاخير الزواج . اذا كنت ترغب بالزواج نزوجك وتكمل دراستك وبامكانك اخذ الزوجة معك ان امكن او تبقيها عندنا ولا تحسب لمشكلات الزواج اي حساب ولا سيما تلك التي يتعرض لها بعض الناس لان لكل انسان نصيبا مكتوبا (والمكتوب ليس منه مهروب) كما يقولون ، وكل ما اعترض طريق الانسان من مشكلات وعقبات فهي خير له ولمصلحته ولا يعلم سر ما يحصل للناس الا الله تعالى . الآن وقد بينا لك رأينا حول هذا الموضوع نترك لك ان تختار ما تريد وفق ميولك ورغباتك وتعلم ان على الانسان ان يقوم بواجبه والتوفيق بيد الله سبحانه وتعالى ولا قيمة لاي شهادة ان لم تحالف صاحبها التوفيق من الباري . انما اسم الشهادة له قيمة بين افراد المجتمع . واذا حالها التوفيق وسار معها كان ذلك فضلا كبيرا من الله عز وجل . والآن نفذ ما ترى فيه فائدة لك واستلك الطريق الذي تحبه واذا قررت متابعة الدراسة فسجل اسمك في جامعة هارفارد او جامعة كاليفورنيا حسب ما ييسر لك واننا بانتظار رسالتك وجوابك نقبلك عن بعد ونرجو لكم جميعا دوام الصحة والتوفيق والجميع عندنا بخير ويهدونكم السلام .

ابو راتب

- التعاون بين افراد العائلة

- الاستفادة من السن المناسب

- العمل وكسب الخبرة

- العناية بالصحة

دمشق في ١٩٦٠/٥/٨

اميركا

ولدا سليم السلاج وفقه الله آمين

استلمت رسالتك ذات الرقم ٤/١٠١ وعرفت كل ما جاء فيها .

قلت ان رسالتنا المؤرخة في ١٩٦٠/٣/٣١ قد وصلتك وذكرت انك سررت كثيرا

بما جاء فيها من نصائح وتوجيهات ثمينة ، ونقول لك الآن ان تقديرك لها سيزداد ولا سيما عندما تعود بعد انتهاء الدراسة بنجاح وتفوق باذن الله وتستلم الاعمال . وترجع الى رسائلكا بين حين وآخر تقرؤها وتستعيد ما جاء فيها من نصائح . أما فيما يتعلق بطريقة التربية في العائلة وارتباط أفرادها فيما بينهم فهذا أساس الحياة وأساس بناء المجتمع ، فإذا لم يكن أفراد العائلة مترابطين متواصلين متحابين فأية نتيجة حسنة تنتظر هذه العائلة وينتظرها المجتمع من أفرادها؟ . . . ولكن عندما يكون الانسان وفيأ لوالديه ولاخوته ولابناء عمومته ولاقاربه ، وفيأ لجيرانه ، يكون الافراد كلهم متحابين متواصلين أوفياء وهذا ما أردنا ان نغرسه في نفوسكم جميعا . . . الصعوبات التي يواجهها راتب في اعداد الاطروحة ستتقلب كلها الى سهولة ويسر باذن الله ونسأله سبحانه وتعالى ان يوفقه للحصول على الشهادة وعندها سيشعر بالسعادة والسرور لان الشهادة لها قيمة اجتماعية ونحن كنا نلح عليه منذ ثلاث سنوات ليشر عن ساعد الجد ويتابع الدرب لكي يحصل على الشهادة ، ولكن السن التي تساعد على التحصيل والدراسة بسهولة قد مضت وهذا ما يجب ان تتعظ به انت لتستفيد من هذه السن التي تمر فيها الآن فلا تدع دقيقة واحدة تمر دون ان تستفيد منها في الدراسة والتحصيل وبذلك تقوض ما فاتك ولا تشغل نفسك بنا او بأي انسان آخر ، ولا تشغلها الا بدروسك . صيامك شهر رمضان المبارك وانت في ديار الغربة وبين اقوام لا يصومون امر حسن لانه يرضي الله سبحانه ويسرنا نحن لاننا نحب ان نراك دائما مسدد الخطا على دروب الهدى والرشاد . . . اعلمنا هل زاد وزنك عما كان عليه يوم سفرك ؟ لانه يهمننا جدا ان يزداد وزنك بمقدار عشرة كيلو غرامات على الاقل لان الصحة اساس النجاح في الحياة وخير معين على المضي في اتمام الدراسة الامطار في سورية قليلة جدا في هذا العام والمياه قليلة ايضا ونرجو الله سبحانه ان يكون التمام على خير . . . كتبت لك الآن لتعمل ولو ساعة واحدة يوميا في احدى الشركات او المصانع او المحال التجارية ولا سيما في ايام العطلة الكبيرة حيث تستطيع ان تشتغل ثلاث ساعات في اليوم الواحد وهذا العمل فيه منفعة وفائدة مادية لك . فعندما تقبض الاجر فستجد لذة في نفسك لا تلونها لذة ، فلا يسر النفس ويرضيها مثل الكسب وقبض المال الحلال . هذا من جهة ومن جهة ثانية فان العمل يفيدك في تحسين الكتابة والاملاء ويعطيك فكرة عن طرق التعامل مع الناس فتكسب من ذلك خيرة

تضيفها الى ما تكسب من الدراسة . ان العمل تدريب لك وتمرين فلا تنتهي مدة اقامتك في اميركا الا وقد تدربت على العمل وحملت الشهادات العالية وهذا يساعدك كثيرا ويوفر عليك الوقت والجهد عندما تخرج الى الحياة العملية . ولا تهتم بكلام الناس لانه لا قيمة له . وقد عاد طالب من امريكا وقد وفر انني عشر الف دولار لانه كان يدرس ويعمل ونحن عندما ننصحك ونوجهك لا نريد من ذلك الا ان تقوم بواجبنا نحوك خير قيام . سفري الى اميركا تأخر الى شهر حزيران او تموز حتى ينهي راتب اطروحته وانا انتظر رسالة يخبرني فيها بأنه قد انهى الاطروحة ومتى وصلت تلك الرسالة سافرت . . . فارجو الله سبحانه وتعالى ان يكمل عمل راتب بالنجاح وباقرب وقت ممكن لاستطيع ان اراكم كما ارجوه سبحانه ان يجعلكم جميعا من سعادة الدنيا والآخرة أنه هو السميع المجيب .

أبو راتب

- الاطروحة ، التخطيط لرحلة

دمشق في ١٩٦٠/٦/٢

- الوفاء للاهل

اميركا

ولدي راتب وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

أمامي الآن رسالتك المؤرخة في ١٩٦٠/٥/٢٤ وكل ما ورد فيها أصبح معلوما لدي .

تهنئتك لنا بالعيد عيد ثمان بالنسبة لنا فنشكرك على ذلك ونسأل الله سبحانه وتعالى ان يعيده على امتنا وعلى البشرية جمعاء وهي رافلة بأثواب الاستقرار والهدوء والسلام .

قلت عن الاطروحة ان الاستاذ المشرف والمدير قد وافق عليها كلها وان الاستاذ الآخر قد وافق على قسمين منها واعاد اليك القسم الثالث لتحذف منه كل ما فيه دعابة على حد زعمه . كما ذكرت أنك غيرت ذلك القسم وستعيد الاطروحة اليه ليقرأها مرة ثانية وأخيرة ، وانه اذا قراها فستكون قد انتهت حسب تقديرك، فنرجو الله سبحانه ان يحقق ذلك وأن يؤتيك من الحكمة والبرهان الواضح والعلم الغزير ما يجعلك تنتصر عليهم جميعا خلال المناقشة . وآمل من المولى سبحانه ان تنتهي القراءة الاخيرة للاطروحة قبل وصول رسالتي هذه اليك ليطمئن قلبك

وثرتاح نفسياً . وأنصحك بحفظ الاقسام التي أشار الاستاذ عليك بحذفها لانك ربما تحتاج اليها في يوم من الايام . . . اما النسخ التي ستطبعها من الاطروحة من اجل اهداء الاساتذة والمصرف المركزي فلا مانع من جعلها عشرين نسخة والاحسن ان تزيد عدد النسخ الى خمسة وعشرين او ثلاثين نسخة لان رسالتك تحوي معلومات قيمة وسيكون لها شهرة وسيطلب عدد كبير من المؤسسات الاقتصادية الحكومية في الاقليمين نسخا منها . نحن نوافق مبدئياً على كل ما ذكرته عن الرحلة التي ستقوم بها بصحبتك وصحبة بعض الاهل لزيارة اميركا الجنوبية وكندا وانكلترا ثم السويد والنرويج والمانيا ويوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا ثم تركيا . وقد راجعنا أمس مدير شركة مصر للطيران لنقطع تذكرة سفر من القاهرة فاجاب ان ذلك ممنوع لغير المصريين ووعدنا بأن يقطع التذكرة من دمشق وأن يخصم لنا من ثمنها مقدارا يزيد عما ستوفره بسبب فرق العملة ، ولا ندري مدى وفائه بهذا الوعد . وقد طلب منا اسماء البلدان التي سنمر بها والدول التي يجب ان نحصل على سمات دخول وتأشيرات من سفاراتها وقد حصلنا على تأشيرات دخول الى كل من الهند والباكستان واليابان وامريكا قبل ان تصل رسالتك التي توضح برنامج رحلتنا ، لذلك فنحن ننتظر توضيحاتك في رسالة مستعجلة لنجيب مدير الشركة على طلبه ولنبدأ بأخذ التأشيرات لان ذلك يستغرق وقتاً طويلاً كما تعلم . جدتك ووالدتك ستكونان معنا في رحلتنا على الرغم من وجود بعض الصعوبات وذلك اكراما لك وتنفيذا لرغبتك التي أحب أن انفذها بكل سرور ، فأنت تحب ان تكون فياً للجدة وللوالدة كما تحب ادخال السرور على قلوبهما ، ونحن نعتبر وفاءك لهما وفاء لنا واملنا كبير بأنك ستكون وفياً للجميع في المستقبل محباً لهم .

نحن نحب أن يكون الناس كلهم مسرورين سعداء فكيف لا ندخل السرور والسعادة على قلوب ابنائنا وقلذات اكبادنا الذين نحبهم ويحبوننا ويبادلوننا مشاعر طيبة بعد ان سعدنا بتربيتهم التربية الحسنة واطمانت قلوبنا الى اخلاقهم العالية وتحليتهم بالصفات الحميدة الفاضلة ؟ فاطمئنوا يا احباءنا وقرّوا عيناً لان رغبتكم ستنفذ وليعلم اخوتكم وابناء عمكم بذلك . . . قررنا ما ذكرناه على الرغم من اننا لم نقرأ الرسالة للوالدة حتى الآن . اما أسعار العملة عندنا فهي على الشكل التالي :

- الجنيه المصري ٧٧٥ ق.س ثمن الشراء ٧٨٠ ق.س ثمن المبيع .
الدولار الاميركي ٣٥٦ ق.س ثمن الشراء ٣٥٨ ق.س ثمن المبيع .
الدولار الحر ٣٧٣ ق.س ثمن الشراء ٣٧٤ ق.س ثمن المبيع .

الحالة الاقتصادية عندنا تعاني شيئا من الركود بسبب قلة التصدير وسوء المواسم خلال ثلاث سنوات جفاف متواليات مرت على بلدنا ، ونعلق الآمال على موسم القطن فلربما يكون سببا لانفراج الازمة . ونسال الله سبحانه أن تكون الاعوام القادمة أعوام خير وبركة ، ولو أن الذي حصل في بلادنا حصل في بلاد أخرى لوجدت ازمت صعبة لا يمكن التغلب عليها ولكن شعبنا العربي الابي الطموح الذي يجوب بلاد الدنيا بتجارته ونشاطه الاقتصادي تخطى الصعوبات واستعان على تجاوزها لأن حصيلة جهده تعود على وطنه ومواطنيه بالخير . اليوم هو يوم الخميس قبل الوقفة بيوم والوقت ضيق وحمدت الله سبحانه وتعالى لانه هيا لنا الاسباب وأعانني على كتابة هذه الرسالة لتصلك في الوقت المناسب وآمل الا يتأخر جوابك كما آمل أن تحوي رسالتك الايضاحات المفصلة التي أشرت اليها سابقا عن الرحلة ونحن بالانتظار ودمت .

أبو راتب

دمشق في ١٢/٩/١٩٦٠

اميركا

- عادات الاميركيين - الدراسة

- التحلي بالصبر والثبات

- الحرص على المال لانه مالكم ندخره لكم

- المحبة فيما بينكم - العادات الحسنة

ولدينا سليم وفاروق السلاح وفقهما الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيكما لقد وصلنا والحمد لله منذ أسبوع الى دمشق بسلامة الله وحفظه ووجدنا الجميع بخير وعافية وقد اطلعناهم على الشريط السينمائي والصور التي احضرناها معنا من امريكا وكانوا مسرورين جدا لانهم رأوكم بخير وسمعوا اصواتكم . لقد زرنا في طريق عودتنا الى ربوع الوطن الحبيب انكلترا واقمنا فيها مدة عشرة ايام وبعدها ذهبنا الى النروج واقمنا فيها يوما واحدا كما اقمنا ثلاثة ايام في استكهولم ، أما الدانمارك فلم نقم فيها واكتفينا بالمرور في احد مطاراتها . . . حططنا رحالنا في همبورغ واقمنا فيها مدة اربعة ايام كما اقمنا في استامبول مدة يومين .

استلمت رسائلكما المؤرخة في ٢١/٨/١٩٦٠ والمرسلة الى المانيا وقد وصلت الى همبورغ بعد مفادرتنا لهذه المدينة وعلمت عن طريق تلك الرسائل انكما ذهبتما الى الجامعة وسجلتما فيها ثم عدتما الى بيت موفق وبقيتما عنده لتباشرا السدوام في الجامعة في اليوم الحادي عشر من شهر ايلول الحالي . . . وبهذه المناسبة أقول لكما ان دراستكما بدأت منذ الآن لان السنة الماضية والسنة التي سبقتها قد ذهبتا ادراج الرياح ، ذهبتا من عمركما دون ان تحصلا على فائدة فيهما وتحملنا نحن نفقاتكما خلالها . ومع ذلك فنحن نحمد الله تعالى وعليكما ان تحمداه انتما ايضا حيث اعاننا وسهل سفركما الى اميركا لان غيركما من الناس الذين يشبه وضعهم وضعكما لا يمكن ان يسمحوا لهم بالسفر . فلولا تيسر الله وتوفيقه لما كان بالامكان قبولكما في اية جامعة عندنا او في انكلترا او في اميركا ، فتتوقفان عن الدراسة والتحصيل وتضطران الى ممارسة العمل الحر وانتما غير مزودين بالعلم . وفي وقتنا الحاضر لا يمكن ان يحتل الرجل مكانة مرموقة بين ابناء مجتمعه الا اذا كان متعلما ، لذلك فنحن نوجه نصائحنا اليكما لتدركا هذه الحقيقة ولتعرفا قيمة وصولكما الى اميركا ودخولكما احدى جامعاتها فهي فرصة لا تقدر بثمن ، ولربما تكون الفرصة الاخيرة لعدة اسباب اهمها نفقات السفر الدراسة والاقامة وصعوبة الحصول عليها في هذه الايام العصيبة يضاف الى ذلك الاوضاع الاقتصادية غير المرضية في بلدنا حيث الارباح قليلة والاعمال غير ميسرة . . . وعلى كل حال لقد فرحت كثيرا بلقائكما معكما في اميركا وفرحت باستفادتكما من الرحلة التي زرتما فيها المزارع والمعامل والموظفين وشاهدتما اشياء كثيرة ، كل هذا بفضل السفر لتحصيل العلم . فلتقدرا العلم ونتائج الحسنة . وكان فرحي اكثر بوجود السيد حسان القوتلي معنا طيلة اربعة او خمسة ايام . والذي فهمته منه اريد ان اوضحه لكما لتعرفا كيف يشدد الآباء على ابنائهم ولتعرفا فائدة هذه الشدة ومنفعتها بالنسبة للبناء ، ولتدركا الفرق بيننا وبين غيرنا من الآباء في معاملتنا لكما . قال السيد حسان انه عندما حصل على الشهادة من انكلترا واراد ان يسافر الى اميركا لاتمام دراسته امتنع فخامة الرئيس عن ارساله لانه لا يتحمل مصروف اميركا ونفقات طالب يدرس في اميركا . فعرض حسان على والده ان يعين له مبلغا من المال يرسله شهريا على الا يتعداه ولا يطلب المزيد ، فوافق الوالد رئيس جمهورية سورية آنذاك على سفر ولده حسان على ان يتقيد بهذا الشرط

طيلة مدة دراسته في أمريكا . وعاش حسان في بلاد الغربية في أمريكا ينفق بحلود المبلغ الشهري المتفق عليه لذلك لم يتمكن من شراء سيارة افضل من سيارته التي رايتها والتي اشتراها بمبلغ خمسة وسبعين دولارا وهو مبلغ زهيد وانتما تعلمان ان السيارات التي تفوقها كثيرا من حيث المتانة والجودة لا يشتريها احد في أمريكا بل تباع قطعها بعد ان تفك . وسيارة مثل سيارة حسان لا يأمن الانسان على نفسه من الخطر عندما يركبها . يضاف الى ذلك انه كان يشتري البنزين كالوناً وراء كالون لانه لا يملك المال الكافي لشراء كمية اكبر . وكان لا يستعمل السيارة الا ضمن حدود معينة وتمر الايام سريعة ويتم حسان تحصيله العلمي وينال الشهادة التي كان يطمح اليها فيسرع الى والده ليدخل السرور على قلبه وليجعله ينسى ما انفقه عليه وقد ذكر لنا حسان انه عمل دهانا وقبض اربعة عشر دولارا اجرة يوم عمل ففرح بهذا المبلغ الزهيد كما يفرح تاجر كبير عقد صفقة كبيرة وربح منها اموالا طائلة ، فاسرع الى سيارته الهزلة وملا جوفها بالبنزين وروى ظاها الشديد الى المحروقات التي بدا منذ ساقها حظها العاثر اليه هذا هو حسان القوتلي نجل شكري بك القوتلي رئيس الجمهورية لعدة دورات وعدة سنين وحالته المادية افضل من حالتنا بكثير من المرات ، وحسان ينظر اليه من قبل اساتذته ورفاقه الطلاب العرب والاميركيين بأنه ابن شكري بك رئيس جمهورية سورية ، ومع ذلك لم يتأثر ولم يتبرم من الضيق المادي الذي عانى منه مدة وجوده في أمريكا . هذا مثال اردت ان اشرحه لكما لتقدرا قيمة المال الذي يرسل اليكما لتحافظا عليه ولا تسرفا في انفاقه . اقول هذا وانا مطمئن الى انكما لا تنفقان المال ولا قرشا واحدا منه الا في الوجوه التي تعود عليكما بالنفع والخير . وانما هي همسة احببت ان اهمسها في آذانكما وتذكركما لكما وزيادة حرص عليكما فانتما تعلمان انني كنت في الاعوام السابقة ارسل الى اخوتكما كل ما يطلبون من المال دون ان أسألهم عن الوجوه التي انفقوه فيها وتركتهم يسلكون في معيشتهم الطريق التي تلائم طباعهم وظروفهم . وانتما تعلمان ايها الحبيبان اننا نواظر المال الذي جمعناه امناء عليه تصرف منه ونوفر قسما لننفقه عليكم حتى تتموا تحصيلكم العلمي وما زاد عن ذلك ستجدونه بعد اتمام الدراسة فتستعينون به ويوفر عليكم الوقت والجهد للحصول على غيره لان المال المهميا ولو كان قليلا يساعد على العمل ويساعد على الكسب . فألطلاب

الذين يدرسون ويحصلون على شهادات عالية ويعودون الى بلدهم وليس لديهم او لدى اهلهم المال الذي يساعدهم على القيام بأعمال حرة يكسبون عن طريقها مالا يوفّر لهم الحياة اللائقة يضطرون الى الانتظام في سلك الموظفين اصحاب الدخل المحدود . ومهما حصل هؤلاء على رتبة عالية في سلم الموظفين فلن يحصلوا على مال كاف يهيء لهم الحياة الهنيئة . ونحن ليس لنا هدف في هذه الحياة سوى تعليمكم واسعادكم . ملاحظة ثانية اريد ان اضعها بين ايديكم وخلصتها : عندما تتدارسان قضية ما فلا تكثرا من الجدل والنقاش حولها . وعندما يطرح احدكما وجهة نظر صحيحة فلا تظنا انه افهم من الآخر ثم لا يعاتبين صاحب الفكرة الصحيحة غيره ويتهمه بالخطأ والتقصير ، فكل انسان له اجتهاده وله وجهات نظر خاصة . وليكن الحب الصادق المخلص الذي تبادلانه فيما بينكما هو دستور حياتكما حتى يفرس هذا الحب في نفوسكما ويجري في عروقكما كما يجري الدم وينمو معكما ويكبر كلما كبرتما . احباءنا : لا بد انكما بعد سفري امسكما دفترنا تسجلان فيه مصروفكما كله لتكونا على علم بما يدخل عليكم ولتكونا على علم بما تنفقان كما انصحكما بأن تدونا مذكراتكما لان هذه المذكرات سيكون لها فائدة لكما ولاولادكما في المستقبل . ولا يسعني الا ان اضرع الى الله سبحانه بالدعاء ان يوفقكما ويفتح عليكم فنوح العارفين بالله وان يجعل اموركما سهلة ميسرة . . . اقبل وجناتكما واخبركما ان الجميع بخير ويشاطروننا ذلك والله يوفقكما .

قرات رسالتكما التي تحمل تاريخ ١٩٦٠/٩/٣٠ وكنت انتظر عنوانكما الجديد في الجامعة لارسل لكما الجواب . . . هذا الاسبوع سنصور افراد العائلة وارسل لكما الصورة . علمت انكما اودعتما الدراهم في (البنك) بعد ان دفعتما نفقات السفر كما علمت انكما ذهبتما الى الجامعة وسجلتما فيها وانكما قدمتما فحوصا شفويا كما علمت ايضا من رسالتكما انكما اتفقتما على ان يدرس فاروق هندسة وان يدرس سليم زراعة فرع دواجن فعلى بركة الله وتيسيره وسيكون النجاح حليفكما باذن الله . والذي يهمني علاوة على الدروس الجامعية النظرية والعلمية ان تتدربا على ممارسة اختصاصكما خلال العطل الجامعية حيث يذهب فاروق الى مواقع العمل والبناء والتعمير يتدرب عمليا ويعيش في جو العمل والعمال ويذهب سليم الى اماكن تربية الدواجن ويتدرب ايضا وهذا يساعدا على ممارسة العمل بسرعة ونجاح عندما تتمان دراستكما .

وفهمت من رسائلكما أيضا انكما ستعاشران الاميركان فلا مانع من ذلك وهو حسن
اما الطلاب الذين من بلد عربي ذكرتماه وهم من انكرتم تصرفاتهم وسلوكهم فلا فائدة
من معاشرتهم وبامكانكما ان تجاملوهم مجاملة دون ان تختلطوا بهم كثيرا . الشيء الحسن
نطلبه كما ذكرتما سواء اكان من الاميركان ام من غيرهم فالحكمة ضالة المؤمن يبحث
عنها ويحوزها ولا يضره من اي وعاء خرجت .

ملاحظة اخيرة اريد ان اضعها بين ايديكما قبل ان اختم الرسالة هذه . فانتما
اصبحتما على اطلاع واسع على عادات الاميركان التي توصف بالحربة الزائدة لانها تقوم
على الديمقراطية كما يدعون . فالابن او البنت قد يدخن احدهما امام ابيه وهذا امر
قد اعتادوه . ولكن لتنظر الى الدخان من الناحية الاقتصادية حيث يحمل الانسان
نفقة اضافية فيذره ماله على شيء يضره ومن الناحية الصحية حيث يضر الجسم
والصدر فانتما تعلمان انني ادخن واعاني من شروخ التدخين وبودي ان اتركه واتحين
الفرص التي تساعدني على ذلك ولولا كثرة الاعمال والمشكلات التي تواجهني كل يوم
خلال المدة التي قضيتها مدخنا وتركت عندي ادمانا على الدخان لما توقفت لحظة
واحدة عن ترك التدخين . واحب ان اذكركما بان عاداتنا تختلف عن عادات الآخرين
فنحن لا نقر ان يدخن الابن امام ابيه مع انه لا يوجد اي ضرر بالنسبة للاب وذلك
يعود الى ان من يحترم المجتمع يكسب سمعة حسنة بين افراد مجتمعه ، ويحتل مكانة
ممتازة عندهم . فمن العسير ان نطبق كل ما نشاهده عند افراد المجتمع الاميركي في
مجتمعنا لانه من الصعوبة بمكان ان يقنع ابناء شعبنا بعادات ابناء الشعب الاميركي
الذي فصلنا عنه مسافات شاسعة . لذلك يجب على الطالب ان يكتسب العادات
المفيدة التي تتناسب مع عاداتنا وطباعنا ويهجر ما عداها من عادات لانكما ستعودان
الى بلادكما وتعيشان فيها وتعاشران ابناءها وهذا ما اردت ان ابينه لكما
وفقكما الله وحفظكما بعين رعايته . واخبركما بان رفيق سجل في الجامعة الاميركية
وطارق وغسان ومحمد سيبقون في برمانا .

ابو راتب

ويعلق الاب الثاني (أبو موفق) على هذه الرسالة فيقول حائثا أولاده على التمسك بكل ما جاء فيها من نصائح وتوجيهات .

فراحت رسائلكما كلها ولم أجب عنها لوجود والدكما مدّ الله في عمره وهو الذي يحرص على أن يكتب لكما دائما ويزودكما بنصائحه وتوجيهاته القيّمة . يضاف الى ذلك انه لم يكن لديّ الفراغ الكافي خلال وجوده عندكما في أمريكا . وقد حدثنا عن سفره ومشاهداته كما حدثنا عن سروره منكما وما عليكم ايها الأحياء الا أن تطعما رسالته القيّمة هذه في دماغيكما وتأخذا منها النصائح التي لا تقدر بثمن حتى تبنيا مستقبلا زاهرا ملؤه السعادة والتوفيق . واياكما وضياع الوقت فلا تضيعا دقيقة واحدة من وقتكما بلا دراسة ومراجعة حتى تعوّضا ما فاتكما . . . الجميع عندنا بخير يدعون لكما بالتوفيق والنجاح والسلام عليكم .

أبو موفق

- الدراسة - الطالب مسؤول عن تقصيره

دمشق في ١٩٦٠/١٠/٩

- الطعام - الاختصاص

اوكلاهوما - أمريكا

- الصبر والثبات

ولدينا سليم وفاروق الشلاح وفقهما الله آمين ، بعد تقبيل وجناتكما ارسلت لكما تحريرا مؤرخا في ١٩٦٠/٩/١٣ وآمل أن يكون قد وصلكما كما استلمت رسائلكما المؤرخة في ١٩٦٠/٩/١٦ وعلمت كل ما جاء فيها .

فيما يتعلق بدخولكما الجامعة وتلقيكما الدروس أرجو الله سبحانه أن يجعلها حياة جامعية طافحة بالسعادة والهناء والعلم الغزير . وقد سررت من نظام الجامعة وقول الاستاذ لكما أن الطالب هو المسؤول عن تقصيره ، وهذا ما كنت أريد أن أذكره لكما وأشرحه مرات عديدة مع أنني لم أدخل الجامعة ولم اسمعها من فم استاذ . الطعام الذي يقدم اليكما يجب أن تألفا أصنافه كلها لان الفائدة من الطعام مساعدة الجسم على النمو وحفظ بقاء الانسان ، ولا يهم بعد ذلك تنوع أصنافه والوانه أو عدم تنوعها وخاصة انكما تقولان أن الطعام الذي يقدم للطلاب والطعام الذي يقدم للاساتذة واحد ، فعليكما أن ترضيا بما يرضى به الجميع . راتب

يقرئكما السلام وهو الآن يقوم بعمل في المحل وقد شعرنا بالراحة بسبب وجوده الى جانبنا ، ونرجو الله سبحانه وتعالى ان يوفقكم جميعا .

من رايانا ان يدرس سليم مع اختصاص الدواجن اختصاص حشرات الفاكهة لان هذا الاختصاص هام لا سيما انه عندنا مزرعة في الزبداني وهذه المزرعة لها مستقبل جيد باذن الله . . . السلام عليكما من افراد العائلة جميعهم وهم يدعون لكما بالتوفيق والنجاح ، وسلام خاص من جدتكما التي تخصصكما بالكثير من الدعوات وتوصيكما بالصبر على تقلبات الزمان كما توصيكما بأن تكونا كاللجبل الراسخ الذي لا تزعزعه الرياح مهما اشتدت قوتها والا تكونا كالركب الصغير الذي تتلاعب به اضعف النسيمات .

ابو راتب

ويكتب ابو موفق تعليقا على هذه الرسالة يقول فيها :

احباءنا : قبلتنا لوجئناكما . سمعنا الكثير عن حسن سلوككما واجتهادكما من والدكما ومن اخيكما راتب فسررنا كثيرا وفقكما الباري سبحانه وتعالى لما يحبه ويرضاه ، وجعلكما من السعداء وجمعنا بكما عن قريب وانما تحملان الشهادات العلمية . . . الجميع عندنا بخير يدعون لكما بالتوفيق والسلام عليكما ورحمة الله وبركاته .

ابو موفق

برماتا

دمشق في ١١/١١/١٩٦٠

ولدنا طارق السلاح وفقه الله آمين ، بعد تقبيل الوجئنا استلمنا رسالتك بتاريخ ١٦/١٠/١٩٦٠ وعلمنا كل ما جاء فيها فيما يتعلق بابتداء العام الدراسي وتفاؤلنا بالنجاح الباهر والتوفيق وشعورك بالمسؤولية وخاصة بعد ان تركك رفيق . ونجيبك بالنسبة لهذه النقطة ان الانسان تزداد مسؤوليته كلما تقدمت به السن . واعتمادك على نفسك في تصريف بعض الامور لا يسمى مسؤولية ولكن المسؤولية تنتظر عند نقطة فاصلة وهامة في حياتك وذلك عندما تتم الدراسة وتدخل ابواب الحياة العملية . هناك تكون المسؤولية

الحقيقية ، وتلك المسؤولية لها جوانب كثيرة لا نريد أن نوضحها لك الآن حتى لا تشغل أفكارك بها ولكن نحن من جهتنا لا نعتبرها مسؤولية ولا نعتبرها شيئاً صعباً بل هي من متمات الحياة ومن مستلزماتها وفيها تسلية للنفس والراحة . والذي نرجوه من الله سبحانه وتعالى أن يفتح عليك ويوفقكم جميعاً لما فيه خيركم وخير العائلة والوطن . ونذكرك في ختام رسالتنا بوجوب ملاحظة أمور محمد وغان ونبيل وفائز وأن تحثهم على الدراسة وترشدهم الى مصلحتهم باللين والرفق والانسانية .

أبو راتب

دمشق في ١١/١١/١٩٦٠

أمريكا

- الاقتصاد في النفقة

- منافشة واقناع ... المواسم والامطار

- نحن نعمل ونستمر في العمل من اجل

التأسيس لكم

- لطلاب العرب يجب ان يتحاربوا

- الاختصاصات

ولدينا سليم وفاروق السلاح وفقهما الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيكما الحلوتين استلمت رسالتكما المؤرخة في الحادي والثلاثين من الشهر الماضي وقد اخبرتماني فيها عن وصول رسالتي المؤرخة في الثالث والعشرين من الشهر الماضي ايضا . . . ما بينتماه عن مصر وفكما بعد عودتنا من امريكا صار معلوما لديّ وأنا ما طلبتته منكما بشكاً بكما وبحرصكما على ما يرسل اليكما من اموال وانفاقه على الوجه الصحيح وبدون اي تبذير ، ولكنني رايت المبلغ الذي انفقتماه في هذه الفترة القصيرة كثيراً فأردت أن يزيد حرصكما وأن تقتصدا في النفقة نظراً لضآلة دخلنا من أعمالنا ولا سيما في أيام القحط التي تمر بها بلادنا . وسبق أن ذكرت لكم مرارا أننا ما جمعنا هذه الثروة إلا لنستعين بها في الازمات ومن أجلكم انتم لا من أجلنا نحن ، حيث نتمكن من الانفاق عليكم جميعاً لتتموا تعليمكم ولتدخلوا ابواب الحياة العملية حاملين لشهادات لها قيمتها المعنوية فتلاقون الاحترام من قبل ابناء مجتمعكم . فالرجل الجاهل غير محترم في هذه الايام ولا يمكن أن يحظى بالراحة والسرور . . . كنت أقول

لكم ومنذ عشر سنوات أن حامل الشهادة الثانوية لن يكون نصيبه أكثر من آذن
وها هو هذا الزمان الذي كنت أتحدث عنه قد اظننا بشمسه ، فحامل الثانوية
يتقدم الى عشرين مسابقة ولا يظفر بعمل لدى الدولة اذ لا تأخذ الدولة من المتقدمين
الى المسابقات والذين قد يربو عددهم على خمسمائة شخص في كل مسابقة الا العدد
اليسير الذي قد لا يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة ، ويعين هؤلاء المحظوظون في
الوظائف لقاء راتب ضئيل لا يتجاوز مائة وخمسين ليرة سورية شهريا . وشاب دخله
الشهري مائة وخمسون ليرة كيف يتزوج وكيف يستأجر بيتا بسيطا ويفرشه ؟
ثم كيف يتمكن من تربية اولاده ؟ فالراتب لا يكفي لدفع اجرة البيت ومعنى ذلك
كله انه سيعيش حياة تكد وهمّ وكرب بينما الشاب الذي يحمل شهادة الدكتوراه
احسن حالا ممن يحملون الشهادة الثانوية فقد يصل راتبه الى ثمانمائة ليرة سورية
عند بدء التعيين وقد يزداد دخله اذا وفق في حياته فيحصل على اموال لا تقدر .
ونحن نعمل ونحافظ على عملنا من اجلكم ولتجدوا عند عودتكم بالسلامة والتوفيق
كل شيء مؤسسا ، ولتجدوا الاسم الطيب الذي يساعدكم على دخول ابواب الحياة
وهو اسم (آل السلاج) الذين اشتهروا بالجد والمثابرة على العمل كما اشتهروا
بحسن المعاملة ومساعدة الآخرين واشتهروا بانهم موضع ثقة بالنسبة لمواطنيهم
جميعا . . . هذا كل ما نقصده ونصبو اليه .

وعن حديثكما عن الجامعة وسمعتها وكثرة عدد طلابها واختلاف الطلاب العرب
فيها على الرغم من قلة عددهم في جامعتكما ، نقول ان هذا الاختلاف سيكون سببا
من أسباب تأخير بلادنا لان طلاب جيل ما قبل خمسة عشر عاما هم الذين استلموا
البلاد الآن سواء كانوا موظفين ام تجارا ام زراعا ام صناعا . وسيأتي اليوم الذي
يستلم جيلكم فيه البلاد فاذا لم تكونوا من الصغر منذ سن الدراسة متفقيين متحابين
لامتكم ووطنكم فسنبقى على ما نحن عليه الآن من التأخر ، في الوقت الذي يتطور فيه
العالم بن حولنا ويتقدم على مدارج الحضارة والرقي على الشكل الذي تشاهدونه
عندكم في اميركا .

هطلت الامطار منذ اسبوعين كما هطلت أمس واليوم ولا تزال متواصلة الهطول
وقد حصلت سيول على طريق الزبداني . ان بلادنا تغمرها الفرحة بهذه المناسبة

فترجو الله سبحانه أن يتم فضله علينا وعلى مواطنينا جميعاً انه قريب مجيب .
بالنسبة لنشاطكما الدراسي لم يبق عندنا أي شك بأنكما أصبحتما تقدران الوقت
وقيمة العلم والمال وتأمل أن تكونا من الاوائل في صفوفكما . طلبنا من سليم أن
يدرس مع اختصاص الدواجن اختصاص الحشرات وحماية الاشجار وهذا أمر هام
ونؤكد عليه الآن لان تربية الدواجن ستكون ضمن مزرعة والمزرعة يجب أن تكون
خالية من الامراض ، والمزارع المتعلم يكثر محصوله من جهة ويكون هذا المحصول من
نوعية جيدة بل ممتازة يباع بثمن جيد يزيد عن ثمن محصول غيره من المزارعين
غير المتعلمين ويكفيه هذا ربحاً .

وأخيراً نقبل وجناتكما وندعو لكما بالتوفيق ، وفقكما الله وسدد خطاكم جميعاً .

أبوراتب

- نحن نقوم بواجبنا ونسدي النصائح

دمشق في ١٠/١٢/١٩٦٠

- والمسؤولية تقع على عاتق من يقصر

برماننا

ولدنا طارق الشلاح حفظه الله

استلمنا رسالتك التي تحمل تاريخ ١٩٦٠/١٢/٥ وعلمنا كل ما جاء فيها . بالنسبة
للفحوص التي جرت عندك سررنا كثيرا من العلامات العالية التي حصلت عليها ، تلك
العلامات التي اطلعنا عليها عندما كنا في زيارة المدرسة . واننا نقدر اجتهادك وحرصك
على أوقاتك وتسخير هذه الاوقات كلها للدراسة والاجتهاد كما تقدر كل من يجد
ويجتهد منكم وننسى تعبنا والمصروف الذي ندفعه له . كما أننا نحزن أشد
الحزن على كل من يقصر ولا ينجح في دراسته لأن الشاب الذي لا يتعلم سيكون مصيره
أجير لحام أو عاملاً بسيطاً يحمل الأثقال على ظهره . سيكون عتالاً يعرف الناس
لذلك فنحن عندما نتحدث اليكم ونقدم النصائح نكون قد قمنا بواجبنا تجاهكم
جميعاً وكل من يقصر بعد سماع هذه النصائح والتوجيهات يكون هو المسؤول عن
تقصيره والذنب ذنبه لا ذنب انسان سواه . سررنا من علامات غسان ومن رضى
الرئيس منه ، أما محمد فاننا لن نوجه له من الآن فصاعداً أي نصيحة لانه
أصبح كبيراً واذا قصر يكون الذنب ذنبه والمسؤولية تقع عليه وحده ، وانتم لكم
الاجر اذا بقيتم تلاحظونه وتشجعونه ، وقبلاتنا لوجنات الجميع والسلام .

أبوراتب

دمشق في ١٠/١٢/١٩٦٠

- لوم على التقصير في الدراسة

برماننا

ولدنا محمد مروان السلاح وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين
استلمت رسالتك المؤرخة في ١٢/٥/١٩٦٠ وعلمت كل ما جاء فيها .
عرفت من رسالتك سيرك الحسن خلال الفحص كما عرفت جدك واجتهادك وانك
ستحصل على علامات جيدة في هذا الفحص . وكان من الواجب عليك أن تعرفنا
على العلامات التي حصلت عليها في الفحصين الماضيين وعدم اخبارك لنا عنها جعلنا
نقول ان تلك العلامات ربما تكون غير مرضية ، علماً اننا افهمناك عندما كنا في
زيارة المدرسة ان تغير سلوكك وان تجد وتجتهد في الدراسة وتحصيل المعارف
والعلوم والا تضيع دقيقة واحدة من وقتك إلا على المطالعة والدرس . كما قلنا لك
اترك اللعب واللهو وانصرف بجهودك كلها الى العلم . وقد ذكرنا لك الشيء الكثير من
المتاعب والمشقات التي تتحملها من أجل ان نحصل على الدراهم التي ننفقها عليكم
ولا تنس وعذك لنا بأن تكون مواظبا على الدراسة والاجتهاد ليل نهار فانت يا محمد
صرت شابا وبامكانك ان تزين الامور وتقدر عواقبها فلا تجربنا على ان نعاملك معاملة
اخرى غير المعاملة التي نعاملك بها الآن . ونقول لك بكل وضوح انك اذا لم تدرس
جيذا لتحصل على علامات عالية فسنضطر مجبرين آسفين الى عدم تعليمك وستبقى
بدون علم لانه حرام علينا ان ندفع المال كي نعلمك وانت لا تقدر ذلك كله . حرام
ان تضيع جهودنا التي نبذلها من اجلك سدى كصيحة في واد او نفخة في رماد . . .
فاملنا وطيد في ان تضع عقلك براسك كما يقولون وان تفكر جيذا وتجد وتجتهد
حتى تحصل على احسن العلامات والسلام .

ابوراتب

دمشق في ١٣/٥/١٩٦١

بيروت - الجامعة الاميركية

- نظرة تفاعول وأمل بالنسبة لمستقبل الجامعات

العربية

- زيارة المشاريع

ولدنا رفيق الشلاح وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك

استلمت رسالتك التي تحمل تاريخ ١٣/٤/١٩٦١ وعلمت كل ما جاء فيها .
ذكرت لنا أنك وصلت الى بيروت وبشرت دروسك في الجامعة فالحمد لله على ذلك ونرجو الله سبحانه وتعالى أن يوفقك ويوفق اخوتك وأبناء أعمامك جميعا .
بخصوص موسم الصيف لم يستقر الطقس حتى الآن وكان حارا على العموم مما سبب
أضرارا لأزهار التفاح والإجاص ومنذ ثلاثة أيام هطلت الامطار غزيرة في بعض الجهات
كما هبت رياح شديدة وفي هذا اليوم عاد الحر من جديد فنرجو الله سبحانه أن يتم
بالخير والبركة . ويمكن ان نقول ان مواسم هذا العام عندنا حسنة بل هي احسن
بكثير من مواسم العام الماضي .

ذكرت أنك زرت محطة الكهرباء في العام الماضي كما تحدثت اليينا عن بعض
الفوائد التي جنيتها من تلك الزيارة وهذا الامر سرنا كثيرا وقد سمعت منا مرارا
ان زيارتنا لامريكا لم تكن الا للاطلاع على مظاهر الحياة والرقى والتقدم في تلك
البلاد وسررنا بزيارتك لمحطة الكهرباء مبعثه أنك كنت طبقت في هذه الزيارة بعض
ما نريده نحن من زيارتنا ورحلاتنا وأدركت أننا لا نتحدث الا عن الامور الهامة التي
تفيدكم ، واننا نضع بين ايديكم دائما خلاصة تجاربنا وخبرتنا لتأخذوا منها
الصالح المفيد لكم . . .

إحداث فرع يعطي درجة الدكتوراه في قسم التاريخ في الجامعة السورية عمل جيد
وخطوة مباركة ، واننا لنرجو من الاعماق أن يأتي ذلك اليوم الذي تتقدم فيه العلوم
في بلدنا وتصبح جامعاتنا العربية على مستوى جيد مرموق من حيث نضج البحث
العلمي والتقدم وتعمم الدراسات التي تعد الطالب للحصول على شهادة الدكتوراه في
مختلف الفروع العلمية والطبية فنوفر بذلك على الطلاب مشقة السفر الى اميركا وأوربا
وغيرهما للحصول على شهادات اختصاص . . . اننا ننظر الى ذلك اليوم الذي تصبح
فيه عندنا جامعات متطورة علميا تعطي شهادة الدكتوراه . اننا ننتظر ذلك اليوم

الذي نستفني فيه عن الاجانب وليس ذلك صعبا اذا ما شمرنا عين ساعد الجد واستوعبنا حضارة العصر الحديث وانطلقنا نبحت ونبني حضارة جديدة ونخترع اشياء تساعدنا على النهوض معتمدين على انفسنا . حولنا لك مبلغ (١٨٩٩) ليرة سورية عن طريق البنك المركزي ، اقبض المبلغ وضعه مع خالد وخذ منه كلما احتجت وختاما نرجو لك التوفيق والنجاح .

ابو راتب

- الاعتماد على النفس في تفهم الامور
- قيمة العلم

دمشق في ٢٨/١٠/١٩٦١
برمانا

ولدينا غسان ومحمد مروان والشراح وفقهما الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيكما الحلوتين استلمت رسالتكما التي تحمل تاريخ اليوم الخامس عشر من الشهر الحالي وعلمت كل ما جاء فيها .

عرفنا من رسالتكما المنوه عنها اعلاه انكما ستقدمان فحفا وانكما سترفعان الى الصف الاعلى بعد تقديم هذا الفحص ، فترجو الله سبحانه وتعالى ان يحقق ذلك وان يجعل التوفيق حليفكما دائما . ونصيحتنا لكما ان تنتبها الى الاساتذة عندما يلقون دروسهم وهذا يفيدكم كثيرا ويسهل عليكم حفظ الدروس عندما تجلسان لمطالعتها وحفظها . لقد أصبح من الصعب علينا ان نكتب لكما حول كل امر من الامور كما اعتدنا ان نكتب لكما منذ بداتم بالدراسة والتحصيل ، اضع الى ذلك انكما اصبحتما الآن كبيرين لذلك يجب عليكم ان تفهما الامور تفهما جيدا معتمدين على نفسيكما . لقد أصبح عمر الواحد منكما خمسة عشر عاما وهذا يكفي لان تقدرنا قيمة العلم ولان تحمدا الله سبحانه الذي لا زال يمدنا بالقوة كي نعمل لنؤمن لكما نفقات التعليم لتذكرانا بالخير عندما تكبران . لان العلم ضرورة ملحة من ضرورات الحياة ويحتاج اليه الانسان في عصرنا سواء اعاش في بلد اشتراكي ام عاش في بلد رأسمالي . فقير المتعلم قد يحصل على عمل بسيط كأن يكون مستخدما في احدى الدوائر ومرتبته الشهري لا يغطي نفقاته الضرورية ، بينما يحتل الرجل المتعلم اعلى المراتب يأمر وينهي ويحصل على مرتب عال الف ليرة مثلا وهو مبلغ محترم يهيء لصاحبه حياة السعادة والرفاه . وقل الامر نفسه بالنسبة للمتعلمين الذين يعملون في مجالات الزراعة او

التجارة ويستغلون علمهم لتحسين اعمالهم الزراعية او التجارية ، حيث يحصل هؤلاء على دخول محترمة ومال وفير يهيء لهم الراحة والطمأنينة . لذلك كله يجب ان تقدر اقيمة الوقت وان تنتبهها لدروسكما ولا تتركها دقيقة واحدة تضيع دون ان تستغلها للمطالعة والدرس .

علمنا ايضا من رسالتكما مرض محمد وشفاءه فالحمد لله على سلامته ونأمل ان يكون قد عوض ما فاته من دروس ونرجو الله سبحانه ان تكون علاماتكما احسن علامات يحصل عليها الطلاب في صفكما بعد هذا الدرس الذي القيناه عليكم ودمتما والتوفيق حليفكما .

ابو راتب

ويعلق العم الاب الثاني في العائلة على هذه الرسالة فيقول : سأسافر غداً الى العراق مع وفد تجاري يرأسه وزير الاقتصاد لإبرام اتفاقية تجارية بيننا وبين العراق الشقيق فنرجو الله سبحانه أن يوفق مسعانا جميعا ويحقق على أيدينا كل ما فيه نفع لوطننا وأمتنا . وارتدت ان اذكر لكما هذا الخبر لتعلمنا ان كل من سعى وجد واجتهد سيحصل على المراكز العالية . اظن ان النصائح التي يزودكم بها الوالد دائما لتنتبهوا لدروسكما ولتحافظا على اوقاتكما ولا تضيعا دقيقة واحدة بدون دراسة، هذه النصائح كافية وبامكانكما ان تراجعها طارق وتسأله عن كل ما يصعب عليكم . كما يجب ان تتقبلا كل ما يقوله لكما بروح طيبة وان تنفذا كلامه لانه اخوكما الكبير وارجو الله ان يجعلكما من السعداء والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ابو موفق

دمشق في ١٩٦١/١٢/٩ - فرح لتحسن العلامات
برمانا - الحث على الاجتهاد وقيمة الوقت
- نحن قمنا بواجبنا فلنقم انت بواجبك

ولدنا محمد الشلاح وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين استلمت رسالتك رقم ١١/١٢ وعلمت كل ما جاء فيها . واقول تعليقا على رسالتك: تأخرت بالاجابة لاننا شغلنا بالانتخابات . . . العلامات التي حصلت عليها مقبولة ونأمل ان تكون جيدة جدا لانك تعيد الصف ذاته فضعف جهدك لتحصل على علامات

تتفوق بها على زملائك الجدد في هذا الصف ، وهذا سهل وممكن لأنك تدرس مواد يرونها هم لأول مرة بينما أنت درستها في العام الماضي وتدرسها في هذا العام مرة ثانية . . . على كل حال فلن اطيل في رسائلي الموجهة اليك من الآن فصاعدا بل سأكتفي بلفت النظر فقط لانني كتبت لك كثيرا من الرسائل وابدت لك كثيرا من النصائح وكل ما كتبت لك لم يلق عندك الاذن الصاغية والاستجابة المطلوبة . وكصياد يائس يلقي آخر الشباك ، اقول لك حرام عليك ان تضع دقيقة واحدة من وقتك دون ان تستغلها في الدراسة . . . اجتهد ليل نهار لانك أصبحت كبيرا ويجب عليك ان تدرك قيمة الوقت والجهد وقيمة العلم وتدرك اخيرا المشقة التي نتحملها للحصول على المال الذي ننفقه على تعليمكم جميعا كما تدرك أيضا أننا تعبنا كثيرا واصبح سننا الآن خمسا وخمسين سنة ولا نستطيع ان نستمر في بذل الجهد الذي كنا نبذله . لذلك فكل تقصير يقع منك ويفوت عليك فرصة كسب العلم تقع مسؤوليته عليك وحدك ، ولتعلم أننا سنترك هذه الحياة الدنيا عند انتهاء الاجل ونحن نشعر أننا قمنا بواجبنا تجاهك وتجاه اولادنا كلهم وتجاه ابناء مجتمعنا . وان حصل تقصير فالمسؤولية تقع على من قصر وهو الذي سيتحمل النتائج السيئة ، لا سمح الله ، لانه لم ينتبه جيدا ولم يحسن استخدام الوقت ولم يستفد من الفرص الطيبة التي أتاحت له .

سفرنا الى العراق والسعودية مع وفد سورية مثال اذكره لك لتأخذ منه عبرة وعظة فلولا جدتنا وتعبنا لما توصلنا الى ما توصلنا اليه من المركز الذي نحمد الله سبحانه عليه . ولكننا مثل غيرنا من ارباب مهنة بيع الخضار والفواكه . . . وهذا الدرس وحده يكفي لان يكون حافزا لك على الجد والاجتهاد . . . فلتقرأ هذه الرسالة ولتطبق ما جاء فيها والله يوفقكم جميعا لما يحبه ويرضاه .

ابوراتب

ويلق الاخ الاكبر الدكتور راتب على هذه الرسالة فيقول : لا شيء عندي أستطيع ان اضيفه الى ما جاء في رسالة الوالد حفظه الله ومدّ في عمره وأبقاه ذخرا نهل من معرفته الواسعة وتجاربه المفيدة ، تلك المعرفة وتلك التجارب التي لم يرض علينا بها في يوم من الايام بل بذلها بسخاء . نصائح قيّمة طارت الينا جميعا عبر الاجواء من

خلال رسائله العديدة التي كانت تتلاحق علينا جميعا ، تسدد الخطا وتأخذ بالأيدي الى اوضح المسالك وأرشد الطرق التي تكفل الخير والنجاح . ولكنني أقول بعد استماعة العذر من الوالد الكريم الذي بذل كثيرا وضحي طويلا من أجلنا ونصح باستمرار ، أقول لك لا تعد لنا هذه المرة إلا وقد حصلت على علامات جيدة ترفع الرأس وتبيض الوجه . . . اننا لن نسمح لك بأن تبدي أية أعذار تبرر فيها تقصيرك لا سمح الله . . . اننا لن نؤمن بأية وعود جديدة تقطعها على نفسك بالانكباب على الدراسة لان هذه الوعود لن تفيديك لانها ضرب من التسويف الذي يجر على صاحبه أوخم العواقب واكبر البليات والشور . . . والذي ينفعك من الآن فصاعدا جسدك واجتهادك وحصولك على علامات ممتازة ، والله يوفقك والسلام .

الدكتور راتب

- الدراسة والزواج والشوق

دمشق في ٢٨/١٠/١٩٦١

- الى الاحفاد

او كلاهما - اميركا

ولدنا موفق وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين أمامي الآن رسالتك المؤرخة في ٢١/١٢/١٩٦١ وقد علمت كل ما جاء فيها . قلت في رسالتك أن قد زارك سليم وأمضى عندك عطلة عيد الميلاد فسررنا جدا بهذا النبأ كما سررنا كثيرا من تهنتك لنا بالعام الجديد أعاده الله على العالم الاسلامي والعربي وعلى البشرية كلها بالراحة والهناء والسرور وأبعد عنا شبح هذه الحرب الباردة . ولدنا الحبيب : لا نعلم حتى الآن الوقت اللازم لانهاء دراستك وأنت تعلم أن كل شهادة لها وقت محدد للحصول عليها وذلك بعد الحصول على الشهادة التي تسبقها . وحسب معلوماتي أعرف أن الحصول على شهادة الدكتوراه لا يستغرق أكثر من سنتين الى سنتين ونصف بعد الحصول على شهادة الـ M. A. وعندما كنا في زيارتك كنت تعد العدة للحصول على شهادة الـ M. A. وعلى هذا يكون قد بقي لك مدة سنة وبضعة اشهر لتحصل على شهادة الدكتوراه فهل حسابنا صحيح يا ترى ؟ أم أنه يوجد بعض الفروق ؟ نأمل ان تفيدينا بوضوح عن هذا الموضوع . والذي دعائتي الى الخوض فيه طول المدة التي أمضيتها بعيدا عنا ورغبتنا أن نفرح بزواجك ولا سيما ان الوالدة قد اجتمعت بنت من عائلة كريمة وأعجبت بها ولكن لا يمكننا عمل أي شيء

قبل الحصول على موافقتك أولاً وقبل أن تنظر إليها ثانياً ، ولا يمكننا أن نتحمل مسؤولية هذا النوع لأننا كما تعلم عاهدنا أنفسنا أن نكون صريحين معكم نقدم رأينا أولاً ثم عندما تعتمدون على تنفيذ أمر ما نقدم لكم خبرتنا وتجربتنا المتعلقة بهذا الأمر وما تبقى من موافقة أو عدم موافقة فيعود اليكم وحدكم . وعلى هذا نقول لك اذا كانت مدة الدراسة ستطول وتمتد الى اكثر من نهاية عام ١٩٦٢ فاننا نفضل ان ننتظر الفرصة المناسبة والكافية حيث لا تقل عن شهرين على اقل تقدير لتحضر الى دمشق وعندها تبحث عن الزوجة المناسبة ونقوم باجراءات العقد والزواج ثم تسافر انت وزوجتك لانتمام دراستك وبذلك تقضي معك العام الاخير وترجع بالسلامة . ونشترط عليك منذ الآن ان تحدد الوقت الذي ستحضر فيه وقبل شهرين من حضورك على الاقل لنتمكن من البحث عن الزوجة المناسبة كما أسلفت وسنحدد مجموعة من البنات اربع او خمس بنات وعند حضورك نعرض عليك الاسماء كما سنعرض عليك جميع ملاحظتنا ومعلوماتنا التي نكون قد جمعناها ويكون الراي النهائي لك . . . ونحن قصدنا السرعة بهذا الامر لكي لا يطول الوقت وتضيع هذه السنة من عمر الاحفاد أي احفادنا الذين أصبحنا ننتظر مجيئهم بحب وشوق كما أننا نريد ان نفرح بزواجك في أسرع وقت ممكن . نأمل ان تجيبنا بصراحة وبحرية تامة فهذا رأينا شرحناه لك وبسطناه بين ايديك ولكن لا تعلق موافقتك وعدم موافقتك على رأينا فنحن نصارك دائماً ويجب ان تصارحنا ايضاً لتسير على بصيرة في أمورنا كلها . نحن بانتظار جوابك هذا واننا نبلغك تحيات الجميع كباراً وصغاراً اشقاء وابناء هم رجالاً واناثاً وصبياناً وبنات وتقبلك عن بعد ونرجو الله سبحانه وتعالى ان يوفقك ويجعلك من سعداء الدنيا والآخرة وأن يحفظك من كل اذى انه سميع مجيب .

ابوراتب

ويعلق الوالد أبو موفق على هذه الرسالة فيقول : قبيلات لوجنتيك الحلوتين ولا يوجد لدي ما أضيفه زيادة على ما حرر اعلاه سوى الدعاء لك بالتوفيق والنجاح وأن يحفظك المولى سبحانه بعين عنايته ورعايته من كل سوء كما اطلب منك ان تحافظ على الوقت فلا تضيع وقتك ولو لدقيقة واحدة دون أن تستخدمها في الدراسة والاجتهاد ، وأذكر لك بهذه المناسبة اننا كنا في بيروت منذ اسبوع وزرنا السيد فؤاد

النجار الذي شغل منصب وزير الزراعة في لبنان لمدة سنتين وشاهدنا قطعة جميلة علقها السيد النجار على صدر المكان الذي يجلس فيه . القطعة تحمل عبارة مفيدة هي (ما أتمن الوقت) ، والسيد النجار يطبق ما جاء في تلك العبارة حيث يعمل ليل نهار دون أن يمل . وختاما الجميع يقبلون وجنتيك وينتظرون قدومك وأنت تحمل أعلى الشهادات العلمية والمولى سبحانه وتعالى يوفقك لما تحبه وترضاه .
أبو موفق

- الوحدة - الاشتراكية

دمشق في ١٢/٤/١٩٦٢

- بلدنا محفوف بعناية الله

نورمان - أميركا

- تعليم الاولاد رسالة لينفخوا أنفسهم ووطنهم

ولدنا موفق وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين أمامنا الآن ونحن نهم بالكتابة اليك رسالتك ذات الارقام ٣/٤ و ٤/٣ وقد علمنا كل ما جاء فيها .
بضائعبنا لا يزال قسم كبير منها كاسدا ولم يبع ولا بد أن الباري سبحانه سيحسن الجبر .

ما حدث في بلدنا منذ أسبوعين يتلخص في أن القيادة السياسية قد حلت المجلس النيابي ومجلس الوزراء واحتجزت قسما من السياسيين والنواب والوزراء كما احتجزت أعضاء الشركة الخماسية ، وقد حدثت اضطرابات بعد يومين في حمص وحلب ولكنها لم تكن ذات بال وقد انتهت والحمد لله بسلامة . وأول أمس أفرج عن أعضاء الشركة الخماسية كما أفرج عن اثنين من السياسيين وأمس أفرج عن البعض أيضا وربما يفرج عن الباقيين اليوم وغدا وربما تشكل وزارة جديدة هذا اليوم والله سبحانه وتعالى نسال أن يتمم بالخير .

والحقيقة أن هذا البلد محفوف بعناية الله سبحانه وتعالى ونحن نحمد الله الذي جعلنا من سكانه ومواطنيه واننا لنضرع الى الله بالدعاء ومن أعماق قلوبنا ان يوفق الزعماء والسياسيين والحكام في الوطن العربي الى ما فيه خير أمتنا ووطننا العربي الكبير وأن يلهمهم جميعا العمل المخلص الجاد من أجل تحقيق وحدة عربية اقتصادية

وعسكرية ووحدة تمثيل خارجي بين جميع أقطار الوطن العربي وبذلك نخطو خطوة ممتازة على طريق الوحدة العربية الشاملة التي أصبح العرب ينتظرونها بفارغ الصبر وتتبعها خطوات أخرى ويفرح العرب بقيام دولتهم الواحدة ووطنهم الكبير الموحد الذي انقشعت عن سمائه غيوم التجزئة والفرقة التي تمزق أبناء هذه الأمة العربية الماجدة . فالخطر المحدق بوطننا كبير جدا وسببه الاستعمار الذي يكيد لنا في السر والعلن ويدأب ليل نهار على تثبيت الفرقة والتمزق بين أجزاء الوطن العربي لتحقيق مصالحه وليستطيع الوصول الى مآربه من نهب خيرات بلادنا واذلال أبناء شعبنا . واننا لنضرع بالدعاء الى الله سبحانه وتعالى ومن اعماق قلوبنا ايضا بأن يأخذ بأيدي القادة والسياسيين والحكام العرب الى تطبيق الاشتراكية بمعناها الصحيح حيث لا تكون مطية يستغلها بعض الناس للوصول الى غاياتهم الشخصية . فالاشتراكية الحقيقية هي اولا سعي وعمل جاد لزيادة الدخل القومي ، وبهذه الزيادة يتمكن المسؤولون من رفع مستوى حياة الفرد ، عندها توزع الثروة توزيعا عادلا ويجد الناس جميعا العمل الذي يعود عليهم وعلى الوطن والامة بالنفع فيتمكن كل فرد من افراد الشعب من ان يأكل ويلبس ويداوي نفسه واسرته وبذلك ينصرف الناس كل الناس الى اعمالهم المفيدة وهم مطمئنون واثقون بانفسهم ووطنهم وقياداتهم . وهذا ما درجنا عليه في حياتنا منذ نشأنا ، فنحن كما تعلم بعيدون عن حياة الترف ولم نغير شيئا من موجودات الدار وهي في مستوى فرش عامل وكل ما نوفره من العمل نصرفه في طريقكم حتى تتمكنوا من اتمام دراستكم وهي الرسالة التي اخذناها على عاتقنا ولا يمكن ان نتراجع عنها ونحن نأمل ان تكونوا في المستقبل مثقفين معتمدين على انفسكم وغير معتمدين على ثروة احد متمسكين بعروبيتكم محبين لامتكم ووطنكم متحلين بالاخلاق الاسلامية الفاضلة . اننا نهدف دائما فيما نبذله من جهد في سبيل تعليمكم ان تكونوا اداة نفع لمجتمعكم وهذا ما يفيد المرء ويسره فالخلق كلهم عيال الله واحبهم الى الله انفعهم لعيله . المواسم عندنا حسنة ما عدا منطقة الغوطة وما اتصل بها من ارض حيث انقطعت الامطار منذ شهرين تقريبا ونرجو الله سبحانه وتعالى ان يرسل مطرا في هذا الاسبوع وعندها نطمئن على سلامة الموسم باذن الله والله سميع مجيب .

ولدنا الحبيب طي رسالتنا هذه حوالة مالية بمبلغ مائة وستة وثلاثين دولار

وحوالة ثانية بمبلغ مائتين وستة عشر دولار خبرنا عن وصولهما . الجميع عندنا بخير
يقبلون وجناتك الحلوة ونحن نقديك آلاف المرات عن بعد . وسلامنا للجميع ونسال الله
سبحانه وتعالى ان يكلاذك بعين رعايته ويرضى عليكم جميعا الرضى كله انه سميع مجيب .
ابو راتب

- الدخل القومي في سورية

دمشق في ٢٠/٥/١٩٦٢

- اسباب الانفصال

نورمان - او كلاهما - اميركا

- اسي على فشل الوحدة بين مصر وسوريا

- الفرد السوري النشيط يساوي بئر بترول

ولدنا موفق وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

استلمنا أمس رسالتك التي تحمل تاريخ اليوم السادس من الشهر الحالي واخذنا

علماً بما جاء فيها .

لقد انتهى عيد الاضحى المبارك اول أمس ، وقد قضينا فترة العيد في الزبداني
حيث كان الجو لطيفا هناك بينما كان حارا في دمشق فكل عام وانتم بخير ، ونرجو
المولى سبحانه وتعالى ان يعيده علينا بالخير وتكون انت قد انهيت دراستك بنجاح
وتفوق وتقضي العيد القادم بين افراد العائلة بالفرح والمسرات . المواسم جيدة بوجه
عام حيث كانت الامطار وفيرة إلا في بعض مناطق حوران وبعض جهات أخرى في
الغوطة . فالقمح والحبوب يفوق محصولهما محصول المواسم السابقة بكميات كبيرة،
والقطن وهو محصول رئيسي بالنسبة لبلادنا بديء بزراعته والمساحات التي ستزرع
في هذا العام اكثر من المساحات التي زرعت في السنين الماضية نظرا لكثرة الامطار
ووفرة المياه السطحية والجوفية كما أسلفت . وقد جرى نهر جاروش الذي يسقي
العدمل ونحن الى الآن نسقي الارض من النهر ولا نستخدم مياه الآبار الا عندالضرورة
القصوى ونرجو الله ان يستمر هذا الحال طيلة الصيف . . . الى الآن لم نباشر
السقاية في الزبداني والمياه وفيرة والحمد لله بسبب ما انعم الله علينا من امطار وتلوج
عمت المنطقة كلها . الاوضاع السياسية غير مستقرة الى الآن وسبب ذلك ان وحدتنا
مع مصر لم تكن مدروسة منذ البدء وراح حكام القاهرة يسنون قوانين للاقليمين
مصر وسورية غير مراعين الفرق بين ظروف الحياة في الاقليمين مصر وسورية .

ومن هذه الفروق على سبيل المثال لا الحصر الحياة الاجتماعية للفرد في الاقليمين والتفاوت بين الدخل القومي للفرد في كل من الاقليمين وفروق مستوى المعيشة وتوزيع الثروة والتفاوت في عدد السكان وضيق الاراضي في الاقليم المصري وسعتها نسبيا في الاقليم السوري وكان على الحكام ان يراعوا هذه الامور كلها عند وضع اي تشريع ولكنهم ضربوا بهذه الاعتبارات كلها عرض الحائط مما ادى الى الانفصال وزوال الوحدة التي كانت امل العرب عامة والسوريين خاصة . وبعد زوالها وقعنا في هذه المتاعب التي نعاني منها الآن وكنا بنسى عنها لو سرنا في طريق الوحدة بتؤدة وتعقل ، واننا لندرجو الله سبحانه وتعالى ان يخلص البلاد من عواقبها وأن يحصل الاستقرار الذي ينشده ويتعلق به كل مخلص لهذه البلاد لان الشعب السوري كما ذكرت في رسالتك شعب نشيط وانني دائما اضرب المثل بالفرد السوري واعتبر ان كل فرد نشيط عندنا يساوي من حيث النفع والفائدة لوطنه ولمواطنيه بئر بترول في الكويت او السعودية او في العراق اذا هيئت له سبل العمل والانتاج ، فعلى الرغم من عدم ظهور البترول او ظهور اي معدن من المعادن المدفونة في باطن الارض فان الدخل القومي في سورية اعلى بكثير من الدخل في جميع البلدان العربية وهو موزع بطريقة عادلة تفوق بعدالتها ما هو موجود في كافة البلدان العربية أيضا وكل ذلك بفضل جهد الفرد السوري . صدر منذ اسبوع قرار بتعديل قانون الاصلاح الزراعي وهو تعديل معقول جدا ولو صدر هذا التعديل ايام الوحدة لما حصل الانفصال البغيض . كما صدر قرار آخر يسمح بتصدير الحنطة والشعير عن طريق التجارة الحرة مقابل تسليم الدولة نسبة ٣٥٪ من الكمية التي تصدر وبالسعار العالمية وسوف تستفيد البلاد من هذا الاجراء فاتاجر سيبيع بزيادة في السعر لا تقل عن ٤٠٪ من السعر الذي تعطيه الدولة كما انه سيوفر ٥٪ من المصاريف اضافة الى ذلك انه سيبيع في اول الموسم وسيتمكن من الشحن في وقت مبكر بينما يتطلب البيع عن طريق الدولة اجتماع اللجان التي تقرر مقدار الكميات التي ستباع والجهة التي ستباع الكميات لها والسعر الذي سيباع به مما يؤدي الى ضياع الوقت وفقد الاسواق العالمية . اضافة الى ذلك ان قيمة المبيعات سوف تعود بسرعة الى البلاد وتوزع على المشاريع التي تقام في بلادنا كما انها سوف تلعب دورا هاما في تهيئة الارض واعدادها للزراعة في المواسم القادمة وهناك نقاط كثيرة وفوائد جملة لا يتسع الوقت لشرحها فهذا. القراران يبشران بأن الوضع

الحاضر فيه خير ، فسدد الله الخطأ لبلادنا وهياً لبلدنا وشعبنا كل خير .
قلت ان سليم سيقضي عطلته القادمة عندك وهذا أمر يسرنا ونرجو الباري سبحانه
الا يفرق بينكم ويجمعكم دائما . تحدثت في رسالتك عن حفلة الكلية التي حضرها
السفير اللبناني نديم بك دمشقية الذي تحدث عن المرحوم جدكم وان رئيس الكلية
قد أعجب بالحديث وزاد اكرامك وتقديرك فهذا الامر فخر لنا ، ويكفي الانسان
سعادة أن يذكر بخير في مجالس الناس في حياته وبعد مماته ورحم الله الشاعر الذي
قال (انما المرء حديث بعده كن حديثا طيبا لمن وعى) ويمكن ان نقول اننا لم نقصر
بعد وفاة المرحوم جدكم بل نهضنا بالاعباء وسددنا الفراغ الذي احدهه انتقاله الى
الرفيق الاعلى رحمه الله فلم نقص من السمعة الطيبة التي تركها لنا ولم نقص من
التراث المجيد الذي خلفه وراءه بل زدنا أضعافا مضاعفة كما أننا والحمد لله لم
نقص من الثروة التي تركها لنا والتي ذهب معظمها في اعمال البر والاعمال الانسانية
 والاجتماعية بعد وفاته بل زدناها أضعافا مضاعفة بالطرق الشريفة وبالكسب الحلال
 وكان هدفنا العمل وبذل الجهد وزيادة الكسب لكي نتمكن من تعليمكم جميعا حتى
تحصلوا على أعلى المراتب العلمية العالية وان نوجهكم جميعا احسن توجيه لتكونوا
كلكم يدا واحدة وكالبنيان المرصوص يشد بعضكم ازر بعض لا فرق في ذلك كله بين
أخ وابن عم . وفوق هذا وذاك اردنا ان تكونوا متمتعين بالسمعة الطيبة والذكر الحسن
لدى جميع الناس وهذا هو الاساس المتين الذي يجب ان يرسي عليه الانسان بنيان
حياته الشامخ الطويل فنرجو الله العلي القدير ان تراكم جميعا متمتعين بكل ما نحبه
لكم من اخلاق حميدة وسمعة طيبة ومراكز ممتازة في المجتمع وان يكون ذكركم
العطر على كل لسان .

أبوراتب

ويعلق الوالد أبو موفق على هذه الرسالة :

قبيلات لوجنتيك الحلوتين

ندعو الله سبحانه أن يكون النجاح بتفوق حليفك دائما ، ومنذ اسبوعين سمعنا
الشريط الذي سجل عليه صوتك وصوت سليم وكان افراد العائلة كلهم موجودين
وقد سرّوا جميعا لسماع صوتيكما الحلوين وهذه اول مرة نسمعه ونأمل ان نسمع

صوتك الحلو عندما تعود الينا عما قريب وانت تحمل شهادة الدكتوراه . اكتب الى اخيك رفيق تحثه على الاجتهاد لان علاماته كانت قليلة جدا ولا تخوله للدخول في مجالات التعليم العالي الذي نحبه وليكن الحديث موجها منك اليه مباشرة دون ان تذكر له أننا نحن الذين طلبنا منك ان تكتب له فهذا ادعى لانهاض همته وبث النشاط في نفسه وقد تحدث معه راتب كثيرا ونصحته وبين له فائدة الجد والاجتهاد وكان يسكن مع رفاق ليسوا صالحين وقد تركهم الآن واستأجر غرفة يعيش فيها وحده ، وبالختام وفقكم الله جميعا لما فيه الخير وسدد خطاكم دائما والسلام .

أبو موفق

دمشق في ١٩٦٢/٦/٩

- التواضع والاعتراف بفضل المعلمين

بيروت - الجامعة الاميركية

ولدنا رفيق الشلاح وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين استلمت رسالتك المؤرخة في السابع والعشرين من الشهر الماضي وعلمنا كل ما جاء فيها .

أرسلت لنا قبل الرسالة المدرجة اعلاه رسالة طويلة عن الدراسة لم نعلق عليها بأية ملاحظة . تلك الرسالة لم تكن قد اطلعنا عليها قبل الحديث الذي جرى معك وعندما قراناها و اردنا ان نناقشك بالنقاط التي وردت فيها ذكر لنا راتب أنك جلست عنده مرتين في الليل ولمدة لا تقل عن ثلاث ساعات في كل مرة وأنه ناقشك بكل ما ورد في تلك الرسالة وأنه ذكر لك آراء تتطابق مع آرائنا ووجهة نظرنا تماما . ثم انتهت المعطلة وسافرت بالسلامة ولم تتمكن ان نفتحك بشيء . والآن لا نريد ان نناقشك الحساب عن المدة التي مضت وعن العام الذي ذهب سدى بسبب الكبر الذي خالط نفسك وحال بينك وبين النجاح كما يفهم من رسالتك ، ولكننا نقول لك ان الطالب يبقى طالبا مهما حصل من المعلومات ويجب ان يبقى متصفا بهذه الصفة حتى يتخرج ويحصل على الشهادة ، والاستاذ كذلك يبقى استاذا على الرغم من انوف الطلاب كلهم وهذه النقطة الهامة كان عليك ان تفهمها جيدا قبل ان تقع فيما وقعت فيه . وكان عليك ان توضح لنا ذلك عند نهاية العام الدراسي الفائت ، كان عليك الا تبقى مصرا على عنفوانك تعاند المعلمة وتريد ان تحصل على العلامات والنجاح قسرا عنها وهذا

أمر مستحيل . لذلك فإننا نحذرك من الآن فصاعداً من الكبر والعجب ونذكرك بالاحاديث التي تحث على التواضع عامة وعلى التواضع للمعلم ، خاصة تلك الاحاديث التي ورد في بعضها (تواضعوا لمن تتعلمون منه العلم . . .) فلو كان الطالب فيلسوف زمانه وعنده الذكاء المفرط الذي لا يجاريه فيه أحد فلن ينجح الا اذا تواضع لمعلميه وكسب ودهم ومحبتهم . ولنفرض أن الطالب المعاند خدمه الحظ ونجح في الدراسة فانه سيكون فاشلاً في حياته العملية مخففاً فيها لان الحياة العملية تفرض عليه ان يكون متواضعا بل تفرض عليه أن يكون لديه من التواضع ما يزيد عشرات المرات عن التواضع الذي كان يتصف به خلال الدراسة لان الطالت في فترة الدراسة كان يتواضع لاشخاص محدودين اما في الحياة العملية فيرتفع عدد الاشخاص الذي يجب أن يتواضع لهم وربما يصل هذا العدد الى مئات الاشخاص بل ربما الى ألوف الاشخاص . . . ونحن لم نكتف بما جاء في تحريك من الاعتذار عما بدر منك من خطأ تجاه معلميك لذلك أحببنا أن نخاطبك بهذه اللهجة الصريحة لتستأصل من نفسك كل ما داخلك من كبر وتحل محلّه التواضع ، اننا نرى القسوة واجبة هنا لاننا اذا تسامحنا معك نسيت خطاك ولربما يخدمك الحظ فتتجح وتخطى مرحلة الدراسة فتطرق أبواب الحياة محتفظاً بكبريائك وعندها ستواجهك العقبات والصعوبات وتكون قد أسأنا اليك اكبر اساءة لاننا لم ننبهك على خطأ جرّ عليك الاضرار خلال فترة الدراسة وسيجر عليك اضراراً عندما تخرج الى الحياة العملية . اننا نخاف الله سبحانه وتعالى من المسؤولية نخاف أن تقول في يوم من الايام أن والديّ كان بامكانهما ان ينصحاني ويقسوا عليّ في النصيحة حتى اترك هذه الخصلة الذميمة خصلة الكبر والاعجاب بالنفس ولكنهما قصّرا . . . وهذا ما دفعنا الى ان نكتب لك منبهين محذرين فالكبر ما دخل في شيء إلا شانه ، والتواضع ما دخل في شيء إلا زانه . كنت في برمان الاول في دراستك وكنت نشيطاً مجتهداً لا تحتاج الى توجيه واطمأن قلبنا وقتها الى أنك تسير الى الامام بخطا واسعة ولكننا صدمنا بالذهول عندما دخل عليك الغرور وانقابت من طالب علم الى انسان منتقد على الاساتذة الامر الذي لا نريده لك ولا نقبل أبداً أن تتصف به بعد الآن . اننا نعود الآن لنخاطب رقيقاً الذي اعترف بخطئه من خلال رسالته ومن خلال الحديث مع أخيه راتب . نعود الآن لنضرب صفحا عن الماضي كله ونرجو لك أن تستفيد من اخطائك فالعاقل قد يحوّل الخطأ الى نجاح عندما يعرف الاسباب وتتجلى الحقيقة

بفضل موافقه التي يستخدم فيها العقل والفكر ويحكم المنطق السليم . كما نرجو ان يكون النجاح والتوفيق حليفك دائما ولا نسمح لك بالتخاذل ابدا بل عليك ان تنسى الماضي كما نسيناه نحن وأن تعتمد على نفسك لأن أمامك طريقا فيها بعض المشاق وعليك ان تسير في هذه الطريق حتى النهاية لتحصل على الغاية التي نحبها لك وهي الحصول على أعلى الدرجات العلمية التي ستساعدك على بناء مستقبلك الزاهر الذي نتمناه لك ونرنو اليه بكل حواسنا .

ولتعلم انه لا حياه بعد اليوم الا للمتعلم ، والانسان الذي لا يتعلم سيكون عالية على المجتمع وعلى عائلته ، وسيحتاج الى مساعدة الآخرين في الوقت الذي يحتاج الآخرون فيه الى مساعدة المتعلم . ولنا وطيد الامل في أن تقرا تحريرنا هذا بكل اناة وتدبر وبروح رياضية وتعتبر ما جاء فيه نصائح موجّهة اليك من أبوين يتمنيان لك ولاشقائك ولابناء أعمامك وللناس كلهم الخير والحياة الكريمة والمستقبل الزاهر . ونرجو ان نراك ونسمع منك وأنت رفيق اليوم لا رفيق الامس الذي حرر تلك الرسالة التي يجب ان تنسى وتذر على حروفها الرماد . وختاما نقبل وجنتيك ونقول بملء قلوبنا ومشاعرنا وفقك الله وجعلك من السعداء في الدنيا والآخرة ودمت لمن يحبونك ويحرصون على مستقبلك .

أبورايب

ويعلق الوالد أبو موفق على هذه الرسالة فيقول : املنا ان تكون منكبا على الدراسة وحفظها وناجحا في جميع الفحوص التي تتقدم اليها حسب ما وعدت ولا سيما أنك انتقلت من الدار السابقة . . . هذا ومن الضروري بمكان أن تحفظ رسائل عمك كلها لتقرأها كلما وجدت لديك فراغا يمكنك من قراءتها لان هذه الرسائل حوت نصائح لا تقدر بثمن وفي المستقبل ستعرف قيمتها اكثر واكثر لذلك احتفظ بهذه الرسائل وطبق ما جاء فيها من نصائح . نأمل ان تخبرنا عن موعد انتهاء الفحوص . . . الجميع عندهنا بخير يدعون لك بالتوفيق والنجاح والباري سبحانه وتعالى يوفقك ويسدد خطاك على دروب الهدى والخير .

أبو موفق

دمشق في ١٧/٤/١٩٦٣

اميركا

الوحدة العربية

- الثروات العربية واليد العاملة

- نعلم ابناؤنا ليكونوا عوناً للمخلفين من أبناء

امتهم

ولدنا موفق وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

امامنا الآن رسالتك التي تحمل تاريخ ١١/٤/١٩٦٣ وما بها علم .

علمت من رسالتك المنوه عنها اعلاه وصول رسالة راتب واستلامك حوالة بمبلغ / ٥٠٠ / خمسمائة دولار . جدتك والحمد لله بصحة جيدة ولكنها لا تزال طريحة الفراش وتحتاج الى مراجعة الطبيب وهي تدعو لك بالتوفيق والنجاح . وعدتنا بارسال المصدقة المدرسية . . . ما علمنا من رسالتك مواعيد الفحوص التحريرية والشفهية ونرجو الله سبحانه وتعالى أن يجعل التوفيق حليفك في هذه الفحوص كلها وأن نرى وجهك الحبيب عما قريب وانت متمتع بالصحة والعافية ناجح بتفوق في فحوصك كلها . . . وعلى كل حال يجب أن نطلعنا على برنامجك بعد انتهاء الفحوص .

الوالد امضى عشرة ايام في الحمة مع الوالدة والشقيقات وفرقة عاكف وبعد عودتهم امضيت انا خمسة عشر يوما كانت للراحة والاستجمام فقط وكان مؤنسي في هذه المدة المطالعة وتسجيل المذكرات . وارجو الله أن تكون أنت أيضا مستمرا في تسجيل مذكراتك ومشاهداتك عن اميركا ، فكلما وجدت شيئا يستحق التسجيل سجله في مذكرة خاصة ، وهذه المسجلات ستعود اليها في المستقبل وسيستفيد منها ابناؤك فكل انسان يجب أن يكون لديه سجل خاص يدون فيه الاحداث والمشاهد التي تمر به خلال حياته وأظن بل اكاد اجزم أن اغلب الاميركيين الاذكيااء لديهم سجلات عن الاحداث الهامة في حياتهم وحياة مجتمعهم وبلادهم . الامطار كانت جيدة هذا العام في جميع المناطق وآخرها هطل منذ اسبوعين وكان عاما شاملا والحمد لله ، وقد فاض نهر بردى وارتفعت المياه الى علو متر فوق مستوى الشارع ولم تحدث اضرار تذكر ونحن لم يحدث عندنا شيء . . . اذيع أمس البيان الذي صدر في القاهرة ووقعته وفود ثلاث دول عربية هي مصر والعراق وسوريا والمتضمن نصوص الاتفاق الذي تم بين هذه الدول على قيام وحدة عربية اتحادية فيما بينها تشبه تلك الوحدة القائمة

في الولايات المتحدة الاميركية . واعتقد جازما ان لا بد من تحقيق وحدة البلاد العربية كلها ضمن الوطن العربي الواحد وهذا ما كنت اتناه وأتنبأ به وأقول لا بد من قيام الوحدة العربية فلا يجوز ان يبقى وطننا العربي مجزءاً على شكل دويلات ضعيفة يتراوح عدد سكان كل منها بين مليون واحد او بضعة ملايين او اقل من ذلك ولكل دولة مجلس نيابي ورئيس جمهورية او ملك ولها مجلس وزراء يضم مالا يقل عن اثني عشر وزيراً وحدود هذه الدويلات مغلقة في وجوه ابناء الامة العربية فلا يتمكن احدهم بأي عمل يخدم مصلحته ومصصلحة الامة العربية كلها . . . هذا من جهة ومن جهة اخرى فان الحدود المصطنعة بين اجزاء الوطن العربي تحول دون الاستفادة من موارد هذا الوطن الذي حباه الله موقعا ممتازا وخيرات وفيرة . فالبترومل مثلا لا تتعدى فائدته حدود الكويت والسعودية او العراق او بعض امارات الخليج العربي في الوقت الذي يمكن لهذه الثروة النفطية الضخمة ان تؤدي دورا بارزا في بناء الاقتصاد العربي والقوة العربية وعلى نطاق واسع تتحقق فيه سعادة الاقاليم المنتجة وامنها كما تتحقق سعادة سائر الاقاليم العربية وامنها ايضا . وتوضيحا لذلك اقول ان البترول سيحقق نشاطا ضمن البلد الذي ينتج فيه بالدرجة الاولى ، ففي العراق مثلا يمكن الالتفات الى الارض الخصبة الواسعة والسدود الكثيرة التي كلف بناؤها ملايين الدنانير وذلك عندما ينصرف الجهد العربي الى ذلك خبرة ويبدأ عاملة . . . فالوحدة ستلغي الحدود التي عمل المستعمرون اعداء الامة العربية على اقامتها بين اجزاء وطننا وعندها سيتسع الافق امام الفرد العربي وهو مشهور بحب الافق الواسع ، وكان نشاطه الاقتصادي يغطي رقعة واسعة من العالم فكيف لا يغطي هذا النشاط اجزاء الوطن العربي ويأتي بأطيب الثمرات واحسن النتائج التي سيصل نفعها الى كل فرد عربي ؟ ؟ ؟ والآن لا يهمنا في هذه الحياة الا تعليمكم فقط لتكونوا عوناً للمخلصين من ابناء امتكم ولتعلموا معهم على رفع مستوى حياة العرب والله يوفقكم جميعا لما يحبه ويرضاه انه سميع مجيب .

ابوراتب

دمشق في ١٩٦٣/٦/٢

نورمان - أميركا

- السوق العربية المشتركة والوحدة

العربية

- اطروحة موفق

- الرغبة بزواج موفق وسليم

ولدنا موفق وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

وصلتني برفيتك التي تطمئنا فيها عن نجاحك في الفحص التحريري وفي الفحص الشفهي وقد اخبرك عن وصولها اخوك راتب وهناك باجتياز هذه المرحلة ونرجو الله سبحانه أن يجعل التوفيق حليفك دائما أنت واخوتك وابناء اعمامك جميعا . . . وصلتنا كذلك رسالتك المؤرخة في ١٩٦٣/٥/٢٠ والتي اخبرتنا فيها بوضوح عن نجاحك واجتيازك للفحص التحريري والشفهي ، كما ذكرت لنا أنه لم يبق لديك سوى كتابة الاطروحة كما ذكرت أيضا أنك تحاول الآن أن تنال موافقة اللجنة المشرفة على مخطط الاطروحة وافكارها الرئيسية . وقد كتب لك أخوك راتب رسالة باللغة الانكليزية تتعلق بموضوع الاطروحة لا بد أنها وصلتك . هذا ما علمته من راتب كما علمت منه أيضا أنه قبل أن تطلب أنت منه معلومات عن السوق العربية المشتركة كان هو قد سأل الجامعة العربية عن هذه المعلومات للاطلاع عليها ولكنه لم يحصل على ما يشفي الغليل ، فالوجود لدى الجامعة العربية مبعض وغير مرتب .

وقد كان خبراء الجامعة العربية يدرسون مشروعاً مأخوذاً عن مشروع السوق الاوربية المشتركة علما أن هناك فروقا جوهرية بين الدول الاوربية والدول العربية . فانتاج الدول الاوربية واستهلاكها يختلف بطبيعته عن انتاج واستهلاك الدول العربية، وكذلك الامر بالنسبة لمستوى المعيشة في الدول الاوربية ومستوى المعيشة في الدول العربية ، وهذا كله يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار . . . فاذا كان لا بد من قيام السوق العربية المشتركة وهذا ما تلميه المصلحة القومية بالنسبة للامة العربية فلا بد من أن تكون الدراسة لاسس قيام هذه السوق منبثقة من واقع البلدان العربية حيث ينظر الى مستوى معيشة كل قطر ومستوى تقدم الصناعة فيه ومستوى انتاجه . . . وهكذا فهناك عوامل كثيرة تحتاج الى دراسة عميقة . وحسب ما أرى أن قيام السوق يجب أن ينفذ على مراحل لا دفعة واحدة . والاحسن بالنسبة لمصلحة الاقتصاد العربي

أن نبدأ بالتنسيق الصناعي حيث يجري احصاء عام لكافة الصناعات القائمة حالياً في أقطار الوطن العربي ثم تجري دراسة للصناعات الضرورية التي يجب أن تقام في المستقبل وتوزع هذه الصناعات على أقطار الوطن العربي حسب توفر اليد العاملة والمواد الأولية اللازمة لتلك الصناعات والظروف الأخرى التي تظهرها الدراسة الواعية المتمهلة . وهذا ما يسمى بالتكافؤ الصناعي وهذه الدراسات والأبحاث تحتاج إلى صدق وإخلاص من الدول والحكام في الوطن ، فنرجو الله سبحانه وتعالى أن يحقق ذلك في أقرب وقت .

وحسب اعتقادنا يتحقق ذلك كله إذا تحققت الوحدة العربية الكاملة ، تلك الوحدة التي لم يظهر حتى الآن أن العرب جادون في تحقيقها رغم إعلان ميثاق القاهرة الذي ينص على الأسس التي ستقام عليها الوحدة . وقد ظهر خلاف في وجهات النظر بين الحكام والقادة السياسيين ولا نعلم كيف ستكون النتيجة . فالنجرنة في الوطن العربي لها أسباب ليست بذات بال ولكنها مع الأسف تعرقل السير وتضع العثرات في طريق الوحدة ، ولعل من أبرز هذه الأسباب أيادي الاستعمار الخفية التي تحرص دائماً على ذر بذور الشقاق والفتنة بين الأهل ولاشقاء أضف إلى ذلك تمسك بعض الأنظمة في الوطن العربي بكرسي الحكم وعدم تطلعها إلى مستقبل أفضل لإنشاء هذه الأمة التي أصبحت تتوق إلى لم³ شعنها وتوحيد أشلاء وطنها المبعثرة . . .

ولعل السبب الرئيسي حسب ما نرى هو تخلف الوعي وتأخر العلم وخصوصاً العلم الذي يبني الأخلاق وتنضج فيه شخصية الفرد فيعمل ويجد في العمل من أجل تحقيق أهدافه وأهداف أمته تلك الأهداف التي فيها صلاحه وصلاح أمته .

المواسم تبدو حسنة وخاصة الشتوية كالحبوب ومشتقاتها ، أما القطن وقد أصبح المحصول الرئيسي بالنسبة للتصدير فإلى الآن لا تدل الدلائل على أنه سيكون جيداً كما كان في العام الماضي حيث وصل الإنتاج إلى ما يقرب من مائة وخمسة وخمسين ألف طن من القطن المحلوج ، وهذا ما يعطي عملة أجنبية تقدر قيمتها بأربعمائة مليون ليرة سورية ، بينما الإنتاج الشتوي من الحبوب مهما زاد وزادت الكميات المصدرة منه فإنه لن يعطي أكثر مما قيمته مائتا مليون ليرة سورية . فنرجو الله سبحانه وتعالى أن يتم بالخير أنه سميع مجيب .

لا بد انك عازم على الاتفاق مع الاساتذة المشرفين على مخطط الاطروحة ونقاطها الرئيسية قبل ان تحضر الى سورية وهذا هو الافضل ونريد منك ان تعلمنا عن موعد سفرك حتى نحصل لك على بطاقة من مكاتب السفر الموجودة عندنا لانه من الصعب ان نحول لك قيمة البطاقة . . . كنا طلبنا من سليم ان يحضر معك في هذه الفرصة وذكرنا له اننا نريد ان نروجه ايضا معك ونفرح بكما وبعدها تاخذان انتما الاثنان زوجتيكما وتساfran وتكون انت هيات كتابة الاطروحة وتكون زوجتك معك خلال تقديم الاطروحة ، ولربما تستغل هي الوقت فتدرس اللغة الانكليزية وسليم تكون معه زوجته ايضا تؤنسه وتهيء له سبل الدراسة ولربما تدرس هي ايضا . . . نحن كتبنا الى سليم حول هذا الموضوع ولربما يكون جوابه في الطريق الينا . . . اتصل بسليم واتفق معه على موعد واحد واخبرنا . . . وختاما ندعو لك بالتوفيق والنجاح والتقدم . . .

أبو راتب

- رضا الوالدين
- المحبة والتسامح
- بين الاخوة وابناء العم

دمشق في ٢٧/١٠/١٩٦٢

برمانا

ولدنا محمد السلاح وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

استلمت رسالتك المؤرخة في ٢٠/١٠/١٩٦٢ وعلمت كل ما جاء فيها ، وبلغت سلامك لعموم افراد العائلة وخصوصا الجدة المحترمة التي نزلت أمس من الزبداني وهي بخير وعافية والحمد لله ، ونسأل الله سبحانه ان يعيننا على كسب رضاها كما اعاننا على كسب رضا والدنا رحمه الله لان رضا الوالدين اساس النجاح في هذه الحياة ، فمن حصل على رضا والديه عاش عيشة هنيئة سعيدة .

نحمد الله تعالى على الحب الذي تتبادلونه فيما بينكم وهذا ما نريده منكم واوصيناكم به مرارا اذ اننا نريد ان تكونوا متحابين متعاطفين مخلصين في المحبة متسامحين فيما بينكم جميعا اخوة وابناء عم ، يعامل كل واحد منكم الآخر باحترام، وبذلك تكونون محبوبين من قبل الناس كلهم محترمين عندهم لانكم ستكونون اعضاء

منتجين نافعين لأبناء مجتمعكم . فالعضو الفاسد الأشل في جسم الانسان يقطع ويستغنى عنه ، وكذلك العضو الفاند ان وجد بين أعضاء المجتمع هنجر وقوطع ولم يحسب له أي حساب . ونحمد الله سبحانه وتعالى على أنك صرت تقدر قيمة الوقت وتقدر قيمة المال الذي ينفق في سبيل تعليمكم وتقدر قيمة العلم والاجتهاد ، وغاية ما نتمناه الآن بالنسبة لك أن تنتبه عندما يلقي الاستاذ الدرس حتى يرسخ ما يقوله في ذهنك ، ولا يضيع منه شيء ، وأن تحافظ على أوقاتك فلا تترك فرصة تفلت منك بلا دراسة واجتهاد . كما نتمنى أن تحصل على أعلى العلامات وتكون دائما من أوائل الناجحين لا سيما أنك أخبرتنا إن صفك قد قسم الى قسمين وضعت أنت في أفضلهما . . . نقبلك عن بعد أنت وغسان ونبيل وفائز سائلين المولى سبحانه أن يوفقكم ودمتم .

ابوراتب

- ضياع الوقت

دمشق في ١٩٦٢/٢/٢٥

- خسارة بالنسبة للطالب واهله

برمانا

ولدنا غسان الشلاح وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

استلمت رسالتيك المؤرختين في ٣/١٠ و ٣/٣ وعلمت كل ما جاء فيهما .
العلامات التي حصلت عليها في هذا الفصل جيدة جدا ، ما عدا علامة اللغة الفرنسية فهي قليلة ويجب عليك أن تتجهد وتدرس هذه المادة دراسة جيدة لتحصل على معدل أكثر من ٥٠٪ على الأقل . وغاية ما نرجوه أن تحافظ على الوقت فلا تضيع دقيقة واحدة من وقتك الا على الدراسة والاجتهاد لان الدقيقة التي تذهب سدى بلا فائدة يجنيها المرء منها تذهب من عمر الانسان وتكون خسارة فادحة بالنسبة له لانه لم يستفد منها فكيف اذا كانت الخسارة عاما كاملا ؟ وهذه الخسارة بالاضافة الى ما بينت تكون خسارة على الابوين اللذين دفعا نفقات هذه السنة وهي لا تقل عن أربعة آلاف ليرة سورية ، وهذا المبلغ هو راتب سنوي لموظف يحمل اجازة في الحقوق ويميل اسرة لا يقل عدد أفرادها عن أربعة أشخاص ويدفع منها اجرة سكن . نقول هذا وكلنا ثقة بأنك أصبحت من الآن فصاعدا تقدر هذه الامور ولا تلتفت الا الى الدراسة والمطالعة

والاجتهاد المستمر ليلاً نهاراً وتفتح أذنيك جيداً عند القاء الدروس من قبل الاساتذة
الامر الذي يسهل عليك الحفظ والاستيعاب .

وختاماً نرجو لكم التوفيق جميعاً صغيركم وكبيركم كما نرجو لكم السعادة التامة
والله يوفقكم جميعاً .

ابو راتب

- بحث على الوفاق

دمشق في ١٩٦٢/١/٢

- بحث على المحبة والاجتهاد

برمانا

ولدنا غسان السلاح وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين
استلمت رسالتك التي تحمل رقم / ١٣ / وعلمت كل ما جاء فيها .

قلت في رسالتك أن علامتك كانت ممتازة ونحن نقول أنها ممتازة ولكننا نطمح دائماً
الى مزيد من الاجتهاد والتقدم والتفوق ، كما نطمح دائماً الى أن يكون كل واحد منكم
الاول في صفه . ونريد منكم جميعاً أن تكونوا دائماً على وفاق تمام فيما بينكم حتى يظن
كل من يحتك بكم انكم اخوة لا أبناء عم . نريد أن يقول الناس أن فائز ومحمد وغسان
ونبيل وطازق اخوة ، كما نريد أن تكون سيرتكم عالية وأن تتمتعوا بسمعة طيبة بين
رفقائكم في المدرسة وبين اساتذتكم وبين جميع الناس .

وختاماً ندعو الله سبحانه وتعالى أن تكونوا دائماً موفقين في دراستكم ومن أوائل
الطلاب في صفوفكم لكي تكون لكم في المستقبل مكانة عالية بين أفراد المجتمع الذي
ستعيشون فيه والله يحفظكم .

ابو راتب

- تحذير من الوقوع في شباك البنات

دمشق في ١٩٦٥/١١/١٧

اريزونا - اميركا

ولدنا رفيق السلاح وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

امامي الآن رسالتك المؤرختان في ١٩٦٥/٩/١٨ و ١٩٦٥/١٠/٢٢
قرات الرسالتين بامعان وتوقفت عند مشاهداتك التي أعجبت بها منذ امتطيت

متن الطائرة حتى دخلت الجامعة . وكنت اود أن تسال عن السبب الذي جعل اهل تلك البلاد وبمثل هذا الرقي الذي شاهدته وبمثل هذه القوة التي يسيطرون بها على العالم ، السبب الذي جعلهم يصلون الى القمر ويتقنون الصناعات والاختراعات التي لا تعد ولا تحصى من الكهرباء حتى الذرة ، هذه الاختراعات التي كانت سببا في وجود الطيران واللاسلكي والهاتف والتلفزيون والسيارة ! وانا اجيبك على هذا السؤال الذي طرحته فأقول ان العلم هو ذلك السبب الذي فتح لهم آفاق الرقي والتقدم ودفعمهم الى أن يسيروا في بناء الحضارة اشواطاً بعيدة . لقد انكب هؤلاء القوم على العلم وقدروا العلم واحبوا المعلمين الذين أخذوا بأيديهم الى أن ينهلوا من معين العلم الذي لا ينضب ، وأزيدك ايضاحا وشرحا لهذه الناحية فأقول أن أساس التقدم كذلك هو الاخلاق الفاضلة لان الانسان المتحلي بالاخلاق الفاضلة يقدر العلم وأهله ويتابع طريق العلم وينكب على العلم حتى يفرف من بحره ويكون له خير معين على خوض غمار الحياة والتغلب على صعوباتها أما الانسان الذي لا يتحلى بالاخلاق الفاضلة فانه لن يقدر العلم بل سيكون بينه وبين العلم حاجز لا يستطيع أن يتخطاه . نحن زرنا اميركا وأوربا وكنا نعرف كل شيء عن تلك البلاد ونحمل في نفوسنا الاسى والحسرة على خسران العلم الذي اجبرنا على أن نسير في طريق أبعاد ، وكنا نقول لانفسنا عندما تقع انظارنا على اختراعات أوربا وأميركا أن تلك الاختراعات لم تولد من العدم ولم توجد صدفة بل وجدت بالعلم والمطالعة والدأب والتفكير العلمي الصحيح . وهذا ما جعلنا نبعث براتب وموفق منذ واحد وعشرين عاما الى برمانا ومنها الى انكلترا وأميركا ثم نرسلكم الواحد بعد الواحد ونتحمل ما نتحملة من المشاق والمتاعب لتأمين نفقات التعليم التي لم يتحمل مثلها أي شخص في سوريا ان الوقت لا يسنح لي بأن أوضح لك الامور توضيحا كافيا اذ تأخرت عن الكتابة اليك بسبب غيابي عن دمشق فترة من الزمن حضرت خلالها مؤتمر اتحاد الغرف التجارية العربية الذي عقد في الجزائر وعرجت على باريس وانكلترا مع عمك رشاد حيث أنهينا خلافا حصل بينه وبين شركة دافيد براون ، ثم عدنا الى دمشق لنجد أعمالنا متراكمة وتسييرها وحلها يستغرق معظم وقتنا الآن . والذي أنتظره منك أن تعرفني في رسائلك عن العمل فهل وجدت عملا تحصل منه مالا يساعدك على اتمام نفقة الدراسة طيلة المدة المتبقية ؟ أقول ذلك وأذكرك أنك اطلعت على أوضاعنا المادية قبل سفرك . هذا من جهة ومن جهة

ثانية نقول لك اننا نريد ان نعلم اولادنا جميعا ولولا ذلك لما كنا ارهقنا انفسنا بالعمل طيلة خمس واربعين سنة . وانا الان بحاجة الى الراحة وخاصة اننا اصبحنا في سن لا تسمح لنا بتحمل المشاق والمتاعب . اننا بحاجة الى الراحة والراحة غير متوفرة لان العقبة التي تحول بيننا وبين الراحة لا تزال موجودة وهي اتمام تعليمكم جميعا لذلك كله لا نريد ان اعيد على اسماعك حديثنا الذي سمعته قبل سفرك واطلب منك ان تتذكره بجميع جوانبه ودقائقه .

ولدنا الحبيب : لا تخالط الطلاب العرب الذين لا يهتمون بالدراسة ويضيعون اوقاتهم بما لا يليق بطالب عربي ذهب الى بلاد الغرب ليتخصص بالعلوم الحديثة ، ويرجع الى وطنه كي يقدم خدمات لمواطنيه تنفعهم وتعيد لامتنا امجادها الغابرة يوم كانت لنا كلمة مسموعة وراية مرفوعة في جميع انحاء الدنيا المتمدنة . . . لا تخالط اذن من تنكبوا عن الطريق واهملوا واجبه و خانوا امتهم عندما ركنوا الى الكسل واضاعة الوقت فيما لا يعود عليهم بالنفع . هذا ولكن لا مانع لدينا من مخالطة الجيدين من الطلاب العرب الذين يدركون خطورة المهمة التي جاؤوا من اجلها الى اميركا اولئك الطلاب الذين يدرسون ولا يضيعون اوقاتهم ، ولا مانع ايضا من مخالطة الطلاب الاميركيين الذين يدرسون ولا يضيعون اوقاتهم . ولكننا نحذرك من الوقوع في شباك البنات هناك لانهن حبايل الشيطان . اسلك مسلك راتب وموفق وسليم الذين كانوا حذرين في مخالطتهم للاميركيين وغير الاميركيين ، ونذكرك هنا ايضا بمصير الطلاب الذين خالفوا مسلك اخوتك وخالطوا بلا تحفظ ووقعوا في شباك البنات فقد ندموا كثيرا وعضوا اصابهم ندامة وتعرفهم فلا حاجة لذكر الاسماء . وبالختام نقبلك عن بعد والجميع عندنا بخير والله يوفقك .

ابوراتب

- تنوع الاختصاصات

دمشق في ١٨/١١/١٩٦٥

- احترام المعلمين والثقة بهم

بيروت - الجامعة الاميركية

- الاخلاق الفاضلة قبل العلم

الى ولدنا طارق الشلاح وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين استلمت رسالتك المؤرخة في ٢٣/١٠/١٩٦٥ وكان بودي الا اجيب عليها لانني

اجتمعت بك مرتين وتحدثنا في كثير من الامور التي تهتمك ولكن حديثك الذي ورد في رسالتك حول الاختصاص بادارة الاعمال وذكرت المبررات التي جعلتك تتجه الى هذا الاختصاص بادارة الاعمال تلك المبررات عندما بلغك ان والدك قد آخذك على ذلك . . . هذا الامر الذي جعلنا نرد على رسالتك موضحين لك بعض الحقائق . ان تغيير الاختصاص سببه انت لذلك فلنا جميعا الحق في ان نؤاخذك على ذلك ، فلقد تفاءلنا خيرا عندما كنت في برمانا وحصلت على علامات ممتازة تخولك لدراسة الهندسة وقد دخلت الجامعة على هذا الاساس ولكنك ويا للأسف لم تأخذ عبرة مما حصل لاختيك رفيق عندما سلك مسلكا قاسيا مع الاساتذة وعاندهم أشد عناد الامر الذي جعلهم لا يساعدونه بالعلامات فاضطر الى دخول فرع الاقتصاد . . . لقد سلكت المسلك نفسه فحصل ما حصل في الوقت الذي كان يجب عليك ان تسير معلميك . فالطالب يجب عليه ان يقرر ان يخضع لمعلميه وينقاد لتوجيهاتهم كما يجب عليه ان يثق بهم سواء كان في المرحلة الابتدائية او المرحلة الاعدادية او المرحلة الثانوية او في مرحلة التعليم الجامعي . . . واذا لم يتصف الطالب بهذه الصفة فالاولى له الا يدخل في مجال التعليم وليجرب ان يدرس وحده ويحصل على الشهادات . وهذا امر مستحيل فلا يمكن ان يتعلم الانسان بدون معلم وينطبق ذلك على الحياة العملية أيضا لان الحياة العملية تحتاج الى تمرين وخبرة فمن اراد ان يعمل في مجال التجارة مثلا وجب عليه ان يشتغل صناعا (اجيرا) عند تاجر في بادئ الامر او ان يتمرن على الامور التجارية عن طريق والده وإلا كان مصيره الفشل في اغلب الاحيان . وقل الامر نفسه بالنسبة لبقية الحرف والاعمال . . . وفي مجال العلم والحياة العملية يحتاج الانسان مهما درس ومهما حصل على شهادات حتى لو حصل على شهادة الدكتوراه في احد الاختصاصات وخرج الى الحياة العملية ليمارس هذا الاختصاص انه يكون بحاجة الى تمرين كاف يطبق فيه نضائح من سبقوه في خوض غمار الحياة في هذا الاختصاص . ومهما كان مستوى الطالب فانه يجب عليه ان يعترف لاستاذة بالسبق والفضل ، فيكفي الاستاذ شرفا انه تمرن على تدريس العلوم بعد ان وعاهها وجدّ واجتهد حتى حصل عليها فهو والحالة هذه رائد في مجال الاختصاص الذي يدرسه . والرائد يجب ان يطاع وان يوثق بكلامه . هذه وجهة نظرنا . وما كنا نريد ان نتحدث عن مشكلة تغيير الاختصاص الذي تدرسه لولا انك تعرضت لها في رسالتك فما يهمنا نحن هو ان تتعلم اي علم

وان تحصل على أي اختصاص كان وتحوز أعلى الشهادات التي يمكن أن يحوزها انسان . فالزمان كفيل بأن القادم ربما يرتفع مستواه العلمي الى حد هو أعلى بكثير من مستوى اولئك الذين يحملون شهادة الدكتوراه بعد ان تقدمت العلوم وتعددت الاختراعات في مجالات الكهرباء والسيارات والطائرات والتلفزيون ورحلات الفضاء والدوران حول الارض بسرعة هائلة لا يتصورها العقل والوصول الى القمر . ولقد كان هدفنا من توجيهك نحو الهندسة هو ان هذا الاختصاص لا يزال المجال مفتوحا امام من يتخرجون منه بشهادات عالية . وقل الامر نفسه بالنسبة للطب الاختصاصي ، فقد علمنا راتب التجارة والاقتصاد وادارة الاعمال لاننا كنا بحاجة اليه وكنا نأمل ان يختص موفق في مجال الزراعة الامر الذي لم يتحقق ثم وجهنا المرحوم فاروق الى الهندسة وسليم الى الزراعة وقررنا ان يتخصص الباقيون في مجالات الهندسة والطب وغيرهما من الاختصاصات ، وهذا البرنامج وضعناه لكم عندما كانت التجارة حرة تعود على اصحابها بالربح الوفير الامر الذي لم يعد متوفرا الآن . فالرجل الذي يحصل على شهادة **B. A.** تجارة لا يتجاوز راتبه الاربعمائة ليرة سورية ولا يوجد امامه أي عمل حر يمكن ان يمارس اختصاصه ونشاطه من خلاله . . . ان غايتنا من تنويع اختصاصاتكم ان يكون لكم النشاط في جميع المجالات والفعاليات والاختصاصات ، فعائلة الشلاح يجب ان يكون فيها المهندس والطبيب والتاجر والمزارع و . . . و . . . ليكون لكم مركز ممتاز بين ابناء المجتمع وفي مختلف جوانب الحياة وفعاليتها الاقتصادية والعلمية اما ان تحشروا انفسكم جميعا في اختصاص واحد وفعالية اقتصادية واحدة فهذا امر يحول دون احتلالكم مراكز ممتازة كما يحول دون تمتكم بمكانة رفيعة بين ابناء مجتمعكم . وشلاح اخوان وهم اربعة اخوان بدر الدين وشفيق وأنور ورشاد يحتلون اكثر المراكز الحساسة ، واحد في غرفة التجارة وآخر في الصناعة وثالث في الزراعة ولهم هذه السمعة الحسنة الطويلة العريضة والسبب في ذلك يعود الى توزيعهم في الاعمال والاختصاصات ، وانتم تعدون عائلة كبيرة وأولاد عم من اربعة آباء بينما نحن اربعة نعود الى أب واحد . . . وغايتنا من كل ما نورده من آراء وما نسديه من نصائح ان تنوعوا اختصاصاتكم لتدخلوا مجالات مختلفة من مجالات الحياة ، فاذا حصل اجتماع للمحاميين مثلا كان لكم من يمثلكم في هذا الاجتماع ، واذا عقد اجتماع للتجار كان لكم من يمثلكم في هذا الاجتماع ايضا ، وقل الامر نفسه بالنسبة

لاجتماعات الاطباء والمهندسين والصناعيين ومختلف أرباب الفعالية العلمية والاقتصادية في وطننا . . . ولكن بعد أن جاء في رسالتك عبارة التوفيق في الله نقول : البارى سبحانه وتعالى يوفئك في أي عمل تقوم به وتقدم على التمرس به ونسأله سبحانه أن يجعل أمورك سهلة ميسرة ويجعلك من سعداء الدنيا والآخرة ، ونحن من جهتنا نقبل عذرك من عدم تمكنك من الدخول في الفرع الذي كنا نحبه لك ونطلب منك أن تحافظ على الوقت والآتدع دقيقة واحدة تمر دون أن تستغلها للدراسة واكتساب المعارف والعلوم لان كل دقيقة تذهب منك الآن دون أن تستغل في المطالعة والدرس ستخسر مقابلها اوعاما من عمرك أنت بحاجة إليها لبناء نفسك واعلاء شأنها في المستقبل .

ابتعد عن ارتياد دور السينما ، ابتعد عن التدخين لانه مضر بصحتك ويحملك نفقة اضافية أنت في غنى عنها . كان بودي أن أزورك في غرفتك واتعرف على رفقاتك وعلى سلوكهم حتى اذا لاحظت منهم تصرفا يضر مصلحتك نهتلك اليه الآن . هناك مسائل قد لا تقيم أنت لها وزنا وهي هامة جدا وتترك أثرها على سلوك الانسار واجتهاده . وليكن معلوما لديك أننا نحيط علما بكل ما يجري لكم جميعا ونحن نحرص على ذلك لنوجه نصائحا لكم جميعا في الوقت المناسب وما ذلك الا لحرصنا عليكم وبهذه المناسبة أوجه لك النصيحة التالية : ان أهم ما يجب أن يلاحظه الانسان الا يدخل الفرور والادعاء الى نفسه بل يجب عليه ان يكون متواضعا ومتحليا بالاخلاق الفاضلة . . . والعالم الذي لا يتحلى بالاخلاق الحميدة والسجايا الطيبة قد يكون ضرره أكبر بكثير من ضرر الجاهل المتحلي بالاخلاق الحميدة . وختاما نقبلك عن بعد وندعو لك بالتوفيق والنجاح .

ابوراتب

ويعلق الوالد أبو موفق على هذه الرسالة فيقول : قبلات لوجنتيك الحلوتين سررنا كثيرا لنجاحك بموضوعين علامة A وعلامة B فالبارى سبحانه يوفئك لما فيه الخير والسداد . رسائل عمك أقرأها مرات عديدة لان في هذه الرسائل فائدة لكم جميعا في الحاضر والمستقبل ، وأملنا أن تكون محافظا على العهد الذي قطعتة على نفسك قبل سفرك بخصوص المثابرة على الدراسة بجهد ونشاط وترك التدخين وفكك الله وسدد خطاك على دروب الهدى والخير .

ابو موفق

دمشق في ١٩٦٦/٤/٢٠

أميركا

- الدراسة - العمل (عظماء عملوا)

- الزواج والدراسة

ولدنا رفيق السلاح وفقه الله أمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين امامي الآن رسائلك التي تحمل تواريخ الثامن والعشرين من شهر شباط الماضي والثالث والعشرين من شهر آذار الماضي أيضاً ورسالة وصلتنا بتاريخ السادس عشر من نيسان الحالي وأخذت علما بكل ما جاء في هذه الرسائل . نلومك أولاً على عدم وجود تاريخ على رسالتك الأخيرة اذ من الاصول المتعارف عليها الا يحزر الانسان أي مستند أو أية رسالة أو أية ورقة بدون تاريخ . فنأمل ان يكون اهمال التاريخ قد وقع سهواً وواجبنا ان ننبهك الى ذلك حتى لا يتكرر هذا العمل مرة أخرى .

تقول عن الفحوص انها أصبحت قريبة فنرجو الله سبحانه ان تكون دائماً موففاً فيها متفوقاً على أقرانك كلهم ذاكراً نصائحنا لك بأن تعامل الاساتذة باحترام والاعتراف بالجميل ، سدد الله خطاك لما يحبه ويرضاه من الامور التي فيها صلاحك وسعادتك انه سميع مجيب .

ذكرت لنا أشياء عن توسان وعن الحياة العامة في هذه المدينة الاميركية وقلت انه لا توجد أعمال فيها فالحق مع الشركات وأصحاب المحلات التجارية الذين يرغبون بعمال دائمين كي يستفيدوا على وجه أفضل بعد مضي فترة طويلة من التدريب واكتساب الخبرة في العمل ، ولكن ذلك يجب الا يمنعك عن عمل أي عمل حتى ولو كان عملاً يدوياً ولا تستصعب شيئاً ، ولك في الرئيس جونسون خير عبرة ومثل . فقد ورد في ترجمته انه عمل خلال فترة طويلة في رصف الحجارة في الطرقات وتوزيع البحص بالكريك . لقد عمل جونسون في تعبيد الطرق وتزفيتها وهذه الاعمال ما عابته بل يفترح هو بها وقد ذكرها في ترجمة حياته ويقرؤها ملايين الاشخاص . ومثال آخر اضربه لك عن الغني الارمني جورج مارديكيان فقد دعانا هذا الرجل عندما كنا في سان فرانسيسكو الى تناول طعام الغذاء وبينما نحن جلوس على مائدته والرجل في اعلى مراتب غناه التفت الى باب المطبخ وقال بصوت جهوري من هذا الباب ذاته كنت ادخل حاملاً الصحون المتسخة التي جمعتها من الموائد لتنظيفها في المطبخ ، ولولا ذلك العمل لما وصلت الى ما وصلت اليه الآن . هذا مثل آخر ذكرناه لك ولتذكر أيضاً ان الشبان

السوريين الذين درسوا في أوروبا وأميركا وعادوا الى الوطن وهم يحتلون الآن أعلى المناصب ، لتذكر ان أهل هؤلاء الشبان لم تكن لديهم القدرة على دفع نفقات تعليمهم ولكنهم بجدهم ونشاطهم وعملهم خلال فترة الدراسة تعلموا وانفقوا خلال فترة الدراسة على انفسهم وحصلوا على أعلى الدرجات والشهادات العلمية وعادوا الى رحاب الوطن موفوعي الرأس ليستلموا أعلى المراكز ، اما نحن فقد انفقنا على تعليمكم أموالا كثيرة لا تقدر . فوصيتنا لكم جميعا ان تحفظوا رسائلنا لتقرؤوها في كبركم كل عام مرة او أكثر وتفهموا معناها وتدرکوا مدى حرصنا عليكم وحرصنا على أن تتعلموا وتحصلوا على أعلى الشهادات العلمية العالية وتحتلوا في مجتمعكم مراكز يشار اليها بالبنان رفعة وعزة ومكانة ، وعندها تذكرونا بخير وتقرؤون لنا الفاتحة بعد ادراك معانيها والاحاطة بما ترمي اليه هذه الرسائل . فنفدوا هذه الوصية واحفظوا رسائلنا في ملف خاص . الوالد والوالدة والشقيقة وصلوا أمس الاول من الديار المقدسة بسلامة ورعاية الله بعد أن أدوا فريضة الحج وزاروا مقام الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وكانوا مسرورين جدا حيث توفرت لهم سبل الراحة في جميع تنقلاتهم ، وهم الآن بخير وصحة جيدة والحمد لله يدعون لك ولاخوتك وابناء اعمامك بالتوفيق والسعادة.

تذكر في رسالتك التي تحمل تاريخ ١٩٦٦/٢/٢٨ أنك وضعت خطة لتحصل على درجة الماجستير في شباط القادم وتذكر في رسالتك التي لا تحمل تاريخا أنك صممت على العودة في الصيف لاجل أن تتزوج بعد أن تحصل على شهادة الماجستير ولم نعلم أي صيف هذا ؟؟ هل هو بعد شهر شباط الذي ضربته موعدا للحصول على شهادة الماجستير اي صيف عام ١٩٦٧ ، أم هو الصيف الذي سيظلنا بعد شهرين ؟

هذه النقطة لم ندركها ادراكا كافيا لذلك وضع لنا موعد حصولك على شهادة الماجستير وعندها سنبحث الموضوع من جميع نواحيه . وكن على ثقة باننا لن نقدم الا على الاعمال التي تسرك وترضيك ، وكن على ثقة ايضا باننا بدلنا ولا زلنا نبذل الجهود ، وقد أفينا حياتنا في سبيل تعليمكم وفي سبيل سعادتكم وسنكون اوفياء للعهد الذي قطعناه على انفسنا الى ان يأخذ صاحب الامانة امانته . وختاما نقبل وجنتيك عن بعد ونرجو الله سبحانه وتعالى ان يوفقك لترجع الينا بخير وسلامة تحمل أعلى الشهادات العلمية وتحلى بأحسن الاخلاق واكملها لترفع رأسنا عاليا ولتحتل المراكز اللاتفة بين أهلك وبين افراد مجتمعك والسلام .

ابو راتب

بـسـرـوت

- حسن معاملة الناس -

ولدنا رفيق السلاح وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين
لقد تركناك في بيروت ولم تسمح لنا الظروف بأن نبقى مدة أطول من تلك المدة
التي قضيناها قريبين منك ونأمل أن نراك دائما بخير متمتعاً بالصحة والعافية .
نرجو الله سبحانه وتعالى أن يكون سفرك الى السعودية قد أصبح سهلاً ميسراً لأننا
مسرورون جداً من سفرك لأنك ستسلك عملاً تتحمل فيه مسؤولية وتقوم فيه
بالتدريب كما أنك ستختلط عن طريق هذا العمل بأكثر طبقات المجتمع وبذلك تتمكن
من الانطلاق في عملك والانطلاق فيه فائدة لكل مبتدئ . ولا سيما واننا نأمل أن تقوم
بأعمال كبيرة في المستقبل ولا يتم ذلك إلا اذا أحسنت معاملة الأشخاص الذين تتعاون
معهم وتربطك بهم طبيعة العمل الذي سيسند اليك ، وأحسنت كذلك في معاملة
الأشخاص الذين تقابلهم وتتعرف اليهم . فكلما كان الإنسان اجتماعياً يألف ويؤلف ،
حصل على مرتبة عالية وأحبه الناس على اختلاف مراتبهم وطبقاتهم وعندها ينتشر
اسمه وتحلق سمعته الطيبة في الآفاق .

وكل عمل لا بد في بدايته من صعوبات ، ولكن صاحب هذا العمل يتغلب بحسن
معاملته على جميع الصعوبات ويحصل على ما يريد . اننا مسرورون جداً من انطلاقك
للعمل وكان بودنا أن تبقى عندنا لو كانت اوضاعنا التجارية والزراعية تساعد على
ذلك فنحن نرغب أن تبقوا جميعاً معنا وفي أعمالنا ، ولكن ما العمل والمجال الآن
لا يتسع حيث ضاقت تلك الاعمال ولم يبق منها إلا مراقبة المشاريع الزراعية وبعض
الاعمال الثانوية المحدودة جداً . . . ونحب أن نقول لك ان والدك يشاطرنا هذا الرأي
كما يشاركننا فيه شقيقك الدكتور موفق وعموم أفراد العائلة .

وختاماً : جميعنا بخير ونتمنى لك التوفيق والنجاح وندعو لك في الليل والنهار
ونسأل المولى سبحانه وتعالى ان يسدد خطاك في أعمالك كلها . . . وأملنا ان تكتب لنا
كل أسبوع رسالة تشرح فيها لنا كل شيء عن سير أعمالك ، والله يحفظك
بحفظه ورعايته آمين .

ابو راتب

دمشق في ١٩٦٧/٩/٢٠

- في العمل

جدة

- مبارك النجاح ومنتظر موافقتك على الزواج

ولدنا رفيق الشلاح وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

وصلتنا رسالتك المؤرخة في ١٩٦٧/٩/١٥ وسررنا جدا من حديثك عن الاعمال

التي قمت بها في مجال التأمين ونجحت في أدائها وتصريفها على أكمل وجه وهذه هي الفرصة الذهبية لكسب الخبرة وهذا هو العلم الحقيقي المستمد من الواقع لانه يتيح الفرصة للانسان لأن يطلع على جميع نواحي الاعمال التجارية . نقول لك سررنا جدا من رسالتك واطمان قلبنا وامتلا بالفرح والسرور لنجاحك في عملك . وعلمنا من رسالتك أنك ترغب في تأخير الزواج حاليا فعلى رغبتك ونحن يهمننا رضاك وأننا ننتظر موافقتك على هذا الامر الذي ترغب فيه بالنسبة لك ويهمننا جدا اتمامه على الوجه الذي تحبه واننا على استعداد لتقوم بكل ما يجب علينا تحقيقه وهو زواجك ممن تحب والله يوفقك .

أبو راتب

ويعلق الوالد أبو موفق على هذه الرسالة فيقول :

قبلاتنا لوجنتيك الحلوتين . سررنا جدا من رسالتك الاخيرة وفقك الله وأخذبيدك

لتحوز أعلى المراتب والوظائف ولتتخطى بأحسن الاخلاق وحسن المعاملة مع كافة الناس . بخصوص الزواج جميع أفراد العائلة يريدون أن يفرحوا بزواجك ، فالباري سبحانه يختار لك ما فيه الخير ويوفقك ولا يعرضك لأن تتعب في حياتك أنت واخوتك وأبناء عمك جميعا . . . بلغ سلامنا وتحياتنا الى ابن عمك نافع والسلام .

أبو موفق

دمشق في ٢١/٥/١٩٦٧

- في العمل

جدة

- لذة العمل - التوفير وجمع المال من العرق

ومن قواعد الاقتصاد أن يوفر المرء

ولدنا رفيق السلاح وفتنه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

استلمنا رسالتك رقم ٢/٥ وعلمنا كل ما جاء فيها .

ذكرت أن رسالتي وصلت وأنت سررت من الارشادات والتوجيهات التي وردت فيها وهذا ما يسرني ويثلج صدري . ونحن لا نذكرك إلا بما يوافقك ونسر عندما نسمع من رسالتك عبارات الشكر والامتنان على ما تقدمه لك من نصائح .

قلت أنك ستبقى في جدة فلا مانع لدينا يحول دون بقائك ونحن موافقون على ذلك مفوضين الأمر لله سبحانه وتعالى والذي يختاره سبحانه هو الموافق وفيه الخير .

ونريد الآن أن نقدم لك نصيحة جديدة في هذا الظرف الذي أصبحت فيه تتحمل مسؤولية الدار والمصروف وتشعر بلذة العمل وقبض الراتب . ان نصيحتنا التي نود أن نقدمها هي وجوب التوفير فوفر ما أمكنك توفيره من الراتب الذي تتقاضاه فالتوفير فيه لذة ما بعدها لذة ولا سيما بعد أن يمضي وقت ويجد الانسان مبلغا كبيرا من المال بين يديه نتيجة التوفير . . . فمن قواعد الاقتصاد والعلوم الاقتصادية والمالية أن يسلك كل فرد هذا المسلك مهما كان دخله ومتى سلك هذا المسلك استراح ووجد نفسه في بحبوحة من العيش يحتاجه الناس ولا يحتاجهم . وعلى أغلب ظني أن هذا المسلك هو مسلك ابن عمك نافع وعلى أغلب ظني أيضا أنه وفر في هذين العامين أكثر مما وفره أخواه اللذان لا زالا يعملان منذ خمس وعشرين سنة . فاذا وفر الانسان وحافظ على ما وفره تكونت الثروة أو بدايات الثروة على الاصح وعندها يشعر الانسان بلذة المال الحلال الذي يحصل عليه نتيجة عمله وتعبه وعرقه ، وهي لذة تفوق لذة المال الذي يحصل عليه بلا تعب . هذا ما أردنا أن نضعه بين يديك وأنت في بداية الطريق الى بناء مستقبلك فالتوفير التوفير لانه فضيلة وخير ما يعود على المرء بالسعادة .

سررنا من مقابلتك للسفير وموظفي السفارة فالرجل يجب أن يخالط الناس ويتعرف عليهم ، يجب أن يكون اجتماعيا في سلوكه وتصرفاته بشرط الا يخسر على الناس الا بعد أن تتكون لديه ثروة (خميرة) لا تتأثر بهذا الانفاق .
ختاما الجميع عندنا بخير ... لا تتأخر بالرسائل ، والدك والدتك وصلا من الحمة ساعة تحريره وهما بخير ويدعوان لك بالتوفيق والنجاح... قبلتنا لوجناتك والسلام.

بدر الدين الشلاح

- في العمل

دمشق في ٢٨/١٠/١٩٦٧

- الاستفادة من الوظيفة للعمل التجاري

جدة

- ادعية للجميع بالخير

ولدنا رفيق الشلاح وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

استلمنا رسالتك المؤرخة في ٤/١٠/١٩٦٧ وقد تأخرنا بالاجابة نظرا لانشغالنا في الزيداني وحضورنا مؤتمر الغرف التجارية في بيروت . بخصوص طارق نأمل من المولى سبحانه أن يسهل أمر سفره عما قريب بالسلامة والرعاية والحفظ كما نرجو سبحانه وهو العلي القدير أن يفتح عليه وعليك وعلى اخوتك وأبناء أعمامك جميعا فتوح العارفين بالله وأن يجعلكم من سعداء الدنيا والآخرة . أملنا أن يكون ترفيعك قريبا ليزداد راتبك وتعويضاتك كما نأمل أن تكون قد تدربت جيدا على الاعمال التجارية وتعرفت على البضائع التي تدر ربحا جيدا وعلى من يتاجرون بها بمثل أنواع هذه البضائع واصنافها والصادر التي تأتي منها ... لان ظروف السعودية الآن تساعد على الحصول على الارباح وبامكان الانسان أن يقيم علاقات تجارية مع اناس موثوقين يقدم لهم خبرته فقط دون أن يدفع أي رأس مال .

وختاما : الجميع عندنا بخير ويهدونك السلام ويدعون لك بالتوفيق وتقبيل وجناتك عن بعد ودمتم .

أبوراتب

دمشق في ١٩٦٧/١١/٩

ميونيخ - ألمانيا

- القيام بالواجب

- اننا نشدد عليكم لاننا نعجبكم ونحرص عليكم

- الاختصاصات

- العلم والاخلاق

- الوفاق بين الاخوة وابناء العم

ولدنا طارق الشلاح وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين
استلمنا رسالتك المؤرخة في الثاني من الشهر الجاري وحمدنا الله سبحانه وتعالى
على وصولك بالسلامة وعلمنا جميع ما جاء فيها ونقول تعليقا على هذه الرسالة :
شكرك واعترافك بما تقدمه لك وطلبك من الله سبحانه وتعالى أن يقدرك على الوفاء
سرننا كثيرا ونرجو الله أن يحقق لك ذلك لاننا نريد أن نسترد ما قدمناه بل
نريده محبة لك آملين أن يرزقك الله بأولاد بارين بك يردون لك ما اسلفت لهم طاعة
وبرآ بك انه سميع مجيب . اما نحن فاننا نعتبر جميع ما تقوم به تجاه اولادنا واهلنا
ودولتنا ومجتمعنا ووطننا واجبا من الواجبات والواجب يأتي بمقام الفرض . . . واننا
نطلب من الله عز وجل أن يديم علينا الصحة والعافية والامان حتى تتم الرسالة التي
خلقنا لاجلها في هذه الحياة الفانية . فكل انسان لم يؤت به الى هذه الدنيا عبثا
بل خلقه الله سبحانه وتعالى لاداء رسالة والقيام بواجب ، وكل تحذير ورد في الكتب
السماوية ووجه الى البشرية عامة كان مفاده الحث على القيام بالواجب ، والويل
ثم الويل لكل انسان لا يقوم بواجبه . قال تعالى في كتابه الكريم (اننا جعلنا ما على
الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا) وقال جل شأنه (وقل اعملوا فسيرى الله
عملكم ورسوله والمؤمنون) وقال سبحانه (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل
مثقال ذرة شرا يره) وهناك كثير من الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة التي تؤكد
هذا المعنى ويا ابناءنا اذا وجدتمونا نشدد عليكم ونعيد النصائح والدروس
فقايتنا من ذلك كله ان ترسخ هذه النصائح والدروس في اذهانكم وتستفيدوا منها .
اننا نشدد ونكثر من النصائح والتوجيهات بدافع واحد هو حرصنا عليكم وحبنا لكم
وسياتي اليوم الذي سنترك فيه هذه الحياة الدنيا . سيأتي ذلك اليوم الذي سيمر
عليكم فيه كثير من الامور التي كنا نلفت انظاركم اليها وعندها ستذكروننا بالخير
وسنستفيد من ادعيتكم لنا وترحمكم علينا .

كنا غير تواقين الى سفرك لا الى المانيا ولا الى أميركا ولا الى اي بلد آخر وكنا نود ان نكتفي بالشهادة التي حصلت عليها لانك لو حصلت على شهادة الدكتوراه فستظل تحتاج الى شهادة الحياة تلك الشهادة التي تحصل عليها من جراء التعامل والاختلاط بالناس وطول التعامل والاختلاط . ولكننا لا ننكر هنا ان الانسان الذي يحمل شهادات عالية يختصر الوقت للحصول على شهادة الحياة والمثال على ذلك قريب ناخذه مما وصلنا اليه من شهادة الحياة بينما لو كنا نحمل شهادة علمية مثل شهادتك لاكتفينا بخمسة اعوام ، ولو كنا نحمل شهادة الدكتوراه لاكتفينا بعامين فقط للحصول على شهادة الحياة .

ولا تنس ان هناك اختلافا في طباع الناس وطرق تفكيرهم وهذا الاختلاف له اسباب يطول شرحها ، ونحن نحمد الله سبحانه وتعالى ان لنا زملاء من التجار الذين عملوا في مهنتنا ذاتها وفي غيرها من المهن وكانوا اكبر مناسنا ولا زال بعضهم حيا يرزق ويكد ويعمل ولكنهم لم يحصلوا على الشهادة التي حصلنا عليها . وهناك اشخاص آخرون درسوا في المدارس وحصلوا على شهادات عالية ثم خرجوا الى مدرسة الحياة وقضوا فيها ما ينوف على الثلاثين عاما او اكثر من ذلك ولكنهم لم يحصلوا على شهادة الحياة

وهنا نريد ان نبين لكم الاسباب الموصلة للنجاح والحصول على شهادة الحياة بأقرب وقت ممكن فنقول انه يكون بالاخلاص في العمل والصدق في المعاملة والوفاء بالوعد وعدم الحقد على الآخرين وحسن معاملتهم والايثار على النفس تجاه الآخرين ايا كانوا ، الوالد أو الوالدة أو الأشقاء أو الأعمام أو اولاد الأعمام أو الجيران أو الأقارب أو الأصحاب أو القرباء . . . حتى الايثار على النفس تجاه الخصوم . نقول ذلك ونؤكد عليه لأن الايثار وعدم الاتانية يوصل الانسان الى المقام الرفيع ويجعله محبوبا لدى كل من يحتك بهم أو يتعامل معهم . هذا ما أردت شرحه لك بايجاز حبا بك واقول لك ان عدم موافقتنا على سفرك كان رغبة مني لان تبقى عندنا في المحل فانت لديك القابلية لان تتفهم الامور بدقة ولان تدير دفة العمل بنجاح . هذا من جهة ومن جهة اخرى اردنا ان نستفيد من وجودك قربنا لان صحتنا لم تعد تساعدنا على تحمل كافة الاعباء التي تفرضها علينا اعمالنا و اردنا ان نستفيد من وجودنا الى جانبك ايضا

فيزداد تفهمك لدقائق الاعمال . ولقد وافقنا على سفرك لاننا لمسنا لديك رغبة في السفر ووافقنا على سفرك الى المانيا لتستفيد أنت ولتفيد العائلة كلها حيث يصبح بين افراد العائلة من يتقن الالمانية طالما انك لم تحقق التنوع بالنسبة للاختصاصات العلمية فقد كان بوجدنا ان يكون بعضكم اطباء وبعضكم مهندسين وبعضكم الآخر اقتصاديين وهكذا . . . لا يسعنا الا ان ندعو لك بالتوفيق والنجاح فيما يختاره الله لكم فهو نعم المولى ونعم الموفق والهادي الى سواء السبيل .

حديثك عن نظام الدروس وعن الطعام وعن شهرة الاساتذة الذين لا يقبلون ان يتكلموا الا بالالفة الالمانية حتى ولو كان الطالب الوافد وصل توأ الى بلدهم ولا يعرف كلمة واحدة من لغتهم ، هؤلاء الاساتذة الذين كلفوك ان تحفظ الدرسين اللذين سبق ان اخذهما زملاؤك قبل ان تصل أنت الى المانيا . . . هذا الحديث يجعلنا نعيد الى اذهانك قول من قال : إفرح لمن يبكيك ولا تفرح لمن يضحكك لان الذي يبكيك يريد ان يجعل منك رجلا ناجحا بكل ما في هذه الكلمة من معنى . . .

ولدنا الحبيب : قرأت في رسالتك قولك ان المدرسة بعيدة عن المدينة وقيم الطلاب فيها خلال فترة الدراسة وهذا امر جيد من شأنه ان يفسح المجال امام الطالب لان يتفرغ لدراسته وينصرف اليها بكل قدراته فيختصر الوقت لصالحه لتحقيق اهدافه بسهولة ويسر فينهي دراسته في مدة قصيرة . وخير ما قرأناه في رسالتك وسررنا فيه قولك عن راتب انه مثال الاخ الحنون . . . سررنا من هذه العبارة لاننا علمنا انكم أصبحتم تدركون الحقيقة وتبتعدون عن الخيال . والذي نرجوه من الله سبحانه وتعالى ان يوفق بينكم جميعا اخوة وابناء عم حتى تكونوا مثالا للحب والتفاهم بين ابناء مجتمعكم وحتى تفتخر العائلة بكم . اطلت في الكتابة قليلا واطلب منك ان تحفظ ما جاء في هذه الرسالة في صدرك وتطبقه ثم تحفظ الرسالة كلها في انفس واثمن ما تفتنيه من كتب علمية ودراسية لترجع الى ما جاء فيها عندما تكبر وتخرج الى الحياة العملية فتتذكرنا بخير وسلام .

ابو راتب

دمشق في ٢٧/١١/١٩٦٧

- بعد التخرج وخلال ممارسة العمل ...

بيروت - لبنان

- معلم وخبير اقتصادي

ولدي الدكتور راتب الشلاح ، بعد تقبيل الوجنات

استلمت رسالتك المؤرخة في ٢٣/١١/١٩٦٧ وعلمت كل ما جاء فيها .

حديثك عن الاسترليني قرأته بامعان وافتنعت بالحجج التي ذكرتها ، تلك الحجج القوية التي لا تدع مجالاً لأي شخص الا أن يقتنع بها ويتقبلها . ولكنني اذا أردت أن أذكر قناعتني الخاصة بما حدث فأنني لم أقبل به وينبغي ان أرد على ناحية واحدة مما ذكرت وأترك النواحي المتبقية كلها ، هذه الناحية تبرز في قولك « رغم تخوفنا وقلقنا كنا غير مستعدين لدخول المضاربات ... اننا لسنا مندفعين لدرجة التهور لنبيع على المكشوف ... ثم ذكرك للنزول والصعود وغير ذلك » .

وأقول نحن لا نريد المضاربة ولا نريد البيع على المكشوف وانما نبيع ما هو موجود لدينا وفي حوزتنا وهذا ليس مضاربة وتهوراً وينطبق على قواعد البيع الصحيحة . فقبض مبلغ أربعة آلاف وخمسمائة جنيه كان قبل نزول قيمة الجنيه بعدة أيام ، ووجود نقد سوري نتعامل به لا يعني بالضرورة أن تبقي ما لديك من جنيهات ولا تحولها الى نقد سوري . بيع الدفعة الاولى من العدس والقمر الدين الذي سلمت مستندات (بوالصه) للمصرف كان بالإمكان بيع ما حصلت عليه من ثمن هذه الصفقة بالجنيه الاسترليني بنقد لبناني وحفظ الثمن حتى يحين موعد الدفع وعلى مسؤولية المشتري .

وعلى الرغم من اعتقادي أن ما حدث مكتوب ومقدّر وليس منه مهرب وان ما خسرتة كان سيذهب بطريقة ثانية ان لم يذهب بهذه الطريقة فأنني أقول أن على الانسان أن يسعى وأن ينفذ ما هو مقتنع به دون تردد أو تأخر . والآن أنا أعتقد بأنه سيحصل تنزيل آخر بالنسبة للجنيه الاسترليني إن عاجلاً أو آجلاً اذا بقيت أميركا مصرة على تهديم بريطانيا وارباك اقتصادها ولا سيما أن قناة السويس ستبقى مغلقة ولن تفتح حتى لو حلت قضية الشرق الاوسط ، وهذا يسبب أضراراً مادية بالنسبة لبريطانيا . أما الدولار فلن تنزل قيمته كما أن قيمة الذهب لن تنزل أيضاً لأن أميركا

لا تريد ذلك محافظة على اقتصادها وقوتها وسمعتها . هذا رأيي ولربما يقع ما هو مخالف له والله أعلم .

البرقية التي طلبتها منك والتي لم تعلمنا بها حين وصولها وصلتنا ولكنني لا اعرف ردك عليها ثم انني لا اعرف رأيك بالنسبة لهذا الموضوع او بالنسبة لموضوع راشد كما انني لا اعرف شيئاً عن العمل الذي ستقوم به في الرياض حيث وجدت انه مذكور على البرقية عبارة (حكومي) . وعلمت انه يسمح لك بفتح مكتب استشاري كما يسمح لك بالتدريس في الجامعة ومع ذلك كله لم تتضح لنا طبيعة العمل الذي ستقوم به . ارجع واقول اخبرني عن رأيك بالموضوع من اساسه والذي استنتجه أنا انه ليس لك رغبة في العمل في الرياض او الكويت لأن البرقية وصلت منذ شهر تقريبا ولم تعلمني بوصولها كما أنك لم ترد عليها . وفي رسالتك الاخيرة تذكر عروض العمل وتحمد الله عليها دون أي شرح أو تعليق ومن هنا وصلت الى ما استنتجته من عدم رغبتك في العمل في الرياض او الكويت . . . فلو كان موقفك هذا سببه حبك لنا ولأن تكون قريبا منا فانك لم تزرنا طيلة هذا العام الا لما الامر الذي جعلنا نشعر بأنك بعيد عنا كما لو كنت تعيش في الرياض او في الكويت ، ولو لم يسعفنا الحظ بسفرة المؤتمر الى بغداد وبسفرة الى بيروت لما شاهدتك . حصل هذا وانت تعيش في بيروت بينما لو كنت تعيش في الرياض او في الكويت لتوقعت زيارتك لنا كل ثلاثة اشهر ولمدة اسبوع في كل مرة على أقل تقدير .

ولدي الحبيب قرأت رسالتك الاولى بروية وتمعن وعرفت كل ما يدور فيها من افكار رغم الايجاز الذي سيطر على الرسالة لانني اعرف جيدا ما في قلبك وما تنطوي عليه من عواطف نبيلة واخلاق كريمة . وأنا أقول لك اننا نريد مصلحتك قبل كل شيء آخر ، لذلك يجب عليك ألا تهمل قضية المادة وهي الركن الاساسي الذي تقوم عليه الحياة . اقول هذا وآمل أن تناقشني فيه فأنا أعلم أنك لست طالب مادة ولكن هذا غلط كبير لان الحياة تحتاج في قيامها واضطراد تقدمها الى المادة . فالكرم مثلا في حال عدم وجود المادة يزول ولا يعود له وجود بالنسبة لمن فقد المادة . وقل الشيء نفسه بالنسبة لخلق التسامح او العيش برفاهية او تعليم الاولاد ، فهذه الامور كلها تحتاج الى المادة . فالمال كما يقولون عصب الحياة ، وهل ينهض ويتقدم

من شلت أعصابه وخارت قواه ؟؟ ولتعلم أن السن الذي يساعد الإنسان على جمع الثروة والحصول على المال لا يمتد إلى أكثر من الفترة الواقعة بين الثلاثين والأربعين من العمر وفي أحيان أخرى قد تمتد هذه الفترة إلى سن الخامسة والأربعين أو سن الخمسين على أبعد تقدير . . . وأنا لا أريد أن تغفل هذه الفرصة من بين يديك وتترك - لا سمح الله - في نفسك ندما . انني احلول أن أسكت عن كل شيء وأترك الأمور تسير حسب رغبتك وحسب مشيئة الله جل وعلا ولكن حرصى عليك يجعلني دائما أبدي آرائى وأسدى نصائحي فيجب أن تقرر الآن وتختار الطريق الذي تود أن تسلكه فلا يجوز أن يبقى الراشد يتردد عليك وله أمل في أن تجيب طلبه . أعلم الرجل إذا كنت لا ترغب فيما يطلبه منك فليس جزاء من أبرق اليك من الرياض وأكرمك وقدرك حق قدرك أن تسكت طيلة هذه المدة ولا تجيبه . ضع برنامجا واضحا لأعمالك وتوكل على الله فالتردد آفة من الآفات التي تلتهم الوقت وتنهب الفرص التي قد يكون النجاح فيها . المهم قرّر شيئا . فإذا كنت تريد البقاء في بيروت مع الحصول على ساعات تدريس في الجامعة أو غير الجامعة بالإضافة إلى تدريس بضع ساعات في الجامعة السورية أيضا يتيح لك القيام بها أن تتردد على دمشق في كل أسبوع فتوكل على الله وأبق في بيروت . وإذا رأيت أن الذهاب إلى الرياض فيه فائدة أكبر فلا تتأخر عن الذهاب إلى الرياض ولا سيما في الظروف الراهنة حيث توجد أعمال خارجية كثيرة في السعودية . هذا بالإضافة إلى التدريس الذي يكسبك مركزا ممتازا بين الناس وخاصة وأنت من أصحاب الروح المرحة والمزاح المحبب إلى كل من تحتك به ، وقد ظهر ذلك جليا في تعاملك مع الناس وممارستك العمل في دمشق وبيروت . وهنا يحسن أن أذكر لك قول الشاعر :

فمن يتهيب صعود الجبال
يعش أبد الدهر بين الحفر

وإذا كنت تريد أن تخفف عني بعض العناء والمشقة التي أتحمّلها من جراء أعمالنا الكثيرة فاني أقول : لقد عاهدت الله سبحانه وتعالى على الاستمرار في القيام بأعباء أعمالنا ما دمت أملك العافية والقوة والفكر الصافي . وانني لا أرتاح إلا بالاستمرار في العمل والعمل المتواصل ، ولولا قضية الزراعة وما تحتاج إليه من وقت وجهد لطورنا عملنا ووسعناه . فانا لا أريد أن نسلك طريقة بعض المزارعين في تصريف المحصول

عن طريق الضمان فهو لا يأتي بالفائدة المرجوة بل ربما يسبب خسارة في كل موسم كما قد يسبب خسارة أخرى تظهر آثارها في المستقبل . وذلك لأن الضمان لا يدفع المبالغ المتفق عليها ويدعي انه خسر حتى ولو كان رابحا . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فالضمان لا يراعي سلامة الأشجار أثناء جني المحصول مما قد يحدث أضرارا بالنسبة لنا وبذلك تكون خسارة أخرى . أضف الى ذلك أننا نحقق وفرا لا يقل عن ٤٠٪ من نسبة المحصول وذلك بسبب أننا نجمع المحصول ونتصرف به كما نشاء وضمن حدود مصلحتنا وهذا الوفرة هو الربح في الواقع ، فما يدفعه الضمان قد لا يغطي التكاليف التي ندفعها ومن هنا لا يمكن أن يتوفر لدينا وقت يسمح لنا بتطوير أعمالنا وتوسيعها .

ومن الأمور التي تجبرنا على الاستمرار بالعمل أننا لا زلنا تحت عبء حمل ثقيل من النفقات التي لا بد منها ولا غنى عنها ونوضح هذه النفقات فيما يلي لتكون لديك الصورة الحقيقية عنها :

مبلغ (٤٥) خمسة وأربعين ألفا نفقات الدار من أجل الصرف على ثلاث عائلات بالإضافة الى ما يجب علينا أن ندفعه لنحافظ على سمعتنا ونكرم أقرابنا وأصهارنا وهذا المبلغ لا يمكن تقليصه بشكل من الأشكال .

مبلغ (٤٠) أربعين ألفا من الليرات السورية نفقات الزكاة وهو مبلغ لا يمكن تخفيضه أيضا بسبب الفرض الديني وبسبب المحافظة على سمعتنا ونظرة الناس إلينا وأملهم بنا ولا سيما من كان منهم بحاجة الى المساعدة ، وبسبب أننا نريد أن ندخر أكبر قدر من الأعمال الصالحة عند الله سبحانه وتعالى لنقابله بقلب سليم وبعمل خير وقيم . وقد يرتفع ما ندفعه للزكاة في بعض السنين الى ستين أو سبعين ألف ليرة سورية .

مبلغ (٨) ثمانية آلاف ليرة سورية نفقات السيارات التي تسهل أعمالنا الزراعية والتجارية والخيرية والاجتماعية . . .

مبلغ (٥٠) خمسين ألف ليرة سورية نفقات الاولاد وكنا نأمل أن تنقص هذه النفقات ولكنني لاحظت أنها تزداد باستمرار فالكل يريدون أن يتعلموا ويا ليتهم

يستفيدون من العلم ويحصلون على شهادات علمية . وتعليم البعض يسبب لنا مشكلات ومتاعب اضافية عدا النفقات ولا سيما مع الجندية ونحن لا نعرف ماذا سيكون مصيرهم بعد نهاية هذا العام . ويا لها من فرحة وسرور بل يا لها من ترحمة اذ بعد دفع نفقات التعليم والدروس الاضافية في مدى عشرة اعوام عن البعض كما ذكرنا يطلب هذا البعض لاداء خدمة العلم برتبة مجند عسكري لانه لم ينجح في دراسته وسيعيش عندها تحت سقف واحد مع من لم يدرسوا ولم تخسر عليهم عائلاتهم مالا وفي ذلك ما فيه من خسارة لنا وللوطن أيضا ، لأن المجند العالم صاحب الاختصاص النادر الممتاز يخدم جيش بلاده فعلا ، وذلك عندما يمارس اختصاصه العلمي ضمن اطار مؤسسات الجيش ، فيكون بذلك ضابطا ممتازا ومواطننا صالحا يعطي ويعطي ولا يكف عن العطاء ، ولا يكون فردا عاديا محدود القدرات محدود العطاء ويلاقى من المشقات ما يعجز عن تحمله . فيا لطيف الطف بنا واحفظنا من تقلبات الزمان .

مبلغ (٥) خمسة آلاف ليرة سورية مصروف الوالدة . اصف الى ذلك كله مصروف المحل والضرائب الحكومية ولا يوجد مقابل ذلك كله فيما لو آثرنا الراحة وقعدنا كما تريد على ما تبقى من واردات الاملاك وهو مبلغ لا يتجاوز ثلاثين او خمسة وثلاثين الف ليرة سنويا . لاننا كما تعلم قد بعنا قسما من أملاكنا وشغلنا بناء المهاجرين بالسكن ، فهذا العبء المالي المطلوب منا يفرض علينا العمل المتواصل والحركة المستمرة حتى نحصل على دخل من الزراعة نستعين به على تسديد المبالغ المذكورة سابقا . والزراعة كما تعلم تحتاج الى عمل دؤوب في الليل والنهار وفي الصيف والشتاء بل في سائر أيام السنة من تسميد الارض وفلاحتها ونكشها وزراعة ما يجب أن يزرع منها ثم مكافحة الحشرات الضارة . ثم يأتي جني المحصول وتعبئته وتخزينه ثم تصريفه فيما بعد ، ولا تنس تهيئة وسائل التعبئة والحفظ . كل هذا تعرفه واطلعت عليه عندما كنت عندنا في دمشق وأنت تعاني منه كما تعاني منه نحن ، لذلك فلن نزيد في الايضاح والبيان أكثر مما ذكرنا ، وما لجأنا الى حديثنا سابقا الا حرصا على مصلحتك وحبا بك .

ولدي الحبيب : اذا كنت ترى أن سفرك الى الرياض فيه نفع بالنسبة لك فنحن

نبارك هذا السفر ونرضى عنه ويحضر واحد منا الى بيروت ليشرف على الاعمال ويبقى عمك أبو موفق وموفق في دمشق . ونحن نبارك ونرضى عن سفر ابن عمك موفق ليعمل في البلاد العربية اذا كنت ترى ذلك مناسبا وعندها يبقى عمك أبو موفق في دمشق ونكون نحن في بيروت . اما اذا كنت تفضل البقاء في بيروت فلا مانع يحول دون ذلك بالنسبة لنا ونحن نبارك ذلك ونرضى عنه ايضا على شرط الا تنقطع عنا وعن التردد على دمشق لأن مجيئك الى دمشق ولو في فترات متقطعة ومتباعدة يدخل السرور على قلوبنا . . . وأقول لك أننا حاليا لن نوسع أعمالنا الزراعية من جديد وانما سنصرف جهدنا الى اتمام ما كنا بدأنا به (في العدمل والزبداني) من الاعمال الضرورية التي لا يمكن الاستغناء عن اتمامها .

وأخيرا ، بالنسبة لرسالتك التي اردت ان تعبر فيها عما يكنه قلبك من حب لنا وتقدير لمواقفنا وتصرفاتنا تجاهك فنحن نعرف كل ما في قلبك ونعرف كل ما في جوارحك وحتى ما قد تجهله انت ، فثقتنا بك كبيرة وحبنا لك وحرصنا عليك أكبر وأكبر . ولتعلم أنه ليس لنا هدف من توضيحاتنا ونصائحنا وتوجيهاتنا سوى مصلحتك واننا نطلب من الله عز وجل أن يوفقك وأن يجعلك دائما متمتعاً بالراحة والسرور والسعادة والصحة والعافية وأن يحبب بك الناس . ولكي لا يخطر في ذهنك شيء يقلقك من بعض العبارات التي وردت في رسالتي هذه أقول : ان كل ما ورد في هذه الرسالة كتب بمداد المحبة لك والرضا منك ، رضا ينطلق من اعماق القلب لا يتمكن اي انسان ان يصفه مهما أوتي من بلاغة وبيان ، ومحبة ليس فوقها الا محبة الله ورسوله . انهما رضا ومحبة لا تتصور أنت ان احدا من الآباء غيرنا يحملهما لاولاده ، لهذا كله يمكنك أن تطمئن وتحمد الله سبحانه وتعالى على المنزلة الرفيعة التي تحتلها في قلوبنا جميعا وحذا لو كان هذا الشرح وهذا التوضيح مما نتبادله وتكلمه مشافهة وعندها سيظهر لك من ملامحي عمق ما أريده لك من سعادة وما اكنته من محبة وحرص . ولكنك تعرف ملامح وجهي عندما اتكلم وتعرف من هذه الملامح مقدار حبي لك ورضاي عليك . وختاماً قبلاتي للوجنات الغالية التي لنا عندها ديون كثيرة ستلزم بدفعها عندما تأتي لزيارتنا . . . حماكم الله يا احباءنا من كل اذى وسوء وقبلاتنا لوجنات الاولاد العزيزين علينا الذين أصبحنا نشاقق لرؤيتهم . أفراد

العائلة كلهم مشتاقون اليك ولرؤيتك ولا سيما والدتك ام راتب التي تحتل مكانة عالية عند افراد العائلة كلهم ، اطال الله عمرها وتمتعها بالصحة والعافية . وكلما عزمت على انهاء هذه الرسالة دفعني حرصي عليك وحببي لك الى اضافة بعض الاشياء الاخرى التي تفيدك وتوفر لك النجاح . والذي اريد أن أقوله قبل أن اختم كلامي : قبل اربعة أيام من نهاية العام هيئوا الحسابات جميعها من أجل الجرد السنوي وهيئوا صورة عنها للسيد الثريبتلي والى الف الله يرضى عليك .

أبو راتب

- الدراسة الجامعية توسع المدارك

دمشق في ٢٧/٢/١٩٦٩

- نساء على راتب

بيروت

ولدنا غسان الشلاح وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين استلمت رسالتك المؤرخة في ٣/٣/١٩٦٧ التي تهنئنا فيها بعيد الاضحى المبارك وتعذر عن عدم مجيئك الى دمشق بسبب الفحوص وضيق الوقت فنحن نقبل عنك ونقر عملك لانه لا يهمننا الا جدك واجتهادك ونجاحك ولا سيما انه قد فانك كثير من الاوقات والسنين فيما مضى . . .

بعد ذهابك الى بيروت وانتسبك الى الجامعة الاميركية ووجود اخيك الدكتور راتب في بيروت لم نعد ميالين الى الاكثار من ارسال الرسائل اليك لعلنا أنك اصبحت الآن وانت في هذه السن ومنظم في سلك الدراسة الجامعية تقدر قيمة العلم وتقدر قيمة الوقت وتقدر قيمة المال الذي ينفق على تعليمكم جميعا ، واخيرا وليس آخرا مقدار ما تتحمله من جهد ومتاعب وانتقال حتى تؤمن النفقات التي لا يتحملها الا اولو العزم من الرجال . وتعرف حق المعرفة ان الآباء الذين يؤثرون اولادهم على انفسهم كما آثرنا نحن هم قليلون جدا كما يجب ان تعرف قيمة العلم ونتائجه الطيبة بالنسبة لمن اخذ منه بنصيب وافر ولا سيما بعد ان شاهدت اخاك الدكتور راتب ومركزه التجاري والاجتماعي والاخلاقي فقد حصل على اعلى درجة علمية مقرونة بالاخلاق الفاضلة لأن العلم لا يكفي ، والعلم والاخلاق خلان وفتان يجب الا يفترقا وقد قال الشاعر :

لا تحسبن العلم ينفع وحده ما لم يتوج ربه بخلاق

وراتب على الرغم من وصوله الى هذا المركز الممتاز فانه لا يقابلنا مرة انا وعمه الا ويظهر لنا اجلّ احترام وأعظم تقدير سواء اكنّا وحدنا ام كنا في جمع حافل من الناس ، ولم يقبل أن يبتعد عنا وقد تهيات له أعمال تدر عليه أموالا كثيرة في السعودية والكويت وعلى الرغم من أننا أصررنا عليه بالذهاب وقبول تلك الاعمال . وهو يترك بيروت كل اسبوع وفي يوم راحته ويزورنا في دمشق متحملا مشقة السفر ويلقي محاضرة في الجامعة لا تساوي أجرتها نفقات السفر ولكن لا يهيمه ذلك طالما حصل على المطلوب وهو زيارتنا في دمشق وكل أسبوع ، ونحن نأتي على ذكر هذا الامر الذي تعرفه لا لنقول لك أنك اقل من راتب جبا لنا وتعلقا بالقرب منا ولكن نذكر ذلك على سبيل المثال والذكرى تنفع المؤمنين .

ولدنا الحبيب : نحن نرغب في أن تصلنا رسالة منك توضح لنا فيها امورا تتعلق بدراستك وأول هذه الامور موعد حصولك على شهادة BA ثم يبين لنا فيما اذا كنت ستكتفي بهذه الشهادة أم أنك تريد أن تحصل على شهادات اخرى أعلى منها ومن بيروت طبعا . واذا قررت أن تتم دراستك هل ستعمل وتدرس أم أنك ستتفرغ للدراسة ؟ وهل فكرت في الاعمال التي ستمارسها بعد حصولك على شهادة الـ BA هل هي في نطاق الوظائف الحكومية أم في نطاق الاعمال الحرة ؟ ثم أين ستعمل في سورية أو لبنان أم في بلد عربي آخر ؟ وهذه الامور يجب على الطالب ان يفكر بها وهو على أبواب التخرج . صحيح أن الامر بيد الله ولكن التفكير بالمستقبل ووضع الاساس والمخططات التي يجب ان يسير عليها الطالب بعد تخرجه امر هام . الجميع عندنا بخير والحمد لله يدعون لك بالنجاح ولا سيما والدتك وجدتك . قبلاتنا لوجنتيك ونحن بانتظار رسالة منك توضح لنا فيها الامور التي ذكرناها ، والله يرعاكم بعين رعايته وعنايته .

أبو راتب

دمشق في ٢٦/١/١٩٧٤

اميركا

ولدنا الدكتور بشار سكر وفقه الله آمين .

بعد تقبيل الوجنات اخذنا تحريرك المؤرخ ١٩٧٣/١٢/٢١ الذي وصل في ١٩٧٣/١٢/٣٠ وسبب تأخرنا بالجواب أننا كنا في البلاد المقدسة حيث ذهبنا للحج والزيارة بالسيارة المرسيديس واخذنا معنا مقطورة تتسع لأربعة أسرة مع كافة ممتلكاتها وكنا نحن بدر الدين وشفيق والدكتور موفق والشيخ عبد الرحمن بركات ، وعدنا منذ اسبوع بسلامة الله تعالى شاكرين المولى على نعمه وتوفيقه . قرأنا تحريركم أكثر من مرة وسررنا جدا من الأمنية التي تطلبونها أمنية الوفاء للوطن ، والقرب من الوالدين وكسب رضاهم ، والعمل على اغاثة مريض من أهل الوطن ، والقرب من الأهل والأقارب ، ضاربين عرض الحائط بالاغراءات التي ذكرتموها ، تاركين متاع الدنيا الحديثة والسيارة الضخمة والمال المغري / ٥٠ / الف دولار سنويا مع الزيارات السنوية . آخذين هذه الفرصة للتزود من علم الاميركان المتفوق على جميع الامم عائدتين به تاركين جميع ما ذكر . اننا فخورون لأن نكون أحوالا لكم ولا مثالكم ، حامدين الله تعالى بأن أمينتنا تحققت . وتذكرون عندما حصلتم على الشهادة الثانوية وكانت العلامات لا تخولكم الدخول للطب واستشرتمونا وقلنا لكم من الضروري اعادةتها والحصول على علامات تخولكم الدخول بالطب . وكم كان سرورنا عظيما بموافقتم على ذلك وتقبولكم النصيحة ، ولم نذكر ولم نطالب ذلك الا لعلنا أن أولى شهادات الاختصاص التي لها قيمة بوقتنا هذا هي الطب أولا والهندسة بجميع أنواعها ثانيا . أولا من الناحية الاجتماعية وثانيا من الناحية المادية مع أن مدة الدراسة هي تقريبا واحدة ما عدا الطب الذي يحتاج الى عامين زيادة . وأما من ناحية كلفة الدراسة فان الطب اقل كلفة لأن كلفة الاختصاص كلها يتحملها المدرس كما انتم عليه الآن . ولكن التوفيق من الله تعالى . فان شاء الله تتممون الاختصاص وتحصلون على الشهادة بتفوق وتعودون اليها والى الوطن سالمين ونرجوه تعالى أن يجعلنا من طويلي الاعمار ونحن بالصحة حتى نشبع أنفسنا من سرورنا بكل من يصل الى المكانة اللائقة والمرموقة . ونكتفي الآن بهذا القدر راجين من الله أن يجعل التوفيق حليفكم وأن تكون السيدة المصونة حرمكم

تدرس وتستفيد من هذه المدة من أية ناحية من نواحي العلم لتعود وهي كذلك تحمل الثقافة العالية لتضيفها الى اخلاقها العالية .

وأخيرا قبلات لوجناتكما حفظكما الله بحفظه وراعاكما برعايته آمين . الجميع بطرفنا بخير والحمد لله .

دمشق في ١٩/٤/١٩٧٥

حلب

ولدنا الفالي الاستاذ رياض سكر المحترم

بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين ، حاولنا مرارا أن نحرر لك تحريرا لكي تحتفظ به كذكرى من جدك ولكي عندما تكبر ويصير عندك أولاد وأحفاد تقرأه لهم وتشعر بالفارق الكبير بين ما عليه أنت الآن وأنت لا زلت بالدراسة وحفيدا لأم وحفيدا لأب ، وتقارن ذلك وقد أصبحت أباً ثم جدّاً وصار عندك أبناء وأحفاد . ولكن بعد أن وصلنا صباح هذا اليوم من الزبداني وجدنا تحريرا بمغلف على الطاولة ولدى فتحه وجدناه منك الى خالك محمد وبعد أن قرأناه وجدنا بعض العبارات والالفاظ والاشارات الضمنية لا بد وأن نسأل عنها خالك محمد فاذا لم يجب عليها ان شاء الله نسألك عنها عند عودتك بالسلامة . سررنا لعبارتك التي تقول أنك بعد فترة قصيرة ستنتهي من دراسة هذا العام وعندها تترك حلب نهائيا ومعنى ذلك أنك متيقن من نجاحك في آخر فحص وهذا ما يدعوننا لأن نهنتك على هذا اليقين وهذا التفاؤل . وأساس النجاح هو التفاؤل والاعتماد والتصميم . أما عن فرع هندسة الكهرباء الذي دخلت به طبعا هذا كان لضعف علامتك مع أن الأمل كان أن تحصل على أعلى علامات لانه لا ينقصك شيء من الذكاء . ومع ذلك جميع العلوم الهندسية وجميع الاختصاصات أصبحت البلاد بحاجة اليها ولا سيما الكهرباء الذي يظن بعضهم انه اختصاص ليس له أهمية . ان البلاد لم تتمتع بالاعمال الكهربائية مثل البلاد الاخرى والهندسة الكهربائية سيأتي يوم يكون لها فيه الدور الاول وستكون هناك حاجة كبرى لامتناس الاختصاصيين بالكهرباء مهما كان عددهم . هذا من جهة ومن جهة أخرى فان الاساس بالحياة هو

التوفيق ، وأساس التوفيق هو رضا الوالدين ، وبدون رضا الوالدين الحياة متعبة .
هناك قاعدة وشاهدناها مع الجميع في هذه المدة من الزمن حيث كانت معرفتنا وصلتنا
مع جميع الطبقات . وكل من لم يقبل أيادي والديه فانه بسد وفاتهما يقبل أيادي كل
الناس . وكل من يحترم والديه بعد وفاتهما يحترمه كل الناس . وجميع ما تنظره
من توفيقنا سببه رضا الوالدين لاننا ما خالفناهم بأمر حتى ولو كنا نراه غير ما يريانه
وكننا نعتبر أنفسنا مخطئين وهما على حق . لذلك نوصيكم جميعا بالتواضع للوالدين
واتباع جميع آرائهما وعدم مخالفتهما . أما بخصوص مشروع دراسة الكهرباء
ان شاء الله فيها الخير والبركة لانه بوقتنا هذا أصبح من الضروري ان كل بناء يشاد
يلزم ان يكون مرفقا بمخطط لتمديدات الكهرباء ثم ان الكهرباء الآن لم يصمم الا في الجزء
القليل من الريف وبعد انتهاء سد الفرات ستكون الكهرباء معممة في جميع القرى
السورية وهذا التوسع يلزمه خبراء ومهندسون لذلك مهما تخرج من المهندسين ستكون
الحاجة اكثر وبلادنا لا زالت (بكرا) وهي بحاجة لجميع الاختصاصات . وأمام الشعب
مشاريع كثيرة منها اجتماعية وزراعية وصناعية وطرقا وجسور وتنقيب وهناك
مجال كبير للعمل لكافة فئات الشعب وهي الحركة التي ستكون عندما ينتهي مشروع
الفرات وما هي أحجام الانتاج التي ستزداد من جميع الاصناف . فكن واقفا من
النجاح والازدهار والعطاء .

دمشق في ١٩٦٦/١/٢٢

الكويت

جناب حضرة ابن الخالة الدكتور محمد عزيز شكري المحترم

بعد السلام عليكم وتقبيل الوجنات لقد تظمنا عنكم من الوالدة المحترمة قبل سفرها
الى القاهرة بعد ان عدنا من الديار المقدسة حيث تفضل علينا المولى من كرمه في
زيارة الاراضي المقدسة حيث تنجلي قلوبنا وتشرح صدورنا ، لقد حمدنا الله على
شفانكم بعد اجراء عمليتين في الكويت ، الباري يتم فضله عليكم بالشفاء الكامل
والصحة وتمام العافية ويعطيكم قوة من عنده بقدر ما يعطيكم من حمل . هذه هي

الدنيا كلها متاعب وهموم ولذتها بوجودها ، والراحة الوحيدة هي الرضاء والقبول وبذلك يتغلب على هذه المتاعب وهذه الهموم . ولا بد لنا من نصيحة بخصوص الوالد ان تعملوا له كل فترة ما بين ١٥ و ٢٠ يوما رسالة استعطاف وشوق وطلب رضاه وسؤاله عما يلزمه من طرفكم بالاضافة الى اكرامه بالمال ولو قطعتم عن عيشكم حتى ولو كانت أوضاعه النفسية المعروفة عنكم وعندنا لأن الرحلة قاربت على الانتهاء وهذه هي الخزينة التي ترونها بعد وفاته . المال ليس له قيمة وزيادة التحمل هو الراسمال للحياة ويقدر ما تتحمل تجده في الخزينة . وفي الحديث الشريف : (رضاء الوالدين كنز مخبوء لا يفتح الا بعد وفاتهما) فيا سعادة من فتح الخزينة وعبأ من هذه الكنوز . سامحونا اذا اطلنا ودائما طمنونا عن صحتكم وعرفونا عن كل خدمة بإمكاننا تقديمها لكم متمكم الله بالصحة والعافية وحفظكم من كل سوء .

الجمعة في ١٩٧٧/٢/٢٨

كراتشي

الى صهرنا العزيز السيد خلدون الرملي المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد : اولا نقبل وجناتكم وثانيا سررنا لكالمتمك الهاتفية مرتين واخذنا تحريركم المؤرخ في ١٧/١/١٩٧٧ فحمدنا الله تعالى على وصولكم بالسلامة وبلغنا سلاماتكم الى الجميع وحتى الى الحفيد زكي (بيك) لكنه لا زال حاملا عليك لاخذك رمزية حيث ان زكي متعلق جدا بعتمته وصعب عليه سفرها وفراقها . اما بخصوص ملاقاتكم لنا وهذه الصدفة الجميلة التي ادت الى المصاهرة ثم حمدكم الله تعالى لان رمزية جوهره مكنونة وانكم سعيدون في حياتكم الزوجية وان يديمها الله عليكم لانها هي مبسوطه ايضا الى آخر ما جاء بتحريركم المذكور وعليه نجيب من يدري ان دعوة ستأيني من كوريا وان اقبلها رغم مشاغلي ومواعيدي بالاضافة الى انني لا اربغ السفر الى جهات لا اعرف لفتها كما ان اولادي لهم مسؤولية اعمال لا سيما الدكتور راتب وانا لا اريد ان يرافقني احد منهم بدون زوجته كل هذا يمنعني من السفر وعدم قبول الدعوة . لكن هناك امر مقدر من الله تعالى سيحصل

ويكون له سبب ، وهذه هي ارادة الله نفذت وقبلت السفر ، وحاول راتب ان يضع زيارة كراتشي وانا غير موافق ولكن ارادة الله فوق كل ارادة لقد تمت ارادته ان ننزل بالمطار وتمت قدرته ان نتحول من طائرة الى طائرة وتمت قدرته ان نلتقي بكم وتتم هذه المقابلة وينتج عنها هذا اللقاء ثم الطلب ثم الموافقة كل هذا حتى تأخذ منا هذه الجوهرة التي كنا مقدرين ان تبقى حصتنا الى ان نترك هذه الدنيا ، لا سيما وانا قاربنا على الرحيل . فها هي تركتنا وغداً سيذهب صهرنا السيد أبو أحمد وسيأخذ معه البنت (نفوسه) حيث يطلبها أهلها وسنبقى وحدنا وستبقى أم راتب وحدها وليس عندها سوى (الخرسا) التي لا تسمع الجرس . كل هذا حتى تبقى لتكون نصيبك وحدك ولا تكون نصيب غيرك لانك لا شك مرضي وموفق وتستاهل هذه الجوهرة . ولا نقول جوهرة لانها ابتنا ولكننا نقول جوهرة لانها تستاهل هذا اللقب ونحمد الله تعالى لانها ذهبت الى من يقدرها ويحفظها . لان الجوهرة تبقى دائما محفوظة والحمد لله الذي اراد ان تكون نصيبك حتى تكون محفوظة . لقد توسمت الخير عندما فاتحتني بطلبها . لقد صدقتك بانتي لم أسأل عنك أحدا . سألت قلبي وعينيّ وهما قليلا ما يكذباني . قاله يهنئكما أحكما بالآخر ويوفقكما في حياتكما وأسأله ان يجعلها حياة مليئة بالسعادة لا سيما وأنكما تقدران الحياة وتفهمانها الفهم الحقيقي . وحيث ان الوقت ضيق والسيد نصوح السيوان كلمنا بالهاتف وقال اذا كانت هناك رسالة سيحضر ويأخذها لأن الطائرة ستقوم ليلا ، لذلك نأمل غض النظر بعدم اكمال هذا التحرير . ولم نكتب الى رمزية ونقول لها هذا لك وله لانكما أصبحتما جسمين بروح واحدة وسنحرر لكم بعدها خطابا آخر . قبلاتنا لوجناتكما ، الجميع بشوق حفظكما الله بحفظه ورعاكما برعايته .

السيد حكمت ورجاء اللذان سيسافران غدا الى القامشلي يهديانكما تحياتهما .

دمشق في ١٩٧٨/٢/٧

نيويورك

ولدنا طارق الشلاح وفقه الله آمين .

بعد تقبيل الوجنات ، تسلمنا تحريك المؤرخ ١٢/١/١٩٧٨ الذي شرحت به قبلك

النصائح التي كنت قدمتها لك حال وجودي في نيويورك في العام الماضي وأنت ستتابع
انهاء الاطروحة حتى حزيران القادم لذلك لا يسعنا الا أن نواصل الدعاء لك ليلا ونهارا
للوصول الى الاهداف التي تشدها ونشدها نحن والتي هي غايتنا وأملنا وامنيتنا .
ونرجع ونقول لكم جميعا اخوة وابناء عم أن تكونوا يدا واحدة مع بعضكم البعض
وأن يكن لا بد من أن تكون الاعمال فردية وجماعية . وهناك تجربة مرت معنا سابقا
حيث بدأنا العمل بدر الدين وشفيق في عام ١٩٢٨ وفي عام ١٩٢٥ اندمجنا مع اخواننا
أنور ورشاد ومحمد وبعدها في عام ١٩٤١ عدنا وانفصلنا عن بعضنا . غير أن كل هذه
الاجراءات لم تمنع من الالفة والمحبة والتكاتف .

هذا درس بسيط ، ولا ننكر أننا نحن بدر الدين وشفيق كنا على وفاق لكي
نتم هذه المرحلة الى أن نترك هذه الحياة ولكننا لا نقدر ان نفرضها على أولادنا .
لأن الحياة الاجتماعية في هذا الوقت اختلفت عن السابق كثيرا لذلك تركنا المجال
لأن يختص كل واحد بأن يعمل كما يريد وبدأ ذلك واختص راتب بعمل تحمل مسؤوليته
بالرغم من أنه قائم بأكبر قسط من أعمالنا ، ولا بد وأن يتم اختصاص لسواه لأن عملنا
أصبح محدودا بفعالية واحدة وهي محصورة ببضاعة القمر الدين وتكسير البزر
وتصديرهما وهذا العمل لا يكفي لهم جميعا وعليهم أن يخرجوا الى أعمال ثانية كما
خرجنا من مهنة وساطة بيع الفاكهة والخضار الى تجارة كبيرة واسعة ومشكلة .
ولكننا الآن لا يمكننا أن نرجع وندخل بفعاليات جديدة وأصبحت صحتنا لا تساعد
ووضعنا الاجتماعي لا يساعد والمسؤولية الملقاة على عاتقنا تجاه العائلة الكبيرة وتجاه
المجتمع ومن الواجب أن يتحمل كل واحد منكم جزءا فرديا واجتماعيا اذا أمكن . هذا
ما اردت منك الانتباه له وحتى كل واحد يعتمد على نفسه ولا يعتمد واحد على الآخر
ولا أن يعتمد علينا بعد أن تحملنا هذه الاعمال طيلة ستين عاما ، وفقكم الله لما فيه
سعادتكم في الدنيا والآخرة وحفظكم من كل سوء .

هذا ويصعب علينا أن نقول لكم أننا كنا نأمل عند عودتكم وانهاء دراستكم أن تعودوا بالتخطيط الذي هو أصل العمل وأن تأتوا لنا ببرنامج جديد للعمل بالنسبة لنا ولكم ولنغير وضعنا واعمالنا بما يتناسب مع هذا الوقت الذي تغيرت به الاعراف القديمة والخطط القديمة ولذلك نرجو أن تحققوا ذلك لمستقبلكم .

دمشق في ١٩٧٩/٤/٧

أميركا - هيوستن

ولدنا الغالي الاستاذ غياث الشلاح وفقه الله وحفظه آمين .
بعد تقبيل الوجنات استلمت تحريك المؤرخ ١٩٧٩/٣/١٦ ببالغ السرور وفيه تطمئني عن وصول رسالتي المؤرخة ١٩٧٨/١٢/٩ وتعذر عن تقصيرك ولكنني لم أنذكر أنني حررت لك اية رسالة ، ولربما بدا عندي السهو لما احمله من اعباء مع أن الكثير من الاصدقاء والاصحاب حتى الأهل ينظرون اليّ نظرة من يعيش الحياة التامة والهادئة بالوقت الذي أحمل فيه اضعاف ما يحملون . ولكن الفرق بيني وبينهم أنا رضىان بقضاء الله وقدره وهم يرون كل شيء لا يتوافق مع رغباتهم أنه (ثقل وتعب) وهذا هو الفارق . وبكل الاحوال فاني لا اغفل عندما أضع رأسي على المخدة لمدة ساعة على الاقل وأنا خجلان من الله على نعمه عليّ وعلى فضله وكرمه والصحة وحدها كافية حيث وصلنا الى سن / ٧٤ / عاما ونحن نعمل / ١٨ / ساعة يوميا بدون كلل ولا ملل . ثم محبة الناس وعطفهم عليّ . واكبر دليل على ذلك رسالتك هذه التي تركت في نفسي ثقة للعمل طالما هناك من يقدر ذلك لأن هذه الرسالة كانت بلسماً على جرح وقد جاءت لتعطيني قوة ومثابرة رغم عجزني من متاعب الناس ومشاكل الناس . الحقيقة أشرحها بدون مبالغة ولقد كبرت في نظري أكثر بكثير مما كنت أقدرك ، وهذان السطران اللذان اتيا في رسالتك هذه سأحتفظ بهما وسأعيد قراءتهما حتى أبقى مثابرا على ما أنا عليه . وما دمت تعرف وتقدر فكن على ثقة بأن لك مستقبلا زاهرا فالمثل يقول (لا يعرف الفضل الاّ ذووه) وانك من الافاضل ولو أنك لا تشعر بمكانتك الحالية ، انما هذه تنبىء عن خفايا أنت لا تشعر بها .

الخلاصة أقول شاكرا لك رسالتك مبلغا سلاماتك الى الجميع كل واحد باسمه .

بخصوص الاستاذ عاطف جمال الدين بلغوه سلاماتي . واريد ان اقول لك بانني في هذا العام لم استقر في دمشق الا القليل حيث كان عندنا عدة مؤتمرات . أولا الهند ثم الباكستان . ثم العراق . ثم دبي مرتين . ثم السعودية . اضافة الى جولة كبيرة بالسعودية والآن لدي سفرة الى طرطوس ثم الى القامشلي ومن بعدها الى تشيكوسلوفاكيا وجنيف وفي آخر الشهر سفرة الى الرباط نرجو الله ان يعطينا القوة .

واخيرا قبلاتي لوجنتيك الحلوتين سائلا المولى عز وجل ان يجعلك من الموفقين في الدراسة والاعمال وفي جميع حياتك العائلية وحفظك الله بحفظه ورعاك برعايته آمين .

دمشق في ١٩٧٩/٦/٢٠

الكويت

ولدنا عصام سلو وفقه الله آمين .

بعد تقبيل الوجنات ، سبق من يومين ان حررت لك على عجلة كلمتين بسبب ضيق الوقت لسفر والدتك وأمس تسلمنا رسالتك المؤرخة في ١٩٧٩/٦/١ وهي متأخرة وبعد قراءتها علمنا مضمونها الذي يظهر رغبتك في الزواج وانك قد اخترت زميلة لك بالدرسة وهي تليانية ، وتفيدونا ان الوقت مناسب من الناحية المادية التي لم توضحوها وهي قضية المهر وغلائه من جهة ومن ناحية العمل وانكم بدأت به واصبح هناك دخل للنفقات الزوجية ، ثم تشرحون علاقتكم معها وكذلك تشرحون معرفتكم وثقتكم بها كل هذا علمناه وعليه نعرفكم :

أولا - نحن لا يهمننا سوى راحتك وسرورك وسبق لنا ان زوجنا أخوالك وأولاد عمومهم ولكن بدون ان نغرض عليهم أي عروس بل تركنا لهم الاختيار وعلينا الوساطة فقط ودفع النفقات قبل ان يستلم أي منهم أي عمل منتج ، بل أننا ما خالصنا من نفقات الدراسة الباهظة أو حتى قبل ان نخلص الا ووافقناهم على الزواج والزوجة التي اختاروها وتحملنا بالإضافة الى ما ذكر نفقات الزوجة بالسفر اضافة لنفقات الزوج ، ثم تحملنا نفقات الفرش وليس الفرش فقط بل كذلك اعادة كسوة الدار حتى ولو كانت حالها لا بأس بها الى بورسليين جديد وأبواب جديدة . والخلاصة كل

هذا تحملناه ولا زلنا نتحمل دون كلل ولا ملل ونعمل ليلا نهارا لتأمين المصاريف التي لها أول وليس لها آخر ، ومن الطبيعي نظن أن لا أحد تحمل ما تحملناه .

ثانيا - نعود لموضوع زواجك ، نحن ليس لنا الا النصيحة وبعدها الامر عائد لك . نحن لم نر أحدا من الذين تزوجوا أجنبيات استراحوا لانهن في أول الامر يظهرن كل محاسنهن ومتى تملكن تظهر شرورهن وعندنا من الامثلة الكثير ولا يمكننا شرحها ، بل نكتفي بواحد قريب علينا درس في أميركا وأحضر معه زوجة أميركانية وأنجبت له بنتين وفي ليلة وبدون علم أحد أخذت البنتين وسافرت ولا أحد يعلم عنها شيء . ثم أنه بالشام ليست كل المهور غالية ، هناك عائلات طيبة ومهور قليلة ونتائج زواج مريحة . هذا بالاضافة الى أننا عرفناك بالتحريم الماضي أن لا تحمل هم المهر والمصروف علينا ، وبعد كل هذا الايضاح بقيت الامور معلقة بك من جهة ومعلقة بالنصيب من جهة أخرى ومعلقة بالحظ ، لذلك نحن عرفناك رأينا ولا نريد أن نجزم بعدم الموافقة وبتحريك يظهر الاصرار والاعتماد . انما نرجع ونقول الباري يختار لك ما فيه رضاه ويلهمك الصواب والحكمة ولا يتعبك أنت وأخاك وجميع المسلمين . تذكر أننا زوجنا شقيقاتك ولم نأخذ اي مهر وقبلنا أخلاق الزوج وعائلته ونحمد الله كنا موفقين بالاختيار على الرغم من أنه كان هناك من يقول أن نطلب مهورا ونعمل شروطا طويلة عريضة . هذا ما لزم ايضاحه، الباري يجعل التوفيق حليفكم جميعا ودمتم .

* * *

رحلات

إلى العالم الفسح

الرحلات

في قصص الرحلات التي خصصت لها مكانا كبيرا في هذه المذكرات اروي لابناء وطني حكاية احتكاكي لأول مرة بالعالم الفسيح خارج نطاق بلادنا العربية . وسيلاحظ القارئ الكريم اني ولو سلكت فيها سبيل السواح الذين يهمهم الاطلاع على المتاحف والاشياء الجميلة ، الا انني كنت ابحت فيها ايضا عن اشياء جديدة ومفيدة لوطني ولعملي اتعلمها واستفيد من لبابها طارحا القشور . واعتقد ان القارئ سيسليه ويمتعه ان يطير الى انحاء العالم على صفحات هذا الكتاب ، وان يرى كيف كنت استهدف معرفة البيئة التحتية للاقتصاد في المجالات التي تهمني ، بحيث كانت زيارة سوق الهال مثلا في اي بلد من اول ما افعله لارى كيف يموت العالم المتقدم بالاغذية . ان هذا القسم من المذكرات انما كتبته لاقدم صورة عن العالم من منظور عربي مؤمن يرى الحكمة ضالته ويطلبها في كل مكان ، وسترون كيف اختلفت الامور في هذه السنوات التي اربت على خمس واربعين سنة ، وكيف كان الفرنك الفرنسي آنذاك يعادل قرشا سوريا واحدا ، وليرتسا بمئة فرنك ، فسبحان مغير الاحوال ، والعبرة واضحة !

الرحلة الأولى

رحلة انكلترا وأوروبا ١٩٥٤/٦/٢٢ - ١٩٥٤/٨/٢٢

انكلترا - فرنسا - بلجيكا - هولندا - ألمانيا - سويسرا - إيطاليا

- ١ -

الى بريطانيا التي كانت صاحبة امبراطوية لا تغيب عنها الشمس

راتب وموفق في بريطانيا يدرسان هناك ، ووجودهما شجعنا على ان نقوم برحلة نزرور فيها بريطانيا وأوروبا الغربية ، الامر الذي نفكر به ونتوق اليه منذ امد بعيد . فالرحلات بالنسبة اليها فيها اشباع لرغبة حب الاستطلاع التي تأصلت في نفوسنا منذ الصغر ، وفيها ايضا توطيد لاعمالنا التجارية في البلدان التي سنزورها ، وفيها علاوة على ذلك كله اطلاع على نتائج العلوم والتقدم العلمي . فنحن نحب ان نعوض عن تحصيل علوم العصر ومعارفه بالاطلاع على النتائج التي قطف الانسان الاوربي ثمارها يانعة وراح يبدع كل ما هو جميل ومريح .

ثم ان وجود ولدينا في تلك الربوع سيجعل رحلتنا موفقة ومريحة ، اصف الى ذلك انهما سيستانسا وجودنا معهما وسيطلعان على بلاد جديدة غير البلاد التي يتلقيان تحصيلهما العالي فيها .

فلنشدد الرحال اذن ، وليهيا جوازا سفر ، ولناخذ التأشيرات من سفارات الدول التي سنزورها في رحلتنا . وهذا ما حصل وكالت رفيقتي في هذه الرحلة أم راتب .

الثلاثاء ١٩٥٤/٦/٢٢ : توجهت صباحا الى مطار دمشق في المزة وكان معي زوجتي أم راتب التي سترافقني في هذه الرحلة ، كما كان معي لوداعنا والدتي واخي شفيق . وفي المطار التقينا لقيفا من الاصدقاء المودعين اذكر منهم : الاستاذ عبدالرحمن الطباع مدير اوقاف دمشق والشيخ أبو اليسر عابدين مفتي الجمهورية العربية السورية والشيخ أحمد الدقر والمهندس خليل الفرا والسيد زكي قطننا . وفي غمرة الوداع وزحمة التعبير عن المشاعر الرقيقة التي يبديها الانسان عندما يودع اهله واصدقائه سمعت حديثا يدور بين المودعين . بناء على سؤال من الشيخ أبي اليسر عابدين والشيخ

احمد الدقروجهاء الى الاستاذ عبدالرحمن الطباع : هل صحيح ان ابا راتب سيصطحب زوجته معه في هذه الرحلة التي سيزور خلالها بلدانا متعددة في اوربا ؟! فاجابهم الاستاذ الطباع : نعم ستذهب ام راتب مع ابي راتب . وعندما لمست استغرابهما وسمعت قولهما للاستاذ الطباع : اننا لا نكاد نصدق هذا فأبو راتب حريص على التمسك بأهداب الدين الحنيف ، عندها اشتركت معهم في الحديث وكان اول ما قلته : نعم ام راتب ستكون معي في هذه الرحلة . ولما شعرت انهم يريدون الاستزادة من حديثي ليعرفوا وجهة نظري حول هذا الموضوع استرسلت في الحديث وقلت :

ما الذي يمنع من ذهابها معي وقد أعددت لها مناديل (ايشاريات) لتلبسها وتغطي شعرها ، ولباسها مستور والحمد لله ، وهي لا تسافر وحدها بل تسافر مع زوجها وهذا يوافق ما جاء في الدين الذي اشترط لسفر المرأة أن يكون معها زوج او محرم ؟ ثم انني ايها الاخوة أردت أن أعوض على أم راتب بعض ما فاتها فمند زواجنا لم نذهب الى أي مكان للنزهة او للراحة بل كان زوجها بدر الدين في صباح يوم العرس على رأس عمله في المحل يبيع الخضار والفاكهة وما اليها ، وأم راتب هي الاخرى مارست أعمالها المعتادة في صباح اليوم ذاته . وأمضت عمرها بعد ذلك بالطبخ والنفخ وغسل الملابس باليدين حيث كانت تجلس الساعات الطوال وراء طبق الغسيل . وليس هذا فحسب بل كان عليها أن تعد العجين وتشطف أرض الدار وتشارك حماماتها في اعداد الطعام كما كان عليها أيضا أن تنظف الصحون والطناجر وهذا غيظ من فيض مما كانت تقوم به أم راتب ومثيلاتها في بيت الزوجية لتكسب رضى زوجها وأهل زوجها . . انني أريد ان ارد لأم راتب بعض الجميل حتى لا تأسف على انها لم تذهب في شهر عسل . ان أخذي لها في هذه الرحلة سيرد لها بعض الاعتبار أمام اولادها وزوجات اولادها الذين سيقومون برحلات جميلة بعد زواجهم مباشرة . فسامحوني ايها الاخوة وادعوا لي بالتوفيق . . . وشعرت انهم كانوا مسرورين من حديثي وقالوا لي سافر بالسلامة .

ولما انطلقنا معاً من دمشق كان كل منا ينظر بعين الى الورااء حيث الوطن ومرايع الصبا وامجاد الآباء والاجداد ، وحيث الاهل والاحبة والاصدقاء ، وينظر بعين الى الامام حيث بلاد الحضارة ، حيث اوربا بما تحمل هذه الكلمة من سحر بالنسبة

للشركيين ، ذلك السحر الذي كان يعلق في ذهن الاوربيين عندما يذكر امامهم الشرق
او يزورون الشرق ، شرق الرشيد والمأمون ، شرق عبد الملك بن مروان ، شرق
عمر بن الخطاب ، شرق امتي العربية التي حملت مشعل الحضارة حقياً من الزمن
كانت اوربا خلالها تغط في نوم عميق !

انطلقنا بعون الله وتوفيقه ، اثنان من دمشق أبو راتب وام راتب ، وسينضم الينا
اثنان من لندن هما راتب الحبيب وموفق الحبيب ابن الحبيب .

غادرنا دمشق شاكرين للاصدقاء وداعهم ، وكانت الساعة في حدود الساعة السابعة
والنصف . وصلنا اثينا بعد مضي ثلاث ساعات وعشرين دقيقة ، ومن اثينا عاصمة
بلاد الاغريق الى روما عاصمة الاباطرة الذين ورثوا مجد اليونان وتركوا في بلاد الشرق
آثارا عظيمة ، وبعد روما يمينا وجهدنا شطر نيس فأمستردام ، وبعد أمستردام كانت
القفرة الاخيرة الى لندن عاصمة بلاد الانكليز على طائرة ذات محركين .

في مطار لندن معاملة حسنة وسرعة في انجاز المعاملات . وموظفو الامن والجمارك
قابلونا بالبشاشة والترحيب وأنجزوا معاملتنا بسرعة لا توصف ، واجتمعنا بموفق
وراتب اللذين كانا في غرفة الانتظار وقد أحضرا سيارة استأجراها لليلة واحدة ،
فحملنا عليها متاعنا الى الفندق الذي اختاره لنزلنا .

ومن الجدير بالذكر أن الجمارك البريطانية سمحت لنا بادخل علب الدخان التي
حملناها معنا على كثرتها دون ملاحظة .

ما اجمل منظر لندن ليلا من الطائرة . يخيل للناظر أنه فوق عدة مدن اتصل
بعضها ببعض ، ثم ما نحن في شوارعها والفندق ، والى القد .

في ربوع الجزر البريطانية

الاربعاء ٢٣/٦/١٩٥٤ : افتتحنا زيارتنا لثدن اليوم بزيارة بنك لويد ، ثم شاهدنا
حفلة رقص وتزلج على الجليد الاصطناعي ، وكنا بين سبعة آلاف متفرج اجتمعوا
في قاعة واسعة ليس فيها اعمدة ، اما عدد المشتركين في العرض فكان يربو على المئة .
هذه طلائع الدهشة ، ولنتابع :

الخميس ١٩٥٤/٦/٢٤ : في هذا اليوم قمنا بزيارات عمل واطلاع على معالم لندن ، وقابلنا (تايمز) من أجل القمر الدين بناء على موعد مسبق ، ودار الحديث حول هذه المادة وسواها مما تصدره الى بلاد الانكليز ، وطلب منا مزيدا من المساطر والعينات من المواد التي دار حولها الحديث . وبعد ان ودعناه قمنا بجولة على الاقدام زرنا خلالها قلب المدينة وساحة بيكاديللي وتزودنا بطعام ناكه في وجبة الفداء .

مهارة فائقة في عرض البضائع

وكان مما لفت انظارنا في جولتنا هذه مهارة التاجر اللندني في عرض البضائع في واجهات المحلات . فقد كان العرض يتغير ثلاث مرات في كل يوم ، اضافة الى ذلك ان التجار يستبدلون البضائع الشتوية بالبضائع الصيفية عندما يصبح الجو مطرا ، ثم يعيدون الكرة عندما يصحو الجو فيضعون البضائع الصيفية . ثم هم علاوة على ذلك يغيرون المعروضات تبعا لحركة مرور الناس التي تتغير بين اول النهار وآخره . فالبضائع موجهة الى المارة دائما ولا تحوي الواجهات الا ما يلائم الطقس السائد والوقت .

الى السفارة السورية / معرض الشمع / هایدبارك

وفي الخامسة من بعد ظهر هذا اليوم زرنا السفارة السورية بلندن حيث استقبلنا فائز بك الخوري ورفقته الشاعر الاستاذ نزار القباني الذي كان يعمل في السلك الدبلوماسي السوري آنذاك ، وكانت مقابلة لطيفة ملأى بالحفاوة اعادت الينا بخو دمشق المحبب ونحن في قلب العاصمة البريطانية .

وبعد زيارة السفارة السورية ذهبنا الى معرض الشمع الذي يضم تماثيل لعظماء بريطانيا وأوروبا والعالم منذ عدة قرون ، وهذه التماثيل مصنوعة من الشمع ويانصحم الطبيعي لاصحابها وقد صممت بمهارة ودقة وذوق فترى صاحب التمثال امامك جالسا او واقفا وكأنه حي ويكاد ينطق بالكلام . وفي هذا المعرض مشاهير في الجوانب الطبيعية ، ولقد ترى بينهم بعض المجرمين ممن يتذاكر الناس أسماءهم ، فالجولة في المعرض جولة في التاريخ ، وتصاحب هذه التماثيل والاجواء اضاءة مناسبة تتراوح بين البهجة والرهبة ، فمرة يحس الانسان فيها انه في قمة الفرح

مع الفرحين ، ومرة يكاد ينخلع قلبه من الخوف . معرض عجيب ، ولا أعتقد أن انسانا زار لندن ولم يجعله في مقدمة ما يحب أن يراه ، فلقد طارت شهرته في الآفاق ، وهو منسوب الى سيدة فرنسية اسمها مدام توسو ، هي التي بدأت المعرض ثم صار بعد وفاتها في أيدي فنانيين آخرين يبدلون الشخصيات او بالاحرى يضيفون اليها من اشتهروا من جديد .

وبعد ان خرجنا واسترحنا قليلا في حديقة (ريجنت بارك) انتقلنا الى حديقة اخرى كبيرة وشهيرة في العالم بأسره هي حديقة (هايدبارك) . مساحتها هائلة وتعادل خمسة عشر الف دونم ، والناس يزورونها بكثرة ، ولكن شهرتها التي ميزتها عن سائر حدائق لندن الاخرى الواسعة انها تعتبر منبرا حرا لكل من يريد الكلام عن قضايا بريطانيا والعالم بأسره ، فلا يعارض المتكلم احد ولا يمنعه من الكلام احد ويقول ما يريد بحرية كاملة ، ولقد تجري مناقشة بينه وبين من يستمعون اليه ، والمنافشون احرار فيما يقولون ، وكل ذلك يجري على مسمع ومرأى من الحكومة البريطانية التي تراقب ولا تتدخل ولا تحاول أن تمنع احدا من الكلام !

وكانت زيارة هذه الحديقة الشهيرة ، والتي كانت انبأؤها تصل اليينا ونحن في دمشق ، ختاماً طيباً ولطيفاً لهذا اليوم الثاني من ايام الزيارة الانكليزية !

الى اوكسفورد

الجمعة ١٩٥٤/٦/٢٥ : وقد بدانا بعد ذلك بزيارة اوكسفورد حيث يدرس راتب في اعرق جامعات بريطانيا واكثرها شهرة في العالم كله . وكان راتب قد توجه لاستلام سيارة جديدة من (كنز) اشتريناها لنستعملها في رحلتنا في بريطانيا وأوروبا ، وذهبت انا وموفق الى بيكاديلي للتسوق ، وفي مدى ثلاث دقائق فقط حصلنا على شهادة سوق دولية ، ثم وضعنا بعض الرسائل في البريد . ومن ثم راجعنا مؤسسة A. A. السياحية واشتركنا في رحلتها ، وهي مؤسسة تخدم زوار بريطانيا وأوروبا تندم لهم الخرائط والمعلومات وتعطيهم ارشادات بشأن الطرق والمدن والفنادق . ان لهذه المؤسسة صناديق موزعة على اطراف الطرقات العامة المنتشرة في طول البلاد وعرضها وحين يفتحها المشترك يتصل بالمؤسسة فترسل اليه في الحال شخصا يمتطي دراجة

نارية يسعف طلبه وينصرف . ولذلك فقد اشتركنا بهذا ودفعنا في ذلك مبلغا زهيدا اذا قيس بالخدمات التي تقدمها واخذنا مفتاحا لاي واحد من هذه الصناديق .

ثم عدنا الى الفندق واجتمعنا براتب وتناولنا غداء تركيا دسما كان من اطباقه الفاصوليا والرز وتوابهما . وبعد ذلك استلمنا السيارة التي اشتريناها فשמعنا ان بها خلاا فرددناها الى البائع الذي وعد باصلاح الخلل خلال ساعتين . ولكن لما كنا ~~هنا~~ امتعنا ولا وقت لدينا فقد قدم لنا سيارة على سبيل الاعارة وبلا مقابل لنتم بها جولتنا التي تستغرق خمسة ايام تقطع خلالها ٥٥٢ ميلا على ان نعود بها فنجد سيارتنا جاهزة .

وقد توجهنا فعلا الى اوكسفورد آخذين طريقا غارقا في الخضرة والمناظر الخلابة، فوصلناها في الساعة الثامنة . وكانت جولة في الكلية التي يدرس فيها راتب ، وهي واحدة من ست وعشرين كلية تتألف منها جامعة اوكسفورد ، وهذه الكلية مكونة من ابنية متعددة تفصل بينها حدائق مكسوة بالخضرة ومزدانة بأجمل انواع الزهور والورود . وقد زرنا شقة راتب المؤلفة من غرفة للنوم واخرى للمطالعة والاستقبال وهي مجهزة بالثدفة المركزية وتضم احسن المفروشات . وانتهى بذلك يوم حافل جميل ومتع .

اوكسفورد - المدينة وضواحيها

السبت ١٩٥٤/٦/٢٦ : بدأ يومنا بزيارة قام بها الدكتور مصطفى البارودي ، وكنا امس زرناه قبل ان نلجأ الى فندقنا . وقد جاء يدعونا لطعام الغداء ولكننا اعتذرنا وذهبنا لزيارة قصر بلنهام وهو قصر جد تشرشل دوق مابرا . في هذا القصر ولد تشرشل السياسي البريطاني المشهور ورئيس وزراء بريطانيا خلال الحرب العالمية الثانية ، وتحيط به حدائق واسعة تتراوح مساحتها بين عشرة آلاف دونم وخمسة عشر ألفا ، وفيه بحيرة كبيرة . وكانت عائلة تشرشل تسكن في قسم من هذا القصر في حين خصص القسم الآخر للزوار . والزائر يدفع لدخول القصر مبلغا من المال ، فيرى فيه القاعات الفخمة المختلفة . وقد احتفظ به الانكليز ضمن خططهم في المحافظة على تراثهم وتقاليدهم التي لا يتخلون عنها الا في النادر وبصعوبة بالغة . ويقع هذا القصر في قرية تبعد عن اوكسفورد مسافة عشرة أميال .

أخذنا في القصر صوراً تذكارية ثم غادرناه وتناولنا طعام الغداء في مطعم القرية نفسها ، وهو مطعم غاية في الجمال والنظافة وحسن الترتيب ، وصحبنا في غدائنا الدكتور البارودي . ثم عدنا ادراجنا الى اوكسفورد المدينة حيث اخذ راتب ما يلزمه من حاجات وكتب وترك ما لا يريد في الكلية . وبعد ان اخذنا صوراً تذكارية اخذنا السيارة متجهين الى مانشستر حيث يدرس موفق . وكان الطريق اليها يضم المزارع العديدة ، ويميزه النظام والجمال الأخاذ ، فضلا عن الانتاج الضخم ، وان الريف هنا يعيش أهله كما يعيش أهل المدن تماما .

بعد أن غادرنا مدينة اوكسفورد وقطعنا ١٥٣ ميلا وصلنا الى قرية اسمها (وورنتون) ونزلنا في فندق (هلكف) وهو معتدل الاجرة بالنسبة لفنادق مدينة لندن فلا تزيد اجرة مبيت الشخص على ١٨ شلن بينما يتقاضى فندق لندن عشرين ، علماً أن فندق وورنتون أجمل وأنظف وأحسن فرشاً ، وهو هادئ تحيط به حديقة كبيرة .

والطريق بين اوكسفورد وورنتون جميل يأخذ الالباب بخضرتة التي تفرع الطريق كله وتتجلى في الغابات والحدايق والمزارع والقرى التي يتصل بعضها ببعض حتى خيل الينا أننا مررنا بقرية واحدة . وكان لباس الناس الذين شهدناهم متشابهاً ولا يفترق عن لباس اللندنيين ، وقل الشيء نفسه عن العادات والاخلاق وتربية الاولاد والتنظيم والحياة حتى اشعرنا كل ذلك بأننا نعيش في امتداد حقيقي للندن العاصمة . ولا يعني هنا الا ان اتحدث عن الشرطي ولطفه اذ يتقدم اليك ويقف امامك باحترام حتى تنتهي من سؤالك واخذ الجواب ثم يودعك شاكراً ، وهذا السلوك عينه تجده لدى أفراد الشعب كلهم ، فكلهم يجيبونك باحترام وينصرفون باحترام بعد أن يذكروا لك ما طلبت .

الحليب والمزارع

ان تصرفات الناس دليل على طبائعهم وكذلك اعمالهم وما يتحلون به من اخلاق . وهذا ما لاحظناه في قرى بريطانيا والريف البريطاني بين اوكسفورد وورنتون . فبالاضافة الى ما ذكرناه آنفاً يلاحظ الزائر الثقة المتبادلة بين المنتج ومن يبيعون له انتاجه او يصنعه . فعلم الحليب توضع الى جانب الطريق العام بانتظار السيارة

التي تجمع هذه العلب وتأخذها الى العمل حيث تصنع وتوزع على المستهلكين ، وكل علبة تحمل اسم صاحبها بطبيعة الحال ومقدار ما تحويه من الحليب .

اما الطرق فهي مفروشة بزفت ناعم . وعلى جوانبها الاشارات ترشدك الى المنحدرات والمرتفعات ومفارق الطرق ، وبعض الارشادات مدونة على الارض بالدهان الابيض وبخط واضح مقروء . وبعض الطرق ضيقة لا تسع أكثر من سيارتين واحدة للذهاب واحدة للاياب ، وهي مقسومة الى قسمين بخط ابيض مقطوع مرسوم في منتصف الطريق كما توجد مسامير معدنية تضيء كما لو كانت مصابيح كهربائية . فلا يضل في هذه الطرق حتى النريف لانها مرصمة وكل قرية او بلدة يوجد اسهم تدل على الدرب اليها كما تعطيك اللوحات مقدار بعدها عن الطريق العام .

العناية بالسائقين وتدريبهم

ان السائق الجديد هنا يعطى شهادة موفقة ولا يسوق سيارة الا اذا كان الى جانبه سائق متمرن منذ أكثر من سنتين . ويضع السائق الجديد على مؤخره سيارته لوحه تحمل عبارة (سائق متمرن) ليأخذ من ورائه حذره منه .

في ربوع مانشستر ، مدينة الصناعة

الأحد ٢٧/٦/١٩٥٤ : وصلنا مانشستر بعد ان قطعنا طريقا طافحة بالقرى الخضراء المتصلة حتى لكأنا في قرية واحدة ، وقد لفت نظرنا لوحه ترحب بالزائرين تحمل العبارة التالية : (أهلا بالزائر . كان عدد ضحايا الدهس عام ١٩٥٣ ثلاثة أشخاص فقط . حاول ان تقلل هذا العدد) .

اخترقنا شوارع مانشستر مارين بساحة بيكاديللي وطريق اوكسفورد وشارع البنوك والتجارة ، ومررنا امام جامعة موفق ولكننا لم نرها لانها كانت مغلقة بسبب العطلة ويوم الاحد حيث لا يوجد فيها احد . والجامعة مؤلفة من عدة ابنية ، ومباني المدينة مغطاة بفلالة سوداء من دخان المعامل كما هو الحال في أغلب مباني لندن . ذهبنا الى غرفة موفق وتقع في ضاحية تبعد سبعة اميال عن الجامعة . وخلال السير على الطريق العام اسرع موفق في قيادتها فارتفعت السرعة الى خمسة وثلاثين ميلا أي بزيادة خمسة اميال عما هو مقرر ، وقد نبهنا راتب بالأسرع ولكن ما أن

نزلنا من السيارة حتى وقف شرطي أمام سيارتنا وكان يلاحقنا طول الطريق . طلب الأوراق ، وما ان وقعت عينه على الورقة المثبتة على السيارة والتي تشير الى أننا زوار نمضي بعض الوقت في بريطانيا حتى قال : انكم اسرعتم وانا اتابعكم منذ مدة ، لكن لانكم زوار اسامحكم على ألا تعودوا للسرعة مرة ثانية ، ثم ودعنا بلطف فشكرناه ووعدناه بما طلب .

ألقينا عصا التسيار في غرفة موفق وكانت الدار فيها ست غرف واحدة منها للاكل والجلوس وواحدة لسكن صاحبة الدار وأربع مؤجرة منها غرفة موفق وأجرتها ستة جنيهات شهريا . وقد سألت صاحبة الدار عن مقدار الضريبة التي تدفعها للدولة فقالت ستة وثلاثين جنيها سنويا من أصل دخل يبلغ سبعمائة وعشرين . والدار مساحتها خمسة وسبعون مترا .

زيارة سورين وعسد من الأقرباء

بقينا قليلا في غرفة موفق ثم ذهبنا لزيارة صديق له هو السيد عبد العزيز مراد من زملائه في الجامعة وهو يقيم في دار شقيقه التاجر السوري السيد عبد المجيد مراد صهر السيد عبد الكريم السقا شريك السيد وجيه القتابي . وقد سررنا بهذه الزيارة التي جمعتنا بمواطنين من دمشق الحبيبة ونحن في بلاد بعيدة عن الوطن والأهل والأحبة والأصدقاء . وقد استقبلنا القوم بترحيب وقدموا لنا الشاي والقهوة والرز بحليب والاجاص والموز ، فيما سلام ما أجمل هذه الزيارة التي حملتنا على أجنحة الخيال الى الشام وعادات أهل الشام وماكل أهل الشام . وتركنا عند آل مراد بعض حوائجنا كما طلبنا من السيد عبد المجيد أن يرشدنا الى دار صبري الشلاح ، فذهب معنا واستقبلنا السيد صبري وهو رجل مهيب يبلغ الستين من عمره وكان في استقبالنا أيضا شقيقه الذي يناهز عمره الخمسين ، ومعه ابن شقيقه السيد منير الشلاح . وللسيد صبري محل في مانشستر له فرع في أفريقيا وهو رجل أعمال احواله ممتازة وسمعته طيبة . ووالد منير الشلاح هو الحاج عبود وله محل في بيروت . وسألنا السيد صبري عن صلته بعائلتنا فأجاب أن والده عندما كانوا في بيروت قبل الحرب العالمية الاولى كان ينظر الى البضائع التي تحمل اسم والدنا ويقول ان هذه بضائع آل الشلاح المقيمين في دمشق وظهر لي من حديثه أن والدته جده من

آل السلاح وجده تربى في بيت أخواله آل السلاح ومن هنا حمل اسمهم . أما كنيته
الاصلية فهي (القبايبي) . وقد سررنا بهذه الزيارة أيضا .

وسألت السيد صبري السلاح عن الغني المشهور السيد ناعوره الذي ترك منذ عام
وصية خصص فيها مبالغ من ثروته لعمال الخير في دمشق ومنها ما هو مخصص
للمدارس ، وكان بين المكلفين بتنفيذ الوصية السيد صبري نفسه ، فأجابني ان المعاملات
لم تنته بعد وعندما تتم سيخصص مبلغ لا بأس به لمدرسة الاسعاف الخيري .

وأراد مضيفونا أن نبيت عندهم ولكننا اعتذرنا وعدنا الى دار السيد مراد لنودعه
ولكنه أصر على أن ندخل ونبقى ، ولكننا بعد أن استرحنا غادرنا الدار . والسيد
عبد المجيد مراد شاب لطيف يبلغ من العمر ستة وعشرين عاما هبط مانشستر منذ
ست سنوات ووفق في أعماله توفيقا كبيرا ، وعلمنا ان الدار التي يسكنها ملكه وقد
اشتراها بأربعة آلاف جنيه استرليني ، وهي خمس غرف تشغل مئة متر وحولها
حديقة مساحتها ستمئة متر ويدفع عنها ضريبة ستة وأربعين جنيها عن البناء
وأتنين وعشرين عن الحديقة . ووالد السيد عبد المجيد هو الشيخ صالح . وقد
التقينا عند السيد عبد المجيد بالسيد نصوح شحادة نجل السيد نعيم شحادة ،
والسيد نصوح يدرس في كلية التجارة في جامعة مانشستر .

الى شمالي بريطانيا ومنطقة البحيرات

وبعد وداع الجميع أخذنا سيارتنا وقصدنا الى (وندرمير) وهي إحدى مناطق
البحيرات الشهيرة في الشمال البريطاني حيث المناظر الطبيعية الخلابة . ان مانشستر
تبعد عن لندن ثلاثمائة وخمسة عشر ميلا ، وفي كل هذه المسافة يلفت النظر نظافة
الطريق وحسن العناية بها فكانها من شوارع المدن ، وتفرض على كل انسان يلقى
اوساخا في الشارع غرامة قدرها خمسة جنيهات . والسائقون يحترمون قواعد السير
وعند تجاوز أحدهم الآخر يتبادلان التحية ، وفي جميع هذه الطرق لا يسمع منبه
الصوت (الزمور) لأن الشوارع خالية من المارة ، والمشاة لا ينتقلون من رصيف
الى آخر الا من مناطق مخصصة مؤشرة يتوقف عندها السير حتى يمروا جميعا .
ولفت نظرنا في كل مكان عدم وجود الصغار مع الكبار عندما يقوم هؤلاء بزيارات أو

يذهبون الى السينما والمسارح كما لم نشاهد صغارا على الارصفة امام الدور .
وتنا في كل تنقلاتنا نشعر بوجود منظمة A.A معنا بواسطة مندوبيها الكثيرين
الذين يرتدون لباسا خاصا يحمل شعار المؤسسة تطلبهم فتجدهم يلبون طلبك باحترام
ثم ينصرف واحد منهم دون اي تأفف أو انزعاج . وقد مررنا في طريقنا من مانشستر الى
وندرمير وطوله خمسة وثمانون ميلا بقرى عديدة متناثرة على طول المسافة منها بلدة
بريستون وفيها بناء حديث وشوارع عريضة ثم بلدة لانكشر وبلدة كندن وهي
مسنه حتى يخيل اليك انها بلدة واحدة . وجميعها مناطق صناعية يلفت انتباهك
فيها نبرد المداخن وعرفنا ان فيها العديد من المناجم .

وندرمير

وصلنا الى وندرمير وهي مدينة سياحة واصطياف ومنتجع لافراد الطبقة العالية ،
ونزلنا في فندق كبير يقع على رابية تطل على البحيرة الكبرى وهو محاط بحدائق
واسعة مزينة بكل انواع الزهور والورود . وعلى صفحة الماء في البحيرة انتشرت
مئات الزوارق والبواخر الصغيرة والقوارب التجارية . وقد تناولنا طعام العشاء
بشهيته ثم نمنا وقد بلغت الساعة الثانية عشرة ليلا .

الاثنين ٢٨/٦/١٩٥٤ : تناولنا الفطور في التاسعة صباحا وجلسنا في القاعة الكبيرة
وامامنا مناظر طبيعية خلابة وحررت عددا من الرسائل في حين نزل ولدانا الى المدينة
واتصلا بلندن من اجل السيارة المشتراة كما نظما مواعيد زيارتنا المقبلة وحجزا ما يلزم
من اجلها واشترى بعض الحاجات وسحبا مبلغا من فرع بنك لويد في المدينة . ولما عادا
حاسبنا الفندق ودفعنا ثلاثين شلنا وأخذنا صورة تذكارية في الحدائق الجميلة ، ثم
ذهبنا بالسيارة الى قرب البحيرة واستأجرنا قاربا بخاريا دفعنا من اجله شلنين عن
كل شخص لمدة اربعين دقيقة ، وهذا ما سمح لنا بتسجيل شريط حوى لقطات
رائعة لما يحيط بالبحيرة من هضاب وجبال وغابات ، وخرجنا من البحيرة والنفوس
تواقة الى البقاء .

وفي بقعة جميلة فردنا زادنا من اللحم والجبن والخبز والمخلل والتهمنا بشهيته
كل ما معنا من زاد دون ان نشعر بالشبع . وقد قلت للشباب مداعبا اذا كان قصدكم من

شراء الطعام التوفير فان تناوله في منطفة جميلة (يخرب البيت) ! واذا استمر
اكلنا على هذه الوتيرة فسينفذ الاعتماد في منتصف الرحلة فنسرع الى اقرب مطار
لناخذ طائرة توصلنا الى دمشق ، وكانت ضحكة عامة .

(ليدز) مدينة الجوخ

وغادرنا وندرمير متوجهين الى (ليدز) المدينة المشهورة بصناعة الجوخ للاطلاع
على معالمها وزيارة صديق فيها كان زارنا في دمشق ، وعندما علم بوصولنا الى لندن
هنأنا بسلامة الوصول ورحب بنا ، وهو المستر ويبستر رجل الاعمال وصاحب
معامل جوخ في ليدز . وقد قطعنا مسافة مئة ميل ومررنا بمدن وقرى عديدة يصح
في وصفها ما قدمناه من وصف الطرقات والقرى والبلدان . ومدينة ليدز تشتهر
بصناعة الصوف والجوخ وفيها ترام كهربائي عرباته من طابقين ، وعدد سكان المدينة
يقارب سبعمائة وخمسين ألف نسمة وفيها ما بين سبعمائة وثمانئة معمل جوخ
في اقل تقدير .

وصلنا هذه المدينة الصناعية وكان السيد ويبستر قد حجز لنا مسبقا في
فندق الملكة وهو فندق فخم يقع في وسط المدينة فيه عشرة طوابق وما يقرب من
ستمئة سرير ، ويضم ردهات كبيرة ولا سيما قاعة الطعام . حططنا رحالنا في الفندق
وبعد الاستراحة توجهنا الى دار المستر ويبستر وتبعد ستة أميال عن الفندق
فوجدناه ينتظرنا امام الدار مع زوجته الالمانية الاصل . والدار تقع في حي
حديث يتربع على هضبة وتخرقه شوارع عريضة . وقد دخلنا البيت وكان موقد
الفحم يبت الدفء في غرفة الاستقبال ومكثنا ساعة ، وقد أبدوا أسفهم لاننا لم نبق
في منطقة البحيرات سوى يوم واحد وقالوا أنه كان علينا البقاء خمسة عشر يوما .

وقد كنا نود ان نطيل الزيارة لولا أنه كان وقع حادث مؤسف لابن المستر ويبستر
الوحيد البالغ العشرين فقد تعرض وهو في سيارته الى حادث أدى الى كسر ظهره
ويده وكان لا يزال في المستشفى ، ومع ذلك فقد أبدى والداه كل ترحيب بنا ولم
تفارق الابتسامة وجهيهما وكأن شيئا لم يقع . وقد زاد من أسفنا أن ابنيهما رفيق
راتب في مدرسة بمدينة نيويورك .

وبعد أن قمنا بجولة في المدينة عدنا الى الفندق ، وأغضضنا أعيننا نستقبل النوم عندما كانت الساعة تدق اثنتي عشرة دقة .

الثلاثاء ٢٩/٦/١٩٥٤ : فطورنا كان في التاسعة ، وفي العاشرة حضر المستر ويبستر فصحناه الى محل تهيئة البضائع للشحن ، وعلما أنه ينتج يوميا ألف متر جوخ . وبعد محل الشحن زرنا أحد معامله ويبعد عن المدينة اثنين وعشرين ميلا واطلعنا على العمل فيه ، ثم توجهنا الى مدينة يورك حيث مدرسة راتب الاولى (بوزم) .

والذي يلفت الانتباه في مدينة ليدز كثرة صناديق البريد التي تفتح عدة مرات في اليوم بواسطة سيارات خاصة لجمع الرسائل وتسييرها . كما لا يمكن اهمال الحديث عن البناء المستمر في المدينة والمنطقة حيث يبنى في كل عام بين مائتي الف وثلاثمائة الف منزل على يد شركات خاصة تباع بالتقسيط أو على يد البلديات التي تؤجره للطبقات الفقيرة بأجر يتناسب ودخلها . فالدار ذات الاربع غرف تؤجر بجنيه واحد . وتعتمد مواد البناء في الدرجة الاولى على مواد البيئة كالأجر وتسقف بالقرميد، اما المباني التجارية فتكون من هيكل حديدي يكسى بالأجر أو الحجر ويسقف بالأجر . والبيوت كلها متساوية لا يكاد احدها يختلف الا بأشياء لا تذكر ، وتقوم بالبناء آلات ضخمة .

المواصلات

وتتم المواصلات بين المدن والقرى بواسطة القطارات الكثيرة المنتظمة لأن السكك تصل الى كل مدينة وقرية . اما في داخل المدن فتؤمنها سيارات عامة بعضها يسير بالبنزين وبعض بالكهرباء وهي ذات طابقين . وثمان البنزين ضعف ثمنه في سورية والصفحة تباع بثماني ليرات سورية أي ما يعادلها ويختلف السعر حسب نقاء البنزين . ومواقف السيارات داخل المدن مرتبة بعناية فائقة ، وهناك أماكن لوضع السيارات الخاصة لقاء أجور تدفع للبلدية .

الجمو الماطر

ويلاحظ الزائر للجزر البريطانية أينما ذهب أن الجو ماطر في أغلب الأحيان ، ولكن من حسن حظنا لم تمطر في مدة وجودنا الا يومين .

اليهود في ليدز

ولاحظنا اثناء زيارتنا لمدينة ليدز ، مدينة الجوخ والصناعة والتجارة ، أن اليهود موجودون بكثرة فيها وهم اصحاب اعمال في المدينة وما يحيط بها .

ولما دخلنا الى المصرف في مدينة ليدز حوالي الساعة الواحدة لسحب بعض الدراهم من اصل حسابنا في البنك الرئيسي في لندن استقبلنا الموظف المختص بشؤون ما وراء البحار ببشاشة وترحيب واتصل مع الفرع الرئيسي في لندن وتلقى الجواب فورا ودفع لنا ما نطلب . والبنوك لا تغلق ابوابها عند الظهيرة في وقت الراحة وتناول الطعام ولكن يبقى فيها من يسير اعمال الناس حتى لا ينتظروا امتحان الابواب مساء . وقد سألنا الموظف عن فئات العملة التي نرغب الحصول عليها فإفدناه بأننا نرغب في فئة الخمسة جنيهات فأحضر لنا ما طلبنا وشكرناه وانصرفنا .

تركنا ليدز متوجهين الى يورك سالكين طريقا عريضة مزدوجة في أغلب اقسامها وما بين المسيرين حديقة ضيقة جميلة ترافقنا كل الطريق وعلى جانبي الطريق أرصفة للمارة وطريق خاصة للدراجات . ومع أن المسافة طويلة فكل هذه الترتيبات موجودة ، وتخترق أرضا زراعية تكثر فيها الاشجار وتمتد أربعة وأربعين ميلا . وقد تناولنا الفداء في هذا الطريق الجميل .

ثم لما وصلنا الى مدينة يورك القديمة رأيناها محاطة بسور قديم له ابواب تشبه ابواب دمشق الانرية . وفي يورك كنيسة اثرية تعتبر الثانية في بريطانيا من حيث القدم ، وقد علمنا أن مئتي الف جنيه رصدت لاصلاحها ، كما توجد في المدينة متاحف كثيرة احدها متحف يضم وسائل النقل القديمة من سيارات وطنابر .

وتمتاز يورك بكثرة حدائقها التي نسقت تنسيقا بديعا وحوت أجمل أنواع الزهور . وقد زرنا في هذه المدينة مدرسة راتب الاولى (بوزم) واستقبلنا فيها الرئيس بحفاوة بالفة ومن حوله الاساندة . وطفنا في أرجائها المؤلفة من عدة مباني فخمة وحدائق واسعة وملاعب كثيرة ومسبح .

وفي مدينة يورك تمثال لرجل قدره قومه لانه جعل مدينة يورك ملتقى طرق القطارات في الشمال الانكليزي .

في بلدة هيسيل وزيارة أسرة أنكليزية

تركنا مدينة يورك بفسميها القديم الذي يحمل عقب التاريخ الانكليزي وقسمها الحديث الذي يدل على مدى تقدم القوم وعنايتهم بمدنهم وطرقاتهم وشوارعهم ، وذهبنا الى مدينة هيسيل القريبة من مدينه هل حيث تقع الجامعة التي درس فيها راتب سنة واحدة قبل انتقاله الى جامعة اوكسفورد .

وفي هيسيل زرنا أسرة انكليزية صديقة هي أسرة هورسلي فاستقبلونا من مدخل الحديقه . والسيد هورسلي كتب اجتمعنا به في اوكسفورد ورحب بنا ودعانا الى زيارته ، وهو يحمل لقب (شريف) اي رئيس عمده ، وله كرسي نائب رئيس في المحافظة كما له لباس خاص واوسمة ، وهو من الاغنياء المشهورين في المنطقة وصاحب معامل حليب وشوكولا وعصير برتقال ، وقد تخرج من اوكسفورد . ولهذا السيد زوجة وثلاثة اولاد ذكور وبنتان وهما الكبيرتان ، وتخدم الاسرة خادمتان المانيتان . رأينا الدار غاية في التنظيم والاناقة . فالحديقة واسعة وفيها ملعب تنس ومسبح وصالة لعب وغرفتان لتغيير الملابس ، وفيها شقة منفصلة يقطنها الخدم ومرآب لسيارات الاسرة وهي اربع للزوج وزوجته وبنتيه . وفي الحديقة قطع متجاورة بل قولوا انها حدائق متعددة للازهار المتنوعة متصل بعضها ببعض وفيها أقسام للخضار والبقول واخرى للاشجار المثمرة . وتحيط بالحديقة بكاملها اشجار الدلب العالية . ولاحظنا ان الانكليز يعتنون بتربية الكلاب وأسرة هورسلي عندها كلبان .

دلفنا الى غرفة الجلوس وبعد ان نلنا قسطا من الراحة واحتسى كل منا فنجانا من القهوة ارتدى راتب لباس لعبة التنس وفعل فعله رب الاسرة وبناته وزوجته وانطلقنا جميعا الى الملعب حيث لعب الجميع لمدة ساعة ، وفي اثنائها تركنا صاحب الدار لانه كان مرتبطا بموعد لحضور اجتماع عام في البلدية . وبعد اللعب تجولنا في الحديقة واخذنا صورا للتذكار ، ثم عدنا الى الدار وجلسنا مع افراد الاسرة بعد ان استحموا وبدلوا ملابسهم بأخرى .

ضوء على تربية الاولاد في الاسرة الانكليزية وبعض عاداتها

لاحظنا خلال جلوسنا ان الاولاد عادوا من مدارسهم فحيوا والدتهم وشقيقتيه

وذهب كل منهم لوضع حوائجه في المكان المخصص لها ، ثم امتطى كل منهم دراجته ومضوا الى الحديقة يذرعونها مرات عديدة وعادوا ونحن على مائدة العشاء ، فعاتبتهم اهمهم لانهم تأخروا عشر دقائق عن الموعد المضروب للعشاء ، واعتذروا . وكان العشاء مؤلفا من دجاج وبطاطا مع الكريمة وخس وجزر وفجل وبصل أخضر ، ثم نوع من الكاتو ، وبعد ذلك قدمت لنا القهوة في غرفة الجلوس حيث تجاذبنا اطراف الحديث حتى التاسعة .

وهنا حضر الاولاد لابسين مناماتهم فحيونا وحيوا اهمهم . وكانت اهمهم توزع علينا في هذه الاثناء قطعة من الشوكولاته السويسرية فطلبوا ان يشملهم التوزيع من هذه الحلوى الشهية ولكنها سالتهم : هل نظفتم اسنانكم بالفرشاة ؟ قالوا نعم فأجابتهم الام اذن لا نصيب لكم اليوم فلما الحوا أعطتهم ولكن اشترطت ان يبقوها الى الغد فوافقوا واخذ كل منهم قطعة احتفظ بها لتكون بين طعامه في اليوم التالي .

قدمت الام لنا لفائف تبغ أعطتني واحدة وكانت احدى البنات خلف امها فلم تنتبه اليها ولما انتبهت اعتذرت منها وقدمت لها لفافة ، وجلسنا ندخن ونسمر . وسألنا الام عن الموعد الذي نحب ان نستيقظ به صباحا وعن ساعة الافطار وعما نحب ان نأكله في الصباح ثم في وجبة الفداء ، فأجبتنا ، ولكنها رجتنا ان نقدم موعد الافطار من التاسعة الى الثامنة لتتمكن من زيارة معاملهم التي تبعد عن الدار عدة اميال .

وفي العاشرة عاد صاحب الدار ومعه احد شركائه تصحبه زوجته ، وهذا الشريك من اغنياء المنطقة وله دار أفخم من دار السيد هورسلي ، وقد اشتركتنا في السمر حتى الحادية عشرة ليلا حيث اعتذر الشريك وزوجته .

وكان مما لفت نظرنا ان رب الاسرة الشريف هورسلي عندما عاد وجلس يسمر معنا قمام من بيننا واشتغل نصف ساعة بحيائة سجادة جميلة من اجل ان يقدمها هدية لابنته الكبيرة المخطوبة لمناسبة زفافها ، وهو يثابر على هذا العمل نصف ساعة في كل سهرة . ثم اخبرنا ان السجادة الكبرى المدودة في غرفة الاستقبال هي من صنع يديه وهذه من عاداتهم .

كما لاحظنا ان الخدم جلسوا معنا على المائدة وقدمت لهم ربة الاسرة الطعام

كما قدمته لنا ، وشاركونا كذلك في غرفة الاستقبال فجالسونا حتى العاشرة ثم استأذنوا وسلموا علينا وذهبوا للنوم .

وفي الحادية عشرة والثلاثين دقيقة طلبنا أن ننام فلبوا رغبتنا وسعدوا بنا الى غرفتنا وعندما فتحنا الحقائب تذكرنا قطعة البروكار الدمشقية فذهب راتب بها وقدمها لهم فسروا بها كثيرا وكاننا قدمنا لهم معملا كاملا . وكنا قدمنا لهم من قبل علبة موزايك فيها مريبات شامية نفخر بها وبانتاجها ، وكانت دائما بين هدايانا لمعارفنا واصدقائنا على اختلاف مراتبهم ودرجاتهم وجنسياتهم ، كما قدمنا لهم قطعة من القمر الدين بالسكر ، فلاقت القبول والاعجاب .

واذكر بهذه المناسبة أن راتب وموفق لهما معارف واصدقاء كثيرون من الانكليز ومن سواهم وحيثما ذهبا وكانا معنا كنا نسمع عبارات الترحيب بهما والثناء عليهما ونلاحظ المحبة والالفة التي تربطهما أحدهما بالآخر وتجعل منهما شخصا واحدا وافادنا وجودهما كثيرا ، وأقول أن الرحلة لولاهما ما كانت تنجح .

واسلمنا اجفاننا للكرى على الفرش الوثيرة ولم نستيقظ الا في السابعة من اليوم التالي .

الأربعاء ١٩٥٤/٦/٣٠ : كانت جلسة الصباح امام نافذة تطل على مناظر اخاذة بجمالها ، فعاد بنا الخيال الى الشام وأهلها وتمنينا لو أن احبابنا كانوا معنا في هذه الصبيحة الجميلة والرحلة برمتها .

وهنا خطرت ببالنا قضية مكتب القطع والمنح التي كان يمنحها للطلاب فقطعها وزير المالية السوري آنذاك وهو تدبير خاطيء ، اذ المفروض أن تستمر هذه المنح ليتمكن طلابنا من اتمام دراستهم في هذه البلاد ويطلعوا على وجوه التقدم فيها ليعودوا مزودين بما يخدم امتهم ووطنهم ويعلمو ببناء التقدم والنشاط والحيوية في أرجاء وطننا الحبيب .

نزلنا بعد ذلك الى غرفة الطعام في الموعد الذي ضرب لنا ليلة الامس ، وتناولناه مع صاحبة الدار لاننا على موعد لزيارة نقوم بها لمعامل السيد هورسلي ، وتركت الحرية لموفق وأم راتب ليقتضيا وقتها كما يشاءان . وكان مما لاحظته على الافطار وجود العسل الابيض بسبب وجود المرعى في كل تلك البلاد .

امتطت صاحبة الدار سيارتها لتوصل الاولاد ، وذهبت مع راتب في سيارة مضيفنا لنزور معاملته كما هو مقرر منذ الامس .

زيارة معمل الحليب والجبن والزبدة

قطعت السيارة بنا مسافة خمسة عشر ميلا قبل ان نجد امامنا معملا ممتازا تقدر قيمة الاته بمائة ألف جنيه استرليني ، وقيمة الارض والابنية خمسون الفا ، ويلفت النظر في هذا المعمل نظافته ودقة العمل والثقة بين صاحب المعمل ومديره وعماله ، وذلك بينه وبين الفلاحين الذين يزودونه بالحليب .

ان النظافة هنا تستقبلك من الباب ولا تفارقك في أي ركن تقع عليه عينك او تسر في ارجائه في المعمل كله ، والعمال يعملون بنشاط ودون أي رقيب . وما اجمل ارتال السيارات وهي تجلب الحليب الى المعمل في اوعية انيقة كتب على كل مجموعة منها اسم صاحب المزرعة والكمية التي يحويها كل وعاء وتاريخ الانتاج . تنزل هذه الاوعية ويفحص كل منها ويعزل الوعاء الذي اصابته الحموضة ثم يفرغ الحليب بعد ذلك في ميزان تجلس امامه موظفة تسجل وزن الحليب امام اسم صاحبه وتطابق بين وزن الحليب في المزرعة المسجل على كل وعاء والوزن الذي حصلت عليه هي ، وتسجل امام اسم كل مزارع ما استخرج من زبدة من الحليب الذي قدمه . وبعد العزل والوزن والمطابقة والتسجيل يتحول الحليب الى اوعية وآلات تغليه وتبرده ليعبأ قسم منه في زجاجات توزع على البلدة بواسطة السيارات وقسم آخر لصنع الجبن والزبدة يوضع في مستودعات مبردة وقسم ثالث يجفف ويعبأ بواسطة اكياس خاصة او علب او براميل . والعمل كله آلي ، فالرافعات تقوم بالتنزيل والتحميل ولم أشاهد عاملا يحمل على ظهره . ثم شاهدت في المعمل قسم انتاج الشوكولا وهو معمل صغير ملحق بمعمل الحليب ويمكن ان يستعمل في تجفيف المشمش وسحقه وجعله ناعما او عصيرا كعصير البرتقال .

وكان مدير المعمل معنا يشرح لنا ما يجري في كل قسم ، وله دار في المعمل مع حديقة جميلة . وهكذا بعد اخذ الصور التذكارية ودعنا وغادرنا المعمل .

معمل عصر البرتقال

بعد خروجنا من المعمل ودعنا مضيفنا لأن لديه عملا في المكتب وحفلتين في المدينة ، ولذلك ركبنا مع ابنته في السيارة لزيارة معمل عصر البرتقال الذي ينتج الحليب أيضا . ولما وصلنا طغنا فيه وشاهدنا كيف يقطع البرتقال ثم يوضع في مزراب يأخذه الى جهاز (أوتو كلاف) حيث تضاف اليه مادة ويعصر مع قشره وبعدها ينتقل الى جهاز يبرده وثالث يعبئه في زجاجات ما تلبث أن تذهب الى أقفاص تنقله الى مستودع مبرد . وكانت هناك آلة تفصل الزجاجات وترسلها نظيفة الى التعبئة وهي تنظف ثمانين زجاجة في الدقيقة أي ما يقارب خمسة آلاف في الساعة . والزجاجات المنظفة تعبأ في الوقت نفسه أي أن الساعة تكفي لتنظيف وتعبئة الخمسة آلاف زجاجة . والمعمل كله آلي لا يشترك فيه الا عدد محدود من العاملات ، فواحدة تحضر الزجاجات التي يجب أن تنظف وأخرى تضعها في آلة التنظيف والثالثة تشرف على تقطيع البرتقال والرابعة تشرف على التعبئة والخامسة تشرف على وضع الزجاجات في صناديق والآلة هي التي تقوم بما تبقى من أعمال .

وبعد زيارة معمل آخر للحليب لا يختلف عن الذي شاهدناه . مررنا بمدينة (هل) وشاهدنا معالمها ، وهي مدينة جميلة جدا شوارعها طويلة عريضة وحدائقها منسقة أجمل تنسيق ونظام الإنبات فيها بدیع جدا . وفي المدينة سيارات تعمل على الكهرباء من ذوات الطابقين . ورغم كثرة الخطوط الحديدية وعدد القطارات التي تمر في (هل) لا توجد فيها الا المحطات الخاصة بالقطارات ، أما التقاطع مع الطرق العامة فيجري بواسطة انفاق وجسور . والمدينة تقع على نهر هامبر الذي يصب في البحر وتعتبر المدينة ميناء لأن السفن تصل اليها عبر النهر . هذا ويربو عدد سكانها على ستمئة ألف . وقد زرنا كلية (هل) التي درس فيها راتب عاما واحدا بعد أن ترك (بوزم) وقبل أن ينتقل الى جامعة أوكسفورد ، وقد تحولت هذه الكلية الآن الى جامعة نظرا لشهرتها وعنايتها بطلابها . وهي مؤلفة من عدة أبنية وتشبه الجامعات البريطانية من حيث توفر الهدوء وتنسيق البناء ووجود الحدائق الواسعة والملاعب الكبيرة والمسبح والعناية بالتدريس .

بعد زيارة الجامعة عدنا مع راتب الى دار مضيفنا بسيارة ابنته فوجدنا الطعام

جاهزاً طيباً ، ولفت نظرنا أن الخادمة كانت تشاركنا فيه والسيدة وبناتها يقدمن إليها الطعام . وبعد ذلك توجهنا الى مركز بلدية (هل) وكان أهل الدار وخدمهم قد غيروا ثيابهم لنحضر جميعاً حفلة ستقام في فاعة كبيرة في ساحة الملكة فيكتوريا . وقد فادتنا الى الحفلة سيارتان وكنا نحن مع الأم . ولما وصلنا الى دار البلدية شاهدنا بناء فخماً يأخذ جماله بالالباب ، وأدخلتنا المضيئة الى مركز البلدية حيث مررنا بممشى طوله مائة وخمسون متراً وتوجهنا الى القاعة التي يقام فيها الاحتفال رعي باللغة الجمال والروعة والعظمة . فالادراج التي تقود اليها محاطة بالزهور بشكل مذهش وجليل . وكان السيد هورسلي يقف وزوجته وكذلك رئيس البلدية وزوجته وكلا الرجلين يرتدي لباساً خاصاً مزركشاً ويزين صدره بالاوسمة وعلى كتفيه رداء احمر يكسوه مهابة وجلالا . وكانت الزهور المنسقة في كل اطراف القاعة وقد لا ابالغ اذا قلت ان ما كان منها في القاعة أكثر مما يوجد في مدينة دمشق كلها ، وفيها انواع غريبة لم تقع عيني على شبيه لها . وكان كل مدعو يتقدم يعطي سكرتير البلدية اسمه ، ثم جلس الجميع الى موائد كل منها يتسع لاربعة أشخاص والمدعوون كلهم من عليبة القوم . وبعد تناول انشاي سعدنا فجلسنا في مقصورات تطل على القاعة العامة فيما يقوم رئيس البلدية ونائبه وزوجتهما بالاستقبال وكل من الزوجتين تحمل باقة ورد بيدها اليسرى وتحيي باليمنى ، الى ان انتهى الاحتفال وودعنا بالحفاوة عينها التي استقبلنا بها .

سجادة ثالثة من صنع الشريف هورسلي

وفي دار البلدية مقر الشريف هورسلي شاهدنا سجادة انيقة وجميلة جدا ، ذكرت لنا زوجته انها من صنع يديه . لذلك اقترحنا على راتب أن يتعلم صناعة السجاد اليدوي وأن يشتغل سجادة نحفظها ونقدمها له يوم زفافه . الا ما اجملها من عادات حيث يستغل الانسان وقته كاملاً بما يعود عليه بالنفع والخير ويضرب مثلا اعلى لمواطنيه بالجد وحبه للعمل والانتاج .

عدنا الى دار الشريف وتركناه واسرته في مكان الحفلة يشتركون في توديع المدعوين . دخلنا الدار التي كانت تحت حراسة الكلبين وجلسنا في غرفة الجلوس

وكاننا اصحاب الدار . وفي الساعة الخامسة حضر الشريف وأسرته . حيونا وقدموا ثلاث كراسيات تحوي صوراً عن بريطانيا فشكرناهم على هديتهم . شربنا القهوة وحضر خلال ذلك شريكهم وزوجته وابنته وتحدثنا عن القمر الدين الذي وجدوا سفره رخيصة . حللنا لهم قطعة بالماء وتركنا لهم ما زنته كيلو غرام من القمر الدين لتحليله ووعدناهم بأن نرسل لهم علبه عصير مشمش ليحربوا تجفيفها ومعرفة ما يلزم من حرارة حتى تجف ، كما وعدونا بأن يرسلوا لنا نتائج اختباراتهم وتجاربهم . وقد ذكروا لنا اسم مادة نضعها على الدف لتمنع القمر الدين من الالتصاق بالدفوف بدن الزيت لأن الزيت انسد القمر الدين .

عشاء فاخر في النخس مطعم « هل »

في الساعة السابعة والنصف اخذونا بسياراتهم الى احسن مطعم في مدينة « هل » حيث تناولنا عشاء فاخراً ، وكنا نرغب بالسفر في هذا اليوم ولكننا اخرجنا سفرنا امام الحاح مضيفنا الكرام ورغبة في الحصول على المزيد من المعلومات عن الشمال الانكليزي . وبعد تناول العشاء عدنا الى الدار نأثيه واخذنا نسمر بجو عائلي شرقي أكثر مما هو غربي ، وكان عرى فراية متينة أو صداقة قديمة تربط بيننا وبين القوم . اكلنا قطع الشوكولا وشربنا القهوة واحدنا عدة صور في غرفه الاستقبال وامام موقد الفحم . وعند الساعة الحادية عشرة ليلا طبننا ان ننام نتمنن من النهوض باكراً من أجل السفر ، ولكن مضيفنا رفضوا فكرة السفر قبل تناول طعام الافطار ، فوافقنا على طلبهم وضرب موعد الافطار في الساعة السابعة والنصف صباحاً لتتمكن من السفر في الساعة الثامنة . والاسرة كريمة حسنة الحديث لا يمل الانسان من مجالسة أفرادها وحديثهم وكرمهم أبعد من اذهاننا فكرة يرددها الناس عن أهل الشمال ، وهذه الفكرة تتهمهم بالبخل والحرص الأمر الذي لاحظنا نقيضه تماماً عند مضيفنا في « يورك » وفي « هل » .

اكرمنا القوم كثيراً في دارهم وخلال الحفلة التي دعونا اليها ، ومما قاله الشريف لي آنذاك أنك تصلح سفيراً لسوريا في لندن ، فأجبتته بل سأكون سفير بريطانيا في سوريا نسر من هذا الجواب . وقد ذكر لي أيضاً أن الصحفيين الذين حضروا الحفلة سألوا عنا وقد أعطوهم أسماءنا ليتحدثوا عنا عندما ينشرون خبراً عن الحفلة في عدد الغد من صحيفتهم .

معامل الشريف هورسلي لانتاج الحليب والجبن والزبدة والشوكولا وعصير البرتقال مرة أخرى

يملك الشريف هورسلي خمسة عشر معملا غير المعملين اللذين زرناهما ، ومعمل الحليب الذي زرناه في صباح الاربعاء ١٩٥٤/٦/٣٠ هو أكبر معامله ويستقبل يوميا ما بين مائة وثلاثين ألف ومائتي ألف لتر من الحليب حسب موسم الشتاء أو الصيف . والماء قليل في المعمل ، والماء الذي يستعملونه يعيدونه الى آلات تنقية لاستعماله مرة ثانية . وعند الرجل فرع للسكة الحديدية لشحن الجبن والحليب المجفف والمجمد وعنده خمسمائة سيارة شحن لاحضار الحليب وتوزيعه ، وعدة مراتب للاصلاح الجزئي والمؤقت موزعة في عدة مناطق ، ومرآب رئيسي في العاصمة لندن للاصلاح العام . وتوجد أيضا محطات بنزين لتزويد آلياته بالوقود ، ويدفع سنويا ستين ألف جنيه قيمة زجاجات منقورة أو مكسورة . واثناء عملية التوزيع يضع السائق زجاجات الحليب امام المنازل وهي مملأى ثم يستعيدها من امام المنزل في اليوم التالي وهي فارغة . والشريف هورسلي له معمل كبير في ايرلندا أيضا ، وتستقبل معامله في الشمال الانكليزي مليون لتر من الحليب . هذه هي صورة الاسرة الانكليزية ورجل الاعمال الانكليزي نقلناها نقلا واقعيا ، انها صورة لمجتمع يعمل ابناؤه جميعا لتأمين مستوى لائق من العيش يشعرون معه بالراحة والاطمئنان .

وداع وسفر

الخميس ١٩٥٤/٧/١ : استيقظنا في الساعة السابعة صباحا ونزلنا الى غرفة الطعام ، في الساعة والنصف احضرت الام وابنتها الطعام وقدمته لنا واكلنا وحدنا . ثم جمعنا امتعتنا واخذناها الى السيارة ، وفي هذه الاثناء ايقظوا صاحب الدار الشريف هورسلي الذي خف لوداعنا . ودعناهم شاكرين لهم حسن ضيافتهم ويممنا وجوهنا شطر اوكسفورد فلندن .

وفي طريق العودة الى لندن شاهدنا مزرعة بطاطا بكل ارتفاعات اعواد البطاطا فيها الى علو بين اربعين وخمسين سانتيمترا ، وغلظ ساق الاغواد حتى غدا يشبه ساق الباذنجان ، والمزرعة مرتبة ومنسقة والعمل فيها آلي . كما شاهدنا مزارع أزهار محمية ببيوت زجاجية وتشغل مساحات واسعة جدا . مررنا بعدة مدن منها «ليستر»

وهي مدينة صناعية تبعد عن (هل) مسافة مائة وعشرة كيلومترات ثم (نور فهمز) وتبعد مسافة خمسة وثلاثين ميلا عن ليستر ثم وصلنا اوكسفورد حيث عرجنا على الجامعة ليأخذ راتب ما يلزمه من أمتعة . ووصلنا لندن أخيرا وكنا قد قطعنا مسافة تسعمائة وخمسين ميلا منذ غادرنا لندن حتى عدنا إليها أي ما يعادل ألفاً وخمسمائة كيلو متر ، يضاف إليها قرابة مائتي كيلو متر قطعناها في نزهاء وجولات قبل مغادرة لندن التي الشمال . كل هذا بسيارة معارة ذهب راتب وسلمها عند وصولنا إلى صاحبها واستلم سيارتنا الجديدة التي اشتريناها من صاحب السيارة المعارة وتركناها عنده ليصلح ما ظهر بها من خلل .

زيارة البرلمان ومجلس العموم

ركبنا السيارة الجديدة وطفنا أكثر شوارع مدينة لندن وانتهينا إلى مبنى مجلس العموم البريطاني والبرلمان . حصلنا على إذن بالدخول كما حصلنا على بطاقات دخول . شاهدنا هذا المحل الأثري وصعدنا درجا دوّارا عدد درجاته تسع وخمسون درجة ودخلنا قاعة مجلس العموم واستمعنا إلى مناقشة بين المستر أتلي رئيس الوزراء البريطاني آنذاك ووزير الأشغال من جهة وبعض النواب من جهة أخرى . وبعد أن مكثنا نصف ساعة غادرنا القاعة إلى قاعة مجلس اللوردات ولم نشاهد الاجتماع لأنه انتهى قبل وصولنا ، طفنا أقسام البناء وشاهدنا ما فيه من روائع الفن ثم خرجنا لنطوف مرة أخرى شوارع مدينة لندن فعبرنا جسرا عظيما على نهر التايمز وانتقلنا من قسم إلى قسم من قسيمي المدينة الواقعين على حافتي النهر .

زرنا قصر الملكة كما زرنا محطة الجنوب للقطارات واسمها محطة « فيكتوريا » وهي إحدى محطات لندن الست عشرة وهي واسعة ولها عدة أبواب وستون جهاز هاتف للاتصالات العامة كما زرنا محطة « بيكادالي » للمترو (قطار الأنفاق) وهي محطة واسعة لها أربعة مداخل وفيها ما يقرب من خمسين هاتفا للاتصالات العامة .

سوق الخضار

ثم زرنا سوق الخضار وهو يستقبل الخضار والفواكه من الساعة السادسة مساء وحتى الساعة الرابعة صباحا وبعد الرابعة لا يسمح بدخول السيارات الشاحنة

المحملة بالبضائع ويكون دخول معظم السيارات بين الثامنة مساء والثانية عشرة ليلا ،
ويبدأ البيع في الساعة الخامسة صباحا .

ذهبنا الى الفندق وتناولنا عشاء احضرناه معنا من السوق وعدنا ثانية الى سوق
الخضار حيث شاهدنا أكثر من خمسين سيارة تفرغ حمولتها وكثيرا من البضاعة
مصفوفة في منتصف الطريق والعمل يسير بانتظام وبهدوء تام .

تركنا سوق الخضرة على أمل أن نعود اليه مرة ثالثة في الساعة الخامسة صباحا
لنشاهد كيفية البيع ونقل البضائع داخل المدينة . . .

عدنا الى الفندق نرتب أمور السفر ونفكر بانتهاء بعض الامور التي لم تنته بعد
حتى لا نتأخر عن موعد السفر في يوم الاحد القادم . . . وكنا نشعر أن الاطلاع على
الربوع البريطانية يحتاج الى شهر كامل على أقل تقدير ولكن ما العمل ونحن على عجل
لنتم رحلتنا عبر الشاطئ الشرقي لبحر المانش حيث نزرور فرنسا وعددا من دول اوربا
الغربية . . . الساعة الآن الواحدة ليلا حيث رفعت القلم وفرغت من كتابة هذه الصفحة
والتعب آخذ مني كل مأخذ . . . فقد استيقظت في السابعة صباحا وسافرت سبع ساعات
بين « هل - لندن » وطفقت شوارع عاصمة الانكليز فلا بد لي أن اتعب ! فلننام - انشباك
اذن ولنسلم انفسنا لسלטان الكرى ، والى أن يحين موعد استيقاظنا في صباح اليوم
التالي نقول لكم تصبحون على خير .

الجمعة ١٩٥٤/٧/٢ : أصبح الملك لله والحمد لله الذي احيانا بعدما أماتنا
واليه النشور . . . كانت الساعة تشير الى الرابعة صباحا . حلقتنا وتوضأنا وصلينا
ثم جلسنا نكتب بطاقات الى الاهل والاصدقاء في سورية ، وفي الساعة السادسة ذهبت
بصحبة موفق الى سوق الخضار للاطلاع على كيفية البيع والتوزيع والوساطة .

اول ما سألنا عن بعض أسعار الجملة لنوازن بينها وبين أسعار المفرق فوجدنا أن
حبة البرتقال التي تباع بالمفرق بستة بنسات تباع بالجملة بأربع بنسات وسعر كيلو
الكرز بالجملة شلنن وبالمفرق ثلاث شلنات . . . وهكذا . ولفت نظرنا ان التعبئة
موحدة وممتازة من أعلى الصندوق الى أسفله وخاصة بالنسبة للبندورة وأكثر العبوات

صغيرة عدا عبوات التفاح واغلب البضاعة مغلقة بورق وبناقة تلفت الانظار . والكرز معبأ بعلب كرتون لها مسكة يد مثل السلة والفريز ايضا معبأ بعلب كرتون وزن العلبه نصف كيلو غرام تقريبا وتوضع كل اثنتي عشرة علبه في صندوق واحد . . . الدراق والخوخ الفحل صف واحد في الصندوق وتوجد فواصل بين الحبات . . . البصل والبطاطا معبأ باكياس وزن الواحد منها اربعون كيلو غرام تقريبا . . . اهل الحرفه ومعظمهم من اهل لندن يتصف بعضهم « بنشافة » اي عدم مرونة في الحديث والتعامل مع الزبن . النظافه متوفره في جميع محلات البيع وتجري عملية البيع بفواتير ولا يخرج شيء من السوق بدون فاتوره والسيارات التي تحمل وتوزع تقف خارج السوق في المداخل الرئيسية حيث تكون الاسواق مغلقة ولا توجد فيها حركة وتنقل البضاعة من السوق الى السيارات بواسطة عربات تجر بواسطة اليدين . اما ابنيه السوق وممراته فهي متنوعه فهناك سوق مسقوف ذو مكاتب على الصفيين وتتوسط المكاتب التي يصعد اليها بعدة درجات ساحة طويلة ، وله بخارجه اطار يحيط به . وتقف السيارات وتفرغ البضاعة الى داخله والمشتري يحمل بضاعته على عربة صغيرة اما اذا كانت البضاعة كثيرة فالمشتري يأخذها الى السيارة التي سيحمل بها مباشرة . واغلب اقسام السوق مسقوفة لها مداخل بعضها عريض لدخول السيارات وبعضها ضيق يكفي لتنقل العربات الصغيرة وهناك اقسام لبيع الزهور الناعمة والكبيره وبيع شقف الزريعة وهناك اسواق خارج هذا السوق الرئيسي باقسامه المتعدده تباع الخضار والفاكهة والازهار .

زيارة عمل : زرنا محل « كنز » حسب موعد سابق معه دخلنا المكتب وحصلت الموظفة لنا على اذن بالدخول ، قابلنا الرجل بترحيب وهو رجل محترم اثنى على معاملتنا معه ولكنه اعتذر عن شراء القمر الدين ووعدنا بشرائه وتوزيعه عندما يحصل طلب على هذا الصنف وأرشدنا الى عدد من المحلات التي تتعامل بأصنافنا القمر الدين ، المربيات ، الجوز . . . ودعنا وانصرفنا بعد أن سار معنا حتى غرفة المصعد الكهربائي .

وزرنا في هذا اليوم مؤسسة A. A وحصلنا على اوراق السيارة العالمية المقبولة في انحاء الدنيا كلها ، ثم اشترينا بعض الامتعة أهمها محفظة سفر للطعام بسعر ١٢ر١٠

جنيه وطاولتان مع كل منهما صينية بسعر ١٦ر١١ جنيه وعدنا الى الفندق .
تناولنا العشاء ونعنا مبكرين رغبة بالراحة وتخلصا من العناء الذي استحوذ علينا
من جراء جولاتنا الكثيرة .

السبت ١٩٥٤ / ٧ / ٣ : ابنية كثيرة اقيمت وتقام في لندن بعد الحرب العالمية الثانية،
زيارتنا الى لندن كانت عقب الحرب العالمية الثانية فكان اكثر ما يلفت النظر كثرة الابنية
الحديثة في هذه المدينة فقد عرفنا انه اقيم منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى العام
الذي زرنا فيه لندن عدد هائل من الابنية الكبيرة وفي كل منها شقة
سكنية كما عرفنا انه في شهر ميس من عام ١٩٥٤ تم بناء / ٣١٢٧١ / منزلا
منها / ٢١٦.٨ / منازل بنتها البلديات و / ٧٦٥٢ / منزلا بناها اصحابها اي ما يمكن
أن نسميه القطاع الخاص ومنها / ١٤٩٢ / منزلا بنتها الجمعيات ومنها أيضا / ٥٦٥ /
بناء للدوائر الحكومية و / ٥٤ / منزلا هدمت وأعيد بناؤها من جديد وعلمنا أيضا
أن ما بني من بداية عام ١٩٥٤ وحتى نهاية شهر ايار من العام نفسه / ١٣٦٧٢٢ / منزلا
وهكذا أسرع الانكليز الى تعمير عاصمتهم التي دمرتها الحرب . ومن حب الاطلاع
مددت يدي الى دليل الهاتف في مدينة لندن وهو يقع في خمس مجلدات مجموع صفحاتها
/ ٥٤٦٣ / في كل صفحة ثلاثة أعمدة وفي كل عمود / ١.٥ / أرقام فيكون بذلك مجموع
أرقام الهواتف العاملة في لندن في تلك الفترة / ١٧٢.٨٤٥ / رقما . وبنك « لويد »
الذي نتعامل معه يملك وحده / ٣٠٠ / خط هاتفي .

الى قصر الملكة ثانية لشاهدة تبديل الحرس :

تبديل الحرس الملكي في لندن له نظام بديع وغريب لذلك خطر في بالنا ان نذهب
ثانية الى القصر الملكي لعلنا نشاهد الحرس وهم يبدلون . وصلنا القصر أخذنا صورا
متعددة للحراس وهم واقفون لا يبدون حراكا ولا يعترضون على عملنا ثم مررنا بساحة
بيكادلي . ومما جرى لنا في هذا اليوم أننا أخرجنا سفرنا يومين لعدم الانتهاء من
التأشيرات التي نود الحصول عليها من سفارات الدول الاوربية التي سنزورها وهذا
ما حملنا على أن نقوم بجولات جديدة في مدينة لندن وما حولها .

تأخرنا باعطاء الجواب لصاحب الفندق حول البقاء أو المغادرة وذلك بسبب تأخر
الاولاد عن العودة الى الفندق وهم يلاحقون التأشيرات وعندما عادوا افهمنا باننا
باقون ولكن الوقت قد فات فبعد الساعة الثانية عشرة نهارا اجر غرفنا واخرج متاعنا
منها ولكنه حجز لنا في فندق آخر لعدم وجود غرفة فارغة عنده وهذا إن دل
على شيء فانما يدل على الدقة في العمل والتقيد بالمواعيد فالنازلون في الفنادق يجب
ان يتتوا في أمر البقاء أو المغادرة قبل الثانية عشرة والا اعتبروا مفادين ولكن صاحب
الفندق ساعدنا مع ذلك وانتقلنا الى فندق آخر .

في هذا اليوم ايضا حضرت مسز «فال» وخطيبها وهي ابنة الشريف «هورسلي»
مضيفنا في «هل» واحضرت لنا الجريدة التي نشرت لنا خبر الحفلة التي حضرناها
هناك ودعتنا الى طعام الغداء ولكننا بالمقابل دعوتها نحن الى طعام الغداء مع خطيبها
لانهم الآن يعتبرون في ضيافتنا . قبل دعوتنا وذهبنا الى مطعم تركي وتناولنا طعاما
شرقيا معظمه شهير وعدنا الى الفندق وودعنا ضيوفنا ومضوا الى حال سبيلهم .
كما دخلنا في هذا اليوم مطعم «لاينز» وهو من المطاعم الفخمة في لندن وصاحبه
يهودي عنده لا اقل من مائتي محل في لندن بين مقاه ومطاعم وهو ثري جدا تبرع
بمبلغ سبعة ملايين جنيه استرليني لاسرائيل دفعة واحدة .

«زيارة مينساء ساوثهامبتون»

الاحد ١٩٥٤/٧/٤ : توجهنا في الساعة السابعة صباحا الى بورتسموث وفي الطريق
تناولنا طعام الافطار في احد المطاعم ولكننا لم ننتز منه لانه غير نظيف ، وصلنا الى
مينساء ساوثهامبتون وهو اعظم المرافئ الانكليزية ويبعد عن لندن /٨.٨/ اميال ويعتبر
من المصايف الجميلة في الجزر البريطانية يومه ابناء الطبقات الراقية من الانكليز
وغيرهم ويخيل اليك وانت داخل الى المدينة انك امام عدة فنادق فخمة ومعظم السكان
من اليهود وفيها فنادق لا تقبل ان ينزل فيها الا اليهود . تناولنا طعام الغداء في احد
الفنادق الفخمة وتوجهنا لزيارة بعض السوريين المقيمين في تلك المدينة فذهبنا الى
منزل السيد معتر القضماني فلم نجده لانه مسافر الى لندن ليتوجه من هناك الى
دمشق . ذهبنا بعد ذلك الى منزل السيادة غسان مهاني وعبد الحفيظ

دالاتي وخالد البكري فاستقبلونا بحفاوة وانسنا بزيارتهم وشربنا عندهم القهوة وتبادلنا الحديث واخذنا صوراً ثم عدنا ادراجنا الى لندن حيث وصلناها الساعة التاسعة مساءً ، تناولنا طعام العشاء في الفندق ووعدتنا صاحبة المطعم وهي مصرية ان تقدم لنا في اليوم التالي طعام الغداء كما نطلب ونشتهي فطلبنا شواء على الطريقة العربية . وبعد ان دخلنا غرفنا في الفندق سهرنا حتى الثانية عشرة نرسم الخطط لرحلة أوروبا ثم أوتنا الى فراشنا على أمل أن ننهض مبكرين لاتمام اعمالنا في لندن .

الاثنين ١٩٥٤/٧/٥ : استيقظنا في الساعة السابعة صباحاً وتناولنا طعام الافطار في الثامنة والنصف ثم نزلنا الى المدينة حيث راجعنا السفارة الالمانية واستلمنا جوازات السفر منها وذهب موفق الى السفارة الفرنسية لاجل تأشيرة دخول الى فرنسا . ومن هناك توجهنا الى البنك حيث اخذنا دفتر شيكات بمبلغ ثلاثمائة جنيه قابل للصرف في أوروبا . وككل مرة ذهبنا فيها الى بنك لويد استظنا ان ننجز اعمالنا بسرعة ودقة تامة . ثم مضينا الى مؤسسة كوكس لاببدال تذاكر السفر ، وكما كنا مسرورين عندما لبي طلبنا في دقيقة واحدة .

عدنا الى الفندق وذهب راتب لتغيير زيت السيارة . والجدير بالذكر ان الشركة التي باعتنا السيارة اعطتنا دفترًا يمكننا بموجبه ان نصلح السيارة في جميع فروعها في انكلترا وأوروبا مجاناً ولمدة ثلاثة اشهر . وفي الساعة الواحدة والنصف اجتمع الشمل في الفندق حيث كنا على موعد مع وجبة لحم مشوي هياتها صاحبة المطعم المصرية ، وكانت مفاجأة لنا ان اكلنا اللحم المشوي والكباب مع سلطة خيار باللبن وسلطة خس وبندورة وخيار وزيت . اكلنا وشكرنا المولى سبحانه وتعالى . وسألنا صاحبة المطعم عن ثمن الطعام فقالت ادفعوا ما تريدون ، وهي لا تتكلم ولا تطلب شيئاً انما اذا وجدت المبلغ قليلاً فستطلب عندئذ . قدمنا ثلاثة جنيهات فقالت : كثير يكفي جنيهان ، ولم تقبل الثالث وارادت ارجاعه لنا فقلنا انه اكرامية لابنتها . وعدنا ثانية الى غرفنا وانزلنا الاغراض الى بهو الفندق .

زيارة بعض التجار واصحاب الاعمال

تركنا الفندق لتزور بعض تجار لندن المتخصصين بأصنافنا كما افادنا السيد

كنز ، وكان موعدنا الاول الساعة الثانية والنصف بعد الظهر . ذهبنا الى محل تجاري
يبعد عشرة أميال عن الفندق فوجدنا الرجل الذي نقصده وبعد حديث مقتضب وعدنا
بأنه سيأخذ في العام القادم كميات من البواب والمشمش بدون بزر اما القمر الدين
فلا رغبة له به لانه وسخ . وهذا الرجل صاحب معامل معجنات في لندن ويملك
عدة ابنية قرب مكتبه .

ودعناه لنقابل التاجر الثاني وموعدا معه الثالثة والنصف بعد الظهر فلم نجتمع
به وانما اجتمعنا بثلاثة من موظفيه الاول متخصص بالجوز الحب والثاني بالجوز
القلب والثالث بالبولب . وتبين لنا من حديثهم جميعا أنهم يفضلون التعامل مع البلدان
التي تتعامل بالاسترليني ولكنهم مع ذلك طلبوا مساطر من الجوز الحب والجوز القلب .

مفادرة لندن

كانت الساعة تشير الى الخامسة مساء حين عدنا الى الفندق فحزمتنا امتعتنا
ورفعناها على ظهر السيارة والمطر كأفواه القرب ، وانطلقنا في تمام الساعة مودعين
مدينة لندن العظيمة ، وقطعنا احد عشر ميلا من الفندق حتى آخر بناء من ابنيتها .
تابعنا السير على طريق عريضة من احسن الطرقات حتى وصلنا الى برايتون وهي مدينة
تقع على الشاطئ ، دخلنا أحد المقاهي وتناولنا طعام العشاء وهو سندويش بجينة
ومربي الفريز ، فكان طعاما شهيا مع الجوع اولا ولان الطعام نظيف ومثله المقهى غاية
في النظافة ، وكان ثمن العشاء عشرة شلنات . وغادرتنا المقهى المغمور بالاضواء الكهربائية
المتعددة الالوان ، وسرنا تصحبنا المناظر الجميلة على طول الطريق ، فمن ساحات عامة
الى حدائق ونوافير مياه واعمدة كهربائية مزينة بالمصابيح المتعددة الاشكال ، والابنية
غاية في الفخامة . انها مدينة جميلة تفتن العقول يتمنى الانسان لو يبقى فيها شهرا
ليمتع نظره بما فيها من جمال . واستطيع القول ان من لم يزر هذه المدينة
كانه لم يزر بريطانيا .

تركنا مدينة برايتون ومنطقتها ودخلنا الى مرفأ (نيوهافر) وهو الميناء الذي
سنغادر منه الجزر البريطانية في صباح اليوم التالي باذن الله وتوفيقه .

الثلاثاء ١٩٥٤/٧/٦ : استيقظنا صباحا وعقارب الساعة تشير الى السابعة .
ادخل راتب السيارة الى الجمرک لتفتش . وكان التفتيش يقتصر على السؤال التالي :
هل عندك شيء ممنوع اخراجه ؟ وكيفيهم أن تقول لا . دخلت السيارة وضمنها
كل الاغراض ورفعها عمال الميناء الى عبر الباخرة .

عدنا الى الفندق وتناولنا طعام الافطار واتجهنا من جديد الى الباخرة مرورا
بالشرطة الذين اشروا لنا على جوازاتنا وسألونا عن العملة التي ادخلناها فافدناهم
بانها خارجة معنا . ثم مررنا بالجمارك فسألونا اذا كنا نحمل شيئا ممنوعا فنحننا ،
ثم دخلنا الى الباخرة وهي صغيرة الحجم نسبيا حمولتها بين خمسة الاف طن وستة
آلاف . تجولنا في الباخرة ثم جلسنا في مقاعدنا ننتظر مفادرة الميناء .

وكان البحر هادئا والحمد لله ، وفي الساعة الثانية والنصف ظهرا كانت باخرتنا
تلقى مراسيها في ميناء (ديب) الفرنسي .

هذا وقبل أن تخبو صور بريطانيا في الدهن أقول أن الجزر البريطانية كلها بدت
لنا كأنها حديقة جميلة عامة منسقة أحسن تنسيق ومزروعة أحسن زراعة تقطنها
عائلة واحدة هدفها واحد وتربية أفرادها واحدة ومرجعها الرئيسي رب العائلة المطاع
الذي يحني الكل رؤوسهم أمامه . وحياة هذه العائلة حياة أدب وعلم وانتاج
واخلاص ومحبة والفة .

على الجانب الفرنسي من المانش

نزلنا الى الامن الصام في ديب حيث شوهدت جوازاتنا ثم الى الجمرک ولم
نتأخر لاننا لم نكن نحمل شيئا وأغراضنا كلها في السيارة . ولما ذهبنا لاستلام السيارة
وحضر موظف الجمرک ليفتشها طلب منا فتح الحقائق والرزم كلها ، ولما شاهد
ما اشتريناه من لندن طلب رسوما عليها فأفهمناه أننا لا نتاجر بها وانما نحن سواح
اشترينا هدايا الى سورية . ولكن محاولتنا معه ذهبت أدراج الرياح وأبى الا أن ندفع
رسوما نستردها عند الخروج من فرنسا حين تشاهد الاغراض . وبعد ساعة ونصف
من الاخذ والرد استلمنا السيارة والاغراض . مثل هذه المعاملة لم نلقها عند الانكليز ،
بل أنهم لم يسألونا عن السيارة وأوراقها طول المدة التي قضيناها في بلادهم وطفنا فيها
من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب . والظاهر أن القوانين الفرنسية صارمة .

في الطريق الى باريس

ومن ميناء ديبب الموصل وغير التنظيف مضيئا في طريق تختلف تماما عن الطرق التي شاهدناها في بريطانيا . اذ لم تكن توجد في طرقات فرنسا اشارات مرور ترشد المارة ، وكانت الطرق ضيقة لا يتوفر فيها اتجاهان كما هو الشأن في أكثر الطرق الانكليزية التي شاهدناها في بريطانيا ، اذ لم نر في طريقنا اشارات مرور ترشد المارة ، ولا يمكن المقارنة بين القرى الفرنسية والقرى الانكليزية ، ففي انكلترا لا تختلف القرى عن المدينة في شيء ، فالشوارع والحدائق والتنسيق والزهور وحياة السكان والمتاجر مختلفة تماما عن القرى الفرنسية التي مررنا بها فانظر سيئة ووسائل النقل بدائية وفيها الطنابر والدواب والفلاحون يستعملون المحراث القديم والدواب في حرثه الارض . والبناء غير متجانس ويبدل مظهره على تفاوت كبير بين المدن والقرى حتى انه يوجد تفاوت كبير بين الناس في القرى ذاتها ، فهناك ابنية كثرائب الدجاج وابنية مقبولة نوعا ما . والجنان والزهور مفقودة تماما ، والمحلات التجارية قليلة ومحدودة من حيث السعة والعناية بالعرض ، وكل ذلك تشاهد نقيضه في بريطانيا . والسكان الريفيون في فرنسا لباسهم غير متجانس ولا منسق ويبدل على سوء حال يعيشون فيه وكلهم لا يتقيدون بنظام ويمرون من منتصف الطريق فلا معابر ولا اشارات على الطرق ! .. واخيرا دخلنا الى باريس ووجدنا فيها فندقا مناسباً .

وإذا كان لا بد من تفسير لذلك فهو الاحتلال الالماني الطويل لفرنسا وما تركه من آثار مدمرة على الحياة الاقتصادية والاجتماعية ولا بد ان الامور تغيرت كثيرا في فرنسا كما سمعت فيما بعد وصارت حضارتها من ارقى الحضارات .

بـأريسي

الأربعاء ١٩٥٤/٧/٧ : قمنا بزيارة قصيرة للسفارة من اجل تأشيرات السفر . ثم انتقلنا لرى برج ايفل اعجوبة القرن التاسع عشر وهو اجمل مشاهد مدينة باريس من حيث الضخامة وروعة الهندسة . يعلو البرج ثلاثمئة متر عن سطح الارض ، ويقوم على اربعة قواعد من الفولاذ ، بين القاعدة والقاعدة خمسون مترا تقريبا وتصل بينها اقواس من حديد شيد عليها بناء حديدي مكون من ثلاثة طوابق يصعد اليها بمصعد

كهربائي يتسع لأربعين شخصا . يقدر عدد الصاعدين بألفي شخص في كل ساعة ، والطوابق الثلاثة فيها مطاعم ومقاهٍ .

صعدنا بعد أن دفعنا أربعمئة فرنك عن كل شخص ووصلنا الى الطابق الثاني فبقينا فيه أنا وراتب اذ لم أستطع المتابعة بينما صعد موفق وأم راتب الى الطابق الرابع وشاهدوا باريس كلها وأخذوا صوراً متعددة .

الشانزليزه

والشانزليزه شارع كبير يتفرع عن ساحة واسعة تعادل مساحتها عشرين ضعفاً من ساحة الامويين في دمشق ، ويتفرع عنها اثنا عشر شارعاً لا يقل عرض الواحد منها عن أربعين متراً ، وعرض الشانزليزه ثمانون ، ويحيط به رصيفان عند كل منهما مكان لصفين من سيارات الانتظار ولهما طريقان خاصتان عدا الطريق الرئيسي الذي تمر فيه السيارات الذاهبة والعائدة ، كما يوجد رصيف للمارة . ونظام السير اقل من نظام لندن في ترتيبه وتأمين السلامة ووضوح الاشارات ، وشاهدنا في ساعة واحدة حادثي سير في حين لم نشاهد في بريطانيا كلها حادث اصطدام واحد .

الخميس ١٩٥٤/٧/٨ : زرنا القنصلية السورية للمرة الثالثة لاضافة بعض البلدان الى جواز سفرنا ، ولكننا قبولنا مقابلة غير لائقة من قبل احد الموظفين الامر الذي جعلنا نبدي ملاحظة للسيد فيصل الدالاتي الذي استقبلنا بحفاوة واعتذر عن تقصير هذا الموظف .

أعود الى شارع الشانزليزه فانه في آخره تقع ساحة واسعة في قلبها قوس النصر ، والساحة غاصة بالسيارات ولا يقل ما يدور في الساحة عن خمسة آلاف سيارة كل ساعة وحوالي ستين الف سيارة في اليوم الواحد ، وذلك حسب تقديري . وهناك ساحات اخرى تشبه ساحة النصر أهمها ساحة (الكونكورد) .

واطلعت على أسعار بيع الخضار والفاكهة بالمفرق من محل دخلت اليه ويمكن أن نقول أن أسعار الحاجيات في باريس أعلى من مثيلاتها في لندن وتوجد فيها حاجات افضل من التي في لندن ، اما طريقة عرض البضاعة فيمتاز بها الانكليز وحدهم حيث يغيرون العرض عدة مرات في اليوم الواحد كما سبق الذكر وعندهم مدارس خاصة للتدريب على جودة العرض وحسن التنسيق وتزيين الواجهات .

بين مترو باريس ومترو لندن

الجمعة ١٩٥٤/٧/٩ : ذهبنا هذا اليوم الى السفارة السورية عن طريق المترو فلاحظنا وجود فروق كبيرة بين مترو باريس ومترو لندن نذكر بعضها : ففي لندن تلاحظ نظافة المحطات وفخامة البناء ، ومترو لندن درجة واحدة وهو افخم من الفرنسي من حيث الفرش ، اما مترو باريس ففيه درجتان اولى وثانية . وتستوعب العرببة الواحدة من عربات مترو لندن مائة شخص بينما عربة مترو باريس لا تستوعب اكثر من خمسة وثلاثين . والتمديدات الكهربائية في لندن مخفية نظرا لثقتهم بصحة عملهم بينما هي ظاهرة في مترو باريس وذلك لتسهيل صيانتها . ومحطات مترو لندن تفتح ابوابها وتغلق تلقائيا بينما في مترو باريس توجد مفاتيح كمفاتيح محطات القطر العادية . وعدد قطارات مترو لندن اكثر ولا تحتاج الى انتظار في محطاتها على عكس العدد القليل منها كما يلاحظ في مترو باريس وتحتاج بذلك الى انتظار اطول . وفي لندن تنتقل بسهولة من محطة الى محطة فلا تقطع ارصفا وخطوطا أما في باريس فتحتاج للسير مسافات بعيدة وتضطر الى قطع ارصفا وخطوط .

فروق اخرى في العادات

وفي لندن لا يقدمون ماء مع وجبات الطعام وانما يقدمون الشاي او عصير البرتقال او القهوة ، ولا يقدمون الخبز الا نادرا ويأكلونه بعد الطعام مع الزبدة والمرملاد او الجبن والمرملاد (ونسبها تنشيفة !) اما في باريس فيلفت النظر كثرة الناس الذين يحملون الخبز ولا يرى مثل ذلك في لندن .

وترى الانكليز الزائرين لباريس يبتسمون حين يرون المرأة الفرنسية تحمل اربعة الخبز الطويلة وكأنهم ينظرون الى شيء مستهجن وغير مألوف .

فونتينبلو وفرساي

فونتينبلو مدينة جميلة تبعد عن باريس مسافة ستين كيلو مترا وفيها قصر تاريخي على اسمها ، ولهذا القصر حدائق واسعة وتحيط به غابات . دخلنا القصر وكانت تقام فيه حفلة على شرف الجنرال (ريدجواي) الاميركي رئيس قوات حلف

الاطلسي ، وكانت فرنسا اعفته من مناصبه بسبب بعض التصريحات السياسية الصادرة عنه ، واحتفظ الاطلسيون بمنصبه كرئيس لقوات حلفهم . شاهدنا قادة الحلف المحتفلين كما اطلعنا على معالم القصر . وتبلغ مساحته مع القابات المحيطة به مائة وسبعين ألف دونم !

تركنا هذا القصر وتوجهنا الى قصر فرساي التاريخي ايضا وهو مقر ملوك فرنسا في الماضي . وكانت الطريق التي قطعناها جميلة منسقة احسن تنسيق ففيها جتائن وحدائق فاخرة تقع بينها المقاهي الجميلة النظيفة التي تقدم فيها خدمة ممتازة للزوار . دخلنا احد هذه المقاهي وتناولنا قليلا من الطعام خوفا من الغلاء ومع ذلك دفعنا مبلغ ٤٦٠ فرنك فرنسي اي ما يعادل في تلك الايام ستاً واربعين ليرة سورية . اي كان الفرنك الفرنسي يعادل قرشا سوريا . . . وفي زيارتنا لقصر فرساي جالفنا الحظ ايضا حيث كانت وزارة الفنون الجميلة تقيم فيه حفلة تحت رعاية وزير الفنون . دفعنا ما يعادل عشرين ليرات عن كل شخص ودخلنا القصر الكبير الضخم . واجهناه كلها من الرخام الجميل الانيق . طفنا في حدائقه الواسعة وشاهدنا البحيرات الاصطناعية الكثيرة المتعددة الاشكال ينصب الماء فيها من نوافير متعددة الاشكال هي الاخرى ، وقد سلطت الانوار على تلك البحيرات بشكل جميل اخاذ ، وكنا نسمع المياه المنصبية في البحيرات وهي تحدث في اثناء خروجها من النوافير اصواتا جميلة . كما شاهدنا التماثيل الموزعة بكثرة في ارجاء الحدائق وكان القصر مضاء بأجمل الانوار الملونة .

ابتدت الحفلة بالفناء والموسيقا ورافق ذلك شرح لتاريخ القصر من بنائه ومن سكنه حتى الوقت الحاضر . ولما انتهت حفلة الصوت والضوء هذه عدنا والسرور يغمرنا من روعة المناظر التي شاهدناها في زيارتنا هذا اليوم والطرقات اليها ، وكانت عقارب الساعة تشير الى الحادية عشرة ليلا ، فعدنا الى الحي الذي نقطن فيه . وكان بين فرساي وباريس اثنا عشر طريقا كل منها يوصل الى حي من احياء المدينة ، واختيار الطريق المناسبة يوفر على الداخل الى باريس مسافة تتراوح بين عشرة كيلو مترات واثني عشر على اقل تقدير هي التي يقضيها المرء متنقلا من شارع الى شارع ومن اتجاه الى اتجاه ان هو لم يحسن الاختيار . وقد سررنا بهذا النظام اذ كان علينا

توفير الوقت والجهد . وقد وصلنا الى فندقنا في منتصف الليل ، بعد ان قطعنا في نرهننا ما يقرب من ١٥٠ كيلو مترا في الذهاب والاياب .

السبت ١٩٥٤/٧/١٠ : زرنا جامعة السوربون الشهيرة وتجولنا ضمنها وشاهدنا ابنتها وحدائقها ، كما زرنا سوق الهال الرئيسي سوق الخضار والفواكه وهو اوسع من سوق لندن وحدث ترتيبا . وفي السوق جناح للذبح وجناح لبيع اللحوم ، وتحت محلات البيع توجد برادات ومستودعات ، وضمن المسلخ توجد محلات تحت الارض لصنع الصابون من فضلات اللحم . كما زرنا محطة ليون وهي محطة كبيرة لها شهرة عالمية ولكن محطات لندن اكثر تنظيما .

الاحد ١٩٥٤/٧/١١ : قررنا ان نبقى في باريس حتى يوم الخميس ١٤ تموز حيث يوجد في ذلك اليوم عيد يحتفل به القوم فنشاهد الاحتفالات وتكون خلال هذه المدة قد انهينا ما نحتاج اليه من تأشيرات . زرنا بعض الحدائق ومنها « حديقة بولونيا » التي تقل ترتيبا وتنسيقا وعناية عن حدائق لندن . ففي حدائق لندن الارض كلها خضراء معشبة والاشجار كبيرة ومنسقة وهنا توجد اشجار ولكنها اصفر حجما والارض جرداء غير مغطاة بالخضرة ، وماء البحيرات متغير اللون في حدائق باريس كانه لم يغير منذ امد بعيد . . . طفنا في اجزاء متحف (اللوفر) البناء فخم والآثار كثيرة وتمثل حضارات العالم ، والمتحف امامه حدائق واسعة . وخلال جولتنا هذه زرنا قبر نابليون وهو بناء فخم ودفن فيه الجنرال فوش ايضا ، وفيه متحف للأسلحة القديمة . وهنا استرحنا قليلا لان التعب اخذ منا كل ماخذ . ثم زرنا القصر الكبير والقصر الصغير وفيهما متحف للفن الفرنسي ويفصل بين القصرين شارع عريض يمتد من قبر نابليون . ثم ذهبنا الى قصر الاليزيه فشهدناه دون ان ندخله وشاهدنا الحرس الجمهوري بألبسته الرسمية ولكن شتان ما بين منظر قصر الملكة والحرس الملكي في لندن والقصر الجمهوري في باريس من حيث اللباس والنظام وعراقة التقاليد .

في احدى صالات التمثيل

ذهبنا الى صالة (ميكادون) في الثامنة مساء لنشاهد احدى التمثيليات ودفعنا ٩٥ فرنكا عن كل شخص . المكان يتسع لآلفي متفرج والممثلون خمسون والرواية

ناشفة وما فيها الا سرعة ابدال اللباس واسدال الستائر ورفعها . ثم عدنا الى الفندق في منتصف الليل ومما يذكر أن التمثيل ممنوع يوم الاحد في لندن وكذلك المباريات لانه يوم راحة ونزهات ورحلات الى المسابح والحدايق والالعاب الرسمية .

في السفارات الاوربية

المعاملة كانت حسنة في سفارة هولندا وسويسرا وحصلنا على تأشيرات دخول بسهولة وتزودنا بمعلومات عن المياه المعدنية واطباء الجلدية في سويسرا كما حصلنا على الكتب والنشرات السياحية والمصورات .

طبيب سوري في باريس

بعد ظهر هذا اليوم ذهبنا لمراجعة الدكتور فؤاد القيمم الطبيب السوري المقيم في باريس . دخلنا العيادة وانتظرنا دورنا حيث أن عدد الزبائن لا بأس به . ولما دخلنا استقبلنا بالترحيب والبشاشة وبعد ان شرحنا له مرضنا أرشدنا الى طبيب مختص وأستاذ في السوربون وطلب منا أن نعلمه عن نتيجة زيارتنا له وأن نستعين به بكل ما يلزمنا في باريس . عرضنا عليه دراهم فلم يقبل . ودعنا الدكتور القيمم شاكرين واتصلنا بالطبيب الذي أرشدنا اليه وحصلنا على موعد بعيد ثم استطعنا بعد تدخل صاحبة الفندق أن نجعله في الساعة السابعة والنصف مساء هذا اليوم .

ولما ذهبنا الى عيادته ودخلنا الى غرفته رأينا أنه رجل ذكي في الخامسة والاربعين . استجوبنا وأعطيناه المعلومات وقرا وصفات طبيبنا الخاص الدكتور خبصة في بيروت وأعجب بمعلوماته . وبعد الفحص وصف لنا دواء على الا نتناوله الا بعد استشارة الدكتور خبصة وكتب لنا وصفة ثانية تستعمل أدويتها آتياً . . . وقد سررت جدا بزيارته لما أبداه من تفهم ومن لطف في المعاملة . واعترافا بالفضل دفعنا له اجرة المعاينة مبلغ ستة آلاف فرنك وودعناه شاكرين مطمئنين على صحتنا ، خاصة وأن المرض كان خفيفا وربما بسبب راحة الفكر ووافق الطبيب على هذه الملاحظة .

زيارة سوق خضار فرعي في باريس وحديث عن أسواق الخضار

الهدف التجاري مراعى في رحلتنا فالتجارة عملنا ونريد أن نستزيد من المعلومات عنها لنخدم أنفسنا وبلدنا ، وهذا ما يجعلنا نركز في زيارتنا على الاسواق التجارية والمنشآت الصناعية والزراعية .

كنا في باريس قد زرنا أكثر معالمها التاريخية والحضارية ، وطفنا شوارعها كلها خلال زيارتنا للسفارات السورية والأوروبية للحصول على تأشيرات ، ولا رغبة لنا في ارتياد المسارح ودور السينما والملاهي المتعددة وهي التي يشغل زوار باريس أوقاتهم في ارتيادها ، لذلك قررنا أن نزور سوق خضار فرعيا بعد أن زرنا سوق الخضار الرئيسي في مدينة باريس .

في هذا السوق اصناف الخضار والفاكهة كلها ، وهم يبيعونها على بسطات تشبه المربيات في الشام وكل صنف من الاصناف بسعر مثبت على بطاقة ولا يستطيع أي انسان ان يمس البضاعة بل يشاهدها ويقرا السعر فاذا رغب في الشراء وقف بدوره مع الواقفين فاذا وصل دوره طلب حاجته ودفع الثمن واخذ ومضى في سبيله . ومن خلال ملاحظة الاسعار في هذا السوق وفي السوق الرئيسي الذي زرناه مرة ثانية وقت البيع والشراء وجدنا ان نسبة ارباح باعسة الفرق تتراوح بين ١٠٪ و ٣٠٪ من ثمن الكلفة ، وفي سوق الهال الرئيسي لاحظنا ان الشوارع والممرات تغطى لبائمي الزهور لقاء اجر يدفعونه للبلدية ، وحول السوق الرئيسي توجد محلات لبيع الخضار والفاكهة كما هو الحال عندنا والخضار تنقل في المدينة بواسطة السيارات .

سان ميشيل وحديقة اللوكسمبورغ والشانزليز

ثم توجهنا الى شارع سان ميشيل وهو من الشوارع الرئيسية الممتازة في باريس وفيه حاجات ممتازة ودخلنا حديقة اللوكسمبورغ وفيها اشجار وزهور وبحيرة ونوافير ماء واللعاب متعددة للاولاد ويستفيدون منها لقاء اجور بسيطة . ومن اراد الجلوس على كرسي فقط يدفع ما قيمته سبعة قروش سورية بعملتهم . الحديقة منظمة احسن تنظيم طافحة بالزوار امضينا فيها ساعتين .

ثم ذهبنا الى شارع الشانزليزه وبقينا فيه حتى الحادية عشرة ليلا ، فالانسان

لا يمل من زيارته والطواف فيه حيث بدهش من عظمته وكثرة المقاهي التي تسبي العقول بجمالها وكثرة المخازن والمحلات التجارية ووفرة المعروضات وتنوعها وكثرة الملاهي ودور السينما والمسارح والمطاعم ، يضاف الى ذلك كله الفنادق الفخمة ، وقد زرناه اكثر من مرة .

مشاهدة العرض العسكري

الاربعاء ١٤/٧/١٩٥٤ :

استيقظنا في الساعة صباحا وغادرنا الفندق بلا فطور لنصل الى مكان العرض العسكري ونحجز أماكن فنتمكن من مشاهدة هذا العرض . وصلنا مبكرين وشاهدنا الجيوش تدخل من الطرق المؤدية الى مكان وقوف رئيس الجمهورية وهي تدق الارض بقوة على انغام الموسيقى العذبة . وفي الساعة التاسعة والنصف استعرض رئيس الجمهورية الجيوش بسيارة مكشوفة وبقينا في مكاننا مأخوذين بمشاهدة هذا العرض الفخم حتى الساعة الحادية عشرة حيث عدنا الى الفندق وتلنا قسطا من الراحة ، ثم عدنا الى ساحة العرض نمتع انظارنا بمشاهدة المشاركين فيه . . . وينتهي العرض وتعود الى الفندق لتنزل منه مرة ثالثة للطواف في شارع كران آرمه الموازي لشارع الشانزليزه حيث شاهدنا محلات بيع الالعاب للصغار والكبار .

الخميس ١٥/٧/١٩٥٤ : بعد دراسة متأنية للظروف والملابسات التي اعترضت

سبيل ذهابنا الى اسبانيا قررنا العدول عن زيارتها لضيق الوقت وللمدة الطويلة اللازمة لتصل الى فلانسيا بلد الشمس ، وزيارتها هي الهدف الرئيسي من ذهابنا الى اسبانيا، لا سيما وأن موسم الشمس سينتهي قبل وصولنا اليها حسب ما قدرناه . فلنحول الاشرعة اذن شطر أوروبا الغربية وكنا حصلنا على تأشيرات الدخول اللازمة من سفارات بلجيكا وهولندا وسويسرا وإيطاليا ، وما علينا الا أن نلم شبانكا ونهنيء أنفسنا لمغادرة باريس التي لم يعد للاقامة فيها مآرب بالنسبة لنا . حاسينا صاحبة الفندق ودفعنا حسابنا تأهبا للسفر غداً ولم يبق يعوقنا شيء عنه .

الجمعة ١٦/٧/١٩٥٤ : غادرنا باريس في الثامنة صباحا وخمس وثلاثين دقيقة .

وكان الطريق بين باريس وحدود بلجيكا مع فرنسا منظما معتنى به ، والقرى

والمدن اكثر تنسيقا وجمالا والارض خصبة مزروعة حنطة وبطاطا وهي اراضٍ بعلية لا تحتاج الى السقاية نظرا لكثرة الامطار . المناظر جميلة والعناية والنظام والحركة لم نشهد مثلها على الطريق الممتد بين ديب وباريس . ولتوضيح الفرق بين الطريقين اذكر اننا مررنا بقرية تقع على الطريق الثاني اسمها (لاون) وهي بلدة جميلة مبنية على عدة هضاب تكثر حولها الاشجار وبنائها متباعد واسطحه المنازل مغطاة بالقرميد والجدران مشيدة بالآجر . البلدة جميلة جدا وتشبه المصايف اللبنانية .

معاملة حسنة على الحدود

عند طرف فرنسا اشر الفرنسيون على اوراق السيارة دون أن يؤشروا على الجوازات او يطلبوها منا وكذلك فعل البلجيكيون عند طرف بلدهم . وعندما دخلنا الاراضي البلجيكية تحسنت الطرق وتحسن البناء ، فالطرق اكثر عرضا من طرق فرنسا واشاراتها اكثر وأوضح ، وهي مخططة بخطوط بيضاء ممتدة على طول الطريق والزفت ناعم وجيد والابنية فخمة محاطة بالحدائق الطافحة بالزهور والاشجار ، كما لاحظنا العناية بالزراعة . كل هذا جعلنا نشبه بلجيكا ببريطانيا من حيث البناء والعناية بالطرق وبالزراعة .

ودخلنا اول مدينة بلجيكية وهي صناعية غنية بمناجم الفحم الحجري وفيها معامل كثيرة . مررنا بعدة قرى تختلف من حيث الترتيب والتنسيق وعرض البضائع عن القرى الفرنسية وتشبه الانكليزية . وقبل ان نصل الى بروكسل بثلاثين كيلو مترا منها دخلنا مطعما وتناولنا طعاما شهيا كثير الكمية حيث يضعون الطعام ليغرف الزائر بقدر ما يريد ، وبعده قدموا الموز والبرتقال والتفاح ، وفرحنا بالتفاح خاصة لاننا حرمانه منذ خروجنا من دمشق حتى هذا التاريخ . وكان ثمن الوجبه كلها ٢٤٠٠ فرنك . وهنا ملأنا سيارتنا المسكينة المكدودة بالبنزين وهو ارخص من فرنسا دخلنا بروكسل في الرابعة مساء ونزلنا في فندق (بوليفارد) وسعر النامه فيه لسرير واحد بلا طعام تساوي سبع ليرات سورية وهو احسن من فندقنا في باريس وكانت اجرة المبيت فيه تسع ليرات سورية لكل ليلة . تلك كانت الاسعار في ذلك الوقت اما الآن فيا لطيف ! . .

زيارة معالم المدينة

طفنا شوارع المدينة بالسيارة وذهبنا الى قصر الملك والبرلمان وتفصل بينهما

حديقة عامة كما ذهبنا الى القصر العدلي وهو مبني على هضبة عالية تطل على المدينة . والمدينة القديمة منخفضة غير نشطة ، بناؤها متقارب حتى يخيل اليك انه متراكب . والطرق ضيقة وخطوط الترام تشغل كل الطرق لانها تغطي المدينة كلها كما تغطي الضواحي لمسافة خمسة عشر كيلو مترا عن المدينة .

زرنا الجامعة وهي واسعة فيها عدة ابنية محاطة بالحوائط وتقع على هضبة عالية وفي احسن مناطق المدينة حيث الشوارع العريضة . وابنية الجامعة مكسوة جدرانها بالخرقة . وزرنا في طريق العودة الى الفندق محلا تجاريا وهو سوق تجاري داخلي يشبه سوق الليدو الذي شاهدناه في باريس في شارع الشانزليزه ولكنه يفوقه في الفخامة وحسن التنسيق وجمال العرض . وفيه سلع جميلة لم نشاهد مثلها في اسواق باريس واسم هذا السوق كالوري لوثر . ثم عدنا الى الفندق نذرع شوارع بروكسل في المساء وقد ازدانت بالانوار الكهربائية المتعددة الالوان مما جعلنا نتذكر ساحة بيكادلي في لندن .

السبت ١٧/٧/١٩٥٤ : غادرنا بروكسل في تمام الساعة الثامنة صباحا متوجهين الى (إيفنز) وهي مرفأ بلجيكا البحري ويبعد عن بروكسل ٤٧ كيلو مترا . وفي منتصف الطريق بين بروكسل وإيفنز مررنا ببلدة صناعية اسمها (بوم) تكثر فيها المعامل . والمسافة التي قطعناها في بلجيكا كلها تظهر لك هذا البلد وكأنه مدينة واحدة . فالبناى لم ينفصل بعضه عن بعض وهو جميل منسق والطرق عريضة مقسومة الى قسمين تتوسطهما حوائط وكل قسم يتسع لسيارتين ، ويوجد طريق للدراجات العادية على كل جانب . والطريق بين بروكسل وإيفنز مستقيم فيه كوعان او ثلاثة اكواع فقط وهو محاط بالاشجار .

الى هولندا الاراضي المنخفضة التي يكافح اهلها

ليمنعوا طفيان البحر على بلادهم

وعند وصولنا الى الحدود الهولندية شاهدوا جوازات سفرنا ولم يشاهدوا أوراق السيارة ولم يفتشوها . . . الطريق في هولندا جميل جدا عريض معتنى به ومشجر حتى خيل الينا اننا نسير في غابة . . . الارض خصبة مزروعة بالبطاطا والحنطة

ويلفت النظر في هولاندا كثرة الانهار وكثرة الجسور . وبعد (برايد) التي تبعد عن الحدود الهولندية البلجيكية مسافة عشرين كيلومترا وصلنا الى بلدة انقطع فيها الطريق . توقفنا على ضفاف نهر عريض يشبه البحر وقطعنا النهر بواسطة سفينة صغيرة مع عدد من الناس والسيارات والدراجات ودفعنا ما قيمته ١٢٥ قرشا وصلنا الى الضفة الثانية والى بلدة اسمها (انترنخت) وهي واسعة وفيها معامل وعدة جسور ، ثم وصلنا آخر الامر الى (امستردام) عاصمة هولاندا . وخلال الطريق الذي سرنا فيه يلاحظ الشبه بين هولاندا وبلجيكا من حيث جمال المناظر والعناية بالطرق والزراعة .

امطار غزيرة وبرد ورياح شديدة

في بلجيكا ومنذ دخولنا الى بروكسل وطوال المدة التي امضيناها هناك وعلى طول الطريق بين بروكسل وامستردام كانت الرياح تعصف بشدة والبرد يلسع جلودنا والامطار لم تنقطع ، ويستغرب الانسان كيف ألف اهل تلك البلاد جو بلادهم هذا حيث تراهم في الشوارع يعملون ويذهبون ويعودون دون أن يحسبوا للمطر أي حساب .

في ربوع امستردام عاصمة الاراضي المنخفضة

طفنا شوارع امستردام باحثين عن فندق ناوي اليه ، ندخل فندقا ونخرج من آخر الى أن القينا الرحال في فندق ليس له شهرة غيره لانه صغير واجرة المبيت في هذا الفندق عشرة فلوران للشخص الواحد مع الفطور فقط . والفلوران كان يساوي ٩٥ - ١٠٠ قرش سوري نمنا ولم تغادر الفندق لشدة الامطار والبلدة مغلقة اذ كنا في يوم السبت ، ولم تغادر الفندق الا بعد العاشرة من صباح اليوم التالي .

الاحد ١٨/٧/١٩٥٤ : تناولنا طعام الفطور في الفندق ثم سعدنا الى الفرقة واخذنا ننظر الى السيارات والمارة من خلال الزجاج ودهشنا لكثرة استعمال الدراجات العادية من قبل الرجال والشيوخ والنساء والاطفال . وقبيل الظهر خفت الامطار وهذا الجو فنزلنا الى المدينة وطفنا في الاسواق المزدحمة بالمتفرجين على عرض البضائع لان الهولنديين اصحاب ذوق ويعتنون بعرض بضائعهم وهم يشبهون الانكليز

من هذه الناحية . وأسعار البضائع في أمستردام مساوية لأسعار لندن تقريبا .
الناس مهذبون نشيطون يسيرون بأدب وحرية ، وعند الظهر أو بعده بقليل عدنا الى
الفندق وتناولنا الغداء وامتطينا السيارة لنذرع مدينة أمستردام كلها فالمدينة جميلة
جدا وطرقاتها منظمة تكثر فيها الاشارات الواضحة التي لا يحتاج الغريب معها الى ان
يسأل احدا عن أي مكان كما انه لا يوجد شرطة في الشوارع . وفي المدينة شبكة طرق
طويلة وواسعة للترام الكهربائي تغطي سائر الاحياء وفيها ايضا شبكة من الطرق المائية
لان البحر يتخلل المدينة حيث يوجد بين كل شارعين مجرى مائي تمخر عبابه سفن
تؤمن الانتقال ضمن اقسام المدينة ، وهذه السفن تحمل محل مترو الانفاق الموجود في
لندن وباريس . وفي المدينة اكثر من اربعمائة جسر منصوبة فوق الممرات المائية وهي
مرتفعة نسبيا عن سطح الماء لتسمح بمرور السفن تحتها . . . الشوارع عريضة
والحدائق كثيرة والابنية فخمة وخاصة تلك التي تقع حول المدينة وهي إما قيلات
او وحدات سكنية تفصل بينها شوارع عريضة وحدائق واسعة تسبي بجمالها العقول .
وواجهات الابنية مغطاة بالخضرة والنباتات المتسلقة والشرفات طابحة بقطع الزريمة
المليئة بنباتات الزينة والورود .

ضاحية من ضواحي امستردام

سرننا في طريق عريضة مستقيمة على احد جانبيها طريق مائية وترام كهربائي
مؤلف من عربة صغيرة وعلى الجانب الآخر قطار كهربائي يسير بسرعة لا تقل عن مائة
كيلو متر في الساعة . وصلنا ضاحية تبعد عن العاصمة مسافة عشرين كيلو مترا ولم
نشاهد أي فروق بينها وبين العاصمة لا في البناء ولا في الطرقات المنظمة ولا الحدائق
المنظمة والمحلات التجارية التي يتفنن اصحابها بعرض بضائعهم ولا في عادات السكان
واخلاقهم وسلوكهم . عدنا ادراجنا الى الفندق وعقارب الساعة تشير الى السادسة
والنصف مساء حسب توقيت أمستردام . سهرنا حتى الحادية عشرة ليلا نخطط
لرحيلنا من أمستردام صبيحة اليوم التالي ثم أسلمنا أجاننا للكرى واجسادنا للرقاد .

جولة اقتصادية

الاثنين ١٩٥٤/٧/١٩ : تركنا الفندق الثامنة صباحا بعد ان تناولنا طعام الافطار
وتوجهنا الى غرفة التجارة لأخذ معلومات عن الاصناف التي تصدّرها .

كانت الساعة التاسعة تماما عندما دخلنا بناء غرفة التجارة فاستقبلنا أحد
 موظفيها وقال أن المراجعات تبدأ في الساعة العاشرة ولكنه سمح لنا بمراجعته حتى
 لا نعود ثانية وتؤخر أعمالنا . سألناه عن التجار الذين يتعاملون تجارة الجوز والبزر
 والمشمش في أمستردام . وقد همّ باعطائنا المعلومات التي طلبناها ولكنه ضمت
 برهة ليقول الأحسن أن تذهبوا الى دائرة التجارة الخارجية لتحصلوا على معلومات
 أدق وأوفر من تلك التي سأقولها لكم وأعطانا عنوان تلك الدائرة . ذهبنا الى دائرة
 التجارة الخارجية وعقارب الساعة تشير الى العاشرة تماما . جلسنا في غرفة الانتظار
 فحضر على الفور موظف مختص فهم منا ما نريد فأحضر جدولا مطبوعا فيه عناوين
 التجار الذين يتعاملون بالاصناف التي ذكرناها له وأسعار هذه الاصناف عند كافة
 التجار والمصدرين . وعندما قلنا له نحن نريد الاتصال بأفضل التجار الذين يتعاملون
 بتلك الاصناف اذ ليس لدينا الوقت الكافي للاتصال بهم جميعا ، كتب لنا ستة أو
 سبعة عناوين . ذهبنا لزيارة احد أصحابها وهو مختص بتجارة البطاطا يستوردها من
 شمال البلاد ويصدرها وليس لديه مزارع ، ولكن هذا يجعلنا نقرر ان نذهب الى
 (ستجاكوبي) الواقعة في الشمال . . . تركناه وذهبنا الى عنوان آخر يتاجر صاحبه
 بالجوز والبزر ، وقابلنا الرجل وشاهدنا على مكتبه مسطرة من الجوز . قلنا له هذا
 الجوز من سوريا اليس كذلك فأجاب نعم ، قلبنا حبات الجوز بحب ولهفة ولفت نظرنا
 وجود حبة يدل مظهرها على أنها فارغة فوجدها فارغة عندما كسرها كما قلنا فأعجب
 بدقّة ملاحظتنا ومعرفتنا . وعندما جاء ذكر البزر قال ان الصين تقدمه لنا بأسعار
 افضل بكثير من اسعار سوريا . . . أما عن القمر الذين فهو لا يريد ان يسمع اسمه
 وهذه الظاهرة لمسئناها في كثير من البلدان التي زرناها فهم ينعنون القمر الذين بعدم
 النظافة وانخفاض مستوى الجودة . . . طلب منا ان نرسل له مساطر جنوز وبزر
 حلو ومر ويانسون وكمون وأن نريه المساطر الموجودة معنا . كما ذكر لنا بأن لديه
 عرض تفاح الى فرنسا وأعطانا عنوان محله في تلك البلاد لتعرض عليهم مساطر تفاح
 يريدونه في ايلول . . . ودغناه شاكرين واتجهنا الى البنك حيث بعنا خمسين جنيها
 شيكا على لندن بسعر ١٠ر٦ فلوران وقبضنا ثمنها ٥٢٠ فلوران كما بعنا ما كان قد
 بقي معنا من الفرنكات الفرنسية . . . وكانت نهاية المطاف في الفندق حيث دفعنا الحساب عن
 سنامة اربعة اشخاص مدة ليلتين مع ترويقة طعام الفطور مبلغ ٧٢ر٩٠ فلوران هولندي .

مفادرة أمستردام

أخذنا أغراضنا وحملناها على سيارتنا الموقرة عند الظهر وانطلقنا نبحث عن الطريق الذي يوصلنا الى ساحل هولاندا الشمالي وميناء (ديافر) وسرعان ما وجدناه . انطلقنا بسيارتنا وفوجئنا بأن الطريق قد انتهى أمامنا ووصلنا الى شاطئ ماء ممر مائي كان علينا أن نقطعه بواسطة قارب ونحن راكبون في السيارة . وحضر من أخذ منا اجرة العبور نصف فلوران عن السيارة وأربعة أشخاص وهو يساوي مبلغ خمسين قرشا سوريا والمسافة التي قطعناها تقدر بحوالي خمسمائة متر . ولما وصلنا استلمنا الطريق مرة أخرى وانطلقنا وأظنك لن تعجب من صغر المبلغ الذي دفعناه اجرة عبور عندما أقول لك ان العابرين كثيرون ففي اللحظة التي عبرنا فيها عبر قبلنا الى الزورق ما لا يقل عن عشرين سيارة وعدد كبير من راكبي الدراجات العادية . المناظر جميلة والريف طافح بالخيرات والطريق غنية بالمناظر الجميلة والقرى تتناثر على جانبيها . الارض كلها مزارع فيها الأبقار والخضار والبطاطا والشوندر والحنطة ، وأقول بكل ثقة واطمئنان انك لا ترى التراب لأن الارض مغطاة كلها بالزروع الكثيفة المتنوعة الجيدة . ولفت نظرنا آلة رش يسحبها جرار ترش الماء بعرض خمسة عشر مترا ، ترجلنا من السيارة وذهبنا الى الشخص الذي يعمل عليها لنستفسر عن هذه الآلة ولكننا لم نحظ بجوابه لأن أكثر الهولنديين لا يتكلمون الانكليزية ولا الفرنسية وانما يتكلمون لغتهم التي تشبه اللغة الألمانية . وصلنا احدى القرى وتزودنا بالطعام من احدى بقالياتها : لحم بارد وجبن ومخلل وخبز واكلنا خلال الطريق . . . القرى التي مررنا بها أجمل من المدن بنساء ونظافة وكثرة حدائق ، وسكانها لا يقلون سعادة وجمال خلق وخلق عن سكان المدن . وأقول عن هولندا وخدمة للحقيقة أنها بلد نظيف ومرتب اذ لم نشاهد في شوارع أمستردام وحدائقها وكذلك في الطرقات والقرى التي مررنا بها وفي حدائق تلك القرى ورقة ملقاة على الارض . . . وهولندا من هذه الناحية تفضل على بلاد الانكليز التي سبق ان تحدثنا عن جمالها وترتيبها ونظافتها . . . الجسور والممرات المائية وتفرعات البحر او الانهار ترافقك طول الطريق ، ونساء هولندا نشيطات يسرن بهمة ونشاط يغلب على لون وجوههن الحمرة التي تشبه لون شراب الرمان الدايب كما يقولون عندنا .

وصلنا ميناء (ديافر) لنشاهد فيه العجب العجاب وظهور السدود التي تتحول الى مزارع . والمعروف عن هولاندا ان ارضها تنخفض عن مستوى سطح البحر وهذا هو تفسير اسمها (الارض المنخفضة) الامر الذي جعل الهولانديين يقيمون السدود الكثيرة ليدراوا عن انفسهم وعن ارضهم شر الفيضان وليكسبوا من البحر ارضا يوسعون بها رقعة بلادهم . ومن الحكايات التي تصور بطولانهم في هذا المجال حكاية طفل هولاندي شاهد ثغرة صغيرة في احد السدود يندفع منها الماء فما كان منه الا ان تقدم الى تلك الثغرة وسدها بيده الصغيرة لعل آتٍ يأتي ويساعده على سد هذه الثغرة ولسوء الحظ لم يأت هذا الآتي وبقي الطفل يسد الثغرة بيده والزمهرير يلفح وجهه وجسمه الفض الصغير والمطر ورشاش الموج يفرقه بماء غزير ليلة كاملة وجزءا من النهار ليأتي هذا الآتي ويشاهد الطفل البطل جثة هامدة ويده في الثغرة تسدها وتمنع تدفق الماء منها .

ويستمر كفاح سكان الاراضي المنخفضة مع البحر اذ يقيمون السدود ويكسبون ارضا من البحر ويقيمون المزارع الخصبة والطرق المعبدة التي يعجب الانسان عندما يشاهدها . وعندما وصلنا الى ديافر ظننا اننا سنقطع ٢٩ كيلو مترا نحن وسيارتنا بواسطة باخرة او زورق بخاري الامر الذي سيكلفنا وقتا وانتظارا حتى يصل الينا الدور وهنا حصل ما لم يكن بالحسبان اذ وجدنا اننا قطعنا عشرة كيلو مترات من المسافة على طريق عريضة معبدة وسنقطع ما بقي من المسافة على الطريق ذاتها ويا لها من دهشة ويا لها من عظمة شعرنا بها عندما عرفنا ان الطريق العريضة وطولها ٢٩ كيلو مترا قيمت على ارض اغتصبت من البحر . ليس هذا فحسب بل يمتد الى جانبها في الجهة المحاذية للماء سد عريض حوّل الهولانديون ظهره الى مزارع وحقول مغطاة بالحشائش والاعشاب ترعى فيها الابقار والاعنام . ويزداد الانسان دهشة عندما يعلم ان الطريق ترتفع عن مستوى سطح البحر والسد الذي يحميه بمقدار عشرة أمستار اي أن الطريق ترتفع عن مستوى سطح البحر عشرين مترا . . ظهر السد مقسم الى اقسام طول كل قسم الف متر واعطي كل قسم الى شخص يستقله ويستفيد منه ويفيد بلده بما يقدمه من انتاج حيواني ونباتي . . . قطعنا عشرة كيلو مترات اخرى على الطريق ذاتها التي تحول ظهرها الى مزارع غنّاء ووصلنا اخيرا الى قرية

أسمها (هالكن) وهي قرية صغيرة فيها فندقان نزلنا في واحد منهما والاجرة فيه خمس فلورانات عن الشخص الواحد في الليلة مع طعام الفطور . طفنا في هذه القرية وشاهدنا شوارعها العريضة المعنى بها وتتوفر فيها النظافة التي لمسناها في امستردام نفسها . والمحلات التجارية تمتاز بدقة العرض وجمالها وفيها كل ما يحتاج اليه الفرد وهي قرية هادئة جدا .

الى « سنجاكوبي » لمشاهدة مزارع البطاطا واماكن تحضيرها للتصدير

في الفندق المتواضع في قرية « هالكن » تناولنا الافطار وهو ينم عن سخاء وكرم ويتكون من زبدة وجبن ولحم وخبز وبسكويت وحليب وشاي وبيض الامر الذي جعلنا نظن ان ثمن هذه الوجبة غير داخل في الاجرة المتفق عليها ولكن شيئا من ذلك لم يحدث . دفعنا الاجرة المتفق عليها وغادرنا البلدة متوجهين الى « سنجاكوبي » بعد ان اتصلنا بالشركة وابلغناها عن رغبتنا في الاطلاع على مزارع البطاطا وطرق اعدادها وتحضيرها للتصدير وكان جوابهم تفضلوا على الرحب والسعة .

اهتدينا الى مركز الشركة فقابلنا المدير وجلسنا معه ساعة كاملة حدثنا خلالها عن البطاطا وزودنا بالمعلومات التي طلبناها منه كاملة ثم صحبتنا بعد ذلك الى مركز تحضير البطاطا واعدادها للبيع والتصدير . . . دخلنا مستودعا واسعا عرضه اربعون مترا وطوله سبعون وضمنه آلات تحضير البطاطا وفرزها . تأتي البطاطا من المزارع بالسيارات او القطار الذي يصل الى داخل المستودع . . . تفرغ البطاطا من الاكياس في آلة حيث يزال ما علق بها من تراب وتنزل بعدها غرايل تفرزها الى ستة مقاييس وكل مقياس ينزل من مزارب السى الكيس مباشرة ، ويقف عمال بجانب المزارب يدفعون البطاطا المجروحة او المكسورة لتنزل من مزارب خاص وبعد التنظيف والفرز والتنقية والتعبئة تذهب الاكياس الى الميزان ثم الى السيارات او عربات القطار لتنقل من المستودع الى حيث تباع او تصدر . هذا المستودع يستوعب ١٥٠٠ طن من البطاطا تبقى فيه اربعة اشهر دون ان يتطرق اليها الفساد ، ولدى المستودع صناديق لاجل تعبئة البطاطا وهي افضل من الاكياس . والمستودع براد يحفظ الحرارة التي تصل في الشتاء الى ١٥ درجة تحت الصفر . بعد هذا المشهد الرائع الذي يدل على اتقان

في العمل واخلاص في تسويق البطاطا حيث لا تغش عند التعبئة كما يفعل الكثير من مزارعينا او تجارنا ...

ذهبنا الى مزارع البطاطا والقمح والشوفان فراينا من دقة في التنظيم امورا جعلت الارض تمور بالخيرات . فالشوفان او هذا النوع الذي يشبه الشوفان يعطي مائة ضعف ، والبطاطا ترتفع ثمانين سنتيمترا عن سطح الارض والارض (ما يتمل) كما يقولون عندنا فما احرانا نحن العرب أن تكون لنا مثل هذه الهمم وهذا التنظيم والاخلاص لاننا ورثة حضارة زاهرة امتاز اصحابها بالهمم العالية والنصيحة والاخلاص في العمل . هذا من جهة ومن جهة ثانية حتى يتاح لنا ان نستغل أرضنا على اكمل وجه واحسن حال . وكان مما شاهدناه في المزارع زرائب البقر ومحلات حفظ الآلات ومحلات حفظ البذار للعام القادم حيث لا يتطرق اليها الفساد كما شاهدنا دار صاحب المزرعة وهي تشبه قصرا منيفا يحوي وسائل الراحة جميعها . والزرائب بناؤها بسيط وكلفتها زهيدة ومثلها تمديدات المياه في المزرعة .

« على الحدود الهولندية الالمانية »

كانت السهولة في الاجراءات والسرعة في انجاز المعاملات ما لمسناه في الجانب الهولندي من الحدود حيث اشروا لنا على الجوازات وعلى اوراق السيارة وابدلوا لنا العملة الهولندية بالعملة الالمانية بمدة دقيقتين فقط وسمحوا لنا بالمفادرة . غادرنا والسنتنا تلهج بالثناء على هؤلاء القوم الذين شاهدنا في بلادهم الجمال والنظام والانتاج وحسن المعاملة وما لمسناه من الجانب الالمانى شبيه بذلك تماما . فما ان وطئت اقدامنا ارض الالمان حتى انهوا لنا معاملة الدخول بلا عناء ولا مشقة ولا منغصات كما هو ملاحظ على الحدود بين الدول العربية التي ينتسب بناؤها الى امة واحدة ويجري في عروقهم دم واحد .

في ارض « الجرمان » البلد الذي دمرته الحرب وغرور القادة

بعد ان عبرنا الحدود شاهدنا قرى عامرة جميلة ومنظمة بناؤها يدل على ذوق رفيع ولكنها متباعدة حيث يقطع الانسان بضعة كيلو مترات دون ان يشاهد قرية

الامر الذي لم نشاهده في هولاندا التي تتصل قراها ومدنها حتى ليخيل اليك وانت
تعبر تلك الديار أنك تمر بمدينة واحدة متصلة . سرنا في طريق عريضة من تلك الطرق
التي انشأها هتلر ، تتسع لاربع سيارات وفيها أربعة مسارات اثنان للذهاب واثنان
للإياب وتفصل بينهما أحواض مزروعة بالحشائش . طول هذه الطريق ١٣٢٠ كيلومتر
ولا يوجد فيها مقطع واحد . وبلغت النظر وجود آثار الحرب فقد لاحظنا ذلك عندما
وصلنا مدينة « بريمن » وهي كبيرة فيها خرائب . لم نقم في هذه البلدة بل تابعنا
سيرنا الى « هامبورغ » المدينة التجارية الشهيرة فلم نجد فندقا ننزل فيه على الرغم
من البحث الطويل وعقدنا العزم على ان ننام في السيارة ، ولكن القدر حمل الينا حلا
لمشكلتنا حيث وجدنا غرفة فيها سرير واحد آوت اثنين منا أنا وام راتب ونام راتب
وموفق في السيارة . كنا متعبين جدا لاننا قطعنا مسافة ثلاثمائة وتسعين كيلو متر
دون استراحة قبل ان نلقي عصا الترحال في هامبورغ .

« في هامبورغ »

الأربعاء ١٩٥٤/٧/٢١ : استيقظنا صباحا الساعة الثامنة والنصف وجاء راتب
وموفق فأرسلناهما للبحث عن فندق فذهبا وعادا وأفادانا انهما وجدنا لنا محلا ناوي
اليه في فندق « بوليف » وهو فندق نظيف يقع على البحيرة وتحيط به مناظر جميلة
وفرشه جيد . حمدنا الله سبحانه الذي يسر أمورنا . . . حاسبنا صاحبة الغرفة
ودفعنا سبعة عشر دولارا عن اجرة التخت ليلة واحدة وثمان طعام الفطور . ولم تكن
وحدنا الذين لم نوفق في ايجاد فندق فقد شاهدنا كثيرين مثلنا يبحثون عن فندق
ولم يوفقوا في الحصول على أي مكان يأوون اليه . ففي دائرة الشرطة المخصصة للاولاد
شاهدنا مايقرب من مائتي شخص أمضوا ليلتهم على الكراسي من المساء حتى الصباح
وذلك بعد ان يسوا من وجود مأوى .

« جولات اقتصادية »

تركنا موفق وام راتب في الفندق لينا قسطا من الراحة وذهبنا الى محل أحد
التجار وكنا أخذنا عنوانه من أمستردام . وجدناه وأمضينا معه ساعة نتحدث عن البزر
والجوز واليانسون وقشر القنب والزبيب الدربلي وقدمنا له عينة من قشر القنب

ليعرضها على المستوردين ، وكان مما قاله عن الزبيب الدربلي أن قبرص تعطيهم بسعر مناسب وارضخص . ففي العام الماضي اشترى الطن بأربعين جنيها تسليم هامبورغ اما في هذا العام فقد اشترى الطن بستة وثلاثين جنيها تسليم هامبورغ ايضا ، أما عن الجوز والبزر فقد أبدى لنا عدة ملاحظات سجلناها على دفترنا .

« معمل لقشر القنب »

طلبنا من هذا التاجر أن يرشدنا الى من نشترى منهم معملا لقشر القنب . اتصل بالهاتف وكلمت عدة اشخاص ثم ارشدنا الى وكالة معامل . قلنا له : ارسم لنا مخططا نستطيع بواسطته أن نصل الى الوكالة لاننا غرباء فما كان منه الا أن نهض وقال أنا ارافقكم بسيارتي وعندما ذكرنا له أننا نملك سيارة مشى امامنا حتى أوصلنا بسيارته الى مركز الوكالة . ودعنا وشكرناه واعتذر منا اذ كان يود أن يأخذنا الى داره لولا مرض زوجته . سعدنا الى مركز الشركة ودخلنا غرفة وجلسنا أمام طاولة صغيرة ثم حضر شخصان يتكلمان الانكليزية عرضنا عليهما عينة من القنب المنقوع بالماء ومن القنب الذي لم ينقع في الماء ، وشرحنا لهما طريقة الحصول على القشر في بلدنا . سجلا كل ما قلناه لهما ثم ابدينا رغبتنا في الحصول على معمل لقشر القنب ينتج يوميا من طين الى أربعة اطنان من قشر القنب فقلا لنا : انهما سيتصلان بالشركة للحصول على معلومات كافية يزوداننا بها بعد مضي خمسة عشر يوما . ودعناهما شاكرين بعد أن سألناهما عن عنوان الغرفة التجارية فأرشدانا اليه . ذهبنا من فورنا الى الغرفة فشاهدنا بناء فخما فيه الغرفة والبورصة العامة (المصفق) حيث تحصل المضاربة بأسعار التجارة والنقد وتعقد الصفقات التجارية ...

استقبلونا بحفاوة بالغة . طلبنا منهم أسماء التجار الذين يستوردون الجوز والقمر الدين والبزر فأعطونا عدة أسماء وذكرنا لهم أننا اتصلنا بتاجر سميناه لهم فأتوا عليه وذلك لانهم سالونا ألا تعرفون أحدا هنا ؟ ...

واتصلنا بتاجر من المتعاملين بالجوز والنقوع وتحدثنا معه في تجارة هذه الاصناف والبلاد التي تصدرها وطلب منا عينات مما عندنا وقال أنه يريد العبوات اكياسا

موحدة الوزن تشحن بسرعة لتصل خلال خمسة عشر يوما وقبل النصف الثاني من تشرين الاول ، كما طلب عينات من كسبة القطن و بزر الكتان مع بيان نسبة الزيت فيهما . اما اليانسون فقال انهم يشترونه من تشيكوسلوفاكيا بأرخص من أسعارنا ، وكذلك الشعير و بزر المشمش ، والصين أيضا أسعارها أرخص . وعن قشر القنب قال أن النوع الافريقي أرخص ولكن أعجبت العينة التي حملناها معنا . ذكرت هذه التفاصيل لاقول ان التجارة الخارجية تحتاج الى الكثير من المعلومات والمرونة .

ولما غادرنا محله طفنا في أرجاء محطة هامبورغ التي لا تقل سعة وضخامة عن ميلتيها في باريس ولندن وتفضلهما بالترتيب والنظام وتحتوي على كل الخدمات الضرورية . ثم سرنا على الشاطئ وهو من أجمل ما رأينا بما حوله من ابنية وطرق وحدائق . ان الالمان يفتون النظر بالجد والمثابرة على العمل ويعملون من الثامنة صباحا حتى الخامسة مساء دون انقطاع ليبنوا بلادهم التي هدمتها الحرب وفيها الخرائب ما زالت ماثلة رغم مضي سنوات . كما ترى آثار الحرب في العدد الكبير من المشوهين الذين يضادفهم الناس ، ولعنهم يلقون عناية عظيمة من الحكومة ومن الشعب على حد سواء .

الى بون عاصمة المانيا الاتحادية الموقته

على اعقاب الحرب العالمية الثانية اطلق الحلفاء المنتصرون على الاقسام التي احتلتها الجيوش الاميركية والانكليزية والفرنسية اسم المانيا الاتحادية ويعرفها الناس كذلك باسم المانيا الغربية بمقابل المانيا المحتلة من الروس وتسمى الشرقية . ان عاصمة المانيا هي (بون) موقتا ريثما توحد برلين ، وانا حين اعيد النظر في هذه السطور في ١٩٩٠ اري ان الوحدة الالمانية قد تقررت ولا بد أن تنتقل العاصمة الى برلين .

في كل مكان يشاهد الانسان عظمة الشعب الالمانى فالطرق مستقيمة ردمت في سبيلها كل الوهدات وحفرت الهضبات وتوزعت على جنباتها أماكن وقوف السيارات لراحة المسافرين والمنطلق عليها بسرعة ١٥٠ كم لا يشعر بشيء يعرفل سيره من اهتزاز وغيره . اما الارض فمغطاة بالخضرة في السهول وعلى سفوح الهضاب والجبال مشجرة . وفي كل مكان ينطلق الدخان سخبا من المعامل . ولكن ترى الى جانب ذلك

الخرائب التي تركها هتلر بحربه . وقد جعل الشعب الالماني من نفسه ورشة واحدة عظيمة تعمل بنشاط وحركة لا تهدأ تسعفها الآليات الضخمة فأعيدت المواصلات الحديدية والمعامل وأنشئت الطرق ، وكنا في أثناء الزيارة ما نزال نشاهد التحويلات فلم يتم كل شيء ولكنه أمام هذه الوتيرة لا بد سيتم في وقت قريب ، وأخيرا وصلنا الى (بون) .

الجمعة ١٩٥٤/٧/٢٣ : بدانا نهارنا بزيارة السفارة السورية بعد اتصال هاتفى بالسيد طاهر الاتاسي نجل السيد فيضي الاتاسي من الشخصيات السورية المعروفة ، وقد كان السيد طاهر من أصدقاء راتب وموفق اذ درس معهما في لندن . أما الوزير المفوض الدكتور جمال الفرا فكان غائبا بموعدين رسميين ، ولكنه حين عاد استقبلنا بحفاوة واغرانا بالبقاء خمسة ايام أخرى نقضيها في المنتجعات الجميلة . ودعانا باصرار الى الغداء في مطعم فرنسي مقام على شاطئ الرين . وفي أثناء الغداء الشهي دار الحديث حول المعاهدة السورية الالمانية التي يلاحقها في بون ووعدناه بأن نلاحقها بما في وسعنا في دمشق . وقد أسعدتنا هذه الزيارة الى أقصى حد ولاحظنا جمال السفارة وسألنا عن أجور العمال والمستخدمين فيها من قبيل الاطلاع والمقارنة .

فرانكفورت مدينة الصناعة والتجارة

السبت ١٩٥٤/٧/٢٤ : من بون توجهنا الى فرانكفورت سالكين طريق الاوتوبان الذي يذهل بعظمته واتقانه وكثرة الجسور والاتفاق في طريقه ، حتى اذا وصلنا الى فرانكفورت لفت نظرنا مطارها العظيم وسعة شوارعها وكثرة الاشجار . وفي فرانكفورت نزلنا في فندق واخذنا عنوان طبيب جلدي ماهر فقصدنا اليه في مستشفى الجامعة وتمت المعالجة على يديه ولم تكلفنا اجرة المعاينة اكثر من خمس وعشرين ليرة سورية . ومن بعد ذلك طفنا في شوارع المدينة زهاء ساعة فوجدنا المدينة قد تعرضت لما أصاب المدن الالمانية الاخرى من الدمار والخراب والتجديد ، وقد وجدنا فيها اجمل البضائع التي تغري المشتري بأن يحمل ويمشي لو كان يملك المال والحقائب اللازمة !.. وبعد زيارة المحطة الفخمة فيها ، عدنا الى الفندق لننال قسطا من الراحة .

شتوتفارت

الاحد ١٩٥٤/٧/٢٥ : من بون انتقلنا الى شتوتفارت وفي طريقنا شاهدنا مدنا

صناعية وزراعية كثيرة تهدم معظمها أثناء الحرب ويعاد بناؤها ، والذي يلفت النظر هنا أيضا كثرة العامل . مررنا بمدن عديدة منها دارمشتاد وهایدلبرغ وهایلبرن ، وبين الاخيرتين يمتد الاوتوبان بين جبلين مكسوين بالاشجار والغابات الضخمة ، وعلى جانبي النهر مقاهٍ ومنتجعات للنزهة والراحة ومسابع ، والناس لا يحصون لأن اليوم يوم أحد وقد نصب الكثيرون خيامهم وأخذوا في السباحة . ولم يكن قليلا عدد من ينطلقون بالدراجات العادية والآلية الى جانب السيارات . ولاحظنا كثرة الجسور على النهر للوصول بين شاطئيه وتسهيل الانتقال والوادي طوله ثمانون كيلو مترا نسقتها يد الانسان فجعلت منها جنة حافلة بالقاصدين . ان هذا الوادي ذكرني بقصيدة المتنبي في (شعب بوآن) الذي ادهش شاعرنا العظيم ولكنه حين رأى نفسه وهو العربي في غير بلاده قال :

ولكن الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان
وهنا عادت بنا الذاكرة الى وطننا الحبيب الذي الفناه وتمنينا لو أن الايدي
تمتد الى بقاعه الجميلة وما أكثرها لتجعلها جنة للناظرين ! ..

ومما لفت نظرنا في الطريق مزرعة ورد لم يترك أصحابها نوعا من الورد والزهر الا غرسوه في مزرعة لا تتجاوز مساحتها عشرة دونمات . دخلنا المزرعة وتمتعنا بمناظرها وأخذنا فيها صور تذكارية مع بعض الزوار من الالمان . كما انه بعد (هایلبرن) تكثر اشجار الاجاص وشاهدناها في إبان حملها والثمر مكوّم عليها فلا يسع الانسان الا أن يقول (تبارك الله أحسن الخالقين) فليس أجمل من هذه الثمار ولا أكثر ، ولكن لا تمتد اليه الا يد أصحابه ولا يمد المارون يدهم اليه ولو لأخذ حبة واحدة . مائتان وخمسة كيلو مترات قطعناها بين فرانكفورت وشتوتفارت على طريق يتمنى الانسان ألا يغادرها أو ان يبقى فيها اطول مدة ممكنة ، ولو كانت لسيارتنا ارادة لتوقفت ورجتنا ان تبقى أكثر في هذه البقعة الجميلة عملا بما قاله المتنبي عن حصانه في القصيدة آتفة الذكر :

طبّت فرساننا والخيّل حتى خشيت وإن كرم من من الحران ! ..

في ربوع شتوتفارت

ان شتوتفارت مدينة صناعية عدد سكانها ستمائة ألف نسمة وتقع على عدة هضاب

وقد أصابها من الحرب ما أصاب غيرها من المدن حتى ليصح فيها ما قاله زهير بن أبي سلمى عن الحرب (فتمركم عرك الرحي بنعالمها . .) ولكن العزاء يجده الانسان في نشاط هذا الشعب الذي يعيد بلاده أجمل مما كانت . وقيل لنا في شتوتفارت أن فيها صنعت أول دراجة عادية في العالم عام ١٨٢٤ .

الانين ١٩٥٤/٧/٢٦ : بعد جولة في الاسواق والتسوق منها واشترينا خلالها الدواء الذي وصفه الطبيب غادرنا المدينة الى منتجع (بادن بادن) سالكين طريق الغابة السوداء ومررنا في خلال الرحلة بمدنيتين تصنع في احدهما أجمل مجوهرات العالم ، ثم وصلنا الى مقصدنا حوالي الساعة الثانية ظهرا .

ان بادن بادن مدينة الحمامات المعدنية وكان عدد سكانها ٣٨ الفا . وقد اخترنا أحد فنادقها واستأجرنا غرفتين احدهما بحمام معدني ٢٦ مارك والثانية بلا حمام معدني ١٨ مارك . وعرفنا أن في الفندق ١٥٠ غرفة والمياه المعدنية تصل الى كل الغرف وفيها آلات تدليك يدوية وكهربائية .

وضعنا الاغراض في الفندق وذهبنا لتناول الغداء خارج البلدة ، ثم عدنا ثانية الى الطواف في بادن بادن ، راجعنا طبيبا واستشرناه بالنسبة للمياه المعدنية وهل يناسبنا الاستحمام فيها أم لا . وبعد أن شرحنا له قصة مرضنا سمح لنا بالاستحمام كما اعطانا شهادة تساعدنا على دخول الحمامات العامة فيما اذا اعترض علينا معترض لان مرضنا الجلدي غير معد . ان بلدة بادن بادن تعج بالحركة تدخلها في كل ساعة مئات سيارات السياح والاغنياء الذين يبحثون عن الراحة والاستمتاع بالحمامات المعدنية الموجودة فيها وهي ذات شهرة عالمية . . . كما أن في المدينة كازينو ضخم ربما لا يوجد له نظير في العالم كله محاط بالحدائق الخاصة والعامة ، ووقع نظرنا على فندق جميل جدا يفوق بجماله فندق « هوش » ويجلب العافية لجمال مناظره وسعة حدائقه المحيطة به والمعلقة على نوافذه ويطل أيضا على الطرق الكثيرة المتفرعة لكننا لم نجد غرفا فيه وسوف نعيد السؤال غدا لعلنا نقضي فيه يومين أو ثلاثة لأن نزلاءه لا يحتاجون انسى الخروج فنوافذه البللورية الواسعة تشكل حدائق تطل على حدائق ومناظر جميلة .

عدنا الى فندقنا الاول « هوش » وكل غرفة فيه يصلها ثلاثة أنواع من المياه واجرتها اقل من اجرة غرفة « الحمة » عندنا . . . نمنا حوالي الحادية عشرة ليلا والى أن يحين موعد استيقاظنا في صباح اليوم التالي بحول الله تعالى نقول لكم تصبحون على خير .

« الى فندق باديس شنير »

الثلاثاء ١٩٥٤/٧/٢٧ : بعد حمام ممتع بالمياه المعدنية انتقلنا الى فندق « باديس شنير » الذي سبق الحديث عنه لقاء ١٢٠ ماركا عن أربعة اشخاص للمنامة والطعام ولا يوجد حمام ضمن الغرف ويستحم النزلاء في حمام الفندق .

« الحمام العام في بادن بادن »

وهو بناء فخم يحسبه الزائر قصرا من القصور له مدخل رائع الجمال يستقبلك فيه احد عمال المسبح بلطف ويسلمك درجا فارغا تضع فيه نقودك وساعتك والاشياء الثمينة التي تحملها وتقفله ثم تستلم منشفتين نظيفتين معقمتين (صغيرة وكبيرة) ويسلمك غرفة تخلع فيها ملابسك ويعطيك سلسلة يربطها بيدك عليها رقم مفتاح الغرفة المخصصة لك ثم تدخل الى ساحة واسعة فيها حوض ماء بارد نسبيا والى جانبه (دوشان) يأخذ الداخل دوشاً ثم ينزل الى الحوض ويبقى فيه مدة خمس دقائق ينتقل بعدها الى مقصورة درجة الحرارة فيها ٢٥ درجة يبقى فيها عشر دقائق ثم ينتقل الى مقصورة حرارتها ٣٨ درجة لمدة عشر دقائق أيضا وبعدها مقصورة مجهزة بالبخار يبقى فيها قدر ما يستطيع وبدقيقة واحدة يتعرق جسده بأكثر ما يتصحب العرق في (الملقى) في (الحمة) عندنا . وبعد هذه المقصورة ينتقل الى حيث يجري له تدليك (مساج) وقد استحم راتب وموفق قبل الظهر وكنت أنا متفرجا بينما بقيت ام راتب في الفندق ، وبعد الظهر ذهبت بصحبة موفق الى الحمام العام لاستحم وراتب ذهب ليمارس لعبة « التنس » . سقف الحمام قبة عالية والجدران والارض مغطاة بالبورسلان وبالرخام وكل شيء يبدو جميلا وانيقا .

و « بادن بادن » لا يمل الانسان من الإقامة فيها وتحتاج الى فراغ يستغله في الإقامة في ربوعها الجميلة كما تحتاج الى مال ينفقه ويحصل بنتيجة انفاقه على الدما في الدنيا من متع ونزهات وقضاء شهر من شهور السنة في هذه المدينة يذهب عن النفس تعب السنة كلها ويمدها بقوة ونشاط لا مثيل لهما . ولكن لمن يتاح ذلك ؟ ! ..

الأربعاء ١٩٥٤/٧/٢٨ : ذهبنا أنا وراتب وموفق الى الحمام وبقينا زهاء ساعة من الزمن تعرفنا خلالها على بعض رواده من كبار أغنياء العالم جاؤوا للراحة والاستجمام

وكلهم معجب « ببادن بادن » . حتى أن مهاجرا ألمانيا الى أمريكا قال لنا عندما ذكرنا له أننا سنزور أمريكا في العام القادم أن هذا البلد هو أحسن بلد للراحة والاستجمام وذكر لنا المثل الشائع « ليس كل ما يلمع ذهباً » . وبعد الخروج من الحمام زرنا المتحف والكازينو وعدنا الى الفندق لتناول عشاء خاصا أعده لنا رئيس الخدم في صالة الفندق وبعد أن فرغنا من تناول العشاء وتعرفنا على عربي مصري وقع علينا من السماء كما يقولون لاننا اشتقنا لرؤية العرب ولسماع الكلام العربي ، وهو يعمل بالزراعة ويقوم بسياحة مع زوجته وأولاده . وكان حديث الرجل الى أولادي يدور حول ترغيبهم بالزراعة لانها مهنة شريفة خيرة ولذيذة يستمتع الانسان بممارستها كما انه لم ينكر فضل التجارة التي تقلب المال الى عشر مرات في العام بينما الزراعة لا تقلبه الا مرة واحدة . ومما قاله لنا أن الشهادة جواز سفر الى الحياة ولكنها غير كافية فالسفر يحتاج الى مال ولا يكفي فيه الجواز وردد المثل المصري القائل : « الرجل بدون فلوس يلوص » . . . كان الحديث ممتعا مفيدا للأولاد وردد هذا الاخ العربي أفكارنا ذكرناها للأولاد خلال الطريق في السيارة لتمضية الوقت . إن متعة الحديث أيضا جاءت لانه باللغة العربية وحديث عربي . . .

« في الطريق الى بال في سويسرا »

الخميس ١٩٥٤/٧/٢٩ : ودعنا بادن بادن ونفوسنا عالقة بها لجمالها الأخاذ ، واتجهنا الى الحدود السويسرية مخترقين أرضا تمتد فيها القرى بين أراض زراعية خصبة . وقد زرنا مدينة « فرويدك » وتجولنا فيها ساعتين مشيا على الأقدام وبعدها توقفنا سعداء في ظل شجرة جوز وارفة سامقة . تناولنا الطعام تحتها وذكرتنا بالقوطة وطرقاتها المظلة بالجوز . ثم اجتمعنا بفناتين ألمائيتين حملتاها معنا الى حدود سويسرا .

عند الحدود الألمانية السويسرية اشروا على أوراقنا وودعنا ألمانيا على مضض . وكنا نود البقاء في « فرويدك » ولكن صعوبة انزال الاغراض ورفعها ثانية على ظهر السيارة جعلتنا نعدل عن هذا الرأي آسفين لأن المدينة جميلة جدا ومناخها نشيط . وعلى الحدود لقينا معاملة حسنة بدقائق انتقلنا من ألمانيا الى سويسرا .

« في ربوع سويسرا »

تغير الطقس هنا . كانت درجة الحرارة داخل السيارة تتراوح بين ٢٨ - ٣٠ درجة في المانيا فصارت في سويسرا ٢٠ - ٢١ ، حيث ترتفع المانيا عن سطح البحر مائتين الى مائتين وخمسين مترا وسويسرا ترتفع عن سطح البحر بما يعادل ستمائة الى سبعمائة متر . الطريق جميل يأخذ بالالباب لجماله الطبيعي والصنمي ، والطرق منظمة والاشجار والغابات تملو قمم الجبال وتكسو المنخفضات بخضرة لا مثيل لها جمالا وسحرا .

واخيرا حططنا الرحال في « برن » عاصمة سويسرا بعد ان مررنا بمدينة بال ، و برن تقع على جبلين يفصل بينهما نهر ويصل بين الجبلين عدة جسور وكعادة المسافرين بدأنا نبحث عن فندق ناوي اليه بعد سفر ثلاث ساعات .

في « برن » عاصمة سويسرا ومدينة الساعات والجمال الأخاذ

الجمعة ١٩٥٤/٧/٣٠ : زرنا معالم المدينة وكنا نتنقل فيها عبر الجسور . طفنا في الشوارع وزرنا حدائق قصر البرلمان المتربعة على أحد جبلين والمشرفة على الوادي الجميل ، ثم ذهبنا الى السفارة السورية التي تقع على الجبل الثاني . قابلنا السيد مزيد اللحام ورحب بنا أحسن الترحيب . جلسنا في السفارة وكاننا مع الاهل في الوطن وصعدت أم راتب لتجلس مع زوجة السيد اللحام وهي ابنة السيد سعدي كيالي ، وقد اخبرنا السيد اللحام ان عمه السيد سعدي كيالي وصهره السيد توفيق الحلاق كانا عنده وذهبا الآن الى فرنسا وسيعودان بعد قليل . وفي هذه الاثناء رن جرس الهاتف وكان المتحدث السيد كيالي فتحدثنا معه ورجانا ان ننتظره حتى يعود الى برن ولكننا اعتذرنا وعندما هممنا بالانصراف دعانا السيد اللحام لتناول الفداء في بيته . وأصر علينا ولكننا اعتذرنا وانصرفنا والامطار تنهمر بغزارة ، طفنا في الشوارع الفاصة بالناس رغم المطر وكانوا يسيرون تحت الاروقة الممتدة على جانبي كل سوق لتحمي الناس من المطر، ثم اتصل بنا السيد اللحام وعرض ان نرافقه في نزهة الى احدي البحيرات الجميلة . وتواعدنا في الرابعة بعد الظهر . وقد حضر وانطلقنا بسيارته على طريق مكسوة بالخضرة وامامنا جبال الالب . دخلنا احد المقاهي وتناولنا (البوظة) وقضينا ساعة في بقعة من أجمل بقاع الدنيا ثم عدنا الى

الفندق واعتذرنا عن دعوته الى الغداء لانا مضطرون للسفر ، ودعنا ومضى . ،
رجعنا الى الطواف في الشوارع والتعرف على معالم المدينة ، ولم نعد الى الفندق
إلا في الثامنة مساء .

الى «لوزان و جنيف»

السبت ١٩٥٤/٧/٢١ : تركنا برن الى لوزان على طريق تحفها الخضرة : هضاب
وجبال مكسوة بالقابات وأراض زراعية مغطاة بالاشجار المثمرة من تفاح واجاص ...
وشاهدنا قرى كثيرة جميلة يتمنى الانسان ان يقضي فيها عمره كله وشاهدنا
بحيرة صغيرة غاية في الجمال ، وبعد ان سرنا ٩٤ كيلو مترا على هذه الطريق
الجميلة وصلنا لوزان وهي من مدن سويسرا الجميلة وتقع على البحيرة . لم ننزل
فيها وانما طفنا شوارعها وتابنا سيرنا الى جنيف عاصمة الامم . ولقت نظرنا ونحن
في طريقنا الى جنيف وبعد لوزان وجود اشجار العنب بكثرة وقد زرعت متقاربة بين
كل اثنتين خمسة وعشرون سنتيمترا وتستند على اوتاد حديدية او خشبية مثبتة في
الارض ، كما لقت نظرنا اشجار التفاح والاجاص والدراق التي لا ترتفع كثيرا عن
سطح الارض لان سوقها قصيرة جدا ويفصل بين الشجرة والشجرة ثلاثة امتار ،
طريقة ناجحة يسهل معها جني المحصول ويكثر الحمل حيث فهمنا ان اصحاب هذه
الاشجار يخفون من حملها قبل القطاف بشهرين .

في ربوع جنيف عاصمة الامم

عند الظهر وصلنا الى « جنيف » واخذنا غرفتين في فندق ، ثم طفنا في المدينة زهاء
ساعتين . كان الطقس معتدلا والحرارة ٢٢ درجة مئوية ، و جنيف ترتفع ٤٥٠ مترا
عن سطح البحر وفيها حدائق عامة منسقة اجمل تنسيق . الزهور في كل مكان في
الحدائق والطرق ونوافذ الابنية والمقاهي الفخمة التي تفص بها المدينة . وصلنا في
طوافنا الى آخر المدينة فشهدنا النهر الذي يصب في البحيرة ويقسم المدينة قسمين
وهو نهر كبير يفوق بكيه نهر الشريعة عندنا . جلسنا في مقهى جميل مناظره تسيب
العقول . شرفات يحوي كل منها اربعة او خمسة كراسي وطاولة ويفصل بين الشرفات
زهور في احواض بديعة التنسيق وفوقها تسطع الانوار فتكون مناظر جميلة جدا

والدخول إلى هذا المقهى لا يكلف كثيرا حيث يدفع الشخص فرنكا سويسريا أي قبل من ليرة سورية لقاء الجلسة مع « البوظة » وفي هذا المقهى فرقة موسيقية من ٢٥ عازفا يجلسون أمام الفني شخص عازفين أجمل الالحن ، وقد أقمنا في هذه الحديقة حتى العاشرة مساء حيث ذهبنا بعدها إلى الفندق لننال قسطا من الراحة .

« معالم جنيف الحضارية والآثرية »

الأحد ١٩٥٤/٨/١ : قمنا بجولة في المدينة سيرا واستغرقت حوالي ساعة . ثم امتطينا سهوة جوادينا الحديدي (السيارة) وتجولنا ساعة أخرى . وفي الرابعة بعد الظهر ذهبنا إلى شاطئ البحيرة حيث توجد المسابح حيث سبح موفق وراتب وجلسنا نحن في المقهى نمتع أنظارنا بجمال المنطقة حيث الماء والخضرة والوجه الحسن كان على الشاطئ (البلاج) ما لا يقل عن اثني عشر ألف شخص بعضهم في الماء والبعض في الشمس يستمتع بالدفع ، وبعضهم يتجول في المكان كله . بقينا في المقهى حتى الخامسة والنصف حيث خرج راتب وموفق من المسبح وغادرننا إلى الجامعة والطار وطفنا أغلب شوارع المدينة . وبعد العشاء قمنا بجولة ليلية في مدينة جنيف على شواطئ البحيرة ودهشنا بمنظرها الخلابة حيث النوافير تعانق الأضواء الكهربائية وتشكل منظرا جميلا وخاصة النافورة الكبيرة في وسط البحيرة ، و « جنيف » ذات جمال أخاذ لا نستطيع أن نحيط بوصفها مهما أوتينا من بلاغة وفصاحة .

« النافورة الكبيرة »

الاثنين ١٩٥٤/٨/٢ : أهم ما شاهدناه في هذا اليوم النافورة الكبيرة التي نصبت وسط البحيرة وهي تعمل طيلة أيام الصيف من الضحى حتى المساء وفي الآحاد والإعياد تعمل طوال الليل لتلطف جو المدينة ، ولا تتوقف إلا عندما يلفظ الصيف أنفاسه في أواخر أيلول من كل عام . هذه النافورة ترفع المياه إلى ١٣٠ أو ١٤٥ مترا فوق سطح البحيرة بفعل محركين ضخمين قوة الواحد منهما ٦٨٠ حصانا بخاريا وضعا ضمن بناء قائم وسط البحيرة أيضا وسلط على النافورة ثمانية أضواء ترسل النور الذي يعانق الماء والرذاذ ويكون أجمل المناظر وأحبها إلى النفوس .

زيارة قصر الامم المتحدة

الثلاثاء ١٩٥٤/٨/٣ : قمنا اليوم بزيارة قصر الامم وهو بناء جميل تجولنا في معظم اجزائه وقاعانه وشهدنا جلسة نوقشت فيها حقوق الزوج . جلسنا في شرفة المتفرجين ووضعنا سماعات على آذاننا سمعنا بواسطتها جانبا من النقاش ثم عدنا مرة ثانية نتجول في ساحاته وحدائقه الجميلة واخذنا صورا تذكارية .

وداعاً يا مدينة جنيف

الاربعاء ١٩٥٤/٨/٤ : توجهنا الى لوزان التي مررنا بها قبل قدومنا الى جنيف وكنا نرغب ان نقيم فيها يوماً لكن اجلنا ذلك الى ما بعد زيارة جنيف . لتقسم المسافة بين جنيف وميلانو الى مرحلتين . وصلنا لوزان وطفنا شوارعها واشترينا بذور ازهار متنوعة ولكن عدلنا عن فكرة البقاء في لوزان وقررنا ان نغد السير الى «مونتر» . ان الطريق بين جنيف ومونتر جميلة معتنى بها ، لم ينقطع البناء على أحد جانبيها أما جانبه الآخر فهو محاذ للبحيرة وله منظر اخاذ فالماء على جانب والجبال مكللة بالخضرة على الجانب الآخر . وتكثر كروم العنب بين لوزان ومونتر وقد نظمت شجراتها تنظيماً حريثاً ويفصل بين الشجرة والشجرة مسافة خمسين سانتيمترا فقط وعلو الشجرة متر واحد فقط وقد نظمت بحيث تعطي انتاجا وافرا وتثمر على سطح الارض جمالا رائعا وصلنا مونتر وعرفنا ان سكانها ثلاثون الف نسمة .

ان مونتر وبلد سياحي فيه ما ينوف عن ثلاثمائة فندق في بعضها اكثر من الف سرير وكلها من الدرجة الاولى ، كما يلفت النظر وجود بضائع كثيرة في اسواق هذه المدينة الصغيرة ، ومحالها التجارية التي تشبه مدينة برن السويسرية . وتتوزع في المدينة خطوط القطر الكهربائية وهي على نوعين داخلي يجر وراءه عربتين او ثلاثا ، وخارجي يجر ما لا يقل عن عشرين او خمسين عربا . المدينة رابضة على شاطئ البحيرة ومن ورائها الجبال الشاهقة والسهل شريط ضيق لا يزيد عرضه عن عشرين مترا يمتد على شاطئ البحيرة .

الصعود الى قمم الجبال

ركبنا قطارا كهربائيا ووصلنا محطة ترتفع اربعمائة متر عن سطح البحر ، انتقلنا

الى قطار آخر بقينا فيه ساعة كاملة يصعد بنا في الجبال ويزداد الارتفاع شيئاً فشيئاً وحسبك أن تعلم أن المسافة بين المحطة الاولى التي انطلقنا منها والثانية التي وصلنا اليها عشرة كيلو مترات والاحيرة ترتفع عن الاولى بمقدار ١٣٠٠ متر . وصلنا الى مكان يسمونه « الصخرة » ويرتفع ٢٢٠٠ متر عن سطح البحر وهنا بدت لنا مناظر الجبال واضحة جلية . وفي المنطقة فندق ومطعم ومقهى وهي مكتظة بالناس وعلى الطريق مناظر جميلة : سهول تلو بعض الهضبات كستها الخضرة ، خضرة العشب والمزروعات . والجبال مكسوة بالاحراج وبيوت الفلاحين تبرز هذه الارض وتنتشر هنا وهناك والابقار ترعى باطمئنان تقضم الحشائش وادعة .

وفي طريق العودة مكثنا قليلا في المحطة الاولى وراينا فندقا من أجمل الفنادق التي شاهدناها ورغبنا أن نزل فيه ولكن فوجئنا بأن غرفه كلها محجوزة لغاية منتصف ايلول . نزلنا بالقطار من هذه المحطة الى البلدة وطفنا في الشوارع ثم اوينا الى الفندق . انها بلدة انيقة جميلة لا تحتاج الا الى شيكات استرليني ودولار وفراغ وصحة حتى يمضي الانسان اكبر مدة من الوقت والمكان يغص بالناس بين جالسين وسائرين في الطرقات ، والنور ضعيف ليتيح للناس شيئاً من الخفاء والحرية وعلى صفحة الماء في البحيرة سفن كبيرة فيها رقص وغناء وموسيقى ، تذرع البحيرة جيئة وذهابا ويستطيع اي شخص أن يصعد اليها .

الى ميلانو في ايطاليا عن طريق جبلي وعر كثير التعاريج

الخميس ١٩٥٤/٨/٥ : تركنا الفندق متوجهين الى ميلانو وقتنا ننام ليلة اخرى في الطريق بعد قطع مرحلة منه لان المسافة تقدر بثلاثمئة وخمسة عشر كيلو مترا والطريق وعر وفيه صعود وتعرجات على جانبيه اودية سحيقة . تابعنا سيرنا في الاراضي السويسرية التي سبق وصفها وفيها الكثير من الكروم واشجار الشمس والاجاص والتفاح والكرز . ولفت نظرنا نوع الشمس الفرنساوي وهو حبة فحلة قاسية . كما لفت نظرنا طريقة زرع الاجاص صفوفات متقاربة تفصل بينها مسافات قليلة نسبيا لا تتجاوز الخمسين سانتيمترا ومع ذلك فهو حامل من عيونه كما يقولون عندنا مررنا بقرية اسمها « بروغ » تزودنا منها بطعام تناولناه على الطريق داخل الغابة وتابعنا السير حتى وصلنا الى منطقة الصعود ويا له من صعود قاس . صعدنا

وصعدنا وبقينا نصعد على طريق محفوف بالمخاطر لانه مهمل ومخرب في كثير من اجزائه بفعل الثلوج ومحاذٍ لوديان سحيقة ، ووصلنا اخيرا الى منطقة ترتفع الفين واحد عشر مترا عن سطح البحر بعد ان قطعنا ثلاثين كيلو مترا من الطريق . بقينا في خوف الى ان وصلنا اخيرا الى الذروة حيث شاهدنا الماء يتساقط على شكل شلالات في اكثر من مائة موضع والخضرة تغطي الجبال كلها . شربنا من الماء الصافي البارد ولكننا لم نستطع ان نشرب اكثر من نصف الكأس في كل مرة ، وبعد توقف قليل تابعنا السير نازلين لان كل صعود يقابله نزول ، والطريق لا يزال سيئا وفي معظم اجزائه اكواع وحفر واودية مخيفة ، وشاهدنا عمالا يقومون بالاصلاح والثلوج تغطي رؤوس الجبال . اجتزنا المخاطر بفضل الله ومعونته .

وصلنا الحدود السويسرية الايطالية وخلال دقيقة واحدة اشر السويسريون على جوازنا واوراق السيارة ودخلنا الاراضي الايطالية . مكثنا نصف ساعة ننتظر دورنا وبعد ذلك اشر لنا الايطاليون على الجوازات وسمحوا لنا بالسير لتوقف بعد خمسمائة متر عند الجمارك حيث اشرروا على اوراق السيارة دون ان يسألونا عن الامتعة التي غصت بها السيارة ظهرا وبتنا وعجزا .

في الاراضي الايطالية

تابعنا سيرنا في طريق قادنا الى بلدة ثم الى البحيرة . سالنا عن فندق نستريح فيه لان « ميلانو » لا تزال بعيدة عنا والتعب نال منا ما نال واخذ من اجسامنا كل ماخذ وضايقتنا الحر كثيرا . دخلنا فندقا وخرجنا منه ثم دخلنا فندقا آخر يطل على البحيرة نزلنا فيه على الرغم من ارتفاع اسعار الفنادق بالنسبة لسويسرا . صعدنا الى الغرفة لننال قسطا من الراحة وادخلنا السيارة الى الحديقة حتى لا ننزل الاغراض وكنا خائفين من السرقة فايطاليا تشتهر بالسرقة الامر الذي ذكرناه لراتب وموفق خلال الطريق وقرأنا عنه في التعليمات التي اعطيت لنا وهي تحذر من ترك اغراض داخل السيارة او على ظهرها . وتأكدت هذه الحقيقة حين طلبنا من صاحب الفندق حفظ الاغراض فأجابنا ببساطة ووضوح انه لا يتعهد بحفظ اي شيء ، عندها ادخانا السيارة الى الكراج وتناولنا طعام العشاء في الحديقة امام البحيرة ثم صعدنا الى الغرفة

ولكننا لم نأو الى مضاجعنا الا عند الخادية عشرة ليلا لاننا تباحثنا في المدة التي سنقضها في ايطاليا وقررنا ان تكون قصيرة قدر الامكان .

لا زلنا نفذ السير نحو ميلانو

الجمعة ١٩٥٤/٨/٦ : استيقظنا صباحا وانطلقنا على ضفاف البحيرة التي تشبه بحيرة جنيف والطريق الذي يشبه طريق لوزان ومونترو مع وجود فارق في طبائع الناس ومظهرهم وأخلاقهم ولباسهم ونظام حياتهم حيث يتفوق السويسريون على الايطاليين بهذه الجوانب كلها وبعد ان تركنا شاطئ البحيرة استلمنا طريق اوتوبان عريضة ولكنها لا تشبه الاوتوبان في المانيا ولا يفترق عن الطرق العادية في المانيا الا من حيث العرض فقط . وعند وصولنا الى بدايته دفعنا رسم مرور بسيط وتابعنا السير ووصلنا ميلانو حوالي الساعة الحادية عشرة ظهرا واهتدينا الى فندق كونتينتال فنزلنا فيه .

في ميلانو المدينة الصناعية التي دمرت الحرب اجزاء كثيرة منها

لنا قسطا من الراحة في الفندق ، وبعد ان تناولنا طعام الغداء فيه ذهبنا الى غرفة تجارة ميلانو وهي غرفة تجارية صناعية زراعية ، قابلنا فيها الموظف المختص وحصلنا على معلومات عن البلاط ومعامل الآلات الزراعية والمحركات . ذهبنا الى اول معمل فاستقبلنا احد الموظفين استقبالا جافا لم تقابل بمثله في البلاد التي زرناها ، إذ لم يقل لنا فضلا واجلسوا ، أفهمناه ما نريد ونحن وقوف . اعطانا دليلا وقال لنا ان لهم وكيفا في بيروت بإمكاننا ان نراجعهم . انصرفنا متأثرين من معاملته السيئة . ذهبنا الى معمل آخر استقبلنا اصحابه استقبالا حسنا وحضرت موظفة تحسن الانكليزية حدثتنا طويلا واعطتنا نشرات متعددة كما زودتنا بالاسعار ، بقينا ساعة كاملة ونحن نستفسر منها لم تظهر خلالها الا الاهتمام بنا والتلطف في حديثها معنا ثم قالت : ان لهم وكيفا في الشرق الاوسط وقدم يوم أمس وبإمكاننا مقابلته والتحدث معه . سررنا من حديثها وضررنا موعدا لمقابلة المندوب في الساعة الحادية عشرة من اليوم التالي في الفندق غادرنا هذا المحل مسرورين وذهبنا الى معمل يصنع عربات تقطع بالسيارات وعندما طلبنا منه عربة لسيارتنا قال : ان تجهيزها وفق المواصفات التي

ذكرناها له يستغرق خمسة عشر يوما فقلنا له لا نستطيع الانتظار هذا الوقت
وصرفنا النظر عن فكرة العربة وعدنا الى الفندق في الساعة السابعة والنصف مساء
وشعرنا أننا تأخرنا على أم راتب حيث بقيت وحيدة في الفندق تنتظر أوبتنسا .
اشترينا بعض الفاكهة من ميلانو حيث كانت موفورة وقررنا أن نكثر من أكلها بعد أن
حرمتنا منها فترة طويلة بعض الشيء .

مدينة ميلانو

ميلانو مدينة صناعية كبيرة وتجارية أيضا ، تكثر المعامل في شوارعها العريضة
المستقيمة وفيها ساحات كثيرة ولكن امتدت إليها يد الخراب بفعل الحرب إنما ليس
بالقدر الذي شاهدناه في المدن الألمانية . أبنية المدينة فخمة يتألف بعضها من عشرين
طابقا ، والمواصلات الداخلية تتم عن طريق الحافلات الكهربائية وعدد سكان المدينة
مليون ومائتا ألف نسمة .

السبت ١٩٥٤/٨/٧ : أهم ما قمنا به هذا اليوم أننا زرنا عدة معامل : معمل
آلات زراعية ، معمل دراجات نارية ، معمل بلاط . وبعدها قابلنا مندوب الشركة التي
صنعت هذا المعمل في الفندق حسب موعد مسبق . وقد واجهتنا صعوبات في الإهداء
الى المعامل التي زرناها على الرغم من أننا حصلنا على العناوين من الغرفة التجارية
في المدينة ويكفي أن نذكر هنا أنهم أعطونا عنوان معمل آلات زراعية وبعد أن وصلنا
اليه بعد جهد فوجئنا أنه دمر خلال الحرب . . . ومدير معمل آخر يتأخر عن موعدنا
أكثر من نصف ساعة ، وهذا ما جعلنا نقول ان الإيطاليين أقل دقة في مواعيدهم وانتظاما
في أعمالهم من الإنكليز أو الألمان أو الهولنديين، فهل يكون ذلك بسبب قربهم من الشرق؟!

كومو مدينة السياحة والجمال الطبيعي الساحر

الطريق على استقامة واحدة غاص بالسيارات الذهبية الى « كومو » . الأرض التي
مررنا فيها زراعية مكسوة بالخضرة . وصلنا شاطئ بحيرة مستطيلة الشكل تجوانسا
حولها بالسيارة حيث قطعنا ثلاثين كيلو مترا شاهدنا خلالها أجمل المناظر . وصلنا
الى مكان سياحي اسمه « فيلادستي » وهو فندق من أجمل الفنادق التي شاهدناها
وأعظمها محاط بحدائق واسعة وفيه مسبح وملاعب وأماكن لوقوف السيارات .

جلسنا في الحديقة على مقاعد خاصة وأمامنا شريط رائع مع المناظر الطبيعية الجميلة البحيرة والبناء والجبال ... وكان نزلاء الفندق ينزلون الى البحيرة للسباحة وكان أمامنا الطريق الذي لا تفتقر فيه حركة المرور لحظة واحدة بالسيارات والدراجات ومما أضفى على المكان جمالا منظر الغيوم التي حجبت الشمس وألقت على الارض ظلالها الرقيقة ، ثم النسيمات اللينة التي أخذت تهب رخاء . بقينا في مكاننا مشدوهين مشدودين بهذا الجمال الذي غمرنا من كل جانب . حان وقت الطعام فانطلق اكثر من ثلاثين عاملا يحضرون طاولات فرشوها بالابيض .

قررنا أن نتناول الطعام في المطعم حتى نستمتع بجمال المنطقة ونملأ صدورنا من الهواء العليل تحت ستار من الغيم الرقيق ، وبعد ذلك عدنا الى المكان الذي كنا نجلس فيه قبل الطعام والمناظر أجمل من المناظر التي شاهدناها في سويسرا ، ثم انتقلنا الى مقهى الفندق وتناولنا الشاي وسمعنا الموسيقى وبقينا حتى الساعة السادسة مساء محمولين على أجنحة الجمال الطبيعي والهدوء والنسيمات الرقيقة ونحن نتمنى ان نبقى في هذا المكان أسبوعا أو أكثر ولكن دمشق كانت بدأت تناديننا ... غادرتنا « فيلادستي » ونحن لا نرغب بمفادرتها ولم نسلك طريق الاوتوبان الخصوصي الذي قدمنا عليه بل سرنا على الطريق العادي رغبة في الاطلاع على مناظر جديدة وكان عملنا جيدا لان الطريق زراعي تنتثر القرى على جوانبه يحضن بعضها بعضا والعائدون الى ميلانو عن هذا الطريق كثر للدرجة ان اي سيارة لا تستطيع تجاوز من هم أمامها من راكبي الدراجات الالية والعادية .

وصلنا ميلانو وحاولنا ان نذهب الى محل عرض للدراجات ولكننا عدلنا عن الفكرة لبعدها المحل وذهبنا الى الفندق وتناولنا طعام العشاء واكثره فاكهة .

جولات في اسواق ميلانو

الاثنين ١٩٥٤/٨/٩ : تجولنا في اسواق ميلانو ومحلاتها التجارية المليئة بكل ما هو جميل ، وعلى الرغم من أن سيارتنا أصبحت تشن تعباً من كثرة ما حمل فيها من أغراض اشترينا بعض الحاجات الجميلة ، ثم اتصلنا بشركات الطيران والملاحة لاننا على أهبة العودة الى الأهل والديار ، قررنا أن نعود عن طريق البحر وحجزنا بياخرة متجهة الى

بيروت اجرة الراكب على ظهرها مائة وخمسون دولارا واجرة السيارة مائة وعشرون دولارا ولم يقبل وكيل الشركة في ميلانو الا ان ندفع عربونا للحجز ، وكنا نود تأجيل الدفع علينا نجد ما هو أفضل .

زيارة فيرونا مدينة الفاكهة

الأربعاء ١٩٥٤/٨/١١ : غادرنا مدينة ميلانو عن طريق اوتوبان بريشيا وهو طريق جميل . مررنا بمدينة بريشيا وهي مدينة جميلة تمنينا ان نبقى فيها ولكن الوقت لم يسعف وكان همننا ان نزور فيرونا لنشاهد اشجار الفاكهة التي تمتاز بها هذه المدينة العريقة ، وقبل فيرونا بعشرين كيلو مترا استقبلتنا اشجار الدراق والتفاح والاجاص وكروم العنب على جانبي الطريق . لم نجد فيها فندقا ناوي اليه الا بشق الانفس ، اذ كان فيها عيد لعشرة ايام يقصده طلاب المتعة والراحة من جميع انحاء العالم فيملأون الفنادق . اويننا اخيرا الى فندق بسيط قبل اصحابه ان نبقى فيه يومين . ومن بهو الفندق اتصلنا بصاحب العنوان الذي زودنا به السيد بعيون في بيروت ، ولحسن الحظ وجدنا رجلا يتقن الفرنسية حضر لزيارتنا بعد دقائق وصحبنا الى المحل حيث تعرفنا على صاحبه . المحل يقوم بتحضير الفواكه قبل ان تعرض للبيع او التصدير .

فرز وتنظيف وتصنيف وبعدها الى السوق او المستودعات المبردة

تأتي الفواكه من المزارع في صناديق فتوضع ضمن آلة طويلة وتفرز الحبات المصابة عن السليمة وتوزع الى اربعة احجام ، كل حجم يوضع على طاولة خاصة حولها ثماني عاملات للتعبة ثم توزن الصناديق وتنقل الى عربات الى المحطة مباشرة او توضع في مستودع مبرد .

والاجاص يوضع على آلة تهزه ويسير على الفرشي التي تزيل عنه الغبار ثم ينزل على طاولة للتعبة ، والطاولات وحاوليات الفواكه كلها مغلقة بالخيش والقطن كي لا تصاب الحبات بأذى . . . وفي المحل ١٥٠ عاملة تقريبا ، ويعمل ثماني ساعات في اليوم على الاقل واجرة ساعة العمل ١٧٠ ليرا ايطاليا تستلم العاملة منها ١١٥ ليرا والباقي لصندوق التعاون . . . غادرنا المحل الذي رحب بنا صاحبه كثيرا ووعدنا بأن يرسل من يتقن الفرنسية الينا في اليوم التالي ليرافقنا الى سوق الخضرة في المدينة .

في دار الاوبرا

منظر الدار من الخارج يشبه قلعة قديمة مهدمة لا ينبىء عن داخلها الذي اعجبنا به . المكان يتسع لسبعين الف متفرج وقد اكتظ بالناس ، وهناك ما يقرب من سبعين عازفا تنساب من آلاتهم اعذب الالحان وهناك ايضا ما يقرب من خمسين الى ستين ممثلا يرقصون ويمثلون روايات صامتا ويعبرون عن المواقف بالرقص والإيماء وكان المنظر بديعا واستمر حتى الواحدة صباحا .

زيارة سوق الخضار المشاد حديثا في المدينة

الخميس ١٢/٨/١٩٥٤ : رغبة في المزيد من المعلومات عن الاعمال الاقتصادية من تجارية وصناعية وزراعية وهي هدف كبير من اهداف رحلاتنا الى بلدان العالم ، رافقنا الرجل الذي يتقن الفرنسية الى سوق الخضار في فيرونا الذي بني حديثا خارج المدينة وهو احدث سوق خضار شاهدناه . دخلنا أولا محل الرجل الذي عرفنا عليه السيد بعيمون وهو احسن المحلات وعنده عدة اصناف . وتساعدته اخته في بيع البضائع وتقوم زوجته بالعمليات الحسابية والكتابية . وبعد ذلك طفنا في السوق واطلعنا على اجزائه وحسن تنظيمه . له مدخل واحد ومخرج واحد وكل سيارة أو عربة تدخل تدفع عند الخروج عشرة قروش سورية تقريبا ، وفي السوق ساحات واسعة للسيارات والدراجات والعربات . كما توجد مواقف واسعة أيضا خارجه . وفي السوق مركز صحي ومصرف ومركز اداري ، والى جانبه مستودعات للايجار ، وهناك قطعة ارض ستنبنى عليها محطة لسكة الحديد . وفي السوق محلات كبيرة أو صغيرة بما يتناسب مع حجم أعمال كل تاجر . وقد بنته البلدية وتؤجره للتجار . فالمحل الكبير الذي مساحته ثلاثمائة متر مربع مع رواق مساحته ستون مترا مربعا يؤجر بما يعادل ثلاثمائة وخمسين ليرة سورية في الشهر . والمحل الكبير له قبو على قدر مساحته وفوقه طابق يستعمل كمستودع للمحل فكل محل مؤلف من ثلاثة طوابق مع رواق امامه ، وله مدخلان . والمحلات الصغيرة مساحة كل واحد منها ٦٥ مترا وأجرته تساوي مائة ليرة سورية في الشهر تقريبا . وفي السوق اجنحة بعضها لتجار الداخلة وبعضها الآخر لتجار الخارج المصدرين . ولل سوق نظام خاص للايجار اهم ما فيه ان الذي يتأخر عن دفع الايجار حتى اليوم الخامس من كل شهر يخلى خلافا للقوانين

العامه للايجارات . ومخطط السوق يشبه المخطط الذي وضعناه لسوق الهال عندنا
وقدمناه للاوقاف لبنائه في دمشق في القطعة الواقعة في باب شرقي لانها محفورة مما
يتناسب مع وجود اقبية للمحال التجارية . زرنا مدير السوق فرحب بنا واعطانا
معلومات عن السوق وظروف بنائه وحصلنا على قسم من الخريطة العامة للرجوع
اليها عند الحاجة .

مزارع مساحتها الفان واربعمائة دونم تملكها شركة

ثم توجهنا لمشاهدة مزرعة فخمة يملكها التاجر الذي زرناه للاطلاع على كيفية
زراعة اشجار الدراق والاجاص والعنب حسب طريقة القوم . فقد رفعت نصبات
العنب على صفوف من الشريط المثبت على اعمدة بشكل افقي مع فاصل بينها عرضه
ثلاثة امتار وترك الفاصل نفسه بين كل نصبة واخرى وهذه الطريقة تسهل مكافحة
الحشرات وتسمح لاشعة الشمس بأن تتخلل الى الفراش والتربة وقبيل نضج العنب
يقومون بتخفيف اوراق العنب حتى تصل الشمس الى العناقيد . وزرعت اشجار
الدراق على شكل صفوف يفصل بينها فراغ بعرض ستة امتار ، كما يفصل الشجرة
عن الاخرى فراغ بعرض خمسة امتار ، اي ان نصيب الشجرة من الارض ثلاثون مترا
مربعا ، وكما في العنب يخففون اوراق الاشجار قبيل نضج الثمار ليصل اليها الرش
وتتعرض لاشعة الشمس باكبر قدر ممكن .

اما الاجاص فيزرع صفوفها ، وبمسافات تفصل بين الاشجار قدرها اربعة امتار
وخمسة من الطرفين فيصيب الشجرة عشرون مترا من الارض وهذه المسافات اكبر
من التي شاهدناها في هولاندا وسويسرا وربما يعود ذلك الى سعة ارضهم .
المزرعة التي زرناها مساحتها ثلاثمائة دونم وارضها مليئة بالبحص ، والاشجار المغروسة
فيها اجاص ودراق وكروم عنب تتخللها السواقي الاسمنتية والطرفات المظلة بالعرائش ،
وفيها عاملات للقطف والفرز ، وآلات لتحضير الفاكهة تشبه الآلات التي في المدينة ،
الماء عندهم « بالعدان » يحصلون عليه من مشاريع الري لقاء رسم سنوي يدفع
للدولة ، وفي المزرعة بئر ارتوازي عمقه سبعة امتار فقط يضخون الماء منه لعدم كفاية
مياه مشاريع الري .

الى فينيس مدينة الجمال والمرات المائية والسفن الصغيرة

غادرنا مدينة فيرونا مودعين كما استقبلنا بأشجار الفاكهة . وفي هذه المدينة دفعنا اقل اجرة منامة بالنسبة لجميع المدن والقرى التي مررنا بها .. وبعد مرورنا على قرى فيسترا ، بادونا ، ميستروا ، عبر الطريق الخضراء . وصلنا فينيس اي البندقية وهي مدينة الجمال والبحر والمرات المائية الضيقة بين بيوتها والجسور العديدة التي تصل بين اجزاء المدينة ، وهي مرتفعة لتسمح بمرور السفن والفلايك الصغيرة . اول ما طالعنا على مداخل المدينة كثرة السيارات وتعدد جنسياتها . حاولنا أن نجد مكانا نوقف سيارتنا في المرآب فلم نفلح . سألنا الشرطي ليرشدنا الى ضالنا اي مكان نقف فيه وفندق فلم نفلح ايضا لرحمة السير . وبعد لاي وجدنا مكانا فارغا تحت الشمس اوقفنا فيه سيارتنا وسرنا على الاقدام ونحن في حيرة من امرنا ولكننا علمنا ان المدينة مجموعة جزر وفي كل جزيرة عدة منازل وان هذا آخر مكان نستطيع ان نستخدم فيه السيارة وعلينا اذا اردنا ان نطوف في المدينة ان نضع سيارتنا في مرآب . ذهبنا الى المرآب فقالوا لنا اصعدوا الى الطابق الثاني ، صعدنا فلم نجد محلا نضع فيه سيارتنا وهكذا استمرينا في الصعود والسؤال عن مكان حتى وصلنا الى الطابق العاشر وهنا قالوا لنا اصعدوا الى السطح ، صعدنا فوجدنا فسحة لسيارة واحدة فقط فأوقفنا المكدودة بين خمسائة سيارة موجودة على السطح وفهمت من راتب ان المرآب يتسع لعشرة آلاف سيارة .

وفوق عشرة طوابق استقري يا سيارتنا حتى نعود اليك ثانية . هذا ما كنا نلهج به ونحن نتركها ونهبط الى الارض ثانية ، وفي هذا المرآب العجيب تنظف السيارات وتشحم وتصلح حيث خصص قسم لخدمة السيارات في كل طابق على حدة وفيه نظام سير سيارات صاعدة ولها طريق سيارات نازلة ، وفي الطابق الارضي مخزن لبيع قطع التبدل وفيه أيضا بنك ومطعم ومقهى ومكتب استعلامات . اعجبنا بهذا المرآب حيث توضع عشرة آلاف سيارة تصلح وتنظف وتشحم وقلوب اصحابها مطمئنة .

في ربوع فينيس (البندقية)

نزلنا الى مركب أوصلنا الى نهاية المدينة ومتعنا انظارنا بجمالها . خلجان صغيرة تتخللها رؤوس كثيرة وجزر وبيوت فوق هذه الجزر التي بينها مررات مائة ضيقة

لا يزيد عرض معظمها عن المترين ، والسفن الصغيرة (غندول) تجوب الممرات وتنقل من جزيرة الى جزيرة بل من بيت الى بيت وهناك جسور خشبية كثيرة تصل بين الجزر كما تصل بين جانبي الممرات المائية وهي مرتفعة نسبيا لتسمح بمرور الفوندولات تحتها . وفي المدينة عشرون محطة تتوقف فيها المراكب . . . وصلنا الى جزيرة اسمها « ليدوا » سعدنا وركبنا عربة خيل وطفنا في شوارعها وبهرتنا ابنية فخمة معظمها فنادق للسواح والزوار وفيها مسبح بحري من أجمل مسابح العالم .

عدنا في المركب الى الشاطيء لنجد سيارتنا تنتظر أوبتنا لنتابع المسير في رحلتنا ونشاهد أكثر ما يمكن من إيطاليا قبل أن نودع هذه البلاد عائدين الى ارض الوطن الحبيب .

وكانت وجهتنا الى بولونيا المدينة التي يوجد بها عميل لنا زودنا بمال يمكننا من الطواف في ايطاليا . وقد غادرنا مدينة فينيس ونوينا أن نبيت في مدينة بادوفا لانها اهدأ من فينيس ، ثم في الطريق وجدنا أن لدينا متسما يسمح لنا أن نسير الى مدينة اقرب الى بولونيا التي نقصدها للاتصال بأحد التجار الذين نتعامل معهم . وهكذا وصلنا مدينة فيرا وهي بلدة جميلة جدا شوارعها عريضة مضاءة والحافلات الكهربائية تربط اجزاءها بما يحيط بها من قرى حيث تسير بين عشرة او خمسة عشر كيلو مترا من مركز البلدة ، وهذه الحافلات متوفرة في جميع القرى التي مررنا بها .

الجمعة ١٣/٨/١٩٥٤ : توجهنا منذ الصباح الى بولونيا وهي على بعد ٤٧ كيلومترا ولما وصلنا ذهبنا الى محل (عميل الثوم) وبعد استقبال حسن واعتذار لبق عن تأخير ارسال قيمة الثوم دفع لنا مبلغ مائتي الف لير ايطالي على الحساب وهذا المبلغ مكنتنا من المكوث في ايطاليا وزيارة مدينة « جنوة » حتى ولو تأخرنا عن الباخرة التي كنا قد حجزنا على ظهرها .

زراعة وصناعة ونشاط جهلنا نعجب بايطاليا

الطريق الذي قطعناه بين فينيس وبولونيا جميل وعريض ومعتمى به ويمر في ارض طافحة بالخيرات وفيه اشجار التفاح والاجاص والدراق وحقول الحنطة والشوندر والفصة والبندورة . وهنا نتوقف لنصف طريقة تعاملهم مع هذا المحصول . فالشتلات

مزروعة على خطوط مستقيمة يفصل بين الخط والخط ستون او خمسة وسبعون سانتيمترا وبين الشتلة والاخرى نصف متر . والاشتال مرفوعة على أسلاك مثبتة بأوتاد وهي حاملة حملا كثيرا يشبه عناقيد العنب . . . منظر جميل يدل على نشاط أصحاب الارض وعنايتهم الكبيرة واستخدام طرق الزراعة الحديثة . وتوجد عربة أمام كل قطعة مزروعة بأشتال البندورة لنقل المحصول الذي تعجز عن انتاجه قرية كاملة عندنا . . . وليست الزراعة هي المزدهرة فقط في هذه البقعة بل هناك معامل مبثوثة في القرى التي مررنا بها تدل على وجود الازدهار الصناعي أيضا . أما الابنية فتتألف من عدة طوابق أقلها يتألف من خمسة طوابق وأكثرها يتألف من اثني عشر طابقا على الرغم من أن عدد سكان البلدة لا يزيد عن مائة وخمسين ألف شخص ، ولعلمهم لجأوا الى البناء الطابقي توفيراً للارض التي ملؤها بشتى المزروعات . والطرق مملوءة بالسيارات التي تغطي نشاط السكان وتنقل الخيرات وهذا كله جعلنا نعجب بإيطاليا ونفكر انطباعنا الاول عنها ولكن لباس السكان وطراز معيشتهم وأخلاقهم لا تصل الى ما شاهدناه لدى سكان بريطانيا .

في الطريق الى « جنوة »

ودعنا عميلنا وأخذنا أسماء التجار الذين يتاجرون بالجوز في « نابولي » وانطلقنا الى جنوة قاطعين ١٤٧ كيلو مترا في أرض امتدت يد الإنسان الى كل شبر منها . فها هنا سهول مزروعة وطرق ممهدة وجبال شقت بطونها بالانفاق وقد يصل طول النفق الواحد منها الى ألفي متر ، والجبال تكسوها الاحراش وكروم العنب ، والادوية قصمت ظهورها بالجسور ، حتى وصلنا جنوة في تمام الساعة مساء . المدينة مظلة على البحر وبيوتها تذهب مصعدة في الجبل على مدرجات . وجدنا فندقا وارحنا سيارتنا من الاغراض وانطلقنا نطوف الشوارع ساعة كاملة ثم عدنا الى الفندق لتريح اجسامنا التي اعيها طول الطواف عليها تستعد لقطع مسافات اخرى جديدة .

السبت ١٤/٨/١٩٥٤ : استيقظنا مبكرين في غرفتنا من الطابق العاشر المظلة على البحر والرفأ ، واتصلنا بمعمل بزر الشمس وفي هذه المدينة مركز شركته ، ولكن كان يوم عطلة . أعدنا أشياءنا الى ظهر السيارة وجوفها ثم طفنا في شوارع المدينة بين البحر والجبل . المدينة جميلة وأبنيتها تحيط بالرفأ الذي يقع ضمنها وطرقها تمر

أحيانا في انفاق تعمل الاحياء فيما بينها . ثم ودعنا مدينة جنوة سالكين طريقا جبلية تقترب من البحر حيننا وتبتعد عنه حيننا آخر . والجبال مكسوة بالخضرة واغلبها معطى بأشجار الزيتون .

مررنا برانيولي وطفنا بها قليلا ولكن الازدحام منعنا من المتابعة كما ان بحرها غير نظيف . وتابعنا السير مصعدين في الجبال لنصل بعد مائة واثنى عشر كيلو مترا عن جنوة الى مدينة لاسبيريا وهي ميناء بحري عظيم وشوارعها عريضة وهي جميلة وتمنينا ان ننام فيها ولكن الوقت لم يكن يسمح بذلك . وفي السهل الضيق الممتد بين البحر والجبل كانت هناك اشجار حور على جانبي الطريق وفيما بينها غرست انواع من شجيرات الورود التي تعددت الوانها فالورد ما بين خمري وابيض .

ورافقنا هذا المنظر مسافة لا تقل عن مائتي متر ، والسهل مزروع بالنعنب والزيتون وكثير من اشجار الفاكهة حيث لا يوجد شبر من الارض الا وهو مزروع .

وصلنا الى مدينة بيزا التي تبعد مسافة مئة وتسعين كيلو متر عن مدينة جنوة . فترودنا بالطعام وجلسنا خارج المدينة لتناولها والاستراحة . وكنا نرغب بالمبيت على الطريق لنقسم المسافة بين جنوة وروما ونوزعها على يومين ، ولكن كنا كلما وجدنا الطريق جميلا غاصنا بالحركة تجددت هممتنا وتابعنا المسير . وكلما حاولنا ايجاد مكان نظيف ناوي اليه لا نوفق فنتابع السير . وقدردنا أننا سنصل الى روما في الحادية عشرة او الحادية عشرة والنصف اذ كان بقي علينا ١١٢ كيلو مترا . وصلنا الى بلدة جميلة فيها فندق ولكن لم يكن فيه محلات ، وتابعنا المسير في طريق فرعية خالية من الناس فشعرنا بوحشة وحسبنا أننا ضللنا الطريق ولكن الشرطة التي صادفناها في الطريق طمأنتنا ودلتنا على مكان فيه فندق ، وكان يقع في شارع عريض على الشاطئ مضاء بالكهرباء فنزلنا فيه لنستريح بعد اربع عشرة ساعة من السفر قطعنا فيها ٥٢ كيلو مترا . ونمنا في الساعة الثانية عشرة ليلا بلا عشاء لشدة التعب .

الاحد ١٥/٨/١٩٥٤ : استيقظنا في الساعة صباحا ولكننا تركنا اولادنا للنوم بسبب تعبهم اذ كنا قطعنا نحو ألف كيلو متر . وكانت امامنا مناظر البحر ومساح خاصة بالرواد لان اليوم احد . وفي العاشرة جاء راتب والضيق الوقت حملنا فطورنا فاكلناه في السيارة اثناء السفر .

قبل روما بسبعة وعشرين كيلومترا - حيث نمنا - كانت الطريق جميلة للغاية وتنسج لثلاث سيارات في كل اتجاه مع طرق للدراجات العادية والآلية ، وتحيط بالطريق الاشجار والازهار وتخلع عليه الجمال الرائع الاخاذ .

فسي روما

ولما وصلنا روما عاصمة ابطرة الرومان ، بدانا الطواف في عديد من شوارعها وشاهدنا عظمة آثارها ثم اوينا الى الفندق لناكل طعاما فاخرا لم نر مثله في المطاعم ، واسترحنا بعد تعب طويل . وكان الفندق على ساحة عريضة فيها المقاهي ، وكان الناس قد قصدوا المسابح لانه يوم الاحد ، ونحن بقينا في الفندق انقاء للحر واستمتعا بالمناظر والجو اللطيف الفائم الذي يحجب الشمس . وفي الثامنة تناولنا العشاء في الشرفة المطلة على الساحة المضاء بأجمل الانوار والمنسقة ابداع تنسيق .

زيارة السفارة السورية في روما

الانين ١٦/٨/١٩٥٤ : صباح اليوم اهتدينا الى سفارتنا في روما لنجتمع بالاخياء ابناء وطننا العزيز ، وكان في استقبالنا السادة خالد العسلي و ابراهيم الحسيني والدكتور أنور حاتم ، فرحبوا بنا أجمل ترحيب ودامت زيارتنا للسفارة ساعة تناولنا فيها القهوة وتداولنا في موضوعات عديدة .

اغلاق حديدية للمحال التجارية

وقد لفتت انظارنا في روما الاغلاق الحديدية على ابواب المحال التجارية ولم نشاهد مثيلا لذلك في المدن الاوربية التي زرناها أو مررنا بها ولها ابواب بلور تستطيع أن ترى من خلالها ما في داخل المحل من معروضات والمحال مضاء ليلا حيث يمكن أن تستمتع بالنظر اليها أكثر من ساعات النهار . . . شاهدنا محلات قليلة ابوابها من بلور وهي مضاء بالكهرباء وشاهدنا فيها تحفا ثينة ومعروضات جيدة ولكن وجود الاغلاق الحديدية على ابواب المحال التجارية هو الغالب .

بعد زيارة السفارة السورية في روما عدنا الى الفندق واعدنا الاغراض الى السيارة وتزودنا بالطعام وغادرننا روما متوجهين الى نابولي .

زيارة معرض آلات البواخر في نابولي

على طريق عريض معتنى به كبقية الطرق التي اجتزناها في ايطاليا وفي ارض مزروعة على ضفاف نهر وتحت اشجار متشابكة تناولنا طعام الفطور . وهو خبز وجبن وبطيخ اخضر اطيب من (النمورة) . على هذا الطريق اجتزنا المسافة بين روما ونابولي . . . وجدنا فندقا يطل على احدى الساحات العامة في نابولي تركنا متاعنا فيه وعدنا نطوف شوارع المدينة . . . وصلنا مكانا زين بالكهرباء وهو معرض لآلات البواخر . . . المكان واسع جدا فيه حدائق واسعة والعباب كثيرة ومنسق أجمل تنسيق . . . طفنا فيه وأعجبنا بالنوافير الكثيرة المتعددة الالوان والتي يتغير اللون فيها عدة مرات . . . المكان جميل لو بقي الانسان فيه شهرا كاملا لم مل . . .

طعام رديء ومبلغ كبير يذهب ههدرا

دخلنا احد المطاعم فأحضر لنا أصحابه طعاما لم نسر منه ولم نأكل منه الا القليل ودفننا مبلغ ٤٢٠٠ لير ايطالي وخرجنا ونحن نقول : ليتنا أخذنا طعاما مما نحبه وهو متيسر في السوق واكلنا في الفندق او في الطريق خلال السفر .

في نابولي اتصالات تجارية وتاهب للسفر

الثلاثاء ١٧/٨/١٩٥٤ : استيقظنا في التاسعة والنصف صباحا واتصلنا بتجار الجوز هاتفيا فقال أحدهم انه سيزورنا في الفندق اما الثاني فأعطانا وعدا لزيارته في الساعة الحادية عشرة من هذا اليوم . . . طفنا في الاسواق واتصلنا بشركة البواخر فقال لنا المشرفون عليها : عودوا لمقابلتنا مساء . . . وبعد ذلك ذهبنا الى تاجر الجوز فاستقبلتنا سيدة مهيبة تتراس مجلس ادارة الشركة ومما قالت له لنا : ان موسم الجوز جيد هذا العام وأسعاره تتراوح بين ١٥٠ - ١٤٥ جنيها للطن الواحد . . . طلبنا أن نزور معمل تحضير الجوز فقالت انه بعيد ويقع على بعد ٤ كيلو مترا . ولما قلنا لها عندنا سيارة وافقت وقالت : غدا ظهرا سنزور المعمل معا . . . بعد الغداء واستراحة قصيرة في الفندق عدنا الى الاسواق واكدنا الحجز في شركة البواخر ثم طفنا على المحال التجارية واشترينا هدايا وعدنا الى الفندق ولكننا لم نذق طعم النوم حتى الثانية بعد منتصف الليل لضجيج مكبرات الصوت ودار السينما المجاورة . وهذه الظاهرة ازعجتنا ولم نتعرض لمثلها في المدن الاخرى .

في نابولي وضواحيها - جولات تجارية وصناعية

الاربعاء ١٨/٨/١٩٥٤ : زرنا تاجر جوز ويشتغل بأصناف عديدة كالبنديق واللوز والبصل والتفاح والكستنا . وكعادتنا في الاطلاع على المعامل والمشاغل طلبنا أن نشاهد مكان تحضير هذه المواد للتوزيع والتصدير . فوافق على أن تتم غدا ثم ذهبنا الى محل تاجر الجوز لزيارة معمل التحضير برفقة الرئيسة التي قابلتنا بالامس وانطلقنا الى ضواحي نابولي حيث يوجد المعمل . وفي الطريق شاهدنا الاراضي الزراعية التي سرنا فيها وقد امتلأ ظهرها بحقول الذرة ومزارع الخضار . . . ورايناهم يزرعون الجوز على محيط الارض كما يفعل مزارعوننا تماما . . . وفي هذه الاراضي تكثر أشجار البنديق ايضا وحياة الفلاحين تشبه حياة الفلاحين في ريفنا وقراهم تشبه قرانا الى حد بعيد . ولما وصلنا المكان الذي تقصده ترحلنا من سيارتنا ودخلنا المحل .

ياتي الجوز مقلوبا (أي قد ذهبت قشرته الخارجية الخضراء) فيوزن أولا ثم يخرج من الميزان الى آلة عليها عمال يبعدون الحبات الفاسدة ثم يصعد حب الجوز الى غرابيل تفرزه حسب الحجم وينتقل الحب الى غرفة ثانية فيفصل من السواد ويرش عليه ماء حلو . . . وتستمر حبات الجوز في رحلتها للتجفيف وسحب الهواء ثم تنتقل من هناك فتمر امام عاملات موكلات بابعاد الحبات الفاسدة مرة ثانية . أي ينقى الجوز مرتين لتبقى الحبات السليمة . واذا أريد تقشيره يمر على آلة ينزل منها القشر ويذهب اللب الى أكياس مطبوعة ويوزن من جديد . . . جولة طويلة لا بد منها تمر بها حبة الجوز قبل أن تستقر في كيس لتذهب للاستهلاك وهذا يدل على عناية القوم بانتاجهم فلا يصل الى المستهلك الا بأعلى مواصفات الجودة . . . ويشتغل المعمل نحو شهرين سنويا فقط وفي الموسم ، ويفصل يوميا خمسين طنا من الجوز تقريبا . . .

والبنديق يمر على آلات خاصة أيضا تشبه آلات الجوز . . . وفي المعمل جناح خاص لطبع الاكياس . ثم عدنا الى نابولي وتناولنا طعام الغداء في فندقنا واسترحنا قليلا من وعشاء السفر ونزلنا الى الاسواق نظوف فيها ونطلع على وجوه نشاط هؤلاء القوم الذين لا يفتر عن العمل والانتاج ، وأخيرا عدنا الى فندقنا الصاحب حيث لم نهضاً بالنوم الا بعد منتصف الليل .

في ضواحي نابولي والفرق بين الشمال والجنوب

الخميس ١٩/٨/١٩٥٤ : استيقظنا في الثامنة صباحا وحجزنا امكنة في مركب يقلنا غدا الى جزيرة كابري ثم انجهدنا بسيارتنا صوب مدينة ساحلية قريبة من نابولي نقضي فيها سحابة نهارنا . . . سهرنا في ارض زراعية تشبه غوطة دمشق بتنوع المزروعات وشاهدنا اشجار تين وجوز ولوز ومشمش ودراق وأجاص كما شاهدنا خضارا متنوعة والطريق جيد وجميل (اوتوبان عريض) . . . وصلنا الى مدينة سورنتيو وهي نظيفة وجميلة وفيها مقاه ومطاعم كثيرة وتقع بين البحر والجبل وتتسلق بيوتها السفوح . . . طفنا في شوارع المدينة وابتعنا طعاما على نية أن نتناوله في مكان جميل على الطريق ولكننا لم نفلح وذلك لكثرة الزحام وشدة الحر . . . تركنا طريق الاوتوبان و (ساحلنا) فشاهدنا ما لا يسر العين وال خاطر : فرئ قدرة وطرقات سيئة تكثر فيها الحفر كما شاهدنا طنابر وعربات تجرها الحمير وأطفالا شبه عراة ينقلون التراب ولاحظنا سوء التربية لدى هؤلاء السكان ووصلت الى انوفنا روائح كريهة ونحن نمر في هذه القرى الفقيرة التي توزعت على الساحل . هذه الروائح التي أركمت انوفنا لا تجد مثيلا لها في أفقر القرى عندنا . . . لم نسر خلال عودتنا ولكننا احتسبنا هذه الساعات التي ضاعت ونحن نمر في هذه المنطقة ثمنا لثشيء مفيد حصلنا عليه وهو الفرق الواضح بين شمالي ايطاليا وجنوبها : فالشمال يعج بالحركة والنشاط والعمل والانتاج والمظاهر التي تدل على الغنى والدوق الرفيع بينما وقعت عيوننا في الجنوب على مناظر مقززة وصفنا بعضها . . . وصلنا اخيرا الى الفندق الذي ننزل فيه في نابولي وتناولنا طعام الغداء واسترحنا . وفي الخامسة مساء نزلنا الى الاسواق الجديدة التي لم نشاهدها في الايام السابقة واشترينا بعض الحاجات ولكننا لم نشتر كل ما نريد فالسوق فيه حاجات جميلة تصلح لان تكون هدايا للاهل والاصحاب .

الى جزيرة كابري . . . نزهة بحرية استغرقت يوما كاملا

الجمعة ٢٠/٨/١٩٥٤ : في الصباح جاءت سيارة اجرة تقلنا الى الشاطئ حيث نزلنا الى البحر لنقلع على ظهر سفينة كبيرة تقلنا الى جزيرة كابري مع أعداد كثيرة من الناس . وبعد ساعتين وصلنا كابري وهي جزيرة صغيرة في البحر تظهر وكأنها جبل

يشمخ بقامته فوق سطح الماء . تركنا المركب وانتقلنا الى بر الجزيرة وركبنا قطارا كهربائيا صعدا بنا الى الجبل . . . وصلنا الى ساحة فيها سوق صغير محلاته التجارية تعرض اجمل التحف ، وبعد الطواف في هذا السوق دخلنا مطعما تناولنا فيه طعام الغداء واسترحنا قليلا ثم عدنا الى الساحة التي انطلقنا منها لناخذ سيارة عامة تصعد الى اعلى الجبل على طريق ضيقة . صعدا وصعدنا الى ان وصلنا الى اعلى نقطة في الجزيرة وهي ترتفع ثلاثة آلاف قدم عن سطح البحر . . . وهنا ايضا نزلنا في ساحة صغيرة فيها بضع محال تجارية تعرض اجمل الالبسة والتحف النسائية فاشترينا طقمين وكنا نود شراء اكثر لو كان المال متوفرا ولو كانت تعقيدات الجمارك عندنا غير موجودة . رجعنا الى الساحة الاولى بالسيارة وعلى متن القطار الكهربائي اتممنا طريق العودة الى الساحل ومن ثم استأجرنا مركبا صغيرا يتسع لخمسة أشخاص وذهبنا نجوب شواطئ الجزيرة . . . وقفنا امام مغارة في البحر مدخلها منخفض جدا ويحتاج الانسان لان يخفض رأسه عند الدخول . . . ركبنا فلوكة صغيرة ودخلنا المغارة وشاهدنا منظرا بديعا حيث يسطع على صفحة الماء ضوء اخضر فستقي خافت ، هو انعكاس للون الصخر الذي يتكون منه سطح المغارة ومصدر النور فتحة في جانب المغارة عرضها متر وارتفاعها متر وربع تقريبا . . . والمغارة طولها ستون مترا وعرضها خمسة وعشرون مترا وعمق الماء فيها عشرون مترا . . . طفنا في هذه المغارة وتمتعنا بجوها البديع الذي اضى عليه النور الاخضر الفستقي الخافت جمالا ساحرا اخادا ، وبعد هذه المغارة توجد مغارة اخرى طولها مائة متر ولكنها جافة وليس فيها ماء ، خرجنا من المغارة وعدنا الى مركبنا الاول الذي اوصلنا الى بر الجزيرة مرة اخرى لنجد هناك المركب الذي سيقلنا الى نابولي . . . صعدا الى المركب لنمضي فيه ساعتين وهو يهتز بنا على صفحة الماء حتى وصلنا . وفي نابولي دخلنا الى فندقنا الذي لا بد من الدخول اليه والساعة تشير الى الساعة السابعة والنصف تماما . . . وكانت تكاليف هذه النزهة البحرية اربعة آلاف لير ايطالي عدا ونقدا اجرة ركوب من باب الفندق لباب الفندق مع ثمن الطعام . . . وفي الفندق تناولنا طعام العشاء وبقينا نتصيد النوم والنوم يغفل منا طوال الليل بسبب وجود الضجيج المنبعث من المكبرات ومن السينما ومن قرعة الطنابور وضربات السياط ومما زاد في الطين بلة وجود الناموس والحر الشديد و (نام) يا ابا راتب إن كنت تستطيع أن تنام .

في نابولي . . . طواف في الاسواق لشراء بعض الهدايا

السبت ١٩٥٤/٨/٢١ : كان الحر لافحا والحرارة في السيارة تسجل ٥٥ درجة عندما دخلنا المدينة في التاسعة صباحا أما عندما أوبنا إليها في الظهيرة ونحن في طريق العودة الى الفندق فان مؤشر الحرارة لم يعد يستطيع أن يسجل درجاتها التي أربت على الستين في السيارة . . . صعدنا الى الفندق وأمضينا فيه ساعات الظهيرة (نهوآي) من كثرة الحر ، وفي الساعة الخامسة مساء نزلنا الى السوق . حلقنا وغسلنا السيارة وعدنا الى الفندق وأوبنا الى مخادعنا بعد تناول طعام العشاء مباشرة علتنا نصيب شيئا من نوم تستريح فيه الإبدان المكثودة وتعوض عما فات في الليالي الخاليات ولكن هيهات هيهات والضجيج والحر والناموس ثالث غير مقدس وقبح أفرادنا انفاقنا على المضي معاليل نهار .

العودة الى رحاب الوطن

الأحد ١٩٥٤/٨/٢٢ :

استيقظنا الساعة الثامنة صباحا أفطرنا وابدانا نجمع الاغراض ونضعها في الحقائب وفي الساعة الحادية عشرة والنصف تناولنا ما بقي عندنا من طعام وأرسلنا الاولاد ليستفسروا عن الباخرة فقبل لهم انها ستصل بحدود الساعة الثانية والنصف وعليكم أن تكونوا بانتظارها في الساعة الرابعة بعد الظهر . . . حاسبنا الفندق المشؤوم الذي أكرهنا على الإقامة فيه لعدم وجود أفضل منه ، والذي لم نثق فيه، طعم الراحة، ثم انتقلنا بالسيارة الى الميناء على مرحلتين لكثرة الاغراض . وفي مركز الجمرك لم نجد من يفهم حديثنا . . واعترضتنا صعوبات عند ادخال الاغراض والسيارة الى الباخرة ، ثم ذللت بعون الله ولكن طردا من أغراضنا وضع في مكان غير أمين ، وهو يحوي كرسيا ابتعناه في رحلتنا وهذا ما جعلنا نخاف على الكرسي من الكسر أو العطب . في الساعة التاسعة مساء تناولنا العشاء وصعدنا الى سطح الباخرة لنشاهد عرضا سينمائيا ولكن رقصات الباخرة القوية على نغمات الامواج لم تمكننا من ذلك واضطررنا الى النزول بعد نصف ساعة من الجلوس . . . أوبنا الى غرفتنا وأم رانب مصابة بدوار فاضطجعت على السرير والباخرة لا زالت تتهدى في رقصاتها المزعجة تقوم وتقع وتعلو وتهبط ولا أدري والحالة على ما ذكرت متى وجد النوم سبيله الى عيني واستولى على جفني . . .

على صفحات مياه المتوسط التي ما برحت أمواجها تهز بأخرتنا

وتجاعيها تستمر في رقصاتها

الاثنين ١٩٥٤/٨/٢٣ : استيقظنا صباحا . . . تناولنا طعام الفطور في الباخرة ثم جلسنا على السطح ولكن أم راتب أصيبت بالدوار فنزلت الى الغرفة ولم تشعر بالراحة الا في المساء . وفي الساعة الحادية عشرة نهرا قدموا لنا طعاما خفيفا مؤلفا من حساء وقطعة لحم وقطعة خبز ، وفي الظهر تناولنا طعام الفداء وهو طعام طيب ومن اطيب الاطعمة التي تناولناها في رحلتنا كلها . . . وعلى ظهر الباخرة تعرفنا على عدة اشخاص من مصريين وعراقيين وايرانيين وألمان وجلس راتب وموفق يلعبان معهم الورق حتى المساء . . . وفي المساء تعشينا وسمرنا حتى الحادية عشرة والتصف ليلا نحاول الامساك بالنوم والنوم ينفر منا بسبب اهتزاز السفينة بفعل ضربات الامواج اي اننا لم نتم طوال الليل . . .

في عصر هذا اليوم أقام اصحاب السفينة حفلة غناء وموسيقى شاهدها المسافرون .

منعطف . . . وطريقة عرض جديدة

هذه رحلتي الاولى الى ديار الغرب دونتها كاملة وجعلتها ترتدي لباس المذكرات اليومية لتكون أنموذجا للرحلة الكاملة حيث أنني سأضطر الى عرض ما تبقى من رحلاتي عرضا موجزا أركز فيه على أهم ما شاهدته في تلك الرحلات .

* * *

الرحلة الثانية - ١٩٦١

الى الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا وأوربا

قبل ان اتحدث عن الرحلات التالية لتلك التي سبق وحدثكم عنها بالتفصيل ، يطيب لي ان اورد بعض الملاحظات .

الاولى : اعطيتم في الرحلة الاولى صورة عن تصرفي من حيث انا عربي مسلم في البلاد التي ازورها . فانا افتح عيني على الجديد وشؤون الحضارة وأحب ان آخذ لبلدي كل ما هو صالح عملا بالحديث الشريف (الحكمة ضالة المؤمن اخذها حيث وجدها) ولكنني لا أقف موقف الضعف حين ارى امورا اخرى لا استسيغها فان موروثنا الحضاري ضخم وكما تعلمنا من غيرنا علمناهم ، وهي حقيقة لا ينكرها الا مكابر .

الثانية : انني لا ابدّر المال وانفقه بمقدار معقول وفي مواضع المشروعة ، وليس هذا بخلا وانما هو احترام لقيمة المال الذي يكسبه الانسان بالجهد والطرق المشروعة .

الثالثة : انني ابحث اول ما ابحث عن المسائل التي تهم الزراعة والتصنيع الزراعي ، وهذا من طبائع الامور لاعدود وقد استفدت وتعلمت واستطيع ان اخبر قومي بما رايت .

الرابعة : ان العالم مليء بالطرائف فيجب ان احدث عمّا رايت منها لتكون موعظة وتسلية ، والتسلية جزء من حياتنا لانها تعيننا على تخطي الصعوبات واستعادة النشاط .

وأخيرا : فاني اذ اکتفي بالاجمالي دون التفصيلي فذلك لان ما اكرمني به ربي من العمر والقدرة على السفر لو رويت كل شيء فيه بالتفصيل لفاقت رحلاتي رحلات ابن بطوطة . ثم انني لا اخفيكم ان مراجعتي لمذكراتي التي كتبتها في ايام السفر وهذه عادتي ، جعلتني ارى ان كثيرا من الملاحظات التي ادهشتني في اسفاري الاولى صارت معروفة عند الناس لا سيما بعد التلفزيون الذي صار ينقلنا في كل يوم الى كل انحاء العالم .

ولسوف استبقي ذكر بعض الشخصيات التي التقيتها في الاسفار ، من عربية واجنبية ، لتكون بمثابة شكر على الحفاوة والعناية ، وما اكثر ما يسمد الانسان حين يرى نفسه وهو في الغربة امام صديق من ابناء وطنه ينسيه غربته .

بدأت هذه الرحلة في تموز ١٩٦١ وكنت فيها وحدي اذ حالت ظروف عائلية دون سفر ام راتب معي . وقد سافرت عن طريق القاهرة في الثالث من تموز ومررت بنسا الطائرة الى روما فيايرس فلندن ، ومن هناك طرنا خمس ساعات لنحط في جزيرة جميلة من جزر المحيط الاطلسي ، والقفزة الاخيرة حطت بنسا في نيويورك حيث آنسني راتب بوجوده في انتظاري .

ومنذ دخلنا الى مبنى مطار نيويورك احسست بأنه يفوق كثيرا ما شهدته في مطارات العالم الاخرى سواء من حيث المعاملة السريعة او من حيث التسهيلات التي لولاها لبقى عشرات الالوف يزدحمون في أرجائه مهما كانت واسعة . **فالسرعة والسهولة** هما الطابع العام للحياة الاميركية .

بناء الأمم المتحدة

وفي نيويورك التي تعرفونها جميعا إما بالزيارة وإما بالمشاهدة في الافلام والشرائح الاخبارية ، قمت بزيارة مقر الامم المتحدة المؤلف من بنائين احدهما من ثلاثين طابقا والآخر من عشرة طوابق ، وتحيط بهما الحدائق الواسعة . وقد تبرع بالارض الواسعة التي اقيم عليها البناء - وقيمتها ثمانية ملايين ونصف مليون دولار - الثري المعروف روكفلر ، كما تبرعت بلدية نيويورك بأربعة ملايين لاقامة البناء . وقد اشترينا تذاكر للدخول الى مقر هيئة الامم وكان كل عشرين زائرا يتقدمهم دليل يشرح لهم ما يرونه ، وقد استطعنا ان نشاهد من مكان الزوار جلسة لمجلس الامن كان يناقش فيها احد الموضوعات ، ورأيت كيف تنقل المناقشات عن طريق الترجمة الفورية الى اللغات الرسمية المعتمدة .

وزرنا كذلك قاعات اخرى آخرها قاعة الهيئة العامة التي تتسع لاعضاء الهيئة جميعهم ومعهم ألف وخمسمائة شخص من النظارة .

ولكن هذه العظمة التي تدهش الانسان منذ دخوله الى الولايات المتحدة وما فيها من مميزات السرعة والسهولة لا تلبث أن تسوء صفحتها امام انتشار اللصوصية وتهديد اللصوص للناس مما اجبر على اقامة حراسة قوية على المصارف وايجاد شرطة تسارع الى نجدة الناس في خلال ثلاث دقائق .

بورصة نيويورك

وقد زرنا بورصة نيويورك التي تغص دائما بالناس وتموج بالحركة وتتصل بأسرع الوسائل بكل انحاء العالم ، وقد رأينا أنه تم خلال فترة وجودنا التي لا تزيد على ساعتين تداول مليون وثمانين ألف سهم من أسهم الشركات المختلفة .

وعلى ذكر الأرقام فإن إحدى ناطحات السحاب في نيويورك فيها مائة وطابقان ويسكنها ثمانية آلاف وخمسمائة شخص ووزنها ٣٦٥ ألف طن وارتفاعها ١٤٨٠ قدم .

الحي الصيني وحي الزنوج

إن سيارات الأجرة في نيويورك تنظيم عجيب تملكه شركات ضخمة والسائقون في الغالب يعملون لقاء ٤٥٪ من وارد السيارة وكل سيارة تدخل وسطيا سبعين دولارا حصة السائق منها ثلاثون . وبواسطة إحدى السيارات من هذا النوع ذهبنا لزيارة الحي الصيني الذي يقع في طرف المدينة ، وهو حي قديم يسكنه ٤٥٠٠ شخص ما يزالون يتمسكون بتقاليدهم ولباسهم كما كانوا في بلادهم الأصلية .

وبالمقابل فالزنوج يسكنون في حي كان أرقى أحياء نيويورك وأجملها فلما بدأ الزنوج يسكنون فيه هجره سكانه ترفعا عن مساكنة الزنوج وباعوا بيوتهم بأبخس الأثمان فاشتراها السود بكاملها .

لم تطل إقامتنا في نيويورك فقد كانت الرحلة إلى داخل أميركا تستهويني ، فانتقلنا إلى واشنطن ونيانغارا وشيكاغو وأوكلاهوما حيث كان ينتظرنا أولادنا موفق وسليم وفاروق رحمه الله . ومن أوكلاهوما تركنا النقل بالجو وبدانا رحلة ممتعة بالسيارة إلى الولايات الغربية ولم يستطع موفق أن يرافقنا لانشغاله بأطروحاته .

أميركا من الجو

وحين كنت أطل من الطائرة على الأرض الأميركية الشاسعة كان يلفت نظري الإخضرار الذي يدل على نشاط الزراعة ، ثم كثرة البناء الذي يكاد يكون متصلا ، وشبكة الطرق التي تكاد تربط كل شبر بالآخر .

والزراعة الاميركية جعلت الولايات المتحدة اكبر منتج للقمح منافسة للكنديين والاورستاليين ، ولكثرة انتاجه تتأثر اسعاره ولذلك تحاول الحكومة تقليل المساحات المزروعة قمحاً .

اما على الارض فتمتاز اميركا - حين رايتها - بكثرة المطاعم التي تعتمد على الخدمة الذاتية التي بدأت فيها وانتقلت الى العالم . كما لفت نظري في واشنطن خاصة عدة اشياء منها النظافة وقساوة الفرامات التي تفرض على من يخالفون قواعدها حتى ولو كان الامر يخص عقب لفافة اذ ان الاميركيين يدركون قول شاعرنا (ومعظم النار من مستصفر الشر . .) اذ تتسبب أية نار بسيطة ولو من سيكارة في حرائق هائلة .

واشنطن

وفي واشنطن قمنا بجولات سياحية وكان من جملة ما اطلعت عليه مبنى وزارة الدفاع البنتاغون الضخم الذي يكفي للدلالة على سعته ان نقول ان فيه في عام ١٩٦١ - موقفا لتسعة آلاف سيارة وكل ما في البناء يقوم على الآلة من التنظيف الى سواه ، ومن ولع الاميركيين بالاحصاء ان قالوا انه يستهلك فيه يوميا ستون ألف فنجان قهوة .

ثم زرنا بناء اصفر وهو متحف الوثائق التاريخية الخاصة بالرؤساء الاميركيين والمعاهدات المعقودة بين ١٧٧٦ - ١٩٥٠ . وزرنا جامعا فخما في واشنطن بني على احدث طراز وله مئذنة عالية جدا وفي غاية الجمال ، ولكنه يفتح في اوقات محددة وقليلة .

اما البيت الابيض مقر رئيس جمهورية الولايات المتحدة الاميركية فهو بناء ضخم يضم ٦٨ غرفة نوم ، والى جانبه بناء لموظفي الرئاسة . ومن المعروف ان الزوار يدخلون الى حدائقه بمعدل عشرين الف زائر يوميا ، ويسمح لهم بذلك في الصباح .

ولدى زيارتنا مبنى الكونغرس الاميركي راينا قاعاته الضخمة وتماثيل الرؤساء السابقين في مجلس النواب والشيوخ ولوحات عديدة تمثل تاريخ المهاجرين الاوائل وزحفهم سيرا نحو الجنوب عبر الجبال والادوية وما لاقوه من مشقات . ولم يخل فكرنا من مقارنات وتمنيات . . .

وفي مكتبة الكونغرس الشهيرة كانت الخزائن يومذاك تضم سبعة ملايين كتاب . ومما لفت نظرنا مسير بعض الناس يحملون لوحات على صدورهم وظهورهم تشير

الى احتجاجهم على أي أمر يسوؤهم وهذه طريقة في لفت النظر الى المتلاعب بالاسعار
او الفشاش ويدور بها المحتج امام محل الاخير .

ومن الجو راينا كولو رادو مزارع وحقولا ، ويوتا مزارعها اقل ولكن مناجم الذهب
والفضة والقصدير والفحم تعوض . ولما دخلنا نيفادا شعرنا بالانتقال الى صحراء مرتفعة
الحرارة . ولما وصلنا الى لاس فيغاس للراحة بعد المشقة وجدناها - كما سمعنا -
بلدا يعيش من القمار ومن أجل القمار وروادها - ماعدانا - من اللاعبين الذين يأتونها
ليلا ويفادونها في الصباح .

شلالات نياغرا

لقد كثر الحديث عن هذه الشلالات العظيمة ذات الشهرة العالمية وكان لا بد لنا كما
لا بد لأي زائر أن نزورها ، فطرنا من واشنطن إليها ولما وصلنا الى المطار كان سائقنا
الذي نقلنا الى موقع الشلال انسانا ذكيا ودليلا سياحيا ماهرا وهو في الاصل طالب طب .
ولما وقفنا أمام الشلال من الجانب الاميركي رأينا منظرا لا مثيل له على وجه
الكرة الارضية ، فماؤه العظيم ينصب من ارتفاع يزيد على خمسين مترا ولكن بعرض
٨٠٠ متر على الجانب الاميركي و ٢٠٠ متر في الجانب الكندي . ثم ينزل بصوت هادر
مخيف الى بحيرة ثانية خلال شلالين أحدهما يذهب الى الاراضي الكندية والآخر الى
الاراضي الاميركية ، فالشلال على الحدود تماما . وقد أقيمت على الشلال مشاريع
كهربائية اميركية كندية وتعتمد منطقة نيويورك على طاقة نياغرا في تشغيل معاملها
ومرافقها العامة . ثم لا يقف الامر عند البحيرات بل يستمر الماء يتدفق بانحدار شديد
على مجرى طويل . وقد طفنا في منطقة الشلال ورأيناه من قرب حتى تكاد نلمسه عن
طريق جسر كبير طوله ٢٠٠ متر ويرتفع عشرين مترا عن سطح الماء ، ومصعد ضخيم
ارتفاعه ٨٥٠ مترا وكان المنظر بديعا حيث يشاهد المرء عرض الوادي وكثرة المياه وشدة
الانحدار ، وقد وصلنا الى مكان يبعد ٥٠٠ متر عن مسقط الشلالات وفي هذه المنطقة
تكون نسبة الانحدار خمسة بالمئة فقط . وأصاح بانني حين ركب القطار المعلق من
ضفة النهر الى ضفته الثانية أوجست خيفة في بداية الامر ولكنني تشجعت كباقي
الناس وأظنهم مثلي .

وقد درنا بعد ذلك في حدائق واسعة حول الشلالات فيها كل معالم التضاريس والجمال ، وأينا جامعة يختص طلبتها بالحدائق يدرسون فيها ثلاث سنوات مجانا شرط أن يخدموا سنة رابعة في الحدائق نفسها .

وبعد ذلك ذهبنا الى مرتفع عال يشرف على الشلالات في منظور عام وبعيد المدى يرينا الاراضي والطرق ومجرى النهر ، ولو سمحوا لنا بالمبيت لاقمنا في أحد الفنادق الجميلة التي شاهدناها ، لا سيما والمناظر في الليل رائعة بديعة .

ولما كانت المدة المسموح لنا بها أوشكت على الانتهاء ، ولا تمدد لكثرة القادمين من مختلف بقاع العالم ، فقد لمننا شباننا ومضيونا ونحن في غاية السرور والشوق مجتمعين .

ام راتب

وهنا شعرت بالحنين الى صحبة ام راتب وتذكرت رأي ابني راتب الذي قال لي أن وجود الزوجة يساعد كثيرا في احتمال مشاق السفر ويضفي على الرحلة كثيرا من الاطمئنان والهدوء وراحة الفكر ، ورجوت أن يعوض الله علينا بوجودها في رحلة أخرى قادمة ، مع اخي وزوجته أيضا وبعض اولادنا ولا سيما البنات .

او كلاهوما

ولدى انتقالنا الى او كلاهوما اتصلنا بعدد من الطلاب العرب الذين تحلقوا حولنا بسرور منذ عرفوا بوجودنا ، وكانت احاديث اوصيتهم فيها بالحرص على الوقت واكتساب العلم رحمة بابائهم وأمهاتهم وبوطنهم فكلهم ينتظرون عودة الابناء بفارغ الصبر من أجل أن تهدم قلاع التخلف الاقتصادي . واطلعت هناك على حالة طالب من اساقفة موفيق حصل على شهادة دكتوراه في الكيمياء ولكن حكومته تخلت عنه وتحمل من ذلك مصاعب كثيرة ، فأخذته شركة امريكية بمنصب عال ومرتب ضخم . وهذا من أخطأ الحكومات في معاملة الطلبة النوايع .

كما التفتينا بأفراد من الجالية اللبنانية في هذه الولاية وفيهم اغنياء كثيرون ولهم بنوك خاصة بهم .

وهذه مناسبة لاقول ان او كلاهما تضم عاصمتها ٢٣٠ الف نسمة وسكان الولاية مليونان وثلاثمئة الف ، وتعتمد على البترول الذي يوجد بكثرة وبعض الآبار مجاورة للبيوت ويوجد بئر في مقر حاكم الولاية ، كما ان الناس يعنون بالقمح والذرة وتربية المواشي ، ومع ذلك فهذه الولاية تعتبر من الولايات الفقيرة نسبيا في الولايات المتحدة .

وزرنا جامعة ستيل وفيها عشرة آلاف طالب بينهم اربعون عربيا ويدرس فيها فاروق وسليم ، وهي اجمل من جامعة او كلاهما ولكن التعليم فيها مأجور .

ومن الجدير بالذكر ان الناس هنا يستفيدون من القمامة التي تلتزم شركات خاصة بجمعها لقاء مبلغ يدفعه صاحب كل دار او محل ، وتقوم الشركة بفرض القمامة لتستفيد من النفايات حسب نوعها ولا سيما العلب حيث ينكر التعليل في امريكا .

الصلاة عند بدء كل عمل

كما لاحظنا ان الاميركيين يبدأون كل اجتماع عام وكل عمل بصلاة يرجون فيها من الله ان يبارك عملهم ، وهذا يجعل نفوسهم مرتاحة مسبقا وما احسن ما يفعلون .

صورة مفترب

وتقابلنا مع مفترب سوري من اصحاب الملايين واصله من قرية حضر في اواسط سورية هو السيد خليفة بوجيس . وهو قوي البنية يعمل في تجارة الارض وحفر آبار البترول . ودعانا الى دارته الجميلة واطعمنا مآكل شامية : كبة وبيرق وارز وفاصوليا وكبة نية ، وهذا من الامور التي اعادتنا الى الجو الشامي المألوف . وهذا الرجل مؤمن بالله وبرسله وبالموت وانه حق ولكنه لو رأى ملك الموت قادما لقبض روحه اثناء صفقة أرض لدفعه عنه حتى يتم الصفقة ، فالى هذا الحد يقدر العمل ويعتقد ان الله سبحانه وتعالى ما خلق الناس الا ليعملوا . وآخر ما فكر به مزرعة لتربية الاغنام . ومع انه لا يقرأ ولا يكتب الا انه نائب الشريف في الولاية ، ولما هاجر الى امريكا عام ١٩١٣ وهو خالي الوفاض تماما شمر عن ساعد الجد حتى جمع ثروته وأكد مركزه المرموق . ومما ذكره لنا انه عندما منحوه الجنسية الاميركية اشترطوا عليه ان يكون محبا وفيا لوطنه الاصلي .

رحلة السيارة

وكانت رحلة السيارة التي نوهت بها طويلة ولكن السيارة الجيدة وسائقنا الماهر رانب خففتا من مشاقها ، وهذا سمح لنا بأن نطلع من قرب - وعلى الارض كما يقولون - على احوال كثير من الولايات . ففي كولورادو مثلا تمتد الثروة على الذهب والفضة ولكن لا يهمل الناس تربية الحيوانات والدواجن وانتاج المحاصيل الزراعية ، ويعيشون في المزارع حياة مرفهة ، وبين المزارع قرى تتوفر فيها الحاجيات لطالبيها . والارض هنالا تحتاج الى سقاية لكثرة الامطار وكثرة الآبار . ولفت نظرنا أن محطات السكة فيها مستودعات لحفظ الحبوب . هذا وان لكل مزرعة طريقها الخاص الذي يصلها بالطريق العام ، وتسهل الاتصالات وجود الهواتف والبريد النشط .

كما شاهدنا ما كان جديدا علينا وهو الموتيلات التي يخدم المرء فيها نفسه وتمتاز بالاناقة والنظافة المطلقة فكان غرفها منقولة من فنادق الدرجة الاولى والاسعار رخيصة جدا .

ولما بلغنا في طريقنا مناطق جبلية صارت الرحلة اجمل ، والناس يستمتعون بالنقل بالسيارات ولكن تظل للسكك الحديدية مكانة خاصة ولا سيما في النقل .

وحين وصلنا - كما سلف الذكر - الى لاس فيغاس زرنا سد هوفر على نهر كولورادو ، ويبلغ ارتفاع جسم السد ٢٣٠ مترا وهو من اعلى السدود في العالم . بني عام ١٩٣٢ في ايام الازمة الاقتصادية الحادة ومع ذلك فكانت نفقاته الطائلة مفيدة اذ تكونت خلفه اكبر بحيرة صناعية في العالم وتستفيد منها ولايتا كاليفورنيا واريزونا للسقاية والكهرباء وتصل المياه الى مسافة ١١٥ ميلا ، وقد تحولت المنطقة بفضلها الى منتجع سياحي .

لوس انجلوس

ثم حطت بنا الرحلة في ولاية كاليفورنيا ولا سيما مدينة لوس انجلوس ، وهي ارض البساتين والفاكهة ، وفيها بلدة اشتهرت بالشمس اسمها سانتوز . كانت هذه البلدة مقصدنا بسبب اهتمامنا بمعامل تصنيع الشمس ، وزرنا فيها عددا من هذه

المعامل . ثم انتقلنا الى مدينة اوكلاند وهي عدة مدن متصلة فيما بينها منها باركلي والبانى ، وتقع على خليج سان فرانسيسكو وتتصل بها عن طريق جسور مرتفعة تربط طرفي الخليج وهي واحدة من معجزات العلم والهندسة في العالم . وقد استمتعنا بوقتنا في لوس انجلوس وكان بين من زرناهم المترب الارمني السوري مردكيان .

وشاهدنا في لوس انجلوس المتحف البحري الذي يضم عجائب مخلوقات البحر كلها ومنها ما هو حي في بحيرات خاصة .

نانس باري ودزني لاند

كما اقام نانس باري متحفا للحياة الاميركية منذ بداية الحياة على هذه القارة حتى العصر الحاضر وحتى ما يتصوره عن العصر المقبل . وهذا المتحف عبارة عن بلدة كبيرة كاملة تتسع لعشرين الف سيارة وفيها العاب كثيرة ، والى جانبها تقوم قرية دزني الشهيرة للاطفال .

زيارة ساننتوز

ولما زرنا منطقة الشمس والفواكه الشهيرة قطعنا اربعين ميلا ونحن نسير تحت اشجار الخوخ التي لا نهاية لها ، ثم وصلنا الى سانتوز قصدنا الى معمل نطلع على العمل فيه لنكتسب خبرة جديدة في موضوع يهمنا جدا وعلى أمل شراء معمل يعمل في هذا الاختصاص . وقد ادهشتنا مساحة المعمل وهي ١٥٠ فدان وسيارات الموظفين العاملين فيه تزيد على خمسة آلاف .

وقد استقبلتنا الادارة بعناية وقابلنا المدير وعدد من اعوانه واطلعونا على ما نريد ودعونا الى تناول الفداء ، وبعده زرنا معملا آخر واطلعنا على عمليات تصنيع المشمش والدراق واكثرها آلية ، كما اطلعنا على تصنيع البندورة .

وقد حصلت على احصاء تبين منه ان العامل الاميركي يحتاج الى سبع دقائق عمل ليشتري باوند خبز وثلاثين دقيقة عمل ليشتري باوند زبدة وثمان ساعات ليشتري حذاء وساعة عمل واحدة لشراء قميص قطني .

وكذلك توجد احصاءات تقول ان الاميركي يشتغل ٢٥٠ يوما في السنة وموردها

ينفق كالتالي : فلأكل ٧٢ وللباس ٢٣ وللمسكن ٤٨ وللنقل ٢١ وللمصاريف الخاصة ١٠ والصحة لها ١٠ وللتوفير ١٦ والراحة ١١ والعبادة ٤ وللضرائب ٣٢ وللمتفرقة ٣ .

برادات ومزارع متميزة

وشاهدنا في زيارتنا برادات فاكهة واسعة وحسنة التنظيم ويختلف ترتيبها باختلاف الفاكهة وقد تعلمنا منها أموراً عديدة . ثم زرنا مزرعة تفاح أشجارها تشبه في الضخامة أشجار الجوز عندنا وعمر الشجرة وصل الى ١٠٧ سنوات والشجر يحمل الى حد يجب معه اسناد اغصانه حتى لا تتكسر والشجرة الواحدة تعطي ما يزيد على خمسين صندوق تفاح . وزرنا مزرعة أخرى عمر الشجر فيها عشرون عاماً وتحمل الشجرة ما لا يقل عن ثلاثين صندوقاً عاماً ما يقع فلا يجمع ولا يباع . وبالسؤال قال أصحاب المزرعتين أنهم لا يسقون الأشجار الا في تموز لكثرة الامطار ولكن يحرقون الأرض جيداً ويجعلون ترابها ناعماً منعاً لتشقق الأرض . أما المكافحة فيرشون الشجر بانزيت الشتوي في آذار ثم يرشونها أربع مرات بعد ذلك حتى تموز بعدة مواد، وفي آب ترش الأشجار عن طريق الجو بمادة تمسك الحمل وتقتل حشرة العنكبوت . وهم يعطون كل شجرة صغيرة خمسة كيلو غرامات من السماد ويعطون الكبيرة تسعة . وتمنينا لو نطيل مقامنا في المزرعتين أكثر .

وقد زرنا مزرعة مشمش عمر أشجارها سبعون عاماً ولكن الناظر اليها يقول أنها لا تجاوز الخامسة والعشرين من السنين وذلك لفرط العناية بها وذلك لان الأميركيين يقصون الشجرة من أعلاها كل عامين فتبقى محافظة على قوتها وارتفاعها الموحد . أما الأرض فتروى وتفلح مرتين بعد السقاية ويعملون على أن يكون ترابها ناعماً في المرة الثانية حتى كأنه وجه سجادة .

وطفنا في مزرعة جوز وقد رأينا أن الجوز لا يزرع كما عندنا على أطراف الأرض والبستان وإنما تخصص له مزارع كاملة كالعنب والمشمش . وأشجار الجوز منخفضة حتى أن بعض أغصانها يكاد يلمس بالأرض وتحمل أكثر مما يحمل المشمش وهذه ناحية جيدة في زراعة الجوز لأنها تسهل عملية القطف وحذا لو تعلمنا هذه الطريقة . ويترك بين الشجرة وأختها ١٤ متراً ليتاح لكل واحدة أن تنمو أفقياً وقريباً من الأرض ، وليستأثروا الأرض يزرعون شجرة خوخ بين كل شجرتي جوز .

ولاحظنا ان شجرة الجوز تحمل ما يقرب من ٣٠٠ كيلو غرام وهي ممتدة انقيا حتى ليتمكن ان يستظل تحتها اربعون شخصا دون ان يراهم احد! . . .

كما شاهدنا خلال جولتنا مساحات واسعة تزرع قطنا وذرة وقمحاً . وقد حدثنا احد اصحاب المزارع عن السقاية والرش والتقليم والحراثة والعناية بها بالنسبة للاشجار فقال ان اغلب الاشجار عمرها ستة وسبعون عاما وبعضها اقدم من ذلك . ولذلك فهم يضعون السماد مرة واحدة في شهر آذار قبل نزول المطر ويسطون كل شجرة ستة او سبعة كيلو غرامات من السماد من نوع نتروجين وبوتاس . اما السقاية فتكون مرة واحدة في العام في تموز او في آب ، ويفلحون الارض خلال اشهر آذار ونيسان وايار بالديسك ، ويفلحونها مرة واحدة بالسكة . اما جني المحصول وتقليم الاشجار فيكون بواسطة سلالم مزدوجة ، وذكر لنا ان عنده عشرة انواع من السلالم فكل نوع له مقياس . وتقليم الشجر الكبير يكون بواسطة المنشار .

وذكر لي ان المزرعة فيها بئر عمقها سبعون مترا يرتفع الماء فيها ٦٧ مترا أي ان بعد الماء عن سطح الارض هو ثلاثة أمتار فقط ، وهم لا يستعملون الاقنية للسقاية بل يستعملون الانابيب .

أما عن الرش والمكافحة فقد ذكر أنهم يرشون الاشجار في الشتاء بزيت دورمات كما يرشونها في آذار وفي اول نيسان بكبريت دلايم ويرشون رشة رابعة في شهر مايس بمسادة البارثين وهو من مركبات الفوسفور وممزوج بمادة د.د.ت ومادة تيديان ، وفي اول شهر حزيران ترش الاشجار بمادة تجعل الحمل خفيفا ، وفي آخر حزيران يعاد رش الاشجار بمادة د.د.ت ومادة تيديان ومادة مالاثيون . أما في ايلول فيرشون الاشجار بنوع من الهورمونات التي تمنع سقوط الثمر ويتم الرش عن طريق الجو بواسطة طائرات خاصة ويدفعون لقاء ذلك اجرا قدره دولاران ونصف عن كل فدان .

لقد كان محدثنا شابا متخرجا من جامعة ستانفورد ويحمل شهادة عليا في الاقتصاد ولكن يعمل في الزراعة ، وهذا من امثلة الجد لانه يعمل بنفسه وينتقل بسيارة بيك آب وبملابس العمل أو الملابس الرياضية في حين نرى الشباب عندنا يرغبون في الوظيفة والاعمال المكتبية ولا بد سيأتي يوم ينتبهون فيه الى أهمية العمل والانتاج .

(مدن) متصلة في سان فرانسيسكو

قلت أن على خليج سان فرانسيسكو مجموعة مدن متصلة فيما بينها بجسور هي الاطول في العالم بين اربعة أميال وأحد عشر ميلا ، وفيها يتجمع أغنياء العالم بدورهم الفاخرة وحدائقهم ووسائل الترف والراحة ، وهذه المدن هي : أوكلاند ، بركلي ، الباني ، سانت ليناردو ، وريتشموند وآلاميدا وام ريفل ومدن أخرى . وفي بركلي جامعة راتب الشهرة بمكتبتها ووسائل المراجعة الحديثة فيها ومما فيها دليل هاتف لجميع مدن أوروبا وآخر لجميع الدول الاميركية .

في منطقة سان فرانسيسكو يشعر المرء بقوة الاميركيين من خلال المنشآت الحضارية الضخمة من الابنية الى الجسور الى المزارع والحدائق ولا سيما الجامعات .

فجامعة ستانفورد تحتل بابنتها الفخمة ١٩٠ فدانا تبرع بها أحد الاغنياء ، فصارت الآن تحوي تسعة آلاف طالب . وقد كان دليلنا في طوافنا في أرجائها السيد حسان القوتلي نجل المرحوم الرئيس شكري القوتلي . وقد سلمناه رسالة من والده وحملنا رسالة اليه مع شهادة الماجستير في البترول ، وأشهد أنه شاب ذو أخلاق عالية وأدب رفيع ، وقد ورد ذكر سلوكه وتصرفاته في احدى رسائلنا المنشورة في هذا الكتاب ومناسبة الجامعات فان جامعة من جامعات شيكاغو عرضت على ولدي راتب أن يدرّس فيها بمرتب عال جدا والرسالة التي بعث بها رئيس الجامعة بهذا الصدد فيها كل التلطف بل الرجاء بالقبول ، وكان الذي حملها الى راتب صديقه السيد محمد سليم وهو يتابع دراسته هناك .

تسهيلات التعامل

ومن الجدير بالذكر أن من يشتري سيارة يستلمها من البائع ويستعملها فورا والوكيل هو الذي يعلم الدولة عن البيع ويسلم اللوحة على الفور ، فأين هذا مما نراه عندنا من تعقيد المعاملات الموروث من أيام الفرنسيين والقائم على افتراض سوء النية في الناس ؟ وقد تأكد لنا الآن هذا الامر بعد ان كنا لمسنا في فرنسا تعقيدات المعاملات الادارية التي انتقلت اليها خلال ربع قرن من الحكم الفرنسي وظلت آثارها حتى الآن

ويجب ان تزول وان نتنسم هواء الحياة الجديدة القائمة على السرعة فبدون ذلك لا ندخل القرن الحادي والعشرين . . .

ومن جملة التسهيلات التي رايناها في بلد تعتبر فيه السيارة كالحصان بالنسبة للفرسان القدامى ، فهي الوسطة في الانتقال وهي الصديقة الحميمة . فقد جعلت صحة السيارة هدفا حتى اذا تعطلت تم اصلاحها بسرعة وذلك بالاتصال عن طريق هواتف موضوعة على جانب الطريق تؤمن النجدة . وقد بدأنا الآن في بلادنا نضع هذه الهواتف ولو انني لم أسمع بعد عن شيوع استعمالها وجدوى ذلك .

ولا بد لي هنا من أن أؤكد من جديد على أهمية الرفيق والدليل قبل الطريق ، وأهمية الزوجة كمرافقة لقطع الملل وتسهيل الحياة فهي كالملاح في الطعام لا يطيب دونه .

عودة الى وصف سان فرانسيسكو

واجد انني لا أستطيع مغادرة الحديث عن سان فرانسيسكو التي هي عروس كاليفورنيا وهذه أجمل ولايات أميركا ، ولذلك فقد تكون زيارتها -وهي كذلك في نظري- أجمل زيارة لاية مدينة في العالم .

فالأحياء السكنية موزعة فيها على جبال تصل بينها شوارع شديدة الانحدار ولكن السير منظم فيها بحيث لا يتم أي ارتباك عند تقاطعها . والابنية فخمة جميلة التنسيق وما كان منها في وسط المدينة كان من الابنية العالية أما بيوت السكن الأخرى فهي قليلة الطوابق . وهذه الصفة محصورة بنيويورك وسان فرانسيسكو لأن مدن أميركا الأخرى قائمة على منازل الطابق والطابقين فقط بوجه عام .

وبالنسبة للمرفأ ادهشنا ان كل شركة شحن لها مستودعاتها وتقف بواخرها امامها ويوجد موظف جمركي واحد مفرز لكل شركة شحن فيقوم بعمله بدقة وانتظام .

والمدارس كثيرة كبيرة فخمة والحداثك واسعة جميلة منسقة والاطفال والاولاد فيها ومناخ المدينة هنا يشبه مناخ الزبداني في سورية أيام الصيف أما في الشتاء فلا تنزل الحرارة الى ما دون ١٦ درجة .

ولأبد من حديث عن التلفزيون الذي توجه برأجه بحيث تمتع وتنفع . فهناك حوالي عشرين محطة محلية ولكل منها برامجها . ومن هذه البرامج (محكمة الشعب) التي تفصل في المنازعات اليومية وقد شاهدنا في هذا البرنامج فض خلاف وقع بين سيدتين رشت احدهما الاخرى بالساء في الطريق فالتفت ملابسها التي تساوي سبعة وأربعين دولارا ولما سأل القاضي السيدة التي رشت عن سبب عملها قالت ان المنتظرين في موقف السيارة يلقون الاوراق على الرصيف أمام بيتها وفي حديثها احيانا ولما سألها القاضي هل تجزمين ان هذه السيدة هي التي لقت الاوراق ؟ قالت لا . فحكم عليها القاضي بثمان ثياب المدعية وقال لها بإمكانك ان تقيمي دعوى على شركة السيارات لتغير موقفها أو تدارك ما تشكين منه ، وقد دفع المبلغ فوراً لأن من يتأخر عن الاداء يجبس . وكذلك يعرض البرنامج قضايا واقعية عن الطلاق وادى عرضه الى تقليل حوادث الطلاق . أليس هذا هو ما يجري عندنا تماما يا قارئ العزيز ؟

وكان ممن لقيناهم مصريان هما محمد سليم ومحي الدين وزوجتهما وكلهم حصلوا على شهادات عالية وكانوا مع راتب في دراسته وقمنا بنزهات مشتركة على الطريقة الشرقية وفي حدائق يسمحون فيها بأن تشوى اللحوم وحيث توجد مرافق كافية لراحة الناس وتأمين سلامة الغابة من الحريق .

ولفت نظرنا ان السيد محمد سليم قام بدفع اجرة الدار عنا ورافقتنا ودفع مالا في نزهاتنا ولم يقبل ان نعيد له ما انفق رغم الحاحنا . ان حفاوة المواطن العربي متأصلة فيه رغم معاشرته الطويلة للاميركيين ، فلا نستطيع الا ان نشكره .

فنادق سياحية من نوع خاص

ورائنا في جولتنا فنادق بنيت على الطراز القديم من حجر وخشب غير مصقول وطلبت بكلس عادي ووضعت لها اقفال عتيقة ولكن الفرش فخم والفندق مقصود لما ذكرناه على الضبط وقد نمنا فيه ليلة ممتعة مريحة ولما خرجنا وجدنا لافتة تسألنا ان كنا نسينا شيئا وراءنا وتطلب منا ان نطفئ النور ونترك المفتاح . فما احرانا بأن نقيم في بلادنا فنادق سياحية في الخانات القديمة والدور العربية التي تستهوي الانفس على ان يتم فرشها بشكل جيد ونظيف وتؤمن لها المرافق الصحية الحديثة النظيفة ، ففي ذلك متعة خاصة تفوق الفنادق الحديثة النمطية .

وهذه الفنادق وسواها من الفنادق الكبيرة والصفيرة تميز الحياة في الولايات المتحدة الاميركية . ففي بلد يجد فيه الانسان تحته سيارة فارهة وطرقا تفري بالسير عليها ووسائل للاتصال على جانبي الطريق ومحطات لاصلاح السيارات المعطلة . في مثل هذا البلد لا بد أن تترافق حركة الانتقال الكثيفة مع توفر وسائل الراحة في كل مكان لمن يريد وبأسعار تناسب الجميع . فمن أراد الفندق الفخم وجده ومن أراد الموتيل وجده ، ومن أراد القديم أو الحديث وجد ضالته . تسعف في ذلك أمور عديدة . منها جمال الاماكن . وقد سبق القول ويعاد مرة أخرى أن أميركا هي بلاد الخضرة والنضارة في أكثر أماكنها ، وتتعدد فيها المناظر الى حد عجيب . ان الولايات المتحدة الاميركية تعتبر قارة بحد ذاتها ولو كانت جزءا من القارة الاميركية في قسمها الشمالي . ففيها الجبال المغطاة بالاشجار والغابات وفيها الاشجار التي تغطي الثلوج دممها وفيها الوديان والهضاب والسهول والمناطق المنبسطة . وكل ذلك في تنوع عجيب . أنا لست أصف لكم ما لم تروه ، فان السينما والتلفزيون تطلعنا في كثير من المناسبات على جمالات هذا البلد وعلى نمط الحياة فيه ، وكل ما أزيد عليه أنا أنني أتحدث عن التجربة التي مرت بي .

وعلى سبيل المثال والدلالة على ما ينفقه الاميركي على راحته ومتعته واقامته في الفنادق أذكر أننا حين زرنا مدينة لاس فيغاس وجدنا فيها مئة وخمسين فندقا تشبه الفندق الذي نزلنا فيه وفيها سبعة عشر فندقا أكبر منه . حتى أن أحد الفنادق له موقف للسيارات يتسع لثلاثة آلاف سيارة ، وفيه ابهاء واسعة يتسع الواحد منها لخمسمائة شخص من لاعبي القمار بالإضافة للامكنة المخصصة للفرق الفنية التي يجلبونها من كل اماكن الدنيا لتجذب الناس والمقامرين .

ولكن الشيء الأكثر شيوعا هو وجود الموتيلات الرخيصة التكاليف حيث ينزل الانسان المسافر وأسرته اذا كانت معه أسرة ويخدم نفسه وتتوفر في هذه الموتيلات كل وسائل الراحة ، وأنا أشبهها من حيث الوظيفة لا من حيث المستوى بخانات الشرق القديمة حيث كان ينزل المسافرون في رحلاتهم الطويلة . فاميركا هي بين صفات أخرى عديدة بلد الفنادق والموتيلات .

كما توجد فيلات صغيرة خاصة للايجار لمن يشاء وقد استخدمنا احداها في بركلي، وكانت على نهر صغير نظيف صوت مائه يضحك وينشر البهجة ، وقد هياه صاحبه - وهو كندي - للايجار لكونه على طريق مقصودة وينتفع بذلك .

معمل آلات عصر الفاكهة

زرنا معملا يصنع آلات عصر الفاكهة واطلعنا على نماذجه واعطانا المشرف عليه معلومات دقيقة كاملة في برهة وجيزة . ولما سألنا عن المدة التي نستطيع فيها تثبيت الطلب قلنا له لا بد من ثلاثة اشهر على الاقل للحصول على الاجازة ، فقال ونحن نسلمكم المعمل جاهزا مركبا صالحا للعمل خلال ثلاثة اشهر . فانظروا كم الفرق بين معاملة ورقية وصنع معمل وارساله وتجريبه وتجهيزه ، والمدة مماثلة ! فقاتل الله الروتين .

وحدثنا المهندس المشرف عن تجاربه مع الشرق فقال انه اوفد للاشراف في ايران على تركيب المعمل وحدد لذلك عشرة ايام ، ولكنه اضطر الى أن يبقى شهرين كاملين حتى أنجز العمل ، وتساءل لماذا يتكلف التركيب ستة أضعاف المدة المقررة والمجربة ؟ وقد سبق أن تحدثت في تجاربنا عن المشمش كيف اشترينا الشتلات ورفضت السلطات المختصة ادخالها حتى توسط وزير الزراعة شخصيا بذلك .

فريزنو بلد العنب وتعبئة الفواكه

انها بلدة كبيرة سكانها مائة وعشرون الف نسمة ، ابنيها فخمة وشوارعها منظمة وفنادقها ممتازة ومحلاتها التجارية عامرة . وقد توجهنا فيها الى شخص يملك عدة معامل لتصنيع العنب والفاكهة فرحب بنا وأخذنا الى معمل زبيب وفي الطريق حدثنا عن الاعتماد على الآلة كليا والسهر على جودة الانتاج من أجل المنافسة ، وقال أنهم يصنعون الدراخن ويستفيدون حتى من بزره . وفي الطريق مررنا بعدة معامل لتصنيع الفاكهة ، وكانت الارض مزروعة بكروم العنب على مساحات شاسعة .

أما طريقة تصنيع الزبيب كما شرحها - لأن المعمل كان متوقفا آنذاك - فهي وضع العنب في أقفاص طويلة لمدة عشرة ايام أو أكثر في الكروم بين خطوط العرائش ليجف

ومن ثم ينقل الى المعمل بعراميشه أي عناقيده كما كان ، وهناك تأتي آلة فتفصل الحبات ثم تنقلها الى آلة تكمل التجفيف ثم يعبأ في صناديق والمعمل ينتج في الساعة ألفاً ومئتي صندوق أي نحو ٣٠ طن في الساعة وثلاثين ألف طن سنويا .

ثم رأينا معملا آخر يدخل فيه العنب طازجا ويخرج منه الزبيب ، وذلك بأن يدخل العنقود الى آلة تفرط الحبات ثم تنقلها الى آلة الغسل فآلة التجفيف فالتعبئة . ورأينا معملا ثالثا يزيل البزر من الزبيب اذا كان العنب من النوع الذي فيه بزر وكل ذلك بصورة آلية ودون ان تمسه الايدي في كل المراحل . أما بزر الزبيب فيصنع منه زيت خاص يستفاد منه فلا يذهب شيء هدرا .

كلية الزراعة

وبعد أن دعانا مرافقنا الى غداء في مطعم فخم انتقلنا الى كلية الزراعة التي أقيمت بين الكروم للاهتمام بالعنب بوجه خاص وهي كلية كبيرة وحولها مساحات للتجارب تبلغ مئتي فدان توزع على الطلبة ليقوموا بتجارب عليها فتتم بأيديهم كل الاعمال على الاطلاق . وقد ذكروا لنا أن الانواع التي تعتنى بها الكلية تبلغ ١٢٧ نوعا من العنب بعضها يصلح للزبيب والبعض للخمور والباقي للاكل ويصل انتاج كروم الكلية الى ثلاثة ملايين طن توزع كما سبق . هذا وقد زرعت عزائش العنب على خطوط مستقيمة بينها ثلاثة أمتار وبين العرسة وجارتها متران ونصف والى جانب كل غرسة خشبة ارتفاعها متران ترفع العريشة عن الارض وفي أعلاها خشبة أخرى مصالبة لها ثم تمتد أسلاك بين الخشبات على ارتفاع متر عن سطح الارض . فمن العناية الفائقة هذا الانتاج المتطور ، ومن استخدام ٢٠٠ كيلو غرام سماد نترات بينها ٤ نتروجين لكل خمسة آلاف متر مربع .

اما السقاية فتختلف من صنف لآخر . فالعنب الذي سيصير خمرا يسقونه خمس مرات في العام ، والمخصص للاكل يسقى ثلاثا . أما السماد فيعطى في شهري آذار ونيسان . وكل خمسة آلاف متر من الكروم تعطي تسعة أطنان من العنب . وقد عرفنا أن الكلية تملك معملا الخاص لصنع الزبيب .

وقد أعجبت بهذه الكلية الى حد أنني قررت أن أنقل سليم اليها لانها كلية تطبيقية

عملية اضافة الى العلم النظري . ومن الجدير بالذكر ان مرافقنا صاحب المعامل كان
ارمنيا وكذلك شريكه والاستاذ الذي رافقنا فهذه المنطقة يكثر فيها الارمن ولا يقل
عددهم عن مائتي الف هم اغلبية السكان .

وتضم فريزنو مكاتب معلومات تزود الفلاحين بالارشادات في مجال الزراعة وتربية
الماشية بعضها تابع للدولة وبعضها تابع لجامعة كاليفورنيا .

وكان آخر ما زرناه معملا مركزيا لتعبئة الزبيب في بناء من خمسة طوابق ينتج
خمسة وعشرين الف علبة في الساعة وتعمل فيه خمس عشرة عاملة فقط . فالزبيب
ينزل من مزارب الى علب مفتوحة ، متى امتلأت انتقلت الى حيث تنقلها آلة اخرى ،
والآلة تالفة تجمع كل ثلاث علب في رزمة صغيرة والرابعة تجعل الرزمتين رزمة واحدة
اكبر وتغلفهما بورق السيلوفان ، وآلة خامسة تضع كل ثلاثين علبة في صندوق ثم
تسير الصناديق الى المستودع .

وكان في فريزنو في ذلك الوقت معرض سنوي ، وزرناه ثم مررنا بمعمل يصنع آلات
تعبئة الفاكهة واستعلمنا عن أسعار الآلات ، وبعد أن قدمنا لمضيفنا ومرافقنا هدية
مناسبة من البروكار والاغباني ودعناه شاكرين ومعجبين بما شاهدناه من نشاط بشري
رفيع سخر العلم والآلة لخدمة الزراعة والانتاج الزراعي .

غابات عذراء وبارك سوماني

على ثلاثين ميلا من فريزنو توجد غابات عذراء تجاور مزارع العنب والفاكهة ، وفيها
بارك في اعماقها يبلغ قطره سبعمين ميلا . السائحون يقصدون المكان بمقطوراتهم او
خيامهم او يقيمون في الفندق الكبير هناك . والزائرون يطلون على شلالات ارتفاع
مسقطها مئة وثلاثون مترا . ربما كانت المناظر هنا من اجمل ما تقع عليه العين في
الدنيسا . فهنا من الاشجار الضخمة ما يمكن ان تمر سيارة ضمن جذع الشجرة .
وثمة خمسة مطاعم كبيرة تخدم السائحين ، ومسرح يبهجهم وموسيقا تعزف فترطب
الناس ويرقصون عليها . غير ان الحصول على مكان في الفندق من الامور الصعبة ما لم
يتم الحجز قبل زمن طويل . وقد جربنا نحن فما وفقنا في اخذ غرفة .

وفي خلال زيارتنا شاهدنا الحيوانات من كل الانواع التي تخطر بالبال ، ما عدا

المفترسة ، تتجول بين الناس آمنة لأنها اعتادت على أنهم يحترمونها ولا يهددونها ، وقد رأينا فيلما سينمائيا عرض في مقر المجمع السياحي صور حياة حيوانات الغابة الضخمة . كما أنسنا بالفرلان وهي تجول بين الناس وما أحلاها .

ان هذه الغابة العذراء كانت فيما مضى مقرا لبعض الهنود الحمر ، ثم استملكته الدولة وفتحتها منذ مئة عام للزائرين مع العناية بأمور الصحة والجمال والنظافة والسلامة ، ولا يجوز لأحد أن يمتلك فيها شبرا واحدا .

وفي قلب المركز السياحي الذي اسمه بارك سوماني متحف من أعجب ما فيه خزانة وضعوا فيها لفافات وأعقاب سكاير مطفاة أو زجاجا مكسرا أو أوراقا مما تركه بعض الزائرين وراءهم سهوا واستهتارا ، فجمعتهم الإدارة لتخجل الآخرين وعرضته كما لو كان دليلا على عار المعاملة الانسانية الفظة للطبيعة ، وكتب على الخزانة : نرجو الاتفعلوا مثل ما فعل هؤلاء ليبقى للغابة جمالها . كما تشير اعلانات كثيرة الى غرامات عالية تفرض على من يتركون الاوساخ أو أعقاب السكاير ، ومن هذه الاعلانات واحد يبدو انه موجه من حيوانات الغابة فيقول : اذا احترقت الغابة نتيجة للخطأ أو المخالفة احترقنا نحن معها ، فارجوكم الاتسببوا في ذلك .

ورأينا على أحد المداخل قطعة من جذع شجرة قطرها اربعة امتار ونصف كانت كسرت عام ١٩١٤ فقطموها وهي من اقدم اشجار الغابة ولم يبق مثلها سوى ثلاث واحدة يابسة وشجرتان خضراوان .

ورأينا لافتة تنبه الناس الى عدم نقل الفرلان الصغيرة من أماكنها ولو على سبيل الحنان والمحبة لأن امهاتها تفقدها وترفض الفرلان الصغيرة الاكل فتضطر الادارة الى تأمين نفقات حضانتها .

ولما لم نستطع المنامة في البارك في الزيارة الاولى عدنا في زيارة ثانية بعد ايام ، واستمتعنا ، واستفدنا امورا كثيرة من جملتها طريقة لسقاية المساكب من مجاري الماء . فحين يصل الماء الى حيث يجب أن يدخل في المسكبة لا يكسر طرف المجرى كما نفعل نحن وانما يوضع انبوب معقوف احد طرفيه في المجرى والآخر في المسكبة ، فيمتص الماء وينقله ببساطة . وقد درسناه وعرفنا تفاصيله لنصنع مثله في بلدنا لفائدته وسهولة صنعه واستخدامه .

والخلاصة ان زيارتنا للغابة والبارك قد أبهجتنا وعلمتنا كما حملتنا على التفكير في فرق المعاملة بين ما يجري عندهم للطبيعة والحيوانات والبيئة وبين ما يجري عندنا من استهتار بكل قيم النظافة والسلامة ، فلا نكتفي بأن نقول آسفين (لا حول ولا قوة الا بالله) بل يجب علينا ان ننشر الوعي لآخذ المثل الصالح ، وهذا من فوائد الاسفار . ولا تتم هذه الفوائد الا بان ننقل الصورة الحسنة لاتباعها والصورة السيئة لاجتنابها .

من وحي هذه الرحلة

وكان أن أوحى لنا هذه الرحلة كذلك بفكرة شراء معمل لتصنيع المشمش ومن ثم معامل أخرى لانواع الفواكه مما سبق وصفه ، وطلبنا مخططات ودراسات من احد المهندسين الذين رافقونا . ومن المفيد أن نذكر هنا بين معترضين ان هذا المهندس لاحظ انني اسجل كل شيء بالتفصيل - وانا اوردها هنا اقل من ١٠٪ من ملاحظاتي حتى لا يتضخم الكتاب - فسره ذلك وقال لولدي الدكتور راتب ان أبك صار يعرف عن أميركا واقتصادها اكثر مما نعرفه نحن عنها . وأضاف انه كان زار تركيا فيما مضى وشاهد أشياء طريفة ولكنه مع الزمان نسي اكثرها وتمنى لو انه كان مثلي قد سجل كل ما رأى يوما بعد يوم وساعة بعد ساعة .

جمعية المنتجين والمصدرين واصحاب المعامل

ومن الأمور التي لفتت نظري واراها مفيدة ان هناك جمعية تضم المنتجين والمصدرين واصحاب المعامل المتعلقة بالمنتجات الزراعية وهي في كل منطقة تضع الاسعار بعد دراسة التكاليف وغازارة الانتاج والناس كلهم يلتزمون بأسعارها التي تصدر قبل الموسم ولا احد يخالفها كما انها قد تقرر نسبة الاتلاف في بعض المحاصيل اذا كانت وفرتها ستؤدي الى هبوط الاسعار . ان هذه القاعدة الشبيهة بقولنا (لا ضرر ولا ضرار) مطبقة عندهم ولم تعد مطبقة عندنا الآن مع الاسف .

مقتررب سوري أرمني

وكان السيد مارديكيان وهو أرمني هاجر من حلب وأقام في سان فرانسيسكو قد زارنا في دمشق في مزرعة العدمل فراينا ان نرد له الزيارة . ولقد أصبح هذا الرجل من الشخصيات الاميركية البارزة سكرتيرا في لجنة الحزب الجمهوري ورئيسا للكشافة

في اميركا وهو يعين الطلاب العرب ويحضر اجتماعاتهم ويوجههم ويحرضهم غلى ان يعودوا بما تعلموه الى وطنهم ليخدموه ويحذرهم من الزواج من امريكيات .

وقصة مارديكيان انه عمل اول قدومه الى اميركا في مطعم منظفا للصحون ثم بجدده وكده اشترى المطعم وحافظ عليه حتى بعد ان كبرت ثروته وهو يفخر بالدلالة على الباب الذي كان يمر منه حاملا الصحف المتسخة الى حيث ينظفها ويعيدها . وهو الآن من كبار الاثرياء ، وحين دخلنا عليه تلبية لدعوته ارانا الصور التي اخذها في سورية وفي مزرعتنا ، ثم دعانا الى العشاء الفاخر علما بان مطعمه يعمل فيه الارمن . وقد عني بالامور الثقافية ورعى الجامعات واهداها مكنتات ضخمة وهو يستقدم في كل سنة طالبا ارمنيا من سورية يعلمه على حسابه وينضم الى الجالية الارمنية الكبيرة هناك .

وقد ذكرتني قصة السيد مارديكيان التي اوردها باختصار شديد بما كان يقوله المرحوم ابو درويش سويد عن العصامين فما منهم واحد الا وهو يفخر ببساطة اصله واعماله السابقة ايام التعب والكدح ، والعصاميون لا يذكرون ما تحقق لهم فيما بعد الا نادرا .

عائلة اميركية

وقد التقينا اثناء هذه الزيارة بعائلة اميركية فيها زوجان وصبي وبنت ، وعندهم سيارتان للأب والام . وكان في نية الاب شراء سيارة لولده لو وفق في امتحاناته وسيارة لابنته، فلما رسب الولد لم يشتر له السيارة ولا اشترها للبنت الناجحة الذكية حتى لا تقوم بينهما حساسية . ورب الاسرة معلم وصديق للعرب لما عرفه عن اولادنا من اخلاق حميدة ويذكر ذلك امام الناس ، ولذلك فكل طالب عربي متميز باخلاقه يعطي الناس انطبعا جميلا عن بلادنا .

مخبز آلي في سان فرانسيسكو ومعامل اخرى

وقد زرنا كذلك مخبزا آليا وراينا فيه عملية تصنيع الخبز واصناف الكعك والحلويات والبسكويت وتتبعناها خطوة خطوة وراينا كيف تفحص كل مرحلة بعناية حتى ياتي الانتاج جيدا ويفلف فور خروجه وذهابه للتوزيع وقد اعطانا مدير المخبز

معلومات وأرقاما مفيدة منها أن مئة باوند من الطحين تعطي مائة وخمسة وستين باوندا من الخبز . وهذا المخبز تابع لاحدى الشركات وليس أحدث ما عندها فهناك مخايز أحدث ، وهو ينتج سبعة أنواع من الخبز عدا المعجنات الاخرى . وقد سجلنا عناوين ربما تنفع أبناء بلدنا عند الحاجة .

كما زرنا معملا للبلاط البلاستيكي خفيف الوزن جيد المواصفات وجميل الالوان ، وتبادلنا مع أصحابه العناوين أملا بالتواصل والعمل في المستقبل .

وزرنا أخيرا أرضا كانت مستنقعا فحولها العلم والعمل الى جنة وارفة الظلال .

ماذا أحدثكم أيضا ؟ عن قصر حاكم سكرمنتو وهو من القصور الفخمة ويشبه ببناء البيت الابيض في واشنطن ؟ أم عن الحي الصيني الذي هو أنظف وأغنى من الحي الصيني في نيويورك وقد سبق ذكره ؟ أم عن تواضع المسؤولين ومقابلتهم للناس في كثير من الاوقات ؟

أم تعالوا نتحدث عن بحيرة ليكتاهو التي تقوم في مناطق جبلية عالية على ٤٠ ميلا من سكرمنتو ، ومساحتها ثلاثة أضعاف بحيرة طبريا ومياهها العذبة محاطة بسلسلة جبال عالية وعليها منتجع سياحي فيه كل البساطة والجمال بين الشجر والماء ، وحفيف الهواء على الماء رقيق تحبه النفس ، وعندما تهدأ الريح وتكف عن تقبيل خد البحيرة تسمع أصوات العصافير الرقيقة الجميلة وهي الطف من أي موسيقا يصنعها الانسان . هنا تذكرت رفيقتي أم راتب وقلت لو كانت معي لبقينا هنا عشرة أيام نخلد فيها للراحة والهدوء ونعود أسعد وأصح ما نكون ! . .

وقبل أن نغادر كاليفورنيا اجتمعنا بأولادنا وأصدقائهم في سهرة وداع عرضت فيها الافلام التذكارية التي أخذناها عن هذه الرحلة البهيجة ، وإذا كانت كلفتنا ٥٢٥ دولارا فانه ثمن بسيط لما أبقنا من الذكريات الجميلة . وهنا طلبنا من أولادنا الذين سيعودون بالسيارة أن يتأكدوا من صلاحيتها ويحسنوا القيادة ، وانصرفنا الى مواطننا .

فقد شاهدنا أشياء كثيرة في هذا البلد تدل على عظمة سكانه ونشاطهم ولكن هذا أكد حينا لوطننا وأبناء شعبنا الذين هم الثروة الحقيقية . ان الانسان الغريب

مهما جمع من مال لا يشعر الا بالغربة ، وهو في وطنه عزيز ومعروف وله احباب يبادلهم المودة والحب .

وقد حمدنا الله سبحانه وتعالى على اتمام هذه الرحلة ، وشكرنا لجميع اولادنا إناسهم وخدمتهم ولا سيما موفق الذي لم نسمع بصحته طويلا بسبب مشاغله ، وتمنيننا مرة اخرى ان تكون ام راتب معنا ، ايها الاحبة كل الشكر والعرفان على مرافقتكم لنا في هذه الرحلة الكبيرة .

وانطلقنا انا وراتب الى كندا ثم الى بريطانيا .

انطباعات عن كندا

ان كندا من الجو تبدو شيئا آخر ، ففيما اميركا متصلة الخضرة والبناء توجد في كندا مساحات شاسعة خالية من البناء . وبينما الاميركيون يتحركون ويعملون في سرعة كبيرة يتمهل الكنديون كأن ليس للوقت عندهم عين القيمة . وكندا تستوعب عشرة اضعاف سكانها الحاليين ، وأبرز صناعاتها الورق الذي يستخرج من غاباتها الكثيفة .

ولم نبق فيها أكثر ، اذ كان مرورنا عبورا وحسب .

الى لندن من جديد

لندن هذه المرة وبريطانيا بأسرها حديثها حديث عمل في الدرجة الاولى . الانطباعات السياحية والانسانية أنفدتها في الحديث عن الرحلة السابقة ، وهي وان كانت موجودة بكثرة الا ان التاخيص الشديد والاقتصار على المفيد يحملني على ترك كثير من التفاصيل .

اول ما لاحظناه أن سرعة اميركا جعلت بريطانيا تبدو بطيئة نسبيا وشديدة الهدوء . مطار لندن اقتضانا ساعتين وربع الساعة ، ومطار نيويورك لم يحتفظ بنا سوى ربع ساعة . ماذا تريدون أبلغ من هذه الدلالة ؟ ومطار لندن كاد الا يكون تغير عن الرحلة السابقة رغم مرور السنوات الطويلة ولكن الدقة والمعاملة الطيبة والكياسة تعوّض عن كثير .

وسارعنا الى مغادرة لندن الى مدينة ليدز لدراسة موضوع معمل الجوخ .
وغادرنا لندن بالقطار ، وتحول الجو في الصباح من صحو الى ماطر فتذكرنا بلادنا وقلة
امطارها ودعونا الله أن يفرج على عباده .

في ليدز كان المستر ونستر في انتظارنا وبعد المجاملات والطعام والراحة بدأ حديثنا
عن شراء معمل الجوخ مع ونستر وشاب فلسطيني الاصل كان يعمل عنده هو السيد
عمر قطران ،الذي كان يقيم مع والده في الخرطوم ثم ذهب الى انكلترا فدرس النسيج
وهناك عمل مع ونستر وتقدم حتى صار له ١٢٪ من اسهم الشركة دفع قسما من ثمنها
ويسدد الباقي بالتدريج من راتبه العالي وحصلته من الارباح . وقد تزوج من فتاة
المانية وهو يسكن في بيت بالاجرة ولكنه اشترى ارضا ليبنى عليها سكنا جميلا .

اعود فأقول اننا كنا ارسلنا عينة من الصوف من دمشق لدراستها فكانت
النتيجة من الدراسة أن صوف بلادنا يجب أن يستبدل بأنواع اجود ، ولما ابدينا
صعوبة ذلك قال ونستر على العكس ، فالاغنام التي صوفها مناسب يجري تكثيرها
والعناية بها وتضاف اليها انواع جديدة والباقي يوجه للاستهلاك . وقال ان العينة
التي ارسلناها صنفت برقم ٤٦ وهو صنف يعطي جوخا خشنا ويجب ان ترتفع
النمرة الى ٥٢ حتى يصبح الجوخ ناعما لان الخيوط الجيدة نمرتها ٦٢ او ٧٢ .

ونصحوا كذلك بمزج الصوف العادي بصوف مستعمل يستخرج من الالبسة
البالية وهو موجود في انكلترا حيث تجمع الشركات الالبسة البالية وتنظفها وتستخرج
منها الصوف فيكون رخيصا ويكلف مثل كلفة الصوف السوري المفسول ، فاذا مزجا
بنسبة متساوية كان لنا نسيج ناعم . وتبين أيضا ان الصوف السوري يعطي بعد
غسله ٥٢٪ من وزنه صوفا صالحا للغزل والنسيج والكيلو غرام منه ينتج يرد جوخ
كلفته نحو ثلاث ليرات سورية (في ذلك الوقت طبعا) وعلى كل حال تكون كلفة اليرد
حوالي خمس ليرات ثلاث منها للصوف غير المفسول وليرتان للتصنيع ويبيع اليرد
بعشر ليرات وهذا من الناحية الاقتصادية جيد .

ولكن ونستر طلب أن يكون شريكا في المعمل وله اسهم لقاء خبرته ، ورفض فكرتنا
عن قيام معملين في سورية ومصر لانه لم يكن يحب التعامل مع مصر لان جوها وماءها

لا يناسبان لتصنيع الصوف . ثم سألنا هل نريد آلات جديدة أم مستعملة ؟ فأجبناه نريدها جديدة ومن أحدث الأنواع فاستغرب قولنا لأن الشرقيين عموماً يطلبون الآلات القديمة المستهلكة لأنها أرخص ولكنه حيد فكرتنا .

وبعد أن توسعت اطراف الحديث حول معمل الجوخ مع ونستر أفهمناه أن طلبانه لا يمكن تحقيقها في بلادنا لان القانون لا يسمح بأسهم تأسيسية مجانية لقاء الخدمات ولا يسمح بعضوية مجلس الادارة الا للمالك نسبة من الاسهم .

وتبين أن كلفة المعمل ستكون في حدود ثلاثة ملايين ليرة سورية ، وتكون نفقات التأسيس كاملة خمسة ملايين وينتج ستة آلاف ثوب جورخ سنويا (٤٠٠ ألف يرد) فاذا كانت كلفة اليرد كما سلف الذكر خمس ليرات وبيع بعشر ليرات فرح المعمل السنوي مليوناً ليرة يذهب مليون منه للاحتياطي وبقية النفقات فيكون الصافي مليوناً ونسبة الربح العامة ٢٠٪ سنويا وهي نسبة ممتازة اضافة الى خدمة الوطن .

وتركناهم على أن يهيئوا لنا دراسة يرسلوها الى دمشق وأن نرسل لهم مئتي كيلو غرام من الصوف لدراسة أدق وأعمق .

وهنا التقينا في أحد المطاعم صدفة بالسيد الدكتور خالد بوظو الاستاذ في الكيمياء وأسرته وعمل راتب على تأمين تسجيل اولاده في أو كسفورد اذ لا يقبلون فيها الا بتوصية .

زيارة آل هورسلي

وقد ذهبنا أثناء هذه الاقامة الجديدة القصيرة لزيارة آل هورسلي الذين سبق الحديث عنهم وعن كرم ضيافتهم وعرفنا أن هورسلي ترك مركز الشريف لشريكه . وقد سرّ هورسلي بفكرة معمل الجوخ وعرض علينا مشاركته كما كان من قبل قد سبق أن عرض علينا اقامة معمل مشترك للحليب والشوكولاته والعصير ولم تنفذ الفكرة لعدم وفرة هذه المواد في بلادنا في ذلك الحين .

ولفت نظرنا أن هورسلي وأسرته ، وكذلك شريكه ، يعنون بأنفسهم وراحتهم وصحتهم ولا يفرطون في العمل ويمارسون الرياضة .

وهنا كانت رحلتنا قد استنفدت اغراضها وانتقلنا بعدها الى البلاد السكندنافية والمانييا في طريق العودة .

انطباعات من النروج والسويد

البلاد غاية في الجمال والاناقة وسهولة التعامل ولكنها غالية الاسعار . وقد قمنا برحلة سياحية فيها رأينا خلاصا قصر الملك والحدائق العامة ومعالم مدينة أوسلو العاصمة . ثم انتقلنا بالطائرة الى السويد وتجولنا في مدينة ستوكهولم في رحلة سياحية وأجمل ما زرناه الحديقة العامة وفيها مصعد كهربائي أوصلنا الى مكان مرتفع شاهدا منا منه معظم اجزاء المدينة ولا سيما البحيرات التي تتوسطها ، وفي الحديقة مقاه ومطاعم ومسارح ومحلات تجارية ذات مظهر تقليدي قديم ولكن لم تعجبنا حرية الشباب والفتيات في التصرف والعناق في كل مكان بما لا يتفق مع تقاليدنا في الشرق .

وقد استأجرنا سيارة تاكسي ليدلنا على معمل بزر كنا أخذنا عنوانه فأوصلنا اليه وهو معمل يصنع البزر والسمن والروائح العطرية والطعوم ، وكل ذلك بصورة آلية ونظيفة حتى يصل الى المستودع المبرد وهو مغلّف وجاهز للتصدير ، وطاقة المعمل من البزر خمسة أطنان يوميا تستخدم في صناعة الحلويات والمعجنات وغيرها .

وقد عرفنا أن هذا المعمل يستورد البزر من اقطار كثيرة وقد بدأنا علاقة تجارية معه لنرسل له البزر اللطو والمر وبزر الدراقن والخوخ اذا استطعنا .

وكان هذا المعمل قد استورد من عندنا بضاعة فأخبرنا ان بعض الاكياس كانت مختلفة المواصفات فاعتذرنا عن ذلك لاننا اعتمدنا في تحضير الكمية على بعض الشركاء وأنزلنا قيمتها من الحساب وكان في ذلك تعديل للموقف وتلافينا الخطأ الواقع .

ومن الجدير بالذكر ان أجور العمال السويديين أعلى من أجور العمال في بريطانيا ومستوى حياتهم أفضل من كل البلاد الاوربية ولا يفوقهم سوى عمال الولايات المتحدة والسويد غنية بالحديد وجودته عالية .

وقد دعانا عميلنا في ستوكهولم الى عشاء في مكان سياحي جميل على بعد عشرين كيلومترا من ستوكهولم وطريقه يمر في الغابات وعلى ضفاف البحيرات ، وفي المطعم ثلاث قاعات في كل منها فرقة موسيقية تعزف للناس . ان القوم هنا يعرفون كيف يعيشون وكيف يربحون من أماكنهم الجميلة عن طريق السياحة التي صارت في ايامنا مرفقا اقتصاديا هاما لا يستهان به .

المانيسا بين زيارتين - ألماني يصف ويلات الحرب

ثم تركنا السويد الى المانيا عن طريق الدانمرك - جواً - ولكن لم نتمكن من زيارة كوبنهاغن عاصمتها اذ كانت تأشيرة الدخول قد انتهت .

ولما وصلنا الى هامبورغ كانت قد تم بناؤها بفضل جهد الشعب الألماني ودأبه وهمته العالية التي لا تعرف الكلال ولا الملل . وحتى ندرك أهمية ما تم أقص عليكم قصة عميلنا الألماني هاينمان الذي يقول أنه يفضل أن يموت على أن يشهد حربا كالحرب العالمية الثانية . وقد قال لسانه لا ينسى ثلاثة ايام عصيبة مرت بها هامبورغ فقد استمر فيها القصف ليلا ونهارا دون انقطاع ، ففي النهار تأتي الطائرات الانكليزية لتلقي حممها المدمرة المحرقة القاتلة من قنابل وصناديق فوسفور محرقة ، وفي الليل تأتي الطائرات الاميركية لتكمل مهمة القتل والحرق والتدمير . وقد قتل في هذه الايام الثلاثة خمسة وثمانون الف نسمة من سكان هامبورغ وهدمت ٢٧٠ الف شقة سكنية .

وقال هاينمان : في اليوم الاول ذهبت الى محلي التجاري فوجدته مطمورا بالتراب المنبعث من آثار القنابل والانفجارات . نظفت المحل وأخذت منه ثلاثة دفاتر رئيسية من دفاتر الحسابات وانصرفت الى منزلي . وفي الليل اشتد القصف فتركت منزلي وذهبت الى الملجأ فبقيت فيه الى الصباح وانا لا اعرف مصير زوجتي وأولادي . ومن الملجأ انطلقت ثانية الى المحل التجاري لاجده حطاما وركاما وقد اكلت النار كل شيء فيه . فانتجعت الى الدار فشاهدتها حطاما هي الاخرى ولم تترك النار منها ومسنا اثنائها ما ينتفع به .

وتابع الرجل والغصة في حلقه والدمعة في عينه : همت في الشوراع على وجهي لأرى أفدح الخسائر وأقسى المآسي . فالرجال والنساء والأطفال الذين ماتوا تكدمت جثثهم على الأرض ، والبيوت والابنية المحطمة دكت دكاً حتى سويت بالأرض ، ومسنا المنازل التي اعتصرت قلبي منظر بعض النساء اللائي احتضن أطفالهن بحرص فداهمهن الموت على هذه الحال فمتن ومات ابناؤهن وبعضهم لا يتجاوز عمره الشهور . هذا الى جانب منظر من شوهدت اجسامهم وجثثهم تشويها خطيرا . وقد بحثت عن أسرتي وسط الموت والدمار والحرائق حتى التقيت بهم بعد بحث دام طيلة ايام المأساة ، وشاهدت

بذلك هامبورغ المقهورة المتداعية كلها وقد نالت منها سياط الموت والدمار اكثر مما تطيق . واخذت أسرتي الى قرية بعيدة عن هامبورغ ، ولكن الحظ العائر جعل القصف الوحشي يلحق بنا الى هذه القرية ففررنا الى قرية صغيرة أبعد عن هامبورغ المدمرة . في هذه القرية تركت أسرتي ومضيت أبحث عن عمل في مدينتي الذبيخة ، ولكن أين العمل وقد أتى الموت والدمار على اكثر ابنية المدينة وسكانها ؟ وقد بقيت أسرتي اكثر من سنة في تلك القرية النائية ، وبلغت خسارتي في أيام القصف داري ومحلي التجاري وخمسة ابنية كنت أملكها . وقد أصيبت زوجتي بمرض عصبي ما يزال يلازمها وقد دخلت الى المستشفى منذ سنتين وبقيت فيه عاما كاملا وكانت تصرخ في البيت بين الفينة والفينة بحرارة : رأسي .. الضرب بدأ .. القصف بدأ .. ثم تفقد وعيها ... ان هاينمان رجل تمرس في التجارة منذ كان صغيرا وعلى يد والده ، وهو يجيد الانكليزية والفرنسية والاسبانية بالاضافة الى لغته الالمانية .

وبعد نهاية الحرب استطاع أن يعوض بعض خسائره وهي دار السكن وبنائين من أبنيته الخمسة المدمرة ، والدولة تنظر في التعويض عليه جزئيا عن خسائره . أحببت أن أورد ذكرياته السوداء المرعبة والحزينة لكي يتعظ الناس ولا سيما قادة الحرب المستعمرون ويعودوا الى رشدهم ليكفوا عن شرورهم ويحطموا أسلحة الفتك والدمار ويحولوها الى أدوات بناء ورخاء . ولكن هيهات أن يتعظوا ...

ألمانيا والنمسا ويوغسلافيا من الجو

وكان علينا بعد ذلك أن نذرع أوروبا عن طريق الجو في طريق العودة . فألمانيا خضراء يانعة وبنائها يكاد يكون متصلا ، وكذلك النمسا ، أما يوغوسلافيا ففيها أراض جرداء كثيرة تتخللها تجمعات بناء ومواقع خضراء .

حتى اذا وصلنا الى تركيا اصطدمنا بالمعاملة الخشنة منذ المطار واحتجزوا احدى حقائبنا ولم يسلموها الا عند المفادرة ، فمتى ستيقظ شرقنا يأخذ بالاساليب الحسنة والناجعة السريعة وهي اكثر فائدة من التشديد الذي يأخذ الجميع دون جدوى ملحوظة ، ويحدث الاستياء العام في سبيل تفادي بعض الاخطاء الخاصة .

الرحلة الثالثة الى الخليج العربي عام ١٩٧٢

كانت هذه الرحلة قد تمت بتكليف من الحكومة السورية وهي مخصصة للوفد التجاري العربي السوري الذي كان لي شرف رئاسته ومن أعضائه السادة محمد شفيق سكر رئيس غرفة صناعة دمشق وقاسم نور الدين رئيس غرفة تجارة حلب وعبدة العزيز فنصه رئيس غرفة صناعة حلب وعبدة الرحمن العطار عضو غرفة تجارة دمشق ورشاد الشلاح ممثلاً للقطاع الخاص وعبدة الحميد شحاده وأحمد شحاده عضوي غرفة صناعة حلب وتيسير الحفار عضو غرفة صناعة دمشق .

غادر الوفد دمشق يوم ١٥/٤/١٩٧٢ على الطائرة السورية الى الكويت محطتنا الاولى ، على أن تتلوها زيارة البحرين وأبو ظبي ودبي ، والغاية شرح وجهة النظر السورية في العلاقات التجارية مع دول الخليج العربي لاهميته البالغة ولتذليل الصعوبات القائمة ، فكان علينا أن نوضح وأن نستمع الى ملاحظات اخوتنا العرب على ما يلقونه من صعوبات في بعض الاحيان في تجارتهم وفي زياراتهم وفي استثمار أموالهم . وكان التوجيه الذي زودتنا به الحكومة أن نطمئن الجميع على توفير أفضل المعاملة مستقبلاً فبلادنا مفتوحة الذراعين للعرب تجاراً ومستثمرين وزواراً ومصطافين .

وكان الاخوة الكويتيون قد أحاطونا بحفاوة بالغة منذ دخلنا المطار وزرنا مقرهم وتبادلنا لوائح بأسماء التجار والاصناف التي يتعاملون بها أو يمكن أن يتعاملوا ، اذ كانت جولتنا زيادة استطلاعية . وقد عرفنا أن عدد السوريين في الكويت يزيد على اربعين الفا وكثير منهم تجار ناجحون حتى أن مدير غرفة التجارة الكويتية سوري هو السيد هيثم الملوحي ونائبه السيد ماجد جمال الدين سوري أيضاً .

أما صادراتنا الى الكويت فكانت في ذلك الوقت تتراوح بين ١٤ - ٢٢ مليون ليرة سورية وسبب هذا الفارق قيمة الاغنام التي تتأثر بالجفاف في قطرنا . وهذا الرقم يمكن ان يزيد اذا كانت منتجاتنا لا تزيد اثمانها على اثمان مثيلاتها في الدول الاخرى . فنحن في في النسج مثلاً نستورد الخيوط من الصين واليابان ونصنعها ثم نعيد تصديرها فتأتي المنسوجات الصينية واليابانية أرخص ، ولا سيما وان استيراد الخيوط يتم عن طريق مؤسسة (سيمكس) مما يزيد كلفتها بنحو ٤٠٪ عدا عن الروتين وأثره .

وكذلك المأكولات المعلبة السورية فهي تصدر عن طريق القطاع العام الذي لم يكن يعطي اهتماما خاصا لاسواق الخليج لقلة الإنتاج اولا وانقص المرونة في التعامل التي تتطلبها الاعمال التجارية . والعامل الاخير هو جودة الاصناف من حيث التحضير والتصنيف والتغليف وهذه يقصر القطاع الخاص بها . وقد ذكر لنا أعضاء جمعية الشامية التعاونية الاستهلاكية أنهم طلبوا مساطر تكرارا وأعادوا الكتابة ووسطوا غرفة الصناعة ولكنهم لم يتلقوا من سورية أي جواب وتنطبق هذه الشكوى على المنظفات في الدرجة الاولى . وأخيرا فالفواكه السورية تلقى مزاحمة من المنتجات اللبنانية التي تفوقها في الجودة ووفرة الكميات وحسن التحضير والتغليف ورخص الاسعار .

عوامل احجام الكويتيين عن ادخال أموالهم الى سورية

وذكر لنا الاخوة الكويتيون نماذج عن السلبيات التي لا تجعلهم يطمئنون الى ادخال أموالهم الى سورية فمن ذلك ممارسات بعض المشرفين على قانون الاصلاح الزراعي في تصرفهم مع المرحوم عبد الله العثمان الذي اشترى أرضا من الاوقاف لانشاء مزرعة فنية حديثة في سورية ، ثم قصة جامع العثمان المعروف بجامع الكويتي في دمشق وسمي وزارة الاوقاف السورية للحجز على أموال السيد العثمان بعد وفاته لانتماء بناء الجامع وذكروا لنا قصة كويتي ثالث هو السيد يوسف الفليح الذي اشترى أسهما من بعض الشركات السورية فلما أممت لم تصله حقوقه . وقد رد الوفد بأن الحركة التصحيحية وعدت بالفناء هذه الممارسات بعد أن أدرك بلدنا ضرورة الانفتاح على العالم العربي لتحقيق التعاون الاقتصادي المثمر بين جميع الاقطار .

وبحثت قضية الاصطياف لان الكويتيين يحبون المصايف السورية ولذلك يأملون في معاملة حسنة والحد من بعض التصرفات وقالوا أن بعض المصطافين حين حضروا لم يجدوا أماكن في الزبداني فاضطروا لاستئجار بيوت في قرى الغوطة مثل عربين وحريستا .

ايضاحات وفدنا

وقد رد أعضاء وفدنا بايضاح ما اتخذته الحركة التصحيحية من تدابير وفوايين لتنشيط الحياة الاقتصادية ومن ذلك المناطق الحرة في أماكن عديدة في المرافئ والحدود ولتسهيل عمليات الترانزيت . وقد أقيمت على شرف الوفد حفلات عديدة غاية في الكرم .

في البحرين

وجرى للوفد بعد ذلك استقبال حار في البحرين . ففي لقاء مع الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة شرحنا ما عندنا من جديد في مجال الانفتاح كما طلبنا السماح للطائرات السورية بالهبوط في مطار البحرين وتقديم بهذا الطلب باسم الوفد السيد عبد الرحمن العطار فتم الوعد ببحث ذلك واعطاء التعليمات وتمت ازالة الظن الذي علق بذهن بعض المسؤولين عن مهمة الوفد وأوضحنا انها مهمة تجارية بحتة ولم تأت لطلب قروض كما قيل .

ويسرني أن انوه هنا بنشاط شعب البحرين في العمل والانتاج على قلة عدده ، وهو شعب متقدم علميا ويقود أبناؤه نهضته بأنفسهم في أغلب المجالات . وقد زرنا معمل المنيوم أنشئ حديثا في البحرين بمساهمة من شركات عالمية ، وتملك البحرين ١٦٪ من أسهمه . والمعمل يصهر مادة الألمنيوم الخام وقد اختيرت البحرين لوفرة الغاز الطبيعي ورخص اليد العاملة وموقع البحرين الممتاز بين الشرق والغرب ويعمل في المعمل الفاعمل ليس بينهم الا قليل من الاجانب الخبراء ، وطاقة المعمل مائة وعشرون ألف طن سنويا ويسعون الى جعله ٤٠٠ ألفا .

وزرنا معملا لحفظ الاسماك وآخر للبلاستيك وورشنة لاصلاح السفن ومطاحن الحبوب ومحطة للاقمار الصناعية .

أبو ظبي

وبعد البحرين انتقل الوفد الى أبو ظبي حيث لقي حفاوة بالغة ، وشرح الوفد مهماته للمشرفين على الحياة الاقتصادية والتجارية . وقد دعانا مدير الغرفة

التجارية الى الفداء في منطقة جميلة تدعى (العين) وهي تبعد عن العاصمة ١١٠ كيلومترات تقريبا والطريق اليها منظم وحوله مشاريع تحريج أقيمت على أرض واسعة وتسقى بالانابيب وشاهدنا أبنية كثيرة لتوطين البدو فتوزع البيوت عليهم مجانا وتعطى الاسرة عندما تستلم البيت ألف دينار لتشتري الاثاث المناسب .

وخلال جولتنا في أسواق العاصمة (أبو ظبي) لاحظنا نهضة عمرانية كبيرة فالاسواق منظمة والمدينة مخططة تخطيطا جميلا والابنية الحديثة تنشا بأعداد كبيرة والاجور مرتفعة . ولاحظنا كثرة اللبنانيين الذين يقومون بأعمال مختلفة لا سيما الفندقية .

وتعتمد أبو ظبي على دبي في استيراد ما يحتاجونه من السلع لذلك فمعظم التجار لاحظنا أنهم يعملون في تجارة الفرق وليس بينهم تجار جملة ، ويستوردون الفاكهة والخضار من لبنان وباكستان كما تنتج منطقة العين كمية من الخضار . والشركات القائمة في أبو ظبي مركزها غالبا في دبي .

وكان ممن اطلعنا على أعمالهم السوري السيد عمر فاروق باقي الذي أنشأ مزرعة في أبو ظبي لاستصلاح الاراضي بدأها بيوت بلاستيكية تسقى الزروع فيها بالتنقيط وفيها بيت للاشغال كما وضع طبقة من الرمل على عمق ثلاثين سنتمرا وفوق قماش بلاستيكي ثم التراب والمواد الاخرى مما شكل تربة اصطناعية فاستطاع أن ينبت بندورة تحمل عشرة كيلو غرامات وكذلك الفليفلة والخيار وغيرهما .

وهناك سوري آخر هو السيد خالد الملا الذي يعمل في صندوق ابو ظبي للتنمية الاقتصادية العربية ورأسماله خمسون مليون دولار لتشجيع المشاريع الانمائية في الوطن العربي .

العلاقات الاقتصادية

وتكاد العلاقات التجارية تكون معدومة بين سورية وامارة أبو ظبي التي تعتمد على تجار دبي فيما تحتاج اليه ولكن من الممكن أن تزداد صادراتنا الى دول الخليج حتى يكون سوقا لمنتجاننا اذا بذلت حكوماتنا جهدا وأبرمت اتفاقا جديا يسمح بموجبه للطائرات السورية بالهبوط في مطارات الخليج وهذا يشجع التنقل والتصدير لا سيما بعد أن يتم الطريق البري بين قطر وأبو ظبي . ولكن هذا يتطلب تخفيف القيود والتعقيدات

التي يلاقيها الخليجيون على الحدود السورية وحتى بعد تجاوزهم نقاط الحدود وعلى الطرق الداخلية . وقد قمنا بتطمين من لاقيناهم الى أن تدابير جديدة اتخذت في هذه الاتجاهات للقضاء على الشكاوى .

ففي دبي

وقد استقبل وفدنا استقبالا حافلا في دبي من قبل الاسرة التجارية والجالية السورية وأقيمت في فندق كارلتون حفلة كبيرة على شرف الوفد وألقى السيد قاسم نور الدين رئيس غرفة تجارة حلب كلمة فيها حول التدابير الانفتاحية السورية واعقب السيد شفيق سكر بما يفيد أن الحكومة السورية منحت أكثر من ألفي رخصة لاستيراد الآلات الصناعية وأعفت المناطق الحرة من كافة الضرائب والرسوم ، وأخيرا تحدث السيد عبد الرحمن العطار عن اهتمام الحكومة السورية بالقطاع السياحي وبناء الفنادق معفاة من الرسوم .

هذا وقد تحدث تجار دبي عن الصعوبات التي يلاقونها عندما يستوردون من سورية كما تساءل بعضهم عن مصير أسهم الشركات المؤممة . وقد تم رفع تقرير الى الحكومة السورية عما تم لاتخاذ ما يقتضي من التدابير الملائمة .

* * *

الرحلة الرابعة الى الاتحاد السوفيتي ١٩٧٥

في هذه الرحلة سأورد باختصار ما شاهدته في الاتحاد السوفيتي بالاعتماد على مذكراتي تاركا بعض التفاصيل التي جاءت أحداث عام ١٩٩٠ فتركت آثارا فيها نغلب الصورة تماما .

وفي الاصل كانت هذه الرحلة قصيرة نسبيا ، وقد رافقتني فيها أم راتب ، وكان القصد منها تقوية الروابط الاقتصادية مع بلاد السوفيت .

كانت الانطلاقة من بيروت في ٣١/٥/١٩٧٥ ، وبعد أربع ساعات وصلنا الى كيف ومنها الى موسكو لنجد في انتظارنا موظفي الغرفة التجارية وبعض الرسميين . وقد عقدنا عدة اجتماعات واستمعنا الى عدة محاضرات عن إحياء الاراضي الموات وعن التجارة السوفياتية مع العالي العربي .

ثم زرنا مدينتي طاشقند وسمرقند بعد موسكو . وقد كانت المدة محدودة ولم نستطع زيارة ليننغراد لعدم وجود أماكن في فنادقها .

وكان اول ما لفت نظرنا ان المرأة تعمل الى جانب الرجل على نطاق واسع وان الزواج سهل وميسور عند القوم لا يحتاج الى حفلات ونفقات ولا مقدم ولا مؤخر ولا البسة كثيرة وتقام مراسمه حسب دين أصحاب العلاقة او في حفلة رسمية بسيطة وقد تتم بعد ذلك حفلة في مطعم بسيط بحضور الاقربين والاصدقاء وبذلك يتجنبون التكاليف الباهظة التي نتحملها نحن من اجل الزواج .

والحياة بسيطة ولا مبالغت في الانفاق ، ولاحظنا أن الخضار والفاكهة غير موجودة في معظم الاوقات ولكن السكن مؤمن للجميع بأجر بسيط وبمعدل ١٣ مترا مربعا للفرد وقد تنزل المساحة أحيانا الى ٨ أمتار للفرد ، وأجرة السكن لا تستغرق سوى جزء يسير من دخل الفرد وأقصاها سبعة بالمئة من دخله . والرواتب والاجور قليلة ولكنها تتناسب مع ما يدفعه المرء من مصروف لأن الكثير من المرافق والخدمات مجانية كالصحات ودور الحضانة ودور العجزة ، وترى الوجوه واجمة وقد فارقت الابتسامة أكثرها لأن العمل يجري بجد ووثيرة عالية .

قبر لينين والكرملين في موسكو

في موسكو قصور الكرملين الفخمة الفاخرة وعدد كبير من الكنائس ذات الطراز الخاص وتتميز بقبابها المتعددة ومعظمها مطلي بالذهب وخاصة قبة الكرملين التي هي مقر اجتماعات مجلس السوفييت الاعلى ومنظرها تحت الشمس غاية في الجمال . وقطار الأنفاق في موسكو أجمل ما في العالم وهو مفخرة حضارية من حيث النظام وهو يفضل كثيرا مثليه في لندن وباريس أو حتى في نيويورك والنزول والصعود اليه بأدراج متحركة .

أما قبر لينين فلا تنقطع الزيارة اليه وهناك دائما حبل من البشر يبلغ طوله ألفي متر يسرون ببطء وهدوء حتى ينزلوا الى البناء على الدرج وبين حرس جامد بملابس رسمية ولا يتوقف الناس عن المرور ومشاهدة وجه لينين ويديه اذ هو مسجى بملابسه محنطا ثم يستمر سيل البشر في الصعود حتى يمروا أمام حائط الكرملين حيث سجي كبار القادة السوفييتيين ، وقد استغرقت الزيارة نحو ساعتين ونصف الساعة ولا تتوقف الا يومي الاثنين والجمعة حيث تتم العناية بالضريح ويتأكدون من سلامة التحنيط .

السيرك

ثم شاهدنا السيرك بما فيه من رقص والالعاب بلهوانية وحركات قامت بها الحيوانات المدربة على أنغام موسيقى خاصة وكانت الالعاب جميلة وتسرع المشاهدين الذين يملؤون المكان على اتساعه .

الاجتماعات

وقد تمت بيننا وبين المشرفين على الامور التجارية لقاءات كثيرة واستمعنا الى محاضرة من رئيس غرفة موسكو التجارية (يوريشوف) وتقرير (بابديف) رئيس أكاديمية العلوم في تركستان عن احياء الاراضي الصحراوية وتحويلها الى مروية ، وأحاديث أخرى .

زيارة جمهورية اوزبكستان

ثم سافر بنا مضيفونا الى جمهورية اوزبكستان التي لها في نفوس العرب والمسلمين مكانة خاصة بسبب الروابط التاريخية والدينية . وقد هبطت طائرتنا في طاشقند

وقدمنا عقارب ساعاتنا ثلاث ساعات لاختلاف التوقيت بين طاشقند وموسكو .
ان سكان طاشقند مليون وستمائة ألف والجمهورية كلها فيها ستة عشر مليوناً ، وقد
حصل في العاصمة زلزال عام ١٩٦٧ هدم أكثر من نصف أبنيتها فتعاونت الجمهوريات
على إعادة بنائها ووضعت لها مخططات جديدة .

وقد حدثونا عن مشاريع الاستصلاح وري الأراضي واحياء الارض الموات وكان
ثلثها قد تم تنفيذه وبقي الثلث الثالث قيد التنفيذ ، وهدف المشروع زيادة انتاج
القطن حيث هنا اكثر انتاجه ويمثل سبعين بالمائة من الانتاج السوفييتي العام في
القطن . ومما يذكر أن الصحارى تغطي ٣٠ مليون هكتار من الأراضي السوفييتية
وسوف تروى أقسام منها من نهري سيحون وجيحون . وعندما سمعنا باسم هذين
النهرين ثارت ذكريات تاريخية قديمة وعزيرة عن اولئك الابطال الذين خرجوا من
جزيرتنا العربية مزودين بالقوى ورسالة السماء والاسلام واقاموا على تلك الارض
حضارة مزدهرة لا تزال شواهدا قائمة في القباب والمساجد والمدارس والقصور
وقبور الشهداء والعلماء والصلحين .

ثم زرنا وزير الزراعة وأقام على شرف الوفد مائدة عليها الكثير من فواكه تشبه
فاكهة الشام مثل الكرز والشمش . ومن بعد ذلك انطلقنا لزيارة بعض الأراضي
المستصلحة وسرنا فيها نحو سبعين كيلو مترا وشاهدنا المياه تجر اليها من سواقي
جهازه تحضر في المعامل وتركب على الارض ، وشاهدنا الآلات الزراعية منتشرة ،
ورائنا ما استصلح منذ سنوات ويهيج القلب بأشجاره .

ولدى الحديث مع رئيس الجمعية عن ٣٥ الف فلاح يعملون في المشروع تبين أنهم
جاؤوا من المناطق الجبلية المتاخمة . وقد زرنا أحد البيوت فوجدناه مستوفيا الشروط
الصحية ولكن هناك بعض النواقص الملحوظة .

مدينتنا بخارى وسمرقند

ومن طاشقند امتطينا طائرة الى بخارى واستقبلنا فيها بحفاوة وزرنا المواقع العابقة
بشذى التاريخ والعقيدة وزرنا مدرسة للغة العربية والقرآن والحديث والعلوم الشرعية
ثم زرنا قصر الحاكم الذي كان اسمه أعظم خان وقد هرب الى الباكستان حتى توفي .

ثم سافرنا بالطائرة من جديد الى سمرقند وتجولنا فيها وراينا الآثار الإسلامية ومنها مرصد فلكي بناه تيمورلنك ثم هدم من قبل أحد الحكام من بعده ، وعددا من المدارس الاثرية .

عــاب

وفي اثناء الرحلة عاتبتنا موظفة الآثار المرافقة لنا فقالت : كنتم فيما مضى فتحتم هذه البلاد قادمين على ظهور الإبل والخيول ومتحملين المشقات ، وخضتم الانهار العريضة ، فتوطدت صلاتكم بأجدادنا . فلماذا وأنتم في عصر المواصلات الحديثة السهلة التي توصلكم الى بلادنا في بضع ساعات تضنون على أنفسكم وعلينا بالزيارة ؟ وقد شعرنا بصدق حديثها وبمرارة من يعترف بالتقصير .

ومن بعد ذلك ختمنا الزيارة بدخولنا الى مسجد سمرقند الكبير الذي هدمته الزلازل . وكان تيمورلنك هو الذي بناه مستفيدا ممن جاء بهم معه من غزواته المدمرة في الشرق من عمال وفنيين فأنشأوه تحفة فنية نادرة المثال . وقد غاب اثناء بنائه فعهد الى زوجته باكماله وهذه كلفت أحد المهندسين وباعت من أجل اكماله كل ما كان لديها من نفائس ، ولكن المهندس الذي فتن بجمالها حاول أن ينال أي شيء منها يشفي غليله وحبه ، فاضطرت من أجل ذلك أن تسمح له بأن يراها ويقبل يدها . ولما رجع تيمورلنك أخبرته بالقصة فبحث عن المهندس ولكنه لم يجده لانه فر . . .

وظلت هذه القصة الاسطورية يتداولها الناس . هذا والمسجد يبلغ ارتفاعه خمسة وستون مترا وطول مدخله خمسة وستون مترا ايضا ، وقد بني على مدفن القثم بن العباس وهو الصحابي الذي استشهد في هذه البلاد ويقال أن رأسه قطعت فحملها بين ذراعية حتى بلغ مكان المسجد فسقط ، وبني المسجد تخليدا لذكراه . وعندنا نسمع أن اولاد العباس ابعده الناس قبورا فان قثم ضريحه في سمرقند وأخاه عبد الله دفن في الطائف ولهما أخ ثالث دفن في المغرب .

الرحلة الخامسة الى الشرق الاقصى ١٩٧٦

كوريا الجنوبية - اليابان - هونغ كونغ - تايلاند

كانت هذه الرحلة قد جرت بدعوة من حكومة كوريا الجنوبية وغرفة تجارة سيئول وهما شديداً الاهتمام بتطوير العلاقات التجارية مع العالم . وقد رافقني فيها ابني البار الحبيب الدكتور راتب الذي يبدي أشد الحرص على راحتي بالاضافة الى شخصيته الجذابة واتقانه اللغتين الانكليزية والفرنسية . كما رافقتني بهام راتب زوجتي العزيزة لان وجودها معي يجعلني اعيش بسعادة واطمئنان لحرصها هي الاخرى على ما يسرني ويريحني . وسبق ان ذكرت في رحلتي لاميركا كم ندمت اثناء الرحلة لانها لم تكن معي .

اقلعت طائرتنا بنا من دمشق مساء ٢٤/١٠/١٩٧٦ الى طهران محطة اولى ، ثم الى بومباي في الهند فبانكوك عاصمة تايلاند ، وحططنا الرحال في هونغ كونغ لننام ليلتنا الاولى . وفي صباح اليوم التالي كنا في سيئول عاصمة كوريا الجنوبية حيث استقبلنا رئيس غرفة التجارة وبعض أعضاء غرفته بترحاب شديد .

امضينا في سيئول عدة ايام قابلنا خلالها وزير التجارة ورئيس مجلس الوزراء وزرنا عددا من المعامل الحديثة وأجرينا محادثات مع رئيس وأعضاء غرفة التجارة وتعرفنا عن كسب الى نهضة تلك البلاد التي صارت في مصاف الدول الصناعية الحديثة بعد اقتصاد زراعي .

في زيارتنا الاولى الى غرفة التجارة قدم لي رئيس الغرفة عدة هدايا منها (برواعة) مشغولة باليد وعد بارسالها الى دمشق حتى لا ننزعج بحملها ، كما قدم لي رمزا لتاج قديم كان يستعمله أحد الملوك ، وأعطى نسخة اخرى للدكتور راتب ، وقطعة قماش حريرية الى أم راتب ، اضافة الى لوحيتين تذكاريتين . وبالمقابل قدمنا له علبه موزاييك جميلة معبأة بفواكه الشام المجففة وربطة من القمر الدين ، وقدم له ولدنا راتب هديتين تذكاريتين حمالة مفاتيح فضية عليها صورة فؤاد الاول وسبحة يسر انيقة جدا .

ان وجود ولدي الدكتور راتب معي عنوان سعادتي في هذه الرحلة وغيرها . اثني

عليه وأرضى عليه من كل قلبي وعلى اخوته وأبناء عمه والشكر لله لما انعمه علينا من توفيق في تربية اولادنا . وكنت أتمنى دائما لو أستطيع أن أعود الى الحياة بعد الوفاة ولو للحظات لاشاهد بعيني المكانة الرفيعة التي يحتلونها جميعا في مستقبل الايام وهي أمنية كنت أتمنى لو تحققت لوالدي ليرانا في مواقعنا الحاضرة .

وفي غمرة الحديث قال رئيس الغرفة للدكتور راتب أن والدك ليس رئيسا لغرفة تجارة فحسب ولكنه رجل عظيم وسياسي لامع . . . ثم عرفنا منه أن أعضاء الغرفة سبعون ينتخب خمسة وثلاثون منهم والباقون يمثلون جمعية التجار ، وان مورد الغرفة يؤخذ من التجار بنسبة ٦٪ مما يدفعه كل منهم كضريبة دخل .

وقد اقاموا لنا حفلة عشاء فاخرة في نفس فندقنا الكبير حتى لا نبتعد عن أم راتب . وقد حضر العشاء نائب وزير الخارجية ورئيس الغرفة التجارية السابق الذي شغل على التوالي منصب نائب رئيس وزراء ثم صار وزيرا للاقتصاد وهو الآن مدير شركة كورية كبرى . وحضر الحفلة جمع غفير من أعضاء الغرفة والتجار .

في اليوم التالي زرنا معرضا كبيرا للصناعات الكورية وهو مقام على أرض مساحتها اربعة آلاف دونم تقدمها الحكومة بأسعار رخيصة مع خدمات الهاتف والتلكس والبريد وملاعب العمال ووسائل انتقالهم . ويقوم هذا المعرض على فكرة التصدير فلا يسمح للمنتجين بأن يدخلوا منتوجاتهم الكورية الى الارض الكورية نفسها الا بعد أن يصدروا سبعين في المئة منها ومن لا يستطيع ذلك يجبر على بيع انتاجه بأقل من سعر الكلفة . وبذلك ارتفعت الصادرات في عام ١٩٧٥ الى ٦٠٠ مليون دولار .

ملاحظات عامة

ولا بأس هنا من أن نقول بين معترضتين أن الطرقات جديدة وجيدة ومنسقة ومحددة الاتجاهات ونظيفة ولا يشاهد فيها أي عقب سيكارة أو ورقة ملقاة على الارض في أي حي كبير أو صغير . والعامل الكوري نشيط يهيمه اتقان عمله فهو منصرف اليه ولا ينصرف عنه مهما تكن الظروف .

والسيد سيونغ بانغ يارك مدير شركة (كوم هو) المختصة بصناعة الاطارات رجل متميز وقد تعامل معه الدكتور راتب بشراء كمية كبيرة من اطاراته .

وقد استقبلنا نائب وزير الخارجية في بناء فخم قديم كان من القصور التقليدية، والاستقبال رسمي تقدمتنا فيه سيارة تصور وقائع الزيارة ، ثم دار الحديث وأغرقني نائب الوزير بالاطراء فشكرنا له على حسن ظنه .

ثم استقبلنا مدير مكتب التخطيط وأرانا شريط عن النهضة الكورية بين ١٩٦١ - ١٩٦٧ وهي نتيجة خطة مرسومة ومقنعة .

وفي أحد الفنادق السياحية الضخمة جدا والكائن وسط غابة خضراء أدخلونا الى غرفة واسعة جلسنا فيها لمشاهدة عروض من الرقص الكوري والشرقي والعربي وكنا اثني عشر رجلا من كبار الصناعيين مع زوجاتهم وأنا وأم راتب وراتب ، وحتى يونسونا أحضروا فتاة تدرس اللغة العربية جلست تؤنس زوجتي .

وقد اتضح لنا أن التجار في كوريا الجنوبية على جانب عظيم من المقدرة والذوق والتفهم ، وأن أعضاء غرفة التجارة لا ينالون أي تعويض سوى واحد متفرغ ، وموازنة جمعية التجار تبلغ خمسة وعشرين مليون دولار . وأكثر أعضاء جمعية التجار كانوا شغلوا مناصب عالية في الإدارة ابتداء من رئيس الوزارة والوزير الى ضابط في الجيش، ولذلك فخيرتهم في الاقتصاد والسياسة والشؤون العسكرية كاملة وهم القادرون على توجيه دفعة السياسة في البلاد . وللجمعية مصرف خاص بها وصحيفة ولها فندق سياحي ممتاز وعندها مكتبة للمطالعة التجارية وكمبيوتر للاحصاءات وقالوا لنا إن حجم التعامل مع سورية بلغ ٦٠٠ مليون دولار سنويا والتعامل مع السعودية يقارب ألفي مليون دولار .

وقد أبلغني رئيس الجمعية تقدير رئيس جمهورية كوريا الجنوبية لشخصي خلال اجتماعه الدوري به وقال لهم يجب تكريمي وحسن استقبالي وضيافتي . وهذا من بعد نظرهم في الأمور التجارية التي هي المحور في النهضة العامة في أي بلد . ومن المفيد هنا أن أذكر أن المبادئ الثلاثة التي يقوم عليها عمل كوريا الجنوبية هي :

التنمية - العدالة - الجدارة

وهذه المبادئ بتطبيقها جعلت صادرات كوريا تبلغ هذا العام ثمانية مليارات دولار في حين لا يتجاوز سكانها ٣٤ مليوناً .

زيارة شركة (كيا) لصناعة السيارات وشركة الخيوط

وقد دعينا لزيارة هاتين الشركتين . ففي شركة الخيوط بدأت الاعمال برأسمال عشرين مليون دولار والمصنع ينتج الآن ما زنته ٥٢ طن من البوليستر و ١٠٠ طن من خيوط الفيبير وخمسة أطنان ونصف من خيوط الاستيت وأضيف منذ ١٩٧٦ خط جديد لانتاج الفلتر أي مصافي التبغ فبلغ ١٤ طنا في العام وحصلت على وفر قدره عشرة ملايين دولار . . يبلغ عدد العمال في المصنع ٢٩٥٠ يعملون في ثلاث ورديات في كل منها الف تقريبا ويسكن العمال قريبا من المصنع اما في ملك العمال أو في منازل بنتها الشركة وتقدمها بأجر زهيد وكل البيوت حديثة ومستوفية شروط الصحة . ولما دخلنا المعمل راعنا الهدوء فكأنه يوم عطلة ولكن العمال كانوا يعملون في صمت وتهذيب كاملين ، ويبدو أن تلك طبيعة الكوري بشكل عام .

وما شاهدناه في معمل الخيوط شاهدناه في معمل كيا للسيارات ومعامل سام يونغ للاطارات وفهمنا أن هناك مصنعين لتجميع السيارات الأميركية من طراز فورد وشفروليه . وشاهدنا في مصنع كيا قسما ينتج الفونت لتصنيع المحركات . وينتج المصنع أربعة أنواع من السيارات ولكن لا يسمح بتصديرها الا اذا بلغت مستوى الجودة العالمي والمزايا الاقتصادية كما في احسن السيارات المصدرة من الدول الصناعية الكبرى .

اتفاق اقتصادي

وقد عقدت مع غرفة التجارة اتفاق تعاون اقتصادي عرضوه علينا ويتضمن المبادلات مع الشركات الكورية المصدرة المختلفة لسورية وعلى سبيل الترانزيت لبلاد غير سورية بالاضافة الى زيادة مشترياتنا من الاطارات .

وعرفت أن دخل الغرفة في حدود مليونين ونصف مليون دولار وعدد موظفيها الفان ودوامهم من التاسعة صباحا حتى السادسة مساء مع ساعة راحة ظهرا . ولذي الغرفة أملاك لمقرها وستجددها ، ومن الملاحظ أن أكثر رؤساء الغرفة من المتقدمين في السن الذين كانت لهم مراكز أخرى كما سبق الذكر .

مفتربون في كوريا

والتقينا في كوريا مع عدد من المفتربين منهم السيدان احسان وغسان البيطار ولدا السيد جودة البيطار وهما يعملان في كوريا منذ سنوات خمس وجنسيتهما اردنية . ولكن اصلهما من دمشق فأبوهما من باب السريجة وكان يعمل في تجارة الاقمشة في سوق مدحت باشا ثم نرح الى عمان وأولاده الخمسة يعملون في أرجاء العالم . وقد قبلنا دعوتهما لتناول غداء دمشقي وذهبنا ونعمنا بهذه الصحبة الجميلة وبروح الجد والمثابرة لدى هؤلاء السوريين .

مسجد في سيئول

وقد رأينا كيف أقام المسلمون في سيئول مسجدا في احدى الروابي المطلة على المدينة وله مئذنتان جميلتان وقبة كبيرة وفيه مكتبة تضم نفائس الكتب الدينية والعربية وفيه سدة للنساء . اجتمعنا بإمام المسجد الذي قال أنه اعتنق الإسلام في ١٩٥٤ وادى فريضة الحج فعرفنا أن عدد المسلمين ستة آلاف . وحكومة لبيبا هي التي تؤمن نفقات المسجد وهي مائتا دولار في كل شهر ، وكان معي خمسون دولارا فقدمتها للامام فقبلها بعد الحاحي الشديد . وهكذا ما يزال الإسلام الحنيف يقرع أبواب بلدان جديدة ويدخل اليها وتنداح وتتسع دعوة الله لتصل الى أقاصي أرض الله ويرتفع نداء الحق أن : الله أكبر .

انفاق المال على التنمية

واني بهذه المناسبة أفهم قوله تعالى (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) بأنه لا يقتصر على اعطاء الفقراء وانما يشمل أيضا المشاريع الاقتصادية الصناعية والزراعية والتجارية التي تعود على الفرد والامة بالخير والرفاهية ، فالمشاريع الاقتصادية تكاد تمثل الصدقة الجارية التي تفيد المرء بعد انتقاله الى الدار الآخرة فابن آدم اذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث احداها صدقة جارية . . .

في وزارة التجارة الكورية ورئاسة مجلس الوزراء

ثم زرنا بصحبة رئيس الغرفة التجارية ونائبه وزارة التجارة فاستقبلنا كبار الموظفين عند الباب الخارجي ومعاون الوزير عند باب المصعد ، وجرت أحاديث عن النهضة الكورية والعلاقات مع سورية ودامت نحو نصف ساعة .

ثم ذهبنا فقابلنا رئيس مجلس الوزراء في مبنى يضم أيضا وزارة الخارجية وكان الاستقبال حافلا ومن مدخل خاص بكبار الزوار وانتقلنا خلال أربع غرف متعاقبة حتى وصلنا الى قاعة الرئيس وهي بهو واسع طوله عشرون مترا وعرضه عشرة . وقد استقبلنا بترحاب أنا وابني الدكتور راتب الذي تولى الترجمة وإدارة الحديث بلباقة وأسلوب مرح وكان هناك سكرتيران يدونان الحديث ومصور تلفزيوني ومصور عادي . ودار الحديث حول انطباعاتنا عن الزيارة وقد أكدنا من جانبنا على الإعجاب بشعبنا واستطاع بعد احتلال طويل أن ينهض ويتقدم ويحافظ في نفس الوقت على أصالته وتقاليده ، كما تحدثنا عن بلادنا ونهضتها التي يقودها الرئيس حافظ الأسد ورئيس وزرائه الشريط اللواء عبد الرحمن خليفاتي . وقال رئيس الوزارة الكورية أن على رجال الاقتصاد والأعمال تفسيح مسؤولية تنمية العلاقات الاقتصادية ، أما الحكومات فتتولى التنظيم السياسي . وقد دامت المقابلة خمسا وثلاثين دقيقة وودعنا الرئيس حتى باب غرفة أمين السر .

حفلة غداء عجيبة

ثم دعينا في الفندق الى حفلة طعام على الاسلوب الكوري ، فخلعنا أحذيتنا واستعصنا عنها بنوع من الخف المنزلي حتى وصلنا الى غرفة خلعنا أيضا أمانها وسرنا حفلة على أرض خشبية فيها تزيينات تذكر بالماضي الكوري ، وأقيات علينا فتان باللباس الكوري الطويل وقدمتا لنا أكوابا من عصير البرتقال ، ثم جالسنا فوق وسائل على الأرض وشربنا الضيافة ، فلما انتهت نصبت أمانا مائدة خشبية واطمئة ووضعت عليها أصناف طعام كورية وسلمونا قضيبين من الخشب لتناول الطعام بهما على طريقة القوم ، وجلست الفتان أمانا تلقمانا الطعام بابتسامات حلوة وأدب جم ثم قدموا لنا الشاي والفاكهة فكانتا تقشران الفاكهة وتضعانها في أفواهنا . وهسي

عادات لم أر مثيلا لها في أي مكان في العالم ، ويا سلام ! . .

وفي إحدى الأمسيات جاء شخص مع ولدي الدكتور راتب وقدم لزوجتي هدية خاتما ثمينا مرسلا من الشركة التي يتعامل معها راتب فشكرناه وغادرنا مودعا بالمودة .

توزيع العمل بين الإنتاج والتصدير

ولاحظنا أن الشركات المنتجة لا تقوم بعملية التسويق والتصدير بالنسبة للمنتجات الكورية وإنما تعهد بذلك إلى شركات أخرى فالشركات المنتجة تتفرغ للتجويد وتحسين النوع والتي تتولى التسويق تقوم بالباقي والحكومة تقدم التسهيلات من أرض وهاتف وتلكس .

انتهاء الزيارة

وفي ١٩٧٦/١١/٢ كان علينا أن نغادر الأرض الكورية ، وبعد صلاة الفجر وآيات من الذكر الحكيم وبعض الأدعية - كمادني التي نشأت عليها - جاء المودعون من كبار مسؤولي الفرقة التجارية وجمعية الصداقة فقدموا لنا شعار كوريا وقد حفرت عليه عبارات عن ذكرى الزيارة وعددا من الصحف التي أشارت إلى زيارتنا وتتبع أنباءها وصورت مقابلتنا وكان عدد المودعين كبيرا وهذا يدل على اهتمام القوم بهذه العلاقات كما سبق القول . وبعد تناول القهوة والشاي شكرناهم بحرارة ودعوناهم إلى زيارة سورية والتقطت صور تذكارية ثم مضينا برفقتهم إلى المطار الذي تمت فيه معاملات سفرنا على يد المضيفين الكرماء وغادرنا البلاد قاصدين اليابان .

(طوكيو) قصة البلد الذي حاز السبق في الصناعة والإنتاج

بعدمئة دقيقة كانت الطائرة التي أقلتنا من سيئول تحط في طوكيو ، وكنا قد حجزنا أماكننا في وقت مسبق لصعوبة ذلك . وقد سلطنا من المطار إلى فندق (أمبريال) طريقا معلقا فوق أكثر من ثلاثة طرق ، وفكرة الطريق المعلقة فكرة رائعة تحل مشكلات التقاطع والسير المزدحم .

وبادرنا قبل كل شيء إلى أخذ أماكن في جولة سياحية للاطلاع على معالم المدينة وهي تدوم ست ساعات وتكلف ما يعادل مائة ليرة عن كل شخص . وكان أول ما زرناه

قبر الامبراطور الكبير - جد الامبراطور الحالي - وهو في حديقة القصر الامبراطوري الجميلة المأوى بالاشجار الرائعة ، وربما كانت مساحتها تزيد على الف دونم ، وفي وسطها ساحات ومطعم ومحلات تجارية تعرض كل ما يريده السواح . لا تعجبوا من ذلك فهنا يستفاد من كل شيء حتى الضريح المقصود . وكان اليابانيون يصلون وكاهنهم مثلهم ، ولم نفهم شيئا بالطبع .

وقد لفت نظرنا وجود الطرق الطابقية وبعضها يتكون من أربعة طرق يعلو بعضها بعضا كما ترى جسورا معلقة للتقاطع . والاشارات التي تنظم المرور كثيرة وان المرء ليتساءل : متى أتيح لهؤلاء الناس أن يقوموا بكل ذلك ؟ وغمرني الحزن حين تذكرت مائة متر من شارع الثورة عند مدخل سوق الهال القديم حيث تتراكم الاوحال ويتكدس الباعة بلا نظام فبائع اللبن والجبن الى جانبه بائع الجوز ثم بائع الممشات والى جانبهم باعة الخضار والفواكه وأشتال الورد وغيرهم وغيرهم ، وكلهم يبسط بضاعته على الارض دون مراعاة أي نظام ويحتلون الارصفة ويعرقلون السير في الشوارع ناهيك عن شراستهم وصياحهم وأشكالهم الغريبة . ففي غمرة اكباري وتقديري للحضارة والتقدم في اليابان والحزن على أوضاعنا القائمة تمنيت أن يأتي ذلك اليوم الذي نبني فيه بلدنا وننظم أمورنا حتى تكون بلادنا في الحقيقة لا في الكلام شامة على خد الزمن وتعود إليها أمجادها وسمعتها الحسنة .

بل اقول بكل مرارة وأسى أن رحلاتي وما رأيته جعلتني لا أميل الى الرحلات لما يعتريني في كل رحلة من الحزن على بلدي والخجل من كثير من أوضاعه .

معالم سياحية وحضارية

بعد زيارة قبر الامبراطور ذهبنا الى مطعم في احدى الحدائق السياحية الجميلة الكبرى المنسقة أجمل تنسيق ، وفيه ملاعب ومسبح وموائد أمام كل منها موقد لشي اللحم وتناولنا فيه الغداء . ثم زرنا مسرحا فيه عروض شيقة فقضينا في ذلك ساعة تجولنا بعدها في أسواق المكان ، لأن الاسواق موجودة في كل مكان . ومن الجدير بالذكر أن دليلا كان يحمل علما مميزا وكل منا يحمل شارة ليجد بعضنا بعضا حين نزل من السيارات ثم نعود إليها وتكون الرحلة في أعلى درجات التنظيم .

ولما عدنا الى فندقنا تجولنا من جديد في الاسواق التي في الطابق الارضي منه
فراينا ما اذهلنا بالاسعار العالية . فمثلا قدامة بالنفي دولار ، وساعة بعشرة آلاف
دولار . من ترى يشتريها هذه الفوائى ؟ لا شك انهم السائحون القادمون من جزيرتنا
العربية والخليج حيث الاموال الطائلة .

وخلال الزيارة دارت في رأسى خواطر سجلتها وها أنا أقدم خلاصة عن أهمها :
فأولا ناديت وما زلت بالتنسيق الصناعي بين البلاد العربية لتتكامل وتعود بالخير
والنفع على الجميع . والشىء الثاني أنه لا ينجح ويتطور الا المشروع الكبير فيجب
القضاء على تفتيت المشاريع وعدم بعثرة الجهود . والامر الثالث : كيف سمح بالبناء
العشوائي على سفوح قاسيون بلا اذن ولا تنظيم ولا مخطط تبدو فيه روح العصر
والمستقبل . فاليابانيون يخططون لربع قرن على الاقل ونحن لا ننظر لأبعد من انوفنا .
وهنا تركنا طوكيو ولم يكن لنا فيها سوى غرض السياحة والاطلاع السريع
ومضينا الى هونغ كونغ .

هونغ كونغ

في ٤ كانون الاول اقلعت بنا الطائرة من مطار طوكيو وكان الصباح رائعا ورأينا
في طريقنا الى المطار ارتال السيارات تعبر الطرق بأعداد هائلة ولكن يسير منظم انسيابي .
وفي المطار كانت الطائرات الضخمة التي يحمل بعضها سبعمائة راكب تهبط وتقلع
طول النهار وليس عليها مكان فارغ واحد . ولم تفتح حقائبنا لانها فحصت بأجهزة
الالكترونية كما لم تنقل بالايدي بل بالالات .

وصلنا اول الامر الى فورموزا حيث استرحنا خمس ساعات - بعد طيران ساعتين
ونصف - ومن فورموزا الى هونغ كونغ قفزة واحدة .

ان هونغ كونغ جزيرة تتصل بالبر الصيني بنفق تحت الماء وقطعة صغيرة جدا
من الارض اليابسة تسمى (كاوو) ، ولكنها من أكبر مراكز الصناعة والتجارة في
العالم . والانتقال من هونغ كونغ الى البر يتم عن طريق النفق بالسيارة أو بالسفن
الصغيرة وأجرة الراكب لا تزيد على ما يعادل ثلاثين قرشا سوريا بعملة تلك الايام .

أبدا فأقول أن السيد فهد بغداددي نجل صديقنا السيد صياح البغدادي يقيم في هونغ كونغ وله فيها محل تجاري وزوجته دمشقية بنت السيد عربي سكر . سمعته جيدة الى حد أن الحكومة الأردنية كلفته بأن يكون قنصلا فخريا لها هنا . وقد اتصلنا به من الفندق وزرناه في محله والتقىنا عنده بالسيد محمد خير القباني خال زوجته . ان لقاء أبناء الوطن في هذه الاقاصي حادث مسعد ، وقد سرتنا كذلك أن التقينا بمواطننا السيد بشير غنمة ، وقد قبلنا دعوة السبد فهد للعشاء في داره الواقعة على جبل يعلو ٣٠٠ متر عن سطح البحر في منطقة سكنية فخمة منظمة أجمل تنظيم . فذهبت أفكارني مجددا الى جبل قاسيون الذي كان يمكن أن يكون مكانا من أرقى وأجمل أمكنة الدنيا بمناظره لو

دار مضيفنا مفروشة بأناقة ، وزوجته صاحبة ذوق رفيع ، وكان يصحبنا على العشاء السيد غنمة وشاب عراقي أرمني يعمل في شركة تأمين في أندونيسيا ، وكانت المائدة دمشقية من الطراز الرفيع وتصوروا في هونغ كونغ مائدة عليها الكبب والمثلب وفتة المكدوس والمخلل والارز بالدجاج والسبانخ واليبرق وغير ذلك مما نسيتته للوفرة والكثرة ما شاء الله ، وبعد ذلك حلويات شامية وفواكه من كل الاصناف . أقبلنا على الطعام بشهية وقد أحسننا بجو حي الميدان يحيط بنا وهو الحي العريق الذي انجب مضيفنا السيد فهد البغدادي ، وودعناه شاكرين وداعين له بدوام التوفيق . اننا نعتز بأبناء وطننا الحبيب وما سجلوه من نجاح خارج بلادهم فهنيئا للاخ ابي فهد بما انجب ولأمثاله من الآباء الذي يحسنون التربية ، وجعلت أردد في هذا الصدد ابيانا لحافظ ابراهيم عن السوريين :

ما عابهم أنهم في الارض قد نثروا فالشهب منثورة مذ كانت الشهب
رادوا المناهل في الدنيا ولو وجدوا الى المجرة ركبا صاعدا ركبوا
أو قيل في الشمس للراجين منتجع مدّوا لها سببا في الجو وانتدبوا

ميناء هونغ كونغ

في مدينة العمل والانتاج هذه مصانع كثيرة ، وهي فوق ذلك مركز لتصريف الانتاج الصيني الضخم حيث تدخل الميناء في كل يوم مائة وعشرون باخرة تعبأ وتفرغ بسرعة

وهذا شيء جوهري فالسفن اذا لم تفرغ وتشحن بسرعة كلفت مبالغ هائلة ويدفع صاحب البضاعة كما لو كانت السفينة تمخر في البحر ولذلك قد تتصاعد قيمة البضاعة وهي في الميناء اذا لم تنزل بسرعة وضمن المدة المحددة ، وهذا ما يقع احيانا لدينا في مرفأ اللاذقية . ومن المؤسف أننا دفعنا في العام الماضي أربعة ملايين ليرة سورية نتيجة تأخر العمال في انزال البضائع فهل يدركون مدى الخسارة التي تلحق باقتصادنا والمبالغ التي نضيعها وكان يمكن أن يبني بها البند ؟ ! . .

الى بانكوك وتايلاند

كنا نود أن نذهب الى كولومبو لأن راتب يتصل هناك بتجار العدس ويمكن أن يعقد صفقات تجارية مفيدة عن طريق العدس السوري ولصالح الاقتصاد الوطني ، ولكننا لم نتمكن من تنظيم ذلك فاتجهنا من هونغ كونغ الى بانكوك .

في العاصمة التايلاندية نزلنا في فندق الحياة وهو خمسة عشر طابقا فيها ٦٥٠ غرفة وفيه طابقان للسواح فيهما كل ما يرغب فيه الانسان . وقد بدأنا كالعادة بجولة سياحية للاطلاع على معالم المدينة بسيارات حديثة مكيفة يشرف عليها أدلاء مهرة . ان بانكوك فيها كل الخدمات السياحية الراقية وكنت قد ذكرت مرارا أهمية القطاع السياحي عندنا لان دخل السياحة صار كبيرا ويضم أرباح الفنادق والمطاعم وتشغيل اليد العاملة وحركة البناء والتعمير والدخول الى البلاد والخروج منها ، ومما يسر خاطر ان جهودا بدأت في هذا الاتجاه لبناء العديد من الفنادق السياحية .

اقتصاد تايلاند

في تايلاند يعتمدون على الزراعة المروية بالدرجة الاولى فعندهم نهر يعادل نهر الفرات تقريبا وقد استغل للري ، والحاصلات الزراعية تشكل ثمانين بالمئة من الدخل الكلي وينتجون الفاكهة والارز والمنكا وجوز الهند ومنتجاتهم من الارز يقدر بأحد عشر مليون طن يصدر منه أربعة ملايين طن . كما أنهم يربون التماسيح ليحصلوا على جلودها الغالية ويستخرجون سم الافاعي الذي يدخل في صناعة العقاقير الطبية . والارض في تايلاند يملكها الاغنياء وأكثر الفلاحين يعملون بأجر بسيط ويسكنون بيوتا لا تتوفر فيها

الشروط الصحية . ومن الجدير بالذكر أن الامطار غزيرة هناك ويصل معدلها الى ١٨٠٠ ملمتر سنويا ، وموسم الحصاد يقع عندهم في شهري كانون الاول وكانون الثاني . ان الاستعمار البريطاني هو الذي نشط الاقطاع وأوجد التفاوت الطبقي بين السكان . ولكن تايلاند الفنية بالزراعة تحتاج الى صناعة تبني عليها اقتصادها كما فعلت كوريا .

البوذيون والمسلمون في تايلاند

ويقدر عدد سكان تايلاند باثنين وأربعين مليون نسمة معظمهم بوذيون وفيهم ٣٪ مسلمون أي يفوق عددهم المليون وربع مسلم ولهم مدارسهم الخاصة . ومن الجدير بالذكر أن البوذية منتشرة في بلاد الشرق الاقصى ولكن تختلف أشكالها من بلد الى بلد كما هو الحال في اليابان وكوريا وفيتنام وغيرها .

وقد مررنا بمعبد بوذي قديم قيل لنا أنه يضم تمثالا من الذهب الخالص وزنه خمسة أطنان وقيل أن مصلحة الآثار عثرت على تمثال من ذهب طوله متر ونصف ولكنها لم تعلن عن وزنه .

حديقة في بانكوك

وفي بانكوك حديقة مساحتها اثنان وخمسون فدانا تملكها شركة خاصة والبلدية لها حصص منها وهي جميلة التنسيق وفيها مسرح يتسع لألفي مشاهد ويقدم الرقص الشعبي التقليدي ونواحي الحياة كما تقدم عليه ألعاب الملاكمة والسيوف . كما توجد فيها نماذج من البيوت الريفية المصنوعة من القش وأماكن تعرض فيها الاسماك والثعابين والفيلة التي يركبها السواح لقاء أجر .

رضي الله على ولدي راتب لانه هيا لي هذه الزيارة وأصر عليها رغم أنني كنت اقترح الغاءها ما دام لا عمل لنا فيها . فهذه فرصة لا تفوت ومع أنه هو الذي يتعب في ترتيب كل الامور التنظيمية التي تستغرق كل الوقت ، وينهل ذلك والإبتسامة لا تفارق شفثيه وكان من حظنا أن رافقنا نحن والديه في هذه الرحلة الطويلة .

الى بومباي في الهند

ومن بانكوك انتقلنا الى بومباي في الهند وسكانها نحو ثمانية ملايين . أحيائها الجديدة تشبه الاحياء الاوربية أما المدينة القديمة فمتآخرة تعيش في أجواء الفوضى

والفقر والحرمان ، وشاهدنا عائلات تفتersh الارض وتلتحف السماء . وكانت اقامتنا قصيرة قابل راتب خلالها بعض عملائه من التجار وقمنا بجولة صغيرة فيها ولم تطل بنا الإقامة .

كراتشي

ومن بومباي انتقلنا الى كراتشي ، وقد التقينا بابن أخينا السيد فائز الشلاح في مطار بومباي وسافرنا معا فنزلنا نحن وتابع هو الى الكويت . وكان نزولنا لأن الطائرة التي نحن عليها أصابها عطل فاضطرت للتأخر وفي قاعة الانتظار تعرفنا الى الشيخ علي النعيمي النجل الاكبر لشيخ امارة عجمان وتبادلنا معه الاحاديث عن دراسة اولاده وأولادنا في بلاد الغرب ، كما تعرفنا الى السيد خلدون الرملي وسألناه عن عمه الاستاذ فؤاد الرملي القاضي والمحامي المعروف في دمشق ، وكان من الامور الطريفة أن معرفتنا بالسيد خلدون في هذه المناسبة جعلته يخطب ابنتنا رمزية ويتزوجها ويعيشان معا الآن بسعادة وفقهما الله .

ومن كراتشي عدنا الى دمشق والعود أحمد ، والحمد لله رب العالمين الذي وفقنا الى كل هذه المشاهدات .



الرحلة السادسة

أيلول ١٩٧٧ - الى أميركا من جديد

كانت المناسبة هذه المرة دعوة من شركة عالية الاردنية للطيران لمناسبة افتتاح خط الطيران المشترك بين سورية والاردن الى نيويورك بأميركا غير أن رئيس الوزراء اللواء عبد الرحمن خليفاي لم يوافق على سفر الوفد وعدده ١٠ وكلفة سفره مبالغ كبيرة وبما أن سفري ليس على نفقة الحكومة فقد قبلت الدعوة وباقي الوفد كان من القطر الاردني برئاسة وزير النقل ومحمد علي خيري رئيس اتحاد الغرف الاردنية وغيرهم . وكنت الوحيد الذي قبل الدعوة من سورية ممثلا للقطاع التجاري .

انطلقت الطائرة الجامبو من عمان في ١٢ أيلول ١٩٧٧ وحطت في أمستردام في هولانده بعد أربع ساعات ونصف ، ومنها انطلقنا الى نيويورك حيث استقبلنا موظفو الشركة وأنهوا المعاملات الامنية والجمركية في بضع دقائق وهو أمر لا يصدق بالنسبة الى جميع مطارات العالم . وبعد اقامة بضعة أيام في نيويورك انتقلنا الى واشنطن ثم منها الى نيويورك فالعودة الى الوطن .

وقد سافرنا من نيويورك الى واشنطن بالقطار وعدنا بالطائرة .

مشاهدات وانطباعات

في نيويورك التي يتضاعف سكانها نهارا بمن يفدون اليها ويصبحون أربعة عشر مليوناً ، زرنا حياً عربياً محلاته يديرها عرب ويبيعون فيها أصنافاً عربية وتحمل لافتاتهم الاسماء العربية ، فشرعنا بأننا في قطعة من بلادنا من حيث نوعية المواد ومنها القمر الدين .

ولدى زيارة قصر الامم المتحدة شاهدت هذه المرة قاعة الهدايا المقدمة الى المنظمة من انحاء العالم ، فمنها جرس قدمته اليابان ويدق مرة واحدة في العام يوم ٢٠ آذار الذي اعتبرته اليابان يوم السلام وقد صنع من قطع العملة الفضية اليابانية التي تبرع بها الاطفال اليابانيون . وهناك هدية أثرية من سورية ومن بلاد أخرى .

حفلات على شرف الوفد

وقد أقام السيد سفير الاردن في الولايات المتحدة حفلة عشاء في داره لاعضاء الوفد كانت آية في الكرم والاناقة واجتمعنا لديه بالسيد محمد البغال السكرتير بفرقة التجارة العربية الاميركية والسيد عمر بن السيد عبد المنعم الرفاعي رئيس الوزراء الاردني الاسبق وكنت اجتمعت به في طهران يوم كان سفيرا لدولته لدى حكومة الشاه وكنت أنا في زيارة لشراء السجاد العجمي للمسجد الاموي . وقد أقام لنا السيد الرفاعي حفلة أخرى كريمة دعا اليها بعض أخواله من عائلة القدسي لأن جده لأمه السيد بهاء القدسي كان موظفا في بلدية دمشق ، وجدّ أمه صالح القدسي كان جارنا في السنجدار . ولذلك فنحن من المعارف القدامى وبمثابة الاهل .

الاغنياء يفضلون سكنى الأرياف

وكان مما لاحظناه في هذه الزيارة أن الاغنياء يفضلون السكنى في الأرياف لأن الجو النقي والهدوء يتوفران فيها . والسيد (اويس) الذي أقام لنا مأدبة جعلنا ننتقل بالسيارة خمسين كيلو مترا لنصل إلى دارته ، وهو متمهد الطعام لشركة عاليه ولأربعين شركة طيران أميركية . وكان التنظيم في هذه المأدبة غاية في الروعة .

صيانة الطائرات

وكان مما شاهدناه في هذه الرحلة ورشات بالغة الاتساع والضخامة تستقبل الطائرات فتفحصها بدقة وتصلحها وتعيد تعميمها عند الاقتضاء ، وهذه الورشات مزودة بكل المعدات والاجهزة . هذا وكل طائرة تطير ثمانية عشر شهرا لا بد لها من دخول العنبر حتى تقوم ورشة الصيانة والتعمير باعادة النظر بأجهزتها جميعا وتبديل كل ما تقادم أو اشتبه بعدم صلاحيته ثم تدهن وتعاد إلى الخدمة من جديد ، وكل ذلك حرصا على سلامة الركاب والملاحين . كما أدخلونا إلى غرف يجري فيها تعليم قيادة الطائرات على الأرض كما لو كانت في الجو فعلا بإشراف خبراء كبار ومدربين في غاية العلم والاطلاع . وكل هذا من معجزات العقل البشري في مجالات الاختراع والصناعة والعناية براحة الانسان .

لقاء مع أسرة التجارة العربية الاميركية

في مطعم زامانور الذي يقع في الطابق السابع بمد المنة من احدى ناطحات السحاب في نيويورك ، كان لنا لقاء مع أسرة غرفة التجارة العربية الاميركية حيث دعت الاسرة أعضاء الوفد السوري الاردني الى حفلة عشاء وكان في استقبالنا رئيس الغرفة المستر اورانس وزوجته وأمين سرها السيد محمد البفال وزوجته وعدد كبير من المدعوين بينهم السيد موفق العلاف مندوبنا الدائم في الامم المتحدة .

رحبوا بنا وأسبقوا علي شخصيا ثناء خاصا على أعمالي وادارتي لمؤتمر دمشق لاتحاد الغرف الاجنبية والعربية وكان فيه ٥٠٠ عضو وذكروا حفلتنا في العدمل وكانت من أجمل الحفلات ، ثم بعد الطعام أقيمت كلمات أخرى .

قطار نيويورك - واشنطن

ولا بد هنا من أن أذكر القطار الذي يصل نيويورك بواشنطن فالمحطة منتظمة والحركة فيها تناسب بدقة بلا زحام وكل مسافر يعرف طريقه ويتصرف بلباقة وأدب ، أما عربات القطار فهي فخمة ولها كراسي متحركة لتأمين الراحة وأمام كل منها طاولة متحركة . وحين ذهبت الى مقدمة القطار شاهدت غرفة السائق المجهزة بلوحة الكترونية تسهل التحكم بحركة القطار وتخبره عن كل عطل محتمل وللقطار أجهزة دفع احتياطية . والطعام في القطار شهي وموفور الكمية . قضينا في القطار ثلاث ساعات ننظر الى المناظر الجميلة من جبال وبحيرات ومزارع خضراء حتى قطعنا المسافة وهي ٢٢٥ ميلا توقف القطار فيها أربع مرات في أربع محطات ، ووصلنا دون أن نشعر بتعب أو بمضي الوقت .

وأذكر هنا الاخ ابراهيم بهلوان وهو عربي فلسطيني من القدس كان يفصل السيارات في القدس ثم هاجر الى أميركا وصار فيها يملك أسطولا من سيارات الاجرة وهو الذي تعهد رحلتنا .

كما أذكر دارا أثرية تدل على الحياة القديمة في أميركا وفيها عند الباب فتانان (تمثالان) تغزلان الصوف والغرفة بسيطة ومساحة البيت كله لا تزيد على ٤٠ مترا وفيه صندوق خشبي للشباب مثل صناديقنا القديمة وقد حافظ الاميركيون على هذه الدار ليطلع الجيل الجديد على حياة أجداده ، وحبذا لو فعلنا عندنا مثل هذا .

دار جون كندي

ومررنا امام دار جون كندي رئيس الولايات المتحدة الذي اغتيل في وضع النهار وام يظهر حتى الآن من هو قاتله الحقيقي ، والدار مكونة من ثلاثة طوابق كان يقطنها منذ كان نائبا وقد بيعت بعد وفاته بستين الف دولار ثم بيعت ثانية بمئة وخمسة وثلاثين الف دولار وقد تباع في المستقبل بملايين الدولارات .

الخير والبركة

وفي اثناء هذه الزيارة قال وزير النقل الاردني والسيد محمود الشريف صاحب جريدة الدستور الاردنية أن وجودنا أنا والاخ أبو عصام بدير مع الوفد خير وبركة وضروري في هذه الرحلات ، فشكرناهما ، وأتمنا هذه الزيارة الموفقة بزيارة لمعرض الفضاء والطائرات فمنذ الباب يدفع الانسان ثمن تذكركه لآلة تفتح له الباب وتعطيه رقم الموقف الذي يضع فيه سيارته . وفي المعرض شاهدنا الطائرات منذ بداية عهدها فمن طائرة هوائية صنعت عام ١٨٧٠ الى أول طائرة بمحرك ١٩٠٣ حتى البوينغ ٧٤٧ الحالية . كما شاهدنا نماذج من الصواريخ والاقمار الصناعية بمختلف الاحجام والانواع ، وفي صالة تتسع لالف متفرج عرض فيلم وثائقي عن مراحل صناعة الطيران وكان يخيل للمشاهدين أنهم يركبون ويتعرضون للاخطار أما أنا فكنت أغمض عيني في بعض المناظر المرعبة . وقد تناولنا الغداء بدعوة من شركة بوينغ وقدمت هدية الى زوجات مدير الشركة ونائبه هي طقوم طاولة أغباني دمشقية فكان هذا من ملامح الخير والبركة وعلى مقدار الامكان .

دعوة مفترب حابسي

ثم دعانا الى العشاء السيد نجيب الحلبي وهو مفترب لبناني أصله من حلب ، وكان صديق الرئيس نيكسون وهو صديق الرئيس كارتر وقد شغل منصب وزير الطيران . انه رجل يفخر بأصله وكانت مائدته عربية حافلة بالماكل السورية واللبنانية . وكذلك قدمت له هدايا من صنع الشام سر بها لانها تذكره بموطنه .

طبيب سوري ومفترب أردني

والتقينا بالسيد سالم الهبل من دمشق وهو يتخصص بجراحة القلب منذ ثماني سنوات . هنا يدفعون له مرتبا سنويا قدره اثنان وعشرون الف دولار عدا الدار ويعمل خمسة عشر يوما كل شهر ، متزوج وله ابن عمره أربع سنوات ، سألتناه هل سيعود فاجاب انه سيبقى لانه لن يستطيع ممارسة اختصاصه في سورية .

وقد جرى الحديث على مائدة عشاء في مطعم ايطالي شهير يحجزون محلات فيه قبل ايام وقد يصل دخله اليومي الى مائة ألف دولار لان المطعم تحفة من التحف النادرة في العالم بحدائقه وتزييناته وطعامه . وقد دعانا اليه السيد دياب السمان وهو أردني ولكن من الدمشقيين أصلا بصحبة عدد من الاخوان . وكان السيد دياب قد اقام في الزرقاء في الاردن ثم هاجر الى الولايات المتحدة وعمل في تجارة الراديووات والآن هو موفق جدا في عمله وحياته .

وجرت مقابلة صحفية مع أفراد الوفد قبل سفرهم دامت نحو ساعتين .

عاد بخفي حنين

ومن الطرائف أن أحد العرب هناك دعانا الى جولة في بعض المحلات التجارية فوجدنا أسعارا كاوية جدا لا يطيقها الجيب وأقل الاثمان ثلاثون ألف دولار ومنها شطرنج ثمنه اثنان وعشرون ألف دولار . ولكن تجولنا ولم نشتر شيئا ثم اتضح أن من دعانا كان يأمل في قبض عمولة على مشترياتنا ولكنه عاد بخفي حنين .

هل سمعتم بحنين ؟ انه اسكاف سمع بسفر أحد التجار فمضى قبله ووضع فردة من خفه الجديد على الطريق . مر بها التاجر ولم يأخذها فماذا يفعل بها ؟ بعد قليل وجد الفردة الثانية فأوقف بقلته وإبله بما عليها وعاد ليأخذ الاولى فقفز حنين وساق البغلة وما معها من الابل ، أما التاجر الطماع فعاد بخفي حنين ! . .

الرحلة السابعة

الى الدول الاشتراكية - ايلول ١٩٧٧

بدأت الرحلة في ١٩٧٧/٩/٢٨ بعد عودتي من رحلة الولايات المتحدة بآيام معدودات وذلك ضمن وفد اتحاد الغرف العربية ، وكانت مدة الرحلة عشرة آيام والسفر فيها كثيرا فلم آخذ أم راتب معي تجنباً لاتعابها .

كان الوفد السوري يضم السيد محمد الوزان رئيس غرفة تجارة اللاذقية والسيد يوسف الاخوان رئيس غرفة حمص وكاتب هذه السطور وقد ودعني كثير من ابناي والاقارب فكانت مظاهر لطيفة تدل على الرضا والمحبة . ومضينا على طائرة بوينغ ٧٢٧ وبعد ساعات حطت بنا الطائرة في براغ . ثم نقلتنا طائرة فرنسية الى بودابست حيث اجتمعنا بقيادة المنظمات التجارية وسادت المحادثات روح الود ، وكان يحز في نفوسنا قلة ما يمكن أن تصدره الى بلادهم وكثرة ما عندهم ليصدروه .

بودابست

تألف هذه المدينة الكبيرة من قسمين (بودا) وتعني المرتفع و (بست) وتعني السهل . وهي كذلك تتألف من هضاب مرتفعة وسهل . واسعة ، يشقها الدانوب الكبير ، مبانيها كبيرة فخمة رائعة التزيين وتدل على العراقة . قمنا بجولة قصيرة فيها سيرا على الاقدام فاستطعنا أن نرى حياة الناس وتصرفهم . وكان في المدينة دمار كبير تركته الحرب ولكن يد الشعب رممته وأعدت بناءه .

في بودابست رحب بنا وزير التجارة وشرح لنا رغبة بلاده في العلاقات التجارية الوثيقة معنا ، ثم تركناه بعد ساعة لتلقي مدير المصرف المركزي لمدة ساعة ايضا للبحث في الامور المصرفية وتحويل العملات ، وقد تولى الحديث عنا السيد عبد العزيز الصقر رئيس غرفة تجارة وصناعة الكويت لخبرته في هذه الامور .

وفي اجتماع الوفد بغرفة التجارة كلفوني بالقاء كلمة الوفد فشكرت مضيفنا على البيانات الواضحة التي قدموها لنا وامتدحت نشاط الشعب وهمته العالية وأعربت عن الامنيات بتوطيد التعاون في مختلف المجالات الاقتصادية والتجارية وايدت الشيخ

الصقر فيما يتعلق بانشاء العلاقات المصرفية مع هنغاريا وأعربت عن أمني في أن تكون هنغاريا في طليعة المتعاملين مع العالم العربي .

ولكن بيني وبينكم كنت أسأل نفسي ماذا نصدر لهم ؟ لقد كانت بلادنا تصدر سنويا ما يقرب من ألف طن من الجوز الى انكلترا ومصر فأصبح انتاجنا السنوي لا يكفي الاستهلاك المحلي . وكانت سورية تصدر التفاح والزبدة والبيض والاجبان الى فلسطين ، فصرنا نستورد هذه الاصناف من لبنان وبلجيكا وهولاندا ورومانيا والصين . وكان أبناء الشعب يتسابقون فيما مضى لتأسيس الشركات المساهمة فتبيع النساء حليهن ويشتريان أسهما في الشركات الصناعية والتجارية والزراعية المنتجة ، أما الآن فقد تحول الاكثرون الى الاستهلاك الشره وتركوا الانتاج الزراعي والمهن الحرة التي كانت تدر على وطننا الخير الكثير . . فهل نشمر عن ساعد الجد ونعود الى الانتاج ؟

وقد التقينا في بودابست ببعض السوريين من موظفي السفارة والطلبة وسررنا بهم . ثم لاحظنا التشدد في المعاملة في مطار بودابست في معاملات الدخول والخروج حتى لاسباب تافهة فقد كادوا يمنعوننا من صعود الطائرة لأن النسخة الثانية من تأشيرات دخول الوفد ناقصة لدى أحد أعضاء الوفد الليبي اذ تركها في حقيبته مع حوائجه وصارت في عنبر الطائرة وانتظرنا حتى أخرجت الحقيبة واستخرجت منها الورقة وسلمت اليهم وهذا من عيوب التعامل مع الناس التي لم نجدها في البلاد الأخرى .

في براغ

ثم وصلنا الى براغ وفيها عدت فالتقيت بولدي الدكتور راتب . ما كان في أول السفارة معي بجسمه ولكن كان معي بعنايته ونصائحه اذ أوصاني في السفر أن أتناول الحساء والسوائل والحليب البارد كلما أمكن لي ، فكان هذا يساعد على انتظام هضمي في كل الاحوال . الله يرضى عليك يا راتب ويسعدك ويعطيك حتى يرضيك ، علما نافعا ونورا ساطعا ورزقا واسعا وإيمانا قويا وشفاء من كل داء ، ويجعل كلامك لا يرتد ومالك لا ينعد ويجعلك سكرة في فم العباد أنت وأشقائك وأولاد عمك وجميع أبناء المسلمين آمين . . فقد جاء راتب الى فندقنا ومعه صهرنا السيد محمد السيروان فسرتت كثيرا .

وقد واجهتنا في مطار براغ صعوبة أخرى تتعلق بتأشيرة وفد الامارات ثم ذللها من استقبلونا . وعرفنا أن هناك مشاكل حول صرف الدولار اذ على كل واحد ان يصرف بالسعر الرسمي عشرة دولارات عن كل يوم اقامة ولكن لكوننا وفدا رسميا اعفينا من هذا الصرف . وقد لاحظنا هنا الالاحاح على الدولار للحصول عليه كأنما القوم لا يتعاملون الا به كما لفت نظرنا تجار العملة المهربة حول الفنادق التي يرتادها الاجانب .

مقابلة لنا

زرنا اولاً وكيل وزير التجارة الخارجية وعرفنا منه أنهم يريدون زيادة حجم صادراتهم من أجل أن يستوردوا لقاءها ما يحتاجه أبناء الشعب . وهذا عينه ما نريده ونحن أيضاً اقتصادنا مرتبط بسياستنا . ولاحظنا على كل حال أن الفلاح التشيكي والفلاح الهنغاري يتحركان بحرية أكثر من سواهما في الدول الشيوعية الأخرى ودخلهما أفضل من بقية السكان .

ولما رايت الكثيرين من مرافقينا يتحدثون العربية سألتهم عن ذلك فقالوا أنهم يتعلمونها في الجامعة بشكل جيد .

وقد زرنا الحمامات المعدنية التي اشتهرت بها تشيكوسلوفاكيا وهي في عين منطقة حمامات بادن بادن الألمانية .

ومن المفيد أن نذكر أننا لم نشاهد شرطة مرور في براغ لأن الشعب يعرف كيف يتصرف ويحترم القواعد ، وإذا وجد شرطي وراى مخالفة يناقش فيها صاحب العلاقة وقد يقتنع منه أو يدفع غرامة . وفي تشيكوسلوفاكيا يتشددون جداً في معاقبة من يسوق السيارة وهو شارب أي مقدار من الخمر أو الكحول .

والاسعار رخيصة جداً بالنسبة لمن يصرف الدولار بسعره الحقيقي .

ولكننا لاحظنا بأسف أن الرشوة تعمل عملها ولا سيما في تأمين الاماكن في الفنادق لمن لم يجزوا مسبقاً وهذه نقطة أجمع عليها زوار هذا البلد ، فبالاكرامية والبخشيش تحصل على ما تريد .

وقد أمضينا وقتنا جيدا في تشيكوسلوفاكيا واستمتعنا برحلة سياحية فاخرة
اضافة الى ما قمنا به من عمل والمناظر آية في الجمال والبلد عريق جدا في الحضارة
وقد ندمنا على اننا لم نحضر زوجاتنا معنا اذ لم يدر في خلدنا عندما غادرنا دمشق
اننا سنلقى هذا الجو اللطيف والمناظر الساحرة والراحة لقللة الاجتماعات التي
انتهت بسرعة .

وكان صباحي يحلو دائما بأن يطل راتب بابتسامته عليّ وهذا من توفيق الله .

نافذة على المجتمع

في براغ لاحظت امرا لم يعجبني . فان احد الشباب من مرافقينا اراد ان يستدل
على بعض المحلات التجارية ليشتري طواقي صوف ، فسأل فتاة في الشارع عن محل
يبيع ذلك فذهبت الفتاة معه ودلته على المحل . وعندما عدنا الى الفندق وجدنا
الفتاة والشاب جالسين يتناولان الحاوى . سألتناه فقال أنه دعاها الى العشاء لقساء
ما قدمته من خدمة في دلالة على محل الطواقي ، وعندما همت بالانصراف أوصلها
بالسيارة على أن يعود بسرعة ولكنه تأخر كثيرا ، ولما عاد قال أنه صحبها بنزهة قصيرة
وأخذ عنوانها ليلتقيا في موعد آخر . وتبين أن هذا عند القوم امر عادي ولا يتنافى مع
عاداتهم وتقاليدهم حتى ولو ادت الامور الى اشياء اخرى من نوع المتعة والسرور . . .
ومع ذلك فان تشيكوسلوفاكيا تعتبر من البلدان المحافظة بالنسبة الى البلاد الاوربية
الاخرى حيث لا يوجد فيها التهتك الموجود في أنحاء أوربا ، والتشيكيون والالمان
يعتزون بأنفسهم ويهتمون بهندامهم وملابسهم جيدة وبذلك يختلفون عن الروس الذين
لا يلبسون مثلهم وملابسهم رديئة .

العمل

ورأينا ان البطالة مستهجنة عندهم . فقد سألنا الفتاة التي سلف ذكرها عن
وضعها الاجتماعي فقالت انها ضاربة آلة كتابة براتب ١٤٠٠ كورون لقاء اربعين ساعة
عمل اسبوعية وان أباه متوفى ولأمها معاش وتسكن في دار ملك في وسط السوق،
ولها شقيقة اكبر منها تعمل في محل تجاري . وقالت انه من المستهجن الا يكون
لاحد عمل وكل شرطي له الحق في ان يطلب من أي شخص بطاقة عمله فاذا لم يكن
يعمل يحال الى المحكمة ويحقق معه عن مصدر عيشه . . .

وارسو

وحين انتقلنا من براغ الى وارسو وجدنا مدينة جميلة واسعة الشوارع والارصفة جدا وحديثة التخطيط جدا بعد تهديمها الكامل اثناء الحرب واعادة بنائها ، وكل شيء فيها ينضح بالجدة والاسعار فيها غاية في الرخص اذا حسبت على اساس الدولار .

وقد بدأنا في وارسو باجتماع مع أعضاء الغرفة التجارية في قاعة واسعة جدا فيها منضدة تتسع لثمانين شخصا وتبين من الاجتماع أن الدول الاشتراكية تريد بيع منتجاتها دون أن تشتري بالمقابل الا المواد الاولية الضرورية كالقطن والفزول .

تناولنا غداء لطيفا وصحيا في الفندق وتمنينا أن تتحسن العادات الغذائية عندنا حيث نحن نتفنن في الطبخ والانفاق مما يصيب الناس بالتخمة .

وذهبنا مساء الى دار الاوبرا وهي من أجمل دور الاوبرا في أوروبا كلها فشاهدنا روايتين من أجمل ما رأيته في حياتي والملابس فيها جميلة وفيها ذوق وتميز بالجمال ودقة التعبير .

صوفيا

ولما غادرنا وارسو الى صوفيا وصلنا ليلا وتأخرنا في المطار حتى أنهى جماعة الخليج والكويت معاملة الحصول على تأشيرات دخول في المطار ، وكان الاستقبال حسنا وأخذونا الى فندق بناؤه حديث ولكن مفروشاتة فقيرة .

وفي فندق صوفيا انعقد اجتماع ضم ستة عشر عضوا عن الجانب العربي وخمسة وعشرين عن الجانب البلغاري معظمهم مدراء شركات . وقد تحدث البلغاريون عن فعاليتهم الاقتصادية حديثا مدعما بالارقام وأكدوا كذلك تأييدهم السياسي للعرب ولا سيما في القضية الفلسطينية . ورد عليهم السيد عدنان قصار نائب رئيس اتحاد الغرف العربية بكلمة شكر ، ثم تبعته أنا فأعربت عن سروري بانشاء الغرفة المشتركة العربية البلغارية وسرعة توقيعنا على الاتفاق مما يدل على التفاهم التام .

ثم اجتمعنا بعد ذلك مع وزير التجارة وكنا ثمانية من وفدنا فهأننا على الاتفاق حول الغرفة التجارية المشتركة وأوضح تزايد الدخل القومي في بلغاريا وملامح

التخطيط الاقتصادي ، وقال أن التعامل البلغاري هو بنسبة ٥٥٪ مع الاتحاد السوفيتي و ٢٥٪ مع الدول الاشتراكية و ٧٪ مع الدول النامية و ١٣٪ مع بقية العالم . وان بلغاريا تخصص ٨٨٪ للمواد الخام من مجموع استيرادها و ١٢٪ لسائر المواد الاستهلاكية أما صادراتها فهي ٤٤٪ للمعدات والآلات و ٤٣٪ للمواد المصنعة و ٣٪ للمواد الزراعية و ١٠٪ لباقي السلع .

وتبين أيضا أن بلغاريا لديها شركة نقل تملك خمسة آلاف سيارة شاحنة تنقل صادرات بلغاريا الى البلاد العربية حتى آخر الخليج لقاء أجور حسنة .

وقد وجهت الى الوزير سؤال عن مدى تأثير نمو الصناعة على استمرار نمو الزراعة؟ فأجاب لا توجد آثار سلبية لأن الآلة حلت محل العمال الزراعيين الذين انتقلوا الى الصناعة . وكان هذا الامر يهمني لما لاحظناه في سورية من تأثير لفقدان العمال الزراعيين الذين انصرفوا الى مجالات أخرى وتحولت الايدي المنتجة الى أيدي موظفة في الدوائر وفي مجال الخدمات لا في مجال الصناعة والانتاج . وقد تأثرت بالرقم الذي حدده الوزير للاستيراد وكيف اقتصرت المواد الاستهلاكية على ١٢٪ فقط والباقي للمواد الخام والصناعية وهذا درس يجب أن نستفيد منه .

دروس الرحلة

لقد كانت الرحلة الى البلاد الاشتراكية غنية بالدروس سواء من حيث العادات أو من حيث الامور الانتاجية والاقتصادية ، وأحسست برضا الوالدين يصحبني حين أرى ما القاه من ترحيب وتكريم حيثما رحلت لانني أمثل روح وطني الخيرة وأتمسك بتقاليد ديني الحنيف . وروي الحديث : احفظ ود أهلك ولا تقطعه فيطفئ الله نورك . . . جزى الله رسولنا العظيم وآله وصحبه كل خير .

هذا ولا يفوتني أن أشير بهذه المناسبة الى مسجد صوفيا عاصمة بلغاريا وقد بني عام ١٩٧٤ وصلينا فيه صلاة الجمعة وفيه محراب ضخم جميل بهندسته وطابعه الاسلامي العربي العريق وحمدت الله الذي أعز دين الاسلام وأوصله الى سائر البقاع في العالم .

الرحلة الثامنة

تشرين الأول ١٩٧٧

الى الشرق الاقصى - فورموزا عاصمة الصين الوطنية

بين يدي الرحلة : كانت هذه الرحلة جرت بناء على دعوة من حكومة الصين الوطنية وقد صحبني فيها السيد ثابت المهائني من أعضاء الفرقة البارزين وكذلك السيد نبيل الشلاح ابن شقيقي أنور وزوجته .

القفزة الاولى كانت الى كراتشي حيث زرت صهري السيد خلدون الرملي ، وقد ذكرت في رحلة سابقة انه تزوج ابنتي رمزية . ثم القفزة الثانية كانت الى (تاييه) عاصمة فورموزا والصين الوطنية حيث استقبلنا ممثلو الحكومة وأفراد الاسرة التجارية بكل حفاوة وتكريم ، واطلعونا على النهضة الاقتصادية ، وزرنا الآثار الحضارية العريقة وعددا من المنتجعات السياحية وعقدنا محادثات تجارية مطولة .

كراتشي

أبدأ بكراتشي فأقول انها مدينة نظيفة بشوارعها ومرافقها العامة ، وتشتهر بالصناعات الخفيفة كالمطرزات والاوناني المنزلية . ومع ان اقامتنا لم تطل سوى ساعات فان صهرنا السيد خلدون نقلنا من المطار الى الاسواق حيث ابتعنا هدايا تركناها ليرسلها الى دمشق ، وقدمنا هدايا نحملها كالمعتاد ، ثم عدنا الى المطار لتتابع الرحلة .

المؤسسة الصينية الداعية

كانت مؤسسة تنمية الصادرات قد تأسست عام ١٩٧٠ من خمسة موظفين والآن صار فيها ٢٥٦ ولها مركز في كوستان المدينة الثانية في الصين الوطنية . ومهمة هذه المؤسسة التعارف والتقارب وتقوية الصلات بين المصدرين الصينيين والمستوردين في العالم ، وهي تصدر نشرة بذلك ورأينا شريطا سينمائيا حول الموضوع .

وخلال وجودنا فهمنا ان الحكومة لا تقدم اي دعم للمصدرين وانما تستفيد منهم برسوم تضعها على بضائعهم ففهمت ان الصناعة التي تعتمد على الدعم تكون فاشلة

اصلا وأن المنافسة في تجويد الانتاج واكثاره هي الاصل .

ولما قالوا لنا ان الغاية عقد صلات معنا وفتح مكتب للدعاية التجارية اجبنا ان ما تطلبونه يتوقف على وجود علاقات دبلوماسية مع بلادنا وبعدها نبحت في العلاقات الاقتصادية . ومع ذلك فقد استمرت عناية القوم بنا .

متحف صيني في تايبه

عبر نفق وحيد الاتجاه طوله أكثر من ٤٠٠ متر ويتسع لسيارة واحدة مررنا الى واد فيه متحف صيني الطراز يضم روائع الفن القديم كالاواني الفخارية التي قيل لنا أن عمرها يقرب من ستة آلاف سنة . ويقع المتحف في منطقة يانعة ويؤمه الزوار من كل الدنيا .

خرجنا ونحن نتمنى لو أننا نستفيد من الاماكن الجميلة كقاسيون حيث يمكن اقامة منتجعات سياحية تطل على الفوطتين أسوة بالشعوب التي تستغل امكانياتها احسن استفلال .

عشاء فاخر

ودعانا رئيس المؤسسة المضيئة الى عشاء في الفندق الكبير بحضور موظف في الخارجية واحد معاونيه وزوجاتهم ايناسا لزوجة الاخ نبيل . قدمت للصينيين هدايا من الاغباني وعلب موزاييك فيها راحة بالفتق ، وكنت قدمت هدايا الى رئيس المؤسسة فسروا جميعا منها . ولاحظت أنهم وضعونا على طاولة فيها طاولة اصغر تدور وعليها الاطباق فيأخذ كل واحد ما يريد .

وفي اليوم التالي ذهبنا الى وزارة الخارجية وفي الطريق لفتت نظرنا دقة نظام السير وطوعية الناس في العبور وكذلك الجسور المعلقة . وحين وصلنا الى الوزارة خرج الموظفون من غرفهم ليستقبلونا بالانحناء على طريقتهم ، ثم استقبلنا وكيل الوزارة ودار الحديث بحضور رئيس المؤسسة حول الامور الاقتصادية . وقال وكيل الوزارة اننا مع ادراكنا لعدم امكان قيام علاقات سياسية فما الذي يمنع من علاقات تجارية تنفع الطرفين ؟ وأضاف أن حكومته استخدمت حق النقض لمصلحة العرب يوم كانت تملك هذا الحق .

وأذكر للقارئ أن حكومة الصين الوطنية خرجت من البر الصيني حين أستتب الأمر للشيويعيين وبقيت في فورموزا وجزر تايوان وعددها نحو سبعين .

شكرنا معاون الوزير على الحفاوة والمعلومات وقلنا أن مهمتنا تنحصر في الإطلاع ولا تجاوز ذلك . ولما أقام لنا وكيل وزارة الخارجية مأدبة دعانا معنا وزيرا صينيا مسلما يتكلم بالعربية بطلاقة ويشرف على الشؤون الإسلامية ، كما اجتمعنا بسفير المملكة العربية السعودية الدولة الوحيدة التي لها علاقة مع حكومة فورموزا ، وبأشقاء آخرين من العرب اللبنانيين والاردنيين . وكانت الاحاديث شاملة ومن جملتها حديث عن المسلمين في الصين الوطنية وعددهم ٤٥ ألفا يتمتعون بالحرية التامة ، ودعانا الوزير الى الصلاة يوم الجمعة في المسجد الجامع .

معمل الكابلات

وزرنا واحدا من أربعة معامل كبيرة للكابلات الى جانبها نحو خمسين معملا أصغر . تملك المعمل شركة مساهمة تأسست في عام ١٩٦٦ ومساحته ٣٥ دونما وعماله ١٤٠٠ يشرف عليهم مائة مهندس . كان رأسمال الشركة ٨٠ ألف دولار تايواني عند التأسيس فصار الآن عشرين مليونا بفضل الارتفاع . ويدفع العمال ضريبة قدرها ٦٪ على أجورهم ويعفى منها من عنده اولاد ولكل عامل راتب ١٤ شهرا في السنة اضافة الى ما يعادل راتب شهر على شكل أسهم في الشركة . وقال مدير الشركة أنهم يستوردون الحديد من أميركا وتشيلي وزائر ، وأرونا شريطا سينمائيا عن عمل المعمل والاشربة ظاهرة متكررة في النشاط الاعلامي الاقتصادي .

ثم زرنا مكتب التجارة الخارجية بدعوة من مديره العام وسألناه عن مدى تأثير التقدم الصناعي على الزراعة فقال أن الزراعة نقص انتاجها ١٣٪ والحكومة تسعى لتلافي النقص ، كما تعمل على تطوير الثروة السمكية أملا بتصديرها في المستقبل .

صلاة الجمعة

وفي يوم الجمعة صلينا في مسجد فخم في أجمل شوارع العاصمة وله مؤذنتان وقبة ومدخل رائع الجمال ، وكان الإمام يجيد القرآن الكريم والخطبة القيت باللغة

العربية . وبعد الصلاة أقبل المصلون بعضهم على بعض يتصافحون وهم مستبشرون ، ودخلت مع عشرة منهم الى قاعة الاستقبال وعلمت ان هؤلاء هم أعضاء بعثة الحج الذين سيذهبون الى الاراضي المقدسة . وعلمت أن إمام المسجد صيني درس في الازهر وهو بمنصب وزير مفوض في وزارة الخارجية وله راتب محترم من الدولة . ورأيت رئيس بعثة الحج والنور يطفح من وجهه وهذه النورانية ظاهرة على الجميع وكلهم يعتمر الطاقية البيضاء .

استغرق بناء المسجد أربع سنوات بناء على قرض من الدولة اشتروا به الارض وبنوا الجامع وساهم المسلمون التايوانيون فيه ، ولما تم تنازلت الدولة عن القروض ويتلقى المسجد الآن معونة من السعودية . وقد قمت بواجبي في التبرع بما أمكنني للمحتاجين ليصرف المبلغ بمعرفة الامام ، وقلبي ينبض بالشكر لله تعالى على نعمه وعلى دين الاسلام الذي عمّ بنوره مشارق الارض ومغاربها وجعلنا من أتباع سيد المرسلين عليه صلاة الله الى يوم الدين .

مدينة كوستان

ثم زرنا مركز المؤسسة المضيئة في كوستان وهي المدينة الثانية بعد تاييه من حيث الاهمية الاقتصادية والسياسية ، وهو يشبه المناطق الحرة في بلادنا . شاهدنا شريطا عن النشاط وعرفنا ما تقدمه المؤسسة من معونات لتنشيط المركز وفيه ٢٩٠ معملا تضم ٧٣ ألف عامل كل انتاجهم مخصص للتصدير إلا قليلا منه للسوق الداخلية لسد النقص أحيانا . ان فائدة هذا المركز سد العجز في الميزان التجاري وتأمين العملة الصعبة ، وكنا شاهدنا مثل هذه المناطق الحرة في كوريا الجنوبية .

منطقة البحيرات والمنتجعات

زرنا بعد ذلك منطقة البحيرات القريبة من كوستان ، وبعد أن شاهدنا شركة سانيو الصينية للبرادات والتلفزيونات والفسالات والراديوات والآلات الحاسبة ، وهي في أربعة معامل ، ذهبنا الى منتجع شون شاي السياحي حيث يوجد قصر كان بناه (شان كاي شك) أحد قادة الثورة الصينية . يبعد هذا المنتجع ٢٠ كم عن

العاصمة ، والطريق اليه يمر بجبال مشجرة ومناظر خلابة وعلى طريقه قصر الثقافة .
عند باب القصر استوفوا رسم دخول دفعه مرافقنا الصيني المسلم الذي يجيد الفصحى
وهو جميل الطلعة خفيف الروح . في القصر قاعات واسعة للحفلات وهو مكان جميل
في بقعة جميلة ومناظر غاية في الروعة .

وزرنا بحيرات (شيمين) وسد (شن مندان) في منطقة يصعب أن نفيها حقها من
الوصف لما فيها من جمال وتنسيق ونظام . والسد تحيط به الجبال المكسوة بالغابات
وخلفه بحيرة امتلأت بمراكب السائحين وكنا في أحدها وبقينا ٥ ؛ دقيقة نمتع أعيننا
بأجمل ما تقع عليه العين . وكانت هناك خمسون سيارة تقل أمثالنا ، وهكذا يتفاعل
الانسان النشيط مع الارض فيحولها الى جنات . . ولعلنا نقوم بذلك في بلادنا
للفائدة والجمال .

* * *

الرحلة التاسعة

الحج الى الرحاب المقدسة

كنت كلما استدار عام وجاء موسم الحج أجد نفسي مشدودا الى بيت الله الحرام، الى منى وزمزم والحطيم وعرفات والمدينة المنورة وبدر والمساجد السبعة ، وأتمنى لو أكون أول المتوجهين الى تلك البلاد التي منها انطلق الاسلام ليعم الخافقين ويعم خيره وهداه بقاع الارض جميعا .

وقد حج والدي مرتين وكان مع ذلك دائم الحنين الى ان يعاود ، كما أن الحاج أحمد دعدوش الذي كان يعمل في محل والدنا قد حج اثنتي عشرة مرة ماشيا فكنت كلما سمعت وصفه للمناسك أتساءل وأنا الشاب أمام هذا الرجل المسن : هل سيكتب لي أن أحج كما فعل ؟ وكان من جملة الحوافز مشاهدتي لمواكب الحج القديم في مطلع القرن حيث كان الحج يخرج من دمشق في قافلتين احدهما للحج الشامي والثانية للحج العجمي . وكان أمير الحج وهو عادة والي الشام يقود الجميع من سراي الحكومة - وكانت في ذلك الوقت في المكان الذي اسمه المشيرية وقد احترق وبني محله قصر العدل الحالي - فيقله جمل مزين وخلفه المحمل وهو جمل يحمل الكسوة التي تهدي كل عام الى الكعبة المشرفة ، ثم تتوالى الجمال والخيل التي تقل الحجاج وبعدهم الحجاج المشاة والحرس الذي يحميهم من غوائل الطريق . وكانت تأتي بعد موكب الحجاج (جردة) فيها الزاد واللبسة وسائر الحوائج ، ولها أمين سر اسمه (السرदार) وعندما يصل الحج الى تبوك ينطلق الجوقدار أو الجوخدار فيصل الى دمشق قبل وصول موكب الحج بعشرة أيام فيبشر بسلامة الحجاج وقد يحمل رسائلهم الى أهلهم .

أما المودعون فيرافقون الحجاج الى بوابة الله في جنوبي دمشق وبعضهم قد يرافقه حتى مزيريب القرية من درعا ويسمونهم (المزيرباتية) . وبالاختصار فان جلال الموكب وجماله كان محرضا على الحج اضافة الى الامر الديني حيث فرض الله تعالى الحج على كل مسلم يستطيع اليه سبيلا أي تمكنه صحته ويسمح ماله بأن يقوم بالحج دون إيذاء أهله أو نفسه . وفي الحج يتوحد المسلمون في مناسك أخذوها عن الرسول صلى الله عليه وسلم منها الاحرام والوقوف بعرفة والطواف بالبيت والسعي بين

الصفاء والمروة وحلق الشعر ورمي الجمار وغير ذلك من المناسك التي تعني ان المسلم يذهب الى لقاء ربه بتوبة تنظفه من الذنوب والآثام فكانه مولود من ساعته .
قلت أن حججات والدي التي كنت أودعه فيها أنا واخوتي كانت تحفز شوقي الى يوم اذهب فيه أنا الى الحج ، وكلما ودعته شعرت بغصة ليست للفراق وحده وانما للعجز عن المرافقة . وذات مرة أخذ والدي معه والدي وزوجته الاخرى وذهب فزار القدس ومقام ابراهيم في مدينة الخليل في فلسطين ثم الى مصر حيث زار مقام السيدة نفيسة ومن هناك ذهب بهما فحجوا بحرا من السويس الى جدة وتحققت الكلمة الشعبية التي تعني الكمال في كل شيء وهي (حجة وتقديسة - أي ذهاب للقدس - وزيارة السيدة نفيسة . .) .

حجتي الثالثة عشرة

وقد حججت أنا حين استطعت الى الحج سيلا وفق الامر الشرعي وكررت الحج اثنتي عشرة مرة ، وفي الثالثة عشرة خطر لي أن اكتب مشاهداتي لان الحج تم هذه المرة بسيارة مريحة مجهزة بسريرين للنوم ووسائل الطهي وتمديدات الماء . وقد بدأت انطلاقي مع اخي شفيق الذي اجد في رفقته السعادة والمسة وولدي محمد مروان الشلاح (ابو زكي) والشيخ عاطف إمام جامع الافرم في ٣٠ ذي القعدة ١٣٩٨ الموافق ١١ تشرين الثاني ١٩٧٧ . وقد اجتزنا الحدود الاردنية الى عمان حيث أتيح لي أن أفض خلافا بين بعض أهلنا ، ثم سرنا بالسيارة الى تبوك ومنها الى تيماء فالمدينة المنورة حيث اقمنا اربعة أيام في جوار الرسول المصطفى الحبيب . وفي المدينة منعنا الشرطة من اكمال التجول بالسيارة لتأخذ سيارة سعودية فيها سائق مختص وذلك بسبب حفظ النظام ولكن لما رأى احد الشرطة ساعة يدي وعليها صورة الملك السعودي قال أنك لا بد رجل مرموق فسمح لنا بالسير ، ثم استطاع بعض أصدقائنا أن يحصلوا لي على اذن ونمرة من ارقام سيارات المراسم الملكية . وهكذا ذهبنا الى جدة فمكة وكانت اقامتنا مريحة ووصولنا الى المقاصد المطلوبة يتم في يسر وسهولة ولم يحدث معنا ما يعوق او يذهب بجلال المناسبة ونحمد الله تعالى أولا وآخرا ونرجو لكل المسلمين مثل هذه الحجة الموفقة الميسرة .

الرحلة العاشرة

الى الولايات المتحدة الاميركية حول مقاطعة اسرائيل

كان الكونغرس الاميركي قد اتخذ قرارا عجيبا ومتحيزا بمعاينة كل شخص او شركة في اميركا ينصاع لتدابير مقاطعة اسرائيل التي فرضتها الدول العربية ، فاقضى ذلك ان يتحرك العرب ليشرحوا للاميركيين خطأ هذا القرار وتحيزه . وقد التقت وفود جمعيات وغرف التجارة العربية فنظمت وفدا عربيا مشتركا نال تشجيع المسؤولين في كل الاقطار العربية . وانطلق الى اميركا بالاتفاق مع عدد من غرف التجارة العربية الاميركية وهي غرف نيويورك وشيكاغو وهيوستن ولوس أنجلوس على متن طائرة اردنية .

عند وصولنا الى نيويورك كان استقبال الغرف التجارية الاميركية العربية للوفد استقبالا حارا وانزلونا في أكبر وأعرق فنادق نيويورك وهو (ولدورف استوريا) ، وانتقلنا بعد ذلك الى هيوستن ولوس أنجلوس حيث تمت لقاءات ومآدب كثيرة جدا وتضم مئات الشخصيات وتتخللها خطابات ومحاضرات وتصريحات ومناقشات ومقابلات صحفية . وكان الحضور من التجار وأعضاء الغرف التجارية الاميركية العربية والساسة الاميركيين ورجال الاقتصاد وأعضاء الكونغرس والمفكرين . لقد كانت مظهرة كبرى مجدية لأن اعتقادي أن الدولة الاميركية التي تمارس الانحياز الكامل نحو اسرائيل ليست هي كل شيء فالشعب الاميركي بعيد عن سياسة حكومته ولا يبالي غالبا بها وقد يكون مخدوعا الى حد كبير بالدعاية الصهيونية ، ولذلك فيجب ان ننفذ نحن العرب الى هذا الشعب ونصل اليه ونخاطبه من منظور عقله ومصالحه اذ أن مصالح اميركا الحقيقية ليست في دعم اسرائيل التي تبتز مالها وتورطها وانما مع العرب الذين يملكون البترول والارصدة الضخمة والقدرة الاستهلاكية التي تتحول الى طلب على البضائع الاميركية . وقد تحرك العرب المشاركون في هذا الوفد الكبير في هذا الاتجاه وقوبلت كلماتهم بالتفهم وبالحماسة من بعض الاميركيين .

طاف الوفد الولايات المتحدة من شرقها وشمالها الى غربها وجنوبها الغربي وجنوبها ونقطة الارتكاز في عملهم حمل اميركا على أن تدرك مصالحها وهي إن لم تكن التخلي عن

اسرائيل فهي على الاقل الاعتدال والانصاف في قضية فلسطين وقضية اسرائيل .

اوجز ما تم في هذه الرحلة لأن التوسع فيها يشكل كتابا كاملا . ففي اليوم التالي لوصولنا افتتحت الجلسة الاولى في (ولدورف استوريا) وتكلم فيها السيد لورنس رئيس الغرفة العربية الاميركية المشتركة في نيويورك مرحبا ورد عليه السيد اسماعيل ابو داود رئيس الوفد السعودي ورئيس دورة اتحاد الغرف العربية . ثم جرى القاء محاضرة عن الموضوع ثم نظم مؤتمر صحفي كان من أبرز المتكلمين فيه الشيخ اسماعيل ابو داود والشيخ عبد العزيز الصقر والسيد برهان الدجاني (وقد تحدثت عنهم في فصل سابق) .

وفي احدى الندوات طلب مني الكلام فتحدثت باسهاب عن الزراعة وأهميتها في الاقتصاد في كل العالم فنالت استحسانا نقل لي أصداءه السيد كمال رمزي استينو وزير التموين المصري الاسبق الذي تحدث في الندوة ، ونقل لي كلاما طيبا عن افكاري وسمعتي في البلاد العربية ، جزاه الله خيرا .

وفي حفلة غداء حضرها ما يقرب من ستمئة مدعو دار الحديث عن فرص الاستثمار والخدمات وشارك فيه السادة أبو داود والصقر والدجاني والامير محمد الفيصل آل سعود الذي لفت الانظار بلغته الانكليزية السليمة الواضحة المتدفقة وافكاره النيرة .

وفي حفلة أقامها لتكريم الوفود الدكتور فخر الدين أبو خليل ، وهو لاذقاني كان مديرا عاما للمصرف التجاري السوري ثم هو الآن مدير لبنك اميركي ،لقى كلمة ترحيبية رد عليها السيد محمد علي بدير رئيس الوفد الاردني وتطرق خلالها الى المقاطعة . وقد كان بين الحضور الدكتور جورج طعمه وزير الاقتصاد السوري الاسبق وهو من الاصدقاء القالين علينا وسفير سورية لدى الامم المتحدة والآن خبير في الاوبك ، فافاض في حديثه عني بعبارات التقدير والثناء ، وأتمنى أن أتابع العمل لآكون كما وصف .

هدية للرئيس كاتر

وفي حفل عشاء اقيم في فندق هيلتون لأكثر من سبعمائة شخص من رجال الاعمال العرب والاميركيين تكلم وزير المالية الاميركي نحو أربعين دقيقة عن مهمة الوفد العربي .

فلما فرغ كانت هدية وفدنا للرئيس الاميركي كارتر حاضرة على كرسي امام المنصة ومجلفة بقماش مخملي جميل ، فقدمتها للوزير ليتولى هو نقلها الى الرئيس الاميركي . وارتجلت بهذه المناسبة كلمة سبق نشرها في فصل سابق .

وقصة هذه الهدية انني فكرت في شيء يكون له وقع فخطر لي صورة قصر الوليد بن عبد الملك الموجودة في رواق الجامع الاموي بدمشق ، فاتصلت قبل سفرنا بالسيد (ابي صياح) المشرف على الفسيفساء في الجامع الاموي فكوّن مجموعة عمال من البارعين تولت صنع هذه اللوحة التي جاءت آية في الروعة ولها مغزى جميل لا ينكر . كما كان بين هدايانا المختلفة علب الموزاييك واقمشة البروكار وطقوم الاغباني الطرز التي هي من مفاخر الصناعة الدمشقية .

السنانور جيمس أبو رزق

وفي حفل عشاء أقيم في فندق هلتون لستمائة مدعو تكلم عدد من الخطباء والقى المغترب العربي جيمس أبو رزق عضو الكونغرس الاميركي كلمة استغرقت خمسا وأربعين دقيقة انتقد فيها بصراحة تامة سياسة اميركا المحالفة لليهود فكان خطابه واضح الافكار مقنعا يمتاز بالطلاقة وقوطع بالتصفيق مرارا .

السنانور فولبرايت

واقامت جمعية الشرق الاوسط في مقرها الكبير الفخم مأدبة غداء تحدث فيها ثمانية وستون من الاعضاء في الجمعية والوفود العربية شارك فيها من العرب السادة : الدجاني وبدير وابو داود وعبد الرحمن العطار وشفيق سكر ، وكان بين الحضور المرموقين السنانور الاميركي الشهير في مجالات السياسة الخارجية فولبرايت . وفي هذه المأدبة تكلمت أنا عن مصلحة الشعب الاميركي الحقيقية وهي مصلحة تربطه مع العرب لا مع الصهيونيين اذ عند العرب البترول والارصدة والقدرة الاستهلاكية وهم قادرون لو شأؤوا على التحول الى غير اميركا في حين أن الصهيونيين عبء على عاتق الشعب الاميركي والاقتصاد الاميركي ، وتناولت مواضيع عديدة تحيط بهذه الافكار الرئيسية .

في هيوستن

في هيوستن التي وصلنا اليها عن طريق ميامي استقبلنا نحو عشرين شخصا على رأسهم السيد عاطف جمال الدين مدير الغرفة التجارية العربية الاميركية المشتركة في هيوستن ، وهو عربي من مصر خفيف الظل كثير الحركة قال لي وهو يعانقني انه يعرفني منذ اكثر من ١٢ سنة وقد كان متحمسا لاحداث غرفة هيوستن . وقد لفت نظرنا جمال المدينة وطرقاتها وانتظام السير فيها بلا شرطة مرور بفضل وعي الناس . وفي هيوستن زرنا مزرعة خيول عربية يملكها نائب رئيس الغرفة التجارية المشتركة في هيوستن ، وهي مزرعة كبيرة جدا مخصصة لتربية الخيول العربية الاصلية وفيها ما يتراوح بين ٣٠ - ٤٠ حصانا معظمها نال جوائز اولى في سباقات دولية ومحلية ، بعضها مستورد وبعضها ولد في المزرعة . كل ما في المزرعة مرتب واسع ونظيف وصحي وفيها بهو كبير لاستقبال الزوار عرضت فيه الكؤوس التي نالتها الخيل في السباقات والاستعراضات . وقد تناولنا المرطبات وشربنا القهوة وشاهدنا عرضا للخيول وعرفنا عن كل حصان تفاصيل هويته وحياته الشخصية وأصله وفصله ومزاجه وهوياته ... ولكل جواد سجل ذهبي خاص ...

الاجتماعات والندوات

وقد افتتحت الاجتماعات بمؤتمر صحفي تحدث فيه رؤساء الوفود الزائرة وأجاب على اسئلة الصحفيين كل من السادة برهان والشيخ عبد العزيز الصقر وكانوا موفقين على اسئلة الصحفيين كل من السادة برهان والشيخ عبد العزيز الصقر وكانا موفقين بوجوده في هذه الاجتماعات . وبعد حفلة غداء ضمت نحو خمسمئة شخص من عرب وأميركيين وتبودلت خلالها الكلمات ، عقدت ثلاث ندوات اقتصادية واحدة عن الصناعة النفطية والكيمائيات والبتروكيمائيات والصناعات الهندسية ، وثانية حول الزراعة الغذائية ، وثالثة حول المصارف والتمويل والاستثمار والسفر .

ههنا وبالمناسبة ذكر لي احدهم ان في هيوستن ثلاثة ملايين راس بقر وخمسة عشر مليون رأس غنم فتصور يا قارئ مقدار العناية بالثروة الحيوانية .

مرفأ هيوستن

وزرنا مرفأ هيوستن وكان في الاصل مجرى نهر طوله خمسون ميلا فاستغل ليصبح من أعظم الموانئ في العالم حيث تقف البواخر على امتداده تعبىء حمولتها أو تفرغها، وأقيمت المصانع بالقرب منه مباشرة وعلى الارصفة فحققت بذلك وفرا في المال والزمان .

وشاهدنا في المدينة نصبا تذكاريا ارتفاعه ستون مترا أقيم لتخليد ذكرى تخليص المدينة من غزو المكسيك قبل ١٢٠ عاما .

ومدينة هيوستن هي عاصمة ولاية تكساس أكبر الولايات الاميركية بعد كاليفورنيا . ومن القصص التي يتداولها سكان المدينة أن سفينة حربية اسمها تكساس غرقت في الحرب العالمية الثانية ضد اليابان وفي غضون ثلاثة أيام تبرع أهل الولاية بقيمة سفينة تبنى مكان السفينة التي غرقت فاشتركت من جديد في الحرب وعندما انتهت الحرب أوقفت في المرفأ لتكون رمزا للنصر وذكرى تعيد الى الازهان مجهود الشعب الاميركي لكسب الحرب .

وقد تناولنا طعام الغداء في سرادق واسع في الميناء وصعدنا الى احدى البواخر الضخمة الحديثة التي لا تحتاج في التحميل والتفريغ الى عضلات العمال بل تقوم بهما الآلات . كما علمنا أن المشاريع الخيرية والمعاهد والمستشفيات تقوم على تبرعات الاثرياء ، في حين يتذمر الواحد عندنا اذا تبرع بعشر ليرات من أجل مشروع خيري ! .

كلمة موجزة

في عشاء فخم ضم ما يقرب من ثمانمئة مدعو أقيم على شرف وفدنا في فندقنا تكلم رئيس الغرفة وهو نجل دوغلاس الفنى المشهور وصاحب مزرعة الخيول كما تكلم من الجانب العربي السادة الصقر وأبو داود وبدير ثم قدموني للكلام ولم أكن مستعدا، فألقيت كلمة موجزة عن فلسطين وعن مهمة الوفد ترجمت ولاقى على ايجازها قبولا حسنا .

المدينة الطبية في هيوستن

في هيوستن ذهب احد اعضاء وفدنا الى المستشفى لاجراء بعض الفحوص الطبية وذهبتنا للاطمئنان عليه فراينا المدينة الطبية في هيوستن وهي تضم عشرين الف موظف بين طبيب وممرض ومدرس وموظف اداري . وقصة المدينة تتلخص في ان احد الاثرياء اوصى بكل ثروته وممتلكاته لتقام بها مدينة طبية ، ولم يكن له اولاد . وكان قد قدم الى هيوستن وهو لا يملك سوى ما يكفيه لياكل اسبوعا ، ثم بنشاطه جمع ثروته طائلة اراد ان تبقى في المدينة التي آوته واغنته فاوقف جميع ما ملك من اجل هذه المدينة الطبية . ثم قدم بعض الموسرين ابنية اضافية . . .

هنسا تذكرت انني واخي شفيق تبرعنا بقطعة ارض قيمتها اكثر من مليون ليرة سورية لانشاء ثانوية في الزبداني وتلقينا كتاب شكر من مدير المنطقة ووضعت لوحة تشير الى اسم المتبرع . وبعدها حضر احد الاشخاص وكسر الحجر الذي اثبتت عليه اللوحة بالاسمنت ولم يحاسبه على عمله احد ولا تزال آثار ذلك باقية . وقد اعطانا المسؤولون وعدا باعادة اللوحة ولكن هذا الوعد لم ينفذ رغم مضي خمسة عشر عاما عليه . وانا اذا كنت اذكر هذه الحادثة فليس ذكري لها من قبيل المفاخرة ولكن لاقول ان تنشيط الناس لعمل الخير لا يكون بمثل هذه التصرفات . وفي هيوستن يذكر من يصنع الجميل فينشط سواه لمحاكاته وهكذا ظهرت المدينة الطبية على نفقة المتبرعين من اصحاب الثروة الذين لم يبخل مجتمعهم عليهم بالاعتراف بل ذكر لهم جميلهم ووضع اللوحات على الابنية التي تبرعوا بها او ساهموا ببنائها .

وحادثة اخرى تذكرتها وهي ان المرحوم والذي كان تبرع بكل الارض التي بنيت عليها مدرسة الاسعاف الخيري في اجمل بقاع مركز المدينة كما تبرع بكلفة البناء كاملة وكان واحد قد تبرع ببناء حائط واحد من المدرسة قد قص الاشجار الموجودة امام اللوحة المذكور عليها اسمه ، ولكن ابقى شجرة واحدة هي التي تحجب اللوحة التي كتب عليها اسم والدي ، فسامحه الله وهدانا جميعا الى ما فيه خير الامة والوطن .

وزرنا المدينة الرياضية وهي لا تقل روعة وجمالا وتنظيما عن المدينة الطبية . تستوعب تسعين الف متفرج وكل ما فيها يعمل الكترونيا ويتسع موقف سياراتها لثلاثين الف سيارة وقد بنيت عام ١٩٦٧ .

في لوس أنجلوس

ثم غادرنا هيوستن الى لوس أنجلوس وحللنا في فندق هيلتون حيث اقيم حفل استقبال ضم ثلاثمئة مدعو وحفل عشاء اقتصر على أعضاء الوفود والشركاء المتعاملة مع العرب ، وقدمنا الهدايا . وفي هذه المدينة التقينا مقربين عربا وطلابا منهم نجل السيد جميل نظام والسيد أحمد الوزان من اللاذقية والسيد فاروق سكر وعلمت أن في لوس أنجلوس عشرين طبيبا سوريا يعملون بنجاح وافتخري يا سورية .

وقد عقد اجتماع مع رجال أعمال تحدث فيه السيد محمد علي باير وترجم لسه السيد برهان الدجاني والموضوع علاقة العرب بأميركا وأظهر أن العرب لا يكرهون اليهود ولا المسيحيين ويحترمون انديانات كلها ولكن يكرهون من يحتل أرضهم بالقوة والمقاطعة ما هي الا وسيلة دفاع عن النفس ضد الصهيونية التي أخرجتهم من أرضهم وبيوتهم واسرائيل المعتدية بدليل أن كل البلاد العربية تتعامل مع أميركا . وتكلم رئيس (بنك أوف أميركا) عن البترول والدولار ثم دار الحديث عن التمويل والاستثمار والزراعة ومنتجاتها .

النساء المرافقات للوفود العربية

وقد آن ان اتحدث عن مرافقات الوفود العربية فقد اصطحب عدد منا زوجاتهم وكان في استقبالهن نساء عربيات من القاطنات في أميركا بذلن عناية كبيرة في الترفيه عنهن ومرافقتهن الى الاماكن الاثرية والسياحية وذلك في كل مدينة قصدنا اليها ، فشكراً لهن .

وزير سعودي يتكلم

وفي احدى الامسيات وبعد عشاء كبير حضره العرب والأميركيون وكسان الجميع ينتظرون قدوم المكرم الدكتور سليمان السليم وزير التجارة والصناعة في السعودية حيث وردت برقية تعلم الوفد بحضوره ، وانتظره الجمع الكبير حتى وصل ، فأتى رأسا الى المنصة وألقى خطابا قوميا ضد الاجراءات التي صدرت ضد المقاطعة العربية لانها حق من حقوق العرب . فشعب من الشعوب العنصرية تساعده أميركا على اغتصاب اراضي الشعب الفلسطيني وتخرجه من أرض وطنه وداره وتشرده الى النيام ،

هل ليس له الحق في الدفاع عن نفسه ؟ واستمر يشرح بجرأة وفي أربعين دقيقة ما تقدمه السعودية لاميركا في حين أن اميركا لا تقدم شيئاً للسعودية وعلى العكس يعترض أعضاء في الكونغرس على طائرات تريد شراءها هي أو مصر وذلك ضد مصالح الاقتصاد الاميركي . وتكلم بشأن تهديد لاميركا اذا هي أصرت على تحيزها للسافر .

وفاة مفترب

وهنا في لوس أنجلوس فوجئت بنبأ وفاة المفترب الاميركي السيد جورج مردكيان الذي ذكرت حديثه في رحلة سابقة الى الولايات المتحدة فأسفت لذلك أسفا شديدا وتذكرت زيارته لدمشق والحفلات التي أقيمت على شرفه ومنها حفلتنا في (العدمل) مما يعني صداقة وطيدة ، وكان كتابه عن مراحل حياته قد أبكاني مرات عند قراءته، وقد توفيت زوجته قبله ، ولم يترك ذرية وترك لسمعته كتاب حياته وهذا أحسن ما يتركه الانسان .

* * *

الرحلة الحادية عشرة

كانون الاول ١٩٧٨

ألى الهند ذات الحضارة العريقة

لم أكن زرت الهند سوى مرة عابرة قضيت فيها يومين في بومباي عند عودتي من كوريا الجنوبية وقد سبق ذكرها . فلما تقرر عقد اجتماع بين اتحادي الغرف التجارية العربية والغرف الهندية وذلك بالتناوب فمرة في الهند ومرة في الوطن العربي ، فقد قصدت إلى دلهي لحضور الاجتماع الأول .

وكان برنامجي يضم أربع نقاط أولها استعراض واقع العلاقات الاقتصادية والتجارية ، ثم دراسة امكانية اقامة مشروعات مشتركة ، ثم تنظيم التعاون بين الغرف ، وأخيرا تحديد موعد ومكان الاجتماع المقبل . وكان في برنامج الزيارات بعد نيودلهي أن نذهب إلى كلكتا في خليج البنغال شرقي الهند ، وبومباي في غربها .

عرضت على اخواني في الغرف العربية الامر ليروا من يريد الذهاب الى هذا اللقاء لانني كنت غير مهياً صحياً اذ كان صوتي مبحوحاً من الزكام كما استقبل المهنيين لعودتي من الحج ومنشغلاً باجتماع الغرف العربية والاشتراكية إلا أن الجميع اعتذروا وأصروا على ذهابي فلم يبق بد . وقد أعانني الله بولدي الدكتور راتب الذي عرض موافقتي مما يخفف أعبائي ويؤمن راحتي ويحل عقدة لساني بالترجمة الصادقة الناصحة ، وكان قد لمس بقطنته ودكانه أن هذه الرحلة تفيئ البلد وتفيدني صحنة ومعرفة ولولاه لما استطعت الذهاب رضي الله عنه وبارك له .

وبعد التشاور مع المسؤولين وذوي الشأن بالموضوع قصدنا الى الكويت وكان على الطائرة بعض الوفود المنفضة من الاجتماع مع الغرف الاشتراكية ومنهم السيد عبد المجيد الفربلي من الكويت الذي ساعدنا كثيراً في تأمين أمورنا ودعانا الى الفداء في شيراتون الكويت .

ومن الكويت سافرنا الى الهند بالطائرة الانكليزية فوصلنا الى نيودلهي حيث استقبلنا أعضاء الغرف التجارية وأنزلونا في فندق كونتيننتال . وقد بلغ السفير

المسوري الاستاذ عبد الله الخاني قدوم وفد سوربي فحضر للفندق واصر على نزولي في داره فلم اتمكن من تلبية الطلب نظرا لوجود بقية الوفد ، لذلك دعانا لحفلة عشاء وسهرة في داره ودعا جميع أعضاء الوفد العربي والهندي الى هذه الحفلة التي كان عدد من حضرها يتجاوز ٦٠ مدعوا . وكانت المائدة مملأى بجميع أنواع الطعام الهندي والعربي وقضينا سهرة ممتعة في دار فسيحة ووجهه عربي عريق يحدث ضيوفه ، وعند المغادرة حاول ابقاءنا في منزله وبيض وجهنا تجاه الوفد بكامله .

وقد تمت الاجتماعات مع الغرف الهندية في نيودلهي وكلكتا وبومباي ، وفيها جميعا كنا نتباحث في امكانيات التعاون كما نزور الاسواق ومظاهر النشاط الاقتصادي ، وبعد انتهاء الاجتماعات قفلنا راجمين مودعين بالحفاوة .

انطباعات هندية

ان آثار الاستعمار البريطاني في الهند ما تزال ماثلة حيث زرع المشكلات الاجتماعية والازمات الاقتصادية التي ما تزال الحكومات الهندية تحاول معالجتها والتخلص منها . ومع كل الشكر لما قدمه مضيفونا لنا من رعاية وعناية فلا بد من الاشارة الى بطء الاجراءات في المطار حيث استغرقت ساعتين رغم نفوذ مضيفينا ومساعدتهم .

لم أستطع لضيق الوقت وازدحام برنامج العمل زيارة مدينة دلهي القديمة التي تحوي آثارا اسلامية وهندية عريقة كل العراقة وجميلة ، ولكن علمت ان هذه المدينة القديمة تبعد عشرة كيلو مترات عن دلهي الجديدة . وقد احسن المخططون الهنود وكانوا حكماء عندما تركوا للتاريخ مدينتهم القديمة فلم يفسدوها بالتجديد وبنوا مدينة جديدة الى جانبها في مكان خال ، وهذا يذكرني بدمشق والاطباء التي ارتكبت عند تنظيمها وتوسيعها حيث جرى التوسيع على حساب المدينة القديمة والقوطة ، فخرنا بدمشق الحضارة والتاريخ والقوطة معا ، وكان يمكن ترك دمشق القديمة التاريخية على حالها وبناء المدينة الجديدة في الاماكن الخالية والهضبات الكثيرة ، وتخطيط منطقة المهاجرين تخطيطا جديدا فيا حسرتي عليك يا دمشق يا عروس الدنيا فلم يأت احد من الحكام ليحاسب رؤساء البلديات السابقين .

وأنوه هنا بوجود آثار اسلامية كثيرة في الهند وأبرزها المساجد المتميزة والقباب البصلية الشكل التي بنيت على طراز اسلامي مع المآذن المرتفعة المزينة مما يستحق زيارة خاصة وكاملة .

ولا بد من التنويه بأن الطعام الهندي حاد لكثرة ما فيه من التوابل وهذا لا يناسبني فكنت أعوض عنه بالحلوى والفواكه . وحين وصلنا الى كلكتا كان جوها يشبه جو دمشق في الخريف واستقبلونا بقلائد الزهور كمعادة القوم هناك إلا أن المدينة لم تخف ضيقها وعدم نظافتها وقدم الابنية وفقر غالبية الناس وما يظهر من رثاءة ثياب الكثيرين ووجود المتسولين الذين يلحون بالسؤال ويلحون بالانسان مسافة طويلة . وشاهدنا العربات التي يجلس فيها من يريد الانتقال ويجرها انسان يركض بها لقاء أجر زهيد ويسمونها (الكارو) وتعتبر من وسائل النقل الاساسية ، كما شاهدنا أناسا ينسلون ثيابهم على الارصفة التي تمر فوقها المياه القذرة دون أن يستعموا الصابون ثم تنشر الملابس على قارعة الطريق .

هذا ويبلغ سكان كلكتا تسعة ملايين نسمة أما مقاطعة البنغال فسكانها مائة وخمسون مليوناً بينهم عشرون في المئة من المسلمين ، وفي العاصمة تبلغ نسبة المسلمين الثلث وحالة المسلمين جيدة بالنسبة للهنود وعندهم جمعيات خيرية تسعف فقراءهم ومعهد ديني لتعليم القرآن الكريم وهم يقبلون على العلم الآن . وفي كلكتا ألف مسجد زناً أحدها ويتكون من أربعة طوابق فوجدنا عدداً يتلو القرآن وشيخاً يتكلم العربية ولكن المسجد غير نظيف وفرشه غير مناسب .

وكان مرافقنا مسلماً هندياً ثرياً تعرف فعليه ابني الدكتور راتب وعنده آلات لخياطة الاكياس (الشوالات) فأحب ابني أن يأخذ فكرة عن هذه الآلات ورافقه الى المعمل ثم زرناه في داره وهي قصر مليء بتحف تبهر الانظار فلاحظنا بذلك وجود الفوارق الطبقيّة الواسعة نتيجة لسياسة المستعمر البريطاني الدائمة حيثما حلت قدماء .

وقد استعجل أعضاء الوفد الرحيل من كلكتا خلاصاً من ازدحامها ومناظرها فانتقلنا الى بومباي ونزلنا في شيراتون وهو من أفخم فنادق هذه السلسلة في العالم . وفي اجتماعات بومباي هيأت كلمة ترجمها وألقاها نيابة عني السيد الياس غنطوس المدير المعاون للسيد برهان الدجاني في اتحاد الغرف العربية ، وكانت كلمة مرتقة

سر منها الهنود والبسوني قلادة ورد مما يقدمونه لزوارهم الكبار ، ثم قدموا لي شعار
الغرفة وأخذنا صوراً تذكارية . وكان أبرز ما أثير في الاجتماع مشاكل شحن البضائع
وعقباته وسياسات التصدير وعدم التقيد بالمواعيد ، وكانت تسود الأحاديث مشاعر
الود والمحبة والصراحة .

وأقيمت في فيندقنا مأدبة على شرفنا حضرها القنصل السوري السيد صبحي
العجل الذي أظهر الكثير من اللياقة وكرم الإخلاق والاهتمام فشكرنا له ، ورحم الله
والده السيد عبد الله العجل الذي كان من كبار تجار دمشق وأسس مجلتي الهند ،
وكان صديقاً للمرحوم شكري القوتلي ، فإلى السيد صبحي العجل الذي حضرنا في فيندقنا
والسيد عبد الله العجل الذي حضرنا في فيندقنا واليهما نشكرنا على ما فعلنا في فيندقنا
والسيد عبد الله العجل الذي حضرنا في فيندقنا واليهما نشكرنا على ما فعلنا في فيندقنا

والسيد عبد الله العجل الذي حضرنا في فيندقنا واليهما نشكرنا على ما فعلنا في فيندقنا
والسيد عبد الله العجل الذي حضرنا في فيندقنا واليهما نشكرنا على ما فعلنا في فيندقنا
والسيد عبد الله العجل الذي حضرنا في فيندقنا واليهما نشكرنا على ما فعلنا في فيندقنا
والسيد عبد الله العجل الذي حضرنا في فيندقنا واليهما نشكرنا على ما فعلنا في فيندقنا
والسيد عبد الله العجل الذي حضرنا في فيندقنا واليهما نشكرنا على ما فعلنا في فيندقنا
والسيد عبد الله العجل الذي حضرنا في فيندقنا واليهما نشكرنا على ما فعلنا في فيندقنا
والسيد عبد الله العجل الذي حضرنا في فيندقنا واليهما نشكرنا على ما فعلنا في فيندقنا
والسيد عبد الله العجل الذي حضرنا في فيندقنا واليهما نشكرنا على ما فعلنا في فيندقنا

والسيد عبد الله العجل الذي حضرنا في فيندقنا واليهما نشكرنا على ما فعلنا في فيندقنا
والسيد عبد الله العجل الذي حضرنا في فيندقنا واليهما نشكرنا على ما فعلنا في فيندقنا
والسيد عبد الله العجل الذي حضرنا في فيندقنا واليهما نشكرنا على ما فعلنا في فيندقنا
والسيد عبد الله العجل الذي حضرنا في فيندقنا واليهما نشكرنا على ما فعلنا في فيندقنا
والسيد عبد الله العجل الذي حضرنا في فيندقنا واليهما نشكرنا على ما فعلنا في فيندقنا
والسيد عبد الله العجل الذي حضرنا في فيندقنا واليهما نشكرنا على ما فعلنا في فيندقنا
والسيد عبد الله العجل الذي حضرنا في فيندقنا واليهما نشكرنا على ما فعلنا في فيندقنا
والسيد عبد الله العجل الذي حضرنا في فيندقنا واليهما نشكرنا على ما فعلنا في فيندقنا

والسيد عبد الله العجل الذي حضرنا في فيندقنا واليهما نشكرنا على ما فعلنا في فيندقنا
والسيد عبد الله العجل الذي حضرنا في فيندقنا واليهما نشكرنا على ما فعلنا في فيندقنا
والسيد عبد الله العجل الذي حضرنا في فيندقنا واليهما نشكرنا على ما فعلنا في فيندقنا
والسيد عبد الله العجل الذي حضرنا في فيندقنا واليهما نشكرنا على ما فعلنا في فيندقنا
والسيد عبد الله العجل الذي حضرنا في فيندقنا واليهما نشكرنا على ما فعلنا في فيندقنا
والسيد عبد الله العجل الذي حضرنا في فيندقنا واليهما نشكرنا على ما فعلنا في فيندقنا
والسيد عبد الله العجل الذي حضرنا في فيندقنا واليهما نشكرنا على ما فعلنا في فيندقنا
والسيد عبد الله العجل الذي حضرنا في فيندقنا واليهما نشكرنا على ما فعلنا في فيندقنا

الرحلة الثانية عشرة - آذار ١٩٧٩

رحلة عمل واطلاع الى المملكة العربية السعودية

كان من نعم الله تعالى عليّ أن أعطاني القدرة على تحمل الاسفار البعيدة والقريبة وأنا في هذه السن ، مع أن السفر قطعة من العذاب كما قال بعض الكتاب . أما أسفاري فأحمد الله على أنها كانت متعة وراحة ومجال إطلاع على الدنيا وما فيها من غث وسمين ولولا الاسفار لما اتسع أفق النائن ولا تبادلوا التجارب والمعارف ، والمسافر يسبح بحمد الله وتهتف أعماقه (ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقنا عذاب النار . .) .

وكان سبب هذه الرحلة الجديدة اجتماع الهيئة العامة لأعضاء مجلس اتحاد الغرف العربية الذي عقد في الرياض بدعوة من اتحاد الغرف العربية السعودية ، وقد صحبني في هذه الرحلة زميلي السيد فاروق سكر ، وكان انطلاقنا يوم الجمعة ٢٣ آذار ١٩٧٩ . وصلنا الرياض بعد ساعتين وثلاث دقائق وكان في استقبالنا الشيخ محمد عبد الرحمن الفريح رئيس غرفة الرياض ومدير الغرفة الشيخ صالح ، ومعنا على متن الطائرة الشيخ عبد المحسن الزيد سفير السعودية في دمشق .

نزلنا في فندق الكونتيننتال وكان جناحي كبيرا ومريحا ولم أشعر بأي ثوع من مشقات السفر ومتاعبه . وكان في جدول الأعمال انشاء شركة الاستثمارات العربية إضافة الى مقابلات وزيارات منها مقابلة جلالة الملك خالد بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية وبعده عددا من الوزراء وأمراء المناطق . وضم البرنامج زيارات للدمام والخبر وأبها والطائف ثم أداء العمرة في مكة المكرمة وزيارة المدينة المنورة ثم جدة حيث يحضر أعضاء الوفود المجتمع اللجنة التنفيذية للغرفة الإسلامية . كان هذا البرنامج حافلا جدا وغنيا ولكنه تم بكامله بدقة وتنظيم جعلت ألسنتنا تلهج بالثناء على المملكة العربية السعودية ملكا وأمراء ووزراء ورجال أعمال .

مشاهد وانطباعات

يوم السفر وقبل الانطلاق أدت مع أخي شفيق صلاة الفجر في جامع الشيخ محي الدين بن عربي وبعد توزيع بعض عوائد الفقراء زرت قبر المرحوم والدي لقراءة

الفاحة والاستئذان بالسفر كما هي تقاليدنا في العائلة حيث نعتبر والدنا ما زال حيا ومرشدا ، ثم ذهبت الى مزرعة العدمل لمشاهدة الاعمال الجارية ، وبعد ذلك عدت الى الدار انتظر الدكتور راتب قادما من بيروت لنتحدث في بعض الامور . ولما تأخر انطلقنا الى المطار فلحق بنا هناك وكان اول ما حدثني عنه رحلة استجمام اقترحها الى تشيكوسلوفاكيا منطقة كارلو فيفاري لمدة ستة ايام او سبعة على أن تكون بلا مشاغل ولا مهمات ولا اجتماعات ولا مقابلات على أن أصطحب معي من أحب . ولدي الدكتور راتب يقف دائما هذا الموقف مني حبا بي ورغبة في كسب رضائي فكيف لا أحبه وانوه بسلوكه العالي تجاهي في كل مجال ؟ أحب أن اسجل هذا ليقراه اولاده فتشرب قلوبهم محبته وليعرفوا أن كسبي لرضا أبي أعطاني هذا الولد البار الحنون ووفقي في كل اولادي الآخرين الذين هم مثله يتفانون في طلب رضائي ، وكل ما أذكره عنه ينطبق كذلك عليهم فهو رمز لهم لانه الكبير بينهم والقُدوة وقربه مني نتيجة لطول العشرة وكثرة المرافقة والرفقة في اخلاقه ودماته . ان جميع اولادي لا يبخلون في تقديم التضحيات مهما بلغت للحصول على ابتسامة مشرقة أستقبل بها أحدهم أو كلمة حلوة تصدر من فمي ، والحمد لله . وانني لا يفتر لساني عن الدعاء لهم بالتوفيق والنعمة والمكانة والامن من غدر الزمان والرضا عليهم ومدهم بالعلم والرزق وقررة العين في الأزواج والبنين والبنات .

واذكر في هذا المجال انني لا احب التبذير ولكن ولدي الدكتور راتب يصر دائما على أن يحجز لي في الدرجة الاولى حتى اكون اكثر راحة وأبعد عن الضجة والازدحام جزاءه الله خيراً .

الرياض بين الامس واليوم

زرت الرياض منذ عام ١٩٥٧ بدعوة من الشيخ يوسف ياسين رحمه الله وكان وكيل وزارة الخارجية السعودية آنذاك بسبب خطوبة ابني راتب لابنته عنود ، وكانت زيارة ممتعة حيث حضرت فيها حفلتي عشاء مع جلالة الملك سعود بن عبد العزيز رحمهما الله .

ولكن (رياض) تلك الايام كانت لا تحوي سوى شارع كبير واحد اسمه شارع

الوزير وفندق واحد اسمه اليمامة ثم الفراغ والارض الخالية . أما (رياض) اليوم فتمتد عشرين كيلو مترا فيها الشوارع الطويلة الواسعة والابنية الفخمة . وكان ثمن متر الارض في الرياض السابقة لا يزيد على سبعة ريالات أما اليوم فيتراوح ثمن المتر بين خمسة وخمسة وعشرين الف ريال وقد أصبحت مدينة عالمية .

افتتاح المؤتمر

في مقر الامانة العامة للغرف السعودية افتتح المؤتمر بالتلاوة الكريمة ثم عرض جدول الاعمال موسعا وأبرزه ما سبق ذكره واتخذت القرارات المناسبة .

ثم أقامت غرفة تجارة الرياض حفلة في برج المياه الذي يرتفع ستين مترا عن الارض ويطل على مدينة الرياض وبواسطته توزع المياه على المدينة وهو من المعالم الحضارية المتميزة في المملكة . ثم شاهد أعضاء الوفود نادي الضباط لمناسبة حفلة سمو الامير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع والطيران التي أقامها في هذا النادي الواسع ذي الحدائق المنسقة والبالغ أقصى درجة البهاء والفخامة بما في ذلك قاعة مكيفة تتسع لألف مدعو ، وقد حضر هذه الحفلة الدكتور سليمان السليم وزير التجارة السعودي الذي تربطني به معرفة سابقة .

كما اقيمت حفلة في نادي الفروسية الذي يجمع بين الجمال وروعة التصميم الهندسي والغنى بالاثاث وكان جلوسي في هذه الحفلة الى جانب الشيخ محمد با الخيل وزير الاقتصاد السعودي فذكرته بهدية كان قدمها لي وهي مجموعة من النقود التي صدرت أيام المغفور له الملك فيصل وقد وصلتني بواسطة أحد كبار موظفي الوزارة وهي قطعة نقود ذهبية وقطعتان فضيتان في علبة أنيقة وشكرته عليها . وأقول أنني بالمقابل قدمت للسيد الوزير ولوكيل الوزارة ما استطعت من هدايا قيّمة اعترافا بالجميل .

مقابلة جلالة الملك خالد

وفي أحد القصور الملكية وقاعة منه تتسع لاكثر من مئة شخص قابل أعضاء الوفود صاحب الجلالة الملك خالد واستمعوا الى تمنياته الصادقة للمؤتمر بالنجاح ليكون خطوة على طريق توثيق العلاقات بين أقطار الوطن العربي .

الدمام والخبر في البترول

وبعد طيران خمس وثلاثين دقيقة وصلنا إلى الدمام وكان الاستقبال رائعاً من رئيس وأعضاء الفرقة التجارية في الدمام ، ثم انتقلنا إلى فندق الخبر الذي يملكه الشيخ محمد القصبي وأخوه الشيخ أحمد ، ووجدت جناحاً كبيراً مريحاً محجوراً لي وقد حجز مثله للزملاء الأكارم في الفرقة التجارية للقويبة ، مما وفر لنا جميعاً الراحة والمتعة .

جامعة البترول في الظهران

بعد الفداء في الفندق بطريقتي المألوفة المفتوحة ذهبتنا لزيارة جامعة البترول التي افتتحت عام ١٩٦٤ وهي ضخمة واسعة كثيرة الإبنية وطلابها أربعة وثمانون بالمئة منهم سعوديون والباقيون ينتمون إلى خمسة وثلاثين بلداً عربياً وأفريقياً وإسلامياً ، عدد أسانذتها مئتان وخمسون أستاذاً متفرعاً للبحث والتدريس ومدة الدراسة زادت إلى أربع سنوات تسبقها سنة تحضيرية باللغة الانكليزية لأن الدراسة في الجامعة بهذه اللغة الآن مع محاولة لتعريب التدريس فيها . تضم الجامعة أربع كليات للإدارة الصناعية والهندسة البترولية والهندسة المعمارية والدراسات العليا ، وتخرج منها في ثمان سنوات ٣٠٥ طلاب وسيرتفع العدد إلى ستمائة في فترة مماثلة . هذا وفي الجامعة قسم للبحوث ومخبر للزبوت ومكتبة ضخمة وقاعة واسعة للحاسب الالكتروني . وقد زرناها جميعها وشاهدنا شريطاً وثائقياً عن قصة البترول في السعودية ومشقات التنقيب في الصحاري الجرداء والآلات الضخمة التي استخدمت في التنقيب والاستخراج .

قصة البترول في السعودية

وبهذه المناسبة فقد كان البترول قد اكتشف أول الأمر في السعودية عام ١٩٣٢ في عرض البحر . وفي عام ١٩٣٣ اتفق السعوديون مع شركة المانية حفرت عشرة آبار ولكن النتائج لم تكن مرضية فلم تكن الكميات تجارية يمكن تسويقها فقررت الشركة تعميق الآبار حتى وصلت إلى ١٥٠٠ قدم تحت سطح الأرض فبمسارات الكميات المستخرجة تجارياً ولذلك اسميت البئر السابعة بئر البركة ، وأعيد فاضت منها الخيرات إذ أنتجت من عام ١٩٣٨ وحتى الآن ٢٣ مليون برميل .

وأول ناقلة حملت بالبتروال السعودي انطلقت عام ١٩٣٨ . ثم جرى الاتفاق مع شركة آرامكو فتوسعت في التنقيب . وفي عام ١٩٧٢ دخلت السعودية شريكا بحصة ٢٥٪ ثم ارتفعت النسبة في عام ١٩٧٤ الى ٦٠٪ . وفي رأس تنورة معمل لتكرير النفط الخام كان يكرر خمسين ألف برميل من البتروال الخام في كل يوم ، أما الآن فيكرر ٤٥٠ ألف برميل في اليوم الواحد . ويتراوح عمق الآبار اليوم بين خمسة آلاف وسبعة آلاف قدم .

ان بريطانيا لم تتفق مع العائلة الهاشمية الا لتستولي على البتروال لأن الدراسة ابتدأت بالكويت قبل عام ١٨٩٥ وبعد الحرب العالمية الاولى وبعد سقوط الدولة العثمانية ولما علمت بريطانيا بوجود البتروال حرضت الامير عبد العزيز على الشريف حسين حتى وصل الى جده آخر المرحلة لانتهاء الهاشميين من الحجاز غير أن البتروال بعد تجربته لم يعط المطلوب وعندما دخلت الشركات الاميركية وزادت بالحفر وظهرت كثافة البتروال بشكل غير موجود في جميع منابع البتروال بالعالم ودخلت الحرب العالمية الثانية وبريطانيا منهارة من قبل الحرب وزادت أعباؤها بالحرب بينما امكانية أميركا واسعة لذلك نزلت أميركا بثقلها على السعودية وأصبحت الكلمة لها .

زيارة امير المنطقة الشرقية

وزرنا امير المنطقة الشرقية المقيم في الدمام وكان حظي أن اجلس على يمينه . ذلك ان المتقدمين بالرسميات كانوا الشيخ عبدالعزيز الصقر ومحمد علي بدير وسيف الفريز وبدر الدين السلاج ، فكان زملائي هؤلاء يقدمونني على انفسهم في كل المناسبات في الدخول والخروج والحديث والمناقشات فشكرا لهم وجزاهم الله عني كل الخير لذوقهم وادبهم .

وبعد استقبال الامير زرنا ميناء الدمام وهو من أحسن مرافئ العالم في توفير المستويات الفنية ودقة التنظيم والحدائة .

ثم ذهبنا الى المنتجع السياحي المزمع انشاؤه في منطقة الجبل التي تبعد مئة كيلو متر عن (الخبر) وتناولنا الفداء في غرفة متنقلة مسبقة الصنع تتسع لأكثر من مئتي مدعو .

وقد كان في هذا المكان ميناء بحري صغير لصيد السمك والفوص على اللؤلؤ فتجولت المنطقة لأن تكون مقراً لميناء بحري كبير ومدينة صناعية تنتج فيها أضخم الصناعات . بدأ المشروع من سنة وطول المرفأ المزمع انشاؤه ١٤ كيلو متر مع طرقات ومستودعات ، أما المدينة الصناعية فسوف تتسع لنصف مليون شخص وتنشأ فيها أضخم الصناعات وأثقلها كصناعة الصلب والحديد وينتج المعمل في العام الاول من تشغيله ٨٥٠ الف طن من الاشياء المصنعة ثم يزداد الى خمسة ملايين طن في السنة . يبدأ المعمل اول الامر بالاعتماد على خام الحديد المستورد ريثما يتم استخراج الحديد الخام من الارض السعودية ، وهناك مشروع لانشاء مصانع كيماويات ، وآخر لانشاء مصفاة بترول يصدر انتاجها الى خارج البلاد ، ومركز لتجميع الغاز وتصديره ومستودعات واسعة للخرن . والمشروع مفخرة من مفاخر التصميم والعزيمة العربيين التي تعمل على سد الفجوات واستدراك العمر حتى يلحق الوطن العربي بركب التقدم الحضاري وتستعيد العروبة مكانتها السامية التي كانت في يوم من الايام محط انظار الانسان في كل المعمورة ...

* * *

الرحلة الثالثة عشرة - أيار ١٩٧٩

الى المغرب الاقصى من الوطن العربي

لكل رحلة متعتها ولكن هذه الرحلة التي قادتنا الى الجناح الغربي من الوطن تذكر بدمشق وأمجادها ولا سيما مدينة ناس فزائرها يظن انه يطوف في حي دمشق من حيث نمط الحياة وطباخ الناس والمحيط . ومن الاشياء الجميلة ان هذه الرحلة أُنحت لنا زيارة الأندلس وآثار الجدد .

كانت الرحلة لمناسبة مؤتمر اتحاد الفرف العربية للتجارة والصناعة الذي عقد في الرباط عاصمة المملكة المغربية وكان رفاق الرحلة أعضاء الوفد العربي السوري من غرفتي التجارة والصناعة وبعض رجال الاعمال . وقد كان من الامور الصعبة تشكيل الوفد لكثرة الطلبات في حين ان العدد محدود .

حطت بنا الطائرة السورية في الدار البيضاء ومنها ذهبنا بالسيارات الى الرباط حيث جرى افتتاح المؤتمر من قبل مندوب الملك المغربي الحسن الثاني . وبعد الافتتاح جرت جلسات ومقابلات ومناقشات حول أعمال المؤتمر ومن جملة الامور تعليق عضوية مصر بناء على طلب مندوب فلسطين وأخيرا صدرت التوصيات والمقررات كالمعتاد . وكان من المدن التي زرتها الدار البيضاء وفاس ومكناس وعددا من القرى الجميلة كما تمتعنا بجولات سياحية .

مشاهد وانطباعات

انني ممن يؤمنون بفوائد الرحلات التي توسع الافق وتنمي المعارف والمدارك ولذلك كنت أبادر اليها مهما كانت مشقاتها ونفقاتها . ولكن شيئا هاما خطر ببالي أثناء هذه الرحلة وهو أهمية الرحلات الداخلية في كل قطر عربي أولا ثم ضمن اقطار الوطن العربي فهي تشد العرب بعضهم الى بعض وتخلق نوعا من النشاط في الانتاج واقتباس الاساليب في تطوير الصناعة والزراعة . فأتساءل لذلك : لماذا لا نقوم بجولات ورحلات في منطقة الجزيرة السورية وهي احدى محافظات القطر وتمتاز بانتاج الحبوب ومن أخصب المناطق الزراعية في العالم ؟ وكذلك الرحلات في الوطن العربي

والخارج فتأتي بعدها في الترتيب والوقت والتكاليف .

بعد افتتاح المؤتمر بكلمة مندوب الملك وهو الوزير الاول القى السيد سعد المعجل رئيس غرفة الدمام كلمة رئيس الاتحاد لهذه الدورة نيابة عن الشيخ اسماعيل أبو داود الذي تخلف عن الحضور لوفاة شقيقه رحمه الله . كما القى السيد عدنان قصار نائب الرئيس الدائم للاتحاد ورئيس غرفة بيروت كلمة الوفود العربية .

ثم جرت حفلة غداء في مطعم الفردوس وهو يقع على شاطئ الامم البعيد ٣٥ كم عن الرباط . وفي الاجتماع الثاني تم تعليق عضوية مصر لاشعار آخر ، كحل وسط .

وفي اليوم التالي انعقدت ندوة زراعية القى فيها استاذ من جامعة تكساس محاضرة لم تكن موفقة تلاها بحث غير موفق في مضمونها . ثم كان الغداء في دار رئيس غرفة الرباط الحاج محمد الحكم التي هي اشبه بقصر من قصور ألف ليلة أذهلنا بجماله وجمال حدائقه واتساع أبعائه التي يفتح بعضها على بعض ، والجدران مزينة بفسيفساء قديمة والابواب والنوافذ محفورة بنقوش جميلة جدا ودقيقة . وفي زاوية من زوايا الدار كانت فرقة موسيقية يزيد أفرادها على العشرة . اجلسونا على أرائك خشبية مطعمة بالصدف وحولنا هذه المناظر والموسيقا ثم دعينا الى موائد تناثرت في الحديقة وكان المدعوون نحو مئتين ، وكانت حفلة ملأى بالاطياب والمسموعات والانس . وقد أقيمت كلمة شكرت فيها صاحب الدعوة ومدحت الفرقة الموسيقية الشيقة كما القى السيدان محمد علي بدير واسماعيل أبو داود كلمتين طيبتين ، وكان الجو يرقص طربا وخرجنا ونحن نلهج بالشكر والثناء .

قصة عصامي

أما صاحب الدار فهو عصامي . فلما توفي جده لم يترك لوالده سوى دابة يحمل عليها متاع الناس بالاجرة ليؤمن عيش الكفاف لاولاده ، ثم ماتت جدته بعد وفاة جده مباشرة فاضطروا لبيع الدابة من أجل تجهيز المتوفاة ودفنها . وتابع صاحب الدعوة القصة فقال : هنا ذهب ابي الى قبر جدي وخاطبه : اهكذا تركتني وأنا ضعيف واضطرت لبيع الحمار لتدفن امي ، ليتك بقيت أنت ومات انا لانك قوي تحتل ... وانصرف دامع العين فحدثت معجزة اذ وجد في طريقه كيسا فيه بعض مال يكفي لشراء حمار صار يعمل عليه بنشاط حتى جمع مبلغا يقدر بمئة ألف

درهم (اي ما يقارب مئة ألف ليرة) ولما مات ترك أربعة أبناء وثلاث بنات . قال فائقنا نحن الإبناء على أن نترك الدراهم لشقيقانا ومضيفنا نعمل . أول الامر عملت معاونا لسائق سيارة ، ثم صرت سائقا ، ثم اقتنيت سيارة ، ثم صارت أكثر من سيارة . ثم صار عندي محطة محروقات ، وهكذا حتى صار عندي خط من السيارات لنقل الركاب ، وها أنا بحمد الله كما ترون . . .

ان صاحب هذه القصة ، مضيفنا في قصره الاسطوري ، هو الآن وكيل سيارات رينو وسيارات مرسيدس ولديه أسطول من سيارات نقل الركاب في كل مدن المغرب كما توسع فصار عنده مراكب للنقل البحري ، ويمالك ابنية في الرباط وفي أكثر مدن المغرب وعنده قرى ومزارع تنتج في كل عام ١٤ ألف طن من الحمضيات والعنب وستة آلاف رأس بقر هولندي حلوب وأغنام لا تحصى . وقد أحضر أخوته الثلاثة وجعلهم شركاء في العمل والملك وهذا لا شك من رضا الله ورضا الوالدين ! . . .

وقد زرنا مركزا لاصلاح السيارات يملكه وفيه اجنحة للقطع ولانواع السيارات ومكاتب وتراقب الاعمال عن طريق الشاشات التلفزيونية وتضبط الحسابات بالحاسوب الالكتروني .

في الدار البيضاء

بين الرباط والدار البيضاء مائة كيلو متر قطعناها بسيارات مريحة لنزور معرضا للصناعات اليدوية التقليدية المتقنة والصناعات المغربية الحديثة المتقدمة ، كما فيه اجنحة اجنبية . وقد استقبلنا في المعرض أمين العاصمة (يسمونه عامل العاصمة) وجرت لنا مقابلات اذاعية وصحفية .

ثم ذهبنا لتناول الغداء في دار واسعة تحيط بها حديقة كبيرة يملكها رئيس غرفة تجارة الدار البيضاء السيد عقيل بانجم ، وكان في الدار موسيقيون ومطربون ومطربات وسادت الغداء اجواء من السرور والمرح والقيت كلمات عديدة من بينها كلمة القينها شاكر ا مضيفنا ومتحدثا عن شركة المقايضات ومنافعها ومردودها الحسن وحذرت من فشلها لانه يعود بسمعة سيئة على اتحاد الغرف العربية . وكانت الحفلة لا تقل في روعتها عن حفلة رئيس غرفة الرباط .

ضريح السلطان محمد الخامس

وقد زرنا في الرباط ضريح السلطان محمد الخامس وكان في استقبالنا عند المدخل أمين العاصمة ولواء متقاعد في الجيش أخذ يحدثنا عن تاريخ الرباط المدينة وقال ان الرباط اتخذت مقرا لسكنى المسلمين الفارين من الاندلس الناجين من مذابح الاسبان الرهيبة التي عملت على تصفية المسلمين تصفية جسدية كاملة . وقال ان مسجد الرباط الكبير كان قد دمره الزلزال تدميرا كاملا لا تزال بعض آثاره ماثلة . أما الضريح فقد انشئ منذ تسع سنوات والى جانبه مسجد فخم حوى أئمن التحف وأجمل الفسيفساء والنقوش العربية واشتغل فيه مائتا عامل من العمال المهرة أربع سنوات متتاليات وقد أوقف الملك الحسن الثاني للمسجد والضريح أوقافا عديدة .

شاهد على البطولة

وتبين لي من حديث اللواء المتقاعد أنه تعلم في مصر وأكمل علومه في المغرب وحارب في الجولان عام ١٩٧٣ الى جانب القوات السورية مع العميد الشهيد عمر الابرش . وقال انه كان مع العميد الابرش ويده ظرف مخنوم فيه خطة الهجوم فجمع الضباط والجنود وخاطبهم بأن يضعوا نصب أعينهم الشهادة أو النصر ، وبدأت الحرب وبعد ثلاثة أيام كان العميد الابرش في عداد الشهداء الأبطال رحمه الله وأسكنه فسيح جناته .

الاجتماع الختامي

وأخيرا عقد الاجتماع الختامي بحضور وزير التجارة المغربي الذي أجلسني على المنصة الى جانبه ومعنا السيد محمد علي بدير وتليت التوصيات والمقررات وألقى رئيس الغرفة المغربي كلمة الختام وتكلم السيد محمد علي بدير عن الوفود فشكر الملك الحسن الثاني وحكومته والغرف المغربية والشعب المغربي الشقيق على الحفاوة والتكريم .

وقبل أن ينتهي الاجتماع قدمنا هدية دمشق وهي قطعة أثرية من الفسيفساء كتب عليها : روى الحسن عن أبي الحسن عن جد الحسن أن أحسن الحسن الخلق الحسن . . . ورجونا رئيس المؤتمر أن يقدمها الى جلالة الملك نيابة عنا .

فاسى ومكنساس

وقبل السفر زرنا فاس في حين كانت تنعقد فيها قمة الملوك والرؤساء العرب
وزرنا مسجدها الكبير والتقىنا بعض الزملاء . ثم قصدنا الى ضواحيها حيث توجد
منتجعات سياحية ومياه معدنية تعبأ للشرب وزرنا بلدة ايفران التي ترتفع
١٦٠ متر عن سطح البحر وتناولنا الطعام فيها كما زرنا الشلالات الجميلة التي تنحدر
الى واد جميل كله احراش .

ولا بد من التنويه هنا بحفاوة السفير السوري السيد عصام النائب الذي عابنا
لاننا تأخرنا بزيارته ودعانا على عشاء ومنامة غير أننا كنا حاجزين للسفر فشكرناه
واعتذرنا . وكذلك بلطف السيد الغرباوي مدير غرفة الرباط وآنسه وكرمه .

* * *

الرحلة الرابعة عشرة - أيار ١٩٧٩

الى الاندلس

كانت رحلتنا الى المغرب قد وضعتني امام امكان زيارة الاندلس لأول مرة ، فاخترت انسا وبعض رفاقي في مؤتمر المغرب أن نعود عن طريق اسبانيا . وكان التقى على هذه الرغبة كل من السادة ثابت المهائني وتحسين الصفدي وثابت بلال ، فبدأنا الزيارة من مدريد ، في رحلة بلا اجتماعات ولا ارتباطات ولا مواعيد .

المطار أسلمنا بدقائق الى الطريق لان اسبانيا بلد أتقن السياحة فصارت مورده الاول والمورد الاغنى في العالم . من ساعة ونصف فقط كنا في مطار الرباط وهما نحن في سيارة سياحية فخمة يقلنا فيها مندوب مع شركة سياحية تعافدنا معها مسبقا .

الطريق الى المدينة عريض محاط بالأبنية الضخمة . بالتداعي عادت الى ذهني صورة الطريق من مطار دمشق الى المدينة فقلت لماذا لا تسمح الدولة بأن تبني فيلات لها سطوح من قرميد . على طرفي الطريق وبعد كاف منه فتعمر المنطقة وتصبح أجمل وتريح الدولة رسوما عالية لقاء السماح بالبناء ؟

قال لنا دليلنا أن سكان مدريد أربعة ملايين . بلد ينتج الفاكهة ولكن لا تجد فيها من يبيع الفاكهة للاستهلاك المحلي ، وهذا فارق آخر بينهم وبيننا فنحن نأكل ما ننتجه وغيرنا يصدر أكثره . ويا ليت أننا نكتفي باستهلاك منتجنا بل نستورد فوqe هذا الشهر فاكهة ستنتضج عندنا في الشهر القادم ، وندفع الثمن مرتفعا وعندما تنتضج فاكهتنا نمنع تصديرها فتذهب هدرًا . فهل نحن محتاجون الى بطيخ من السعودية يصل قبل بطيخنا بوقت قليل ؟

من مدريد ذهبنا الى طليطله التي تبعد سبعين كيلو مترا في طريق جميلة غارقة بالأشجار والخضرة من جانبها ، وعلى الطريق استراحات لشرب القهوة وسواها وفيها معروضات للبيع من مصنوعات البلد ومنها المصنوعات الجلدية ، ولاحظنا ان مكاتب السياحة تتقاضى عمولة على ما يشتريه السائح .

تقع طليطله على هضبة عالية مغطاة بالخضرة ويحيط بها نهر كبير عليه جسر قديم وبوابة مثله بنتهما الإيدي العربية . وزرنا مسجدا قديما تم تحويله الى كنيسة لا يرتادها إلا من يأتي للسياحة ، وفي المسجد بئر قديمة كأبار دمشق . بل ان منازل طليطله وطرقاتها توحى اليك بأنك في دمشق كطلعة حمام المقدم ، وأرضها مرصوفة بالحجارة كما في حاراتنا القديمة ، والمدينة محاطة بسور بناه العرب ، وهناك قصر عربي صار مدرسة وكاندرائية واسعة أقيمت على أنقاض مسجد وبنائها فريد في العالم ، والمثدنة لا تزال ظاهرة للعيان وقد دفن في الكاندرائية الكاردينال منديس الذي ساهم في اخراج العرب من اسبانيا .

دار كدور دمشق

ووقع نظرنا على دار قديمة تشبه دور دمشق ويسكنها الآن فنان اسمه (الكريكوا) ، وفيها لوحاته الفنية . بل حتى فرش الدار قديم . ان طليطله ما تزال محافظة على شكلها الاثري القديم والسائحون الذين يتجولون فيها يشعرون نهمهم الى الاطلاع على الآثار الرائعة .

تاجر يهودي فاصلنااه وحاول أن يسرقنا

قلت ان للادلاء السياحيين عمولة على مبيعاتهم وهذا طبيعي . وقد أخذنا دليلنا الى محل كبير في مدريد افهمنا فيما بعد ان صاحبه يهودي في محله تحف نحاسية مطعمة بالذهب والفضة ، اشترينا بعض الاشياء على ان يحسم لنا عشرين بالمئة ولكنه لم يحسم سوى عشرة ، ومن جهة أخرى تمكنت ان اجعله يقبل سعرا للدولار أعلى مما حاسب به غيرنا فتضايق مني وحاول سرقة سوارين مما اشتريت ليحقق ربحه ولكنني فوتت الفرصة عليه بالانتباه وعددت الاساور قبل ان يجعلها في صرة وبذلك اخذتها كاملة .

ثابت بلال آغا

وكان رفيقنا الحلبي ثابت بلال آغا قد قابلني وعرفته منذ أربع سنوات حين حضر من غرفة حلب ضمن لجنة مكلفة بوضع ضوابط كفالات الغرف التجارية . وقد لمست منه أثناء المؤتمر تصرفات حكيمة وهو في السفر رفيق طيب وهو من رفائق

ولدي الدكتور راتب وراتب يقدره حتى يرى انه جدير بتسليم المراكز العالية .
وبذلك ترون أن راتب لا يغيب عن ذهني في كل مناسبة وقد ذكرتني معاملة السيد
بابت بلال آغا بمعاملته لي .

الى غرناطة واشبيليا وقرطبة

ذهبنا الى غرناطة في رحلة مريحة ضمن الخضرة وأشجار الزيتون والحدائق
والازهار والمناظر الجميلة من السدود والانهار والجبال المكلفة بالثلوج ، ونزلنا في
غرناطة في فندق جميل .

وفي قرطبة أقيم قصر عال فخم أريد من بنائه ان يطغى على قصر عربي موجود
في هذه المنطقة العالية ولكن القصر العربي ظل أجمل وافخم . والقصر العربي مكون
من ثلاثة أجنحة أولها للقضاء والفصل في الخصومات ، والثاني للامير يدير منه دفة
الحكم والثالث للمعيشة والحريم وفي القصر ساحات واسعة وبحرات كالتي عندنا
وبحرة القصر تشبه بحرة جامع التكية في دمشق ، وهناك نوافير يندفع منها الماء تشعر
معها أنك في دمر او الربوة حيث تنزل المياه من نهر يزيد . وفي القصر حمامات
كحمامات دمشق فيها البراني والجواني والمساطب والبحرة والمفاسد وكل ذلك في
نقوش جميلة وزينة باهرة وذوق رفيع وكتابات عربية وتفوق بجمالها أكثر الآثار
الاسلامية التي شهدتها في العالم .

كل هذا انساني تعب الرحلة واشعرتني بنشوة وفخار وذكرني بعظمة الاجداد
وخدمتهم للحضارة الانسانية ، وفي نفس الوقت أثار في نفسي الحزن لما صرنا اليه
الآن نتيجة الفرقة والتخلف والجهل . فهل صحيح أن التاريخ يجدد نفسه ؟ ..
وثارت في نفسي أمنية هي أن أسجل خواطري في كتاب ، وها انا أفعل ذلك الآن،
ولعل الله تعالى يسعف فأهيء كتابا آخر في تجارب عمري الباقية .
وخطر لي خاطر آخر هو أن اطلب من اولادي أن يتركوا جسرين من الحور من زرنا
في العدمل فلا يقطعوهما ويوصوا بذلك الاولاد والاحفاد لتبقى منا ذكرى حية يعرفون
منها كم تعبنا حتى أسسنا هذه المزرعة .

التساهل الاخلاقي

وقد ألمني ما رأيت في اسبانيا من تفكك الاخلاق أكثر مما رأيت من ذلك في مدن اميركا وأوربا فالاولاد المراهقون يفعلون كل ما يحلو لهم على مرأى من الناس ولا يجدون حرجا في ذلك . بل هناك قانون يعطي الفتاة القاصر الحق بأن تدعي في حال الحمل على من كان معها وجاءت بالطفل منه أما اذا كانت فوق الثامنة عشرة فلا حق لها بذلك . وقال لي أحد الطلبة العرب أن وجود هذه المغريات السهلة سبب في عدم نجاح الكثيرين من الطلبة . وعلى كل حال فأنا أتكلم بمقاييسنا الاخلاقية لا بمقاييسهم هم .

اشبيليا

قال دليلنا أن سكان غرناطة مائة وخمسون ألفا وفيها جامعة كبيرة طلابها سبعون ألفا . وحين وصلنا الى اشبيلية كانت اطراف الطرقات مزروعة بالحمضيات فكانت مثل اشجار الزينة . فلماذا لا نزرع طرفاننا بالاشجار المثمرة بدلا من اشجار الزينة ؟ اقترحت ذلك من سنوات طويلة عند زراعة الاشجار على طريق الزبداني ولو سمعوا لي لكان عندنا ثروة منها الآن .

والآثار العربية في اشبيليا بينها قصر عربي حولوه الى قصر للشبيبة ومعرض وهو بشكل نصف دائرة وطوله ٣٥٠ مترا وللمدينة سور يحيط بها . ومن آثارها برج في احدى الساحات العامة اسمه برج الذهب أو برج عبد العزيز وتاريخه يرجع الى ١١٥٠ هجرية .

وطرقات اشبيلية ضيقة مشينا فيها على أقدامنا كما نفعل في حارات دمشق القديمة وبنائها مماثل لما عندنا كنزلة حمام الفرمانى والزقاق الضيق ، وفي البيوت ساحات وبحرات ماء وقد رمت هذه البيوت وحولت الى أماكن أثرية يقصدها السائحون من كل أرجاء الدنيا .

وفي اشبيليا قصر محاط بسور عال عريض وعليه أبراج تفصلها مسافات كل منها ٣٠ مترا ويبدو القصر كأنما بني أمس ولا أثر للترميم فيه وهو يشبه قصر العظم بدمشق ولكن ساحته أكبر من ساحة قصر العظم وغرفته أوسع وسقفه من خشب الارز وعليها نقوش عربية والجدران مزخرفة منقوشة وفي ساحة القصر بحرة واسعة

ونوافير انيقة والنوافذ فيها زجاج ملون بارع الجمال وعليه آثار كتابة عربية واضحة .
وكان الى جانبه جامع جرى تحويله الى كنيسة .

ولاحظت ان اذانة الطابع الاسلامي عن آثار الإندلس يجري على قدم وساق ،
ولكن مع المحافظة على الآثار نفسها .

وبالبيت أننا نحافظ على آثارنا بمثل هذه البهمة والعناية .

قرطبة

من اشبيليا انطلقنا الى قرطبة التي تبعد مسافة ١٥٠ كم . في الطريق اليها مررت
بقرية فيها كثير من المآذن تحولت الى أبراج كنائس وهي تقع في منطقة حارة على النهر
الكبير وفيها سدود لطواحين المياه كانت كالتي كانت عندنا .

يقع الفندق الإنيق الذي نزلنا فيه في قرطبة في شارع ضيق كجميع طرقات قرطبة
الداخلية التي تشبه طرقات دمشق . وقد زرنا جامع قرطبة الواقع على ضفة النهر
وهو محاط بسور مرتفع يزيد عرضه على مترين والمئذنة قائمة في أحد جوانبه وهي
مربعة الشكل وضلع المربع ١٢ مترا وتستمر كذلك حتى ارتفاع ١٢ مترا ومن بعد ذلك
تضييق المئذنة وتصبح ممشوقة وعالية جدا . وقد حاول الإسبان هدم الآثار
الاسلامية ولكن أهل قرطبة احتجوا لدى البابا الذي أوقف الهدم قبل أن يأتي على كل
شيء ، ولكن جرى تحويل المساجد والمحاريب الى كنائس ومذابح وبعضها جرى من
عهد ليس بعيدا بل من ١٨٠ سنة فقط .

وقد بني جامع قرطبة على ثلاث مراحل تبعا لزيادة عدد سكان المدينة . فعند الفتح
العربي كان السكان ١٥٠ ألفا ثم ازدادوا الى مليون . وفي المسجد أحد عشر رواقا
وصحنه أكبر من صحن الجامع الأموي طولا وعرضا وقد تم بناؤه في القرن التاسع
الميلادي وكان التوسع من الجهة الخلفية لان النهر يلاصق الجامع من الجهة الامامية .
وعلى النهر أقيمت نواعير تشبه نواعير حماه أو تلك التي على نهر يزيد في دمشق قرب
جامع الشيخ محي الدين وذلك لرفع الماء من النهر . أما حرم الجامع أي القسم المسقوف
منه فمساحته ١٧٠٠٠ متر مربع كانت مزروعة بالاعمدة الرشيقة الجميلة ، وبقي منها
حتى الآن ٨٦٥ عمودا . فالقسم الذي تهدم منها هو الذي يقع في القسم المهدوم من

الجامع الذي بنيت فوقه الكنيسة والقسم الباقي يقع ضمن القسم الذي حوّل تحويلًا إلى كنيسة . وقد حاول الأسبانيون أحداث زخارف جديدة على الأعمدة الباقية لطمس معالم الإسلام وهيئات فنون الله لا يطفأ . ولا يسع الإنسان عندما يترك الجامع إلا أن يشعر بالدموع تتقاطر في عينيه .

لقد كانت الرحلة ممتعة وكان يمكن أن تكون أكثر امتاعًا لو نزلنا في فنادق الدرجة الأولى أو الممتازة من حيث الراحة ، ولكن لم يتغير الأمر بالنسبة لما يجب أن نراه وللشحنة العاطفية التي يحصل عليها زائر يهيمه التاريخ ويجب هذا التاريخ .

وقد ودعنا إسبانيا ونحن نتمنى لو نقيم أكثر في ربوعنا - أقول ربوعنا لأنها كذلك في التاريخ الحي الباقي ، أما الباقي فسياسة . . . وانطلقنا إلى روما محطتنا الأخيرة في درب الرجوع .

* * *

الرحلة الخامسة عشرة - أيلول ١٩٨١

الى الصومال في أفريقيا العربية

كانت مناسبة الرحلة مؤتمر اتحاد الغرف العربية ايضا حيث تقرر انعقاده في مقاديشو عاصمة الصومال . وكان وفد سورية يضم معي السيد عبد الرحمن العطار عضو غرفة تجارة دمشق وأمين اتحاد الغرف العربية السورية ، والسيد شفيق سكر رئيس غرفة صناعة دمشق وممثلا في المؤتمر .

انطلقنا من دمشق صباح ٣ أيلول ١٩٨١ على طائرة سعودية أقلعت بنا لنقيم يومين في السعودية لأداء العمرة وكنا في ذلك بضيافة غرفة تجارة جدة بدعوة من رئيسها الشيخ اسماعيل أبو داود الرجل الذي عمل على رفع شأن الغرف السعودية الى المكانة اللائقة والمركز الممتاز .

ومن جدة انطلقنا مع الاخوة السعوديين الى مقاديشو حيث جرى استقبال رسمي وشعبي حافل برئاسة وكيل وزارة التجارة . وبعد أن التقينا وناقشنا جدول الاعمال وقصرناه على الضروري .

وقد أتيح لنا أن نقوم بجولات اقتصادية ونطلع على المشاريع الحيوية في البلاد ، وشاهدنا واقع الصومال القائم على وجود ثروة وأرض خصبة تحتاج الى استثمار . يبلغ عدد السكان في الصومال خمسة عشر مليون نسمة وهم جميعا يدينون بالاسلام ويتكلمون لغة خاصة هي السواحلية وهي مزيج من العربية واللغات المحلية . وقد اتجه الناس الآن الى تعلم اللغة العربية ، ولكن ما زالت تسود لغات أجنبية هي الايطالية في الجنوب الذي كانت ايطاليا تحتله ، والانكليزية في القسم الذي كان يخضع لبريطانيا ، والفرنسية في جيبوتي والصومال الفرنسي . وفي الصومال جامعة وعدة كليات في العاصمة أما في بقية المدن فالتعليم الثانوي هو أقصى ما يتاح .

والشعب الصومالي ودود كريم النفس واليد يحب الضيف . والطقس استوائي وخط الاستواء يمر في أحد الامكنة وتشير لافتة اليه . والحرارة تتراوح بين ٢٥ و ٣٠ درجة في جميع الفصول .

ولما افتتح المؤتمر تنازل السيد عبد الكريم جعفر من السودان عن الرئاسة لرئيس غرفة مقاديشو السيد علي قارح . ولما أعلن أمين سر الاتحاد السيد دجاني أن اجتماعا للمستثمرين العرب سيعقد في السعودية لان غرفة تجارة جدة استضافت هذا المؤتمر على أن تتم الاجتماعات في مدينة الطائف ، وطلب أن يكون مؤتمر اتحاد الغرف العربية في الطائف بدلا من اجتماعه في الخرطوم ليكون توافق بين اجتماع المستثمرين العرب واتحاد الغرف العربية . وهنا اعترض مندوب السودان قائلا ان الترتيبات اتخذت لعقد المؤتمر في الخرطوم ولا مجال لانفائها وتأجيل اجتماع الخرطوم الى العام القادم فتدخلت نحسب الموضوع وقلت أنه يجتمع المؤتمر في الخرطوم وفي الوقت المحدد وتتخذ التوصيات بالنسبة للموضوعات المدرجة على جدول الاعمال على أن يتم التصديق عليها في اجتماع آخر يعقد في السعودية وفي مدينة الطائف حين يعقد مؤتمر المستثمرين العرب . فقبل اقتراحي بموافقة اجماعية وتخطى المؤتمر عقبة كان يمكن أن تؤدي الى خلافات . واثنت الوفود على مداخلتي واقتراحي النافع الذي حسم الخلاف كهادتي في محاولة رأب الصدع وجمع الشمل وتوحيد الكلمة .

وعند مناقشة الامور المتعلقة بغرف التجارة العربية الاجنبية المشتركة اقترحت أن يخصص قسم من دخول هذه الغرف لا يقل عن الربع ليدفع الى الاتحاد العام للغرف العربية لان هذا الاتحاد العام هو الذي يضم هذه الغرف ويتحمل نفقات اقامتها التي لا تقل عن خمسين الف دولار لكل غرفة ، كما ان الاتحاد العام للغرف العربية هو الذي يخول الغرف المشتركة بالتوقيع على الوثائق وقوائم الواردات والنفقات ، ولكن الاقتراح لم يلق القبول ولو تحقق لكان للاتحاد دخل يدعم نشاطه ويمكنه من مراقبة فعالة على دخول الغرف العربية الاجنبية المشتركة التي لا يستفيد منها سوى رئيس اجنبي ومدير عام وامين عام عربي علما أن هذه الاموال يخرج معظمها من جيوب المستهلكين العرب . الا انه تم اخيرا أخذ مبالغ من الغرف الاجنبية بحجة وجود أجهزة لها في الاتحاد وكان أفضل لو تم ذلك في حينه .

الجلسة الختامية

لا ريب في ان الصومال بلد غني وثرواته الكثيرة كامنة تحتاج الى استثمار ، وقد عبر عن ذلك المسؤولون الصوماليون في الاجتماع الختامي ولا سيما وزير الزراعة

الذي أشار الى الثروة والمزاعي والثروة السمكية ووزير الصناعة الذي تحدث عن الفرص الكثيرة مثل زراعة قصب السكر والشوندر ، فوعد اعضاء المؤتمر بدراسة أن مشروع يمكن تنفيذه في الصومال كما شكروا الحكومة الصومالية والشعب الصومالي وغرفة التجارة على الحفاوة البالغة ، وانتهت الاجتماعات .

مدينة كسمايو

الى الجنوب من مقاديشو العاصمة وعلى شاطئ المحيط الهندي أيضا تقع مدينة كسمايو التي ذهبنا اليها على متن طائرة عسكرية فوجدنا استقبالا رسميا لاننا تم طقنا على الاراضي الخصبة في جولة امتدت ١٥ كيلو مترا على طريق نصف معبد . وكان الطقوس زائعا وشاهدنا على طول الطريق الاشجار والخضار والفاكهة ومزارع الموز والفواكه والمزاعي والاعنام والابقار والماعز والانهار وخيرات لا تحصى وكل ما تحتاج اليه الايدي المدعومة بالخبرة والمال لتعطي أحسن عطاء .

ولكن الى جانب هذا كان هناك فقر مدقع يبدو على كثيرين من السكان فاللباس ازار يستر العورة فقط وقميص بسيط والبيوت من القش والحياة بدائية للغاية حتى المواشي يبدو عليها الضعف والهزال . مسكينة تلك البلاد التي قاست من الاستعمار وما زالت تقاسي بعد رحيله حتى يتم لها بناء اقتصادها وبناء ذاتها .

في معمل السكر ومزارعه - استقبالات شعبية

وقد زرنا معمل السكر الذي انسى لينتج ٧٠ الف طن سنويا ولكنه لا ينتج سوى ١٥ الف طن ، وقد تضرر من الطوفان الذي اوصل الماء الى ثلاثة امتار واتفق كثيرا من الآلات . وزرنا الاراضي التي تسقى بالمضخات ويمكن أن تكون سقياتها بسد على النهر ليحل محل المضخات بتمويل من المصارف العربية .

وزرنا مزارع الموز والمنكة واستقبلنا المزارعون بالاهازيج والرقص الشعبي وأكلنا عندهم من الخراف والفاكهة المحلية . وقد وقفت معهم انا مشاركة لهم في مشاعرهم وكذلك شارك في هذا الرقص - الذي يشبه دبكتنا - طبيب الصحة الذي رافقنا .

وحين عدنا الى كسمايو شاهدنا في طريقنا غابة طبيعية فيها جميع أنواع الحيوانات

كالسبع والفيل والنمر والذئب والثعلب وهي تعيش معا بطمأنينة وهي اليقظة إلا اذا هوجمت وتعرضت للأذى .

وزرنا بعض مصانع الجلود والاسماك واللحوم ، ومصنع اللحم يعلب يوميا لحم مائتي رأس من البقر . وهو معمل كامل يصدر منتجاته الى ألمانيا وأوروبا ، ولكنه حين زرنناه كان متوقفا بسبب الصيانة .

ولما عدنا الى مقاديشو دعانا مدير غرفة التجارة فيها الى عشاء في فندق جونا وبعد العشاء كانت سهرة ممتعة فيها الرقص الشعبي والغناء وألقى مدير الفرفة كلمة الوداع ورد عليها الشيخ عبد العزيز الصقر معربا عن عواطف الوفود وتمنياتها بأن تبرز الى الوجود أعمال عربية مشتركة في الصومال نعم بخيرها الصومال والوطن العربي .

كلمتي في استقبال الرئيس انسا

وقد استقبلنا بعد ذلك السيد رئيس الجمهورية محمد سياد باري ورحب بنا ترحيبا حارا ثم أخذ يحدثنا عن الصومال باللغة السواحلية وينقل كلامه أحد المترجمين . وقد صور وضع بلاده وما هي فيه من جهل وفقر ولذلك فاشترائية الصومال لا تؤم ولا تصادر ولا تطبق نظام الإصلاح الزراعي وانما تهتم برفع الدخل لجميع المواطنين وتعني بالتعليم . وقد تكلم بعده السيد عبد العزيز الصقر عن مشاهدات الوفد وشكر الصومال ورئيسها وحكومتها وشعبها ، وارتجلت أنا كلمة مؤثرة عما شاهدته من تأخر واقتراح الاسراع في دراسة المشاريع التنموية لعرضها على الممولين والمستثمرين العرب الذين تتوفر لديهم الرغبة الصادقة لتوظيف أموالهم في الصومال العزيز . وقد كانت كلمة خارجة من القاب ورأيت انها دخلت الى القلوب جميعا . وفي نهاية اللقاء قدمت للرئيس بعض الهدايا الدمشقية فتقبلها شاكرا .

الرحلة السادسة عشرة - ايلول ١٩٨١

الى كينيا - لاقامة غرفة تجارية عربية كينية مشتركة

كان من المقرر ان تذهب الوفود العربية من مقاديشو الى نيروبي عاصمة كينيا لعقد اتفاق مع غرفة تجارتها لاقامة غرفة مشتركة عربية كينية ، فانتقلنا الى نيروبي . ولكننا منذ المطار عوملنا معاملة غير لائقة ولا تتفق مع كوننا وفدا اقتصاديا يزور البلاد بناء على موعد مسبق ودعوة رسمية . فالاستقبال كان فاترا واخضعت الوفود لاجراءات تفتيش اجبارية ولم نجد سيارات توصلنا فاضطررنا الى استئجار سيارات لهذه الغاية ، ولما وصلنا الى الفندق فوجئنا ببرنامج مختصر لا يتعدى يوم الوصول ويوما آخر وهو لا يكفي لانجاز جدول الاعمال كما ان رئيس غرفة التجارة الكينية اعلن انه سيسافر فورا لارتباطه بمواعيد مسبقة ثم يعود بعد يومين ليوقع على الاتفاق . ولما سمعنا شروطهم التعجيزية صبرنا احتراماً لكلمتنا وانتهت المفاوضات بتأسيس الغرفة وتعهدت دول الخليج بدفع المبلغ الذي يحتاج اليه ذلك التأسيس ، وتم التوقيع بعد تعنيف شديد وجهه وزير الدولة الكيني لشؤون رئاسة مجلس الوزراء الى رئيس غرفة تجارة كينيا الذي كان سلوكه عدوانيا ، وهذا التعنيف جعله يتنازل عن شرطه القائل بتعيين مدير تنفيذي كيني يلقي دور الامين العام العربي ووقعا الاتفاق وفق الشروط المتعارف عليها والمماثلة لما تم مع اميركا وبلجيكا وغيرها . وقبل المغادرة قمنا بجولات سياحية واقتصادية واطلعنا على بعض أوجه النشاط وزرنا المناطق التي فيها اكثرية اسلامية وعربية وكان الاستقبال فيها على درجة من الحفاوة انستنا جفاء ما لقيناه في العاصمة .

غابات افريقية

على بعد ٥٠ كيلو مترا عن نيروبي اخذونا الى غابة ودخلنا الى غرف منيعة لا تستطيع الوحوش اقتحامها ومنها شاهدنا الوحوش تحيا حياتها الطبيعية تنتقل وتصطاد وتفترس على مرأى منا وهذه الغابة يمنع الصيد فيها والحراس يمنعون الحيوانات من مغادرتها بواسطة بنادق تحوي مواد مخدرة تصيب الحيوان الهارب فيخمد وعندئذ يحمل في سيارة خاصة الى قلب الغابة .

نيروبي - مومباسا

يبلغ سكان نيروبي مليوناً ونصف المليون . وتعتبر من أرقى وأجمل مدن العالم من حيث جمال الابنية وروعيتها وتنظيم الشوارع والساحات والحدائق ، والطقس فيها جميل ، ولكن الامان مفقود . . . فلا يأمن الانسان أن يركب سيارة اجرة ما لم تكن من مكتب تاكسي معروف . وفي الفنادق يجب اغلاق الابواب من الداخل . وفي المصعد يوجد شرطي للحراسة ومراقبة الداخلين والخارجين .

ومومباسا مدينة أكثرية سكانها من أصل عربي ويدينون بالاسلام ، وكان اصرارنا على تأسيس الغرفة المشتركة من أجلهم . وكدت لا أذهب بسبب تعبي ولكن الزملاء اصرروا فرافقتهم الى مومباسا وهي المدينة الثانية في كينيا ، وسكانها مليون نسمة ، وتقع على شاطئ المحيط الهندي ولها ميناء تجاري قديم الى جانبه قلعة لحمايته والدفاع عن البلاد . ولما حطت طائرتنا خف حشد كبير من أهلها لاستقبالنا على رأسهم عمدة المدينة والوجهاء والاعيان وعدد من التجار استقبلونا بحرارة . والمدينة غارقة بالاشجار والخضرة والورود ومناظرها ساحرة . ومع أن أهل المدينة من أصل عربي الا أنهم لا يتكلمون العربية بل السواحلية وهي مزيج من العربية واللفات المحلية . طفنا أرجاء المدينة ولاحظنا فقر السكان . نزلنا في فندق كبير تملكه شركة عربية كينية ودعينا فيه الى تناول الغداء على مائدة عمدة المدينة ووجهائها والقي مضيفنا كلمة عن المدينة وعن كينيا وعلاقتها الوثيقة بالوطن العربي وكان اللقاء وديا أنسى الحضور عناء السفر . وكان بين المستقبلين سيدة عضو في غرفة التجارة الكينية وهي غير مسلمة وسيدة أخرى عضو في المجلس البلدي وهي مسلمة ، وهذه أحضرت طعاما لنا طبخته في دارها تكريماً للوفود وقد أهدتني كيلو غراما من الشاي الجيد وأهديتها مدالية فيصالية .

وبعد استراحة في الفندق شربنا الشاي الفاخر وتبادلنا الاحاديث الودية ثم عدنا الى نيروبي ونحن نرى الفارق الجسيم بين الاستقباليين .

وحين كنا في مومباسا زرت مع الاخ اسماعيل أبو داود السفير السعودي وتعرفنا على استاذين من جامعة مكة المكرمة قدما الى كينيا منذ ثلاثة اشهر لفتح مدارس لتعليم اللغة العربية والشريعة الاسلامية لابناء المسلمين .

الإرقام تتكلم عن كينيا

كينيا بلد افريقي غني تربته خصبة ومناخه جميل وأرضه ملأى بكل انواع المعادن ولذلك استهدفها المستعمرون ففي عام ١٥٩٢ ميلادية بنى البرتغاليون حصنا في مومباسا ولكن العمانيين حاصروا البرتغاليين عام ١٦٩٨ وطردهم . ولكن البرتغاليين عادوا في عام ١٧٢٨ لاحتلال مومباسا وحصن (يسوع) ولكن أهل البلاد أجبروهم على التقهقر وأعلن حاكم البلاد الاستقلال عام ١٧٤١ . ولكن بعد ست سنوات قتل الحاكم فنهض شقيقه بعد مقتله واستولى على الحصن وخلص البلاد مرة ثانية وأعلن الاستقلال . ثم صارت محمية بريطانية انتهت عام ١٩٢٦ .

وقد استخدم البريطانيون قلعة مومباسا المرتفعة جدا والتي لها طريق محفور في الجبل ، استخدموها سجنا للوطنيين طوال ٦٣ عاما . وقد تنازعاها العرب والبرتغاليون وفي بعض سقوفها آيات قرآنية .

وممن لفتوا نظري أثناء هذه الرحلة الشيخ ناصر بن أحمد الزرعة من الوفد السعودي ، وهو رجل مهيب في وجهه الشهامة والعزة والعراقة والرجولة والكرم وهو رئيس غرفة تجارة الحسا في المملكة العربية السعودية وقد ربطتنا بسرعة أوامر المودة وسوف أتحدث عنه في فصل قادم عندما زرتة في مجال عمله الموفق الكبير .

* * *

الرحلة السابعة عشرة - تشرين الاول ١٩٨١

الى الصين - بلد الحضارة العريقة والنهضة الجبارة

كانت الرحلة لمشاركة وفد اتحاد الغرف العربية الذي يقصد الصين لتقوية الروابط بين الصين والوطن العربي . في هذه الرحلة صحبني ولدي الدكتور راتب والسيد عبد الرحمن العطار امين سر غرفة تجارة دمشق واتحاد الغرف العربية السورية ، بالإضافة الى مرافقة العديد من أعضاء الغرف العربية ، وكان الانطلاق من دمشق الى بيروت بالسيارة ومنها الى البحرين حيث تتجمع الوفود وتعقد اجتماعا مصغرا للتنسيق وتبادل وجهات النظر . وكانت اقامتنا في البحرين ستكون ممتعة .

تتم تعلق الطائرة الانكليزية الى هونغ كونغ - فارق التوقيت بين البحرين وبينها ست ساعات ! - ومنها الى بكين حيث يتم استقبال حافل واقامة مريحة لتجري المحادثات والجولات والمقابلات .

كانت قد وصلتني دعوات كثيرة في ذلك الوقت : واحدة لرومانيا لزيارتها بمناسبة معرض والاقامة اسبوعين مستصحبا ثلاثة أو أربعة أشخاص . ودعوة من النرفة الاسلامية في جاكارتا عاصمة اندونيسيا . ودعوة من غرفة تجارة ازمير في تركيا . فالى اين اذهب وماذا اختار ؟ وتذكرت قول الشاعر :

تكاثرت الظباء على خراش فما يدري خراش ما يصيد

ولكن ايشار المصلحة العامة دعاني لاختيار الصين فالدعوات الاخرى كانت شخصية ودعوة جاكارتا تأجلت بناء على طلبي . وفي الصين سيتم توقيع بروتوكول اقتصادي وتجاري مع البلاد العربية ولعل الله يهيء فرصا اخرى للزيارات الباقية .

الصين

كان عدد الوفد ستة عشر يمثلون سبعة أقطار عربية . وخلال الاجتماع الذي انعقد في المنامة عاصمة البحرين حدثنا السيد الدجاني عن الصينيين وأخلاقهم وأوصى بالدقة والانتباه والحذر خلال التعامل مع هذا الشعب المهذب الذي يقدر الاخلاق العالية وذكر قصة أحد التجار الذي وضع يده على خد موظفة المصعد بقصد أو غير

قصد فرفعت الموظفة الامر الى رئيسها فكان ان رحلوا هذا الرجل الى بلاده ولكن سجنوا له بضاعته وفاء لتقاليدهم التجارية . وقصة ثانية تقول ان الصينيين رحلوا الضيوف في مرة من المرات من مكان يخشى سقوطه بسبب زلزال تنبأت به مرادهم وحملوا لهم ما اشتروه من سجاد وبضاعة على رؤوسهم على الرغم من المطر المنهمر بغزارة . وقال أخيرا ان الصينيين يضعون لوحات على المطاعم التي لا تقدم لحم الخنزير لمن لا يرغبون في هذا اللحم ويجدون حراما .

وأثناء توقفنا في البحرين دعانا السيد محمد علي بدير للفداء وبعده لزيارة شركة تعمل بمواد البناء ويملك قسما منها ولها مستودعات واسعة ، والشركة نصفها لرئيس غرفة تجارة البحرين والنصف موزع بين بدير وملص وهدهد وادلبي ومنكو وغيرهم وجميعهم من أصل سوري . وأضيف بأن الطائرة حين حطت بنا في هونغ كونغ استقبلنا السيد فهد البغدادي الذي سبق أن ذكرته في زيارة هونغ كونغ السابقة ووالده السيد صياح سوري الاصل معروف بالاستقامة والوفاء والاخلاص .

في بكين

ولما وصلنا الى بكين كان الاستقبال حافلا ونقلونا بسيارات فخمة الى دار الصناعة التي تقع على شارع رئيسي وفيها فيلات متوازية في كل منها ثلاث غرف او اربع وهي ملأى بأسباب الراحة والاقامة فيها تكلف ستين الى تسعين ينأ صينياً في الليلة والفيلات الاكبر تكلف ١٢٠ - ١٧٠ ينأ . وقد أخذنا فيلا للوفد السوري وكان انطقس باردا وهطل الثلج ولم تكن محتاطين له فأبدلنا ملابسنا بسرعة .

كان اليوم الاول ٢٣/١٠/١٩٨١ مخصصا لمقابلتين وعشاء . واليوم التالي صباحه لمقابلات حرّة مع رؤساء الشركات الصينية ثم زيارة للمدينة الامبراطورية ، وفي الثانية والنصف استقبل لتوقيع الاتفاق . وفي اليوم الثالث رحلة الى السور الصيني والقصر الصيني، واليوم الرابع اجتماعات رسمية وجولات حرّة . وفي ٢٧/١٠ انفادار الصين .

معلومات

بلغ عدد سكان الصين ألف مليون نسمة من الواجب تأمين المسكن والمأكل والملبس اهم ، لذلك طبقوا بصرامة نظام تحديد النسل ليقفوا في وجه الانفجار السكاني .

فالاسرة لها ان تنجب ولدا واحدا فقط وتتعاطى النساء حبوب منع الحمل حتى اذا مات الولد سمح لهن بانجاب بديل عنه ومن اجل دعم هذا النظام حصرت بطاقات التموين فلا يعطى الرجل المتزوج أكثر من ثلاث بطاقات له ولزوجه وولد واحد . ومن انجب أكثر عليه أن يتحمل هو مشكلة اطعامه . ولكن علمت مؤخرا أن قضية انجاب البنت بدلا من الصبي بدأت تحدث مشاكل كثيرة مثل التخلص منها ولست اجزم . . .

وملاحظة أخرى وهي أن الصينيين كما بدأ من أحاديثهم يكرهون الروس . وثالثة هي أن البضائع تباع للناس بأقل كثيرا مما تباع للسائح ولاحظنا وجود نوعين من النقد واحد للمواطنين وآخر للاجانب والسواح .

بكين

مدينة بكين جميلة وغير مكتظة بالبناء والابنية العالية متباعدة والطرق واسعة وفيها ثلاثة اتجاهات للذهاب ومثلها للاياب والبيع يتم معظمه في محلات كبيرة والسيارات الصغيرة قليلة العدد. ويستخدمون وسائل النقل الجماعية كالسيارات الكبيرة ذات المقطورات والقطارات والدراجات النارية . وأكثرية السكان من قصار القامة ولكن بينهم عدد أقل من طوال القامة وهم متشابهو الوجه في نظرنا ولكن يقولون عن الشعوب الأخرى كشعبنا أنه يصعب التفريق بين واحد وآخر ويقولون أن عيوننا مائلة . . . وفي المطاعم يستخدمون مائدة مستديرة تدور بأصنافها على الجلساء وطعامهم متعدد الاصناف ولا يشربون الماء وقد يستعيضون عنه بالخمير ، وهذا ما رأيت في الحفلات .

المدينة المحرمة والتحف الامبراطورية وسور الصين

كانت المدينة الامبراطورية أقيمت قبل ٥٠٠ عام لسكن الامبراطور وموظفيه ووزرائه وسميت محرمة لأن الشعب لا يدخلها . مساحتها ٧٢٠ دونما والداخل يدفع رسما عند البوابة ومنها تبدأ القصور المختلفة وآخرها قصر الامبراطور المخصص لاجتماعاته الخاصة ويليه قصور النساء . وبين القصور واحد مبني من الخشب قطر العمود فيه يزيد على متر ونصف وبطول عشرة أمتار ويبدو القصر كأنه قطعة خشب واحدة متشابكة بشكل فني عجيب ولا يوجد فيه مسمار واحد حديدي . وفيه شاهدنا

مجلس الامبراطور وكرسیه ومجالسه مع عائلته والمقربين ، والمتحف يقع في آخر القصر وفيه أبهاء خصص كل منها لنوع من التحف الثمينة والمجوهرات التي لا تقدر بثمن لما فيها من أحجار كريمة ولؤلؤ ومرجان ، وكذلك التيجان التي يضعها الامبراطور والامبراطورة . وعند المدخل يوجد حجر (جاد) يقال أن وزنه خمسة أطنان استغرق نحته ونقله وتركيبه في مكانه نحو ثمانية أعوام .

وفي مؤسسة التنمية استقبلنا الرئيس ونوابه الستة من الباب الخارجي ، وفي قاعة فخمة تم التوقيع على اتفاقية تجارية توثق العلاقات بين الصين والوطن العربي وجرى تبادل كلمات التهنئة والتمنيات وأخذ الصور التذكارية .

وفي اليوم التالي تناولنا الافطار في السادسة والنصف صباحا ثم أخذونا الى سور الصين بسيارة كبيرة ورافقنا نائب رئيس مجلس التنمية . مررنا أولا بأراض زراعية وتوغلنا في الريف وكانت وسائل العمل الزراعي التي شاهدناها قديمة والطريق نفسها ضيقة لا تتسع لأكثر من سيارتين ولا تسمح بالتجاوز . ولما وصلنا الى السور وجدنا ساحات واسعة لوقوف السيارات ومحلات تجارية تبيع نفائس الصناعات اليدوية وبعض القطع الاثرية ولكن الجو كان باردا جدا حتى لم أستطع السير أكثر من مائة متر . يقال أن بناء السور تم منذ تسعة قرون وعلى طول خمسة آلاف ميل واستغرق بناؤه خمسين عاما وهو بعرض أربعة أمتار وارتفاع متر ونصف عن الارض والغاية من بنائه منع الجيوش من دخول البلاد وفيه أبراج للحراسة والمراقبة يختلف بعدها بحسب المنطقة .

ثم عدنا أدراجنا الى بكين من طريق آخر قادنا الى بقعة جميلة وحدائق واسعة وأبنية ضخمة وبحيرة وهناك تناولنا طعام الغداء ومن بعده شكرناهم وعدنا الى الفندق .

وجرت مقابلة مع نائب وزير الخارجية الصينية تحدث فيها عن موافقهم من العرب والقضية الفلسطينية وقال ان الشعبين العربي والصيني لهما ماض عريق وتراث حضاري والصين مهتمة الآن باستقلالها وقوت شعبها وتطويره ثقافيا ، وجرى كلام من الطرفين حول نفس المعاني الطيبة .

ثم جرت زيارة لثائب رئيس وزارة الصين في مقر رئاسة مجلس الوزراء فاستقبلنا على المدخل ودخلنا الى بهو كبير حيث أخذت الصور التذكارية مع نائب الرئيس ورئيس مجلس التنمية ومعاونيه الستة وكان الحديث في السياسة لا يخرج عما تقدم مع نائب وزير الخارجية واجابهم عنا السيدان عبدالعزيز الصقر والدجاني ، كما أقيت أنا كلمة سر منها مضيفونا .

وبعد ذلك استقبلنا سفيرنا السيد زكريا الشريقي وهو شاب من اللاذقية ومعه السيدان محمد عودة وبطرس حنا وهما دمشقيان ، والسفارة السورية جميلة جدا ووجدنا كل حفاوة ولطف وكرم . ثم زرنا السفارة الكويتية لتناول طعام العشاء بدعوة من السفير بحضور جميع السفراء العرب والمفاوضين الصينيين وكانت مناسبة رائعة لاجتماع الجميع في جو من الالفة والمحبة .

وقبل أن نغادر الصين زرنا هيئة تخطيط الدولة حيث زدودنا بقوانين معدة لتشجيع الاستثمار في الصين وهي مكتوبة بالعربية والصينية وقالوا أن القوانين قيد الدراسة والتعديل وطلبوا رأينا فيها .

دفعنا حسابنا في الفيلات واشترينا بعض الهدايا ومضينا الى المطار فوجدنا في وداعنا كبار المسؤولين في مؤسسة التنمية فسلمونا الصور التذكارية نسخة لكل عضو في الوفد وأقلعت بنا الطائرة الى هانكشو حيث هبطت الطائرة ووجدنا من يستقبلنا مندوبا عن المؤسسة ثم أخذونا الى فندق فخم من الظاهر ولكن بسيط من الداخل قضينا فيه ليلتنا في السهر والحديث والنوم لأن الصينيين لا يعتنون بالملاهي ولا يسهرون . وهانكشو مدينة جميلة ومركز للحريز الطبيعي ويقصدها الكثيرون وقربها توجد بحيرة جميلة حولها الجبال أخذنا فيها مركبا تجولنا فيه ساعة وفي قلبها جزر وفي آخرها معبد صيني يصعد اليه بخمس وثمانين درجة وبعدها بناء من ثلاثة عشر طابقا من الخشب وهو المعبد .

ثم من هانكشو ذهبنا بالقطار الى شنغهاي وكان في وداعنا رسميون وقضينا ثلاث ساعات في عربة من الدرجة الاولى وشاهدنا خلال ذلك مناظر الريف الصيني وكانت رحلة مريحة .

وفي شنغهاي دخلنا معبدا وشاهدنا الصينيين الذين يصلون فيه والمعبد قديم بني منذ ١١٥٠ سنة وعلى جدرانه الخارجية نقوش وصور بحجوم مختلفة ومتى دخل الانسان اليه شاهد تماثلا ضخما من النحاس طوله خمسة أمتار وعرضه ثلاثة أمتار وخلفه عدة تماثيل من النحاس الاصفر يتجاوز عددها خمسة عشر تماثلا وفي صدر المعبد تماثيل متوسطة الحجم وصغيرة . في هذا المعبد يصلي الصينيون ويرتلون ويسجدون على الأرض بعد الركوع وبعد كل ركعة يسجدون ثلاث مرات والجميع يرتدون لباسا موحدًا من أجل الصلاة وهم غالبا نحيلون .

شجيرات الشاي ومعبد صغير

ومررنا بقطعة أرض مزروعة بالشاي ونباته يشبه نبات المرجان الذي نعرفه في دمشق وبحجم شجراته الصغيرة . وبعد المزرعة معبد صغير فيه تماثيل ضخمة فخم لأحد ملوك الصين قتله الغزاة في هذا المكان وكان عمر الملك القليل ٣٩ سنة وفي كل طرف من المعبد تماثلان مكبلان بالسلاسل . وكما مر الصينيون أمام التماثيل المكبلة بصقوا عليها لأنها تمثل الغزاة الذين قتلوا الملك صاحب التماثيل الضخم ويقفون عنده معظمين يرددون الادعية والصلوات .

في شانغهاي

انها واحدة من مدن الصين الكبرى وسكانها يعدون عشرة ملايين . زرناها بالقطار واستقبلونا فيها استقبالا حافلا ، وانتقلنا الى المدينة بسيارة أعدت خصيصا للوفود ، وفيها حللنا ضيوفا بغيلات تشبه تلك التي نمنا فيها في بكين واجرة الغرفة فيها مائة ين صيني . وكان علينا أن نزور المعرض الصناعي ونقوم برحلة بحرية ونزور معمل القمصان الكبير ومعمل المطرقات وغيرها .

كان المعرض مساحته عشرة آلاف متر مربع شاهق الارتفاع طويل الممرات مزينا بنقوش جميلة جدا ويصور الميادين العامة . وكان بناؤه في عام ١٩٥٥ قبل انتصار الشيوعيين وشارك الروس في بنائه وتمويله . وكانت معروضاته أربعة آلاف صنف بما في ذلك الطائرات والسيارات والبواخر وغيرها من المعروضات والتحف وتماثيل الخشب والعاج والخزف والفضة والذهب وأنواع المنسوجات الحريرية والقطنية والصوفية .

طفنا فيه واشترينا بعض الهدايا والتحف ، ثم ذهبنا للصلاة في جامع شانغهاي اذ كان اليوم يوم الجمعة . ونسجل للصينيين حفاوتهم وعنايتهم بأدق تفاصيل الزيارة وما يرفه عنا وقد أخذونا الى المسجد فشهدنا بين المصلين رجلا يعطي درسا دينيا ثم صعد الخطيب المنبر وهو من عشر درجات وبيده عصا تقليدا للخطباء ، وكانت الخطبة جيدة وباللغة العربية . وبعد ذلك أقيمت الصلاة ثم تبادلنا التحية مع المصلين الذين تشع وجوههم بالايمان . هذا المسجد بني عام ١٣٥٧ هـ وعلى بابه كتبت العبارة: (إن الدين عند الله الإسلام) . وفي شانغهاي عدة مساجد يؤمها المسلمون .

اجتماع الكويت والخرطوم والطائف

وفي شانغهاي وعلى احدى الموائد ضمنى والاخ ابا عصام محمد علي بدر و ابا حمد الشيخ عبد العزيز الصقر والاستاذ برهان الدجاني مجلس تذاكرنا فيه أمور اتحاد الغرف العربية والاجتماع في الكويت قبل الذهاب الى الخرطوم ثم الانتقال الى الطائف، مما سبقت الإشارة اليه في رحلة مقاديشو ، وقرنا المضي في ذلك على أن تكون زوجاتنا معنا .

ام راتب

وعلى ذكر زوجتي أم راتب كم تمنيت أن تكون معي في هذه الرحلة وهي بالفعل مرافقة ممتازة جديرة بالاعجاب والتقدير لمرافقتها لي في الاسفار وخلقتها الكريم وتصرفاتها الحسنة وأدبها الجم ولكن ما العمل اذا كان بقية الاعضاء لم يسطحب احد منهم زوجته ؟ هذا بالإضافة الى صعوبة رحلات العمل المتعبة والتي لا توافق صحتها فالسفر كما يقولون قطعة من العذاب لا سيما اذا كان بصحبة رجال أعمال يصلون الليل بالتهار . وهكذا كنت أفكر وأنا أتمنى أن تكون معي .

شخصيات مرموقة في الوفد

هذا ويسرني أن أسجل الانسجام التام بين أعضاء الوفد وذلك بفضل حنكة ودراية وخلق بعض كبارنا كالشيخ عبد العزيز الصقر . ويحلو لي أن أسجل بعض الانطباعات عن هؤلاء وقد سجلت بعضها في باب الشخصيات الاقتصادية وأضيف اليهم من أعضاء الوفد الى الصين :

السيد عدنان قصار وهو رئيس الوفد اللبناني رئيس غرفة تجارة بيروت وصناعتها ومن أثرياء العاصمة اللبنانية وكبار رجال المال والاعمال فيها مثقف ثقافة عالية وله مركز ممتاز في الاوساط الاجتماعية والحكومية . وصلاته بالصين الشعبية متينة وله فيها أشغال كثيرة ، وهو لا يجد غضاضة في استشارة غيره . ومن يتعامل معه يشعر أنه يتعامل مع انسان يحمل قلبا طيبا وأخلاقا عالية . وقد كان والده قاضيا معروفا ثم سفيرا وكان يرغب في أن يدرس ولده الحقوق ليكون محاميا أو قاضيا غير أنه فضل التجارة وأخذ من والده أربعة آلاف ليرة لبنانية وبدأ عمله بهذا الرأسمال البسيط مع الصين التي كانت خارجة من حرب أهلية فأصاب نجاحا لم يسبقه اليه أحد . وفي هذا العام اشترى مصرف الصباغ في لبنان الذي كان أصله في دمشق تحت اسم (صباغ وسيوفي) فبانتهاى الحرب العالمية الاولى انفصل الصباغ وأسس مصرفه في بيروت وبقي أنطون السيوفي في دمشق . . ومما يذكر أن السيد عدنان القصار شارك شقيقه الاصغر وخصه بالنصف من كل أعماله .

السيد خالد العيسى من الكويت وهو شاب متحمس أديب في تصرفاته وكلماته متمكن من دينه ودينه حافظ الكثير من الاحاديث النبوية الشريفة متفهما معانيها يحترم الصغير والكبير ويتفانى في خدمة الجميع ورفقته ممتعة .

والسيد **عصام السمان** وهو سوري الجنسية موظف في غرفة تجارة دولة عمان وهو من المثقفين المؤدبين لا يتكلم الا عند الضرورة ويفهم فهما عميقا كل ما يجري ويدور .

والسيد **زهير عصفور** وهو من أعضاء الوفد الاردني ، شاب المعى له مركزه التجاري الرفيع لدى الاوساط الاقتصادية وهو متزوج من ابنة المرحوم نسيب الحجار ، من صفاته أنه يسمع ويلاحظ كل شيء دون أن يوجه انتقادا لأحد .

والسيد **عبد الكريم جعفر** من الوفد السوداني وشقيقه السيد عبد القادر جعفر . ومن أعضاء الوفد السوداني أيضا السيد عبد الرحيم وهو صاحب مكتبة شاب أديب يحفظ الكثير من الشعر والتاريخ . والسيد عبد الكريم جعفر يتحدث كثيرا عن السودان ولا يكف عن ذكر ما يحتاج اليه من مشاريع وقروض ومساعدات ، وهو طيب القلب ذو خلق كريم .

والسيد **منصور طالب** عضو غرفة تجارة مسقط وهو شاب مهذب لا يتكلم الا عندما يجد للكلام ضرورة واذا تكلم فاق المتكلمين راحة فكر وطلاقة لسان .

والسيد **جاسم** نائب رئيس غرفة البحرين وهو يتصف بالهدوء والثاني بالحديث ويقصر الحديث على كل ما هو ضروري . يقدر الناس ، ومع أنه على ابواب الستين من العمر فهو لا يتقدم عند الدخول على أحد ممن هم أكبر منه سنا .

والحقيقة التي يجب أن يقال أن رفقاء الرحلة كانوا نخبة خيرة وممتازة وظهرت منهم صفات كريمة في رحلة شاقة وطويلة . ولا يسعني الا أن أنهي حديثي عنهم بكلمة قالها أحد الشعراء ، وقد طبقوا الحكمة بحذافيرها :

احفظ لسانك لا تكن ثرثارا واذا نظقت فلا تكن مكثارا
ما ان ندمت على سكوتي مرة إلا ندمت على الكلام مرارا

عود الى رحلة الصين

فلقد زرنا خلال الرحلة كثيرا من المعالم اليدوية كالتطريز والحفر والنقش والتمثيل والاحجار الكريمة وفيها آلاف من العمال يعملون بنشاط ودون توان وينتجون سلعا كمالية تجلب للصين الخير . وأجر العامل رخيص للغاية ولباس الشعب موحد وهذا يوفر أموالا كثيرة . ولما انتقلنا بالطائرة من شنغهاي الى كانتون (اسمها الجديد كونجو) استقبلنا موظفون رسميون من مؤسسة التنمية وقد تناولنا طعام العشاء بدعوة من السيد عدنان قصار . ولفت نظرنا في هذه المدينة باعة التفاح الذين يعلقون سكيننا يقشر بها الریون التفاح . كما لفت نظرنا لافتات بالعربية كتب عليها (محل اسلامي للفظائر) . وزرنا معرضا كان في المدينة ...

وبعد ظهر اليوم الاخير في الصين الشعبية كانت لنا جولة في مدينة كونجو اطلعنا فيها على معالمها وشاهدنا النهر الذي يخترقها وتمخر فيه المراكب الكبيرة والصفيرة، وشاهدنا طرقا مرتفعة وغابات متصلة مكتظة بالاشجار . يبلغ عدد سكان هذه المدينة اربعة ملايين أما المقاطعة فسكانها خمسة وخمسون مليوناً .

وفي السادسة مساء زارنا في الفندق نائب مدير المعرض وهو مستشار بوزارة التجارة ومعه مدير التنمية وكبار الموظفين وصحبونا الى مطعم فخم قالوا انه اقدم المطاعم وبعد العشاء عدنا الى الفندق نجول في محلاته التجارية .

الى هونغ كونغ

ومن كونجو غادرنا ارض الصين الشعبية صباح ١٩٨١/١١/١ بالقطار الى هونغ كونغ وقد حملنا معنا اجمل الذكريات واستغرقت رحلتنا ثلاث ساعات لم نشاهد خلالها قطعة ارض غير مزروعة . ونزل من القطار الف وخمسمائة راكب وتمت معاملات الخروج في نصف ساعة وكان السيد فهد البغدادي في انتظارنا ، واقلتنا السيارات . وفي الطريق لاحظنا وجود البنايات الفخمة الشاهقة والى جانبها الاكواخ الخشبية البسيطة القيمة التي يلعب امامها اولاد شبه عراة حفاة الاقدام عليهم ملامح الضنك، وهذا ما جعل الناس يعتقدون الشيوعية ويكرهون الاستعمار الاوربي الذي يعمل على خلق التفاوت بين الناس ويبقى أكثرهم بين انياب الفاقة والمرض والتخلف والظلم .

رحلة العودة

وقبل مغادرتنا هونغ كونغ ناقشنا نقل اتحاد غرف التجارة والصناعة العربية الى بلد آخر غير لبنان ولكن الموضوع أجل لحساسيته في هذه الظروف . وزرنا محلات السادة اولاد داود قطرميز وهم سوريون مقيمون في هونغ كونغ منذ عام ١٩٧٣ وقالوا انهم يعرفونني ولهم مركز ممتاز .

اجتماع في نيودلهي

ومن هونغ كونغ توجهنا الى نيودلهي فوصلنا ليلا وثم في اليوم التالي عقد الاجتماع المقرر مع الجانب الهندي والقى وزير التجارة الهندي كلمة قيِّمة اجاب عليها السيد عبد الكريم جعفر . وفي المساء اقيمت حفلة ساهرة قدمت فيها فرقة هندية رقصا جميلا ، ومن بعد ذلك عدنا الى دمشق عن طريق الكويت والعود احمد . وبذلك انطوت صفحة من صفحات الذكريات ارجع اليها في ساعات الفراغ والهدوء فاستحضر الصور، وأرجو ان تكونوا رايتهم معي ما رايت ، فأنتم كنتم وما زلت في عيوني ! . .

الرحلة الثامنة عشرة - كانون الثاني ١٩٨٣

الى دبي ، ومنطقة الاحساء في السعودية

كان ذهابي الى دبي لحضور اجتماع لجنة الغرف العربية المشتركة في دبي ، وكذلك فان الشيخ ناصر الزرعة كان قد دعاني الى زيارته في الهفوف من الاحساء اثناء وجودنا في كينيا ، ووعدته بهذه الزيارة .

وكان رفيقي في هذه الرحلة ابني البار الحبيب الدكتور راتب وفقه الله هو واخوته وابناء اعمامه . وقد انطلقت بنا الطائرة في يوم الاحد الثاني من شهر كانون الثاني عام ١٩٨٣ الى الكويت ومنها الى دبي حيث كان في استقبالنا السيد نزار سردست نيابة عن الشيخ جمعه الماجد رئيس غرفة دبي . فقد كان انتظرنا في المطار لمدة طويلة وبسبب تأخر طائرنا اضطر الى أن يذهب فيؤمن الامور الضرورية لعقد الاجتماع فكانت لفتة كريمة منه .

حين وصلنا الى الفندق كان هناك السادة محمد علي بدير وحلمي الطباع وامين الحسيني وغيرهم . ولما افتتح الشيخ جمعه الماجد الاجتماع بالترحيب نقل رئاسة الاجتماع اليّ من فوره قائلاً : انسي تمرست في المؤتمرات السورية السابقة بحل القضايا الشائكة بمرونة ، وقد قبلت تكليفه شاكراً وتم الاجتماع واتخذت فيه المقررات الضرورية .

ثم تركنا دبي الى المملكة العربية السعودية فوصلنا الى الرياض ومنها الى الظهران فالحفوف حيث نزلنا في احد الفنادق . وفي الصباح ارسل الشيخ ناصر سيارة فخمة اقلتنا الى داره العامرة حيث التقانا بحب العربي لآخيه وبالمودة . ومن هناك ذهبنا الى مزرعته .

الاحساء قديما وحديشا

كانت الاحساء قديما هي الساحل الذهبي للجزيرة العربية لكثرة معادنها وكونها منطقة الفوص لاستخراج اللؤلؤ ، وشاهدنا في طريقنا اليها الكثير من آبار البترول . وتعرف الهفوف احيانا باسم (البحرية) لكثرة مياهها الجوفية وهي الآن منطقة خصبة

زراعية وفيها انتاج نباتي وحيواني يسد الكثير من احتياجات المملكة مع انها كذلك منطقة بتروول ومعادن .

وجدير بالذكر ان منطقة الاحساء او المنطقة الشرقية واسعة وتتصل بحدودها مع العراق والخليج العربي من جهتي الشرق والجنوب كما تتصل بصحراء الدهناء من جهتي الشمال والغرب ، ويقدر عدد سكان المنطقة بنصف مليون نسمة وفيها خمس وسبعون قرية لا يتجاوز سكانها مجتمعين خمسة وسبعين ألفا لان معظم السكان يعيشون في المدن الناشئة في المنطقة مثل الهفوف والخبر والدمام والظهران .

دار الزراعة

ولما زرنا (دار الزراعة) العائدة للشيخ ناصر وجدناها مكونة من عدد من الابنية الفخمة الاتيقة ولها عدة مداخل وفيها (ديوانية) اي صالة كبيرة للضيوف وصالة طعام كبيرة وجناح كامل لنزول الضيوف فيه غرفة طعام لهم ، وهناك اخيرا جناح فخم مجهز احسن تجهيز للضيوف الممتازين . ويقيم الشيخ ناصر مع زوجته وأولادهما في سكن واسع فخم ، وأولاده ستة عشر حفظهم الله وحفظ والديهم .

وقد بنى الشيخ ناصر بناء كبيرا من ثمانية طوابق ومساحة كل منها ثلاثة آلاف متر مربع فيه مسجد كبير مكيف وله مؤذنتان بارتفاع خمسين مترا وقبة ارتفاعها ستة وعشرون مترا وقطرها أكبر من قطر قبة الجامع الاموي بدمشق ، والى جانبها أربع قباب أصغر ، وحول المسجد حديقة واسعة منسقة . ويلحق بالمسجد مصلى للنساء ومكتبة وجناح خاص لحفاظ القرآن الكريم وآخر لسكن موظفي المسجد ، وكل هذا يشكل آية من آيات الجمال بارك الله يدي الشيخ ناصر وحفظه هو وأصحاب الأيادي الخيرة ...

المزرعة

وشاهدنا المزرعة النموذجية الحديثة التي تبعد عن الهفوف خمسة وعشرين كيلومترا فشهدنا أنواع الماشية من غنم وإبل وخيول وأنواع الدواجن والطيور وكل ذلك في تنسيق بديع . ويستقي المزرعة ماء غزير مدّت منه أنابيب المياه لتسقي المزرعات

بالطرق الحديثة ، وكل طرق المزرعة معبدة ومفروشة بالاسفلت ويشرف على المزرعة سوري من آل الخطيب . كما أن مدير مكتب الشيخ ناصر فلسطيني هو السيد عارف قاسم وكان فيما مضى يعمل في دمشق لدى شركة خليل مقدادي للمواد الزراعية .

عين دار الهجرة ورعاة بالسيارات !

ثم انتقلنا الى قرية تبعد أربعين كيلو مترا عن الهفوف اسمها عين دار الهجرة وفيها أيضا دار فخمة لاشيخ ناصر من طابقين حولها حديقة غناء وفيها دار أخرى للرعاة والنواير ، وكان فيها بستون ناقة تحت الولادة وأربعون ولدت وثلاثة جمال ذكور وكل الإبل أصيلة من نوع ممتاز وتساوي قيمة الناقة الاصيلة مائة ألف ريال سعودي . ومن الطريف أن الراعي الذي يصحب الإبل والنوق يمتطي سيارته لمتابعتها . ولا تغلب النوق بل يترك حليبها لاولادها .

وقد مدت عند الظهيرة موائد عامرة بالخراف والارز والفاكهة وحليب النوق الناصع البياض الحلو الذي لا يحتاج الى سكر .

معامل ومنشآت حديثة وقصة معبرة

بعد ذلك شاهدنا معلمين للاسمنت في المنطقة يملكهما الشيخ ناصر كل منهما ينتج ٣٥٠٠ طن يوميا ثم زرنا مرآبا يملكه الشيخ لتصليح السيارات مساحته ١٥٠٠٠ متر مربع فيه كل ما يلزم لتجديد السيارة بصورة كاملة وفيه ابنية لسكن العمال ومستودعات القطع ومنظم على الطريقة الاميركية ويديره رجل يماني كان يعمل عند الشيخ ناصر والده يوم كانا لا يملكان من وسائل العيش الا فرنا للخبز منه كانت البداية في معترك التجارة والحياة .

وقالوا لنا أنه في أحد الايام جاء أحد اشقاء الشيخ ناصر فوجد العامل - مدير الفرن الحالي - يصلي والفرن مشتعل ومعطل فغضب غضبا شديدا ونهر العامل وشتمه وطرده من العمل لانه اوقف العمل من أجل الصلاة . فلما علم الشيخ ناصر بذلك انسحب من الشركة التي كانت بينه وبين أخويه وأخذ العامل معه واستقل بالعمل ووقفه الله الى ما وصل اليه . وهو الآن من كبار المتعهدين في المملكة العربية السعودية

وعنده سبعة آلاف سيارة وسبعة مراتب كالذي وصفناه ومحل تجاري رئيسي في الولايات المتحدة الأميركية ، ولا ريب أن ما وصل اليه كان بسبب صفاته الحميدة وبركة عطفه على العامل الذي طردوه لانه أوقف العمل من أجل الصلاة . أما الأخ الذي طرد العامل فقد أفلس ولجأ الى أخيه فسدده عنه ديونه وأعطاه دارا وخصص له راتبا متواضعا يكفيه بلا زيادة .

ولقد مرت بي قصص رجال كبار كثيرين وصفت حالهم وتقدمهم قبل أن اجتمع بالشيخ ناصر ، وسبق أن أشرت اليهم ومنهم السادة جمعة الماجد وسيف الفرير وسعيد النابودة والشيخ اسماعيل أبو داود وكذلك سعد المعجل الذي أقام معملا لأكياس النايلون حلت محل أكياس الخيش التي كانت تستورد من باكستان وبنغلادش، وغيرهم كثير ، وكلهم كان نجاحهم وتوفيقهم من الاستقامة أما الذين جمعوا ويجمعون ثرواتهم بالطرق الملتوية فلا يدوم لهم الثراء ويذهب الحرام وأهله .

* * *

خاتمة الرحلات والكتاب

ولقد كنت قبل تدوين هذه الرحلة قد عزمت على أن أتوقف عن الكتابة لضعف بصري مكتفيا بما سجلته من ذكريات وخواطر في رحلاتي ومذكراتي ورسائلي الى اولادي وأولاد أشقائي وبعض من تربطني بهم وشائج القربى والمعرفة والصداقة ، ومكتفيا كذلك بما قدمته من دراسات وكلمات وبحوث في مجالات الاقتصاد والتجارة والخدمة الاجتماعية . وقد سجلت هذه الرحلة مع ذلك لاهميتها ، وها أنا أقدمها مع سواها .

ان هذه الذكريات والخواطر التي اشتملت على الوصف والتسجيل والوقائع بما فيها من عبر والحوادث وما رافقها من افكار ، كل ذلك آمل أن يعود بالفائدة على القارىء . وأعتقد جازما أن اولادي واحفادي سيأخذون منها دروسا ومعلومات تفيدهم وتكون عوناً لهم على السير في خضم هذه الحياة ، وتجعلهم يتسلحون بالعمل والجد والكفاح والصدق والامانة والحب ، وأنهم سيستفيدون من التعليقات التي سجلتها في كتاباتي وذكرت فيها السبل التي تمكن الانسان من الوصول الى اهدافه السامية الشريفة بتفوق ونجاح نتيجة الصدق والامانة . كما ان الاحداث والمشاهد التي رايتها في اسفاري وسجلتها يمكن ان توضح الطريق الصحيح السليم في كيفية التعامل مع الناس .

وهذه المذكرات برمتها ، ما كان منها في طفولتي وعلاقتي بأبويّ الكريمين رحمهما الله وبأهلي ، وما تعلق منها بالتعامل مع الناس ، ثم ما تبادلته من افكار مع الآخرين ومع اولادي عن طريق الرسائل ، ثم ما قدمته لوطني عن طريق الآراء والمذكرات والمقالات ، ثم ما رايتته وتفاعلت معه أثناء الرحلات ، كل ذلك يضم الفائدة ولا يخلو من الطرافة والعبرة وستكون عوناً للاجيال على التواصل فيما بينها وادراك كل جيل لما في قلب من سبقه .

ولذلك فبعد أن سجلتها يوما فيوما كنت خائفا أن يسبقني الزمان فلا أستطيع نشرها وأنا على قيد الحياة ، ولكن الله تعالى كان رحيماً بي رؤوفاً بأبنائي وعائلي ، فمدّ في عمري الى ان استطعت ان اراها تطبع لتكون خلاصة افكاري وعصارة تجاربي

مع الناس على اختلاف جنسياتهم ومشاربهم تحت تصرف أبناء شعبي والاجيال القادمة : سجلا للعصر وامثولة للحياة الحرة الشريفة ومنارا لطريق الكفاح بما يصاحبه من مشقة ومن سرور .

ولقد كنت مرتاح الضمير والحمد لله لانني ما اردت الا الخير ولا سعت الا للخير وكان هو هدي وعنواني ومعيني ، والحمد لله اولا وآخرا ، والشكر لمن ساعدوني بالجهد على اخراج هذا الكتاب . . .

والاعتذار لمن فاتني الاشارة اليهم او وقع خطأ غير مقصود تجاههم بسبب طول العهد وحسن القصد .

« خاتمة أخرى »

عندما أوشكت على الفراغ من طباعة الكتاب في اوائل شهر آب ١٩٩٠ ، بدأت احداث خطيرة تهز العالم العربي وتعصف بالكثير من استقراره وأمنه ومؤسساته القائمة ، وقد يكون بين الأثار التي تركتها ما غير الصورة المعروفة من قبل والتي وصفتها في هذا الكتاب ، أو في وجود واستقرار العديد من الشخصيات الاقتصادية العربية والمؤسسات المختلفة . انها مجموعة من المجهولات تضع المنطقة العربية والعالم بأسره على شفا أخطار ليس من الممكن ترقبها ، فليس لي والحالة هذه الا أن أصرع الى الله العلي القدير أن يلهم العرب الحكمة وأن يخرج بهم سالمين من الازمة وأن يصون الملايين من الهلاك والدمار ويجنب النخبة الممتازة من الاصدقاء الذين ورد ذكرهم في هذا الكتاب كل أذى ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

في ١٦ آب ١٩٩٠

* * *

ملحق بالاسماء الكاملة لبعض الوفود الى البلاد الاجنبية

أعضاء الوفود الى الدول الاشتراكية

لاجتماعات عقدت بين ١٩٧٧/٩/٢٨ و ١٩٧٧/١٠/٧

السادة : محمد التيجاني مدير عام غرفة تجارة عمان ، محمد عبد الجليل عضو مجلس ادارة غرفة تجارة وصناعة أبو ظبي ، جمال رشاد مساعد مدير غرفة تجارة وصناعة أبو ظبي ، بدر الدين الشلاح رئيس اتحاد غرف التجارة السورية ، يوسف الاخوان رئيس غرفة تجارة وصناعة حمص ، محمد الوزان رئيس غرفة تجارة وصناعة اللاذقية ، عبد الكريم العطار رئيس غرفة تجارة البصرة ، عبد العزيز حمد الصقر رئيس غرفة تجارة وصناعة الكويت ، يوسف ابراهيم الغانم عضو مجلس ادارة غرفة تجارة وصناعة الكويت ، سليمان العيبان عضو مجلس ادارة غرفة تجارة وصناعة الكويت ، عصام السمان غرفة تجارة وصناعة الكويت ، عدنان القصار رئيس غرفة تجارة وصناعة بيروت ، ادمون جريصاني عضو مجلس ادارة غرفة تجارة وصناعة زحلة ، محمد لمع مستشار غرفة تجارة وصناعة بيروت ، عبد الله بن لامين نائب رئيس اتحاد غرف التجارة والصناعة والزراعة الليبية ، عمر سعند الحاسي عضو مجلس اتحاد غرف التجارة والصناعة والزراعة الليبية ، علال بولوايز رئيس غرفة تجارة جدة ، عبد العزيز النوالي رئيس غرفة تجارة تازة ، الياس غنطوس الامين العام المساعد لاتحاد الغرف العربية .

وقد شارك أيضا في الجانب العربي في اجتماع الغرفة التجارية العربية البولندية السيد عزت أبو الحسن السكرتير التجاري بالسفارة المصرية في وارسو ، كما حضر الاجتماع التأسيسي للغرفة التجارية العربية البلغارية السيد عوني الناظر مندوب مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في صوفيا .

زيارة الولايات المتحدة الاميركية من ١٧ نيسان لغاية ٩ ايار ١٩٧٨

(انظر التفاصيل في الرحلة العاشرة ص . ٥٤)

اعضاء الوفد السوري السادة :

بدر الدين الشلاح والسيدة حرمه ، عادل الرفاعي والسيدة حرمه ، تيسير الفرا والسيدة حرمه ، توفيق سكر والسيدة حرمه ، عبد الرحمن العطار ، ثابت المهاني والسيدة حرمه ، رشاد الشلاح والسيدة حرمه ، الدكتور راتب الشلاح والسيدة حرمه ، أمين الدقاق والسيدة حرمه ، شفيق سكر ، محمد مهروسة والأنسة ابنته ، بشير الناصر والسيدة حرمه ، عبد الفتاح جاموس ، قاسم نور الدين ، منير ذاكري ، علي فرواتي والسيدة حرمه ، حكمت قزاز والسيدة حرمه ، فايز ربيع ، محمد الوزان والسيدة حرمه ، صابر أبو سعده ، محمد زين الدين ، منهل العباس ، عادل رضوان ، بمشاركة الدكتور جورج طعمه الوزير السابق ومندوب سورية في الامم المتحدة .

أعضاء الوفد الاردني السادة : محمد علي بدير وزوجته ، زهير عصفور وزوجته ، توفيق قعوار وزوجته ، رؤوف أبو جبر وزوجته ، فؤاد قطان وزوجته ، عصام بدير وزوجته ، انطون سوسه وزوجته ، علي غندور ، ممدوح أبو حسيان ، الدكتور جواد عناني ، عبد المهدي المويد .

وعن الكويت السادة : عبد العزيز صقر ، عبد الرزاق الخالد ، عبد الباقي النوري ، نجيب الملا ، علي رضوان ، خالد أبو السعود ، عبد الله التريقي ، جورج طعمه ، محمد خوجه ، حامد أحمد عبد اللطيف الحامد .

ومن مسقط السيدان : الشيخ أحمد بن عمير ، فعيص الهشار .

ومن أبو ظبي السيد : سعيد أحمد .

ليبيا السادة : حسن حامد مطر ، نوري عبد الصامد ، مصباح العربي ، عيسى الزوش .

اتحاد المصارف العربية : السيد لييد عبد عبد القادر عباس .

لبنان السادة : عدنان قصار ، جورج عسيلي ، أندريه تابوريان ، نجيب الخطيب ، محمد زعتري ، وليد نجا ، جوزيف خوري ، جميل شماس ، نجد مييل بدارو ، اميل بارودي .

المغرب السيد : علوي عزيز .

وعن اتحاد الغرف العربية السيدان : برهان الدجاني وزوجته ، الياس غنطوس .
ونلاحظ أن الرحلة كانت على نفقة المشاركين فيها .

المشاركون في الوفد الى الهند – كانون الاول ١٩٧٨

(ملاحظة : انظر التفاصيل ص ٥٤٨)

عن الاردن : السيدان سعيد معتوق وأمين الحسيني .

وعن الامارات العربية المتحدة : كل من السادة سيف الفرير ومحمد البخاش (دبي) وعبد الرحمن بوظاظ وعبيد الشميصي (الشارقة) وراشد عبدالصمد (الامارات) .

وعن تونس : الحبيب مجول . **وعن المملكة العربية السعودية** السادة الشيخ اسماعيل أبو داود (جده) وصالح أحمد جمال (مكة) وسليمان الراشد (القصيم) .

وعن العراق : السيد عبد الحسين محمد جواد . **وعن عمان** السيد حامد الريعامي .
وعن قطر السيدان أحمد محمد السويدي وعلي عبد الله دياب . **وعن الكويت** السيد سعود عبد العزيز الفونان . **وعن لبنان** السيد وليد نجا . **وعن ليبيا** السيدان عبد الله اسماعيل بيلامين ومحمد بيزيتون . **وعن مصر** السيد أحمد نبيل البدره . **وعن الاتحاد** السيد الياس غنطوس .

الدورة الثامنة والاربعون لمجلس الاتحاد العام لغرف التجارة

والصناعة والزراعة للبلاد العربية

الرياض ٢٤ - ٢٥ مارس ١٩٧٩ (التفاصيل ص ٥٥٢)

الحضور : عن الاردن السيد محمد علي بدير . عن الامارات العربية المتحدة السادة سيف الغرير وسالم علي القيواني وعبد العزيز المليحي وراشد الكيتوب ونزار سردست . وعن البحرين السيد عيسى علي جمال . وعن تونس السيد حبيب ماجول . وعن السعودية - الطائف - السيدان عواض سهو العتيبي . وعبد الرحمن فيصل المعمر . وعن الرياض السادة محمد عبد الرحمن الفريح ، وصالح عبد الله الحميدان ، وعبد الرحمن علي الجريسي ، وصالح عبد الله الطعيمي . وعن جدة السيدان اسماعيل ابو داود ، وهيب بن زقر . وعن الدمام السيد سعد المعجل . وعن مكة المكرمة السيدان فؤاد أمين حمدي ، وعبد الله بكر تونسي . وعن القصيم السيد سليمان الراشد الحميد . وعن المدينة المنورة السيدان عبد العزيز ساب وسعد صبر . وعن السودان السيدان علي ابراهيم مالك وعبد الكريم جعفر . وعن سورية السيدان بدر الدين الشلاح ومحمد شفيق سكر . وعن العراق السادة سعد عبد الهادي الرحيم وعبد القادر عبد اللطيف ومحمد صالح علي . وعن فلسطين السادة رفيق شاكر النتشة ومنير شفيق فراج وعبد اللطيف عثمان . وعن قطر السيدان حسين علي كمال ومحمد عبد الله المحمود . وعن الكويت السادة عبد العزيز الصقر ويوسف الفليح ومحمد عبد المحسن الخرافي وعلي العمر وعصام محمد نديم السمان . وعن لبنان السادة عدنان قصار ونجيب محمود منلا ومحمد الزعتري والفرد سكاف ومحمد لمع . وعن مصر السيدان عزت غيضان ومحمد السيد . وعن موريتانيا السيد عبد الله محمد فال . وعن اليمن الديموقراطية السيد عبد الله سالم الخضر . وعن الامانة العامة السيدان برهان الدجاني والياس غنطوس .

الى المغرب الاقصى - ايار ١٩٧٩

(التفاصيل ص ٥٥٨)

عن الاردن السيدان محمد علي بدير وزهير عصفور . وعن السعودية السيد اسماعيل أبو داود . وعن سورية السادة بدر الدين الشلاح وصائب النحاس وعبد الرحمن العطار وتحسين الصفدي وعادل الرفاعي وثابت المهاني وعمر برادعي ومحمد شفيق سكر وتيسير الحفار وصياح ياسين وياسين البيطار ومحمد مهروسة وبشير الناصر وحكمت القزاز وعلي الفرواتي ويوسف الاخوان وايدب العبد وسعيد الرفاعي وعبد السلام السبع وصبحي جود وعبد الكريم الخليلي ومحمد أوبري ونزار مملوك وثابت بلال وخالد المصري وعياش حمش . وعن الكويت السيدان عبد العزيز الصقر والدكتور محمد الخجيا .

الرحلة الى الاندلس

شارك فيها السادة بدر الدين الشلاح وتحسين الصفدي وثابت المهاني وعمر البرادعي وعبد الكريم الخليلي وثابت بلال آغا وعبد السلام السبع .
(التفاصيل ص ٥٦٢)

مقديشو - ايلول (سبتمبر) ١٩٨١

الدورة الرابعة والخمسون لمجلس الاتحاد العام لغرف التجارة

والصناعة والزراعة للبلاد العربية

(التفاصيل ص ٥٦٩)

عن الاردن السيد امين الحسيني . عن الامارات العربية المتحدة السادة : سعيد أحمد العتيبة وعبد الرحمن عبد العاطي وسهير الدروبي . وعن المملكة العربية السعودية السادة : الشيخ اسماعيل أبو داود والشيخ ناصر بن حمد الزرعة والشيخ عبد العزيز عبد الهادي القحطاني والسيد سعيد عبد الرحمن ابراهيم والسيد سالم سعيد السيود . وعن السودان السيد عبد الكريم جعفر . وعن سورية السادة بدر الدين الشلاح وعبد الرحمن العطار ومحمد شفيق سكر . وعن الصومال السادة علي فارح طهر ويعقوب أحمد و ابراهيم صالح ويوسف أدن ومحمد صلاذ وعبد الله

ديرية وعبدي برخدلي . وعن العراق السيدان فالح علي الصالح ومحمد حامد جبر
عبد الرزاق . وعن عمان الشيخ احمد بن عمير الهنائي والسيد خميس الحشار .
وعن فلسطين السيد صائب باميه . وعن الكويت السيدان عبد العزيز الصقر وماجد
جمال الدين . وعن لبنان السيد رفيق النصولي . وعن مسقط الشيخ احمد
ابن عمير والسيد خميس الحشار . وعن الاتحاد العام للغرف الخليجية السيد كاظم
عبد الحميد المهدي والسيد جلال بكداش . وعن الامانة العامة لاتحاد الغرف العربية
السيدان برهان الدجاني والياس غنطوس .

كتاب جديد لتاريخ هذا البلد

بعد أن انتهيت من كتابة مذكراتي التي أفرغت فيها مسجلة الذاكرة في الشؤون
الانسانية والاقتصادية وسيرة بعض الرجال سواء منهم المرموقون والبسطاء الذين
التقيتهم ، وجدت أنني لم أكمل واجبي في المساهمة كما أريد بتسجيل تاريخ هذا
البلد وقد كنت حذف جانباً الكثير من الامور السياسية والاجتماعية والاحداث حتى
لا يتضخم الكتاب وتعسر قراءته . ولما أوشكت على ارساله الى دار التجليد وجدت
أنني لم أوفّ هذا البلد حقه ولم أردّ على رجاله الطيبين وأخلاقه الاسلامية الاصيله
وما حواه من خيرات بما يستوجبه الشكر والوفاء وحسن المعاشرة من نقل الاخبار
فعرزمت على ان أبدا كتاباً ثانياً فيه جانب من التاريخ السياسي الذي لم يبق ممن
عايشه إلا الأقلون ، وجانباً من التعليقات حول الافكار والمبادئ والممارسات ،
وشد من عزمي علمي أن التاريخ لما يقرب من قرن كامل لا يتم إلا بأن يستوعب المؤرخ
التجارب المختلفة لرجال مختلفين من أمثالي ، ولذلك قد عزمت وتوكلت على الله
وأرسلت الى المطبعة الصفحات الاولى التي ترونها في هذا الكتاب الجديد . . .

ولكم ان تطالبوني بالمضي قدماً وتشدوا عزيمتي ، ولكم أن تحسبوها ابتهالاً
الى الله عز وجل ليوسع لي في المهلة حتى أنجز هذا الكتاب ، والله الأمر من قبل ومن بعد.

والآن : مقدمة الكتاب الجديد

في الكتاب الذي انجزته قراءته لم أسمح لنفسي بالخوض في السياسة والدخول
في متاهاتها ، فلقد نشأت منذ البداية في جو صريح من الاخذ والعطاء والتعامل الصادق

وجهاً لوجه مع الناس على أساس الوفاء بالاتفاقات واحترام الوعود وتأمين الاستحقاقات في أوقاتها المحددة ، أما السياسة فهي نوع من بيع الاحلام وتغطية النوايا بالكلام المعسول وفرض مصالح الاقوياء على الشعوب الضعيفة بشتى الوسائل التي لا اثر فيها للصدق والاخلاق والنزاهة .

ولكنني كانسان عربي عاش مرحلة التحول الصعب في حياة الامة العربية من الوحدة السياسية في ظل الدولة العثمانية الى التمزق والتجزئة بفعل المخطط الاستعماري الغربي - لا بد لي من الاحساس بسلسلة الصدمات التي توالى على الوطن ، وكنا نعيش أسوأ حلقاتها ، ونلمس آثارها في حياتنا اليومية عبر الاضطرابات والاحداث . ونرى اصابع الاستعمار الغربي تلعب بمقدراتنا وتفرض علينا عدم الاستقرار وتحول بيننا وبين احراز اسباب القوة والوحدة ، بل أنها كانت تدفعنا للتجزئة .

يعود التطلع الاوربي لاستعمار المشرق العربي الى الماضي البعيد ، والواقع أن الحروب الصليبية التي جرت في القرون الوسطى تحت قناع ديني لم تكن إلا غزواً همجياً قام به الاقطاعيون ورؤساء الكنيسة الكاثوليكية الاوربية لاغتصاب الارض والثروات ، وكانت اوربا آنذاك في حالة مزرية من البؤس والجوع والتخلف ، ولم يفعل الغزاة آنذاك شيئاً غير اقامة امارات وممالك استعمارية سرعان ما أزالها الدفاع الاسلامي المجيد ومحا آثارها في العصر الايوبي بقيادة السلطان صلاح الدين الايوبي وشقيقه الملك العادل أبي بكر بن أيوب وقادتهما الابطال .

وفي القرن الثامن عشر تجددت اطماع الاستعمار الاوربي فقام نابليون بغزو مصر وحاول اقتحام عكا فأصيب بالفشل واضطر للانسحاب من المشرق العربي حيث لاقى أكثر هزائمه مرارة ، وبعد الحرب العالمية الاولى اقتسمت انكلترا وفرنسا في مؤتمر سان ريمو عام ١٩٢٠ هذا الجزء الهام من الوطن العربي وقد نص اتفاق سايكس بيكو الذي كانت وقعته الدولتان الاستعماريتان قبل سنوات على منح سورية ولبنان لفرنسا ومنح العراق وفلسطين لانكلترا التي سبق أن تعهدت سراً باقامة وطن قومي لليهود في فلسطين .

كانت انكلترا خلال الحرب العالمية الاولى تفرر بالشريف حسين وتتعهد بتوحيد

المشرق العربي تحت رايته ، فأطلق الرصاصه الاولى في مكة عام ١٩١٦ . وبدأ الثورة العربية ضد السلطنة العثمانية اعتمادا على هذه الوعود الكاذبة التي نقلها الضابط المفامر لورانس والتي اعترف فيما بعد - في كتابه أعمدة الحكمة السبعة - بأنها كانت مجرد وعود جوفاء لا تنفيذ بها لندن ، وأنه اضطر للخداع العرب تنفيذا لمهمته .

لقد تناسى القادة العرب آنذاك تاريخ الخداع الانكليزي للعرب ، وتجاهلوا تحت ضغط الظروف الصعبة نوايا الدول الغربية لاستعمار بلادهم واستلاب ثرواتها وقبلوا العمل المشترك مع الانكليز لانهاء التسلط العثماني على الاقطار العربية تلبية لنداء الشريف حسين الذي كان يجهل الصفقات المقودة على حساب أمته . وعندما اتضحت الحقائق واصطدم عرب المشرق بالاحتلال الفرنسي لسورية ولبنان والاحتلال الانكليزي لفلسطين والعراق - لم يكن لدى الجماهير العربية من وسيلة للرد على هذا الخداع الرهيب غير الثورات المحلية .

وما كاد الملك فيصل الاول يستقر في دمشق ويباشر بتأسيس الدولة واقامة الوزارات والمؤسسات وقوى الأمن حتى فوجيء بدخول جيش الشرق الفرنسي بقيادة الجنرال هنري غورو الذي وجه اليه اندارا عاجلا يطلب منه تحت طائلة التهديد العسكري قبول الاحتلال الفرنسي وتداول النقد الورقي واقالة الحكومة العربية .

في تلك الايام من عام ١٩٢٠ كانت دمشق تغلي غضبا ، وكانت الجماهير المتظاهرة تنادي بالقتال ضد الاحتلال الفرنسي الذي انزل قواته في السواحل السورية - بما فيها بيروت - ولم يكن لبنان آنذاك إلا متصرفية صغيرة تقتصر على الجبل تتمتع باستقلال اداري فرضته لندن وباريس بالقوة ، ولكن الدولة العثمانية تجاهلته خلال الحرب العالمية الاولى ، وظلت بلاد الشام وحدة سياسية - في ظل الدولة العثمانية - تمتد من جبال طوروس في الشمال الى صحراء النقب ورمال سيناء في الجنوب ، وتشمل الاردن وفلسطين . وجاءت نتائج الحرب العالمية الاولى وهزيمة الدولة العثمانية التي كانت بدورها ترزح تحت حكم مجموعة عسكرية تحمل اسم (تركيا الفتاة) تسرب اليها نفوذ اليهود المتظاهرين بالاسلام - جاءت هذه النتائج لتمنح انكلترا وفرنسا الفرصة المنتظرة لتقسيم المشرق العربي وتحويل العرب الى دويلات وشراذم متفرقة ضعيفة .

كان شعورنا بالصدمة عميقا وطاحنا ، وقد تبددت آمالنا بالوحدة العربية المشرقية وقيام الدولة العربية الواحدة ، وذهب النير العثماني ليحل محله كابوس الاحتلال والتجزئة من قبل دولتين استعمارييتين ترفضان وحدة العرب وتعملان لتفتيتهم واضعافهم وامتصاص ثرواتهم واستعداد بعضهم على البعض الآخر ليستهلكوا طاقاتهم في الاقتتال الداخلي والاستقواء بالدول الاجنبية التي تستنزفهم بشتى الاساليب ، ومنها القروض وبيع السلاح وشراء المواد الاولية والمحاصيل بثمان زهيد .

في ذلك المناخ الملتهب ، وعندما كانت دبابات جيش الشرق الفرنسي تزحف على طريق دمشق تنفيذا لانذار الجنرال غورو تنادت جموع دمشق للقتال تحت لواء الشهيد يوسف العظمة وزير الدفاع في اول حكومة عربية تمارس السلطة في بلاد الشام ، ولم يكن الشهيد العظمة كبير الامل بالانتصار العسكري ، فهو يدرك انه يواجه اقوى دولة عسكرية في العالم آنذاك ، ويقف في وجه مئات الدبابات الحديثة المزودة بأفتك القنابل وليس في حوزته غير مئات من الجنود والرجال قليلي التدريب مزودين ببنادق قديمة ، والواقع انها كانت عملية انتحارية في معركة غير متكافئة ، ولكنها اشعرت العالم كله بأن سورية قاومت الاحتلال منذ البداية واستشهد وزير دفاعها وهو يباشر القتال بنفسه ، وسجل التاريخ أن الاحتلال الفرنسي دخل الى دمشق على جثث الشهداء ، ولم يعرف فترة من الراحة خلال تواجده في سورية حتى أشرقت شمس الجلاء .

تلك موقعة ميسلون الشهيرة التي نحتفل بذكرها في يوم ٢٤ تموز من كل عام ، وتحيي فيه القوات المسلحة ذكرى الشهيد يوسف العظمة وزير الدفاع الاول الراقد بسلام في ضريحه هناك تحت هضاب ميسلون التي ارتوت بدمائه وشهدت تلك المعركة الرمزية الخالدة .

أما الشريف حسين فقد عومل من قبل الانكليز معاملة مهينة بعد خداعه بالوعود المضللة وانهاء دوره ، وآل أمره الى المنفى في قبرص ، وبلغ من هوانه هناك أن مالك الدار الذي يسكنها أقام عليه الدعوى مطالباً بالايجار ، ونودي في المحكمة من قبل الآذن (حسين بن عون) وأشهر كمدعى عليه ، بينما كان ولده فيصل ملكا على العراق بعد رحيله عن سورية ، وولده عبد الله آنذاك أميراً على الاردن ، ولم يصدر أي احتجاج على هذه المعاملة الشائنة .

وهكذا طوى الانكليز صفحة الثورة العربية باحداث انظمة مختلفة تتفق مع مخطط التجزئة ، واستبقوا فلسطين تحت الانتداب المباشر تمهيدا لايجاد مجال ومرتكزات لتنفيذ وعد بلفور باقامة وطن لليهود في فلسطين العربية التي كانت موطننا تاريخيا للعرب ، ولم يكن فيها إلا اعداد قليلة من اليهود الشرقيين .

وعندما ذاع امر وعد بلفور كان صدمة صاعقة للعرب كشفت خطورة المخطط المبني لتهود القدس واغتصاب فلسطين عن طريق الاستعمار الاستيطاني ، وبعد ذلك بدأ تدفق الفرياء اليهود وقامت الوكالة اليهودية بشراء الاراضي العربية من الفلسطينيين واللبنانيين تحت ضغط الاغراء المالي والوساطة والرشوات في ظل الحراب الانكليزية .

هذه هي النكبات التي انقضت شابانا في ظلها ، وهي تعصف بأمن الامة العربية وسلامتها وتلاعب بمصير العرب ، وتورث نفوسنا القلق والتوتر ، وتبين فيما بعد انها مقدمات لكوارث مصرية . وبينما كانت القبضة الصهيونية تشد على عنق فلسطين تم من الجانب الآخر سلخ لواء الاسكندرون عن أمه سورية ، واقتطع جانب كبير من شمال الساحل السوري من أجمل وأخصب بقاع الوطن ، وقسم الانتداب الفرنسي سورية نفسها الى دويلات صغيرة كتجربة لتجزئتها فيما بعد .

ولم يعد أمام السوريين لمواجهة هذا المخطط ووضع حد حاسم له إلا عن طريق الثورة والكفاح المسلح ، نشبت اول ثورة وبعدها ثورة هنانو ثم الثورة في عام ١٩٢٥ ابتداء من دمشق وغوطتها بقيادة الزعماء الذين شكلوا الكتلة الوطنية وفي مقدمتهم السادة : شكري القوتلي وفخري البارودي ونسيب البكري وفوزي البكري وعبدالرحمن الشهبندر وفوزي القاوقجي وسعيد العاص والشيخ محمد الاشمر وحسن الخراط وحسن المقبعة من قبر عاتكة ، وقاد الثورة من جبل العرب سلطان الاطرش الذي خاض على راس قوات المجاهدين معارك طاحنة مع الجيش الفرنسي وانزل به خسائر فادحة .

لم استطرد في هذا المجال لأروي تاريخا معروفا ، بل كنت اشرح الظروف العصبية التي مررنا بها ، وكنت آنذاك بعيدا عن السياسة واربابها ، ولكنني عشت وترعرعت في هذا الجو المضطرب ، ولم يكن عملي التجاري في ظل والدي المرحوم الحاج سليم

الصلاح رجل الاعمال المستقيم النزيه - يشغلني عن الاوضاع العامة للوطن - او
يعزلني نفسيا عن مجرى المواجهة اليومية بشتى اشكالها مع الاحتلال .

ولمست بنفسى كيف اثرت التجزئة الاستعمارية على المصالح الاقتصادية السورية
والحققت بها اضرارا فاحشة ، والمثال يرد في دمشق نفسها التي كانت تصدر افضل
انواع النسيج والفواكه المجففة الى فلسطين ومصر والحجاز والعراق والاناضول
حينما كانت حركة النقل والمواصلات بين دمشق وهذه الاقطار العزيزة سهلة
وميسورة لا يعوقها عائق ، وعندما فرض الاستعمار علينا التجزئة بعد الحرب العالمية
الاولى اقيمت الحواجز السياسية والجمركية بين دمشق وهذه الاسواق واصبحت
دمشق معزولة اقتصاديا وحل بها الضيق والبطالة والكساد وانعكس هذا كله على
علاقانا التجارية ونشاطاتنا الانتاجية .

ولهذا كانت فترة الاحتلال الفرنسي لسورية التي تقارب خمسا وعشرين سنة
مرحلة قاسية من حياتنا الاقتصادية عانت خلالها الفقر والضائقة ، ومما زاد المحنة
قسوة اقدام فرنسا على سحب الذهب السوري عن طريق فرض التعامل والتعاقد
بالنقد الورقي واجبار الناس على بيع ما لديهم من مدخرات ذهبية بأسعار بخسة .

وقد اتخذت المقاومة الوطنية للاحتلال اشكالا عديدة ، في مقدمتها الاضراب الشامل
في عام ١٩٣٦ الذي استمر ٥٦ يوما بقيادة الكتلة الوطنية ، ولم يقم اي تاجر بفتح
متجره طوال هذه المدة القياسية في تاريخ الاضرابات بالعالم كله ، رغم ان الجيش
الفرنسي قام بتحطيم اقفال المحلات وحرّض على نهبها ، ومع ذلك لم يتوقف الاضراب
حتى أعلنت فرنسا موافقتها على معاهدة تعترف بالاستقلال السوري ، وتعهد المفوض
الفرنسي باقرارها ، ولكن الحكومة الفرنسية نكثت بالعهد ولم توقع على المعاهدة .
فاستمر النضال الوطني حتى تحقق الجلاء في ١٧ نيسان من عام ١٩٤٦ .

الفهرست

المقدمات

الاهداء : كلمات الدكتور راتب السلاح - والاستاذ محمد عثمان الشحرور ،
والدكتور محمد العمادي ، والاستاذ خالد المالكي ، والدكتور محمد عزيز شكري ،
والمهندس خليل الفرا ، والدكتور محمد امين الميداني ، والاستاذ نجاة قصاب حسن .

الكتاب الاول

الباب الاول - ذكريات

الفصل الاول - نشأتي

- الختان ، التعليم عند الخجا ، الكتاب (ص ١١ - ١٣)
- أيام الحرب العالمية الاولى والمجاعة - الى المنفى (ص ١٣ - ١٥)
- عودة الى التعليم - عملي مع والدي في التجارة - مغامرات في سبيل التجارة -
صعوبات السفر - والذي يمنحني ثقته (ص ١٦ - ٢٢)
- زواجي المبكر - التدخين - نصائح ابوية مفيدة (ص ٢٣ - ٣١)
- حريق السنجدار - تخصيصنا بمحل مستقل - المساواة في كل شيء ص (٣٢-٣٦) .
- حادثة غريبة (ص ٣٦)

الفصل الثاني - بين الماضي والحاضر

- صور وتكاليف - كيف كنا وكيف صرنا - وصف حي من احياء دمشق - عربات
الدليجانس - الدراجات الاولى - اول طائرة في دمشق - البيوت الدمشقية ومادة
الكلس - مواقد النار القديمة - التنور والصاج - التموين بالقمح والكندوش -
الغنب - التدفئة المنزلية - (ص ٣٩ - ٤٧)
- وحدات القياس القديمة وتطورها - المكاييل - عدانات المياه - مساحات بيع
الاراضي المختلفة - العملات وتطور اسعارها منذ ١٩١٠ - كيف تسعر المحصولات

التعامل بالذهب - جدول تطور أسعار الحبوب ومواد مال القبان من نحو سبعين عاما
(ص ٤٨ - ٥٤)

الفصل الثالث - الفاكهة السورية واصنافها

- اصناف العنب والزبيب - اصناف التفاح وتاريخ زراعته في سورية - التصدير
الى فلسطين والسعودية - اصناف من الثمار انقرضت - اغراس التوت -
ازمة الخضار والفواكه - زراعة الجوز (ص ٥٥ - ٦٦)

الفصل الرابع - قصة الشمس في سورية

انواعه التي كانت تزرع في دمشق : الحموي والوزري والتدمري والبلدي
والفرنساوي والاميركاني والولسن والعجمي والكلابي - انواع جديدة في مزرعتنا
ونصحنا الناس بها (ص ٦٧ - ٧٥)

الفصل الخامس - صناعة القمر الدين - وجهود آل الشلاح في تطويرها

صناعة القمر الدين - امراض كانت تصيب الشمس - سوق الهال (ص ٧٦ - ٨٢)

الفصل السادس - اعمالنا الزراعية والصناعية والتجارية

- دروس وعبر - المعرض الاول وشركة الكونسروة - الانطلاقة التجارية خلال
الحرب الاسبانية - الامال تشرق في الجزيرة - رحلة الى الحسكة وعلى
ضفاف الخابور - كيف نشأت القامشلي - بشائر الثروة في القطن - السكك
الحديدية (ص ٨٣ - ٩٥)

- مجمل نشاطي في الاربعينات - نقابة تجار الخضار والفواكه - محل تجاري في
جدة وتجارة التمور - كيف يوزع التجار ثرواتهم - والذي يذهب الى
الحج (ص ٩٦ - ١٠٠)

- بعض اصدقاء الوالد ، ابو درويش سويد (ص ١٠٠) - الشيخ عبد الكريم
الآوي (ص ١٠١)

- مزرعة العدمل النموذجية وما كتب عنها (ص ١٠٢)

- معركة الغرفة التجارية - جمعية الاسعاف الخيري - جمعية المواسة -
وفاة الوالد (ص ١٠٦ - ١٠٨)

الفصل السابع - نشاطي في الحقول العامة

- مبادئي في خدمة الناس والعمل العام - التنظيم - الاوقاف - جامع العثمان -
معلومات وطرائف عن مجلس أوقاف دمشق - المرحوم عبد الرحمن الطباع -
بعض ما قدمناه من هبات وتبرعات وبنيناها من مساجد ومآذن تقرباً من الله
عز وجل - اعباء متفرقة ونشاطات مختلفة (ص ١٠٩ - ١٢٣)
- مشروع كلية في الزبداني مثل كلية برمانا - من دروس الحياة - أنا والصحافة -
مقال اجنبي عن آل السلاج (ص ١٢٣ - ١٣٠)

الفصل الثامن - الاقتصاد والمؤتمرات

- مبادئي الاقتصادية (ص ١٣١) - مؤتمر الغرف التجارية لعام ١٩٥٣ :
المشاركون والكلمات (ص ١٣٥)
- دورة الاتحاد العام رقم ٢١ لعام ١٩٧٧ - المشاركون والكلمات (ص ١٤٢)
- مؤتمر الغرف العربية لعام ١٩٨٨ - المشاركون والكلمات (ص ١٤٦)
- بعض مذكراتي الى لجنة الترشيح في رئاسة مجلس الوزراء : مذكرة
١٩٨٤/١٠/٦ (ص ١٥٩) - مذكرة ١٩٨٧/١/٢٤ (ص ١٦٦) - تعليقات
حول المرسوم ٢٤ (ص ١٧٣)
- خواطر حول الاقتصاد السوري (ص ١٧٨) - قصة التبريد في سورية (ص ١٨٨)

شخصيات اقتصادية عربية

الشيخ يوسف ياسين (ص ١٩٢) - السيد عبد العزيز الصقر (ص ١٩٣)
الشيخ اسماعيل أبو داود (ص ١٩٤) - الدكتور عبدالله دحلان (ص ١٩٥)
السيد جمعه الماجد (ص ١٩٦) - السيدان سيف الغريز وعبدالله الغريز (ص ٢٠٠)
الحاج محمد علي بدير (ص ٢٠٢) - الاستاذ برهان الدجاني (ص ٢٠٢)
السيد سعيد النابوده (ص ٢٠٣) - الشيخ محمد باحارث (ص ٢٠٤)

- فوائد المراجعة والملاحقة - ضرورة تحديث وسائلنا (ص ٢٠٥)
- اقتصاديون مرموقون (ص ٢٠٧) - من اسباب اهتمامي بالزراعة (ص ٢٠٨)

الفصل التاسع - السياسة - شخصيات عربية وعالية

- أنا والسياسة (ص ٢٠٩)
- الرئيس حافظ الأسد (ص ٢١٣)
- الرئيس شكري القوتلي (ص ٢١٩)
- السيد فخري البارودي (ص ٢٢٠) السيد محمد علي العابد (ص ٢٢٤)
- الشيخ تاج الدين الحسيني (ص ٢٢٥) حادث كبير العبرة مع والده الشيخ بدر الدين (ص ٢٢٧)
- الرئيس جيمسي كارتر (ص ٢٢٨)
- الرئيس فرانسوا ميتران ووسام جوقة الشرف (ص ٢٣١)
- شخصيات لا تنسى - عصاميون (ص ٢٣٤)
- جلالة الملك فيصل (ص ٢٣٥)

الفصل العاشر - الاسرة

- أم راتب - الابناء والاحفاد (ص ٢٣٦) - تعليم أولادي (٢٣٩)
- راتب وموفق (ص ٢٤٠)
- وصيتي المعنوية الاولى لعام ١٩٦٣ (ص ٢٤٤)
- وصيتي المعنوية الثانية لعام ١٩٨٥ (ص ٢٤٩)
- كلمة أقيتها على التلفزيون في عيد الاضحى المبارك - تموز ١٩٨٨ (ص ٢٥٣)

الكتاب الثاني - الرسائل والرحلات

رسائل الى اولادنا في الغربة وفي البلاد التي يدرسون فيها .

ورسائل منهم (٢٥٧ - ٣٩٢)

الكتاب الثالث - الرحلات

الرحلة الاولى - ١٩٥٤

انكلترا - فرنسا - بلجيكا - هولندا - ألمانيا - سويسرا - ايطاليا

- وداعنا في المطار - لماذا زوجتي معي ؟ - وصولنا الى مطار لندن - جولة اولى في الاسواق - السفارة السورية - متحف الشمع - مفادرتنا الى اوكسفورد - المدينة وضواحيها - الحليب والمزارع (ص ٣٩٥ - ٤٠١)
مانشستر - منطقة البحيرات - وندرمير - ليدز مدينة الجوخ - اليهود في ليدز - مدينة هيسيل - أسرة انكليزية والتربية والعادات - زيارة معمل حليب وجبن وزبدة - زيارة معمل عصير البرتقال - معامل الشريف هورسلي - زيارة مجلس العموم والبرلمان - سوق الخضار - قصر الملكة لمشاهدة تبديل الحرس - مدينة ساوثهامبتون - تجار ورجال أعمال - مفادرة لندين الى برايتون - الوصول الى فرنسا (ص ٤٢٤)

- الطريق الى باريس - باريس - الشانزليزيه - مقارنات مع مشاهدات وعادات بريطانية - فونتينبلو وفرساي - مسرحية - طبيب سوري في باريس - سوق خضار فرعي - سان ميشيل واللوكسمبورغ - مشاهدة العرض العسكري في ١٤ تموز - الرحيل الى بلجيكا (ص ٤٢٥ - ٤٣٢)

- بلجيكا - بروكسل (ص ٤٣٣)

- هولندا وفزو البحر لاتقائه - امستردام - من ضواحيها - جولة اقتصادية - سنجاكوبي (ص ٤٣٣ - ٤٤١)

– المانيا – هامبورغ – جولات اقتصادية – معمل قشر القنب – بون – فرانكفورت –
شتوتغارت – بادن بادن (ص ٤٤١ – ٤٤٩)

– سويسرا – برن – لوزان – جنيف – معالم حضارية – قصر الامم المتحدة –
مونترو (ص ٤٥٠ – ٤٥٣)

– ايطاليا – ميلانو – كومو – فيرونا مدينة الفاكهة – الاوبرا – سوق الخضار
الحديث – مزارع ضخمة – فينيس (البندقية) – بولونيا – جنوه – روما –
نابولي وضواحيها – جزيرة كابري – العودة الى ارض الوطن (ص ٤٥٤ – ٤٧١)

الرحلة الثانية – ١٩٦١ الى الولايات المتحدة وبريطانيا وأوربا

– مبادئي في الرحلات – نيويورك وقصر الامم المتحدة – البورصة – الحي الصيني
وحي الزوج – أميركا من الجو – واشنطن – شلالات نياغرا – أو كلاهوما –
صورة مفترب – رحلة السيارة – لوس انجلوس – نانس باري وديزني لاند –
سانتوز مدينة المشمش ودراسات معمقة حول انتاجه وتسويقه (ص ٤٧٣ – ٤٨٣)
– سان فرانسيسكو ومجموعة مدنها – فنادق سياحية من نوع خاص
(ص ٤٨٤ – ٤٨٦)

– فريزنو مدينة العنب – الاصناف والتعبئة الفنية – كلية الزراعة – غابات
عذراء وبارك سومانى – جمعية المنتجين – المفترب ماردينيان (ص ٤٨٧ – ٤٩١)
– كندا – الى لندن من جديد (ص ٤٩٤)

– زيارتي للتروج والسويد – زيارة المانيا ثانية – ويلات الحرب (ص ٤٩٧)

الرحلة الثالثة – الخليج العربي عام ١٩٧٢

– الكويت – موقف التمويل الكويتيين – البحرين – أبو ظبي – دبي – العلاقات
الاقتصادية (ص ٥٠٠ – ٥٠٤)

الرحلة الرابعة - الى الاتحاد السوفييتي ١٩٧٥

- موسكو - بساطة حياة الناس وتأمين المرافق الاساسية - قبر لينين والكرملن -
السيرك - زيارة اوزبكستان - بخارى وسمرقند - عتاب (ص ٥٠٥ - ٥٠٨)

الرحلة الخامسة - الى الشرق الاقصى

- طريق الرحلة - **كوريا الجنوبية** - نشاط الكوريين - شعار التنمية والعدالة
والجدارة - شركة كيسا للسيارات وشركة الخيوط - المفتربون في كوريا
والمسلمون - انفاق المال على التنمية - حفاوتهم بالضيوف - غداء على
الطريقة الكورية (ص ٥٠٩ - ٥١٥)

- **اليابان** - طوكيو ومشاهدها - المعالم السياحية والحضارية (ص ٥١٧-٥١٩)
- **هونغ كونغ** - السوريون والعرب فيها - الميناء (ص ٥١٧ - ٥١٩)
- **بانكوك وتايلاند** - اقتصادها - البوذيين والمسلمون - الحديقة العامة
(ص ٥١٩ - ٥٢٠)

- **الهند** - بومباي - وكراتشي (ص ٥٢٠ - ٥٢١)

الرحلة السادسة - الى اميركا من جديد - ايلول ١٩٧٧

- مناسبة الرحلة افتتاح خط اردني جوي - الارياف - صيانة الطائرات - قطار
نيويورك واشنطن - دار جون كندي - معرض تاريخ الطيران - مفتربون
(ص ٥٢٢ - ٥٢٦)

الرحلة السابعة - الى الدول الاشتراكية ١٩٧٧

- بودابست - براغ - مشاهدات وانتقادات - وارسو - صوفيا (ص ٥٢٧-٥٢٢)

الرحلة الثامنة - الى الصين الوطنية ١٩٧٧

- العاصمة تاييه ومتحفها - معمل الكابلات - صلاة الجمعة - مدينة كوستان -
البحيرات والمنتجعات (ص ٥٣٣ - ٥٣٧)

الرحلة التاسعة - الى الحج

- الحج القديم - حجتى الثالثة عشرة (ص ٥٢٨ - ٥٢٩)

الرحلة العاشرة - الى الولايات المتحدة حول المقاطعة

- وفود عربية كبيرة - خطابات هامة - جيمس أبو رزق - السناتور فولبرايت - هيوستن ومدينتها الطبية - في لوس انجلوس - وزير سعودي يتكلم (ص ٥٤٠ - ٥٤٧)

الرحلة الحادية عشرة - الى الهند ١٩٧٧

- انطباعات عامة عن دلهي وكالكتا وبومباي - الفنى والفقر - المسلمون (ص ٥٤٨ - ٥٥١)

الرحلة الثانية عشرة - الى السعودية ١٩٧٩

- رحلة عمل واطلاع - الرياض بين الامس واليوم - مقابلة الملك خالد - اندمام والخبر - جامعة البترول في الظهران - قصة البترول في السعودية - زيارة امير المنطقة الشرقية (ص ٥٥٢ - ٥٥٧)

الرحلة الثالثة عشرة - الى المغرب ١٩٧٩

- مشاهد وانطباعات - قصة عصامي - في الدار البيضاء - ضريح السلطان فاس ومكناس (ص ٥٥٨ - ٥٦٢)

الرحلة الرابعة عشرة - الى الاندلس ١٩٧٩

- دور كدور دمشق - غرناطة واشبيليا وقرطبة - التساهل (ص ٥٦٢ - ٥٦٨)

الرحلة الخامسة عشرة - الى الصومال ١٩٨١

- مقاديشو - كسمايو - احتفالات شعبية (ص ٥٦٩ - ٥٧٢)

الرحلة السادسة عشرة - الى كينيا ١٩٨١

- المعاملة غير اللائقة في البداية - الغابات الافريقية - نيروبي - مومباسا
(ص ٥٧٣ - ٥٧٥)

الرحلة السابعة عشرة - الى الصين ١٩٨١

- الصين - وصولنا الى بكين - معلومات عامة - مدينة بكين - المدينة المحرمة
والتحف الامبراطورية وسور الصين - شانغهاي - شخصيات مرموقة في
الوفد - مشاهدات مختلفة - العودة الى هونغ كونغ - اجتماع في نيودلهي
(ص ٥٧٦ - ٥٨٥)

الرحلة الثامنة عشرة - ١٩٨٣

- دبي - منطقة الاحساء في السعودية - الاحساء قديما وحديثا - الشيخ ناصر
الزرعة - دار الزراعة والمزرعة - دار الهجرة - معامل ومنشآت وقصة معبرة
(ص ٥٨٦ - ٥٨٩)

الخاتمة - (ص ٥٩٠)

خاتمة أخرى - (ص ٥٩١)

ملحق بأسماء وفود بعض الرحلات الى البلاد الاجنبية (ص ٥٩٢)

فصل جديد من كتاب جديد لتاريخ البلد (ص ٥٩٨)

فهرست الاعلام

- ١ - ورد في هذا الكتاب ذكر عدد من الرؤساء والملوك والامراء يتقدمهم الرئيس حافظ الأسد وفي مواقع عديدة لا تحصى .
- ٢ - رتبت الاسماء حسب ابجدية الشهرة على حروف ، وفي ضمن الحرف حسب تقدم صفحات الكتاب وبالتدرج .
- ٣ - اذا وجد امام الاسم الواحد اكثر من رقم فهذا يعني انه تكرر ذكره في الصفحات المقابلة للارقام المتعددة .

حرف الألف		حرف الألف	
الاسم	الصفحة	الاسم	الصفحة
نعمان الازهري	٢٠٦	توفيق أفرام	٣
طاهر الاتاسي	٤٤٥	سليم ايلوش	١٣
فيضي الاتاسي	٤٤٥	عطا الايوبي	٨٤ - ٢٢١
يوسف الاخوان	٥٢٧	محمود أبو الفتح	١٠٣ - ١٣٩
فخر الدين أبو خليل	٥٤١	وحيد الأسود	١٣٨
جيمس أبو رزق	٥٤٢	عبد القادر الأسود	١٣٩
أبو صياح (عربي الشلبي)	٥٤٢	محي الدين الازهري	١٣٩
عمر الابرش	٥٦١	صادق الايوبي	١٣٩
حرف الباء		عبد الوهاب الازرق	١٣٩
الاسم	الصفحة	نوري الايبش	١٤٠
توفيق بيضون	٣٧	يوسف الاحمد	١٤٦
نصوحي البخاري	٤١	اسماعيل أبو داود	١٩٤ - ٥٤١
مدحت البكري	٧٨		٥٤٢ - ٥٤٣
وديع بيطار	٩٣		٥٥٩ - ٥٦٩
			٥٨٩

حرف الباء		حرف الباء	
الصفحة	الاسم	الصفحة	الاسم
٢٠٤	محمد با حارث	١٢١	محمد البيرقدار
٢٠٤	محمد بن لادن	١٢٨ - ٥١٨	سياح بغدادي
٢٠٧	يسار بيطار	١٢٨	محمد بدره
٢٢٠	فخري البارودي	١٢٨	رضا بعلبكي
٢٢٠	نسيب البكري	١٢٨	رشدي بكداش
٢٢٠	فوزي البكري	١٢٨	حمدي البزوه
٢٢٦	صبحي بركات	١٢٨	خالد البارودي
٣٦٧	عبد الرحمن بركات	١٢٨	محمود البارودي
٤٠٠	مصطفى البارودي	١٢٨	حلمي البارودي
٤٧٩	خليفه بورجيس	١٣٩	سعيد بوبس
٥٠٣	عمر فاروق باقي	١٣٩	نصوح باييل
٥١٠	احسان بيطار	١٤٠	حيدر بوظو
٥١٠	جودت بيطار	١٤٠ - ١٥٨	عوض بركات
٥١٠	غسان بيطار	٢٠٧	
٥٢٣ - ٥٢٤	محمد البغال	١٣٧ - ١٥٢	محمد جميل بيهم
٥٢٤	ابراهيم بهلوان	١٥٢ - ٢٠٢	محمد علي بدير
٥٥٤	محمد بالخيل	٥٤١ - ٥٢٥	
٥٦٠	عقيل بانجم	٥٤٣ - ٥٤٢	
٥٦٣ - ٥٦٤	ثابت بلال آغا	٥٤٤ - ٥٤٦	
٥٧٧	فهد بغدادي	٥٥٦ - ٥٥٩	
		٥٨٢ - ٥٨٦	
		١٥٨	الفرواني بن عمار
		١٥٨	منصف بالعبود

حرف الحاء		الاسم	الصفحة
الاسم	الصفحة	حرف التاء	
علي حلاوه	١٨	مصطفى تمر	١٦
محمد الحسن	٢٠	أمين التيناوي	٢٤
الشيخ تاج الدين الحسيني	٢٧ - ١١٧	بدر الدين التيناوي	٩٩
	٢٢١ - ٢٢٥	زكريا توفيق	١٢٨
	٢٢٧	سامي التوتونجي	١٣٨
الشيخ بدرالدين الحسيني	٢٢٥ - ٢٢٧	حرف الجيم	
نوري الحكيم	١٠٦	الاسم	الصفحة
سعيد حماده	١٣٨	مصطفى الجشه	١٩
ابراهيم الحسامي	١٣٨	حمدي الجلاد	٢٤
صبحي الحفار	١٣٨	يونس الجزائري	٧٧
وهبي الحريري	١٢٨ - ١٥٨	مشيل جنبرت	١٣٨
زكي حميد باشا	١٣٩	ادهم الجندي	١٤٠
مختار حسيني	١٣٩	كاظم الجزار	١٤٠
عدنان حمصي	١٣٩	سليم جنبرت	١٥٨
وجيه الحفار	١٣٩	يوسف جعيداني	١٩٧
عباس الحامض	١٣٩	سعد الله الجابري	٢٢١
ياسين الحمصي	١٤٠	عاطف جمال الدين	٥٤٢
الدكتور محمد حربه	١٤٠	عبد الكريم جعفر	٥٧٠ - ٥٨٣
لطفي الحفار	١٥٨		٥٨٥
الدكتور سليم الحص	١٥٨		
ادمون حمصي	١٥٨		
عبد الفني حمور	٢٠٧ - ٢٨٨		
توفيق الحلاق	٤٥٠		
ابراهيم الحسيني	٤٦٦		

حرف الحاء

الاسم	الصفحة
أنور حاتم	٤٦٦
تيسير الحفار	٥٠٠
نجيب الحلبي	٥٢٥
الحاج محمد الحكم	٥٥٩
بطرس حنا	٥٨٠
أمين الحسيني	٥٨٦

حرف الخاء

الاسم	الصفحة
عربي الخيمي	١٣
صلاح الدين الخطيب	٢٨
زكي الخطيب	٢٨
عمر الخضري	٩٣
اللواء عبدالرحمن خليفاي	١٣٥ - ٢١٣
جورج خوري	٢١٨ - ٥٢٢
علي شكري خميس	١٣٧
عادل الخجا	١٣٨ - ١٤٠
فؤاد الخباز	١٣٨
أنور خطاب	١٣٨
سهيل الخوري	١٣٨
ادفين الخوري	١٣٩
محمد أديب الخولي	١٣٩
سعيد خماش	١٤٠

حرف الخاء

الاسم	الصفحة
علي شكر خميس	١٤٠
عبد الوهاب خياطة	٢٠٧
فخر الدين خليل	٢٠٧
محمود خيتي	٢٢٠
بهيج الخطيب	٢٢١
فارس الخوري	٢٢١
عبد الله الخشرمي	٢٣٣
فايز الخوري	٢٤١ - ٢٥٩
الدكتور خبصه	٤٣٠
عبد الله الخاني	٥٤٩

حرف الدال

الاسم	الصفحة
احمد الدقر	١٣ - ٣٩٥
احمد دعدوش	٢٢ - ٥٣٨
يوسف دبوس	٨٩
بدر الدين دياب	١٣٨
نصوح الدقاق	١٤٠
برهان الدجاني	١٤٠ - ٢٠٢
	٥٤١ - ٥٤٢
	٥٤٦ - ٥٥٠
	٥٧٠ - ٥٧٦
	٥٨٠ - ٥٨٢

حرف الدال

الاسم	الصفحة
عبد الله دحلان	١٩٥
صادق دحلان	١٩٥
نديم دمشقية	٣٥١
المستر دوغلاس	٥٤٢
انور الدسوقي	١٣٨
نصوح الدقاق	٣١٠

حرف الراء

الاسم	الصفحة
خليل رفعت	٣٧
مصطفى الرحيباني	٤٠
بشير رمضان	١٦٠ - ١٣٨
ظافر الرفاعي	١٣٧
عبد المجيد باشا الرملي	١٣٧ - ١٥٢
عبد الحسيب رسلان	١٣٩
نصوح رسلان	١٣٩
نافع رجب	١٣٩
اديب الروماني	١٣٩
ياسين رجوح	١٤٦
عبد الله علي الرضا	١٩٦
خلدون الرملي	٢٠٠ - ٥٢١
	٥٣٣
عبد المجيد الرباط	٢٧٣
عمر عبد المنعم الرفاعي	٥٢٣

حرف الزاي

الاسم	الصفحة
الشيخ زين العابدين (التونسي)	١٦
محمد سعيد الزعيم	١٣٧ - ١٣٩
محمود الزعبي	١٥٨ - ٢٠٥
علي الزعتري	١٣٥ - ١٤٢
اكرم زريق	١٣٨
محمد بن زيتون	١٤٠
طلال الزين	١٥٢
حسني الزعيم	٢٠٧
فرنان زويون	٢٢١
عبد المحسن الزيد	٢٣١
الشيخ ناصر الزرعة	٥٥٢
	٥٧٥ - ٥٨٦
	٥٨٧

حرف السين

الاسم	الصفحة
محمد عيد سكر	١١ - ١٥
عيد السفرجلاني	١٢ - ٤٢
فوزي سلو	٣٥ - ٣٧
جميل سنو	٣٨
توفيق سكر	٩٨ - ٢٢٨
محمد عيد سكر	٩٩

حرف السين		حرف السين	
الاسم	الصفحة	الاسم	الصفحة
عصام السمان	٥٨٢	مصطفى سويد	٩٩ - ١٠٠
نزار سردست	٥٨٦		١٠١
حرف الشين		مسلم السيوي	١٢٨ - ١٥٢
			١٨٨
		جورج ساره	١٢٨
حمدي الشلق	٢٢-٣٧ و ٢٨	شفيق سكر	١٢٨ - ٥٠٠
نذير شوري	١٦		٥٤٢ - ٥٦٩
منير شوري	١٦	رودولف سعاده	١٣٩ - ١٥٨
ابو محي الدين شعبان	٢١	عزت سليم	١٢٩
اديب الشيشكلي	٣٥ - ٣٧	حمدي السيدا	١٢٩
رامز الشريف	٢٨	احمد السمان	١٢٩ - ٢٧٢
ظاهر الشنواني	٨١	حسان السقا	١٤٦
صالح الشنواني	٨١	محمد سلمان	١٤٦
سميد الشنواني	٨١	نسيب سليق	٢٢٦
ديب الشيخ	٨٤	ه. سرفسان	٢٢١
توفيق شامية	٨٨	سلمان السليم	٢٣٥ - ٥٥٤
محمد جعفر الشيببي	١٢٨ - ١٥٢	عبد الكريم السقا	٤٠٢
أمين شحاده	١٢٨	محمد سليم	٤٨٦
صالح الشامي	١٢٨	محي الدين سليم	٤٨٦
محمد شاكر	١٢٨	عربي سكر	٥١٨
صبري الشرجي	١٢٨	ديباب السمان	٥٢٦
فؤاد الشايب	١٤٠	محمد السيوان	٥٢٦
عمر الشلق	١٤٠	كمال رمزي ستينو	٥٤١
		فاروق سكر	٥٤٦

حرف الصاد		حرف الشين	
الاسم	الصفحة	الاسم	الصفحة
جاسم محمد الصفار	٥٨٤	موسى الشهبندر	١٥٨
تحسين الصفدي	٥٦٢	محمد شمسي باشا	٢٠٧
حرف الطاء		عبد الحميد شومان	٢٢٢
الاسم	الصفحة	صبري الشلاح	٤٠٣ - ٤٠٤
هادي الطباع	١٢	عبد الحميد شحاده	٥٠٠
خضر الطرابلسي	٢١	احمد شحاده	٥٠٠
نصوح الطباع	٩٩	محمود الشريف	٥٢٦
عبد الرحمن الطباع	١١٥ - ١١٦	زكريا الشريقي	٥٨٠
	١١٧ - ١١٨	حرف الصاد	
	٢٩٥	الاسم	الصفحة
	١١٧	يحيى الصواف	٢٤
	١٢٧	حسام الدين الصلاحي	٣٧
	١٢٧ - ٢٠٦	حسني الصواف	١٣٧
	٢٧٢ - ١٦٠	وجيه الصمادي	١٣٨
	١٢٨	حنين صحنوي	١٢٨ - ١٥٨
	١٢٨ - ٢٢٤	سامي صايم الدهر	١٣٨
	١٢٩	يوسف صباغ	١٣٩
	١٤٠	ودييع صيداوي	١٣٩
	١٤٠	عبد العزيز الصقر	١٤٦ - ١٩٣
	١٢٦		٥٤١ - ٥٤٢
	٥٨٦ - ١٥٨		٥٤٤ - ٥٥٦
	٢١٧		٥٧٢ - ٥٨٠
	٥٤١		٥٨٢
	٥٥٢		
	٥٨٣		

حرف العين

الاسم	الصفحة
رشدي العطار	١٢
عبد الرحمن العريس	٣٣
عبد الرزاق عابدين	٣٨
ريشار عبد النور	٥٧
أحمد عزت	٨٩
أبو اليسر عابدين	٣٩٥ - ١١٥
صبري العسلي	١٩٢ - ١١٨
أحمد العظم	١٣٨
يوردان عبي	١٣٨
ناصر العظم	١٣٩
محمد سعيد العوف	١٣٩
محمد العايش	١٣٩
زياد العسلي	١٣٩
موفق العلاف	١٣٩
هشام عمر باشا	١٣٩
بشير العوف	١٣٩
محمد العمادي	٢٢٨ - ١٤٦
عثمان العائدي	١٥٢
نجاح العطار	١٥٢
محمد العوض	١٩٦ - ١٥٨
	٢٣٥
عبد الله العظمة	٢٠٧
محمد علي العابد	٢٢٤
عزت باشا العابد	٢٢٤

حرف العين

الاسم	الصفحة
خالد العسلي	٤٦٦
عبد الرحمن العطار	٥٠٠ - ٥٠٢
	٥٤٢ - ٥٠٤
	٥٧٦ - ٥٧٦
توفيق العلاف	٥٢٤
صبحي العجل	٥٥١
عبد الله العجل	٥٥١
محمد عوده	٥٨٠
زهير عصفور	٥٨٣

حرف الفين

الاسم	الصفحة
منير غنام	١٣٧
محمد علي غازي	١٣٨
صديق الفراوي	١٣٨
ماجد الفزي	١٤٠
محمد غباش	١٤٦
سيف الفرير	١٩٦ - ٢٠٠
	٥٥٦ - ٥٨٩
عبد الله الفرير	١٩٦ - ٢٠٠
بشير غنمه	٥١٨
عبد المجيد الفربرالي	٥٤٨
الياس غنطوس	٥٥٠

حرف الميم		حرف القاف	
الاسم	الصفحة	الاسم	الصفحة
محمد سعيد مراد	١٦ - ٤٠	علي قارح	٥٧٠
أحمد المؤيد	١٦	عارف قاسم	٥٨٨
فاضل المحاميد	١٨	حرف الكاف	
ابو مصطفى ملص	٢٦	الاسم	الصفحة
حيدر مردم بك	٩٣ - ٩٤	محمد كبور	٤٧
بطرس مقنص	٩١ - ١٣٨	ممدوح كوكش	١٠٦
محي الدين موصلي	٩٨	أحمد كفتارو	١١٥
عبد المجيد مارديني	١٠٤ - ١٣٧	واصف كمال	١٣٨ - ١٣٩
شمس الدين المولوي	١١٥	حبيب كحالة	١٣٩
منير المهايبي	١٣٨	صبحي كحالة	١٣٩ - ١٤٠
عبد الهادي المارديني	١٣٨	عبد السلام كنعان	١٣٩
صديق مرتضى	١٣٨	فؤاد كردوس	٢٤١
محمد معتوق	١٣٨	بشير كعدان	٢٤١
اسماعيل مالكي	١٣٨	سعدى كيالي	٤٥٠
يحيى المالكي	١٣٩	حرف اللام	
بسيم مراد	١٣٩	الاسم	الصفحة
فارس مراد	١٣٩	دريد لحام	١٢
سليم المفتي	١٤٠	عبد الله اللاذقاني	١٥٨
ميشيل مساميري	١٤٠	فريد اللحام	٤٥٠
خالد مهايبي	١٤٦		
جمعه الماجد	١٩٦ - ٥٨٦		
جميل مردم بك	٥٨٩ - ٢٢١		

حرف النون		حرف الميم	
الاسم	الصفحة	الاسم	الصفحة
الداماد أحمد نامي	٢٢٥	فرانسوا ميتران	٢٢١
هشام الناظر	٢٣٥	جورج مازديكيان	٣٦٧ - ٤٩١
قاسم نور الدين	٥٠٤	عبد العزيز مراد	٤٠٣ - ٥٤٧
جميل نظام	٥٤٦	عبد المجيد مراد	٤٠٤
عصام النائب	٥٦٢	خالد الملا	٥٠٣
حرف الهاء		ثابت المهايبي	٥٢٢ - ٥٦٣
الاسم	الصفحة	سعد المعجل	٥٥٩ - ٥٨٩
الشيخ دهام الهادي	٨٩	المغرباوي	٥٦٢
عبد الرحمن الهنيدي	١٣٧ - ١٥٨	خليل مقداي	٥٨٨
توفيق هارون	١٢٧	حرف النون	
محمد سعيد الهنيدي	١٣٨	الاسم	الصفحة
حسني الهبل	١٣٨	عبد الباقي نظام الدين	٩٠
خليل الهبل	١٣٨	عثمان النوري	٩٩
توفيق نديم هارون	١٣٩	محمود النحاس	١٢٧
يونان هدايا	١٣٩	علي نجيب	١٢٧
محمد توفيق هنيدي	١٣٩	عبد ه باشا نجيم	١٢٨
الشريف هورصلي	٢٤٠ - ٤٠٩	نوري لنص	١٣٨
هاينمان	٤٩٨	رائف النوري	١٢٩
سالم الهبل	٥٢٦	زكي نظام الدين	١٢٩
		سعيد التابوده	٢٠٣ - ٢٨٩
		سميد النابلسي	٢٠٦

حرف الواو		حرف الياء	
الاسم	الصفحة	الاسم	الصفحة
ديب الواوي	٣٥	عبد الرحمن اليوسف	١٩
وبستر	٤٠١	محمد علي يعقوب	١٣٧
محمد الوزان	٥٢٧	سليم ياسين	١٤٦
احمد الوزان	٥٤٦	يوسف ياسين	١٩٦ - ٥٥٣

الخطأ والصواب

عند مراجعة الكتاب بعد بذل الجهد لتصحيحه تبين
انه بقيت أخطاء ليس من شأنها أن تقلب المعنى ولا هي
تخفى على القارئ الكريم ، فالرجو أن تتكرم يا قارئ
بالتفاضي وباصلاح الخطأ ولك الشكر .

صَوْرَتِكَ يَا



السيد الرئيس القائد حافظ الأسد والحاج بدر الدين يتحدث إليه .



مع السيد الرئيس القائد حافظ الأسد .



رؤساء الوفود لمؤتمر الغرف العربية يتشرفون بزيارة سيادة الرئيس الرفيق القائد حافظ الأسد في قصر الرئاسة عام ١٩٧٧



سيادة الرئيس القائد الملهم حافظ الأسد يستقبل الحاج بدر الدين الشلاح رئيس غرفة تجارة دمشق ورؤساء الغرف السورية.



عام ١٩٨٩ سيادة رئيس الجمهورية يتفقد أعمال إعادة الفسيفساء بالجامع الأموي بعد احتراق المسجد منذ مئة عام



زيارة رئيس الجمهورية شكري بك القوتلي إلى علنا بمعرض دمشق الدولي وقد ظهر إلى جانبه ولدنا سليم الشلاح عام ١٩٥٥ .



زيارة الوفد السوري وعده /٧٨/ شخصية سورية إلى الاسكندرية والطلب إلى الرئيس شكري القوتلي العودة الى سوريا عام ١٩٥٥



تهنئة بالعيد عام ١٩٥٣ إلى العقيد أديب الشيشكلي . بدر الدين الشلاح ورشاد الشلاح وإبراهيم الحسامي بنادي الضباط



مع الرئيس عبد الناصر.



بدر الدين الشلاح يقبل الرئيس عبد الناصر بقصر القبة عام ١٩٥٨



عام ١٩٥٨ في قصر القبة بالقاهرة ، بمناسبة انعقاد مؤتمر الغرف التجارية .



جلالة الملك حسين يصفاح الحاج بدر الدين الشلاح ويبدو بالصورة الأستاذ برهان الدجاني والشيخ اسماعيل أبو داود
والسيد عدنان القصار عام ١٩٨٦



- الملك فيصل يستقبل الحاج بدر الدين الشلاح والسفير السوري لدى المملكة الدكتور مدحت البيطار والأستاذ مصطفى حلاج وزير
الاقتصاد والدكتور محمد العماوي وزير التخطيط عام ١٩٧٢.



سمو الشيخ زايد بحديث وسلام مع الحاج بدر الدين الشلاح عام ١٩٧١ في أبوظبي .



بدر الدين الشلاح يسلم على أنور السادات رئيس جمهورية مصر وبينهم وزير التجارة زكريا توفيق والرئيس حسني مبارك .



بدر الدين الشلاح يصفح الرئيس الحبيب بورقيبة في تونس عام ١٩٧٤



بدر الدين الشلاح يسلم على الرئيس بري رئيس جمهورية الصومال عام ٩٨١



مع الرئيس ضياء الحق في الباكستان ويظهر بينهما رئيس غرفة تجارة الباكستان عام ١٩٨٧



- الشيخ علي ابن الشيخ راشد النعيمي حاكم عجمان وعلى حانيه أبناءه الشيخ محمد والشيخ أحمد .
وبالخلف أبناءه الشيخ عبد الله والشيخ الحسن والشيخ عبد العزيز وعمومهم أصحاب مراكز عالية بدولة الامارات



الحاج بدر الدين الشلاح في حديث ودي مع سمو الشيخ طحنون آل النهيان في الامارات ويبدو الزميل السيد سيف العزيز وبعض الزملاء عام ٩٧٣



الشيخ جابر الأحمد وزير التجارة الكويتي يتحدث في داره للحاج بدر الدين الشلاح وعبد العزيز الصقر وجمعه الماجد.



السيد وزير الداخلية السعودي الأمير نايف عبد العزيز آل سعود يستقبل بدر الدين الشلاح في مقام وزارة الداخلية في الرياض ويتقبل الشكر له على دعوته إلى قضاء فريضة الحج عام ١٩٨٧



الحاج بدر الدين مع رئيس مجلس الوزراء الأستاذ صبري العسلي ومعه الشيخ يوسف ياسين وزير الخارجية السعودية أثناء حفلة عقد قرآن ولده في بلودان على كريمة الشيخ يوسف عام ١٩٥٧ .



الحاج بدر الدين الشلاح في طرابلس والاجتماع مع الرئيس كرامي يظهر في الصورة الدكتور سليم الشلاح والسيد تحسين الصفدي نائب رئيس غرفة تجارة دمشق والسيد برهان الأشقر عضو غرفة تجارة دمشق



مع سيادة الدكتور سليم الحص رئيس مجلس وزراء لبنان



مع السيد نائب رئيس وزراء الصين عام ٩٨١



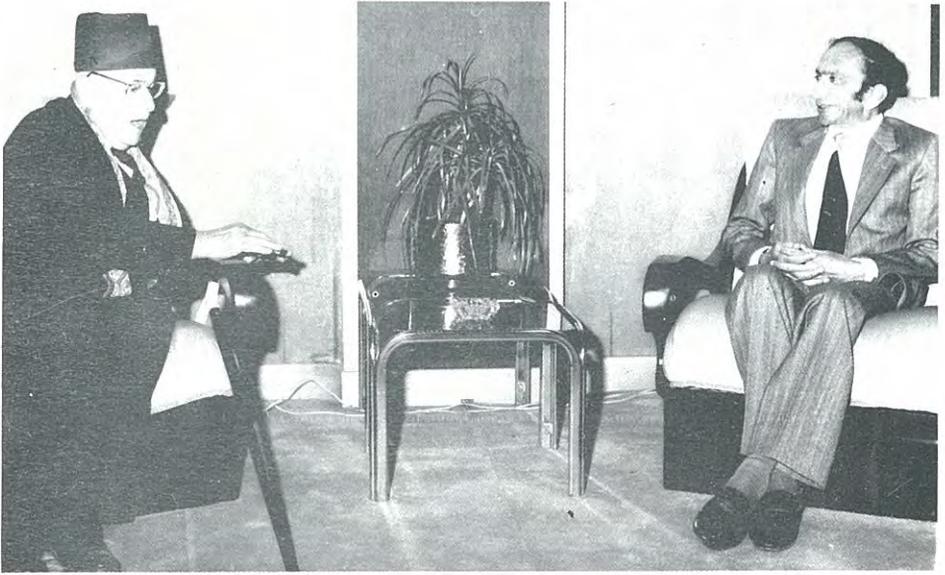
سيادة رئيس مجلس الوزراء عبد الرحمن خليفايي يستقبل رئيس مؤتمر غرف التجارة العربية في مكتبه عام ١٩٧٧



حفلة سيادة رئيس مجلس الوزراء اللواء عبد الرحمن خليفايي لمؤتمر الغرف العربية في نادي الضباط عام ١٩٧٧ ويظهر في الصورة السيد الشيخ عبد الستار السيد وزير الأوقاف والحاج بدر الدين الشلاح رئيس المؤتمر وعبد الكريم رئيس وفد السودان .



- السيد الرئيس اللواء عبد الرحمن خليفايي والاقتصاديون العرب في دمشق عام ١٩٧٥ في الحفلة التي أقامتها الغرفة التجارية على شرف الاقتصاديون العرب وفي الصورة الحاج بدر الدين الشلاح يلقي كلمته والى جانبه من الشمال سيادة اللواء عبد الرحمن خليفايي والدكتور هشام من الاردن ووزير الاقتصاد السوري الدكتور محمد العمادي والى يمينه الاستاذ أحمد قبلان وزير التموين والمهندس صبحي كحاله وزير سد الفرات والاستاذ محمد الشريف وزير المالية .



بدر الدين الشلاح مع رئيس الوزراء الدكتور عبد الرؤوف الكسم ١٩٨٦



بدر الدين الشلاح يتحدث مع سيادة رئيس مجلس الوزراء المهندس محمود الزعي بحضور سيادة محمود قدور نائب رئيس الوزراء لشؤون الخدمات والدكتور سليم ياسين نائب رئيس الوزراء للشؤون الاقتصادية عام ١٩٨٨.



حفلة الحاج بدر الدين وشفيق الشلاح لمؤتمر الغرف بدمشق عام ١٩٥٣ ، وداع السيد عبد الرحمن السحمراني رئيس غرفة تجارة بيروت .



- عندما بدأت لأقول كلمة الترحيب في الحفلة التي أقيمت في العدمل لمؤتمر الغرف التجارية وقد ظهر بعض المدعوين يصفقون عام ١٩٥٣ .



استقبال الوفود التجارية إلى مؤتمر الغرف
دمشق عام ١٩٥٣



حفلة المزرعة لمؤتمر الغرف عام ١٩٥٣ .



الأستاذ محمود أبو الفتح صاحب جريدة المصري يحضر حفلة الحاج بدر الدين الشلاح وشقيق الشلاح بالعدمل ١٩٥٣ .



السيد محمد بدرية وزير التجارة في تونس يغادر المزرعة ويودعه الحاج بدر الدين الشلاح عضو غرفة تجارة دمشق وحشد كبير من المدعوين بالحفلة التي أقيمت بالعدمل تكريماً لأعضاء المؤتمر عام ١٩٥٣ .



عام (١٩٥٥) حفلة أقامتها السفارة المصرية وبشاهد الحاج بدر الدين الشلاح وهو يناقش صلاح سالم لأجل السماح بدخول القمر الدين وحوله رئيس الوزراء السيد صبري العسلي والعقيد عدنان المالكي وبعض المسؤولين.



- في الحفلة التي أقامها بدر الدين وشفيق الشلاح بمزرتتهما بالعدمل عام ١٩٥٣ حضرها وزير المالية السوري الأستاذ محمد سعيد الزعيم وعلى نجيب السفير المصري وأبو سليمان الجير ودي المشهور بالفكاكة والنكتة.



القاهرة مؤتمر الغرف التجارية عام ١٩٥٧



الوفد الاقتصادي للمباحثات مع المملكة العربية السعودية عام ١٩٧٢



مؤتمر الغرف التجارية بدمشق عام ١٩٧٧ .



- الخميس في ٧٤/٥/٩ أمام مقر اجتماع مؤتمر الغرف التجارية في تونس ويظهر منهم : في الصف الأول بدر الدين الشلاح ، صلاح الاكنع ، نزار نحلاوي ، ادوار صباغ ، من دمشق وعبد العزيز نصصة من حلب وعدنان قصار من بيروت ونجيب الملا من طرابلس وفي الصف الثاني تيسير الفراء من دمشق و من تونس الذي قال الى ادوار صباغ يا حبيذا لو وجد ة أشخاص بكل البلاد العربية من وزن رئيسكم بدر الدين الشلاح ، ويبدو أيضاً صائب النحاس ومحمد سعيد البردان وعدنان نحلاوي ورشاد الشلاح من دمشق وعبد الحميد شحادة من حلب .



أعضاء غرفة التجارة مع السيد وزير التموين الأستاذ محمد غياش
ويبدو من اليمين السادة : ثابت المهيايبي - غسان قلاع - ادوار صباغ - د. يوسف كسيري معاون الوزير - مخلوح أبو
هنده - محمد سعيد البردان - تحسين الصفدي - عدنان النحلاوي - محمد توفيق سكر - الحاج بدر الدين الشلاح - عبد اللطيف
قطيط - عادل الرفاعي - تيسير الفراء - حامد سلطان .



أعضاء غرفة تجارة دمشق دوره عام ١٩٧٥ - ١٩٧٦ ومعهم سيادة وزير التعمين الأستاذ أحمد قبلان .
 الصف الأول : توفيق سكر - عدنان نحلاوي - عادل الرفاعي - السيد الوزير أحمد قبلان السيد بدر الدين الشلاح -
 السيد عهاد صبري الدكتور مصطفى حسن .
 الصف الثاني : السادة صائب النحاس - تحسين الصفدي - غسان قلاع - أمين شحادة - مدوح أبو هنده - محمد سعيد
 بردان - ادوار صباغ - تيسير الفرا - صلاح الأتبع - مسلم قطرميز .



- العيد الوطني بتاريخ ٢٤ أيلول ١٩٨٨ بشراتون دمشق ويظهر في الصورة الأستاذ ناصر قدور وزير الدولة للشؤون الخارجية والأستاذ
 محمد أمين أبو الشامات محافظ مدينة دمشق والحاج بدر الدين الشلاح وطارق الشلاح وزهير جنان .

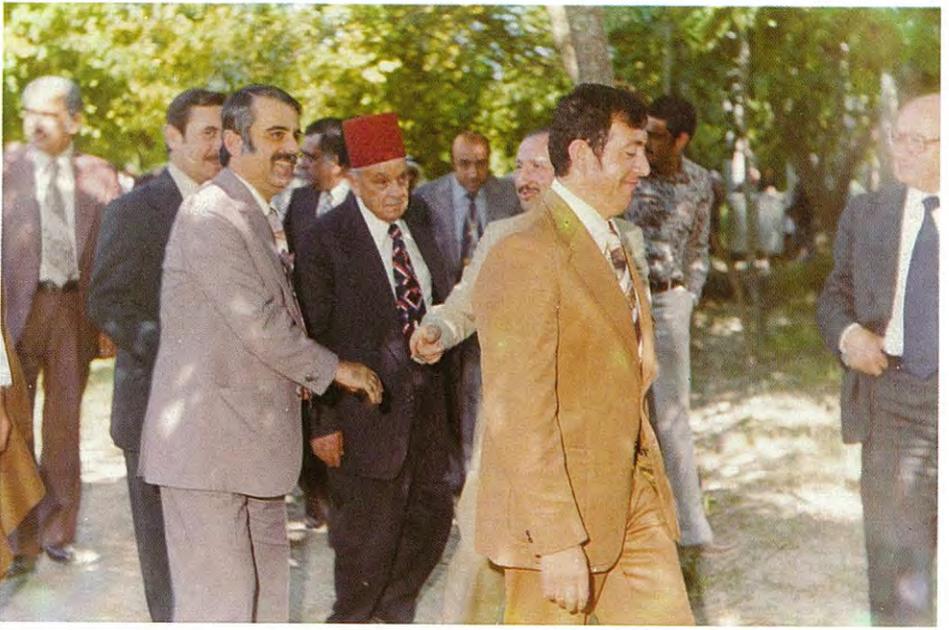
مؤتمرات



حفلة افتتاح مؤتمر الغرف التجارية العربية بفندق الميريديان بدمشق والوفود المشاركة عام ١٩٧٧ .



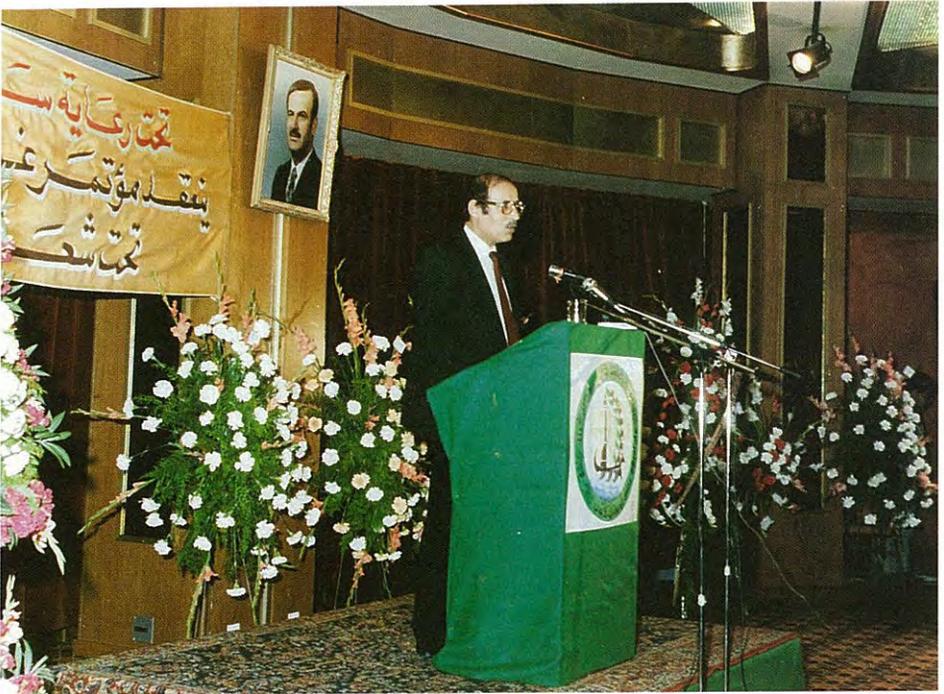
حفلة افتتاح مؤتمر الغرف التجارية العربية بدمشق بفندق الميريديان ١٩٧٧ .



حفلة العدمل لمؤتمر الغرف العربية في ١٥/٥/٧٧ ويظهر في الصورة السيد تيسر الفرا - سيادة الأستاذ أحمد قبلان وزير الزراعة ، السيد صائب النحاس الحاج بدر الدين الشلاح ، سيادة عيسى دوريش وزير النفط ، سيادة اللواء... التركياني .



- حفلة افتتاح مؤتمر الغرف التجارية العربية بدمشق في فندق الميرديان عام ١٩٧٧ ويظهر في الصورة العضوين الباقين على قيد الحياة من أعضاء الغرفة بدمشق عام ٩٥٣ وبجانبيهما الاستاذ برهان الدجاني الأمين العام والسيد عادل الرفاعي عضو غرفة تجارة دمشق .



رئيس مجلس الوزراء المهندس محمود الزعبي يلقي في مؤتمر الغرف عام ١٩٨٨ .



الحاج بدر الدين الشلاح يلقي كلمته في افتتاح مؤتمر الغرف بدمشق عام ١٩٨٨ .



حفلة افتتاح مؤتمر الغرف التجارية العربية بدمشق بفندق الميرديان ١٩٧٧ ويبدو في الصورة الأخ السيد عدنان القصار رئيس غرفة تجارة وصناعة بيروت والسيد محمد الزعزعي رئيس غرفة وصناعة صيدا والزلاء السادة الفريد سكان من زحله وجبريل بداور .



مؤتمر الغرف التجارية بدمشق والحاج بدر الدين الشلاح يودع السادة الضيوف أصحاب المعالي عيسى درويش - أحمد قبلان - محمد غباش والسيد محمد سعيد البردان . عام ١٩٧٧ بعله انتهاء حفلة الغداء التي أقامها الحاج بدر الدين وشقيق الشلاح في مزرعتها وحضرها مايتوف عن ٥٠٠ مدعو.



سيادة رئيس مجلس الوزراء والوزراء والرؤساء في افتتاح مؤتمر الغرف بدمشق عام ١٩٨٨ .



السادة الوزراء ورؤساء الوفود في افتتاح مؤتمر الغرف العربية بدمشق عام ١٩٨٨ .



السادة الوزراء ورؤساء الوفود في افتتاح مؤتمر الغرف العربية بدمشق عام ١٩٨٨ .





استقبال السيد رئيس مجلس الوزراء في حفلة مؤتمر الغرف بدمشق عام ١٩٨٨ ويبدو في الصورة سيدة الدكتور سليم ياسين نائب رئيس مجلس الوزراء والدكتورة نجاح العطار وزيرة الثقافة والأستاذ عبد المجيد الطرابلسي وزير الأوقاف .



بعض السادة المدعويين في مزرعة العدمل بمتناسبة مؤتمر الغرف العربية بدمشق عام ١٩٨٨ .
التي أقامها بدر الدين وشقيق السلاح وحضرها ما يتوف عن ١٢٠٠ مدعو .



بعض السادة المدعوين في مزرعة العدمل بمناسبة مؤتمر الغرف العربية بدمشق عام ١٩٨٨ .



على مائدة الطعام في حفلة العدمل لمؤتمر الغرف العربية بدمشق ١٩٨٨ .



الحاج بدر الدين الشلاح يودع أصحاب السيادة وزير النقل يوسف الأحمد ووزير الدولة ويبدو السيد محمد سعيد الخطيب رئيس غرفة تجارة ريف دمشق وسيادة العميد رفيق غريب في حفلة المزرعة لمؤتمر الغرف بدمشق عام ١٩٨٨ .



عائلة الشلاح تودع الدكتور أحمد عمر يوسف وزير الكهرباء والدكتور محمد العمادي وزير الاقتصاد ويبدو في الصورة السيد لويس فارس عام ١٩٨٨ .



الحاج بدر الدين الشلاح وأخيه شفيق بود عون صاحب السعادة اللواء شفيق فياض في حفلة المزرعة لمؤتمر الغرف بدمشق
عام ١٩٨٨ .



الدكتور موفق الشلاح يودع الاصدقاء السيد صائب النحاس والأستاذ حبيب دولو نكل رئيس الغرفة التجارية العربية
الافرنسية في باريس والأخ السيد فير كيوان في حفلة المزرعة لمؤتمر الغرف عام ١٩٨٨ .



بدر الدين الشلاح يودع الدكتور عثمان العائدي ويبدو السيد فتى نظام في حفلة المزرعة لمؤتمر الغرف العربية بدمشق عام ١٩٨٨ .



الطائف. اجتماع رجال الأعمال والمستثمرين لعام ١٩٨٢



الحاج بدر الدين السلاجح يودع أصحاب السعادة الشيخ عبد العزيز الصقر رئيس غرفة التجارة والصناعة في الكويت ونائبه الشيخ يوسف الفليح في حفلة المرزعة عام ١٩٨٨ .



في وداع الأخوة الأكارم والأخ الأستاذ محمد علي بدير في حفلة المرزعة للغرف العربية بدمشق عام ١٩٨٨ .



عائلة السلاح يجلسون مع الأخوة المدعوون الى حفلة العدمل ويبدو في الصورة السيد الشيخ عبد الباسط على أختنا في السودان والسادة بشير البيطار وأسامة الدقر من غرفة صناعة دمشق والحاج بدر الدين وشفيق ورشاد وماجد السلاح وأولاده الدكتور راتب والدكتور موفق وفائز وغيث ومحمد السلاح .



الفرسان الدمشقيون يستقبلون ضيوف المؤتمر على الخيل .



في عجمان من اليمين الشيخ علي التميمي وخلفه ولده وعبد العزيز التميمي شقيقه ومن الشمال الشيخ عبد الله الخرجي ومحمد أبو شهاب رئيس اتحاد الغرف في الامارات



حفلة أقامها بدر الدين وشقيق الشلاح علي شرف الشيخ يوسف ياسين وظهر بالصورة رئيس الوزارة الأستاذ صبري المسلي والشيخ معروف الدواليبي وعبد العزيز ابن زيد سفير السعودية ولطفي بك الحفار وأسمد هارون وأمين العاصمة الأستاذ بشير التضيائي عام ١٩٥٧ .



الحاج بدر الدين الشلاح يلقي كلمة في حفلة وزير المالية الاميركي بتاريخ ٢١ / ٤ / ٩٨٨ ويبدو في الصورة الدكتور الشلاح يترجم خطاب الوالد .



-الحوار العربي الأوربي في بروكسل ٢٠ نيسان ١٩٨٣ ويظهر في الصورة الحاج بدر الدين الشلاح مع رؤساء الغرف العربية الأوربية المشتركة السيد أميل غي كولون ، السيد رئيس الغرفة البلجيكية العربية السيد دولونكل رئيس الغرفة العربية الفرنسية ، السيد بومونت رئيس الغرفة العربية الانكليزية .



- وفد الصحافيين من الأمم المتحدة لحضور انتخابات مجلس الشعب بدمشق في دعوة عشاء بمزرعة العدل بدعوة من بدر الدين الشلاح رئيس غرفة تجارة دمشق ويظهر في وسط الصورة السيد باتريك سيل وخلفه الأمين العام لوزارة الدعاية والأنباء والأستاذ زهير جنان .



- المؤتمر العربي اليوناني بأثينا عام ١٩٨٥ ويظهر في الصورة الحاج بدر الدين الشلاح و بجانبه على اليسار الدكتور جورج حورانبي وعلى يساره السيدة سهام دلول الموظفة بوزارة التخطيط وباقي أعضاء الوفد السوري .



في الحفلة التي اقيمت عام ١٩٥٧ بالمدمل على شرف معالي السيد يوسف ياسين وقد ظهر بها محمود رياض سفير الجمهورية المصرية والوزير أسعد هارون من اللاذقية ودولة لطفى بيك الحفار والأستاذ شكري الحامد محافظ دمشق .



حفلة على شرف الشيخ يوسف ياسين وظهر في الصورة رئيس الوزارة صبري العسلي - ولطفى الحفار والشيخ معروف الدواليبي وحامد الخوجه وزير الزراعة



الحاج بدر الدين الشلاح في اجتماع مع وزير التموين الأستاذ إحسان السقا في ٢٢/٤/١٩٨٨ .



بدر الدين الشلاح يتحدث مع السيد وزير الأوقاف الأستاذ عبد المجيد الطرابلسي وبجانبه الدكتور سليم الشلاح في ميمم الاسعاف الخيري



في الوسط السيد عبد الوهاب الأزرق مدير عام الجهارك - الصحفي ياسين الحمصي - أمين سر المحافظة محمود الجبان .



- الحاج بدر الدين والحاج شفيق الشلاح يهتون جارهم العماد حسن التركماني بعيد الأضحى ١٩٩٠ .



- الحاج بدر الدين الشلاح في مزرعة الأستاذ فؤاد أبو سعدي ويظهر في الصورة جلوساً السيد فؤاد أبو سعدي والحاج أبو راتب، السيد أبو نايف، السيد صالح الشعراقي، السيد أبو شاكر النحاس، السيد نجيب مجري ووقوفاً السيد عبد الرزاق الصباغ والدكتور راتب الشلاح، والسيد عادل أبو شعر، والحاج حكمت الجميلي، والحاج شفيق سكر، والسيد محمد جمعة بلاش والسيد عادل حسين .



- بعد فوز السيدة كوليت خوري ابنة الأستاذ سهيل الخوري وحفيده المرحوم فارس بيك الخوري الذي وصلت مرتبته لرئيس محكمة العدل الدولية ورئيس مجلس النواب ورئيس حكومة في عام ١٩٢٨ وحتى عام ١٩٥٥ ويظهر في الصورة وجهاء الحلي بعد أن فازت في انتخابات مجلس الشعب عام ١٩٩٠.





- مؤتمر الغرف التجارية في بيروت عام ١٩٦٠ ويظهر في الصف الأول السادة محمد النقصص والحاج بدر الدين الشلاح وذكي هلال ومحمد بشير المصري وفي الصف الثاني: بشير رمضان ومسلم قطريز ونصوح الصباغ وحامد سلطان وحسي المهبل .



الدكتور حمدي السقا وزير المالية والسيد مروان قنسي معاون الوزير والدكتور عبد الرزاق الصوفي .



مع وزير التجارة الخارجية في الهند عام ١٩٧٨ .



نائب وزير التجارة الصيني في بكين ومدير مؤسسة التنمية يستقبلون الوفد العربي عام ١٩٨١ . ويبدو في الصورة الأستاذ برهان الدجاني والسيد عبد الكريم حسين جمفر رئيس غرف السودان والشيخ عبد العزيز الصقر رئيس غرف الكويت والحاج بدر الدين الشلاح رئيس الغرف السورية والشيخ اسامعيل أبو داود رئيس الغرف السعودية والسيد عبد الرحيم المكاوي والأستاذ عدنان قصار والزميل صالح من البحرين والسيد زهير عصفور والأستاذ عبد الرحمن العطار والدكتور العبادي وعبد الكريم عدي وعبد الستار السيد ومحمد غباش وصبحي كحالة وأحمد عمر يوسف والأستاذ فهيم اليوسفي نائب رئيس مجلس الوزراء لشؤون الخدمات .



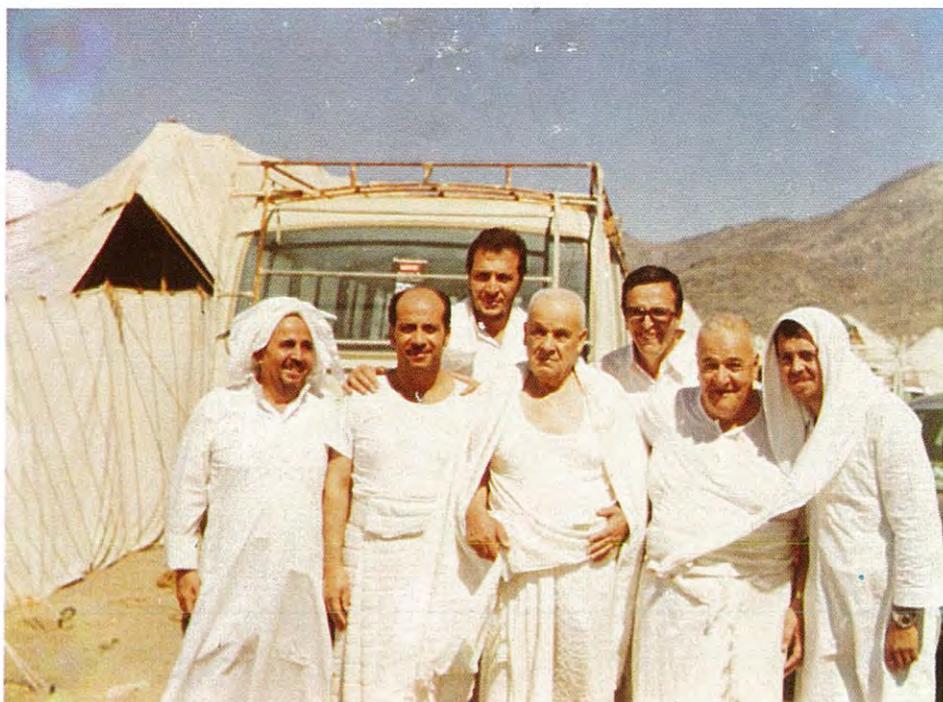
- اجتماع اتحاد الغرف الإسلامية في فندق كونتيننتال بأبوظبي بتاريخ ١٩٨٩/١/٦ في حفلة الافتتاح تحت رعاية صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل النهيان وقد ألقى كلمة الافتتاح السيد وزير الاقتصاد والتجارة الشيخ سيف الجزوان.



- الأردن - عمان وفد الغرف العربية بزيارة البحر الميت.



- الحاج بدر الدين السلاخ وصهره خلدون الرملي يتجولان في حديقة الشيخ عبد الله الخرجي رئيس غرفة تجارة أم القيوين بالامارات المتحدة بعد الحفلة التي أقيمت على شرفها بتاريخ ١٩٨٩ .



قضاء فريضة الحج وزيادة قبر سيدنا حمزة بالمدينة المنورة ويظظهر في الصورة الحاج نزار سكر ، الحاج شفيق السلاخ ، الحاج الدكتور سليم السلاخ ، الحاج بدر الدين السلاخ الحاج محمد مروان السلاخ .



في صالة مبنى وزارة الخارجية الصينية على مائدة غذاء أقامها وزير الخارجية الحاج بدر الدين الشلاح تكريماً لزيارته الى
تايبيه وذلك في ١٤/١١/١٩٧٧ .



الشيخ الدكتور سعيد رمضان البوطي والشيخ عبد الرزاق الحلبي في دار الحاج بدر الدين أثناء حفلة عشاء في منزله لوزير
الأوقاف في الاتحاد السوفيتي



صورة في حفلة بالعدمل عام ٩٥٧ ويظهر فيها عبد الرحمن الطباع وعبد الغني حور وحسي الهبل ومتر المهابني .



حفلة بالعدمل لمؤتمر الغرف وقد ظهر السيد عبد الوهاب الأزرق مدير الجمارك العامة والسيد محمد سعيد الهندي رئيس غرفة تجارة حلب والسيد محمد العايش رئيس المجلس النيابي السوري سابقاً وعبد القادر الأسود رئيس محكمة التمييز عام ١٩٥٣ .



- مؤتمر غرف التجارة والصناعة والزراعة للبلاد العربية في الأردن - عمان ١٩٨٤ ويظهر في الصورة: برهان دجاني أمين عام اتحاد الغرف العربية والسيد الحبيب ماجول من تونس والسيد محمد علي بدير رئيس اتحاد غرف التجارة في الأردن والسيد عبد العزيز الصقر رئيس غرفة تجارة الكويت والسيد حمدي الطباع رئيس غرفة عمان والحاج بدر الدين الشلاح رئيس غرفة تجارة دمشق ورئيس اتحاد الغرف السورية والسيد عدنان القصار رئيس غرفة تجارة بيروت والشيخ اسماعيل أبو داوود رئيس غرفة تجارة وصناعة جدة.



أعضاء الوفد السوري في مؤتمر الغرف التجارية العربية في ٢٣/١١/١٩٥٠ بالقاهرة على مدرج قصر عابدين.



الأعضاء السوريين في مؤتمر الغرف التجارية في القاهرة عام ١٩٥٤ .



الحاج بدر الدين الشلاح يلقي خطاباً في السودان في مؤتمر الغرف التجارية العربية عام ١٩٨٤ .



الدكتور راتب الشلاح يلقي كلمة بواشنطن في الاجتماع الذي حضره وزير المالية نيابة عن الرئيس كارتر .



الوفد العربي عند زيارته الصومال مع اللجنة المستقبلية تحت شجرة الشيخ زايد آل النبهان والتي تتسع إلى أكثر من تظلمهم تحت ظلها .



مؤتمر جنيف ١٩٨٥ السيد بدر الدين الشلاح وسيادة محمد بالخييل الوزير السعودي .



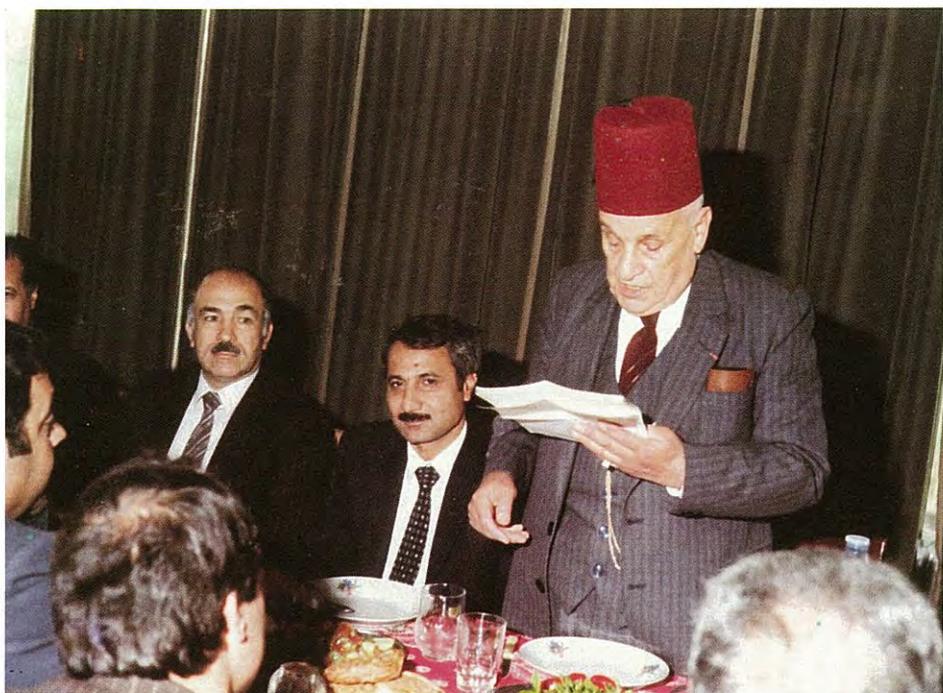
- حفلة وداع سفير المملكة السعودية عبد المحسن الزيد ويظهر في الصورة الوزراء السادة أحمد قبيلان والأستاذ خالد المالكي د . سليم ياسين د . أحمد عمر يوسف والسيد ناصر قدور معاون وزير الخارجية والسيد السفير عبد العزيز زيد والحاج بدر الدين الشلاح .



المؤتمر العربي اليوناني في اثينا عام ١٩٨٥ ويظهر في الصورة السفير اللواء علي المدني والسيد عثمان العائدي والسيد صائب النحاس .



اجتماع اسطنبول للغرف الاسلامية في ٢٢ ايلول ١٩٨٦ الحاج بدر الدين الشلاح وعلى شماله رئيس اتحاد الغرف التركية مهمت يزار الذي أصبح الآن وزيراً بالحكومة التركية وعلى يساره سعادة الشيخ عبد العزيز رئيس غرفة تجارة الكويت .



- الحاج بدر الشلاح يلقي كلمة في اجتماع اتحاد الغرف التجارية في حماه عام ١٩٨٣ ، بحضور السيد الدكتور محمد حربا محافظ حماه الذي يتولى الآن منصب وزير الداخلية .



اجتماع مجلس الاتحاد للغرف التجارية السورية في مدينة حمص الثلاثاء ١٦ / ٤ / ١٩٨٥ .



- الحاج بنو الدين العتايح بنو بوزورك يصحبه أبناءه الدكتور سليم ومحمد مروان وحضور الدكتور عبد الرحمن الطاهر أمين من اتحاد غرقة
التجارة السورية والسيد حمدي الطايح رئيس اتحاد غرقة التجارة الأردنية ورئيس غرقة التجارة العربية الأيركية ووزير مالية أمير يكا ورئيس
الأمم القومى .



حفلة تكريم الشيخ عبد العزيز الصقر رئيس غرفة تجارة الكويت وحضور جميع رؤساء الغرف التجارية العربية عام

١٩٨٥ .



- جلسة اتحاد الغرف الإسلامية بتاريخ ١٩٨٩/٢/٦ وقد ترأس الجلسة الشيخ اسماعيل أبو داود ونائبه الحاج بدر الدين السلاج .



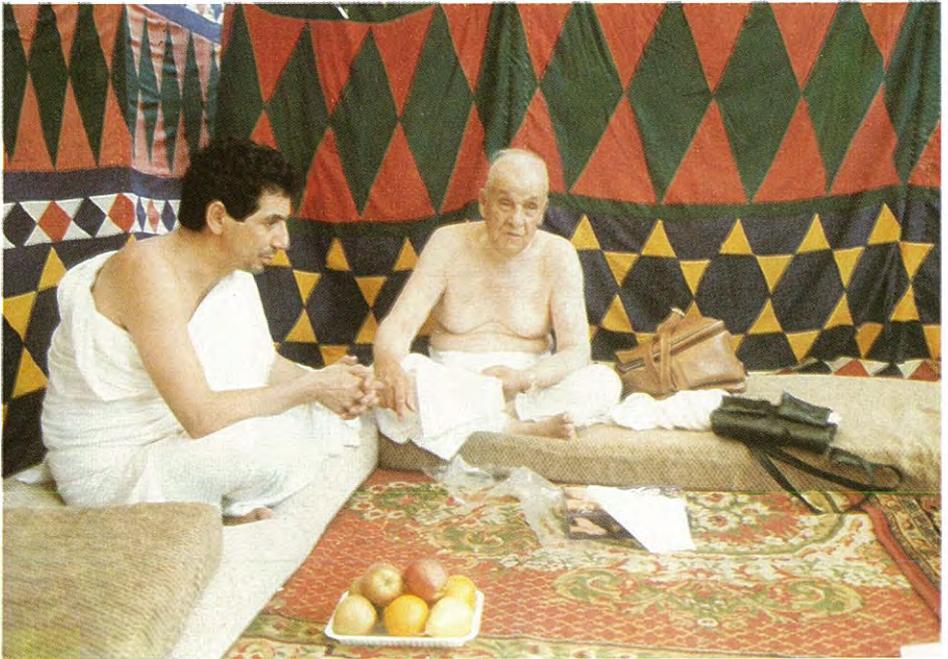
في كراتشي الباكستان . أحد الاجتماعات وعلى المنصة رئيس اتحاد غرف الباكستان والى جانبه من اليمين رئيس غرفة تجارة والى يساره الحاج بدر الدين الشلاح رئيس اتحاد الغرف السورية عام ١٩٧٨ .



- الشيخ عبد العزيز الصقر رئيس غرفة تجارة وصناعة الكويت يلقي كلمة الغرفة العربية بافتتاح مؤتمر الغرف التجارية والصناعية والزراعية للبلاد العربية في سوريا بفندق الشام ٢٧/٤/٩٨٨ .



مؤتمر جنيف في ٢٧/١١/١٩٨٥ ويبدو في الصورة الحاج بدر الدين الشلاح وسيادة محمد بالخليل الوزير السعودي وسيادة
الدكتور أديب الداودي .



الحاج بدر الدين الشلاح والسيد رئيس غرفة تجارة المغرب



- في اليونان من اليمين محمد السيد مدير الغرف العربية اليونانية ورئيس غرفة الصناعة لحلب محمد الأوبري والسيد صائب النحاس والحاج بدر الدين الشلاح والسيد محمد الحلواني في ٢١/٣/١٩٨٥ .



- طبيب جلدية ووكيل وزارة التخطيط الصومالي رافقونا بزيارة خط الاستواء والثلاثة يرقصون مع المراقصات الذين استقبلونا بالرقص والطبول والرموز والاهازيج .

نشاط وطني واجتماعي



مجلس أوقاف دمشق : الحاج بدر الدين الشلاح والسيد محمد الخطيب مدير أوقاف دمشق والقاضي محمد علي الطيبي والمفتي الشيخ عبد الرزاق الحمصي والشيخ أحمد الدقر والسيد ياسين درويش من تربيته سببته والسيد محمد المورهي أبو منذر .



حفلة افتتاح جناح في مستشفى المجتهد عام ١٩٥٦ .



- صورة عائلة بدر الدين وشقيقه الشلاح مع السفير الصيني وزوجته وموظفي السفارة بدارنا في المهاجرين بتاريخ ١٩٨٩/٢/٢٧ .



- السفير الصيني الحالي تشانغ تشن بدار السفارة بدعوة عشاء الحاج بدر الدين الشلاح مع أفراد عائلته .



- السفير الصيني وزوجته يقوم بزيارة الحاج بدر الدين الشلاح بمنزله ويقدم له هدية .



السويداء زيارة لدار المرحوم سلطان باشا الأطرش ويظهر في الصورة الحاج بدر الدين الشلاح - تحسين الصفيدي - محمد مهروسه - العميد زيد نجعل سلطان باشا الأطرش - حمدو امينغو من ادلب - اديب .



افتتاح مركز دار المعجزة ويبدو في الصورة السيد المحافظ الأستاذ عدنان قولي وأمين فرع دمشق الدكتور علاء عابدين والسيد مدير دار الكرامة والأخوة الأعضاء .



حفلة أبو راتب بغبوطة دمشق في ١٢ / ٥ / ٩٥٤ وفي الصورة المرحوم حسني تالله والمرحوم فخري البارودي والمرحوم محمود أبو الفتح وأخيه والحاج بدر الدين الشلاح .



حفلة وداع المرحوم الشيخ خليفة المبارك سفير الامارات ١٩٨٠ .



- في زيارة السيد ريتشارد مورفي مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأوسط في مكتبه بواشنطن عام ١٩٨٤ .



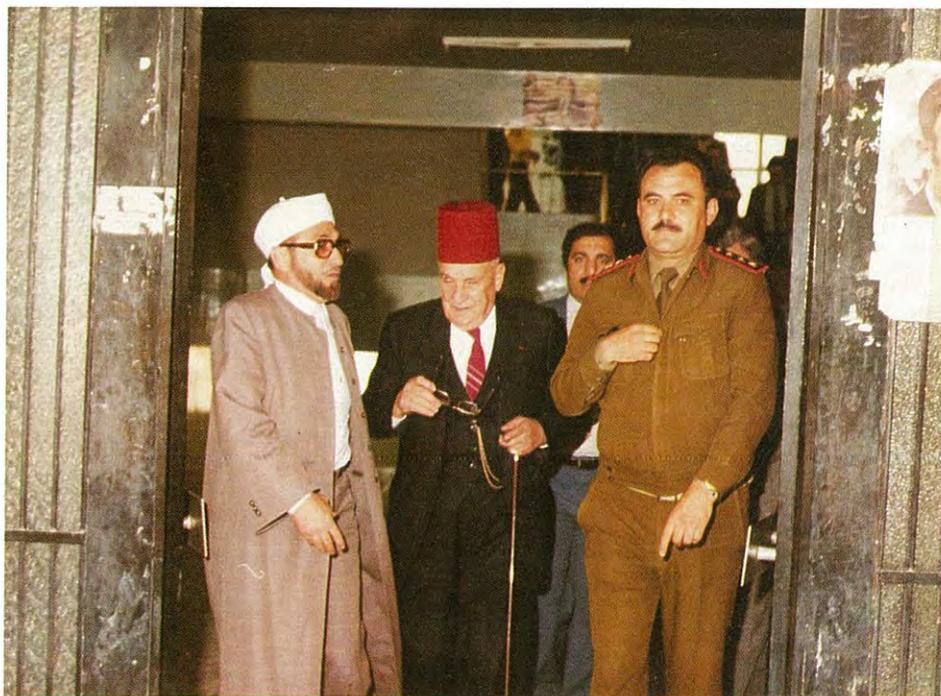
- الصحفي باتريك سيل مع الحاج بدر الدين السلاج في حفلة الصحافيين للأمم المتحدة بمناسبة الانتخابات بدمشق .



- حفلة شاي بدار السفارة الافرنسية بدمشق ويظهر في الصورة الحاج بدر الدين الشلاح والحاج شفيق الشلاح وأولادهم وزوجات أبناءهم والسيد دانيال كوتونيه والملحق التجاري جان فرنسوا.



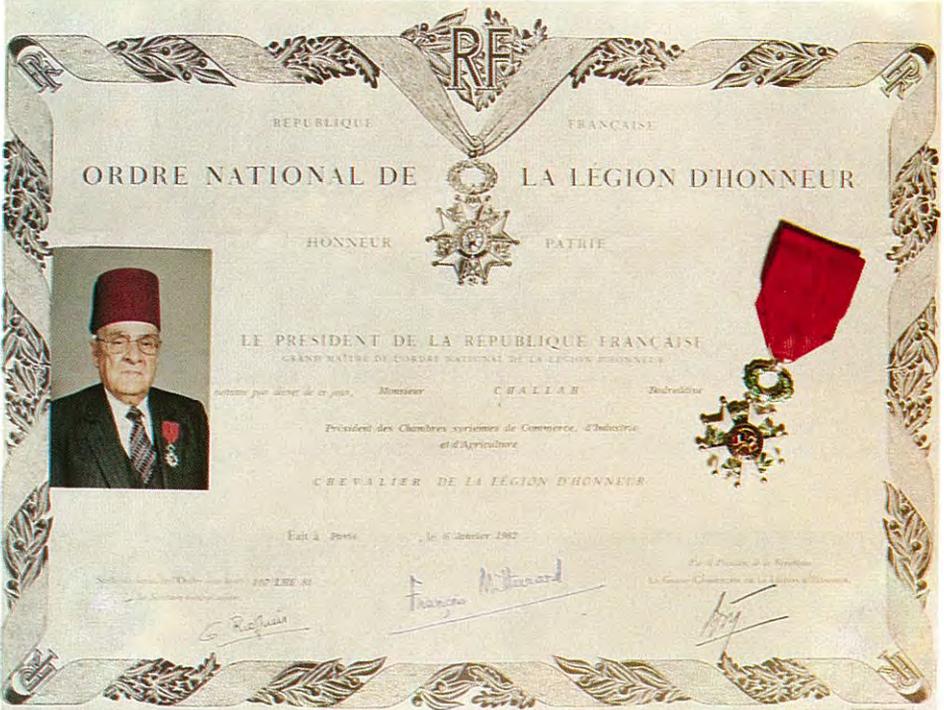
جورج مارديكيان في دار آل نظام عام ١٩٦٢ .



مدير منطقة القامشلي المعقيد نزار يوسف ومدير أوقاف محافظة الحسكة الأستاذ عبد الرحمن حافظ بتاريخ ٣/٤/١٩٨٤ عند استقبال وفد مجلس اتحاد العرف التجارية لسوريا .



-وزير الأوقاف الروسي والمفتي الروسي ووزير الأوقاف السوري الدكتور محمد الخطيب بدعوة الحاج بدر الدين وشفيق الشلاح بدارهم ويظهر في الصورة الدكتور راتب الشلاح والسيد محمد خير السر وان .



- وسام ليجيون دونور الذي منحه رئيس الجمهورية الفرنسية ميران ١٩٨٢ .



- الأربعاء في ٢١ ربيع الثاني ١٤٠٨ الموافق ٣٠ تشرين الثاني ١٩٨٨ في حفلة المولد النبوي الشريف بالاسعاف الخيري بحضور كبار تجار مدينة دمشق.



- الحاج بدر الدين الشلاح يلقي كلمته بمناسبة حفلة قراءة المولد النبوي الشريف بجمعية الاسعاف الخيري ويظهر في الصورة وزير الأوقاف بالصف الأمامي بدمشق ١٩٨٨.



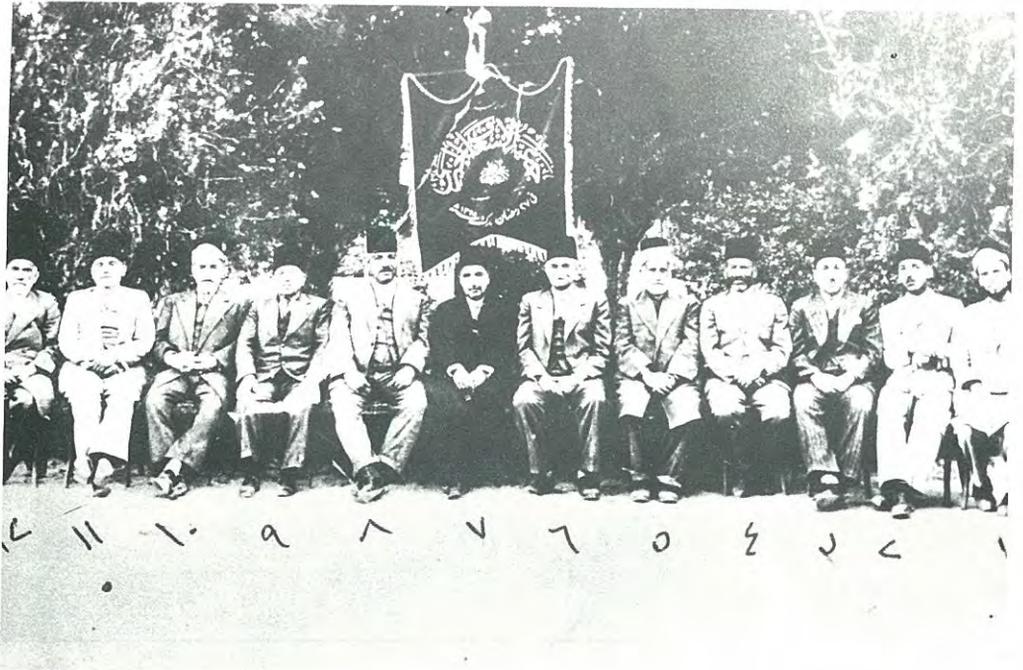
في الستينات من اليسار العميد أحمد بيلوني والحاج بدر الدين الشلاح الدكتور نظمي القباني والاساذ عبد الرحمن الطباع السيد منير البديوي السيدوجه عمار الحاج شفيق الشلاح السيد أكرم الطرابيشي الدكتور أحمد السواح الاساذ رشاد الشلاح السيد محمد أبو الخير بكلداس السيد زكريا الجميلي السيد آبيق السيد نبيل قباني .



- مؤتمر الغرف التجارية بالقاهرة عام ١٩٥٤ ويظهر في الصورة الحاج بدر الدين الشلاح والاساذ محمد علي بدير من عمان والمرحومين محمد شاكر وبشير رمضان من غرفة تجارة دمشق وأكرم الطرابيشي وعلي الزعترى .



في الحجاز بمكة المكرمة عام ١٩٤٥ : بدر التناوي - نصح الطباع - صهرنا محمد عيد سكر - بدر الدين السلاج .



في الثلاثينات : محمد السلاج - محمد الفصص - صلاح القدس - البنجاني - الكزبري - توفيق الميداني - مصطفى القباني -

كمال الحياط - صبيح شبيب - سليم السلاج - عثمان الشراياتي - مراد الزين .



حفلة غرفة التجارة في وداع الملحق الروسي السينوفونوف عام ١٩٨٧ وفي الصورة أعضاء الغرف السورية .



السيد سفير الاتحاد السوفياتي يستقبل الحاج بدر الدين الشلاح ويبدو خلفه الزميل صائب النحاس ونجله د . راتب الشلاح عام ١٩٨٧ .



الحاج بدر الدين السلاح عام ٩٥١ عندما كان رئيساً لمحفل إبراهيم الحليل .



المحفل الماسوني في حزيران ١٩٥٠ والموافق شعبان ١٣٦٩ في دمر .



الحاج بدر الدين الشلاح في لباس رئاسة المحفل.



م حفل ابراهيم عام ١٩٥٢ .



الحاج بدر الدين الشلاح يلقي كلمته في حفلة نادي الشرق عام ١٩٧٩ ويبدو في الصورة السادة الوزراء



- دعوة غداء يوم ١٩٨٩ / ٦ / ٤ أقامها الوجيه صبحي سكر ، على شرف الوفد السوري لاجتماعه في الكويت وحضور الجلسة ٦٩ لمجلس الاتحاد العربي للغرف التجارية ويظهر في الصورة أمام باب منزله العامر السيد صبحي سكر صاحب الدعوة ، الحاج بدر الدين الشلاح السيد شفيق سكر والسيد الدكتور عبد الرحمن العطار ، السيد تيسير القرا .



- زيارة الحاج بدر الدين الشلاح للسيد منصور الأطرش نجل المرحوم سلطان باشا الأطرش ويظهر في الصورة السيد محمد مهروسة والسيد تحسين الصفدي .

مزرعة العدمل



الحاج بدر الدين الشلاح على جواده محبوب المزرعة.

العدمل عام ١٩٥٧



حفلة في عام ١٩٥٧ بالعدمل أقامها الحاج بدر الدين وشفيق السلاج على شرف معالي السيد حسن الشربتي ويظهر في الصورة فضيلة الاستاذ أبو اليسر عابدين والشيخ حسن حبيكة وبدر الدين السلاج .



حفلة على شرف السيد حسن الشربتي أقامها بدر الدين وشفيق السلاج بالعدمل في عام ١٩٥٧ ويبدو فضيلة الشيخ المرحوم أحمد الحارون وفخري البارودي ومحمد الطباع ومحي الدين سكر .



الشباب الدمشقيون يلعبون لعبة الشيف المشهورة احتفالاً بالوفود .



- الحاج بدر الدين الشلاح وأخيه شفيق وأولادهم يودعون الضيوف وعلى رأسهم الدكتور محمد العمادي وزير الاقتصاد والدكتور أحمد عمر يوسف وزير الكهرباء .



- مؤتمر الغرف التجارية بدمشق عام ١٩٧٧ ويظهر في الصورة الحاج بدر الدين السلاخ يتحدث إلى المحافظ الأستاذ فاروق حموي الذي أقام حفل عشاء في منشية البلدية ويرى في الصورة نهاد تلاوي المذيعة بإذاعة دمشق والسيد ماجد محيي الدين والمرحوم خليل كريدي .



- في مؤتمر الغرف العربية حيث زارت الوفود مدينة حلب ويظهر في الصورة الحاج بدر الدين السلاخ والصناعي صبري الشربجي من حلب وموفق العلاف وتظهر في الصورة أيضاً الممثلة ماجدة وهي تحضر فلمها بحلب .



في مشروع الزيداني
عام ١٩٥٢

الحاج بدر الدين في مزرعة الزيداني عام ١٩٥٢

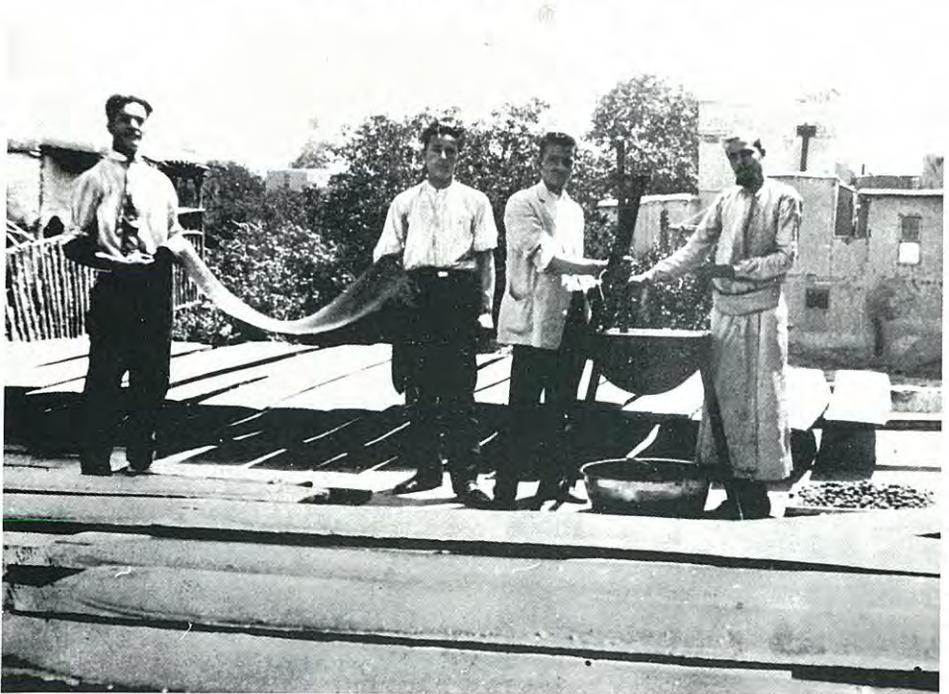


في الزيداني عام ١٩٥٩

الفلاحة في مزرعة الزيداني عام ١٩٥٩



الحاج بدر الدين الشلاح يشرف على تراكتر اشتراها بدلاً عن الأبقار عام ١٩٥١ .



الأخوة محمد وبدر الدين وأنور ورشاد الشلاح على سطح الوكالة الكائنة في خان الباشا عند البدء بتجربة تبخير المشمش في عام ١٩٢٨ .

الأسرة



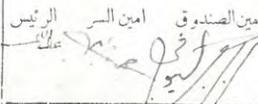
سليم الشلاح وعلى يمينه ولده محمد الشلاح الذي أصبح بعدها الشيخ محمد الشلاح وبجانبه أنور الشلاح ثم رشاد الشلاح
وعلى شماله بدر الدين الشلاح ثم شفيق الشلاح



- سليم الشلاح وأولاده محمد بدر الدين وأنور وشفيق ورشاد لدى استلامهم جائزة وشهادات المعرض الزراعي بدمشق عام ١٩٢٧ يوم كان نصح البخاري وزيرا للزراعة ورئيس الدولة أحمد نامي بيك .



علي الشويبي سليم الشلاح فهد العوا رشاد الشلاح

رقم ٢١ ملاحظات		 اسم العضو السيد بدر الدين الشلاح	
امين الصندوق امين السر الرئيس 		عضو أعلام التولد السن البلدة رقم السكن تاريخ الانساب في تعتبر هذه الهوية لعام والحد فقط	
تموز	كانون ثاني	 المعهد الموسيقي العربي ١٩٣٢	
أب	كانون اول		
أيلول	تشرين اول		
تشرين اول	تشرين ثاني		
كانون اول	كانون اول		

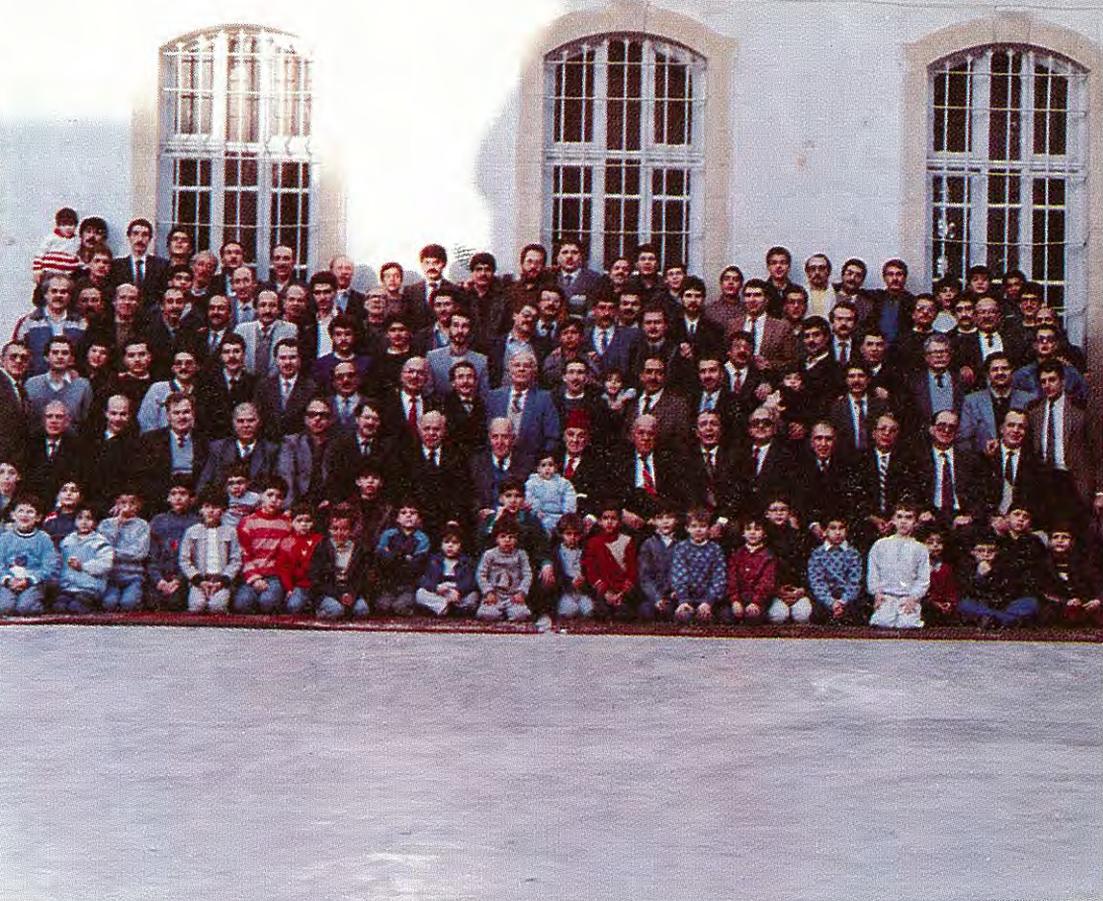
- هوية المعهد العربي الموسيقي عام ١٩٣٢ بتوقيع رئيس المعهد غالب بك الناطلي رئيس مجلس الشورى .



صورة بدر الدين الشلاح وولديه راتب وسليم عام ١٩٤٥



يَدَا وَاحِدَةً
بدر الدين وشقيقه رشيد



الصف الأول - م غياث بن مظهر، نبيل بن معمار الدين، فراس بن عبد الإله، ياسين عبد الإله، م غياث بن محمد، مصون بن سالم معاذ بن سالم، محمد بن أحمد، فادي دشاري بن نظمي، ياسين بن أحمد، عبد الله بن محمد، م ياد بن زهير، باسح "سه بعين" ابن نزار، رشاد بن فايز، م رشيد بن غسان، كنان بن صلاح الدين، عبد الرحمن سيروان، م شفيق بن موفق، "إلى اليسار" ياسين سيروان، عمر بن أحمد راتب، أنس بن طارق، أحمد شفيق بن فهد، خالد بن م مروان، بشر بن محمد مروان محمد بن موفق بن شفيق، رشاد بن زهير بن شفيق.

الصف الثاني - د. موفق بن شفيق، م زيار بن حسن، عبد الحفيظ بن شفيق، م نعمان بن حسن، بدال بن شفيق، طيب بن إبراهيم، رشاد بن سليم، عبد الأحمدي وشيخها الحاج "برزالدين" (سليمان) أبو راتب، الحاج شفيق بن سليم، د. أحمد راتب ابن برد الدين، د. مأمون بن م سعيد، شفيق بن شفيق، د. ياسين بن برد الدين، نبيل بن نور م مروان بن برد الدين، الصف الثالث - أحمد طارق بن شفيق، غياث بن رشاد، عماد بن صفوح، إيا دين مأمون، بشر بن مأمون، أمين بن طيب، م أمين ابن طيب، محمود بن طاهر، م عمر بن سعيد، حمدي بن م توفيق، لؤي بن م أمين، م أمين بن طاهر، زهير بن م شفيق م علي بن ياسين، ياسين بن م علي، راتب بن م علي، مصباح بن شفيق، عماد الدين بن محمد، مصطفى بن م شفيق محمد بن م شفيق، شفيق بن محمد، غسان بن برد الدين.

الصف الرابع - نظمي بن محمد، م ظهر بن زاهد، صبحي بن محمد، عبد الإله وصلاح الدين وم وليد بن منير، أديب سيروان، محمد ابن نذير، أنس بن م عمر، أمين بن حمدي، عبد الله بن ياسين، م ياسين بن محمد، عبد الباقر بن ياسين م غياث وم منذر بن محمود، أمين بن شفيق، فهد بن شفيق، مهدي بن نذير، م سالم بن بشر، عبد الماجد بن محمد م ياسين أحمد، محمد بن عبد الماجد، احمد بن م سعيد، زكي بن م مروان، هادي بن عبد الماجد.

الصف الخامس - محمد وجمال بن صبحي، صلاح بن مصطفى، م ثابت بن حمدي، منير بن عبد الإله، أحمد هشام بن زاهد م زياد بن محمد، عبد الماجد بن زاهد، نذير وم عماد الدين بن منير، م ياسين بن زاهد، ماجد بن محمد نزار م خير وم أبو الفرج بن عبد الحفيظ، عبد اللطيف بن م ياسين، م رياض بن محمود، هشام الدين بن مصطفى، موفق بن م شفيق بن توفيق، طارق بن عبد الحفيظ، م خير بن ياسين، م فايز بن م أمين، برد الدين بن مصطفى، م جمال بن زاهد عبد الناصر بن منير، أنس بن م ياسين، إبراهيم بن عبد الحفيظ، م أمين بن م أمين، م طاهر بن م محمد ورج



بدر الدين وشقيقه الشلاح وأولادهم وأحفادهم في عام ١٩٥١



جانب مع عائلة الشلاح في الزبداني

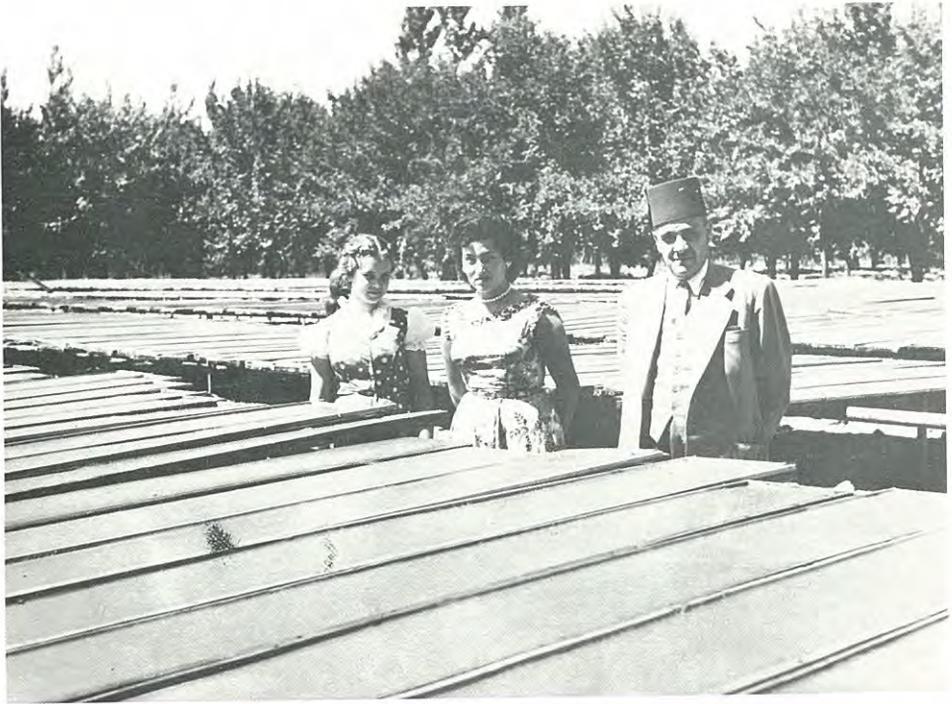
عائلة بدر الدين الشلاح بداره بالزبداني ١٩٨٦



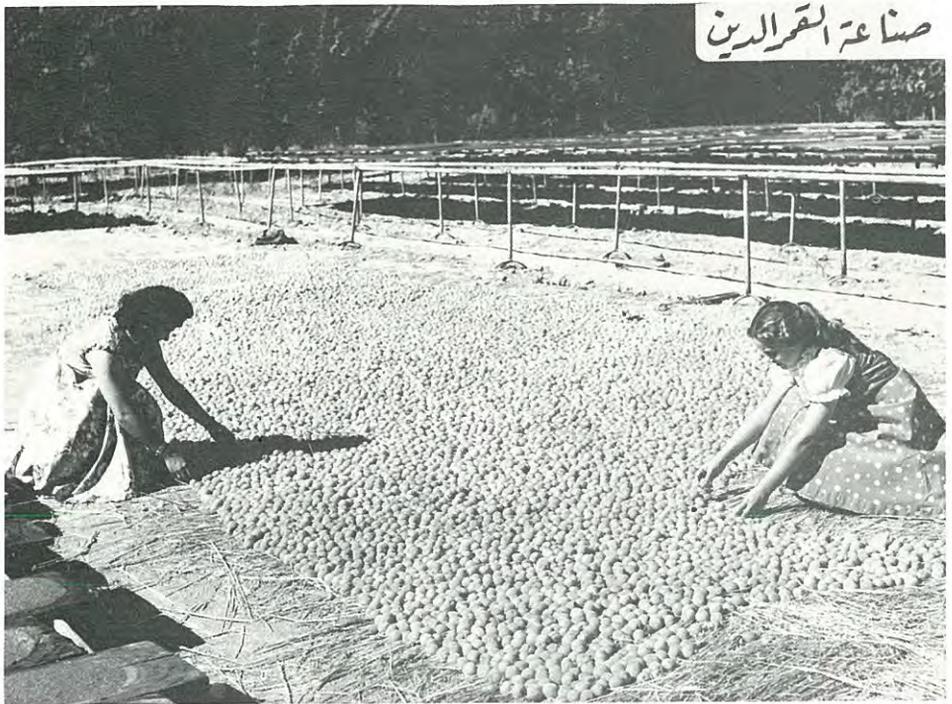
بدر الدين الشلاح وأولاده ١٩٨٦



شفيق الشلاح وأولاده



تحفيف القمر الدين عام ١٩٥٠



صناعة القمر الدين

تحفيف الزبيب عام ١٩٤٩ في مزرعة العدمل



شحن العنب السوري الى الاسكندرية مرفأ بيروت على الباخرة شامبليون الى الاسكندرية عام ١٩٣٢



فرز التفاح الامركي في مرفأ بيروت عام ١٩٣٢

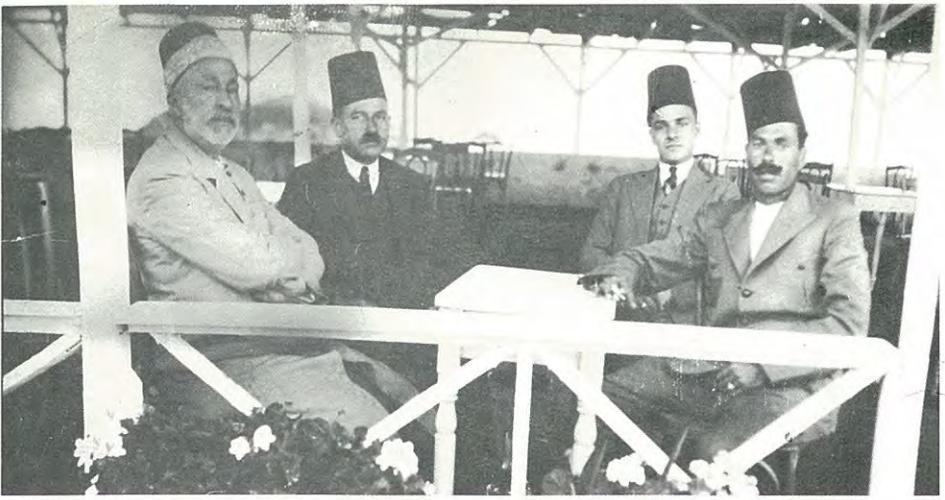


- السفير الصيني لين تشاونان في حفلة أقامها بدار السفارة للحاج بدر الدين الشلاح وأخيه الحاج شفيق الشلاح وعائلتهما ١٩٨٦ .



الحاج بدر الدين الشلاح وولديه الدكتور راتب الشلاح وغسان الشلاح ورئيس الورشة عام ١٩٨٨ بجانب شجرة حور

قطرها ٢٢٠ سم وعمرها ٤٧ عاماً.



- مع تجار بيروت عام ١٩٣٢ ويظهر بالصورة عبد الشكور الحلواني والحاج عبد الرحمن العريسي ويدر الدين الشلاح ومحمد علي الحاج حمور عن الزيداني .



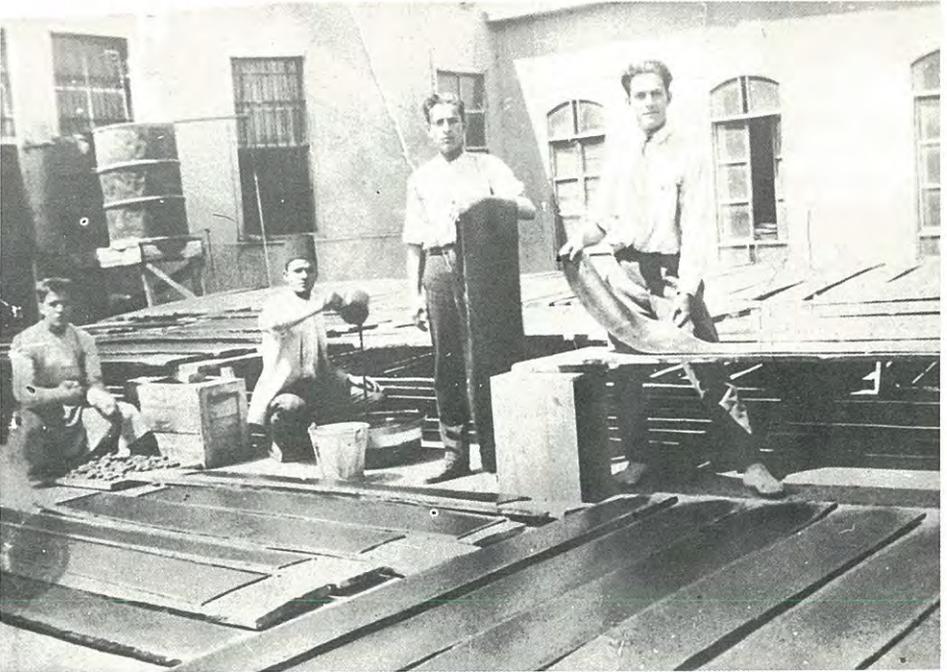
على شاطئ بيروت عام ١٩٢٦ تنزيل السكر الوارد لنا



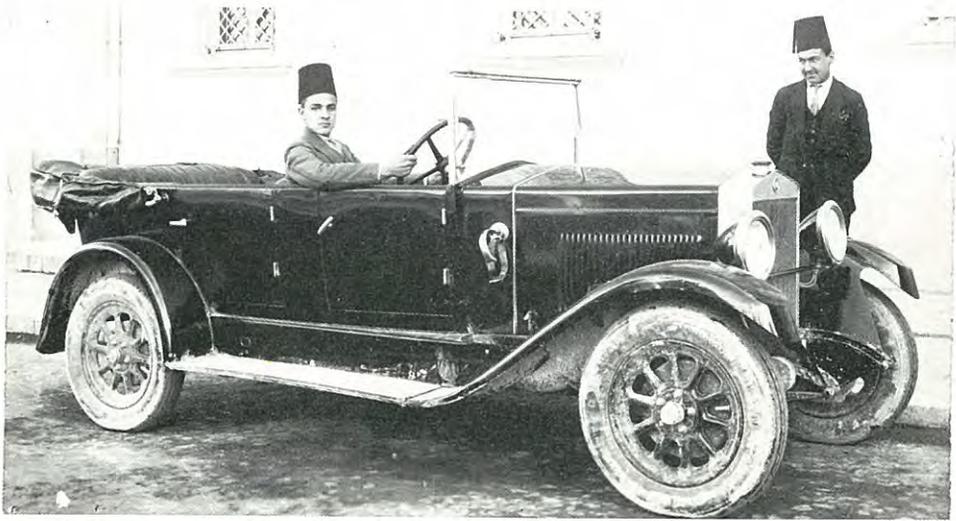
حفلة أقامها السيد أنور الشلاح عام ١٩٥٢ . ويظهر في الصورة أبو درويش سويد وسليم السيوفي ويدر الدين الشلاح وعثمان شحرور.



صنع النقوع كما كان عام ١٩٢٨



صنع القمر الدين على السطح عام ١٩٢٨

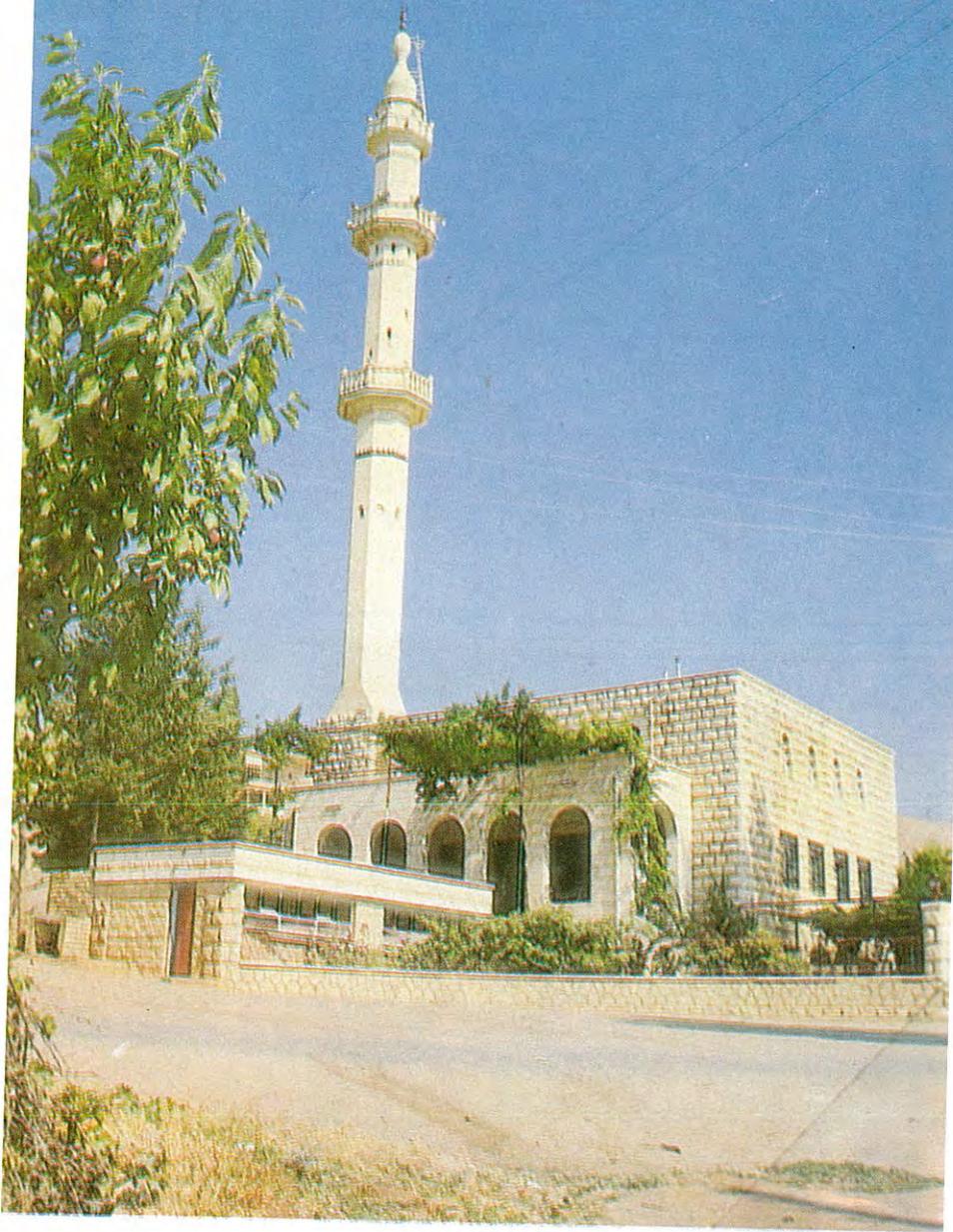


عام ١٩٢٦ على سيارة فيات مع السائق مشتراة من الوكيل خليل صيدح الذي كانت محلاته بسوق التبن



مع سلامة الأغواني في بلودان عام ١٩٢٩

جامع السُّلاح في الزيداني



جامع السُّلاح في الزيداني عام ٩٩٦ .



- سيادة الرئيس كارتر داخلًا مزرعة الشلاح وأمامه الشرطة وخلفه سيارات الحرس في المدخل الذي على طرفيه أشجار السرو الباسقة.



- زيارة الرئيس الاميركي السابق جيمي كارتر الى مزرعة الشلاح بدمشق ويظهر في الصورة الحاج بدر الدين وشفيق الشلاح ويحيط بهما أفراد من عائلة الشلاح .



الرئيس كارتير خلال زيارته في دار صقر يوسف عديل بدر الدين الشلاح في مرج السلطان وشقيقة شفيق الشلاح



الرئيس كارتير يتقبل هدية قطعة بروكار لزوجته التي اعتذرت عن الدعوة بسبب انحراف صحتها ويظهر بالصورة ولده الدكتور راتب الشلاح وصهره خلدون الرملي وزوجته رمزية الشلاح وهي تتكلم مع الرئيس كارتير ورفيق وطارق الشلاح



الرئيس كارتو خلال زيارته للمزرعة والدكتور راتب الشلاح يشرح له عن المزرعة



الرئيس كارتو بزيارة مكسره البزور في مزرعة الشلاح بالمعدل .

عندما تذكر دمشق لا بد أن يذكر تجارها،
وعندما يذكر تجار دمشق لا بد أن يذكر العم أبو
راتب.

بدر الدين الشلاح (أبوراتب) شاب على
أبواب التسعين من العمر، ممتلىء حيوية
ونشاطاً، أنيق المظهر، لا تفارق الوردة الحمراء
صدره ولا يغادر الطربوش الأحمر رأسه.
حاضر الجواب سريع البديهة، يصفه البعض
بأنه أحد معالم مدينة دمشق ورمز من رموزها،
ويعبر البعض الآخر عن دهشته وإعجابه
ويتساءل: كيف استطاع هذا الرجل أن يحقق
حضوراً فعالاً داخل المدينة وخارجها، وما هو
سر استحواذه على احترام ذوي الشأن
والسؤولية من الذين تسلموا سدة الحكم في
سورية على مر السنين بالرغم من اختلاف
منطلقاتهم وأفكارهم، حتى أن الناس ممن
يعرفونه أو لا يعرفونه يحكون عنه قصصاً
وحكايات ويرددون مواقف له مليئة بالطرافة
والحزم والحكمة بحيث اختلط الواقع في هذه
القصص بالخيال؟